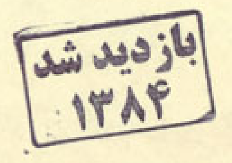
مصفاة الاشباح وجلاة الارواح
~~فیض کاشانی~~
نجم الدین الاخباری (امیر برادر فیض)





جمهوری اسلامی ایران

شماره ثبت کتاب ۸۹۷۵۲

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

کتاب مصفاة الاشباح وجلاة الارواح

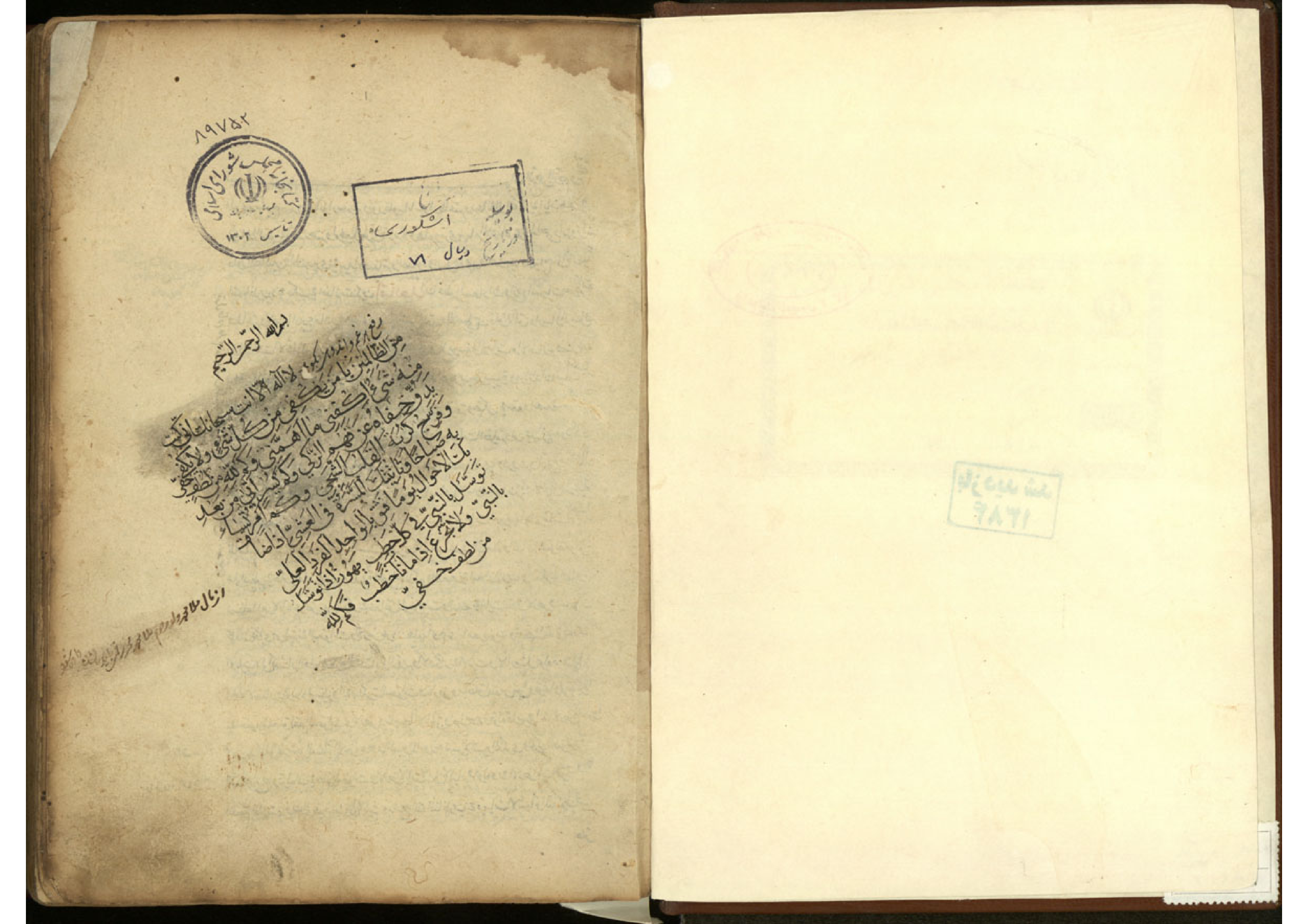
مؤلف نجم الدین الاخباری (برادر فیض)

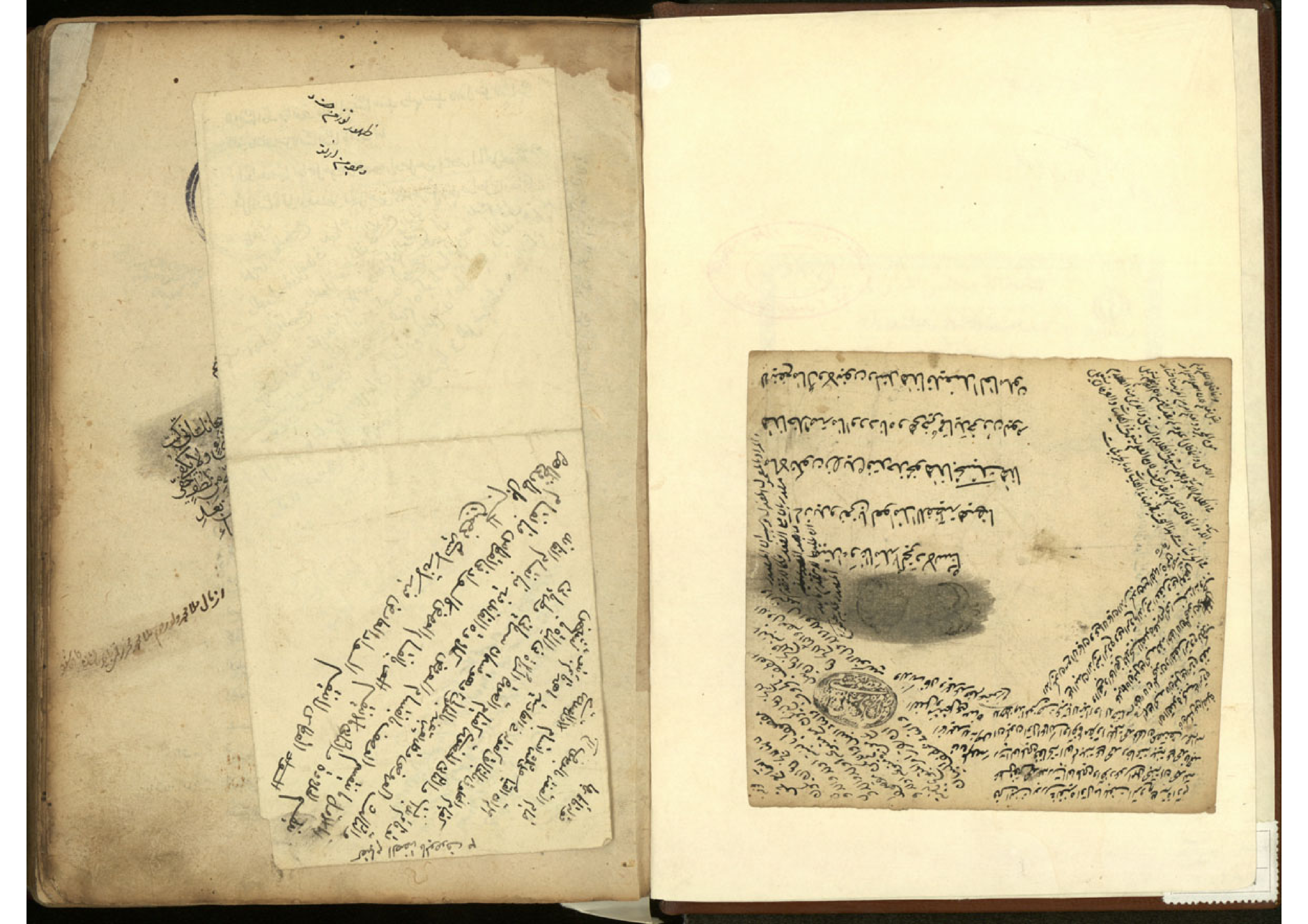
مترجم

موضوع

شمارهٔ قفسه ۱۱۶۰۱

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی — خطی — ۱۱۶۰۱


۸۹۷۵۲
بسم الله الرحمن الرحيم
۶۸۶۱





وكل واحد منهما اما حمل جوهر على جوهر او حمل عرض على جوهر اما الحمل الجوهر على جوهر
فمثل الانسان ناطق او ذو نطق والحمل العرضي على الجوهر فمثل زيد ضاحك او ذو ضحك

٨٩٧٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذي شرح صدورنا بانوار معرفته ونور قلوبنا باسرار طاعته ودعانا الى التفكر في ايات عظمته و
ندبنا الى النظر في اثار رحمته ولم يجعل لمرتقى اقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام مجرى لملاحظة ذاته وترك
قلوب الطالبين والمتحيرين في بيداء صفاته والصلوة والسلم على محمد واهل بيته الذين هم الى اثار عظمة
الله ناظرون وفي حكمته في افعاله متفكرون اما بعد فان اعظم السعادات وارفع القربات معرفة الله
وطاعته ولاجلهما ابدع ما ابدع ووضع ما وضع وليس المقصد الاصلي من خلق الخلق وارسال الرسل و
انزال الكتب الا تحلي العباد بحلية العبودية وتخلقهم باخلاق الربوبية والايات والاخبار في فضل العبادة
وتحصيل العلوم والمعارف كثيرة وفي الاجر المترتب على كل منهما غير يسيرة ومن اراد ان يسلك سبيل
الاستقامة ويظفر بنعيم دار المقامة ويفوز بلقاء الله يوم القيمة ويتمكن في مقعد الصدق والكرامة
فعليه ان يشرع ويسعى ويصرف عمره في الديانات الشرعية والرياضات العقلية ولن يتيسر الصعود الى
بقاع تلك المدارج والنزول الى فناء ذرى المعارج الا بمعرفة اصول الدين وفروعه والتحلي بزينة الاعمال
الدينية والتحقق بحقايق العلوم اليقينية وما لم يعرف الانسان الاسرار المودعة في الاعمال الشرعية
والحكم المندرجة في المعارف الالهية والثمرات المترتبة عليها والغايات المنتجة منها لم يتات له تحصيل
تلك المقامات العلية والمنازل السنية فظهر ان اكتساب المعرفة الكاملة والطاعة المقبولة موقوف
على النظر في حكمة الفاطر العليم وقدرة الصانع الحكيم والتدبر في اسرار الدين والتفكر في الطاف
رب العالمين لا بالاعراض عن التفكر في حقايق الموجودات والتدبر في ايات الله في الارض والسموات
كما قال الحكيم وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقد حث الله في كثير من
الايات على اكتساب العلم بالنظر والاعتبار والتدبر والافتكار في الايات والاثار مثل قوله فاعتبروا يا
اولي الابصار وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وقوله اولم يتفكروا
في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وقوله قل سيروا في الارض فانظروا
كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة وهذا السير المامور به ليس الا السير الفكري والحركة المعنوية دون
تعب الجوارح وقوله ان في خلق السموات والارض لايات لاولي الالباب وقوله وفي الارض ايات للموقنين وفي
انفسكم افلا تبصرون الى غير ذلك من الايات ومدح الله الناظرين في مهيات الاشياء والمتفكرين في

خلق

خلق السموات والارض والذاكرين لله من ملاحظة صنعه وجوده في مواضع كثيرة كقوله ويتفكرون
في خلق السموات والارض وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في
خلق السموات والارض ولا ريب ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وشبكة العلوم ومصيدة
المعارف والفهوم عن الباقر عليه السلم قال باجالة الفكر يستدر الراي المعشب عن الصادق عليه السلم الفكر
مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضياء للقلوب وفسحة للخلق واصابة في صلاح المعاد واطلاع على
العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكرة
ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة التفكر الا من خصه الله بنور التوحيد والمعرفة وعنه عليه السلم
افضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي قدرته ولا شك ان ليس مراده عليه السلم من التفكر في الله التفكر
في ذات الله سبحانه فانه ممنوع منه لانه يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل كما ورد في الاخبار
وفي الخبر اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه واشتهر
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره
بل مراده عليه السلم من ادمان التفكر في الله وفي قدرته النظر الى افعاله وعجايب صنعه وبدايع امره في
خلقه وما ينبه على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وفي بسط نعمائه واياديه وما يدل على كمال
علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته واحاطته بالاشياء ومعيته لها وعن الرضا عليه السلم ليس العبادة
كثرة الصلوة والصوم انما العبادة التفكر في امر الله وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس
مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر
بحسن الظن بالله ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وحقيقة الفكر
احضار معرفتين في النفس ليستثمر منهما معرفة ثالثة فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة و
ازدوجت مع معرفة اخرى حصل بينهما نتاج اخر وهكذا يتمادى النتاج ويتمادى العلوم ويتمادى الفكر
الى غير نهاية وللتفكر مراتب متفاوتة ومجاري متكاثرة وثمرات غير متناهية وانما يكون لكل احد بحسب
عقله ودرجته وادناه تفكر العامة وهو المشار اليه بقول الصادق عليه السلم حيث سئل عما يروي
الناس ان تفكر ساعة خير من قيام ليلة قيل كيف يتفكر قال يمر بالخربة او بالدار فيقول اين ساكنوك
اين بانوك ما لك لا تتكلمين فان امثال هذا التفكر يؤدي الى ذكر الله والدار الاخرة بالقلب واوسط

تفكر المتوسطين وهو ما يكون في المعاملة بين العباد وبين ربهم في حسناتهم وسيئاتهم وفيما يفعل بهم
من اللطف والاحسان والحلم والعفو وغير ذلك فاذا تفكر العبد في حسناته هل هي تامة او ناقصة موافقة
للستر او مخالفة لها خالصة عن الرياء والشك او مشوبة بها يدعوه لا محالة هذا التفكر الى اصلاحها
وتدارك ما فيها من الخلل وكذا اذا تفكر في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد عنه سبحانه
يدعوه ذلك الى الانتهاء عنها وتدارك ما اتى بها بالتوبة والندم واذا تفكر في لطف الله بعباده في
احسانه اليهم ورأفته بهم ورحمته عليهم يدعوه ذلك الى البر والعمل والرغبة في الطاعات والانتهاء
عن المعاصي واليه اشار امير المؤمنين عليه السلام بقوله التفكر يدعو الى البر والعمل به واعلاه تفكر اولي
الالباب وهو النظر في حكمة الفاطر العليم وقدرة الصانع الحكيم والتدبر في اسرار احكام الله وبالجملة ما
يتعلق بمهمات العلوم الدينية ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين ربه وهي تنقسم الى ما يتعلق
بالعبد وصفاته وافعاله والى ما يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله فما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو
محبوب عند الله او مكروه وما يتعلق بالرب اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى
واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وينكشف انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال هو
هو ان حال السائرين الى الله والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا
فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو ذكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان
تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته وشمائله ليتنعم بالفكر فيه ويتلذذ بمشاهدته
واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا
لحبه وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه منها او في الصفات التي
تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه الاقسام فذلك خارج عن حد
العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستولي على القلب حتى لا يترك
فيه متسعا لغيره فمحب الله ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره
محصورا في هذه الاقسام لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اذا عرفت هذا فاعلم انه قد تصدى ائمتنا
الراسخون في العلم سلام الله عليهم لبيان هذه الاقسام على ما جاء في الكتاب والسنة بما لا مزيد عليه
وفقهاؤنا الاماميون شكر الله مساعيهم لم يألوا جهدا في ضبط آثارهم وافاداتهم ونشر احاديثهم و

كلماتهم

العاشق

المستغرق

وكلماتهم واستفرغوا وسعهم في شرح اخبارهم واستنباط قواعد الاحكام ومسائل الحلال والحرام من
رواياتهم وحكماؤنا الالهيون وعرفاؤنا الموحدون اعلى الله درجتهم قد صرفوا وكدهم وبذلوا جهدهم
في تحقيق محاسن الاخلاق ومساويها وكيفية تطهير النفس وتنويرها والكشف عن حقيقة العلوم المتعلقة
بمعرفة المبدأ والمعاد النافعة في يوم المعاد من عباراتهم واشاراتهم صلوات الله عليهم وعلى المتبعين
لآثارهم والمستضيئين بانوارهم ومؤلفات علماء الفرقة الناجية وفضلائهم في فنون العلوم غير محصورة
ومصنفاتهم في ذلك مشهورة والآن قلوب الانام في هذه الاعصار والايام عن تحصيل تلك السعادة
خامدة وافئدتهم عن الاشتغال بما ينفعهم ولا يضرهم في النشأتين هامدة بل قلوب اكثرهم لاسرار
الدين وعلوم الآخرة منكرة وعن اقتباس انوار اليقين والمعارف مستنفرة ويفرون من اهلها
فرار الحمر من القسورة مع ان علم المحجة واضحة وآثار الهداية لائحة فرأيت ان اؤلف كتابا متضمنا لمجاري
الفكر في الحكم والاسرار المخزونة تحت اوامر الله ونواهيه وفي الاضواء والانوار المشرقة من شمس سماء
عظمة الله وتعاليه ومشتملا من اخبار الائمة الاطهار سلام الله عليهم ومن كلمات اماثل العلماء الكرام
وافادات افاضل الحكماء العظام في الحكم والمنافع المندرجة في الشريعة المقدسة والفوائد والمصالح المكنونة
في معرفة الله وافعاله المحكمة وفي ترغيب العاملين الى اقتناء الباقيات الصالحات وتشويق السالكين
الى نيل رفيع الدرجات على ما يحيي الاشباح ويصفيها ويروح الارواح ويحليها بعبارات رائقة تشير الى
اسرار اعمال المتقين واشارات شائقة تهدي الى انوار علوم الاولين والآخرين فجاء بحمد الله كتابا
تقر عيون السالكين بمطالعته وتبتهج ارواح العارفين بملاحظته ولاشتماله على ما ذكرنا واحتوائه على
ما سطرنا حري بان يسمى مصفاة الاشباح ومجلاة الارواح هذب الله به اشباح العاملين وصقل به
ارواح العالمين بمحمد وعترته المقربين ولما كان مطالب هذا الكتاب منقسما الى مجاري الفكر في الطاعات
المتعلقة بالعباد وهي تنقسم الى اسرار علم الشرائع وعلم الاخلاق والى مسارح الفكر في المعارف المرتبطة
بعلم الرشاد وهي تنقسم الى انوار النظر في معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والنظر في افعاله
سبحانه وملكه وملكوته لاجرم افتتح مقاصد الكتاب في اربعة فنون ذوات شجون **الفن الاول**
في مجاري التفكر في اسرار الطاعات الالهية والعبادات النقلية والديانات الشرعية والمنافع المندرجة
تحتها والمصالح المترتبة عليها والفوائد الحاصلة منها والترغيب الى الابتهاج بازهارها واجتناء اثمارها

مصفاة الاشباح

والاهتداء بانوارها لينال السالكون بنور بركاتها نعيماً مقيماً ويتبوءوا بها مقاماً كريماً ويفوزوا فوزاً عظيماً
وليكون الاطلاع على تلك الاسرار وسيلة لهم الى الصعود الى مدارج الكمال والاتصال بالعقل الفعال
والوصول الى مقام الوصال وقد رتبته على ابواب **الباب الاول في بيان الغرض من التكاليف**
الشرعية اعلم ان الغرض من وضع الشرائع هو ان طبائع اكثر الناس مجبولة على العدول عن منهج الحق
والانحراف عن سنن العدل كما اشار اليه سبحانه بقوله وقليل من عبادي الشكور ولو ان الناس اهملوا
وطباعهم وتركوا سدى وخلي بينهم وبين طبائعهم لتوغلوا في الدنيا وانهمكوا في اللذات الجسمانية وطلبوا
دواعي القوى الظلمانية لضراوتهم واعتيادهم بها من الطفولية والصبى حتى زال استعدادهم وانسلخوا
عن رتبة الانسانية فحشروا وسلكوا مسلك البهائم والسباع كما قال الله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وان
حوفظوا ودعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والاداب النبوية تزهدوا وتنورت بواطنهم بنور
الملكية فلهذا وضعت العبادات وفرض عليهم تكرارها في الاوقات المعينة ليزول بها وسخ الطبائع
المتراكمة في اوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة في ازمنة اتخاذ اللذات وارتكاب الشهوات
وتتنور بواطنهم بنور الحضور وينبعث قلوبهم بالتوجه الى الحق عن السقوط في هاوية النفس والشهوة
وينشرح صدورهم ويستريحوا بروح الانس وحب الوحدة من وحشة الهوى وتفرق الكثرة الا ترى
كيف امرنا عند الحدث الاكبر ومباشرة الشهوة بتطهير البدن بالغسل وعند الحدث الاصغر بالوضوء
وعند الاشتغال الدنيوية في ساعات الليل والنهار بالصلوات الخمس المزيلة لكدورات
مدركات الحواس الخمس الحاصلة للنفس بها كل على ما يناسبه وكذلك وضع بازاء وحشة تفرقة الاسبوع
وظلمة انفرادهم بوجوه الاشتغال والمكاسب في الملابس البدنية واللذات الجسمانية اجتماع قوم على العبادة
والتوجه ليزول وحشة التفرقة بانس الاجتماع والحضور ويحصل بدل ظلمة التفرقة نور الجمعية الايمانية
ويرفع عنهم ظلمة الاشتغال الجزئية والاعراض عن الحق من جهة الاغراض المختصة الشخصية وهكذا الحال في
اكثر التكاليف اذ مرجع الغرض في اكثرها الى تصفية القلب عن ظلمة الدنيا وتجريد الباطن عن كدورة
الطبيعة ودرن اللذات الجسمانية وتخليص العقل عن طاعة الهوى والشيطان بنور الحق والايمان وايضا
لما كان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه والارتقاء من حضيض النقص الى
ذروة الكمال ومن هبوط الاجسام الدنية الى شرف الارواح العلية وذلك لا يتيسر لهم الا بمعرفة الله تعالى

ومعرفة

ومعرفة صفاته والاعتقاد بملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر لان قوام الممكن بالواجب وقوام العبد
بالرب فما لم يعرف العبد نفسه بالعبودية فلم يعرف نفسه ولا ربه وما لم يعرف ربه بالربوبية فكذلك لم
يعرف ربه ولا نفسه شرع للناس معرفة الله والصعود اليه بسبب معرفة النفس بالذلة والعبودية و
كونها المعترة من لمعات ربه مستهلكة فيه ولكن لا يتم هذا الا في الحيوة الدنيا لكون النفس في اول كونها
ناقصة وبالقوة والارتقاء من حال نقص الى حال تمام لا يكون الا بحركة وزمان ومادة قابلة وهذه
الاشياء من خصائص هذه النشأة الحسية هو المعنى بقوله عليه وآله السلام الدنيا مزرعة الاخرة فحينئذ
حفظ الدنيا التي هي النشأة الحسية للانسان ايضا مقصود ضروري تابع للدين لانه وسيلة اليه و
المتعلق من امور الدنيا بمعرفة الحق الاول والزلفى لديه وتحصيل النشأة الاخرة والقرب اليه تعالى
شيئان النفوس والاموال فاذا كان معرفة الله هي الغاية القصوى والثمرة العليا فافضل الطاعات
ما يفتح باب معرفة الله ثم ما يفتح باب حيوة النفوس ثم ما يفتح باب المعايش التي بها حيوة النفوس و
حصل من هذا ان اكبر المعاصي ما يسد الباب الاول ثم الثاني ثم الثالث **وصل** يجب على كل مكلف
متابعة الشريعة الشريفة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع مصادره وموارده وحركاته
وسكناته حتى في هيئة اكله وقيامه ونومه وكلامه لست اقول ذلك في العبادات فقط بل في العادات
ايضا قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال ما آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وان اشتهيت الوقوف على السبب المرغب في الاتباع في جميع الافعال والاعمال
فاعلم ان ذكر السر في احاد سنته صلى الله عليه وآله وسلم مما لا يمكن شرحه ولكن ينبغي ان يفهم ان السر في المتابعة
ينحصر في ثلثة **الاول** انه قد وقع التنبيه في مواضع كثيرة على العلاقة التي بين عالم الملك والملكوت
وبين الجوارح وكيفية تأثر القلب بعمل الجوارح وان القلب كالمرآة ولا يتجلى فيه حقائق الحق الا بصقيله و
تنويره وتعديله اما تصقيله فبازالة خبث الشهوات وكدورة الاخلاق الذميمة واما تنويره
فبانوار الذكر والمعرفة ويعين عليه العبادة الخالصة اذا اديت على كمال الحرمة بمقتضى السنة واما
تعديله فبان يجري جميع حركات الجوارح على قانون العدل اذ البدن لا تصل الى القلب حتى تحصل لتعديله
فيحدث فيه هيئة معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها وانما التصرف في القلب بواسطة تعديل الجوارح
وتعديل حركاتها ولهذا كانت الدنيا مزرعة الاخرة ولهذا اعظم حسرة من مات قبل التعديل والاستعداد

طريق المتقبل للموت اذا انقطعت علاقة القلب عن الجوارح ثم مهما كانت حركات الجوارح بل حركات الخواطر ايضا
موزونة بميزان العدل حدث في القلب هيئة عادلة مستوية يستعد بها لقبول الحقائق على نعت الصحة و
الاستقامة كما تستعد المراة المعتدلة لمحاكاة الصور الصحيحة من غير اعوجاج ومعنى العدل وضع الاشياء
مواضعها ومثاله ان الجهات مثلا اربعة وقد خصت منها جهة القبلة بالتشريف فالعدل ان تستقبل القبلة
في احوال الذكر والعبادة والوضوء وان ينحرف عنها عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهارا لفضل ما
ظهر فضله ولليمين زيادة على اليسار غالبا بفضل القوة فالعدل تفضيلها على اليسار فليستعملها في الاعمال الشريفة
كاخذ المصحف والطعام وترك اليسار للاستنجاء وتناول القاذورات وانت اذا تعودت مراعاة العدل
كذلك في جميع دقائق الحركات صارت العدالة والصحة هيئة راسخة في قلبك واستوى صورته وثم استعد
لقبول صورة السعادة ولذلك قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فروح الله مفتاح ابواب السعادة
ولم يمكن نفخها الا بعد التسوية ومعنى التسوية يرجع الى التعديل **الثاني** ان تعلم ان الاشياء المؤثرة في
بدنك بعضها يعقل تاثيره بنوع من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كقولك ان العسل
يضر المحرور وينفع البارد مزاجه ومنها ما لا يدرك بالقياس ويعبر عنه بالخواص وتلك الخواص لا يوقف عليها
بالقياس بل سبيل الوقوف عليها وحي والهام فالمغناطيس يجذب الحديد والسقمونيا يجذب خلط الصفراء
من اعماق العروق لا على القياس بل بخاصية وقف عليها اما بالالهام او التجربة واكثر الخواص عرفت بالالهام
واكثر التاثيرات في الادوية وغيرها من قبيل الخواص فكذلك فاعلم ان تاثير الاعمال في القلب ينقسم الى ما
يفهم وجه مناسبته كعلمك بان اتباع شهوات الدنيا يؤكد علاقته مع هذا العالم فيخرج من العالم منكوس
الراس موليا وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه وكعلمك بان المداومة على الذكر يؤكد الانس بالله ويورث
الحب حتى يعظم اللذة به عند فراق الدنيا والقدوم على الله تعالى اذ اللذة على قدر الحب والحب على قدر المعرفة
والذكر ومن الاعمال ما يؤثر في الاستعداد لسعادة الاخرة او شقاوتها بخاصية ليست على القياس لا يوقف
عليها الا بنور النبوة فاذا رايت النبي صلى الله عليه واله وسلم قد عدل عن احد المباحين الى الاخر واثره
عليه مع قدرته عليهما فاعلم انه اطلع بنور النبوة فاذا رايت النبي صلى الله عليه واله وسلم قد عدل على خاصية
فيه وكوشف به من عالم الملكوت كما قال رسول الله صلى الله عليه واله يا ايها الناس ان الله عز وجل
امرني ان اعلمكم مما علمني واؤدبكم لا يكثرن احدكم الكلام عند المجامعة فانه يكون منه خرس الولد الحديث وهذا

يمهد

ينبهك على الاتباع فيما لا تفهم وجه الحكمة فيه **الثالث** ان سعادة الانسان في ان يتشبه بالملائكة في النزوع
عن الشهوات وكسر النفس الامارة بالسوء ويبعد عن مشابهة البهيمة المهملة سدى التي تسترسل في اتباع
الهوى والشهوات بحسب ما يقتضيه طبعها من غير حاجز ومهما تعود الانسان في جميع اموره ان يفعل
ما يشاء من غير حاجز الا اتباع مراده وهواه وغلب على قلبه صفة البهيمة فمصلحته ان يكون في جميع حركاته
ملجما بلجام يصده عن طريق الطريق كيلا ينسى نفسه العبودية ولزوم الصراط المستقيم فيكون اثر العبودية
ظاهرا عليه في كل حركة اذ لا يفعل شيئا بحسب طبعه بل بحسب الامر فلا يتقلب في جميع احواله عن مصادمات
الرياضة بايثار بعض الامور على بعض ومن القى زمامه في يد كلب مثلا فحق لم يكن تردده بحكم طبعه
بل بحكم غيره فنفسه اقوم والى قبول الرياضة الحقيقية اقرب ممن جعل زمامه في يد هواه ليسترسل استرسال
البهيمة ويكفيك هذه التنبيهات الثلث على ملازمة الاتباع في جميع الحركات والسكنات واذا عرفت
مجمل القول في اسرار الشريعة فلنشرع الان في تفاصيل ما يتعلق باعمال الجوارح من العبادات والعادات

الباب الثاني في النية والاخلاص

قال النبي صلى الله عليه واله
انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى واعلم انه لا يحسن من عبادة الله ولا يصلح طاعة يجب
يترتب عليه الاجر في الاخرة الا ما اريد به التقرب الى الله والدار الاخرة او ابتغي به وجه الله او التوصل الى
ثوابه او الخلاص من عقابه وبالجملة امتثال امره فيما ندب عباده اليه بقوله عز وجل ادعوه خوفا و
طمعا وقوله يدعوننا رغبا ورهبا وكلما وعد به الجنة واوعد عليه النار في الايات التي لا تحصى فرغب و
رهب ووعد واوعد وانما يثيبهم على حسب اقدارهم ومنازلهم ونياتهم فمن عرف الله بجماله وجلاله
ولطف فعاله واحبه واشتاق اليه واخلص عبادته له لكونه اهلا للعبادة ولمحبته له احبه الله واخلصه
واجتباه وقربه الى نفسه وادناه قربا معنويا ودنوا روحانيا كما قال في حق بعض من هذه صفته وان
له عندنا لزلفى وحسن ماب وقال امير المؤمنين وسيد الموحدين صلوات الله عليه الهي ما عبدتك
خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك لكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ومن لم يعرف من الله سوى
كونه الها صانعا للعالم قادرا قاهرا عليما وان له جنة ينعم بها المطيعين ونارا يعذب بها العاصين فعبده
ليفوز بجنته او يكون له النجاة من ناره ادخله الله بعبادته وطاعته الجنة وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه
في غير موضع من كتابه فانما لكل امرئ ما نوى فلا تصغ الى قول من ذهب الى بطلان العبادة اذا قصد

بفعلها لتحصيل الثواب او الخلاص من العقاب بزعم ان هذا القصد مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه الله
وحده وان من قصد ذلك فانما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه فان هذا
قول من لا معرفة له بحقائق التكاليف ومراتب الناس فيها بل من لا معرفة له بمعنى النية وحقيقتها فان
النية انما عبارة عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلا واما آجلا لا مجرد
قول المناوي عند العبادة افعل كذا قربة الى الله وتصور معنى هذا القول بالخاطر وملاحظته بقلبه
وان لم يكن للنفس انبعاث الى التقرب ولهذا امتنعت جماعة من جملة من الطاعات اذ لم يحضرهم النية
وكانوا يقولون ليس يحضرنا نية وذلك لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة
رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب فحقيقة النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة و
بيانه ان جميع اعمالك لا تصح الا بقدرة وارادة وعلم والعلم مهيج للارادة والارادة باعثة للقدرة والقدرة
خادمة للارادة بتحريك الاعضاء وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام النية تبدو من القلب
على قدر صفاء المعرفة وتختلف على حسب اختلاف الاوقات في معنى قوته وضعفه وصاحب النية الخالصة نفسه
وهواه معه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه وهو من طبعه وشهوته ومنيته نفسه منه في تعب والناس
منه في راحة **وصل** واما الاخلاص فهو تجريد النية عن الشوب فلا يعلم ارادة وجهه تعالى وهو ان يعرف بالتفكر
في صفاته وافعاله والمناجاة ثم ارادة نفع الآخرة فهو حظ النفس عن الباقر عليه السلام ما اخلص عبد الايمان
بالله اربعين يوما او قال ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها
واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا قال
ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل
حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد الا الله عز وجل والنية افضل من العمل
الا وان النية هو العمل ثم تلا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص كسر
حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فكم من اعمال يتعب الانسان
فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الآفة فيها كما يأتي في باب الغرور
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ادنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله
قدرا فيوجب به على ربه مكافاة بعمله لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة

م

من جميع الآثام وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة

الباب الثالث في الطهارة والنظافة

قال الله تعالى والله يحب المطهرين وقال ولكن يريد ليطهركم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني
الدين على النظافة وقال الطهور نصف الايمان والمراد ان عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف بالماء
الماء نصف الايمان والنصف الآخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق الحميدة فينبغي للعاقل
عند تخليه لقضاء الحاجة ان يتفكر فيما جاء عن الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة وهو انه قال
سمي المستراح مستراحا لاستراحة النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر
فيها والمؤمن يعتبر عندها ان الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها
وبتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها استنكافه عن النجاسة والغائط و
القذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ويعلم ان التمسك بالقناعة والتقوى
يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها وفي ازالة النجاسة
من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته اياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع
والندم والحياء ويجتهد في اداء اوامره واجتناب نواهيه طلبا لحسن المآب وطيب الزلفى ويسجن
نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات الى ان يتصل بامان الله في دار القرار ويذوق
طعم رضاه فان المعول ذلك وما عداه لا شيء **وصل** وينبغي عند السواك التفكر فيما جاء عن الصادق
عليه السلام في مصباح الشريعة وهو انه قال قال النبي صلى الله عليه وآله السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب
فجعلها من السنن المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل فكما تزيل ما تلوث من
اسنانك في مطعمك ومأكلك بالسواك كذلك فازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد و
الاستغفار بالاسحار وطهر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات وركوب المناهي كلها خالصا
لله فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اراد باستعماله مثلا لاهل التيقظ وهو ان السواك نبات لطيف
نظيف وغصن شجر عذب مبارك والاسنان خلق خلقه الله تعالى في الفم آلة واداة للمضغ وسببا لاشتهاء
الطعام واصلاح للمعدة وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام وتتغير بها رائحة الفم و
يتولد منها الفساد في الدماغ فاذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية
ازال عنها الفساد والتغير وعادت الى اصلها كذلك خلق الله القلب طاهرا صافيا وجعل غذاءه الذكر و

الذكر والفكر والهيبة والتعظيم واذا شيب القلب الصافي في تغذيته بالغفلة والكدر صقل بصقالة التوبة وتنظف بماء
الانابة ليعود الى حالته الاولى وجوهرته الاصلية الصافية قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وان النبي صلى الله عليه واله وسلم امرنا بالسواك لتطهير الاسنان واراد بهذا المعنى المثل ومن اناخ تفكره على
باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الاصل والفرع فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله
عيون
والله لا يضيع اجر المحسنين **وصل** وكذلك ينبغي عند الوضوء التفكر فيما جاء عنه عليه السلام في الكتاب
المذكور وسواه قال اذا اردت الطهارة والوضوء فتقدم الى الماء تقدمك الى رحمة الله فان الله تعالى قد جعل
الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلا الى بساط خدمته وكما ان رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك النجاسات
الظاهر يطهرها الماء لا غيره قال الله تعالى وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا
من السماء ماء طهورا وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما احيى به كل شيء من نعيم الدنيا
كذلك بفضله ورحمته جعل حيوة القلوب بالطاعات وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته و
لطيف امتزاجه بكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء التي امرك الله بتطهيرها وات باداتها
في فرائضه وسننه فان تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة اذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عيون فوائده
عن قريب ثم عاشر خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالاشياء تؤدي كل شيء حقه ولا تتغير عن معناه معتبرا
لقول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مثل المؤمن الخالص كمثل الماء ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع
طاعاتك كصفوة الماء حين انزله من السماء وسماه طهورا وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك
بالماء **وصل** الدنيا والاخرة ضرتان كلما قربت من احدهما بعدت عن الاخرى فلذا امر العبد بتطهير
الاعضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والاقبال عليه فامر في الوضوء بغسل
الوجه الذي فيه اكثر الحواس الظاهرة التي هي اعظم الاسباب الباعثة على مطالب الدنيا الشومة ويقبل
بوجه القلب على الله فهو خال عن تلك الادناس ثم امر بغسل اليدين لمباشرتهما اكثر الامور الدنيوية و
المشتهيات الطبيعية المانعة من الاقبال على الاخرة ثم بمسح الرجلين لان بهما يتوصل الى مطالبه ويتوسل الى
تحصيل ماربه فيطهرها جميعا ليسوغ له الدخول بها في العبادة والاقبال عليها وامر في الغسل بغسل
جميع البدن لان ادنى حالات الانسان واشدها تعلقا بالملكات الشهوية حالة الوقاع وموجبات الغسل
ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تحت كل شعرة جنابة فحيث

كان

كان لجميع بدنه نصيبا من المرتبة العلية في الالتذاذات الفعلية كان بغسله احج من اهم المطالب الشرعية لتاهله
لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة وامر في التيمم بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها
بالماء وضعا لتلك الاعضاء الرئيسة وهضما لها بتلطيخها باثر التربة الخسيسة ولما كانت للقلب من الحظ
الاوفر والنصيب الاكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات الى ما نعته من نيل الفضائل احرى من تطهير
الاعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل واذا لم يمكن تطهيره من الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاوصاف الجميلة فليقم
مقام الهضم والازراء ويسقه بساط الذل والاغضاء عسى ان يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم وهو
منكسر متواضع فيهبه نفحة من نفحات عفوه اللامع فانه عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الاثر فترق من هذه
الاشارات الى ما يوجب لك الاقبال وتلافي سالف الاهمال في العلل عن الرضا عليه السلام انما امر
بالوضوء وبدا به قيل لان يكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته اياه مطيعا له فيما امره
نقيا من الادناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين
يدي الجبار فان قال فلم وجب ذلك على الوجه واليدين والراس والرجلين قيل لان العبد اذا قام بين
يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء وذلك انه بوجهه يسجد ويخضع وبيده
يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل وبراسه يستقبل في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد فان قيل
فلم وجب الغسل على الوجه واليدين والمسح على الراس والرجلين ولم يجعل غسلا كله ولا مسحا كله قيل
لعلل شتى منها ان العبادة العظمى انما هي الركوع والسجود وانما يكون الركوع والسجود بالوجه واليدين لا
بالراس والرجلين ومنها ان الخلق لا يطيقون في كل وقت غسل الوجه والرجلين ويشتد ذلك عليهم
الراس
في البرد والسفر والمرض والليل والنهار وغسل الوجه واليدين اخف من غسل الراس والرجلين
وانما وضعت الفرائض على قدر اقل الناس طاقة من اهل الصحة ثم عم فيها القوي والضعيف ومنها ان
الراس والرجلين ليسا هما في كل وقت باديان وظاهران كالوجه واليدين لموضع العمامة والخفين وغير ذلك
فان قال فلم وجب الوضوء مما خرج من الطرفين خاصة ومن النوم دون سائر الاشياء قيل لان
الطرفين هما طريق النجاسة وليس للانسان طريق تصيبه النجاسة من نفسه الا منهما فامروا بالطهارة عند
ما تصيبهم تلك النجاسة من انفسهم واما النوم فان النائم اذا غلب عليه النوم يفتح كل شيء منه واسترخى فكان
اغلب الاشياء عليه في الخروج منه الريح فوجب عليه الوضوء بهذه العلة وعنه عليه السلام علة غسل الجنابة النظافة و

تطهير الانسان نفسه مما اصابه من اذاه وتطهير جميع جسده لان الجنابة خارجة من كل جسده فلذلك وجب عليه
تطهير جسده كله وعلة التخفيف في البول والغائط لانه اكثر وادوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقته
ومجيئه بغير ارادة منه ولا شهوة والجنابة لا تكون الا بالاستلذاذ منهم والاكراه لانفسهم وعلة غسل
العيدين والجمعة وغير ذلك من الاغسال لما فيه من تعظيم العبد ربه واستقباله الجليل الكريم وطلب المغفرة
لذنوبه وليكون لهم يوم عيد معروف يجتمعون فيه على ذكر الله فجعل فيه الغسل تعظيما لذلك اليوم وتفضيلا
له على سائر الايام وزيادة له في النوافل والعبادة وليكون ذلك طهارة له من الجمعة الى الجمعة وعن الكاظم
عليه السلام ان الله اتم صلوة الفريضة بصلوة النافلة واتم صيام الفريضة بصيام النافلة واتم وضوء الفريضة
بغسل يوم الجمعة فيما كان في ذلك من سهو او تقصير او نسيان وعن الرضا عليه السلام انه قال انما امر بغسل
الميت قيل لانه اذا مات كان الغالب عليه النجاسة والافة والاذى فاحب ان يكون طاهرا اذا باشر اهل الطهارة
من الملئكة الذين يلونه ويماسونه فيما بينهم نظيفا موجها به الى الله عز وجل فان قال فلم امر بكفن الميت
قيل لانه يلقى ربه طاهر الجسد ولئلا تبدو عورته لمن يحمله او يدفنه ولئلا يظهر الناس على بعض حاله وقبح
منظره ولئلا يقسو القلب من كثرة النظر الى مثل ذلك للعاهة والفساد وليكون اطيب لانفس الاحياء
ولئلا يبغضه حميم فيلقى ذكره ومودته ولا يحفظه فيما خلف واوصاه وامره واحب فان قال فلم امر بدفنه
قيل لئلا يظهر الناس على فساد جسده وقبح منظره وتغير ريحه ولا يتأذى به الاحياء وبريحه وبما يدخل
عليه من الافة والدنس والفساد وليكون مستورا عن الاولياء والاعداء فلا يشمت عدوه ولا يحزن صديقه
قال فلم امر من يغسله بالغسل قيل لعلة الطهارة مما اصابه من نضح الميت لان الميت اذا خرج منه الروح
بقي منه اكثر افته ولئلا يلهج الناس به وبمماسته اذ قد غلبت عليه النجاسة والافة وعن الباقر عليه السلام سئل
ما بال الميت يغسل قال النطفة التي خلق منها يرمي بها **وصل** قال امير المؤمنين عليه السلام نعم البيت
الحمام يذكر فيه النار ويذهب بالدرن وفيه اشارة الى انه ينبغي للعاقل ان لا يغفل عن ذكر الاخرة في حالاته وانها
مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان نظر الى الظلمة يذكر ظلمة
اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان سمع صوتا هائلا يذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر
نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما ينكشف له في اخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وعلى
ذلك فالحمام اشبه شيء بجهنم النار من تحت والظلام من فوق فينبغي ان يتذكر حر النار بحرارته ويقتصر

مجرسا

مجرسا في البيت الحار ساعة وتفكير الجحيم ويستعيذ بالله منها قال الصادق عليه السلام فاذا دخلت البيت الثالث
فقل نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة ترددها الى وقت خروجك من البيت الحار وياتي بعض اداب الحمام في
الباب الاخير من هذا الفن ان شاء الله

الباب الرابع في الصلوة

قال الله عز وجل و
الذين هم في صلوتهم خاشعون وقال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ذمهم على الغفلة عنها مع
كونهم مصلين لا لانهم سهوا عنها وتركوها وقال سبحانه اقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال ولا
تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون في خبر تنبيه على سكر الدنيا اذ بين غير العلة وعن الرضا
عليه السلام انه قيل له لم امروا بالصلوة قيل لان في الصلوة الاقرار بالربوبية وهو صلاح عام لان فيه خلع الانداد
والقيام بين يدي الجبار بالذل والاستكانة والخضوع والاعتراف والطلب للاقالة من سالف الذنوب
ووضع الجبهة على الارض كل يوم ليكون ذاكرا لله غير ناس له ويكون خاشعا وجلا متذللا طالبا راغبا
مع الطلب للدين والدنيا بالزيادة مع ما فيه من الانزجار عن الفساد وصار ذلك عليه في كل يوم وليلة
لئلا ينسى العبد مدبره وخالقه والقيام بين يدي ربه زاجرا له عن المعاصي وحاجزا ومانعا عن انواع الفساد
وفي خبر اخر عنه عليه السلام هكذا ووضع الوجه على الارض كل يوم خمس مرات اعظاما لله وان يكون ذاكرا غير ناس
ولا بطر وعن الصادق عليه السلام سئل عن علة الصلوة فان فيها مشغلة للناس عن حوائجهم وتعبا لهم في
ابدانهم فقال فيها علل وذلك ان الناس لو تركوا بغير تنبيه ولا تذكر للنبي صلى الله عليه واله وسلم
باكثر من الخبر الاول وبقاء الكتاب في ايديهم فقط لكانوا على ما كان عليه الاولون فانهم قد كانوا
اتخذوا دينا ووضعوا كتبا ودعوا اناسا الى ما هم عليه وقتلوهم على ذلك فدرس امرهم وذهب حين
ذهبوا واراد الله تبارك وتعالى ان لا ينسيهم امر محمد صلى الله عليه واله وسلم ففرض عليهم الصلوة يذكرونه
في كل يوم خمس مرات ينادون باسمه وتعبدوا بالصلوة فيذكروا الله لكيلا يغفلوا عنه وينسوه فيدرس
ذكره وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من
ذنبه وقال انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباءس وتندم وتقنع يديك وتقول اللهم اللهم
فمن لم يفعل فهي خداج وقال اذا صليت صلوة فريضة فصل لوقتها صلوة مودع يخاف ان لا يعود فيها
اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
فملاقيه وقال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه واله وسلم لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل

فيها قلبه مع بدنه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها
ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وعن السجاد عليه السلام ان العبد لا يقبل من صلوته
الا ما اقبل فيها فقيل هلكنا قال كلا ان الله يتم ذلك بالنوافل وعن الباقر عليه السلام قال
ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع له الا ما اقبل عليها بقلبه
وانما امروا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة ان قيل المستفاد من هذه الايات و
الاخبار ان صلوة من يغفل عما يقول فيها ويغفل ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها و
الفقهاء لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير والتوجه فكيف التوفيق واي فايدة للمصلي في
صلوته ودعائه ومناجاة ربه كما هو معلوم وقد ورد في الخبر ايضا ولا شك ان الكلام مع الغفلة ليس
بمناجاة والكلام اعراب عما في الضمير ولا يصح الاعراب عما في الضمير الا بحضور القلب فاي سؤال
في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا ولا شك ان المقصود من القراءة والاذكار
الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا
يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود
بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها هذا حكم القراءة
والذكر واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة
واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد
الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على سائر العبادات
ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص فاعلم ان بين القبول والاجزاء فرقا فان المقبول من
العبادة ما يترتب عليه الثواب في الاخرة ويقرب الى الله زلفى والاجزاء ما يسقط التكليف عن العبد وان لم
يثب عليه والناس مختلفون في تحمل التكليف والتكليف انما هو بقدر حوصلة الخلق وقابليتهم وسعتهم
وقصورهم فلا يمكن ان يشترط عليهم جميعا احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين
واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة
واولى اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان يكون حال
الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة

وحاصل

وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير فالنقصان
منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من
الميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به **وصل** اعلم ان للصلوة صورة
صورها ارباب الالباب كما صور الحيوان مثلا فروحها النية والاخلاص وحضور القلب وبدنها الاعمال
واعضاؤها الاصلية الاركان واعضاؤها الكمالية الاذكار فالاخلاص والنية فيها يجري مجرى الروح
والقيام والقعود يجري مجرى البدن والركوع والسجود يجري مجرى الراس واليد والرجل واكمال
السجود والركوع بالطمانينة وتحسين الهيئة يجري مجرى حسن الاعضاء وحسن اشكالها والوانها
والاذكار والتسبيحات المودعة فيها يجري مجرى قوى الحس المودعة في الراس والاعضاء كالعين
والاذن وغيرهما ومعرفة معاني الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوى الحس المودعة
في الات الحس ككثرة البصر وقوة السمع والشم والذوق في معادنها واعلم ان تقربك بالصلوة
كتقرب بعض خدم السلطان باهدائه وصيفة الى السلطان وفقد النية والاخلاص من الصلوة
كفقد الروح من الوصيفة والهدية الجيفة الميتة مستهزئ بالسلطان يستحق سفك الدماء وفقد
الركوع والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء وفقد الاذكار يجري مجرى فقد العينين من الوصيفة وقطع
الانف والاذنين وعدم حضور القلب وغفلته عن معرفة معاني القران والاذكار كفقد البصر
والسمع مع بقاء جرمي الحدقة والاذن ولا يخفى عليك ان من اهدى وصيفة بهذه الصفة كيف
يكون حاله عند السلطان واعلم ان قول الفقيه في الصلوة الناقصة ابعاضها وسننها انها صحيحة
كقول الطبيب في الوصيفة المقطوعة اطرافها انها حية وليست بميتة فان كان ذلك كافيا في التقرب
بها الى السلطان ونيل الكرامة منه فالصلوة الناقصة تصلح للتقرب بها الى الله تعالى ونيل الكرامة
وان اوشك ان يرد ذلك على المهدي ويزجر فلا يبعد مثل ذلك في الصلوة فانها قد ترد على المصلي
كالخرقة الخلقة كما ورد في الخبر **وصل** لما علم الشارع ان جميع افراد الانسان لا يرتفعون
عن حضيض البشرية ولا يترقون في مدارج العقل الى درجة الملكية بحسب المعرفة والاخلاق فلو
جرى سوى لهم رياضة بدنية وسياسة تكليفية تخالف اهواءهم الطبيعية وحافظ
لهم الصورة الانسانية وداعي فيهم حكاية السلك العقلية وهيكل العبادات الملكية فهذه لهم فان عدن

في الاذكار والاوراد والزمهم ترك النسيان بتكرير الاعداد وهي في الوجوب بمعرفة الحس اعظم لربط
بظواهر اشخاص الانسان ويمنعهم عن التشبه بساير افراد الحيوان واقر هذا الهيكل الظاهر على
كل بالغ عاقل فقال صلى الله عليه وآله وسلم صلوا كما رايتموني اصلي ولو قال صلوا كصلوتي فمن الذي
صلى مثل صلوته لانه كان يصلي وبصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء وكان في صلوته يرى من
خلفه فقد ظهر ان في صلوة الغالب مصالح كثيرة لا تخفى على اللبيب العاقل ولا يقربه لسان الجاهل
العادل وهذا المعنى في الصلوة قد كانت واجبة على الامم السابقة على عدد اكثر من اعداد صلوتنا
لعموم جحودها وكانوا مكلفين باعمال جسمانية كثيرة المشقة لغلبة القسوة والجسمانية عليهم وقلة
ظهور انوار الملكوتية فيهم وشريعتنا المحمدية على الصادع بها والله خير الصلوة والتحية اقل تكليفا واكثر
منفعة لصفاء القوابل ولطافة القلوب ورقة الحجاب في امة محمد صلى الله عليه وآله ولذلك قال بعثت بالشريعة
السهلة السمحاء **وصل** اعلم ان خشوع الجوارح وخضوع البدن بعد تنظيفه وتطاهره وتطهيره مع
ذكر الله باللسان وتحميده وتمجيده والاعراض من الاغراض الحسية والامتناع عنها بكف الحواس وذكر احوال
الملكوت والجبروت والتنبه بها والمقربين من عباد الله الصالحين المخلصين يوجب عروج القلب
والروح الى الحضرة القدسية والاقبال على الحق والاستفاضة من عالم الانوار وتلقي المعارف والحقايق
والاستمداد من ملكوت السموات فوضعت عبادة تسمى بالصلوة شاملة لهيئات الخضوع والخشوع واتعاب
الجوارح مع شرايط التنظيف والتطهير وقصد القربة وصدق النية والاذكار المذكرة لنعم الله وشعايرها
لتليق بحضرته وغايتها التذلل العظمة والاذعان لامره وحكمه فان لكل علة مع معلولها ولكل لازم مع ملزومها
مناسبة شديدة فيكون حصول ما يناسب احدهما سبب حصول ما يناسب الاخر فيكون قراءة الكلام النازل
في الوحي الالهي سيما حين الاتصال بعالم النور عند تدبر معانيه والتفكر في حقايقه معدة لهيئات قدسية مطلوبة
في الصلوة التي هي معراج المؤمن ولا شبهة في ان تكرر الافعال والحركات يوجب حدوث الملكات و
الاخلاق **وصل** والسر في وجوب الصلوتين القلبية والقالبية هو ان الله قد بعث النبيين معلمين
بالكتاب والحكمة واضعين من قبل الله للشريعة والملة مقيمين العدل والقسط لقوله وانزل معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط فوضعوا للناس النواميس الالهية ليخرجوهم من حضيض البرزخ الظلماني
ويبلغوهم الى اوج العالم النوراني ليحشروا في سلك الملائكة المقربين ويتخلصوا في جوار القدس مع
الانبيا

١٠
الانبياء والصديقين رحمة من الله وفضلا ونعمة منه فشرع كل منهم باذن الله لامته بحسب ما اعطته العناية الالهية
واقتضته الرحمة الازلية في ذلك الوقت والزمان من الاعمال القلبية والبدنية ما يكمل به قوتاهم العلمية و
العملية بحسب طاقتهم ولما كانت الحكمة المحمدية على صادعها وآله افضل المحامد العلية حكمة فردية لانه اكمل موجود
في هذا النوع الانساني بل هو اكمل الممكنات علويها وسفليها روحانيها وجسمانيها وكان تاثير
قوة نبوته في تكميل الارواح اتم ابلغ واتم وكلامه اقوم وحكمته احكم وكتابه وشريعته ابلغ واعم كانت
امته خير الامم واعدلها واشرف الفرق واكملها كما قال كنتم خير امة اخرجت للناس والى الارشاد
صلى الله عليه وآله وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وبقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فحصر
المحمديون بوجوب حقيقة الصلوة والذكر القلبي والمعرفة الالهية التي هي روح الصلوة كما وجبت
عليهم صورة الصلوات الخمس المكتوبة وامروا بالمواظبة عليها والمحافظة لها وتكريرها في كل يوم
بهيئة مشتملة على سر الهي في اوقات معينة وهي ذكر الله تعالى وقربة الى جناب الحق ومناجاة معه
كما قال صلى الله عليه وآله وسلم المصلي مناج ربه وروح الصلوة وهي معرفة الحق وتعظيمه و
تنزيهه عن نقايص الحدثان اشد وجوبا على بواطن عقلاء الكاملين من صورتها وهي القيام و
القعود والقراءة والركوع وساير الهيات والاوضاع على ظواهر الناس وقال سبحانه ومن
اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى **وجه اخر** قد تبين ان في
الانسان شيئا من العالم الاسفل وشيئا من العالم الاعلى واعني بالعالم الاسفل الدنيا وما فيها و
بالعالم الاعلى الاخرة وما فيها وفي كل من الاعمال الدينية قشر ظاهر ولب باطن فالقشر متعلق بالدنيا
واللب متعلق بالاخرة وكان مقصود الشارع من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ومن طهارة
البدن وهو القشر القريب انما هو طهارة القلب وهو اللب الباطن عن نجاسات الاخلاق كالكفر
والحسد والنفاق والبخل والاسراف وغيرها فكذلك مقصود الشارع من صورة كل عبادة هو الاثر
الحاصل منه في القلب ولا يبعد ان يكون لاعمال الجوارح اثار في تنوير القلب واصلاحه كما لا يبعد ان يكون
للطهارة الظاهرة ايضا تاثير في اشراق نورها على القلب فانك اذا اسبغت الوضوء واستشعرت
نظافة ظاهرك صادفت في القلب انشراحا وصفاء لا تصادفه قبله كيف وادراك النظافة موجب حصول
صورتها في القلب وهذا ضرب من الوجود وفعل الطهارة اوجب حصولها في القلب ولو بوجه ضعيف

وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الغيب فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والملك والقلب من
عالم الغيب والملكوت باصل فطرته وانما يكون هبوطه الى هذا القالب كالغريب من موطنه الاصلي ونزوله الى
ارض عالم الشهادة عن الجنة التي هي موطنه وموطن ابيه المقدس لجناية صدرت اولا عن ابيه وكما يحدث من
معارف القلب اثار الى البدن فكذلك يرتفع من احوال الجوارح انوار الى القلب ولذلك امر بالصلوة مع
انها حركات الجوارح وهي من عالم الشهادة بهذا الوجه حبّبها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
من الدنيا فقال حبب من دنياكم ثلث الحديث وعد الصلوة من جملتها ومن هيهنا قد شممت شيئا
يسيرا من اسرار الطهارة والصلوة وسائر العبادات واذا تقرر هذا عندك وعلمت تمثيل هذا
التقسيم في جميع العبادات اتضح لك ما ذكرنا عندك صحيحا ما قدمنا اليك ان الصلوة منقسمة الى رياضي
جسماني والى حقيقي روحاني فاعلم ان نفوس الانسان متفاوتة بحسب اثار القوى والارواح و
الدواعي المتركبة فيها فمن غلب عليه الروح الطبيعي والحيواني فانه عاشق بحب نظامه وتزيينه وتعظيمه
واكله وشربه ولبسه وطالب لجذب منفعته ودفع مضرته فهذا الطالب من عداد الحيوانات وزمرة
البهائم فانهم مستغرقة باهتمام بدنه واوقات عمره مصروفة الى مصالح جسده وشخصه فهو غافل عن
الحق جاهل بامره فلا يجوز له التهاون بهذا الامر الشرعي اللازم الواجب وان تقعد عنه فبالسياسات
والزواجر يكره عليه ويجبر حتى لا يفوت عنه حق التضرع والاشتياق الى الله تعالى ليفيض عليه بجوده
ويجيره من عذابه بجوده ويخلصه من امال بدنه ويوصله الى منتهى امله فانه لو انقطع عنه قليل حين
لتسارع اليه كثير شره ولكان ادنى درجة من البهائم واضل سبيلا من الانعام ومن غلب عليه قواه الروحية
وتسلط على هواه قوته الناطقة وتجرد عن محبة الدنيا وعلائق العالم الادنى فهذا الامر الحقيقي والتعبد
الروحاني وذكر الله بالقلب ومناجاته وقربانه واجب عليه اشد وجوبا واقوى الزاما كما قيل الحكمة اشد
تحكما على باطن العاقل من السيف على ظاهر الاحمق لانه استعد بطهارة نفسه وشرافة عقله ليفيض عليه
ربه فلو اقبل بشفقة واجتهد في تعبده لتسارع اليه جميع الخيرات العلوية والسعادات الاخروية حتى
اذا انفصل عن جسمه وفارق الدنيا يدخل عليه الملئكة من كل باب ويشاهد معبوده وموجده ومكلمه
رب الارباب في جوار حضرته ويلتذ بمشاهدته حينئذ ويجاوره وهم سكان سماء الملكوت وقطان عالم
الجبروت **وصل** واعلم ان الصلوة عبارة عن تشبه ما للنفس الانسانية بالاشخاص الكريمة الالهية في

تحريكها

تحريكها للاجرام الفلكية فما اشد مشابهة الانسان حين الاشتغال بالصلوة الكاملة بتلك الاشخاص
الكريمة بارواحها الملكية في تعبدها الدائم وركوعها وسجودها وقيامها وقعودها طلبا للثواب
السرمدي وتقربا الى المعبود الاحدي ولذلك قال صلى الله عليه واله الصلوة معراج المؤمن
وقال الصلوة عماد الدين واصل الدين تصفية الروح عن الكدورات الشيطانية والهواجس النفسانية
والصلوة الحقيقية هي التعبد بحسب الاعمال والمعبود الاعظم والخير الاشرف والتعبد الحقيقي عرفان
الحق جل مجده والعلم باياته بالسر الصافي والقلب النقي والنفس الفارغة فالصلوة التي هي عماد الدين
هو العلم بوحدانية الله ووجوب وجوده وتنزه ذاته وتقدس صفاته واحكام افعاله ونفاذ امره في خلقه
وجريان قضائه في قدره وقلمه في لوحه وتعلق عنايته ورحمته بعباده وانزال كتبه على رسله ورجوع
العباد في معادهم اليه يوم مثول الارواح والنفوس بين يديه وقيام صفوف الملائكة والروح لديه
مع الاخلاص له بالعبودية واعني بالاخلاص ان يعبد الله بلا مشاركة احد وان يعلم ذاته وصفاته [وافعاله]
بحيث لا يبقى للكثرة فيه مشرعا ولا للاضافة اليه متسعا ومن فعل هذا فقد اخلص وصلى وما ضل وما
غوى ومن لم يفعل هكذا فقد افترى وعصى [جحودا] والله اجل من ذلك واعلى واعلم انه لما تبين ان نحو
العالم الطبيعي والنشأة الدنيوية مستورة وحقيقة الانسان من جملتها لها ظاهر جلي وباطن خفي ولها
صورة مشهورة وحقيقة مستورة فهو منقسم الى ظاهر متغير وباطن ثابت هو قلبه وسره فالصلوة التي
هي ارفع اعماله منقسمة الى ظاهر خلقي وهو الرياضي المتعلق بالظاهر وباطن امري وهو الحقيقي
المتعلق بالباطن والاول يجري مجرى السياسات للابدان والرياضات للقوى والاداب الصورية
به ينوط نظام الجمعية المدنية وقوام الشرعية المصلحة لاصلاح الخلق بحسب حالهم عاجلا وجزاء يؤدي الى
كمالهم واصلاح مالهم لسلامة مالهم وكلتاهما واجبتان شرعا وعقلا فالاولى كلفها الشارع
بالغا عاقلا ليتشبه بمن عبادته خضوع وخضوع من التضرع والخشوع الى الجهة العالية ليفارق البهائم
بهذه الهيئة الشرعية فان البهائم متروكة عن الخطاب مسلمة عن الحساب بل العقاب فاما الانسان
فانه مخاطب ومحاسب مثاب معاقب اذ يجب عليه امتثال الاوامر الشرعية والعقلية والاجتناب
عن المناهي الشرعية والعقلية والشرع يطابق العقل فلما راى الشارع الحكيم ان العقل المنور بنور
معرفة الله اكرم عند الله الزم النفس بالصلوة الحقيقية المجردة وهي عرفان الله وملكوته وكلفه على

بدنه الصلوة الجسمانية اثرا على تلك الصلوة وعنوانا لها فيكون قواه العملية مشايعة لقواه الادراكية
لئلا يزاحمها هذه وكيف اعداد هذا التعبد الجسماني ونظم اركانه على ابلغ نظام في احسن صورة و
اتم هيئة لتشايع الاشباح الارواح في التعبد وان لم يوافقه في الدوام والاتصال **وصل**
ان هذه الصلوة قد وجبت على سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم في ليلة مباركة قد صعد الى
العالم العلوي وتجرد من بدنه وتنزه من اسله ولم يبق معه من اثار الحيوانية شهوة ولا من لوازم
الطبيعة حوة ولا من الدواعي النفسانية بقية فناجى ربه بقلبه وروحه عند طرح قالب بدنه في اخر
منازل الجسم فقال كما روى عنه صلى الله عليه واله وسلم اني وجدت لذة غريبة في ليلتي هذه فاعطني
يا رب هديه وتيسر علي طريقا يوصلني كل وقت الى لذتي فامره الله بالصلوة فقال يا محمد المصلي
مناج ربه ولا يخفى على العاقل المتامل ان مناجاة الله لا يكون بالاعضاء البدنية ولا بالالسن
الجسمانية لان هذه المكالمة انما تصلح لمن يحويه مكان ويقترن به حركة وزمان اما الواحد
المقدس الخارج عن عالم المحسوس الذي لا يحيط به مكان ولا يجري به زمان ولا يعتريه تجدد وتغير
ولا يشار اليه بجهة من الجهات ولا يختلف حكمه في صفة من الصفات فكيف يعاينه الانسان
المشكل المجسم المحدد بجسمه المقيد المحصور بحسب قوله وفعله وشعوره وحسه وكيف يناجي في
هذا العالم المركب من لا يعرف حدود وجهات ولا يرى جناب صفاته فان الوجود المطلق عن عالم
المثل والمحسوسات بل المرتفع عن امكان الارواح العقليات غائب عن الحواس عن يشار اليه
بالاحساس ولا مدرك بالالماس ومن عادة الجسم والجسماني ان لا يناجي ولا يجالس الا من يراه بالبصر
ويحس بالحس ويدركه باحدى الحس واذا لم ينظر اليه ولم يشاهده يعده غائبا ويكون بفقده
عن المشاعر غائبا فمن كان خارجا عن هذا الباب مقدسا عن طرز هذا النوع والاسباب جميعا
وعن المداخلة والمزايلة رفيعا فقد جاز باحدى الظواهر والالات محل المحالات وافحش الخرافات
الموهومات فاذن قوله المصلي مناج ربه محمول على عرفان النفوس الصافية العلامة المقدسة من
جهات الجسم والمكان وحوادث الحركة والزمان فهم يشاهدون الحق مشاهدة عقلية وبصورة
الاله بصيرة نورية ويسمعون كلامه سماعا قلبيا روحانيا فعلى هذا ظهر ان الصلوة الحقيقية
هي التي يليق ان يمدح الله بها المؤمنين المتقين المهتدين بانوار معارف هذا القران وهي التي

تنهى

وان لم يطابقه في المرتبة و
التوحد وتابعه في
التكرار
صح

تنهى عن خبث القوة الشهوية ومنكر القوة الغضبية وبغي القوة الوهمية وتدفع افات هذه الثلث التي
هي لجحيم كالبهائم واوسطها كالسباع واخرها كالشياطين وذلك لانها كما علمت بكمالها عقلية مع الله عند
مشاهدة قلبية وهي المقرع بالنفس الناطقة نحو الاله الحق والوجود المطلق وجعلها بمنزلة بساط التي
تعا ولا صحاب العلوم الظاهرة من هذه حظ ناقص وان ارتفعوا من منزل الانعام قليلا وارتفعوا من
درجة العوام يسيرا وللمحققين منها حظ وافر ونصيب كامل من هذا البحر الزاخر ولهم قرة اعين في الصلوة
عن الناس ومن كان حظه اكمل فثوابه اجزل فالعاقل الحكيم يتامل سلوك طريق العبد والمداومة على الصلوة
وليتذكر بمناجاة ربه لا بشخصه ونطقه لا بنطقه وبصره لا ببصره وحسه لا بجسمه واما الجاهل اللئيم المغرور
المكور المشعوف بما عنده من القشور الطالب في مناجاته للذات عالم الزور المتوجه الى تحصيل الزخارف
الجاه عند اصحاب الفجور من اتباع الهوى واتبع الشيطان وانحرف عن الحق والهدى وحرم الله عليه لذة مناجاته
كما ورد في اخبار داود عليه السلام يا داود ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان احرمه عليه
لذيذ مناجاتي ومثل هذا الخبر ما ذكره مالك بن دينار من قوله قرات في بعض الكتب ان الله عز وجل
يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج مناجاتي من قلبه ومن لم يجعل الله له نورا
فماله من نور **تنوير** عن الصادق عليه السلام قيل له بمشهد المنصور اخبرني عن الصلوة وحدودها
فقال للصلوة اربعة الاف حد لست تؤاخذ بها فقيل اخبرني بما لا يحل تركه ولا تتم الصلوة الا به
فقال عليه السلام لا يتم الصلوة الا لذي طهر سابغ وتمام بالغ غير نازغ ولا زائغ عرف فوقف واخبت فثبت
فهو واقف بين الياس والطمع والصبر والجزع كان الوعد له صنع والوعيد به وقع بذل عرضه وتمثل غرضه
وبذل في الله المهجة وتنكب اليه المحجة غير مرتغم بارتغام تقطع علائق الاهتمام بغير من له قصد واليه
وفد ومنه استرفد فاذا اتى بذلك كانت هي الصلوة التي بها امر وعنها اخبر وانها هي الصلوة التي
تنهى عن الفحشاء والمنكر فالتفت المنصور الى ابي عبد الله عليه السلام فقال يا ابا عبد الله لا نزال من بحرك نغترف
واليك نزدلف تبصر من العمى وتجلو بنورك الطخياء فنحن نعوم في سبحات قدسك وطامي بحرك اقول
لذي طهر سابغ بان طهر جوارحه عن اقذار الاحداث وقلبه عن خباثث الاخلاق وتمام بالغ بان يكمل
التطهير وكان في الانسانية غير نازغ اي يكون عاقلا لم يمسه جنون ووسوسة من الشيطان ولا زائغ
اي غير منحرف عن الدين القويم والصراط المستقيم عرف فوقف اي عرف ما يجب عليه معرفته من اصول الدين

اوليهما

بدتر الصلوة الجسمانية اثرا على تلك الصلوة وعنوانا لها ليكون قواه العملية مشايعة لقواه ركلا
لئلا يزاحمها هذه وكيف اعداد هذا التعبد الجسماني ونظم اركانه على ابلغ نظام في احسن صورة و
اتم هيئة لتتابع الاشباح الارواح في التعبد وان لم يوافقه في الدوام والاتصال

وان لم يطابقه في المرتبة والتوحد ويتابعه في التكرار

وصل ان هذه الصلوة قد وجبت على سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم في ليلة مباركة قد صعد الى
العالم العلوي وتجرد من بدنه وتنزه من اسله ولم يبق معه من اثار الحيوانية شهوة ولا من لوازم
الطبيعة قوة ولا من الدواعي النفسانية بقية فناجى ربه بقلبه وروحه عند طرح قالبه وبدنه في اخر
منازل الجسم فقال كما روى عنه صلى الله عليه واله وسلم اني وجدت لذة غريبة في ليلتي هذه فاعطني
يا رب هديه ويسر على طريقا يوصلني كل وقت الى لذتي فامره الله بالصلوة فقال يا محمد المصلي
مناج ربه ولا يخفى على العاقل المتامل ان مناجاة الله لا يكون بالاعضاء البدنية ولا بالالسن
الجسمانية لان هذه المكالمة انما تصلح لمن يحويه مكان ويقترن به حركة وزمان اما الواحد
المقدس الخارج عن عالم المحسوس الذي لا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا يعتريه تجدد وتغير
ولا يشار اليه بجهة من الجهات ولا يختلف حكمه في صفة من الصفات فكيف يعاينه الانسان
المشكل المجسم المحدد بحبسه المقيد المحصور بحسب قوله وفعله وشعوره وحسه وكيف يناجي في
هذا العالم المركب من لا يعرف حدود جهاته ولا يرى جناب صفاته فان الوجود المطلق عن عالم
المثل والمحسوسات بل المرتفع عن امكان الارواح العقليات غائب عن الحواس عن يشار اليه
بالاحساس ولا مدرك بالالتماس ومن عادة الجسم والجسماني ان لا يناجي ولا يجالس الا من يراه البصر
ويحس بالحس ويدركه باحدى الحس واذا لم ينظر اليه ولم يشاهده يعده غائبا ويكون بفقده
عن المشاعر خائبا فمن كان خارجا عن هذا الباب مقدسا عن طرق هذا النوع والاثبات جميعا
وعن المداخلة والمزايلة رفيعا فمناجاته باحدى الظواهر والالات امحل المحالات واخس الخرافات
الموهومات فاذن قوله المصلي مناج ربه محمول على ان النفوس العارفة العلامة المقدسة من
جهات الجسم والمكان وحوادث الحركة والزمان فهم يشاهدون الحق مشاهدة عقلية ويبصرون
الاله بصيرة نورية ويسمعون كلامه سماعا قلبيا روحانيا فعلى هذا ظهر ان الصلوة الحقيقية
هي التي يليق ان يمدح الله بها المؤمنين المتقين المهتدين بانوار معارف هذا القرآن وهي التي

تنهى

تنهى عن خبث القوة الشهوية ومنكر القوة الغضبية وبغي القوة الوهمية وتدفع افات هذه الثلث التي
هو اولها كالبهائم واوسطها كالسباع واخرها كالشياطين وذلك لانها كما علمت محل عقلية مع الله عند
مشاهدة قلبية وهي المتضرع بالنفس الناطقة نحو الاله الحق والموجود المطلق وحظها منزلة بين باسطه الى
تعالى ولاصحاب العلوم الظاهرة من هذه حظ ناقص وان رتقعوا من ترك الانعام قليلا وارتفعوا من
درجة العوام يسيرا وللمحققين منهم وافر ونصيب كامل من هذا البحر الزاخر ولهم قرة اعين في الصلوة
عن المناجين ومن كان حظه اكمل فثوابه اجزل فالعاقل الحكيم يتامل سلوك طريق العبد والمداومة على الصلوة
ويلتذ بمناجاة ربه لا يشخصه وينطقه لا بنطقه ويبصره لا ببصره ويحسه لا بحسه واما الجاهل اللئيم المغرور
المكور المشعوف بما عنده من القشور الطالب في مناجاته للذات عالم الزور المتوجه الى تحصيل المنزلة و
الجاه عند اصحاب القشور من اثر الهوى واتبع الشيطان وانحرف عن الحق والهدى وحرم الله عليه لذة مناجاة
كما ورد في اخبار داود عليه السلام يا داود ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان احرم عليه
لذيذ مناجاتي ومثل هذا الخبر ما ذكره مالك بن دينار من قوله قرات في بعض الكتب ان الله عز وجل
يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج مناجاتي من قلبه ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور **تنوير** عن الصادق عليه السلام قيل له بمشهد المنصور اخبرني عن الصلوة وحدودها
فقال للصلوة اربعة الاف حد لست تؤاخذ بها فقيل اخبرني بما لا يحل تركه ولا تتم الصلوة الا به
فقال عليه السلام لا تتم الصلوة الا لذي طهر سابغ وتمام بالغ غير نازغ ولا زائغ عرف فوقف واخبت فثبت
فهو واقف بين الياس والطمع والصبر والجزع كان الوعد له صنع والوعيد به وقع بذل عرضه وتمثل غرضه
وبذل في الله المهجة وتنكب اليه المحجة غير مرتغم بارتغام يقطع علائق الاهتمام بغير من له قصد واليه
وفد ومنه استرفد فاذا اتى بذلك كانت هي الصلوة التي بها امر وعنها اخبر وانها هي الصلوة التي
تنهى عن الفحشاء والمنكر فالتفت المنصور الى ابي عبد الله عليه السلام فقال له يا ابا عبد الله لا نزال من بحرك نغترف
واليك نزدلف تبصر من العمى وتجلو بنورك الطخياء فنحن نعوم في سبحات قدسك وطامي بحرك **اقول**
لذي طهر سابغ بان طهر جوارحه عن اقذار الاحداث وقلبه عن خبائث الاخلاق وتمام بالغ بان بلغ حد
التمييز وكمل في الانسانية غير نازغ اي يكون عاقلا لم يمسه جنون ووسوسة من الشيطان ولا زائغ
اي غير منحرف عن الدين القويم والصراط المستقيم عرف فوقف اي عرف ما يجب عليه معرفته من اصول الدين

اوليها

وقد وعد من وقف على معرفة تلك ولم تزل قدمه اخبت قنتا اي خشع لله واستسلم له في جميع اوامره ونواهيه
فثبت على الصراط المستقيم ولم يعدل الى طرفي الافراط والتفريط فهو واقفا اي يكون رجاؤه من الله بحيث
يرجو ان يكون مختصا به لا يشركه فيه غيره ويكون خوفه بحيث يخاف ان يكون جميع مواعيد الله يقع عليه لا يحيا
عنزل عينه بذل عرضه بكسر العين اي خرج من الكبر والانانية بلوازم الذلة والعبودية سبحانه وتعالى وغسل عرضه
بفتح العين اي يكون معروضه ومقصوده نصب عينيه لا يلتفت سره الى غيره من يحبه وبذل نفسه في الله المحبة
اي جاهد في الله نفسه وهواها وترك هوسها ومناها وتنكب عنه المحجة اي عدل الى الله واعرض عن كل
طريق يصده عن الوصول اليه غير متبرم بارتغام اي مستسلم لله راض بقضائه متجنب عن الكراهة والسخط
عما يرد عليه تقطع علائق الاهتمام اي قطع اسباب الاهتمام بغير الله واخلص وجهه لله بحيث لا يكون له
مقصد غير الله ولا حاجة الا الى الله ولا استعانة الا من الله والازدلاف القرب في الظلماء الليلة المظلمة و
العوم السباحة والطمي الامتلاء **وصل** اعلم ان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة تجمعها ست
جمل هي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فالاول حضور القلب ونعني به ان تفرغ القلب
عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في
غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه فقد
حصل حضور القلب ثم التفهم لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع
اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم و
هذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقران والتسبيحات وكم من معان
لطيفة يفهمها المصلي في اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة
ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء والمنكر لا محالة ثم التعظيم وهو
امر وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل ربما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون
معظما له ثم الهيبة وهي زائدة على التعظيم اذ هي عبارة عن خوف منشاؤه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا
ثم كل خوف لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف مصدره الاجلال ثم الرجاء فالعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب
الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله ثم الحياء ومستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ولنذكر اسباب هذه
المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهم فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر

حضر

الطبقة عشرية في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال رحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره وعلم من اين
وفي اين والى اين اقول في هذا الخبر حض شديد وحث اكيد على وجوب معرفة النفس واحوال المبدا
والمعاد وما بينهما وتذكرها واعمال الفكرة فيها وفيه من حيث المفهوم تهديد ووعيد على الغفلة والجهالة والكسالة
والبطالة وصرف العمر فيما لا ينبغي فان الله سبحانه ما خلق العباد الا للعبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون والمقصود من العبادة تحصيل المعرفة كما فسر في الحديث قوله ليعبدون اي ليعرفون ومن ان
اهم العبادات والطاعات الصلوة التي هي عماد الدين وركن الاسلام ومعراج المؤمنين فينبغي للعبد
فينبغي للعبد التفكر في وضعها والتدبر للسبب الداعي المقتضي لشرعها على هذه الهيئة والكيفية من الا
ذكار والنفل فلما يهتدي العقول الى الاسرار المودعة فيها ولقد الهمني الله تعالى في المشهد الغروي على مشرفه الف
الصلوات والتسليمات بعد مضي عشرين سنين من تاليف هذا الكتاب وجها لطيفا في ذلك ودونك فقل
فتحقق ان الله سبحانه خلق اول ما خلق نور محمد واهل بيته سلام الله عليهم ثم خلق من ذلك النور سائر المخلوقات
وكان كيفية سر ايجاد الانسان الذي هو غاية المخلوقات وغاية الموجودات ان الله سبحانه اخرج ادم وذريته من
مكمن العدم الى عرصة الوجود في عالم الذر من النور المحمدي على مثال الذر واوقفهم نفسه وعرفهم ذاته واخذ منهم
العهد والميثاق لنفسه بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالرسالة ولاهل بيت محمد عليهم السلام بالولاية فاقروا اجمعهم في
ذلك اليوم بذلك وقالوا بلى يا الهنا وربنا وسيدنا نشهد ان لا اله الا انت ونشهد ان محمدا عبدك ورسولك ونشهد
ان اوصياءه اولياؤك واصفياؤك ثم الهمهم التمجيد والتسبيح والتقديس وعرفهم مخرجهم ومدخلهم ومسكنهم فامرهم بطلب
الى الصراط المستقيم المخرج لهم من مهاوي الدركات والموصل لهم الى معالي الدرجات وحذرهم من الميل الى اليمين والشمال
الى سبل المضلين فاهتدوا الى ما امرهم به وما الهمهم سبحانه الهداية الى السبيل المقرب لهم اليه وهو سبيل الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والخواص في المنازل صافين خاشعين وخروا اول السجود في خلقهم
مراتبهم طالبين لما عنده من البركات والسعادات وقاموا ما شاء الله ولما راى سبحانه صدق نياتهم
فاعطاهم لاجابة مسئلتهم لما استعدوا له رحمهم واجاب دعوتهم فامرهم بالمسافرة من عنده والنزول الى عالم
الابتلاء والاشتغال بالتجارة النافعة لكي يرجعوا الى مقام ربهم ويفوزوا بمقصودهم ويرجعوا الى ديارهم بتجارة رابحة و
بينما متقطعة بجهد والسفر مستمدين من الله زادا يبلغهم من التوفيق ونزلوا مهابط من عالم القدس والجلال
منسلين متوجهين الى بلدة النفس ومنها الى منزل الصورة ومنها الى مهوى الهيولى ثم الى مستقر المركب منها

مصورا ومكثوا بعد ذلك في دورهم ما شاء الله محبوسين حاملين ثم رفعوا رؤوسهم الى ربهم وسالوا التوفيق للرجوع الى ربهم و العود الى موطنهم الاصلي ومقامهم الحقيقي فسمع الله نداءهم واجاب دعائهم فامرهم بوضع جباههم وخدودهم والزامهم على التراب مظهرين ذل العبودية والمسكنة مشغولين بتسبيح ربهم وتقديسه وتمجيده فلما علم الله منهم ذلك واسكنهم اسفل عالم النبات فرفعوا رؤوسهم ودخلوا عالم الحيوان ثم عالم الانسان واشتغلوا ايامًا معدودة في هذه النشاة الثانية بالتهيئ من طلب المعرفة وسلك المعبودية ومكثوا بعد ذلك ما شاء الله ثم سالوا الله المراجعة اليه فامرهم الله بوضع اليدين ومسح الوجه والجوارح مرة اخرى في تراب العبودية يزدادوا في التضرع والابتهال الى حضرة ذي الجلال والكمال فاتوا بذلك ثم رفعوا الى الارواح فلما راى الله سبحانه اقتداءهم وطاعتهم رحمهم واعانهم فامرهم برفع الراس من التراب والجلوس في مقاعدهم فاتوا عليه احسن الثناء وتشهدوا في عودهم بما شهدوا به في بدوهم من الشهادتين ثم صلوا على محمد واهل بيته صلوات الله عليهم فشفع لهم السادة الكرام وقبل ثناءهم واذن لهم في دخول دار السلام فانتهوا امنين فرحين مستبشرين متمتعين بمجالس اولئك المقربين ملتذين بما انعم عليهم في نعيم مقيم وعيش كريم او كما قال فتامل فيما ذكرنا من التطبيق افعال الصلوة من اولها من بدء التوجه الى القبلة والاذان الى اخرها متعلق بالتسليم والتعقيبات والمناجاة مع قاضي الحاجات بكيفية مبدء الايجاد الى نهاية المعاد ودرجتهم الى دار الكرامات فذلك ان في الطهارة من الاحداث والاخباث والتوجه الى بيت الله الحرام وتعظيم الاله الحق والمعبود المطلق والاتيان بالشهادتين والقيام بوظائف العبودية من الاثنية والادعية وسؤال الهداية الى الصراط المستقيم الى الراغب من القيام رمز الى تذكر عالم الذر وما وقع فيه وفي انحنائهم الى الركوع الى رفع الراس رمز الى تذكر ادبارهم وهبوطهم من العالم الاعلى الى العالم الادنى وفي قيامهم من الركوع رمز الى تذكر من اقامتهم في نشاة الاشباح وفي هويهم الى السجود الى رفع الراس منه رمز الى تذكر نوع اقامتهم في نشاة استقرارهم تحت الارض وترفعهم منها الى ان حصلوا في عالم النبات وفي رفع راسهم من السجود وجلوسهم بين السجدتين رمز الى تذكر كونهم الدنياوي ودخولهم في عالم الحيوانية والانسانية ثم الاولين المعاد وفي هويهم الثاني الى السجود الى رفع الراس منه رمز الى تذكر دخولهم المقابر ومكثهم في البرزخ الى يوم يبعثون وفي جلوسهم للتشهد واتيانهم بالاثنية الواصلة الى نبيهم وسلامهم الدائم ودخولهم في دار السلام واعين غائبين فرحين بما ينتقون من الله وتمام ما عند الله مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كاملا كما قال تعالى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فاذا اوردت هذا فنقص عليه ما نحن بصدده من مبادئ اذكار الصلوة وانظر الى الطباق ذلك على ما وقع في مبدء الايجاد الى المعاد

[illegible]

حضر القلب باوامره فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمه مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تجذب الخواطر اليها وما لم ينقطع تلك المواد لا ينصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى من احب غير الله لا يصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الامن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم يقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع وبالجملة كلما ازداد العلم بالله زادت الخشية والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وافاتها وقلة خلاصها وخبث دخلها وميلها الى الحظ العاجل في جميع احوالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء

وصل

اعلم ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه

الا الهم الواحد وان كانت قوتها لا تقهر بقوة تسكينه فلا يكاد عنها في الصلوة لاستيلائه الا تفرق الفكر
وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا اثر عن الصلوة الا للخواطر الردية الشاغلة
فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه وسبب توارد الخواطر اما
ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد
يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار
ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن
الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره ويحترز من الصلوة
على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم
سعته بقدر السجود ليكون اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون
موضع السجود كما ورد الامر به ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم واما الاسباب
الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا
يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا
طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقراه ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل
التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع
ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار
فان كان لا يسكن افكاره بهذا الدواء فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان
ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت
مهمة بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته
فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فليتخلص عنه باخراجه ولا ينفع غير
ذلك فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر انما ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم
التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها و
تجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو
له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره فتعود

العصافير

العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت
الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار
انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما
ذب اب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها
اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى
باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها ويستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة
المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان
كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد
القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته الطباع و
بقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون
انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عنها فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها
او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة
في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل لا محالة ولا
يجتمعان **وصل** اذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر
بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون
باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار
مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال
النبي صلى الله عليه واله وسلم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها و
اعتبر بفصول الاذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك ان الله جل جلاله هو
الاول والاخر والظاهر والباطن ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير واستحقر الدنيا و
ما فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل واحضر
النبي صلى الله عليه واله وسلم وتادب بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصل عليه وحرك
نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح وما هو خير الاعمال

وجدد عهدك بتكبير الله وتعظيمه واختم بذكره كما افتتحت به واجعل مبدأ امرك وعودك الى ربك
واعتمادك على حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي العيون عن الرضا عليه السلام انه
قال فان قال اخبرني عن الاذان لم امروا به قيل لعلل كثيرة منها ان يكون تذكيرا للناسي وتنبيها للغافل و
تعريفا لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلوة وليكون المؤذن بذلك داعيا الى عبادة الخالق ومرغبا
فيها مقرا له بالتوحيد مجاهرا بالايمان معلنا بالاسلام مؤذنا لمن ينساها وانما يقال له مؤذن لانه
يؤذن بالصلوة فان قال فلم بدء فيه بالتكبير قبل التهليل قيل لانه اراد ان يبدأ بذكره واسمه لان اسم
الله في التكبير في اول الحرف وفي التهليل اسم الله في اخر الحرف فبدأ بالحرف الذي اسم الله في اوله لا
في اخره فان قال فلم جعل مثنى مثنى قيل لان يكون مكررا في اذان المستمعين مؤكدا عليهم ان سها احد عن
الاول لم يسه عن الثاني ولان الصلوة ركعتان ركعتان فلذلك جعل الاذان مثنى مثنى فان قال فلم
جعل التكبير في اول الاذان اربعا قيل لان اول الاذان يبدأ غفلة وليس قبله كلام ينبه المستمع له فجعل
ذلك تنبيها للمستمعين لما بعده في الاذان فان قال فلم جعل بعد التكبير الشهادتين قيل لان اول الايمان
انما هو التوحيد والاقرار لله عز وجل بالوحدانية والثاني الاقرار للرسول بالرسالة وان طاعتهما ومعرفتهما
مقرونتان ولان اصل الايمان انما هو الشهادة فجعل شهادتين في الاذان كما جعل في سائر الحقوق
شهادتين فاذا اقر لله بالوحدانية واقر للرسول بالرسالة فقد اقر بجملة الايمان لان اصل الايمان انما هو الاقرار
بالله وبرسوله فان قال فلم جعل بعد الشهادتين الدعاء الى الصلوة قيل لان الاذان انما وضع لموضع
الصلوة وانما هو نداء الى الصلوة فجعل النداء الى الصلوة في وسط الاذان فقدم المؤذن قبلها
اربعا التكبيرتين والشهادتين واخر بعدها اربعا يدعو الى الفلاح حثا على البر والصلوة ثم دعا الى
خير العمل مرغبا فيها وفي عملها وفي ادائها ثم نادى بالتكبير والتهليل ليتم بعدها اربعا كما اتم قبلها
اربعا وليختم كلامه بذكر الله كما فتح بذكر الله فان قال فلم جعل اخرها التهليل ولم يجعل اخرها التكبير كما جعل في اولها التكبير
قيل لان التهليل اسم الله في اخره فاحب الله ان يختم الكلام باسمه كما فتحه باسمه فان قال فلم لم يجعل
بدل التهليل التسبيح او التحميد واسم الله في اخرهما قيل لان التهليل هو اقرار لله بالتوحيد وخلع
الانداد من دون الله وهو اول الايمان واعظم من التسبيح والتحميد وفي العلل عن الكاظم عليه السلام انه سئل
عن حي على خير العمل لم تركت من الاذان فقال تريد العلة الظاهرة او الباطنة قيل اريدهما جميعا فقال

للرسول

اما العلة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد اتكالا على الصلوة واما الباطنة فان حي على خير العمل الولاية
فاراد من امر بترك حي على خير العمل من الاذان ان لا يقع حث عليها او دعاء اليها **وصل** وفي مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام ازين اللباس للمؤمنين لباس التقوى وانعمه الايمان قال الله عز وجل و
لباس التقوى ذلك خير واما اللباس الظاهر فنعمة من الله تستر بها عورات بني ادم وهي كرامة اكرم الله
بها عباده ذرية ادم ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين آلة لاداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك
ما لا يشغلك عن الله بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك الى العجب والرياء والتزين و
المفاخرة والخيلاء فانها من افات الدين ومورثة القسوة في القلب فاذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله
عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما البست ظاهرك ثوبك وليكن باطنك في ستر
الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق اسباب اللباس لتستر العورات
الظاهرة وفتح ابواب التوبة والانابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب واخلاق السوء ولا تفضح
احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه واشتغل بعيب نفسك واصفح عما لا يعنيك حاله وامره واحذر
ان يفنى عمرك بعمل غيرك ويتجر براس مالك غيرك وتهلك نفسك فان نسيان الذنوب من اعظم
عقوبة الله تعالى في العاجل واوفر اسباب العقوبة في الاجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله
ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل عن الافات خائض في بحر رحمة الله يفوز
بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا لعيوبه راجعا الى حوله وقوته
لا يفلح اذا ابدا **وصل** وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا بلغت باب المسجد
فاعلم انك قصدت ملكا عظيما لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته الا الصديقون وهب
القدوم الى بساط خدمته هيبة الملك فانك على خطر عظيم ان غفلت واعلم انه قادر على ما يشاء
من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة واجزل
لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد طاعتك
وان كثرت وهو فعال لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة
له والمؤانسة به واعرض اسرارك عليه ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق اجمعين وعلانيتهم وكن
كافقر عباده بين يديه واخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والاخلص

فانظر من اي ديوان يخرج اسمك فان فزت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكاس رحمته
وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته وقد صلحت لخدمته فادخل فلك الاذن والامان والا فقف
وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الامل وقضي الاجل واذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء
اليه نظر اليك بعين الرافة والرحمة والعطف ووفقك لما يحبه ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده
المضطرين اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه وصل
واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب
من سائر الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر
تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب
فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن
وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا
ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سوى الله تعالى وقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا قام
العبد الى صلوته وكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه واله وسلم اما يخاف
الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وهذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته
في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان
كذلك فيوشك ان تدوم تلك الغفلة عليه فيحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقله للامور العلوية و
عدم خبرته للعلوم الطاهرة وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلم اذا استقبلت القبلة فانس من
الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرك
عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وقف
على قدم الخوف والرجاء وصل واما القيام فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن
راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا مطاطا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على
الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك هاهنا خطر المقام بين
يدي الله في هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك
فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام

قيامك

بالصلاح

قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب ان يعرفك
فانه يهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز
المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب
نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من اجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده

اجترائك

او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان يخشى ولذلك لما قيل للنبي صلى الله عليه واله وسلم كيف الحياء من الله فقال
تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من اهلك وصل اذا توجهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله و
صغر نفسك وحقر عبادتك في جنب عظمته وانحطاط حالك عن القيام بوظائف خدمته واستتمام
حقائق عبادته وتفكر عند قولك اللهم انت الملك الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه
على جميع العوالم ثم ارجع الى نفسك بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند
قولك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واحضر دعوته لك بالقيام
بهذه الخدمة ومثولك بين يديه وانه قريب منك يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ويسمع نداءه
وان بيده خير الدنيا والاخرة لا يدخر عنه عند قولك لبيك وسعديك والخير في يديك وتنزهه عن الظلم
والشر وابتلائه بها محض الهداية والارشاد عند قولك والشر ليس اليك والمهدي من هديت ثم اعترف
له بالعبودية وانه قوام وجودك ومبدؤه ومعاده منه بقولك عبدك وابن عبديك منك وبك و
لك واليك اي منك وجوده وبك قوامه ولك ملكه واليك معاده وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده
فاحضر في ذهنك هذه الحقائق وترق منها الى ما يفتح عليك من الاسرار والدقائق وتلق الفيض
من العالم الاعلى وفي العلل عن الرضا عليه السلم سئل لم يبدء في الاستفتاح والركوع والسجود والقيام
والقعود بالتكبير فقال للعلة التي ذكرناها في الاذان وقد مرت وفي الفقيه عنه عليه السلم انما صار
التكبيرات في اول الصلوة سبعا لان اصل الصلوة ركعتان واستفتاحهما بسبع تكبيرات تكبيرة
الافتتاح وتكبيرة الركوع وتكبيرتي السجدتين وتكبيرة الركوع في الثانية وتكبيرتي السجدتين فاذا
كبر الانسان في اول الصلوة سبع تكبيرات ثم نسي شيئا من تكبيرات الافتتاح من بعد او سها عنها لم يدخل
عليه نقص في صلوته ولعل المراد باستفتاح الركعتين بالسبع التكبيرات التي استفتح بها كل فصل ولهذا
لم يعد منها الاربع التي بعد الرفع في السجدات وصل واما النية فاعزم على اجابة الله تعالى في

امتثال امره بالصلوة واقامتها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاءً
لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقرب منه متقلداً للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك
وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق
جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فمعناه ان الله سبحانه اكبر
من كل شيء او اكبر من ان يوصف او ان يدرك بالحواس او يقاس بالناس فاذا نطق به لسانك فينبغي
ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقاً
كما شهد على المنافقين في قولهم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من
امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاماً باللسان
المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن
بكرم الله وعفوه وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل عن معنى رفع يديه في التكبير الاولى فقال عليه السلام
معناه الله اكبر الواحد الاحد الذي ليس كمثله شيء لا يلمس بالاخماس ولا يدرك بالحواس وفي العلل عن
الرضا عليه السلام انما ترفع اليدان بالتكبير لان رفع اليدين هو ضرب من الابتهال والتبتل
والتضرع فاحب الله عز وجل ان يكون العبد في وقت ذكره متبتلاً ولان في رفع اليدين احضار النية
واقبال القلب على ما قال وقصده وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا كبرت فاستصغر ما بين
السموات العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن
حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعني وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة
بمناجاتي انتهى ما في المصباح فاعتبر انت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها
وبهجتها وقلبك مسرور لمناجاته ملتذ بمخاطباته فاعلم انه قد صدقك في تكبيرك والا فقد عرفت من
سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطرده لك عن بابه وصل
واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً
وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه مقدس عن ان تحده الجهات
حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه
أمتوجه هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع الشهوات ام مقبل على فاطر السموات والارض و

اياك

اياك وان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما
سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً واذا قلت
حنيفاً مسلماً فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك
كنت كاذباً فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من
المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك
بعبادة ربه احداً نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن مستشعراً من هذا الشرك واستشعر
الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم
الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه
موجود لسيده وانه ان صدر من رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت
لامور الدنيا لم يكن ملائماً للحال وفي العلل عن الرضا عليه السلام سئل لم جعل الدعاء في الركعة الاولى
قبل القراءة ولم جعل في الركعة الثانية القنوت بعد القراءة فقال لانه احب ان يفتح قيامه لربه وعبادته
بالتحميد والتقديس والرغبة والرهبة ويختمه بمثل ذلك وليكون في القنوت بعض الطول فاحرى
ان يدرك المدرك الركوع فلا تفوته الركعة في الجماعة وصل واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسداً لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع
انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما
يحب الله لا بمجرد قولك فان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بهذا الحصن
الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا يغنيه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات
التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله
عز وجل من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال الله تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له
سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده ان
يشغلك في الصلوة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم ان كل ما يشغلك عن
معاني القرآن فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني واما القراءة فالناس
فيها ثلثة رجل يحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب

غافل ورجل يحرك لسانه وقلبه

اللسان

اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللفظ له فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان
ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون السنتهم ترجمان تتبع القلب وصل واذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء التلاوة لكلام الله فافهم ان معناه ان الامور
كلها بالله وان المراد بالاسم هاهنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان
الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكره لا من حيث انه مسخر من الله
ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله واذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه
لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين
اما العظمة فانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص
بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك اياك نستعين و
تحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته وخدمك لعبادته وجعلك
اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من
التعوذ بقولك بسم الله ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب
الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك و
زده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين انعم عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين
فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب
العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى آخره وكذلك
ينبغي ان تفهم ما تقراء من السورة كما ياتي في باب تلاوة القرآن وفي الفقيه عن الرضا عليه السلام انما
امر الناس بالقراءة في الصلوة لئلا يكون القرآن مهجورا مضيعا وليكون محفوظا مدروسا فلا
يضمحل ولا يجهل وانما بدأ بالحمد دون سائر السور لانه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه
من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد وذلك ان قوله عز وجل الحمد لله انما هو اداء لما اوجب الله
على خلقه من الشكر وشكر لما وفق عبده من الخير رب العالمين توحيد له وتحميد واقرار بانه هو الخالق

المالك

والبعث

المالك لا غيره الرحمن الرحيم استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه مالك يوم الدين اقرار له
بالبعث والحساب والمجازاة وايجاب ملك الآخرة له كايجاب ملك الدنيا اياك نعبد رغبة وتقرب الى الله تعالى
ذكره واخلاص له بالعمل دون غيره واياك نستعين استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما
انعم الله عليه ونصره اهدنا الصراط المستقيم استرشاد لدينه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة لربه
عز وجل ولعظمته وكبريائه صراط الذين انعمت عليهم توكيد في السؤال والرغبة وذكر لما قد تقدم من نعمه على
اوليائه ورغبة في مثل تلك النعم غير المغضوب عليهم استعاذة في ان يكون من المعاندين الكافرين المستخفين
به وبامره ونهيه ولا الضالين اعتصام من ان يكون من الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة من امر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الاشياء
قال عليه السلام والعلة التي من اجلها جعل الجهر في بعض الصلوات دون بعض ان الصلوات التي يجهر فيها
انما هي في اوقات مظلمة فوجب ان يجهر فيها ليعلم المار ان هناك جماعة فان اراد ان يصلي صلى لانه
ان لم ير جماعة علم ذلك من جهة السماع والصلاتان اللتان لا يجهر فيهما انما هما بالنهار في اوقات مضيئة
فهي من جهة الرؤية لا يحتاج فيها الى السماع وعن الصادق عليه السلام انه سئل لم صار التسبيح في الركعتين
الاخيرتين افضل من القراءة قال لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان في الاخيرتين ذكر ما راى من
عظمة الله عز وجل فدهش فقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فلذلك صار التسبيح افضل
من القراءة وعن الرضا عليه السلام انما جعل القراءة في الركعتين الاوليين والتسبيح في الاخيرتين للفرق
بين ما فرضه الله عز وجل من عنده وبين ما فرضه الله من عند رسوله وصل واما دوام القيام فهو تنبيه
على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله مقبل على المصلي ما
لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات
الى غير الصلوة فان التفت الى غيرها فذكره باطلاع الله عليك وبقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي
ليعود اليه والزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات ظاهرا وباطنا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن
خشع الظاهر وصل واما الركوع فينبغي ان تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفوه من
عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعه
وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك

فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتحرز ذلك على قلبك ثم توكده بالتكرار ثم ترفع عن
ركوعك راجيا انه يرحم ذلك وتوكد الرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن
شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول الحمد لله رب العالمين ثم تزيد في الخشوع والتذلل
فتقول اهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل عن معنى مد العنق في
الركوع فقال تاويله امنت بك ولو ضربت عنقي وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال لا يركع
عبد لله ركوعا على الحقيقة الا زينه الله بنور بهائه واظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة اصفيائه والركوع
اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الادب لا يصلح
للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزن
على ما يفوته من فائدة الراكعين واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك في القيام
بخدمته الا بعونه وفر بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكايده فان الله يرفع عباده بقدر
تواضعهم له ويهديهم الى اصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على اسرارهم وصل
ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو
التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حاجزا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادل على
الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك
من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار
فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار فان رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان
رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك ومستغفرا
من ذنوبك ثم اكد التواضع بالتكرار وعد الى السجود ثانيا كذلك وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل
ما معنى السجدة الاولى قال تاويلها اللهم انك منها خلقتنا يعني من الارض وتاويل رفع راسك ومنها
اخرجتنا والسجدة الثانية واليها تعيدنا ورفع راسك ومنها تخرجنا تارة اخرى وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة وما افلح من خلا
بربه في مثل ذلك الحال شبيها بالمخادع نفسه غافلا لاهيا عما اعد الله للساجدين من البشر العاجل وراحة
الاجل ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق

قلبه

قلبه بسواه في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب يطاه الخلق وانه ركب من
نطفة يستقذرها كل احد وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه
بعد من غيره الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري من جميع الاشياء والاحتجاب عن
كل ما تراه العيون كذلك امر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك
الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلاته قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال الله تعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي
ولوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين
بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين وفي العلل عن الرضا عليه السلام انه قال انما جعل التسبيح في
الركوع والسجود لعلل منها ان يكون العبد مع خضوعه وخشوعه وتعبده وتورعه واستكانته
وتذلله وتواضعه وتقربه الى ربه مقدسا له ممجدا مسبحا معظما شاكرا لخالقه ورازقه فلا يذهب به الفكر
والاماني الى غير الله فاما جعل الركعة واحدة والسجدتين اثنتين لان الركوع من فعل القيام والسجود من فعل القعود
وصلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فضوعف السجود ليستوي بالركوع فلا يكون بينهما تفاوت
لان الصلاة انما هي ركوع وسجود وعن الصادق عليه السلام لا يجوز السجود الا على الارض او ما انبتت الارض
الا ما اكل او لبس قال والعلة في ذلك ان السجود هو الخضوع لله عز وجل فلا ينبغي ان يكون على ما يوكل ويلبس
لان ابناء الدنيا عبيد ما ياكلون وما يلبسون والساجد في سجوده في عبادة الله فلا ينبغي ان يضع
جبهته في سجوده على معبود ابناء الدنيا الذين اغتروا بغرورها والسجود على الارض افضل لانه ابلغ في
التواضع والخضوع لله عز وجل وصل واذا اطلبت التشهد بعد هذه الافعال الدقيقة والاسرار
العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل ان يكون جميع
ما سلف منك غير واقع على وجهه فاحصل بين خيفة من فوات جميعها الا ان يتداركك الله برحمته ويقبل
عملك الناقص بفضله وارجع الى مبدأ الامر واصل الدين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله الذي
من دخله كان امنا ان لم يكن حصل في يدك شيء واشهد له بالوحدانية واحضر رسوله الكريم ونبيه
العظيم صلى الله عليه واله وسلم ببالك واشهد له بالعبودية والرسالة وصل عليه وعلى اله مجددا
عهد الله باعادة كلمتي الشهادة متعرضا بها للتاسيس لمراتب العبادة فانها اول الوسائل واساس الفواضل

مترقبا للاجابة صلى الله عليه وآله وسلم الك بصلوتك عشر من صلوة اذا قمت بحقيقة صلوتك عليه النبي و وصل
اليك منها واحدة افلحت ابدا وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل عن معنى رفع رجلك اليمنى وطرحك
اليسرى في التشهد فقال تاويله اللهم امت الباطل واقم الحق وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
التشهد ثناء على الله فكن عبدا له في السر خاضعا له في الفعل كما انك عبد له في القول والدعوى وصل
صدق لسانك بصفاء سر خالص فانه خلقك عبدا وامرك ان تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وان
تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم ان نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته و
مشيته وهم عاجزون عن اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه وارادته قال فاستعمل العبودية في الرضا
بحكمته وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلوة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله فاوصل صلوته
بصلوته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر الا تفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة
صلوته وفي العلل عن الرضا عليه السلام انه قيل لم جعل التشهد بعد الركعتين قيل لانه كما قدم قبل الركوع
والسجود الاذان والدعاء والقراءة فكذلك ايضا اخر بعدها التشهد والتحميد والدعاء وصل واذا
فرغت من التشهد فاحضر بفضلك بحضرة سيد المرسلين والملائكة المقربين وبقية انبياء الله والائمة
عليهم السلام والحفظة لك من الملائكة المحصين لاعمالك واحضرهم جميعا في بالك وقل السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين
واللاعبين وكيف تستمع الخطاب بل لا تقصدنه لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة ورافته الكاملة في
اختياره بنا النسخ عن اصل الواجب وان كان بعيدا عن درجات القبول انحطاطا عن اوج القرب والوصول
وان كنت اماما لقوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدم من المقصودين لو تقصد ولم الرد عليك ايضا
لم تقصد وما مقصد لسلام ثان فاذا اضلم ذلك فقد ادنيت وظيفة السلام واستحققت من الله مزيد
الاكرام وعن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل عن معنى قول الامام السلام عليكم فقال ان الامام يترجم عن
الله عز وجل ويقول في ترجمته لاهل الجماعة امان لكم من عذاب الله يوم القيامة وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام معنى السلام في دبر كل صلوة الامان اي من ادى امر الله وسنة نبيه خالصا لله خاشعا
قلبه فله الامان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الاخرة والسلام اسم من اسماء الله تعالى اودعه خلقه
ليستعملوا معناه في المعاملات والامانات والانصافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة

معاشرتهم

معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ان
لا تدنسها بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك
ثم عدوك فان من لم يسلم منه من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا سلام
ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وان افشاه في الخلق وفي العيون عن الرضا عليه السلام انه قيل لم جعل التسليم تحليل
الصلوة ولم يجعل بدله تكبيرا او تسبيحا او ضربا اخر قيل لانه لما كان في الدخول في الصلوة تحريم الكلام للمخلوقين
والتوجه الى الخالق كان تحليلها كلام المخلوقين والانتقال عنها وابتداء المخلوقين في الكلام انما هو التسليم وصل
اعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم
والحياء يحصل بحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين
في صلوتهم خاشعون ثم مدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة
فقال في اخرها والذين هم على صلواتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وقال النبي صلى الله عليه وآله
اذا قام العبد المؤمن في صلوته نظر الله اليه او قال اقبل الله عليه حتى ينصرف واظلته الرحمة من فوق راسه الى
افق السماء والملائكة تحفه من حوله الى افق السماء ووكل الله به ملكا قائما على راسه يقول ايها المصلي لو تعلم من
ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك ابدا وصل وتخص صلوة الجمعة باختصاص ان يومها يوم
عظيم وعيد شريف خصه الله بهذه الامة وجعله وقتا شريفا لعباده ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم من طرده
ناره ويحثهم فيه على الاقبال بصالح الاعمال وتلافي ما فرطوا فيه في بقية الاسبوع من الاعمال وصالح ما يقع فيه
من طاعته وما يوجب الزلفى لديه بصلوة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصها من بين سائر الصلوات
التي هي افضل القربات بالذكر فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله
وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفي هذه الاية الشريفة من التنبيهات والتاكيدات ما يتنبه له من له حظ
من المعاني ومن اهم رموزها التعبير عن الصلوة بذكر الله فانه يشعر بان الغرض الاقصى من الصلوة ذكر الله بالقلب
واحضار عظمته بالبال فان هذا واشباهه هو السر في كون الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر وهذه الغاية [illegible]
التام الى الله وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الاكبر والكثير على ما ورد في بعض التفاسير فضلا عن ان يكون ذكرا مطلقا
فلا جرم وجب الاهتمام بزيادة على غيرها من الصلوات بالتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه

المتوالية في حضوره والفوز بمخاطبته بعد الاتيان بمقدمات الصلوة من وظائف اليوم من التنظيف والتطيب
وحلق الرأس وقص الشارب والاظفار وغير ذلك من السنن بقلب مقبل صاف وعمل خالص ونية خالصة كما تعمل ذلك
في لقاء ملك الدنيا ولا تقصد بهذه الوظائف حظك من الزاهرة فيحبط سعيك ويظهر بعده الحسرات
وكلما امكنك تحصيل المطالب التي يترتب عليها الثواب بعمل فاقصدها ايضا فتضاعف ثواب عملك بتعدد مقاصدها
وفي العلل عن الرضا عليه السلام انه قال انما صارت صلوة الجمعة اذا كانت مع الامام ركعتين واذا كانت بغير امام
ركعتين وركعتين قيل لعلل شتى منها ان الناس يتخطون الى الجمعة من بعد فاحب الله عز وجل ان يخفف عنهم لموضع التعب الذي
صاروا اليه ومنها ان الامام يحبسهم للخطبة وهم منتظرون للصلوة ومن انتظر الصلوة فهو في الصلوة في حكم التمام
ومنها ان الصلوة مع الامام اتم واكمل لعلمه وفقهه وفضله وعدله ومنها ان الجمعة عيد وصلوة العيد ركعتان ولم تقصر
لمكان الخطبتين فان قال فلم جعلت الخطبة قيل لان الجمعة مشهد عام فاراد ان يكون للامير سبب الى موعظتهم وترغيبهم في الطاعة
وترهيبهم من المعصية وتوقيفهم على ما اراد من مصلحة دينهم ودنياهم ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق والاهوال التي لهم
فيها المضرة والمنفعة فان قال فلم جعلت خطبتين قيل لان يكون واحدة للثناء والتحميد والتقديس لله عز وجل والاخرى [التمجيد]
للحوائج والاعذار والانذار والدعاء وما يريد ان يعلمهم من امره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد فان قال فلم جعلت الخطبة
في يوم الجمعة في اول الصلوة وجعلت في العيدين بعد الصلوة قيل لان الجمعة امر دائم ويكون في الشهر والسنة كثيرا
فاذا كثر ذلك على الناس ملوا وتركوا ولم يقيموا عليه وتفرقوا عنه فجعلت قبل الصلوة ليحتبسوا على الصلوة ولا
يتفرقوا ولا يذهبوا واما العيدين فانما هما في السنة مرتين وهو اعظم من الجمعة والزحام فيه اكثر والناس فيه ارغب
فان تفرق بعض الناس بقي عامتهم وليس هو كثيرا فيملوا ويستخفوا به فان قال فلم وجبت الجمعة على من يكون على فرسخين
لا اكثر من ذلك قيل لان ما يقصر فيه الصلوة بريدان ذاهبا او بريد ذاهبا وجائيا والبريد اربعة فراسخ فوجبت الجمعة على من هو
على نصف البريد الذي يجب فيه التقصير وذلك انه يجيء فرسخين ويذهب فرسخين فذلك اربعة فراسخ وهو نصف طريق
المسافر فان قال فلم زيد في صلوة السنة يوم الجمعة اربع ركعات قيل تعظيما لذلك اليوم وتفرقة بينه وبين سائر الايام
وصل واما صلوة العيدين فاحضر في قلبك انهما في يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة وافاضة المواهب على من قبل
صومه وقضى ثابره وقام بوظائفهما فاكثر من الخشوع في صلوتك والابتهال الى الله تعالى فيهما وقبلهما وبعدهما في قبول
اعمالك والعفو عن تقصيرك واستشعر الحياء والخجلة من جبرة الرد وخذلان الطرد فليس ذلك اليوم بعيد لمن لبس
الجديد انما هو عيد لمن أمن الوعيد وسلم من المناقشة والتهديد واستحق بصالح اعماله المزيد فاستقبله باستقباله

يوم

يوم الجمعة من الوظائف واسباب التهيؤ للاقبال بالقلب على ربك والوقوف بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة
والخضوع لديه ولا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لاجله من متاع الدنيا بل بكثرة عوائد الله فيه على من عامله [illegible]
الاخرة وفي العلل عن الرضا عليه السلام انه قال انما جعل يوم الفطر العيد ليكون للمسلمين مجتمعا يجتمعون
فيه ويبرزون لله عز وجل فيمجدونه على ما من عليهم فيكون يوم عيد ويوم اجتماع ويوم فطر ويوم زكوة ويوم
رغبة ويوم تضرع ولانه اول يوم من السنة يحل فيه الاكل والشرب لان اول شهور السنة عند اهل الحق شهر
رمضان فاحب الله عز وجل ان يكون لهم في ذلك اليوم مجمع يحمدونه فيه ويقدسونه فان قال فلم جعل
التكبير فيها اكثر منه في غيرها من الصلوات قيل لان التكبير انما هو تعظيم لله وتمجيد على ما هدى وعافى
كما قال الله عز وجل ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون فان قال فلم جعل اثنتا عشرة تكبيرة قيل
لانه يكون في ركعتين اثنتا عشرة تكبيرة فلذلك جعل فيها اثنتا عشرة تكبيرة فان قيل فلم جعل في الاولى سبع و
خمس في الثانية ولم يسو بينهما قيل لان السنة في صلوة الفريضة ان تستفتح بسبع تكبيرات فلذلك
بدئ هاهنا بسبع تكبيرات وجعل في الثانية خمس تكبيرات لان التحريم من التكبير في اليوم والليلة خمس تكبيرات
وليكون التكبير في الركعتين جميعا وترا وترا اقول اشير باثني عشر تكبيرة في ركعتين الى تكبيرة الاحرام
وتكبيرة القنوت وتكبيرتي الركوع وعقيب السجود فانه لا تخلو صلوة من هذه التكبيرات واشير بالسبع في
اولى العيدين الى تكبيرة الاحرام وخمس للقنوت وواحدة للركوع وبالخمس في الثانية الى الاربع اللاتي للقنوت
وواحدة للركوع واذا عدت هذه التكبيرات مع الثمان اللاتي للسجود يصير التكبير في صلوة العيد اكثر منه في
غيرها وصل واما الآيات فاستحضر عندها اهوال الآخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيمة
ووجل الخلائق وخوفهم من الاخذ والنكال والعقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال بغاية الخضوع
والخشوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد وورود النور بعد الظلمة والمسامحة على الهفوة والزلة
وتب الى الله من ذنوبك واحسن التوبة عسى ان يتطول عليك وانت منكسر النفس مطرق الرأس مستحي من التقصير
فيقبل توبتك فيسامح هفواتك كما قال السجاد عليه السلام لا يفزع للآيتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا فاذا
كان ذلك منهما فافزعوا الى الله وراجعوه وفي العلل عن الرضا عليه السلام انه قال انما جعلت للكسوف صلوة
لانه من آيات الله لا يدرى الرحمة ظهرت ام لعذاب فاحب النبي صلى الله عليه وآله ان تفزع امته
الى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس عليه السلام حين تضرعوا

الى الله عز وجل فان قال فلم جعلت عشر ركعات قيل لان الصلوة التي نزل فرضها من السماء اولا في اليوم
والليلة فانما هي عشر ركعات فجمع تلك الركعات هاهنا وانما جعل فيها السجود لانه لا يكون صلوة فيها ركوع
الا وفيها سجود ولان يختموا صلوتهم ايضا بالسجود والخضوع والخشوع وانما جعلت اربع سجدات لان
كل صلوة نقص سجودها من اربع سجدات لا يكون صلوة لان اقل الفرض من السجود في الصلوة لا يكون
الا على اربع سجدات فان قال فلم لم يجعل بدل الركوع سجودا قيل لان الصلوة قائما افضل من الصلوة
قاعدا ولان القائم يرى الكسوف والانجلاء والساجد لا يرى فان قال فلم غيرت عن اصل الصلوة التي
قد افترضها الله عز وجل قيل لانه صلى لعلة تغير امر من الامور وهو الكسوف فلما تغيرت العلة تغير المعلول

وصل واما الجنازة فاحضر عند مشاهدتها ووضعها بين يديك ما قد خلفه من الاهل والاولاد وتركه
من الاموال وقت علمه انه قد صفر اليد من الجميع لم يصحبها الا الاعمال الصالحة وما اجترح من اعمال الاخرة
الرابحة وتامل بالجثة كيف ذهبت جلدته كيف تحولت وتغيرت بمجاورة التراب صورته وتزيل الارض بالجثة
وما قد حصل له من يتم اولاده وترمل نسائه وتضييع امواله وخلو مسجده ومجلسه وانقطاع اثاره بعد
طول امله وكثرة حيله والخداع بمواتاة الاسباب وغفلته عن الدخول في هذا التراب والقدوم على ما
عليه في الكتاب وركونه الى القوة والشباب واشتغاله عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع و
كيف كان يتردد ويشيع غيره من الاموات والان قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق
وقد فسد لسانه وكيف كان يضحك وقد تغيرت اسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى
عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر او اقل وهو غافل عما يراد به حتى جاء الموت
فجاة في وقت لم يحسبه فقرع سمعه نداء الجبار اما بالجنة او النار ولينظر في نفسه انه الان مثله
في غفلته وستكون عاقبته كعاقبته فلينهض حينئذ الى الاستعداد وليشتغل باكثار الزاد فان
المسافة بعيدة والعقبة كؤود والخطر شديد والندامة بعد الموت غير نافعة فبهذا التفكر وامثاله يحصل
قصر الامل والاستعداد لصالح العمل ومحله خارج الصلوة وفي العلل عن الرضا عليه السلام انه قال قائل
لم امروا بالصلوة على الميت قيل ليشفعوا له ويدعوا له بالمغفرة لانه لم يكن في وقت من الاوقات احوج
الى الشفاعة فيه والطلبة والدعاء والاستغفار من تلك الساعة فان قال فلم جعلت خمس تكبيرات
دون ان يصير اربعا او ستا قيل لان الخمس اخذت من الخمس الصلوات في اليوم والليلة وذلك انه ليس في

الصلوة

صلوة

الصلوة تكبيرة مفروضة الا تكبيرة الافتتاح فجمعت التكبيرات المفروضات في اليوم والليلة فجعلت
على الميت فان قال فلم لم يكن فيها ركوع ولا سجود وانما هي دعاء ومسألة قيل لانه لم يكن يريد بهذه
الصلوة التذلل والخضوع انما اريد بها الشفاعة لهذا العبد الذي قد تخلى مما خلفه واحتاج الى ما
قدم فان قال فلم جوزت الصلوة على الميت بغير وضوء قيل لانه ليس فيها ركوع ولا سجود وانما هي
دعاء ومسألة وقد يجوز ان تدعو الله عز وجل وتسأله على اي حال كنت وانما يجب الوضوء في
الصلوة التي فيها ركوع وسجود فان قال فلم جوزتم الصلوة عليه قبل المغرب وبعد الفجر قيل لان هذه
الصلوة انما تجب في وقت الحضور والعلة وليست هي موقتة كساير الصلوات وانما هي صلوة تجب في
وقت حدوث الحدث ليس للانسان فيه اختيار وانما هو حق يؤدى وجائز ان تؤدى الحقوق في اي
وقت كان اذا لم يكن الحق موقتا وعنه عليه السلام قال لرجل ما العلة في التكبير خمس مرات قال روي
انها قد اشتقت من خمس صلوات فقال عليه السلام فهذا ظاهر الحديث واما باطنه فان الله عز وجل
فرض على العباد خمس فرايض الصلوة والزكوة والصوم والحج والولاية فجعل للميت من كل فريضة تكبيرة
واحدة فمن قبل الولاية كبر خمسا ومن لم يقبل الولاية كبر اربعا فمن اجل ذلك تكبرون خمسا ومن خالفكم
يكبر اربعا تتمة مهمة في العلل عن الرضا عليه السلام انه قال قايل لم جعلت الصلوة ركعتين ركعتين
ولم يزد على بعضها ركعة وعلى بعضها ركعتين ولم يزد على بعضها شيء قيل لان اصل الصلوة انما هي ركعة
واحدة لان اصل العدد واحد فاذا نقصت من واحدة فليست هي صلوة فعلم الله عز وجل ان العباد
لا يؤدون تلك الركعة الواحدة التي لا صلوة اقل منها بكمالها وتمامها والاقبال عليها فقرن
اليها ركعة اخرى ليتم بالثانية ما نقص من الاولى ففرض الله اصل الصلوة ركعتين ثم علم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان العباد لا يؤدون هاتين الركعتين بتمام ما امروا به و
بكماله فضم الى الظهر والعصر والعشاء الاخرة ركعتين ركعتين ليكون فيها تمام الركعتين
الاوليين ثم علم ان صلوة المغرب يكون شغل الناس في وقتها اكثر للانصراف الى الاوطان و
الاكل والوضوء والتهيئة للمبيت فزاد فيها ركعة واحدة ليكون اخف عليهم ولتصير ركعات
الصلوة في اليوم والليلة فردا ثم ترك الغداة على حالها لان الاشتغال في وقتها اكثر و
المبادرة الى الحوائج فيها اعم لان القلوب فيها اخلى من الفكر لقلة معاملات الناس بالليل وقلة

الاخذ والاعطا فالانسان اقبل على صلوته منه في غيرها من الصلوات لان الفكرة اقل لعدم العمل
من الليل فان قال فلم جعلت الجماعة قيل لئلا يكون الاخلاص والتوحيد والاسلام والعبادة لله
الا ظاهرا مكشوفا مشهورا لان في اظهاره حجة على اهل الشرق والغرب لله عز وجل وليكون المنافق
المستخف مؤديا لما اقر به يظهر الاسلام والمراقبة ولان تكون شهادات الناس بالاسلام بعضهم لبعض
جايزة ممكنة مع ما فيه من المساعدة على البر والتقوى والزجر عن كثير من معاصي الله عز وجل
فان قال لم جعلت الصلوات في هذه الاوقات ولم تقدم ولم تؤخر قيل لان الاوقات المشهورة
المعلومة التي تعم اهل الارض فيعرفها الجاهل والعالم اربعة غروب الشمس مشهور معروف فوجب
عندها المغرب وسقوط الشفق مشهور فوجب عنده العشاء الاخرة وطلوع الفجر مشهور
فوجب عنده الغداة وزوال الشمس وايفاء الفيء مشهور معلوم فوجب عنده الظهر ولم يكن للعصر وقت
معلوم مشهور مثل هذه الاوقات الاربعة فجعل وقتها عند الفراغ من الصلوة التي قبلها وعلة
اخرى ان الله عز وجل احب ان يبدأ في كل عمل اولا بطاعته وعبادته فامرهم اول النهار ان يبدؤا
بعبادته ثم ينتشروا فيما احبوا من مرمة دنياهم فاوجب صلوة الفجر عليهم فاذا كان نصف
النهار وتركوا ما كانوا عليه من الشغل وهو وقت يضع الناس فيه ثيابهم ويستريحون
ويشتغلون بطعامهم وقيلولتهم فامرهم ان يبدؤا بذكره وعبادته فاوجب عليهم الظهر
ثم يتفرغوا لما احبوا من ذلك فاذا قضوا وطرهم وارادوا الانتشار في العمل اخر النهار بدؤا
ايضا بعبادته ثم صاروا الى ما احبوا من ذلك فاوجب عليهم العصر ثم ينتشرون فيما شاؤا من مرمة
دنياهم فاذا جاء الليل ووضعوا زينتهم وعادوا الى اوطانهم بدؤا اولا بعبادة ربهم ثم يتفرغون لما
احبوا من ذلك فاوجب عليهم المغرب فاذا جاء وقت النوم وفرغوا مما كانوا فيه مشتغلين احب ان
يبدؤا اولا بعبادته وطاعته ثم يصيرون الى ما شاؤا ان يصيروا اليه من ذلك فيكونوا قد بدؤا في كل
عمل بطاعته وعبادته فاوجب عليهم العتمة فاذا فعلوا ذلك لم ينسوه ولم يغفلوا عنه ولم تقس
قلوبهم ولم تقل رغبتهم فان قال فلم اذا لم يكن للعصر وقت مشهور مثل تلك الاوقات اوجبها بين الظهر
والمغرب ولم يوجبها بين المغرب والعشاء او بين الغداة والظهر قيل لانه ليس وقت على الناس اخف
ولا ايسر ولا احرى ان يعم فيه الضعيف والقوي بهذه الصلوة من هذا الوقت وذلك لان الناس

عامتهم يشتغلون في اول النهار بالتجارات والمعاملات والذهاب في الحوايج واقامة الاسواق
فاراد ان لا يشغلهم عن طلب معاشهم ومصلحة دنياهم وليس يقدر الخلق كلهم على قيام الليل ولا يشعرون
به ولا ينتبهون لوقته لو كان واجبا ولا يمكنهم ذلك فخفف الله عنهم ولم يجعلها في اشد الاوقات
عليهم ولكن جعلها في اخف الاوقات عليهم كما قال الله عز وجل يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
فان قال فلم جعل صلوة السنة اربعا وثلثين ركعة قيل لان الفريضة سبع عشرة ركعة فجعلت السنة
مثلي الفريضة كمالا للفريضة فان قال فلم جعل صلوة السنة في اوقات مختلفة ولم يجعل في وقت
واحد قيل لان افضل الاوقات ثلثة عند زوال الشمس وبعد الغروب وبالاسحار فاحب ان يصلى له
في هذه الاوقات الثلثة ولانه اذا فرقت السنة في اوقات شتى كان اداؤها ايسر واخف
من ان تجمع كلها في وقت واحد فان قال فلم قصرت الصلوة في السفر قيل لان الصلوة المفروضة
اولا انما هي عشر ركعات والسبع انما زيدت فيها بعد فخفف الله عز وجل تلك الزيادة لموضع سفره وتعبه
ونصبه واشتغاله بامر نفسه وظعنه واقامته لئلا يشتغل عما لا بد له من معيشته رحمة من الله
وتعطفا عليه الا صلوة المغرب فانها لم تقصر لانها صلوة مقصرة في الاصل فان قال فلم وجب
التقصير في ثمانية فراسخ لا اقل من ذلك ولا اكثر قيل لان ثمانية فراسخ مسيرة يوم للعامة والقوافل
والاثقال فوجب التقصير في مسيرة يوم فان قال فلم وجب التقصير في مسيرة يوم قيل لانه لو لم يجب في
مسيرة يوم لما وجب في مسيرة الف سنة وذلك لان كل يوم يكون بعد هذا اليوم فانما هو نظير هذا
اليوم فلو لم يجب في هذا اليوم لما وجب في نظيره اذ كان نظيره مثله لا فرق بينهما فان قال فلم ترك في السفر تطوع النهار و
لم يترك تطوع الليل قيل كل صلوة لا تقصير فيها فلا تقصير في تطوعها وذلك ان المغرب لا تقصير فيها
فلا تقصير فيما بعدها من التطوع وكذا الغداة لا تقصير فيها فلا تقصير فيما قبلها من التطوع فان قال فما بال العتمة
مقصورة وليس تترك ركعتاها قيل ان تلك الركعتين ليستا من الخمسين وانما هي زيادة في الخمسين
تطوعا ليتم بها بدل كل ركعة من الفريضة ركعتين من التطوع فان قال فلم جاز للمسافر والمريض
ان يصليا صلوة الليل لاجل اشتغاله وضعفه ليحرز صلوته فيستريح المريض في وقت راحته ويشتغل
المسافر باشتغاله وارتحاله وسفره

في اليوم الذي يجب

في اول الليل م

الباب الخامس في الدعاء والذكر

ينبغي للمصلي ان يتفكر فيما اورد في تعقيب فرايضه من الدعاء والذكر انما الدعاء مخ العبادة كما ورد

في الخبر النبوي وعن الباقر عليه السلام انه سئل اي العبادة افضل فقال ما من شيء افضل عند الله من ان يسأل ويطلب
ما عنده وما من احد ابغض الى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده وقال امير المؤمنين عليه السلام الدعاء
مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي وفي المناجاة سبب
النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع وفي مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام احفظ ادب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله وكبرياءه وعاين
بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما يكون فيه من الحق والباطل واعرف طريق نجاتك وهلاكك
كيلا تدعو الله بشيء فيه هلاكك وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى ويدعو الانسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل والدعاء استجابة
الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها
ظاهرها وباطنها الى الله فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السر واخفى فلعلك تدعوه
بشيء قد علم من نيتك خلاف ذلك واعلم انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنا اذا اخلصنا الدعاء
تفضل علينا بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرائط الدعاء وقال فاذا اتيت بما ذكرت
لك من شرائط الدعاء واخلصت سرك لوجهه فابشر باحدى ثلاث اما ان يعجل لك ما سألت واما ان يدخر
لك ما هو اعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء ما لو ارسله عليك لهلكت وروي عن الصادق
عليه السلام انه قرأ امن يجيب المضطر اذا دعاه فسئل ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا فقال لانكم
تدعون من لا تعرفون وتسألون ما لا تفهمونه فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله
من علامة الخذلان فمن لم يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال و
ظن ان سؤاله دعاء والحكم على الله من الجرأة على الله وفيما اوحى الله الى موسى يا موسى كن
اذا دعوتني خائفا مشفقا وجلا وعفر وجهك في التراب واسجد لي بمكارم بدنك واقنت
بين يدي في القيام وناجني حيث تناجيني من قلب وجل والى عيسى عليه السلام يا عيسى ادعني دعاء
الغريق الحزين الذي ليس له مغيث يا عيسى اذل لي قلبك واكثر ذكري في الخلوات واعلم
ان سروري ان تبصبص الي وكن في ذلك حيا ولا تكن ميتا واسمعني منك صوتا حزينا
واعلم ان للدعاء اركانا واسبابا واوقاتا واجنحة فاركانه ستة حضور

القلب

القلب والرقة والاستكانة والخضوع وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه عن الاسباب واسبابه الصلوة على
محمد وآله واوقاته الاسحار واجنحته الصدق فاذا وافق اركانه قوي وان وافق اوقاته فاز وان وافق
اجنحته طار وسياتي في المحاسبة ما ينفعك في هذا المقام ان شاء الله فتذكره **وصل** واما
الذكر فهو غاية ثمرة العبادات ينبغي للعبد ان لا يغفل عن ذكر الله في شيء من الاحوال والساعات
بل يكون متذكرا لله على الدوام او في اكثر الاوقات يذكره في قيامه وقعوده وعلى جنبه في ملائه و
خلاه وفي اكله وشربه وحركته وسكناه كالعاشق المستهتر المقصود الهائم فيمن يهواه فقد ورد
اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون قال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا و
سبحوه بكرة واصيلا وقال فاذكروني اذكركم وقال فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم وقال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال ان في ذلك لآيات
لكل عبد منيب والانابة هي الرجوع الى الله بكل القلب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اكثر ذكر
الله احبه الله وقال من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقال سبق المفردون
قيل من هم قال المستهترون بذكر الله الذين وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا وقال
الباقر عليه السلام ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها
واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن الصادق عليه السلام ما من شيء الا وله حد ينتهي اليه الا
الذكر فليس له حد ينتهي اليه قال وكان ابي كثير الذكر لقد كنت امشي معه وانه ليذكر الله واكل معه
الطعام وانه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله وكنت ارى لسانه
لازقا بحنكه يقول لا اله الا الله **وصل** في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام من
كان ذاكرا لله على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلا عنه فهو عاص والطاعة علامة الهداية والمعصية
علامة الضلالة واصلهما من الذكر والغفلة فاجعل قلبك قبلة للسانك لا تحركه الا باشارة
القلب وموافقة العقل ورضاء الايمان فان الله عالم بسرك وجهرك وكن كالنازع روحه
او كالواقف في العرض الاكبر غير شاغل نفسك عما عناك مما كلفك به ربك في امره ونهيه
ووعده ووعيده ولا تشغلها بدون ما كلفك واغسل قلبك بماء الحزن واجعل ذكر الله من اجل
ذكره اياك فانه ذكرك وهو غني عنك فذكره لك اجل واشهى واتم من ذكرك له واسبق و

وان وافق اسبابه انجح

باب

مع قلت بذكرك لله تورثك الخشوع والاستحياء والانكسار ويتولد منه الندامة لكرمه وفضله النعم
ويضعف عنده تلك الطاعة وان كثرت في جنب تلك وتخلص لوجهه ويزيله ذكرك اياه رذائل الريا
والعجب والسمعة والعظمة في خلقه واستكثار الطاعة ونسيان فضله وكرمه ولا تزداد بذلك من الله الا
بعدا ولا تستجلب به ما مضى من الاثام الا وحشة والذكر ذكران ذكر خالص بموافقة القلب وذكر صارف
ينفي ذكر غيره كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يجعل لذكره لله مقدارا عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله له من قبل
ذكره له فمن دونه اولى فمن اراد ان يذكر الله تعالى فليعلم انه ما لم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره
~~فمقدارا عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله له من قبل ذكره له فمن دونه اولى فمن اراد ان يذكر الله تعالى~~
لا يقدر العبد على ذكره **وصل** الذكر اما باللسان وحده او بالقلب وحده او بكليهما والاول
قليل الجدوى جدا وانما الذكر النافع الاخيران وهما اللذان قصدنا بيانهما وهما على انواع شتى
الاول ان يسبح الله ويحمده ويهلله ويكبره ويمجده ويدعوه ويناجيه ويتلو كتابه كما نزل [illegible]
مع احضار القلب لمعانيها والتدبر لحقائقها والتنبيه لما اودع فيها بحيث يظهر اثارها على الاعضاء
كانه قد اشرف على اللقاء فقد ورد الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **الثاني**
ان يحضر قلبه ما انعم الله به من النعم الدنيوية والاخروية فيشكر الله عليه بقلبه بان يعلم ان تلك النعمة
من الله وحده لا من غيره وانه سبحانه انما انعم بها عليه ليصرفها فيما خلقت له فيسعى بتمام جهده ان
لا يصرفها في غير مرضيه ويفرح بها بجنانه ويحمد الله بلسانه فان الحمد باللسان تمام الشكر بالقلب
وكذلك يفعل عند تجدد كل نعمة او تذكرها ويسجد سجدة الشكر وان كان قد قصر في نعمة من نعم الله
في غير مصرفها استغفر الله وتاب وتندم عليه واناب وتداركه بقدر الوسع والامكان في كل باب
الثالث ان يحضر في قلبه كل طاعة امره الله تعالى بالاتيان بها لم يستطع فان كان قد امتثل الامر
على وجهه شكر الله تعالى بقلبه ولسانه وعد التوفيق للامتثال من النعم بان يعلم انه لولا فضل
الله عليه ورحمته بالتوفيق بالاتيان بها بتيسير اسبابها له لما امكنه ان يمتثل وان كان قد قصر
في الاتيان بالطاعة من اصلها او لم يات بها على وجهها تدارك تقصيره بتمام جهده وتاب ورجع و
اناب **الرابع** ان يحضر في قلبه كل معصية نهاه الله عنها ولم يمتثل نهي الله بل ارتكب المعصية عمدا

او خطا

او خطا فاستغفر الله منها وتاب اليه توبة نصوحا فقد ورد اتبع السيئة الحسنة تمحها وان
كانت المعصية تفويت حق من حقوق الناس تداركه بارضاء صاحبه كيف تيسر وسعى سعيا
بليغا في ذلك وان خطر بباله معصية لم يأت بها شكر الله تعالى على توفيقه على تركها وعصمته
اياه عنها **الخامس** ان يذكر الله تعالى في نفسه اذا عرض له امر من الامور فان كان طاعة
لله اتى بها وان كان معصية تركها وهذا من اشد ما فرض الله من الذكر قال الصادق
عليه السلام من اشد ما فرض الله تعالى على خلقه ذكر الله كثيرا ثم قال لا اعني سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر وان كان منه ولكن ذكر الله عند ما احل وحرم فان كان طاعة عمل بها
وان كان معصية تركها وسئل عليه السلام عن قول الله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا قال اما والله ان كانت اعمالهم اشد بياضا من القباطي ولكن اذا عرض لهم الحرام
لم يدعوه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ترك معصية لله مخافة الله ارضاه الله يوم القيمة
السادس ان يذكر الله بالتفكر في صنائعه والائه قال امير المؤمنين عليه السلام نبه بالتفكر قلبك
وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك وهذا التفكر انما يكون لكل احد بحسب عقله وفهمه ورتبته
كما بيناه في صدر الكتاب **السابع** ان يذكر الله تعالى بالتامل في العلوم الالهية والمعارف
اليقينية بمطالعة الكتب المصنفة فيها او بمذاكرتها مع اهليها او بالافادة والاستفادة والارشاد
والاسترشاد فان هذا النوع من انواع الاذكار وهذه الانواع اذا اجتمع كلها او جلها او انضم بعضها
الى بعض تؤثر في تنوير القلب وصفائه تاثيرا بليغا والذكر القلبي اذا صار خلقا وديدنا سرى الى
الاركان باستيلاء الخشوع عليها كانه بين يدي ملك عظيم بحيث يكون كل من نظر اليه يذكر الله
باثار خضوعه وخشيته كما اشار اليه عيسى عليه السلام حين سئل من نجالس قال جالسوا من
يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم كلامه **وصل** اعلم انه قد انكشف لارباب البصائر
المستنيرة بنور المعرفة ان ذكر الله افضل الاعمال الروحية والقلبية والنفسية والبدنية ولكن
له مراتب بعضها قشور وبعضها اللبوب وللذاكر ايضا مراتب بحسبه ولكل ذكر نتيجة اضافات
نتيجة ذكر العبد ذكر الله له كما قال تعالى فاذكروني اذكركم اما مراتب الذكر والذاكر فذكر
اللسان وذكر الجوارح والاركان وذكر النفس وذكر القلب وذكر الروح وذكر السر واما تعيينها

وتعيين مراتبها فذكر اللسان بالاقرار ونتيجته احقان الدماء والاموال والايمان فاذكروني بالاقرار اذكركم بالايمان
وذكر الاركان باستعمال الطاعات والعبادات للوصول الى المثوبات فاذكروني بالطاعات اذكركم بالمثوبات و
ذكر النفس بالاستسلام للاوامر والنواهي للفوز بنور الاسلام فاذكروني بالاستسلام اذكركم بنور الاسلام
وذكر القلب بتبديل الاخلاق الذميمة وتحصيل الاخلاق الكريمة للتنعم بالحق والانخراط في سلك احبائه والاختصاص
بجنابه فاذكروني بالاخلاق اذكركم بالاستغراق وذكر الروح بالتفريد والتجريد لحصول المعرفة والحكمة فاذكروني
بالتفريد والتجريد اذكركم بالتوحيد والقربة وذكر السر بفنا الوجود لوجدان المعبود فاذكروني ببذل
الوجود والفناء اذكركم بنيل الشهود والبقاء وهذا حقيقة قوله في الحديث القدسي وان ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وهذا هو لب الالباب وهو الذكر الحقيقي والغاية الاخيرة لما في الخطاب وهو محل الذاكر مذكورا
والمذكور ذاكرا بل الذكر والذاكر والمذكور واحدا كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
واعلم ان مراتب الذكر كلها انما تتعلق بذات الله او صفاته او افعاله فنقول ذكر الذات من بين
الاذكار فضيلة مختصة بفضلاء هذه الامة دون غيرهم وكما جاء الذكر بالذكر المستفاد من قوله تعالى
فاذكروني اذكركم فضيلة مختصة بهم دون سائر الامم والدليل عليه قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم فقد امر هذه الامة بذكر الذات كما امر موسى عليه السلام بذكر النعماء وذلك لان معارج الفكر
والذكر والشهود لم يتجاوز في الامم السابقة من طبقات الافلاك وما فيها ومثوباتهم اقتصرت على نيل درجات
الجنان واما فضلاء هذه الامة فلهم ان يتخذوا مع الرسول سبيلا فيتجاوزوا في متابعته عن عالم الخلق الى الامر اذ
كان لهم هاديا ودليلا بهم الى جوار [illegible] ثم ترقى بهم الى اقصى الجنات **وصل** لما تقرر جعل
مراتب الذكر ودرجات الذاكر ونتيجة كل مرتبة وان بعضها فوق بعض في مرتبة الشرف والذات لا حيث يصير
الذكر والذاكر والمذكور شيئا واحدا فاعلم ان ذلك انما يتصور بان يتمكن المذكور في القلب تمكنا شديدا
وحصولا متضحا نورانيا بحيث يمحي الذكر ويختفي فلا يلتفت القلب الى الذكر اصلا ولا الى الذاكر اي القلب بل
يستغرق بجملته في المذكور وعندما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر يكون ذلك حجابا عن المقصود
وهو ثنية بالنسبة الى الغاية الاصلية وذلك بان يغيب عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه
ولا من الاشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغفل عن جميع ذلك ويغيب عن جميع ذلك ذاهبا
الى ربه اولا كما قال الخليل على نبينا وعليه السلام فيما حكى الله عنه اني ذاهب الى ربي ثم ذاهبا فيه اخرا كما يوحي اليه

رضوان الله عليهم

قوله

قوله سيهدين فان خطر له في اثنا ذلك انه ذهب الى ربه وفني عن ذاته فذلك سكوت عن الذهاب في الجملة و
وقوف مع النفس فهو شوب وكدورة بل الكمال في ان يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء ايضا فالفناء عن الفناء
غاية الفناء ونتيجة البقاء والغيبة عن الغيبة كمال الغيبة وفائدة الحضور وهذا ربما يظنه الفقير الرسمي انه
مجرد الفاظ بلا طائل او طامات غير معقولة وليس كذلك بل هذه الحالة للعرفاء الكاملين بالاضافة الى
مقصودهم كحالة من بالقياس الى اكثر مطالبه مما يحبه كثيرا من جاه او مال او تقرب الى سلطان او تفوق في
البحث على شارك او غير ذلك فانه قد يصير مصروف الهم مستغرقا لشدة الغضب بالفكر في عدو او منازع
له في علم او جاه عند الناس او مستغرقا لشدة الشهوة بالفكر فيما هو معشوقه حتى لا يكون فيه متسع لادراك
اخر اصلا فمنه في ذلك الحال ربما يخاطبه ولا يفهم ويجتاز من بين يديه غيره فلا يراه وعيناه مفتوحتان
ويتكلم عنده ولا يسمع وما باذنه صمم وهو في هذا الاستغراق غافل عن كل شيء وعن الاستغراق ايضا
فان الملتفت الى الاستغراق غافل عن المستغرق فيه وانما سموا هذه الحالة فناء وان كان الشخص في
الظل باقيا لان الاشخاص والاظلال بل سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود بل وجودها كالحكايات
للمرائي والظلال وانما الوجود الحقيقي لعالم الامر والملكوت والقلب من عالم الامر قال الله تعالى قل
الروح من امر ربي والقوالب من عالم الخلق واعني بالقلب اللطيفة الذاكرة العارفة التي هي مهبط
الانوار الالهية دون القلب الظاهر فان ذلك من عالم الخلق والعالم الجسماني ليس وجوده من العالم
العقلي الا كوجود الظل من الشخص فكما ليس لظل الشخص حقيقة الشخص فليس للشخص اي الجسم حقيقة الوجود
والكل من صنع الله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال فسجود
عالم الامر فيه طوع وسجود الظلال كره **وصل** اذا تمهدت معرفة مراتب الذكر والذاكر وفنا الذاكر بحسب المرتبة
الاخيرة في المذكور فاياك والاستنكار والتكذيب بما لم يحط به علمك ولم تحط بعلمه كما قال سبحانه بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال ايضا واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم واعلم ان اول الامر هو الذهاب
الى الله وانما الهدى بعده كما مر ذكره في قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين
فاول الامر ذهاب العبد الى ربه ثم ذهابه في الله وذلك هو الفنا والاستغراق به وهذا اولا يكون لكن ثم
كالبرق الخاطف قلما يثبت ويدوم فان دام ذلك وصارت ملكة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم
الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاعلى وانطبع فيه نقش الملكوت وتجلى له السر القدسي اللاهوتي واول ما

عالم صح

الاستغراق صح

يتمثل لهم من ذلك العالم جواهر الملئكة وارواح الانبياء والاولياء عليهم السلام في صور جميلة يفيض بواسطتها
عليهم بعض الحقايق وذلك نتيجة البعد عن الدنيا والتجرد عن المثال فكانه يصير عن الحق في كل شئ فاذا ورد الى
هذا العالم المجازي وجواهر الحسي كالقلال لنظر الى الخلق نظر مترحم عليهم متحيرا لهم عن حظ القرب الى حضرة
القدس ومتعجبين من اصحاب العلوم الفكرية وارباب المذاهب والعقايد الجزئية وقناعتهم بالظلال والخداعهم
بعالم الغرور والخيال مع ما كان لهم او لا من الاستعداد لطلب الكمال والارتقاء الى العالم الحق لجمال
فاسدوه باكبابهم الى اعراض هذه الادنة واعراضهم عن الطريق الحق وانحرافهم عن حظ القربات الى العالم
الكبري ومع ذلك فعيا شرهم وتخالطهم بالظاهر ويكون البعد بينه وبينهم بحسب الباطن كما بين المشرق
والمغرب فيكون معهم حاضر الشخص غائبا بقلبه متحيرا من حضورهم ويتعجبون من غيبته ثم تفطنوا
فهذه ثمرة لباب الذكر واعاصيها وها ذكر اللسان ثم ذكر النفس تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء
المذكور على الروح ثم اتحاد الذكر عن السر حقيقة وهذا سر قوله تعالى اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وسر
قوله عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله بل سر قوله عليه السلام يفضل الذكر الخفي على الذكر
الذي يسمعه الحفظة سبعين ضعفا فهذه امور نبهت عليها لتكون بالفكر فيها مشتوقا الى ان تصير من
اهل الذوق والخبرة بها فانه ان لم تكن من اهل العلم بها فان لم تكن من اهل الايمان بها ايمانا بالغيب في
المال وان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند ملاقاة سكرات الموت
الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

الباب السادس في تلاوة القران

قال امير المؤمنين عليه السلام في وصاياه
لابنه محمد بن الحنفية وعليك بتلاوة القران والعمل به ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وامره و
نهيه والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك فانه عهد من الله تبارك وتعالى الى خلقه فهو واجب على كل
مسلم ان ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين اية واعلم ان درجات الجنة على قدر ايات القران فاذا كان
يوم القيمة يقال لقارئ القران اقرأ وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين ارفع درجة منه
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام من قرأ القران ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزنا
ووجلا في سره فقد استهان بعظم شان الله وخسر خسرانا مبينا فقارئ القران يحتاج الى ثلثة اشياء
قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى فاذا قرأت

القران

القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تفرغ نفسه من الاسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه
نور القران وفوائده واذا اتخذ مجلسا خاليا واعتزل في الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاوليين استانس روحه
وسره بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون
كراماته وبدائع اشاراته واذا شرب كاسا من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك
الوقت وقتا بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربك
ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده فانه كتاب عزيز لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا وقف عند وعده ووعيده وتفكر في
امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من اقامتك حروفه في اضاعة حدوده **وصل** ينبغي لتالي القران من امور
باطنية وهي عشرة **الاول** استشعار عظمة الكلام وعلوه وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش
جلاله الى درجة افهام خلقه وهذا كما ان الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من
تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار
عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم
باصوات يضعونها لائقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي تطيق حملها وكذا
ان احياء البشر كرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف لمكان الحكمة التي فيها والكلام عالي
المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى
يامر وينهي ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام الحكمة كما لا يستطيع الظلال ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة
للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين
الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم **الثاني** التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة
القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم فيحضر في قلبه العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجن
والانس والحيوان والنبات ويتذكر ان الخالق لجميعها واحد وان الكل في قبضة قدرته مردود
بين فضله ورحمته وانه يريد ان يقرأ كلامه ويتطرق الى صفة ذاته ويطالع كمال علمه وحكمته ويعلم ان
ما يقرؤه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلامه غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان
ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا محجوب عن

وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان منقطعا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف
كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس
وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس
به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج
في المتنزهات لا يتفكر في غيرها **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن و
لكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر قال الله تعالى افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر في الباطن
قال امير المؤمنين عليه السلام لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها فاذا لم يتمكن من التدبر الا
بالترديد فليردد وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقام ليلة بآية يرددها
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح من كل آية
ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى فليتفهم منها المعاني المدفونة تحتها وذكر
افعاله من خلق السموات والارض وغيرها فليفهم عظمة الله وجلاله وذكر احوال الانبياء فليفهم من
تكذيبهم وضربهم وقتلهم صفة الاستغناء لله ومن نصرة الله اياهم في آخر الامر قدرته وارادته لنصرة الحق
ومن ارشادهم للامة رحمة الله وعطفه وذكر احوال المكذبين وما جرى عليهم فليكن فهمه استشعار الخوف
من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وكذلك اذا سمع اوامره ونواهيه ووصف الجنة
والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد بقدر
رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين **السادس** التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن
فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني
القرآن من جملة الملكوت لانها انما تدرك بنور البصيرة دون الحواس وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون
الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرف الناس
عن فهم معاني كلام الله فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني وثانيها
ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه فلا يمكن ان يخطر باله غير معتقده وثالثها ان يكون

مصرا

مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو
كالخبث على المرآة وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ورابعها
ان يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل وان ما وراء ذلك
تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يدري ما معنى التفسير بالرأي و
لا يفهم معنى قول امير المؤمنين عليه السلام الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وانه لو كان هو الظاهر
المنقول لما اختلف الناس فيه **السابع** التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن
فان سمع امرا او نهيا قدر انه هو المأمور والمنهي وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص
الاولين علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار واخذ ما يحتاج اليه وكيف لا يقدر هذا والقرآن
ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين قال
بعض الحكماء هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهود نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات
وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات **الثامن** التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف
الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد وجل يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها
فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة
يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا
لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر باطنه
حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه
وتقبض عنه خوفا منها فالقرآن انما يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤنة في
تحريك اللسان بحروفه خفيفة بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن
اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك
فيها اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ
القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ **التاسع** الترقي
واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث ادناها ان يقدر
العبد كانه يقرأه على الله واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير

السؤال والتملق والتضرع والابتهال فالقران يشهد بقلبه كانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه
فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم ثم ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر
الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف
الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله من درجات
اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو من درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر الصادق
عليه السلم فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة
لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية
على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة
ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه
من رسول الله يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبرئيل يلقيه
على رسول الله ثم جاء الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة و
نعيما لا اصبر عنه العاشر التبري واعني به ان يتبرى عن حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين
الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد
الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم العصاة والمقصرين
شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا والى هذا اشار امير المؤمنين عليه السلام في
الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم
وظنوا ان زفير جهنم في اذانهم واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف
له الملكوت بحسب احواله فحيث يتلو ايات الرحمة ويغلب على حاله الاستبشار يتكشف له صورة
الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها و
ذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب
اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب
القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة و
يقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان

وكلام

وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل تمثيل اعلم ان القران
كالشمس وفيضان اسرار المعرفة منه على القلب كفيضان انوار الشمس على الارض وسريان اثار الخشية
والخوف والهيبة وسائر الاحوال منه على الصدر كسريان حرارة الشمس في باطن الارض تبعا لاشراق
الانوار فان الخشية اثر نور المعرفة وانما يخشى الله من عباده العلماء وانتشار الحركات والتغيرات
الى الجوارح من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد من اثار الخشية وسائر الاحوال كحركة اجزاء
الارض بتصاعد الابخرة والادخنة منها بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تتبع الحرارة والحرارة تتبع النور
والنور يتبع وقوع المحاذاة بين الارض والشمس فاجتهد ان تحاذي بوجه قلبك شطر شمس القران
وتستضيء بانواره كذلك فان لم تطق ذلك فاصغ الى النداء الوارد من الطور الايمن فان استبنت في
جوانبه نارا فخذ منه قبسا واشتعل منه نارا او سراجا فان كان زيتك يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار
فاذا مسته النار انبعث منه الضياء ووجدت على النار هدى وقام بك في حقك مقام الشمس المشرقة في
الاشراق والضياء

الباب السابع في الزكوة والمعروف

عن الصادق
عليه السلم انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم
ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا
عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته من منع حق الله في ماله انتهى واعلم ان في
اداء الزكوة والاتيان بالمعروف وهو صرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر بما ظهر وجوهه تحصيل
ملكة ترك الالتفات الى غير الله وصرف النفس عن التوجه الى الامور الدنية المدنية واداء الشكر لنعم
الله قال بعض المحققين السر في ايجاب الزكوة والانفاق لطلب امتحان العبد وفيه ثلثة معان الاول
ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى
للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما
يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها اله تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون
بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا
عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي

السؤال والتملق والتضرع والابتهال ثم ان يشهد بقلبه كانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه
فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم ثم ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر
الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف
الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله من درجات
اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو من درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر الصادق
عليه السلم فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة
لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية
على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة
ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه
من رسول الله يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبرئيل يلقيه
على رسول الله ثم جاء الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة و
نعيما لا اصبر عنه. العاشر التبري واعني به ان يتبرى عن حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين
الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد
الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا اية المقت وذم العصاة والمقصرين
شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا والى هذا اشار امير المؤمنين عليه السلم في
الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم
وظنوا ان زفير جهنم في اذانهم واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته كشف
له الملكوت بحسب احواله فحيث يتلو ايات الرحمة ويغلب على حاله الاستبشار يكشف له صورة
الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها و
ذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب
اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب
القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة و
يقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان

وكلام

وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل. **تمثيل** اعلم ان القران
كالشمس وفيضان اسرار المعرفة منه على القلب كفيضان انوار الشمس على الارض وسريان اثار الخشية
والخوف والهيبة وساير الاحوال منه على الصدر كسريان حرارة الشمس في باطن الارض تبعا للاشراق
الانوار فان الخشية اثر نور المعرفة وانما يخشى الله من عباده العلماء وانتشار الحركات والتغيرات
الى الجوارح من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد من اثار الخشية وساير الاحوال كحركة اجزاء
الارض بتصاعد الابخرة والادخنة منها بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تبع الحرارة والحرارة تبع النور
والنور تبع وقوع المحاذاة بين الارض والشمس فاجتهد ان تحاذي بوجه قلبك شطر شمس القران
وتستضيء بانواره كذلك فان لم تطق ذلك فاصنع الى الهدى الوارد من الطور الايمن فان استنر في
جوانبه نارا فخذ منه قبسا واشتعل منه نار الاسراجا فان كان زيتك يكاد يضيء ولم تمسسه نار
فاذا استنار النار انبعث منه الضياء ووجدت على النار هدى وقمت في حفل مقام الشمس المنبث
الاشراق والضياء

الباب السابع في الزكوة والمعروف

عن الصادق عليه السلم انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم
ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا
عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته من منع حق الله في ماله انتهى واعلم ان في
اداء الزكوة والاتيان بالمعروف وهو صرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر بما ظاهره وجوهره تحصيل
ملكة ترك الالتفات الى غير الله وصرف النفس عن التوجه الى الامور الفانية المدبرة واداء الشكر لنعم
الله قال بعض المحققين السر في ايجاب الزكوة وانفاق المال امتحان العبد وفيه ثلث معان الاول
ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى
للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما
يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها الة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون
بهذا العالم وينفرون من الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعويهم في المحبوب واستنزلوا
عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي

صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال الله عز وجل
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانما يزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا
ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا والانفاق يطهر صاحبه من
خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله ق
المعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن
والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح
نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى في اغنائه عن السؤال وصل اعلم ان للبدن زكوة كما ان في المال زكوة
وهو تنقيصه لمزيد الخير والبركة اما اضطرارا بان يصاب بآفة كما ورد في الخبر او اختيارا بان يصرف في
الطاعة ويمنع عن المعصية في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام على كل جزء من اجزائك زكوة
واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعرك بل على كل لحظة فزكوة العين النظر بالعبرة والغض عن
الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة
والنصيحة وما فيه نجاتك وبالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان النصح
للمسلمين وايقاظ الغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكوة اليد البذل والسخاء بما انعم
الله به عليك وتحريكها بكتبة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله والقبض عن الشرور
وزكوة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة الرحم
والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك هذا ما يحمل القلوب فهمه والنفوس استعماله و
ما لا يشرف عليه الا عباده المقربون المخلصون اكثر من ان يحصى وهم اربابه وهو شعارهم ودثارهم
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام

الباب الثامن في الصوم

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصوم جنة من النار وقال الصائم في عبادة
وان كان نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما وقال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به وللصائم
فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه عز وجل والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله اطيب
من ريح المسك قيل ولو لم يكن في الصوم الا الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة
التشبه بالملائكة الروحانية لكفى به فضلا ومنقبة وانما كان الصوم جنة من النار لانه يدفع حر الشهوة

والغضب

والغضب اللتين بهما تصلى نار جهنم في باطن الانسان في الدنيا وتبرز له في الآخرة كما ان الجنة تدفع عن صاحبها
حر الحديد وانما قال ما لم يغتب مسلما لان الغيبة اكل لحم الميتة فهو نوع من الاكل يتقوى به البدن وانما كان
الصوم لله وشرفا بالنسبة الى الله وان كانت العبادات كلها لله كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها
له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد
من الخلق ومرئى والصوم لا يعلمه الا الله فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد خالص لله فجزاؤه عنده
خاصة من غير مشاركة احد فيه والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات
وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان
ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت
مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون فلا ينكشف على العبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى
ملكوت السماء وسبب الفرحة عند الافطار اما للخواص فاستشعارهم التوفيق من الله عز وجل
على اتمام الصيام ونيل الاجر واما للعوام فانقضاء المقاساة ونيل المشتهيات وسبب الفرحة
عند لقاء الرب اما للخواص فحصول نور القلب لهم المستفاد من انكسار قوتي الشهوة والغضب
المظلمتين له بالجوع الباعث لهم ان يعبدوا الله كأنهم يرونه وهو المعني باللقاء واما للعوام
فمشاهدتهم الثواب في الآخرة حين يلقون ربهم للمجازاة وخلوف الفم تغيره وانما صار اطيب عند
الله من ريح المسك لانه سبب طيب الروح الذي هو عند الله من الانسان كما ان بدنه عند نفسه
والى ذلك اشير في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق واين طيب الروح من طيب الجسد
فان الاول روحاني عقلي معنوي والثاني جسماني حسي صوري وصل للصوم ثلث درجات
صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج
عن قضاء الشهوات واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر
الجوارح عن الآثام قال الصادق عليه السلام اذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك
وعدد اشياء غير هذا واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار
الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية وتحصيل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم

الاخرة وما الفكرة في الدنيا الا دنيا وتزاد للدنيا حبا فذلك للذات الاخرة وليس من الدنيا قال ارباب القلوب
من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق
بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين وفي مقابلها
من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يتلافى ما فات وما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من
حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته
ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لشهر رمضان
فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى
لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت
رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها
كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في
العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل الاكلة التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم
واما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه ولا يخف عليه تهجده وليلة
القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة
من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لدفع الحجاب حتى يخلي همته عن غير الله تعالى
وذلك هو الامر كله ومبدأ ذلك تقليل الطعام **وصل** في مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب
الاخرة فاذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان فانزل
نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاما ولا شرابا متوقعا في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب وطهر
باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله
قال الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به فالصوم يميت مراد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاء القلب
وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان الى الفقراء وزيادة التضرع
والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه
من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبها لمن عقله ووفق لاستعماله ~~الباب التاسع في الحج وزيارة المشاهد~~ انتهى

الحج ز

وفي العلل عن الصادق عليه السلم انما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك ان الغني لم يكن ليجد مس الجوع
فيرحم الفقير لان الغني كلما اراد شيئا قدر عليه فاراد الله تعالى ان يسوي بين خلقه وان يذيق الغني مس الجوع والالم
ليرق على الضعيف ويرحم الجائع وفي العلل عن الرضا عليه السلم انه قال انما امروا بالصوم لكي يعرفوا الم
الجوع والعطش ويستدلوا على فقر الاخرة وليكون الصائم خاشعا ذليلا مستكينا ماجورا محتسبا عارفا
صابرا على ما اصابه من الجوع والعطش فيستوجب الثواب مع ما فيه من الامساك عن الشهوات وليكون
ذلك واعظا لهم في العاجل ورائضا لهم على اداء ما كلفهم ودليلا لهم في الاجل وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على
اهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدوا اليهم ما فرض الله لهم في اموالهم فان قال فلم جعل الصوم في شهر
رمضان خاصة دون سائر الشهور قيل لان شهر رمضان هو الشهر الذي انزل الله تعالى فيه القران وفيه فرق
الله بين اهل الحق والباطل كما قال الله تعالى شهر رمضان هو الشهر الذي انزل الله تعالى فيه القران هدى للناس و
بينات من الهدى والفرقان وفيه نبئ محمد وفيه ليلة القدر التي هي خير من الف شهر وفيها يفرق كل
امر حكيم وهو راس السنة ويقدر فيها ما يكون في السنة من خير او شر او مضرة او منفعة او رزق او
اجل ولذلك سميت ليلة القدر فان قال فلم امروا بصوم شهر رمضان لا اقل من ذلك ولا اكثر قيل لانه قوة
العباد الذي يعم فيه القوي والضعيف وانما اوجب الله الفرائض على اغلب الاشياء واعم القوى ثم رخص
لاهل الضعف وانما اوجب الله ورغب اهل القوة في الفضل ولو كانوا يصلحون على اقل من ذلك لنقصهم ولو
احتاجوا الى اكثر من ذلك لزادهم فان قال فلم جعل صوم السنة قيل ليكمل به صوم الفرض فان قال فلم
جعل في كل شهر ثلثة ايام في كل عشرة ايام يوما قيل لان الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فمن
صام في كل عشرة يوما فكانما صام الدهر كله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن صوم خميسين بينهما
اربعا فقال اما الخميس فيوم تعرض فيه الاعمال واما الاربعا فيوم خلقت فيه النار واما الصوم فجنة وعن
الصادق عليه السلم سئل لم كره الصيام في ايام التشريق قال لان القوم زوار الله وهم اضيافه ولا ينبغي للضيف
ان يصوم عند من زاره واضافه

الباب التاسع

في الحج وزيارة المشاهد اعلم ان لا وصول
الى الله الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع
الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش
عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الاخرة ومدحهم الله سبحانه

الحج بدلاً عن الرهبانية التي كانت في الملل كافة ورد الخبر فانه على هذه الامة بان جعل الحج رهبانيتهم فرفع البيت العتيق
بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصداً للعبادة وجعل ما حوله حرماً للبيت وتفخيماً للامر وجعل عرفات كالميدان
على فناء حرمه والكعبة للموضع بحرم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج
عميق ومن كل اوب سحيق شعثاً غبراً متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته
مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم
وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالاً لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول ليكون اقدامهم
عليها بحكم محض العبودية وامتثال الامر من غير معاونة باعث آخر وهذا سر عظيم في الاستعباد ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً وفي العلل عن الرضا عليه السلام انه قال قائل لم امر بالحج
قيل لعلة الوفادة الى الله عز وجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف العبد تائباً مما مضى مستأنفاً
لما يستقبل مع ما فيه من اخراج الاموال وتعب الابدان والاشتغال عن الاهل والولد وحظر النفس عن اللذات
شاخصاً في الحر والبرد ثابتاً عليه دائماً مع الخضوع والاستكانة والتذلل مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع
كل ذلك لطلب الرغبة الى الله والرهبة منه وترك قساوة القلب وخساسة الانفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء
جسارة
والامل وتجديد الحقوق وحظر الانفس عن الفساد مع ما في ذلك من المنافع لجميع من في شرق الارض وغربها
ومن في البر والبحر ممن يحج وممن لم يحج من بين تاجر وجالب وبائع ومشتر وكاسب ومسكين ومكار و
فقير وقضاء حوائج اهل الاطراف في الموضع الممكن لهم الاجتماع فيه مع ما فيه من التفقه ونقل اخبار الائمة
عليهم السلام الى كل صقع وناحية كما قال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وليشهدوا منافع لهم فان قال فلم امروا بحجة واحدة لا اكثر من
ذلك قيل لان الله تبارك وتعالى وضع الفرائض على ادنى القوم قوة فان قال فلم امروا بالتمتع الى الحج قيل
ذلك تخفيف من ربكم ورحمة لان يسلم الناس في احرامهم ولا يطول ذلك عليهم فيدخل عليهم الفساد ولان
يكون الحج والعمرة واجبين جميعاً فلا تعطل العمرة وتبطل ولا يكون الحج مفرداً من العمرة ويكون بينهما فصل وتمييز
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة فان قيل فلم امروا بالاحرام قيل لان
يخشعوا قبل دخولهم حرم الله وامنه ولئلا يلهوا ويشتغلوا بشيء من امور الدنيا وزينتها ولذاتها و
يكونوا صابرين فيما هم فيه قاصدين نحوه مقبلين عليه بكليتهم مع ما فيه من التعظيم لله عز وجل ولنبيه صلى الله

عليه

عليه وآله وسلم والتذلل لانفسهم عند قصدهم الى الله عز وجل ووفادتهم اليه راجين ثوابه راهبين من عقابه ماضين
نحوه مقبلين اليه بالذل والاستكانة والخضوع وعن الصادق عليه السلام لم صير الموقف بالمشعر ولم يصير بالحرم
قال لان الكعبة بيت الله والحرم حجابه والمشعر بابه فلما ان قصده الزائرون وقفهم بالباب حتى اذن لهم بالدخول
ثم وقفهم بالحجاب الثاني وهو مزدلفة فلما نظر الى طول تضرعهم امرهم بتقريب قربانهم فلما قربوا قربانهم وقضوا
تفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت لهم حجاباً دونه امرهم بالزيارة على طهارة قيل له الرجل يتعلق باستار
الكعبة ما يعني بذلك قال مثل ذلك مثل الرجل يكون بينه وبين الرجل جناية فيتعلق بثوبه ويتخذى
له رجاء ان يهب له جرمه وعن الرضا عليه السلام وضع البيت في وسط الارض لانه الموضع الذي من تحته دحيت
الارض وكل ريح تهب في الدنيا فانها تخرج من تحت الركن الشامي وهي اول بقعة وضعت في الارض لانها الوسط
ليكون الفرض لاهل الشرق والغرب سواء **وصل** اعلم ان التوجه من بيت الله البالغ الى بيت الله في
الاحرام عن الملذات حقيقة خالصة مما يعد الروح للتوجه من بيت النفس الى الكعبة المقصود والوصول الى الكبرى
بالتجرد عن قوى البدن وملاذها الدنيوية والطواف فيه والنسك عنده للتشبه بالاشخاص
العالية والاجرام الصافية في حركاتها الشوقية والدورية وقد ثبت ان الحركات العلوية
مبدأوها العلاقة الشوقية الحاصلة في الاجرام الكريمة الفلكية ومنتهاها الاشراقات
الفائضة عليها من عللها واسبابها بحيث مبدأ الكل لها وتشوقه اياها اليه فمنه
مبدأوها واليه مرجعها في دورية حركاتها وهو الذي افاد فيها شوقاً وحب لها
تطواف الاطراف فلله در طائفة بالكعبة طائفة تقرباً الى الله وطلباً لمرضاته واعلم
ان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة فليتذكر الحاج بكل عمل من اعماله امراً من امور
الآخرة فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمستبصر فيتذكر في اول سفره عند وداع اهله
وداع الاهل في سكرات الموت ومن مفارقة الوطن الخروج عن الدنيا ومن ركوب
المركب ركوب الجنازة ومن دخول البادية ومشاهدة عقباتها الى الميقات ما بين
الخروج من الدنيا الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات ومن هول قطاع الطريق
سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي و
الحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه ووطنه ووحشة القبر وكربته ووحدته ومن

الالتفاف في ثوبي الاحرام الالتفاف في ثياب الكفن وان هذا الثوب قريب من ذلك اذ
ليس فيه مخيط كما لا مخيط في الكفن ومن التلبية اجابة نداء الله عند البعث وكذلك من
سائر الاعمال فان في كل عمل سرا وتحته رمزا يتنبه له كل عبد بقدر استعداده للتنبه
بصفاء قلبه **وصل** اذا احرم الحاج ولبى بالميقات فليعلم انه اجابة نداء الله الى
الحج فليرج ان يكون مقبولا وليخش ان يقال له لا لبيك ولا سعديك وروي ان السجاد عليه السلم
لما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل
له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من
راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه واذا دخل مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى
الى حرم امن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب
فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت واذا وقع بصره على البيت فينبغي ان يحضر عند
عظمة البيت في قلبه ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وليرج ان يرزقه
لقاءه كما رزقه لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه اياه هذه الرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافدين
اليه واما الطواف فانه صلوة فليحضر قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما سبق
في باب الصلوة وليعلم انه في الطواف متشبه بالملئكة المقربين الحافين حول العرش
الطائفين حوله ولا يظن ان المقصود طواف جسمه بالبيت بل المقصود طواف قلبه بذكر رب البيت
حتى لا يبتدئ الذكر الا به ولا يختم الا به وليكن في نيته عند استلام الحجر والاركان طلب
القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن من النار في كل جزء
لا في البيت وليكن نيته في التعلق باستار البيت الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب
المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع
له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل وليعلم ان سعيه
بين الصفا والمروة يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا
للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد وليتذكر من الوقوف بعرفات وما يرى من ازدحام الخلق

وارتفاع

وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر عرصات القيمة
واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك
الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ليحشر في
زمرة الفائزين المرحومين وليحقق رجاءه بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة
الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا يخلو الموقف عن طبقة من
الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت
الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على
طلب الرحمة فبعيدا ان يخيب املهم ويضيع سعيهم وليستحضر عند الوقوف بالمشعر انه قد اقبل عليه
مولاه بعد ان كان مدبرا عنه طاردا له عن بابه فاذن له في دخول حرمه فان المشعر من جملة
الحرم وعرفات خارج عنه فقد اشرف على باب الرحمة وهبت عليه نسمات الرافة وكسي خلع
القبول بالاذن في دخول حرم الملك وليقصد برمي الجمار التشبه بابرهيم عليه السلم حيث عرض له ابليس
في هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة او فتنة فامره الله ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله وليعلم
انه في الظاهر يرمي الحصى الى الجمار وفي الحقيقة يرمي به وجه الشيطان ويقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام
انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد الامر من غير حظ للعقل فيه واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله
بحكم الامتثال **وصل** وفي مصباح الشريعة **قال** الصادق عليه السلم اذا اردت الحج فجرد قلبك
لله تعالى من كل شاغل وحجاب كل حاجب وفوض امورك كلها الى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر
من حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا والراحة والخلق واخرج من
حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد على زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك
مخافة ان يصير ذلك عدوا ووبالا فان من ادعى رضا الله واعتمد على ما سواه صيره
عليه وبالا وعدوا ليعلم انه ليس له قوة ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد
من لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه واله وما يجب
عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وايثار الزاد على دوام الاوقات
ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع و

احرم من كل شيء يشغلك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولبّ بمعنى اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى
في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك
حول البيت وهرول هرولة من هواك وتبرأ من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك
بخروجك الى منى ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه واعترف بالخطايا بعرفات وجدد عهدك عند الله
تعالى بوحدانيته وتقرب اليه واتقه بمزدلفة واصعد بروحك الى الملأ الاعلى بصعودك على الجبل و
اذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات
واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل في امان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة
مرادك بدخولك الحرم ودر حول البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه واستلم
الحجر رضا بقسمته وخضوعا لعزته وودّع ما سواه بطواف الوداع واصف روحك وسرك للقائه
يوم تلقاه بوقوفك على الصفا وكن بمرأى من الله نقيا اوصافك عند المروة واستقم على شرط حجك
هذه ووفاء عهدك الذي عاهدته مع ربك واوجبته له الى يوم القيمة واعلم بان الله تعالى لم يفرض
الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة الى نفسه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا ولا شرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه الا الاستعداد والاشارة الى الموت
والقبر والبعث والقيمة وفصل بيان السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة
مناسك الحج من اولها الى اخرها لاولي الالباب واولي النهى **وصل** الاخبار في فضل زيارة
النبي وآله الاطهار عليهم السلام وثوابها وانها تفضل على الحجة والعمرة والغزوة اكثر من ان تحصى ولعل
السر في فضل زيارتهم على تلك العبادات ان في زيارتهم ادخال سرور عليهم واجابة لهم وتجديد
عهد لولايتهم واحياء لامرهم وتنكيتا لاعدائهم وفي ذلك كله رجاء لما عند الله الذي لا يخيب
من رجاه وطلب لرضاه سبحانه الذي يغني من ارضاه وهي مع ذلك كله عبادة لله عز وجل وشرع لم
عن ذكره من جهة ادخال السرور على رسوله وعلى ذريته واوصيائه عليهم السلام ومن جهة الاتيان بعبادته
المامور بها وسرور لهم من هذه الجهة ايضا وقد ثبت وتقرر جلالة قدر المؤمن عند الله و
ثواب صلته وبره وادخال السرور عليه من جهة كونه مؤمنا فحسبك فما ظنك بمن عصمه الله عن الخطأ
وطهره من الرجس وجعله اماما للمؤمنين وقدوة للمتقين وله خلق السموات والارضين

الائمة

وجعل

وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وانبياء
وحجج واولياء هذا مع ان مقابرهم مشاهد ارواحهم العلية المقدسة ومحال حضور اشباحهم البرزخية
النورية فانهم هناك يشهدون وهم احياء عند ربهم يرزقون وبما اتاهم من فضله فرحون واما الحجة
والعمرة والغزوة وغيرها فللنفع بها وان كان فيها انفاق اموال ورجاء امال واشخاص ابدان وهجران
اوطان وتجشم مشاق وتجديد ميثاق وشهود مشاعر وحضور مشاعر الا انها ليست بتلك المثوبة لما
بينها على من المزايا

الباب الثالث والعشرون في التوبة

في مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال وكل
فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء من اضطراب السر وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة
الاصفياء من التنفيس وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة العام من الذنوب ولكل واحد منهم
معرفة وعلم في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول شرحه هاهنا واما توبة العام فان يغسل باطنه من
الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره و
لا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك الى الكسل ويديم البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس
نفسه عن الشهوات ويستغيث الى الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود الى ما سلف ويروض
نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ويقضي الفوائت من الفرائض ويرد المظالم ويعتزل قرناء
السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه
وضرائه ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين فان في ذلك طهارة من ذنوبه
وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عز وجل فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين انتهى
وقال بعض المحققين توبة العوام عن الذنوب الظاهرة وتوبة الصالحين عن الاخلاق الذميمة
الباطنة وتوبة المتقين عن مواقع الريبة وتوبة المحبين عن الغفلة المنسية للذكر وتوبة العارفين عن
الوقوف على مقام يتصور ان يكون وراءه مقام والمقامات في القرب من الله تعالى لا نهاية لها
فتوبة العارف لا نهاية لها **وصل** التوبة مبدأ طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين وحقيقتها
الرجوع عن طريق البعد الى القرب فانه مهما اشرق نور الايمان على القلب اثمر نار الندم على الذنب فيتألم به
القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان

في ظلمة منقطع عليه النور بانقطاع سحاب او الغبار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل
نيران الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادة للانتهاض للتدارك والناظرون بنور البصائر المستمدون
من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله وعلموا ان القلب
خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما يفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة
الذنوب وظلمتها وان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة
لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ لطول
تراكمه في تجاويف الثوب بخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وان قيل قبل لم يقبل

الباب الحادي عشر في طلب الحلال

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم العبادة سبعون جزءا
افضلها طلب الحلال وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وآله
من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر
ليلة البدر وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه وفي رواية زهده الله في الدنيا ولا يخفى ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب
وتنويره وتأكيد استعداده لقبول انوار المعرفة وقد ذكرنا في ذلك في باب حب الدنيا وفي مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام التقوى على ثلاثة اوجه تقوى بالله في الله وهو ترك الحلال فضلا عن
الشبهة وهو تقوى خاص الخاص وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام وهو تقوى
الخاص وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام ومثل التقوى كماء يجري
في نهر ومثل هذه الطبقات الثلث في معنى التقوى كاشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كل لون
وجنس وكل شجرة منها يمتص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته ثم منافع
الخلق من ذلك الاشجار والثمار على قدرها وقيمتها قال الله تعالى صنوان وغير صنوان يسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل الآية فالتقوى للطاعات كالماء للاشجار ومثل طبائع الاشجار
والثمار في لونها وطعمها مثل مقادير الايمان فمن كان اعلى درجة في الايمان واصفى جوهرا بالروح
كان اتقى ومن كان اتقى كانت عبادته اخلص واطهر ومن كان كذلك كان من الله اقرب وكل عبادة
مؤسسة على غير التقوى فهي هباء منثورا قال الله عز وجل افمن اسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوان

ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم الآية وتفسير التقوى ترك ما ليس
باخذه بأس حذرا مما به البأس وهو في الحقيقة طاعة وذكر بلا نسيان وعلم بلا جهل مقبول غير مردود
~~مع المسلمين والقيام بحقوقهم ركن من اركان الدين اذ الدين معناه السفر الى الله اعلم ان حسن الصحبة~~

الباب الثاني عشر في الاخاء والالفة

اعلم ان حسن الصحبة
مع المسلمين والقيام بحقوقهم ركن من اركان الدين اذ الدين معناه السفر الى الله ومن اركان السفر
حسن الصحبة في منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسير بهم العمر سير السفينة براكبها عن
الصادق عليه السلام قال ما يقدم المؤمن على الله بعمل بعد الفرائض احب الى الله من ان يسع الناس
بخلقه ولحسن الصحبة درجات اقلها كف الاذى عنهم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلم من سلم
المسلمون من يده ولسانه وفوقها ان ينفعهم ويحسن اليهم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخلق
كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله وفوق ذلك ان يحتمل الاذى منهم ويحسن مع ذلك اليهم وذلك
درجة الصديقين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام ان اردت ان تسبق الصديقين فصل من
قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك

وصل ان افضل القربات والطف ما يستفاد من الطاعات
في مجاري العادات التحابب في الله والاخوة في الدين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على الاخوة
في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال ان الله يقول
حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وحقت محبتي للذين
يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وقال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا
عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث وقال اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض
في الله والتولي لاولياء الله والتبري من اعداء الله واعلم ان كل حب لا يكون الباعث عليه الا الايمان بالله
واليوم الآخر فهو حب في الله وهو على درجتين احديهما ان تحب شيئا لا لنفسه في الدنيا نصيبا توصلك
الى الآخرة كحب استاذك بل خادمك الذي يتفرغ بسببه لطاعة الله والثانية ان تحبه لانه
محبوب عند الله ومحب لله وان لم يتعلق بك منه غرض في الدنيا والآخرة وهذا اعلى واكمل لان الحب
اذا غلب يتعدى الى كل من ينتهي الى المحبوب بسبب حتى يحب الانسان محب محبوبه وسائر ما يتعلق به
وانما يترك الحب بقدر غلبته ومن احب الله لا يمكنه ان لا يحب عباده المرضيين عنده لان ذلك المختلف

باختلاف المحبين والمحبوبين في الدرجة والقوة وكذلك يبغض لا محالة من يعصي الله ويخالف امره فان
الحب والبغض متلازمان فانك اذا احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه لا بد وان
تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله وكل منهما دفين في القلب وانما يترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين
في المقاربة والمباعدة وفي الموافقة والمخالفة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة وروي ان الله
اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت
بي ولكن هل عاديت في عدوا او واليت في وليا وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل
المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضاء الله بسخطهم قالوا يا روح الله من نجالس
قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله ولا يخفى
ان الغرض الاصلي من حصول الالفة والمحبة بين الاخوان وتكثير الاعوان والخلان تسهيل سلوك سبيل
الرحمن الا ترى كيف رغب الشارع في الجمعة والجماعات والاجتماع في المناسك والمزارات وزيارة
الاخوان والمواساة والصلات وظاهر انها للايتلاف وتيسير انجاح المهمات وسائر كثير من الخيرات و
المبرات وتزايد الخير والاتفاق في الطاعات والعبادات وتحل عقد المشكلات قال بعض الحكماء اجتماع
الجماعات في بيوت العبادات تصدق النيات وصفاء الطويات تحل ما عقدة الافلاك الدائرات

وصل قال الباقر عليه السلام قام رجل بالبصرة الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن
الاخوان فقال الاخوان صنفان اخوان الثقة واخوان المكاشرة فاما اخوان الثقة فهم الكهف والجناح
والاهل والمال فاذا كنت من اخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه وعاد من
عاداه واكتم سره وعيبه واظهر منه الحسن واعلم ايها السائل انهم اقل من الكبريت الاحمر واما اخوان المكاشرة
فانك تصيب لذتك منهم فلا تقطعن ذلك منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم وابذل لهم ما بذلوا
لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام قد قل ثلثة
اشياء في كل زمان الاخاء في الله والزوجة الصالحة الاليفة في دين الله والولد الرشيد ومن اصاب احد
الثلثة فقد اصاب خير الدارين والحظ الاوفر في الدنيا واحذر ان تواخي من ارادك لطمع او خوف او
فشل او اكل او شرب واطلب مواخاة الاتقياء ولو في ظلمات الارض ولو افنيت عمرك في طلبهم فان الله
عز وجل لم يخلق على وجه الارض افضل منهم بعد النبيين وما انعم الله على العبد بمثل ما انعم به من التوفيق

بصحبتهم

واحدهم

صحبتهم قال الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين واظن
ان من طلب في زماننا هذا صديقا بلا عيب بقي بلا صديق الا ترى ان اول كرامة اكرم الله بها انبياءه عند
اظهار دعوتهم تصديق امين او ولي وكذلك من اجل ما اكرم الله به اصدقاءه واولياءه وامناءه صحبة
انبيائه وهو دليل على ان ما في الدارين بعد معرفة الله اجل واطيب وازكى من الصحبة في الله والمواخاة

لوجهه

الباب الثالث عشر في ذكر الموت وقصر الامل

اعلم ان الموت عظيم هائل وما بعده اعظم منه وفي
ذكره منفعة عظيمة فانه يبغض الدنيا ويبغضها الى القلب وبغضها راس كل حسنة كما ان حبها راس كل
خطيئة وللعارفين في ذكره فائدتان احديهما النفرة عن الدنيا والاخرى الشوق الى الاخرة فان المحب لا
محالة مشتاق ومعنى الشوق في المحسوسات استكمال الخيال الى المشاهدة فان المشتاق اليه
مدرك لا محالة بالخيال وغائب عن الابصار وكذلك المعارف فصورته كانها نظر من وراء ستر رقيق
في وقت الاسفار وضعف النور فهو مشتاق الى استكمال ذلك بالتجلي والمشاهدة ومعلوم ان ذلك
لا يكون الا بعد الموت فلذلك لا يكره الموت لانه لا يكره لقاء الله ولا سبب لاقبال الخلق الى الدنيا الا لقلة
التفكر في الموت وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ذكر الموت يميت الشهوات في النفس و
يقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر اعلام الهوى ويطفي نار الحرص ويحقر
الدنيا وهو معنى ما قال النبي صلى الله عليه واله وسلم فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عند
ما تحل اطناب خيام الدنيا وتشدها في الاخرة ولا تشك بنزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة
ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيمة فلا خير فيه قال
النبي صلى الله عليه واله وسلم اذكروا هادم اللذات قيل وما هو يا رسول الله قال الموت فما ذكره عبد
على الحقيقة في سعة الا ضاقت عليه الدنيا ولا في شدة الا اتسعت عليه قال والموت اول منزل من
منازل الاخرة واخر منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن اكرم عند النزول باولها وطوبى لمن احسن مشايعته
في اخرها والموت اقرب الاشياء من بني ادم وهو يعده ابعد فما اجرى الانسان على نفسه وما اضعفه
من خلق وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين لذلك اشتاق من اشتاق وكره من كره قال النبي صلى
الله عليه واله وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه انتهى والطريق في
ذكر الموت ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى

الطبع

من اشتاق الى الموت

مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه
وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت
التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم و
ايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم واوحشت ديارهم
فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية حيوته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده واملهف في العيش
والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك و
اللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والان قد تهدمت
رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه
وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو
غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة ملك الموت وقرع سمعه النداء
اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم فملازمة
هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب
عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر
بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي ان
يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته **وصل** اصل الغفلة عن الموت طول الامل وروي ان اسامة بن
زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا تعجبون من
اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا
يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها
حتى اغص بها من الموت ثم **قال** يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده
ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين **وقال** النبي صلى الله عليه وآله وسلم ايها الناس اما تستحيون من
الله عز وجل قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون
ما لا تسكنون واعلم ان لطول الامل سببان احدهما حب الدنيا والانس بها والغفلة عن قوله صلى
الله عليه وآله وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه وذلك لانه حبها يمنع قلبه عن التفكر في الموت الذي هو

سبب

سبب مفارقتها وان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه بالفراغ
من الاشغال التي بين يديه ولا يدري المسكين انه لا يتصور ان يكون الخائض في الدنيا فراغ قط وهيهات ما
فرغ منها الا من اطرحها * فما قضى احد منها لبانته * وما انتهى ارب الا الى ارب * والسبب الاخر الجهل وهو
ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين في ان مشايخ
بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر اهل البلد وانما قلوا لان الموت في الشبان اكثر والى ان يموت شيخ يموت
الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاءة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان
كان بعيدا فالمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر
هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف
وليل ونهار لعظم اشتغاله بالاستعداد له واستشعاره ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعوا
الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر
نزوله ووقوعه فيه ويشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة
موت غيره فاما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لم يقع فاذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعده فهو
الاول وهو الاخر

الباب الرابع عشر في المرابطة

قد عرف ارباب البصائر من جملة
العباد ان الله عز وجل لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات
واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في
الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه
وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة
وقفاته وقادته الى الخزي سيئاته **وقال** الصادق عليه السلم اذا اراد احدكم ان لا يسال الله شيئا الا اعطاه
فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئا الا اعطاه
فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها فان للقيمة خمسين موقفا كل موقف مقام الف سنة ثم تلا في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة فتفريع المحاسبة على الامر باليأس من الناس والرجاء من الله يدل على ان الانسان
انما يرجو الناس من دون الله في عامة امره وهو غافل عن ذلك وان عامة المحاسبات انما تقع لذلك
وذكر الوقوف في مواقف القيمة بعد الامر بمحاسبة النفس يدل على ان الوقفات هناك انما تكون للمحاسبات فمن

حاسب نفسه في الدنيا يوما فيوما لرجح الى تلك الموقفات في ذلك اليوم قال الله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت
لغد وورد في الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه واعلم ان مطلب المتعاملين
في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه
المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها
قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين
بالنفس في هذه التجارة كما يستعين التاجر بشريكه وكما يحتاج التاجر الى ان يشارط شريكه اولا ويراقبه
ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها
الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق
ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها
ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء
فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا في تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى
نعيم العقبى فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في
حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان
يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابد الآباد فانفاقها وصرفها ضائعا او صرفها الى ما يجلب الهلاك خسران
عظيم هائل لا يسمح به عاقل فظهر ان كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه مجاهدة ومعاتبة وهذه
خمسة امور وقع التعبير عنها في القرآن المجيد بالمرابطة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا ونحن الآن نشرح مجاري الفكر في كل واحد منها فنقول **الاول المشارطة** اذا اصبح
العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر
مهما فني رأس المال وقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله عز وجل
فيه وانسأني اجلي وانعم به علي ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا
فاحسبي انك قد توفيت ثم رددت فاياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها
واعلم ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد في كل يوم وليلة اربع
وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة

فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل
النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بألم النار ثم يفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها و
يغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص
عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل
او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير و
الملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن اوقاته طول
عمره فيقول للنفس اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك
ولا تركني الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرتها
لا تفارقك وان دخلت الجنة والم الغبن والحسرة لا يطاق وان كان دون ألم النار ثم يستأنف لها وصية
في اعضائه السبعة العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها
رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها ثم اذا فرغ منها عن هذا
لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهي التي خلقت لها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات و
يشترط على نفسه الاستقامة عليها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يعظ العبد
المتمرد الآبق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب
يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين **الثاني المراقبة** اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب
وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه راقب فلانا وراعى جانبه وحقيقة المراقبة
ان يعلم ان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان سر
القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك وهذه المعرفة اذا غلبت على
الشك وصارت يقينا ثم استولت بعد ذلك على القلب استجرت القلب وقهرته على مراعاة جانب الرقيب
وصرفت الهمة اليه والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين احدهما مراقبة المقربين وهي مراقبة التعظيم والاجلال
وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى
الغير وهذا هو الذي صار همه هما واحدا وكفاه الله سائر الهموم والثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين

ومن قويت غلبت يقين اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم
على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال والمراقبة فيها وغلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون
ولا يحجمون الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم
فلا يحتاجون الى انتظار القيامة فان العبد لا يخلو اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في
الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم
والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير ومراقبته في المباح بمراعاة الادب بان يقعد مستقبل القبلة
وينام على اليد اليمنى مستقبلا الى غير ذلك فكل ذلك داخل في المراقبة وبشهود المنعم في النعم وبالشكر
عليها وبالصبر على البلاء فان لكل ذلك حدودا لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه **الثالث المحاسبة** ينبغي للمحاسب ان يطالب نفسه اولا بالفرائض التي هي بمنزلة رأس
ماله فان اداها على وجهها شكر الله عز وجل عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء
وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكبت معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها
واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة
والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غائلة النفس ومكرها
فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول النهار وليتكفل
بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه
وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب
على النفس وصح عنده قدر ما ادى الحق منه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليها فليثبته
عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن
ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة لها على
ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل
بعده بالمطالبة والاستيفاء قال الكاظم عليه السلام ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة
استزاد الله وان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب اليه **الرابع المجاهدة** وهي انه اذا حاسب
نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب

البطن

وسناها

البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من
اطرافه بمنعه من شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة عن ليث بن ابي سليم قال سمعت
رجلا من الانصار يقول بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر
اذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء ويكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته مرة ويقول
يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس
ثيابه ثم اقبل فاومى اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده ودعاه فقال له يا عبد الله لقد رأيتك
صنعت شيئا ما رأيت احدا من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت فقال الرجل حملني على
ذلك مخافة الله وقلت لنفسي يا نفسي ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي صلى
الله عليه وآله وسلم خفت ربك حق مخافته وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا
معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم اجمع امرنا على الهدى
واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا ثم ان المحاسب اذا رأى نفسه بعد المحاسبة انها توانت بحكم
الكسل في شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها
فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط في مصباح الشريعة قال الصادق
عليه السلام طوبى لعبد جاهد نفسه وهواه ومن هزم جند هواه ظفر برضاء الله ومن جاوز عقله
نفسه الامارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله فقد فاز فوزا عظيما
ولا حجاب اظلم واوحش بين العبد وبين الله من النفس والهوى وليس لقتلهما في قطعهما سلاح
وآلة مثل الافتقار الى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل فان مات صاحبه
مات شهيدا وان عاش واستقام اداه عاقبته الى الرضوان الاكبر قال الله عز وجل والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين واذا رأيت مجتهدا ابلغ منك في الاجتهاد
فوبخ نفسك ولمها وعيرها تحثيثا على الازدياد عليه واجعل لها زماما من الامر وعنانا من النهي
وسقها كالرائض للفاره الذي لا يذهب عليه خطوة من خطواتها الا وقد صحح اولها وآخرها
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي حتى تتورم قدماه ويقول افلا اكون عبدا شكورا
اراد ان يعتبر به امته فلا تغفلوا عن الاجتهاد والتعبد والرياضة بحال الا وانك لو وجدت حلاوة

عبادة الله ورايت بركاتها واستضات بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة ولو قطعت اربا اربا لما اعرض
من اعرض عنها الا المحرومات من ابد السبق من العصمة والتوفيق انتهى واعلم ان الله سبحانه جعل الارض
ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها محترزين من مصايدها
ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها والناس في هذا العالم سفر واول
منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن هو الجنة والنار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره
فراسخه وايامه اميالها وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته واغراضه
قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكريم والنعيم المقيم وخسرانه البعد
من الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى
ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبنه وحسرة ما لها منتهى ولهذا
الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا
بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في
طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فان الناظرين بنور البصيرة علموا ان لا نجاة الا
بلقاء الله وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس
لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته
وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا و
شهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل و
النهار في وظائف الاذكار والافكار فمن كان من اهل المعارف المحققة الايمانية من العلم بالله واليوم
الاخر والملائكة والنبيين فعليه بالتعرض لنفحات ايام دهره التي تاتيه من قبل الله على الدوام والتمكن
تعليه في فضاء عالم الملكوت وساحة قدس الجبروت في الاكثر والانقطاع عن كدورات النشاة الظلمانية
مهما تيسر حتى يصير من المقربين فيكون له روح وريحان وجنة نعيم واما من كان من اصحاب اليمين
فلا بد له في كل لحظة وساعة ولا اقل في كل سنوح حال وحدث من تذكر جديد وتيقظ لمن هو
على كل شيء شهيد ولما كانت النفس مجبولة على السامة والملال لا تصبر على فن واحد في صورة
اللطف بها ان يروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتكثر بالانتقال

امره

لذتها

لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك وردت في الشريعة اوراد مختلفة بحسب
الاوقات والافعال واذكار متلونة بحسب الحوادث والاحوال كما جاءت بها الاخبار ونطقت بها
الآثار قال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من
عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر
اليهم فان حذوت طريقتهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا
جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني
بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي و
بسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم و
الثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالث اقبل
بوجهي عليهم افتعلم احدا اريد ان اعطيه وناهيك في هذا الباب ما ثبت وتواتر واشتهر وتظاهر
من مجاهدة الانبياء والاولياء عليهم السلام في عبادة ربهم وجدهم وتعبهم في طاعته وشدة سعيهم
في العمل بما يقربهم اليه ويزلف منزلتهم لديه وحالهم في ذلك اشهر من ان يحكى واظهر من ان يخفى
هذا محمد سيد الاولين والاخرين وقدوة الانبياء والمرسلين الذي كان من الله كقاب
قوسين او ادنى قام عشر سنين على اطراف اصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه يقوم
الليل اجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل طه ما انزلنا عليك القران لتشقى وكفى بهذا
عظة لمن اتعظ وتدبر وعبرة لمن اعتبر وتفكر فان قلت اي حاجة للانبياء والائمة والاولياء
عليهم السلام الى هذا التعب والعناء والخوف والبكاء فاعلم ان تحصيل حاجتها دهؤلاء كتحصيل من راى
مملوكا على احسن صورة قائما على باب دار مولاه وهو يقبل في كل ساعة العتبة والتراب ويمرغ
خدوده الجميلة على ذلك الباب ويرفع راسه زبالة الدار وهو في غاية عظيمة من الخدمة والذلة
والانكسار فان كثيرا ممن يرى هذا المملوك على هذه الحال يقول تري اي شي قد عمل هذا
السيد مع هذا المملوك حتى بلغ في الخدمة والذلة والاجتهاد الى هذه الغاية فاتفق ان في
بعض الاوقات كاشف بعض اهل تلك المقالات وعرفهم ما معناه ان احسانه الى هذا العبد

بوجهي عليهم فتري من قبلت

الذي

اكثر مما اولاه لانه لولا اخراجي له من العدم الى الوجود ما قدر كل موجود على ان يبلغ به الى هذا الحد اكثر

اكثر مما اولاه لانه لولا اخراجي المقصود ثم لولا اني ابلغ كل جزء من جواهر جسمه تمام ساكن لما تعب

تاليفها ثم انعامي عليه بحيوة التي لا بدله منها ثم قيامي بكل ما يحتاج اليه مدة بقائه ثم تفضلي عليه

بالعافية واستمرارها في دنياه ثم لانتهي اياه على سعادة اخراه ثم اني معين له في سره وجهره وجميع

احواله ورحمتي لا تفارقه حفظه وصيانته وتدبيره وسلامته وهو انما يشتغل بخدمتي اذا كان غير

نائم ولا مريض ولا معذور في بعض مرادي منه لا كله ثم انه يخدمني فيما يعود نفعه عليه وانا احسن

اليه مع عدم حاجتي اليه وهو بالعكس ثم ان احساني اليه سابق من غير عكس ثم اني القيم في احساني

وانعامي عليه على الدوام في دار المقام بخدمته لي مدة يسيرة من الايام فانما ترونا الان من اكثر احسانا

وامتنانا وانعاما فان الذين كانوا يتعجبون من خدمة ذلك المملوك يزول تعجبهم ويستقلون خدمته

التي كانوا يستكثرونها قبل معرفتهم هذه الامور بل لو راوه فاترا عن الخدمة لعذروه وانكروا عليه

وجهلوه فكذا حال الله سبحانه مع مماليكه وعبيده ولكن كثيرا منهم راوا انفسهم احياء اصحا فغفلوا

عن خالقهم ورازقهم فانظر الى الربح في تجارات المناجين وارباح موازين الداعين واعجب فيهم الناس

واخيب امال الغافلين حسبنا انهم الذين دابهم الارتياح اليه والحنين وديدنهم الزفرة والانين وجباههم

ساجدة لعظمته وعيونهم ساهرة في خدمته ودموعهم سائلة من خشيته وقلوبهم معلقة بمحبته و

افئدتهم متقطعة من هيبته بجملة واهل بيته **الخامس المعاتبة** اعلم ان اعدى عدوك نفسك

التي هي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها

وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن

لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل

والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة

الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغل

بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها

وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها وتشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى

الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة الحمق

وحمقا

تفرحين

وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احديهما على القرب فما لك

وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك

ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو ات قريب وان البعيد ما ليس بات

اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم

محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس جراتك على معصية الله ان كانت

لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كانت مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك

واقل حياءك اتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن

اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك

قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله عز وجل وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين

على كرم الله في مهمات دنياك افتحسبين ان الله كريم في الاخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل

لها وان رب الدنيا والاخرة واحد ويحك ما اعجب نفاقك وكثرة دعاويك الباطلة فانك تدعين

الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على

الله رزقها وقال في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى ما هذا من علامات الايمان ويحك كانك لا

تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى فان

كان هذا اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل

يسرك ثم اماتك فاقبرك ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما بالك لا تاخذين

حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في بدنك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك

فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي

يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو اخبرك طفل بعقرب في

ثوبك ترمي ثوبك في الحال من غير مطالبة له ببرهان ودليل افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة

الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء او صار حر جهنم وصديدها واغلالها وانكالها

وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من لدغ عقرب لا

تحسين بالمه الا يوما او اقل ما هذا من افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك و

نحو امن عقلك فان كنت قد عرفت جميع ذلك وامنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد و
لعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهبك وعدت بالامهال الف سنة اراءيت
لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة
من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وتذهب ان الجهد في اخر العمر نافع فلعل اليوم اخر عمرك
فلم لا تشتغلين به وهل الباعث على التسويف الا عجزك عن مخالفة شهوتك افتنتظرين يوما ياتيك
لا يعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله ولا يخلقه اما تاملين منذ كم تعدين نفسك و
تقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته اما علمت ان الغد الذي جاء وكان له حكم
الامس بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز وانما الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد الرجل
على قلعها فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخر
الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ويزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه
في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى
التسويف فما لك تدعين الحكمة واية حماقة تزيد على هذه الحماقة و لعلك تقولين ما يمنعني
عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات فليت شعري الم
الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم
المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله
الغرور فانظري لنفسك فيما امرك ولا تضيعي اوقاتك فان الانفاس معدودة واذا مضى
نفس منك فقد مضى بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر و
الشباب قبل الهرم والحيوة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها اما تستعدين
للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على
فضل الله وكرمه افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير الشتاء فكما لا
يندفع برد الشتاء الا بالجبة وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد
وخندق الطاعات وانما كرم الله في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع
عنك العذاب دون تحصن كما ان كرم الله في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك الطريق استخراجها

من

من بين حديدة وحجر حتى يدفع برد الشتاء عن نفسك وكما ان الله مستغن عن شرى الحطب والجبة
وانما تشتريه لاستراحتك فكذلك عن طاعتك ومجاهدتك وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن
فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك اما تعلمين ان كل من التفت الى ملاذ الدنيا
وانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك
وهو لا يدري او ما تنظرين الى الذين بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا كيف اورث الله ارضهم وديارهم
اعداءهم وهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا
ويخرب اخرته وهو صائر اليها قطعا عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الجلية فلعلك اسكرك
حب الجاه وادهشك عن فهمها او ما تتفكرين في ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب الناس اليك
فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعوك افما تعرفين ان بعد خمسين سنة لا يبقى
انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك وذكر من
ذكرك كما اتى على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا وما لك تفرحين
بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة من يهود او مجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك
في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك
اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد
الابدين لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين اياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت
الدنيا والدين جميعا ويحك فقد اشرفت على الهلاك وما لك الا ايام معدودة هي
بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت
مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت
موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك ويحك اما
تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله بالعظائم افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من
الخالق ويحك اما امرت الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وانت منه فارة و
تذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها ويحك
لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس لا يصيبهم بلاء الا بشومك ويحك قد جعلت

نفسك حمال الابليس يقودك الى الحسيرة بك ويحوزبك ومع هذا فتجيبين بحمالك وفي من الافات ما الوحزت منه
لسابر ابن لحث فكيف تجيبين بحمالك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان كان
عبد الله مائتي الف سنة واخرج ادم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه وحبيبه فيا ليس ما الجهالك و
اجراك على المعاصي اما تخافين اذا بلغت النفس التراقي ان تبدو رسل ربك بمحاربة اليك سود الالوان
وكلح الوجوه وبنزول العذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن والبكا والعجب كل العجب منك
انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما ينفع مال يزيد وعمر ينقص واحذري
يا مسكينه يوما الى الله فيه على نفسه ان لا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسئله عن عمله دقيقه
وجليله سره وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدي للسؤال
جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار حزن
ونصب لدار نعيم وخلود ذو سرور ومرضين مغبوط من بعبوط لا يسعى بصحيك ويأكل ويشرب بلا هم
وقد حق له في كتاب الله انه من وقود النار واعلمي يا نفس انه ليس لله عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد
خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه
النصيحه وان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم
تزل فالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف
بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه
فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فكل ميسر لما خلق له
فان لم تسمعي بحال الموعظ فانظري هل باقي حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح
عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فستقي الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع
الرجا فواظبي على النياحة والبكا واستغيثي بارحم الراحمين واشكي الى اكرم الاكرمين لعله يرحم ضعفك
ويغيثك فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع و
اجزعي في تذللك على قدر عظم جرمك وكثرة ذنوبك فالمطلوب منه كريم والمسئول منه جواد والمستغاث
به رءوف والرحمة واسعة والكرم فايض والعفو شامل وقرن الي الجي ربت الاهمال وتغيرت الاحوال
وكذبت الالسن واخلفت العدات الا عدتك فانك وعدت ... وصلى الله على محمد وال محمد

الى ه

واعطني

واعطني من فضلك واعذني من الشيطان الرجيم سبحانك وبحمدك ما اعظمك واحلمك واكرمك وسع علمك
المتكبرين واستغرقت نعمائك شكر الشاكرين وعظمت الائك عن احصاء المحصيين وجل طولك عن وصف الواصفين
كيف لي الاحتصال حلت عني حافترا من نطفة ولم يك شيا ثم خيرتني بطيبة رزقك وانشاتني في قرار ... وسكنت لي في
مهاد ارضك ودعوتني الى طاعتك فاستحيت على عصيانك باحسانك وعصيت عزك في سلطانك كيف لو كان حلمك
امهلتني وقد حملتني بسترك والزمتني معرفتك واطلقت لساني بشكرك وهديتني السبيل الى طاعتك وسهلت لي
المسالك الكرامتك واحضرتني سبيل قربتك فكان جزاؤك مني انك كافيتني على الاحسان بالاساءة حريصا
على ما اسخطك متنقلا فيما استحق به المزيد من نقمتك سريعا الى ما ابعدني من رضاك مغبوطا بعزة الامل معرضا
عن زواجر الاجل لم يعنفني حلمك عني وقد اتاني وعيدك وما اخذ العفو مني حتى دعوتك على عظيم خطيئتي استزادة
في نعمك غير متاهب لما قد اشرفت عليه من نقمك مستبطيا لمزيدك ومتسخطا لميسور رزقك متقنيا لجوائز
نعمك التجارة كالمرصد حسنك بعمل الابرار مجتهدا في التمني عليك اعظائهم كالمدل الا من من قصاص الجرائر فانا
لله وانا اليه راجعون مصيبة عظم رزؤها وجل عقابها بل كيف لو لا املي وعدك الصفح عن ذلل اجرمي
الى انك وقد جاهرتك بالكبائر مستخفيا عن اصاغر خلقك فلا انا راقبتك وانت معي ولا انا عني حرمة
سترك علي باي وجه القاك وباي لسان اناجيك وقد نقضت العهود والايمان بعد توكيدها وقد جعلتك
على كفيلا ثم دعوتك مقتحما في الخطيئة فاجبتني ودعوتني والبك فقري فلم احب فوا سوأتاه وواقبح صنيعاه
اي جرأت جرأت واي تغرير غررت نفسي سبحانك فبك اليك وبحقك اقسم عليك ومنك اهرب اليك
بنفسي استحقت عند معصيتي لا بعفلك في حلمك القدير لا عليك وحي اضعت لا عظيم حقك ونفسي
ظلمت ولرحمتك رجوت وبك امنت واليك انبت وتضرعت فارحم اليك فقري وفاقتي وكبوتي لوجهي
وحرتي في سوء ذنوبي انك ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ... اسئلك هذه المناجاة وليكن مطلبك
من المناجاة الاستقصاء ومقصدك من مناجاة نفسك التنبيه والاسترعاء ومن اهلك اذ ...
لنفسه مراعيا ويوشك ان لا تكون لله عنه راضيا

الباب الخامس عشر

في ذكر نبذ نما ورد في اسرار بعض الاحكام في العلامة حديث وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام يا علي
اذا دخلت العروس بيتك فاخلع خفيها حين تجلس واغسل رجليها وصب الماء من باب دارك الى
اقصى دارك فانك اذا فعلت ذلك اخرج الله من دارك سبعين لونا من الفقر وادخل فيها سبعين

اتوب

لونا من البركة وانزل عليك سبعين رحمة ترفرف على العروس حتى تنال بركتها كل زاوية في بيتك وتامن العروس
من الجنون والجذام والبرص ان يصيبها ما دامت في تلك الدار وامنع العروس في اسبوعها من الالبان والخل
والكزبرة والتفاحة الحامضة من هذه الاربعة اشياء فقال علي عليه السلام يا رسول الله ولاي علة امنعها هذه الاشياء
الاربعة قال لان الرحم تعقم وتبرد من هذه الاربعة الاشياء عن الولد ولحصير في ناحية البيت خير من امراة
لا تلد فقال علي عليه السلام يا رسول الله فما بال الخل تمنع منه قال اذا حاضت على الخل لم تطهر ابدا بتمام والكزبرة
تثير الحيض في بطنها وتشدد عليها الولادة والتفاحة الحامضة تقطع حيضها فيصير داء عليها ثم قال يا علي لا
تجامع امراتك في اول الشهر ووسطه واخره فان الجنون والجذام والخبل يسرع اليها والى ولدها يا علي لا
تجامع امراتك بعد الظهر فانه ان قضي بينكما ولد في ذلك الوقت يكون احول والشيطان يفرح بالحول في
الانسان يا علي لا تتكلم عند الجماع كثيرا فانه ان قضي بينكما ولد لا يؤمن ان يكون اخرس ولا ينظر الى فرج امراتك
وليغض بصره عند الجماع فان النظر الى الفرج يورث العمى يعني في الولد يا علي لا تجامع امراتك بشهوة امراة
غيرك فاني اخشى ان قضي بينكما ولد ان يكون مخنثا مخبلا يا علي اذا كنت جنبا في الفراش مع امراتك فلا تقرا
القران فاني اخشى ان ينزل عليكما نار من السماء فتحرقكما يا علي لا تجامع امراتك الا ومعك خرقة ومع امراتك
خرقة ولا تمسحا بخرقة واحدة فتقع الشهوة على الشهوة وان ذلك يعقب العداوة بينكما ثم يؤديكما الى الفرقة
والطلاق يا علي لا تجامع امراتك من قيام فان ذلك من فعل الحمير وان قضي بينكما ولد كان بوالا في الفراش كالحمير
البوالة في كل مكان يا علي لا تجامع امراتك في ليلة الفطر فانه ان قضي بينكما ولد فيكون ذلك الولد لا يصيب ولدا
الا على كبر السن يا علي لا تجامع امراتك في ليلة الاضحى فانه ان قضي بينكما ولد يكون له ست اصابع او اربع يا علي
لا تجامع امراتك تحت شجرة مثمرة فانه ان قضي بينكما ولد يكون جلادا او قتالا او عريفا يا علي لا تجامع امراتك في وجه الشمس
وتلألؤها الا ان ترخي عليكما سترا فانه ان قضي بينكما ولد لا يزال في بؤس وفقر حتى يموت يا علي لا تجامع اهلك بين الاذان
والاقامة فانه ان قضي بينكما ولد يكون حريصا على اهراق الدماء يا علي اذا حملت امراتك فلا تجامعها الا وانت
على وضوء فانه ان لم تفعل ذلك فانه ان قضي بينكما ولد يكون اعمى القلب بخيل اليد يا علي لا تجامع امراتك في النصف
من شعبان فانه ان قضي بينكما ولد يكون مشوها ذا شامة في شعره ووجهه يا علي لا تجامع اهلك في اخر درجة
منه يعني اذا بقي يومان فانه ان قضي بينكما ولد كان مقعدا يا علي لا تجامع اهلك على شهوة اختها فانه ان قضي
بينكما ولد يكون عشارا او عونا للظالم ويكون هلاك فئام من الناس على يديه يا علي لا تجامع اهلك على

سقوف

سقوف البنيان فانه ان قضي بينكما ولد يكون منافقا مرائيا مبتدعا يا علي اذا خرجت في سفر فلا تجامع اهلك
تلك الليلة فانه ان قضي بينكما ولد فانه ينفق مالا في غير حق وقرا رسول الله صلى الله عليه وآله ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين يا علي لا تجامع اهلك اذا خرجت الى سفر مسيرة ثلثة ايام ولياليهن فانه ان قضي بينكما
ولد يكون عونا لكل ظالم عليك بالجماع ليلة الاثنين فانه ان قضي بينكما ولد يكون حافظا لكتاب الله
عز وجل راضيا بما قسم الله عز وجل يا علي ان جامعت اهلك في ليلة الثلثا فانه يرزق الشهادة بعد شهادة
ان لا اله الا الله محمد رسول الله ولا يعذبه الله عز وجل مع المشركين ويكون طيب النكهة من الفم رحيم القلب سخي
اليد طاهر اللسان من الغيبة والكذب والبهتان يا علي وان جامعت اهلك ليلة الخميس فقضي بينكما ولد فانه
يكون حاكما من الحكام او عالما من العلماء وان جامعتها يوم الخميس عند زوال الشمس عن كبد السماء فقضي بينكما
ولد فان الشيطان لا يقربه حتى يشيب ويكون فهما ويرزقه السلامة في الدين والدنيا وان جامعتها ليلة
الجمعة وقضي بينكما ولد فانه يكون خطيبا قوالا مفوها وان جامعتها يوم الجمعة بعد العصر وقضي بينكما ولد
فانه يكون معروفا مشهورا عالما وان جامعتها ليلة الجمعة بعد صلوة العشاء الاخرة فانه يرجى ان يكون
ولد له بدلا من الابدال ان شاء الله يا علي لا تجامع اهلك في اول ساعة من الليل فانه ان قضي بينكما ولد لا يؤمن
ان يكون ساحرا مؤثرا للدنيا على الاخرة يا علي احفظ وصيتي هذه كما حفظتها عن جبرئيل عليه السلام وعن الصادق
عليه السلام قال لا اطلاء وطهوره واياك والاضطجاع في الحمام فانه يذيب شحم الكليتين واياك والاستلقاء على
القفا في الحمام فانه يورث داء الدبيلة واياك والتمشط في الحمام فانه يورث وباء الشعر واياك والسواك
في الحمام فانه يورث وباء الاسنان واياك ان تغسل راسك بالطين فانه يسمج الوجه واياك ان تدلك راسك
ووجهك بمئزر فانه يذهب بماء الوجه واياك ان تدلك تحت قدميك بالخزف فانه يورث البرص واياك ان تغتسل
من غسالة الحمام ففيها تجتمع غسالة اليهودي والنصراني والمجوسي والناصب لنا اهل البيت وهو شرهم فان
الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقا انجس من الكلب وان الناصب لنا اهل البيت انجس منه وروي ان ذلك الطين
طين مصر والخزف خزف الشام وعن الباقر عليه السلام سئل عن تحريم الله عز وجل الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير فقال
ان الله تعالى لم يحرم ذلك على عباده واحل لهم ما سوى ذلك من رغبة فيما احل لهم ولا زهد فيما حرم عليهم ولكنه
عز وجل خلق الخلق فعلم ما تقوم به ابدانهم وما يصلحهم فاحله لهم واباحه وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرمه عليهم
ثم احله للمضطر في الوقت الذي لا يقوم بدنه الا به فامره ان ينال منه بقدر البلغة لا غير ذلك ثم قال اما

الميتة فانه لم ينل احد منها الا ضعف بدنه ووهنت قوته وانقطع نسله ولا يموت اكل الميتة الا فجأة واما الدم
فانه يورث اكله الماء الاصفر ويورث الكلب وقساوة القلب وقلة الرافة والرحمة حتى لا يؤمن على حميمه ولا يؤمن
على من يصحبه واما لحم الخنزير فان الله عز وجل مسخ قوما في صور شتى مثل الخنزير والقرد والدب ثم نهى عن اكل المثلة
لكيلا ينتفع بها ولا يستخف بعقوبته واما الخمر فانه حرمها لفعلها وفسادها ثم قال ان مدمن الخمر كعابد وثن
ويورثه الارتعاش ويهدم مروته ويحمله على ان يجسر على المحارم من سفك الدماء وركوب الزنا حتى لا يؤمن اذا سكر
ان يثب على حرمه وهو لا يعقل ذلك والخمر لن تزيد شاربها الا كل شر وعن الرضا عليه السلام قال لم حرم الله الخمر لما فيها
من الفساد ومن تغييرها عقول شاربيها وحملها اياهم على انكار الله عز وجل والفرية عليه وعلى رسله
وسائر ما يكون منهم من الفساد والقتل والقذف والزنا وقلة الاحتجاز من شيء من الحرام فبذلك قضينا
على كل مسكر من الاشربة انه حرام محرم لانه ياتي من عاقبتها ما ياتي من عاقبة الخمر فليجتنب من يؤمن بالله و
اليوم الاخر ويتولانا وينتحل مودتنا كل شراب مسكر فانه لا عصمة بيننا وبين شاربيها وعنه عليه السلام في حديث
وحرم الله قتل النفس لعلة فساد الخلق في تحليله لو احل وفنائهم وفساد التدبير وحرم الله عقوق الوالدين
لما فيه من الخروج عن التوقير لطاعة الله عز وجل والتوقير للوالدين وتجنب كفر النعمة وابطال الشكر وما
يدعو من ذلك الى قلة النسل وانقطاعه لما في العقوق من قلة توقير الوالدين والعرفان بحقهما وقطع الارحام
والزهد من الوالدين في الولد وترك التربية لعلة ترك الولد برهما وحرم الزنا لما فيه من الفساد من قتل
الانفس وذهاب الانساب وترك التربية للاطفال وفساد المواريث وما اشبه ذلك من وجوه الفساد
وحرم الله قذف المحصنات لما فيه من فساد الانساب ونفي الولد وابطال المواريث وترك التربية وذهاب المعارف
وما فيه من المساوي والعلل التي تؤدي الى فساد الخلق وحرم اكل مال اليتيم ظلما لعلل كثيرة من وجوه الفساد
اول ذلك اذا اكل الانسان مال اليتيم ظلما فقد اعان على قتله اذ اليتيم غير مستغن ولا محتمل لنفسه ولا عليم بشانه
ولا له من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه فاذا اكل ماله فكانه قد قتله وصيره الى الفقر والفاقة مع ما خوف
الله وجعل من العقوبة في قوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا
الله وليقولوا قولا سديدا ولقول ابي جعفر عليه السلام ان الله عز وجل وعد في اكل مال اليتيم عقوبتين عقوبة في
الدنيا وعقوبة في الاخرة ففي تحريم مال اليتيم استغناء اليتيم واستقلاله بنفسه والسلامة للعقب ان يصيبه
ما اصابهم لما وعد الله فيه من العقوبة مع ما في ذلك من طلب اليتيم بثاره اذا ادرك ووقوع الشحناء والعداوة

والبغضاء

والبغضاء حتى يتفانوا وحرم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسل والائمة
العادلة عليهم السلام وترك نصرتهم على الاعداء والعقوبة لهم على انكار ما دعوا اليه من الاقرار بالربوبية واظهار العدل
وترك الجور واماتة الفساد لما في ذلك من جراة العدو على المسلمين وما يكون في ذلك من السبي والقتل
وابطال دين الله عز وجل وغيره من الفساد وحرم الله التعرب بعد الهجرة لما فيه من الرجوع عن الدين وترك
الموازرة للانبياء والحجج عليهم السلام وما في ذلك من الفساد وابطال حق كل ذي حق لا لعلة سكنى البدو وكذلك
لو عرف الرجل الدين كاملا لم يجز له مساكنة اهل الجهل والخوف عليه لانه لا يؤمن ان يقع منه ترك العلم والدخول
مع اهل الجهل والتمادي في ذلك وحرم ما اهل به لغير الله الذي اوجب الله على خلقه من الاقرار به وذكر اسمه
على الذبائح المحللة ولئلا يسوى بين ما تقرب به اليه وبين ما جعل عبادة الشياطين والاوثان لان في تسمية الله عز وجل
الاقرار بربوبيته وتوحيده وما في الاهلال لغير الله من الشرك به والتقرب الى غيره ليكون ذكر الله وتسميته
على الذبيحة فرقا بين ما احل الله وما حرم الله وحرم سباع الطير والوحش كلها لاكلها من الجيف ولحوم الناس
والعذرة وما اشبه ذلك فجعل الله عز وجل دلائل ما احل الله من الوحش والطير وما حرم كما قال ابي عليه السلام
كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير حرام وكل ما كانت له قانصة من الطير فحلال وعلة اخرى تفرق بين
ما احل من الطير وحرم قوله عليه السلام كل ما دف ولا تاكل ما صف وحرم الارنب لانها بمنزلة السنور ولها مخالب
كمخالب السنور وسباع الوحش فجرت مجراها مع قذرها في نفسها وما يكون منها من الدم كما يكون من النساء
لانها مسخ وعلة تحريم الربا انما نهى الله عنه لما فيه من فساد الاموال لان الانسان اذا اشترى الدرهم بالدرهمين
كان ثمن الدرهم درهما وثمن الاخر باطلا فبيع الربا وشراؤه وكس على كل حال على المشتري وعلى البائع فحظر الله
تبارك وتعالى الربا لعلة فساد الاموال كما حظر على السفيه ان يدفع اليه ماله لما يتخوف عليه من افساده حتى
يونس منه رشده فلهذه العلة حرم الله الربا وبيع الدرهم بالدرهمين يدا بيد وعلة تحريم الربا بعد البينة
لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرم وهي كبيرة بعد البيان وتحريم الله لها ولم يكن ذلك الا استخفافا بالمحرم
الحرام والاستخفاف بذلك دخول في الكفر وعلة تحريم الربا بالنسية لعلة ذهاب المعروف وتلف الاموال
ورغبة الناس في الربح وتركهم القرض وصنايع المعروف وما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الاموال وحرم
الخنزير لانه مشوه جعله الله عظة للخلق وعبرة وتخويفا ودليلا على ما مسخ على خلقته ولان غذاءه اقذر
الاقذار مع علل كثيرة وكذلك حرم القرد لانه مسخ مثل الخنزير وجعله عظة وعبرة للخلق ودليلا على ما مسخ

على خلقته وصورته وجعل فيه شبها من الانسان ليدل على انه من الخلق المغضوب عليهم وحرمت الميتة لما فيها من
فساد الابدان والافة ولما اراد الله ان يجعل التسمية سببا للتحليل وفرقا بين الحلال والحرام وحرم الله عز وجل
الدم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الابدان لانه يورث الماء الاصفر ويبخر الفم وينتن الريح ويسيء الخلق
ويورث قسوة القلب وقلة الرافة والرحمة حتى لا يؤمن ان يقتل ولده ووالده وصاحبه وحرم الطحال لما فيه
من الدم ولان علته وعلة الدم والميتة واحدة لانه يجري مجراها في الفساد وعلة المهر ووجوبه على
الرجال ولا يجب على النساء ان يعطين ازواجهن لان على الرجل مؤنة المراة لان المراة بايعة نفسها والرجل
مشتري ولا يكون البيع بلا ثمن ولا الشراء بغير اعطاء الثمن مع ان النساء محظورات عن التعامل والمجيء مع علل
كثيرة وعلة تزويج الرجل اربع نسوة وتحريم ان تتزوج المراة اكثر من واحد لان الرجل اذا تزوج اربع
نسوة كان الولد منسوبا اليه والمراة لو كان لها زوجان او اكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو اذ هم مشتركون
في نكاحها وفي ذلك فساد الانساب والمواريث والمعارف وعلة تزويج العبد اثنتين لا اكثر منه لانه نصف
رجل حر في الطلاق والنكاح لا يملك نفسه ولا له مال انما ينفق عليه مولاه وليكون ذلك فرقا بينه وبين الحر
وليكون اقل لاشتغاله عن خدمة مواليه وعلة الطلاق ثلثا لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة الى الثلث لرغبة تحدث
او سكون غضبه ان كان وليكون تخويفا وتاديبا للنساء وزجرا لهن عن معصية ازواجهن واستحقت
المراة الفرقة والمباينة لدخولها فيما لا ينبغي من معصية زوجها وعلة تحريم المراة بعد تسع تطليقات
فلا تحل له ابدا عقوبة لئلا يتلاعب بالطلاق ولا يستضعف المراة وليكون ناظرا في اموره متيقظا معتبرا
وليكون يأسا لهما من الاجتماع بعد تسع تطليقات وعلة طلاق المملوك اثنتين لان طلاق الامة على
النصف فجعله اثنتين احتياطا لكمال الفرايض وكذلك في الفرق في العدة للمتوفى عنها زوجها وعلة
ترك شهادة النساء في الطلاق والهلال لضعفهن عن الرؤية ومحاباتهن النساء في الطلاق ولذلك
لا يجوز شهادتهن الا في موضع ضرورة مثل شهادة القابلة وما لا يجوز للرجال ان ينظروا اليه كضرورة تجويز
شهادة اهل الكتاب اذا لم يوجد غيرهم وفي كتاب الله عز وجل اثنان ذوا عدل منكم مسلمين او آخران من
غيركم كافرين ومثل شهادة الصبيان على القتل اذا لم يوجد غيرهم والعلة في شهادة اربعة في الزنا و
اثنين في ساير الحقوق لشدة حد المحصن لان فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفة مغلظة لما فيه من
قتل نفسه وذهاب نسب ولده ولفساد الميراث وعلة تحليل مال الولد لوالده بغير اذنه وليس ذلك للولد

لان

لان الولد موهوب للوالد في قول الله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور مع انه المأخوذ
بمؤنته صغيرا او كبيرا والمنسوب اليه والمدعو له لقول الله عز وجل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله وقول
النبي صلى الله عليه وآله انت ومالك لابيك وليس للوالدة كذلك لا تأخذ من ماله الا باذنه او
باذن الاب لان الاب ماخوذ بنفقة الولد ولا تؤخذ المراة بنفقة ولدها والعلة في ان البينة في جميع
الحقوق واليمين على المدعى عليه ما خلا الدم لان المدعى عليه جاحد ولا يمكن اقامة البينة على الجحود
(في الهامش: على المدعي صح)
لانه مجهول وصارت البينة في الدم على المدعى عليه واليمين على المدعي لانه حوط يحتاط به المسلمون لئلا
يبطل دم امرئ مسلم وليكون ذلك زاجرا وناهيا للقاتل لشدة اقامة البينة عليه لان من يشهد على
انه لم يفعل قليل واما علة القسامة ان جعلت خمسين رجلا فلما في ذلك من التغليظ والتشديد في
الاحتياط لئلا يهدر دم امرئ مسلم وعلة قطع اليمين من السارق لانه يباشر الاشياء بيمينه وهي افضل
اعضائه وانفعها له فجعل قطعها نكالا وعبرة للخلق لئلا يبتغوا اخذ الاموال من غير حلها ولانه اكثر ما
يباشر السرقة بيمينه وحرم غصب الاموال واخذها من غير حلها لما فيه من انواع الفساد فحرم لما فيه من الفناء و
غير ذلك من وجوه الفساد وحرم السرقة لما فيها من فساد الاموال وقتل الانفس لو كانت مباحة ولما يأتي
في التغاصب من القتل والتنازع والتحاسد وما يدعو الى ترك التجارات والصناعات في المكاسب واقتناء الاموال
اذا كان الشيء المقتنى لا يكون احد احق به من احد وعلة ضرب الزاني على جسده باشد الضرب لمباشرته الزنا
واستلذاذ الجسد كله به فجعل الضرب عقوبة وعبرة لغيره وهو اعظم الجنايات وعلة ضرب القاذف وشارب
الخمر ثمانين جلدة لان في القذف نفي الولد وقطع النسل وذهاب النسب وكذلك شارب الخمر لانه اذا شرب هذى
(في الهامش: النسب)
واذا هذى افترى واذا افترى جلد فوجب عليه حد المفتري وعلة القتل بعد اقامة الحد في الثالثة على
الزاني والزانية لاستخفافهما وقلة مبالاتهما بالضرب حتى كانهما مطلق لهما ذلك الشيء وعلة اخرى ان المستخف
بالله وبالحد كافر فوجب عليه القتل لدخوله في الكفر وعلة تحريم الذكران للذكران والاناث للاناث لما
(في الهامش: ركب في الاناث وما طبع عليه الذكران ولما في اتيان الذكران للذكران والاناث للاناث صح)
انقطاع النسل وفساد التدبير وخراب الدنيا واحل الله تعالى لحوم البقر والغنم والابل لكثرتها وامكان
وجودها وتحليل بقر الوحش وغيرها من اصناف ما يؤكل من الوحش المحللة لان غذاءها غير مكروه ولا
محرم ولا هي مضرة بعضها ببعض ولا مضرة بالانس ولا في خلقها تشويه وكره اكل لحوم البغال والحمير الاهلية
لحاجة الناس الى ظهورها واستعمالها والخوف من قلتها لا لقذر خلقها ولا قذر غذائها وحرم

على خلقته وصورته وجعل فيه شبهاً من الانسان ليدل على انه من الخلق المغضوب عليهم وحرمت الميتة لما فيها من
فساد الابدان والآفة ولما اراد الله ان يجعل التسمية سبباً للتحليل وفرقاً بين الحلال والحرام وحرم الله عز وجل
الدم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الابدان ولانه يورث الماء الاصفر ويبخر الفم وينتن الريح ويسيء الخلق
ويورث قسوة القلب وقلة الرأفة والرحمة حتى لا يؤمن ان يقتل ولده ووالده وصاحبه وحرم الطحال لما فيه
من الدم ولان علته وعلة الدم والميتة واحدة لانه يجري مجراها في الفساد وعلة المهر ووجوبه على
الرجال ولا يجب على النساء ان يعطين ازواجهن لان على الرجل مؤنة المرأة لان المرأة بائعة نفسها والرجل
مشترٍ ولا يكون البيع بلا ثمن ولا الشراء بغير اعطاء الثمن مع ان النساء محظورات عن التعامل والمجيء مع علل
كثيرة وعلة تزويج الرجل اربع نسوة وتحريم ان تتزوج المرأة اكثر من واحد لان الرجل اذا تزوج اربع
نسوة كان الولد منسوباً اليه والمرأة لو كان لها زوجان او اكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو اذ هم مشتركون
في نكاحها وفي ذلك فساد الانساب والمواريث والمعارف وعلة تزويج العبد اثنتين لا اكثر منه لانه نصف
رجل حر في الطلاق والنكاح لا يملك نفسه ولا له مال انما ينفق عليه مولاه وليكون ذلك فرقاً بينه وبين الحر
وليكون اقل لاشتغاله عن خدمة مواليه وعلة الطلاق ثلاثاً لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة الى الثلاث لرغبة تحدث
او سكون غضب ان كان وليكون تخويفاً وتأديباً للنساء وزجراً لهن عن معصية ازواجهن واستحقت
المرأة الفرقة والمباينة لدخولها فيما لا ينبغي من معصية زوجها وعلة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات
فلا تحل له ابداً عقوبة لئلا يتلاعب بالطلاق ولا يستضعف المرأة وليكون ناظراً في اموره متيقظاً معتبراً
وليكون يأساً لهما من الاجتماع بعد تسع تطليقات وعلة طلاق المملوك اثنتين لان طلاق الامة على
النصف فجعله اثنتين احتياطاً لكمال الفرائض وكذلك في الفرق في العدة للمتوفى عنها زوجها وعلة
ترك شهادة النساء في الطلاق والهلال لضعفهن عن الرؤية ومحاباتهن النساء في الطلاق ولذلك
لا يجوز شهادتهن الا في موضع ضرورة مثل شهادة القابلة وما لا يجوز للرجال ان ينظروا اليه كضرورة تجويز
شهادة اهل الكتاب اذا لم يوجد غيرهم وفي كتاب الله عز وجل اثنان ذوا عدل منكم مسلمين او آخران من
غيركم كافرين ومثل شهادة الصبيان على القتل اذا لم يوجد غيرهم والعلة في شهادة اربعة في الزنا و
اثنين في سائر الحقوق لشدة حد المحصن لان فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفة مغلظة لما فيه من
قتل نفسه وذهاب نسب ولده ولفساد الميراث وعلة تحليل مال الولد لوالده بغير اذنه وليس ذلك للولد

لان

لان الولد موهوب للوالد في قول الله عز وجل يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور مع انه المأخوذ
بمؤنته صغيراً او كبيراً والمنسوب اليه والمدعو له لقول الله عز وجل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله وقول
النبي صلى الله عليه وآله انت ومالك لابيك وليس للوالدة كذلك لا تأخذ من ماله الا باذنه او
باذن الاب لان الاب مأخوذ بنفقة الولد ولا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها والعلة في ان البينة في جميع
الحقوق على المدعي واليمين على المدعى عليه ما خلا الدم لان المدعى عليه جاحد ولا يمكن اقامة البينة على الجحود
على المدعي
لانه مجهول فصارت البينة في الدم على المدعى عليه واليمين على المدعي لانه حوط يحتاط به المسلمون لئلا
يبطل دم امرئ مسلم وليكون ذلك زاجراً وناهياً للقاتل لشدة اقامة البينة عليه لان من يشهد على
انه لم يفعل قليل واما علة القسامة ان جعلت خمسين رجلاً فلما في ذلك من التغليظ والتشديد في
الاحتياط لئلا يهدر دم امرئ مسلم وعلة قطع اليمين من السارق لانه يباشر الاشياء بيمينه وهي افضل
اعضائه وانفعها له فجعل قطعها نكالاً وعبرة للخلق لئلا يبتغوا اخذ الاموال من غير حلها ولانه اكثر ما
يباشر السرقة بيمينه وحرم غصب الاموال واخذها من غير حلها لما فيه من انواع الفساد فحرم لما فيه من الفساد
وغير ذلك من وجوه الفساد وحرم السرقة لما فيها من فساد الاموال وقتل الانفس لو كانت مباحة ولما يأتي
في التغاصب من القتل والتنازع والتحاسد وما يدعو الى ترك التجارات والصناعات في المكاسب واقتناء الاموال
اذا كان الشيء المقتنى لا يكون احد احق به من احد وعلة ضرب الزاني على جسده باشد الضرب لمباشرته الزنا
واستلذاذ الجسد كله به فجعل الضرب عقوبة وعبرة لغيره وهو اعظم الجنايات وعلة ضرب القاذف وشارب
النسب
الخمر ثمانين جلدة لان في القذف نفي الولد وقطع النسل وذهاب النسب وكذلك شارب الخمر لانه اذا شرب هذى
واذا هذى افترى واذا افترى جلد فوجب عليه حد المفتري وعلة القتل بعد اقامة الحد في الثالثة على
الزاني والزانية لاستخفافهما وقلة مبالاتهما بالضرب حتى كأنهما مطلق لهما ذلك الشيء وعلة اخرى ان المستخف
لما ركب في الاناث ما طبع عليه الذكران ولما في اتيان الذكران للذكران و الاناث للاناث
صح
بالله وبالحد كافر فوجب عليه القتل لدخوله في الكفر وعلة تحريم الذكران للذكران والاناث للاناث من
انقطاع النسل وفساد التدبير وخراب الدنيا واحل الله تعالى لحوم البقر والغنم والابل لكثرتها وامكان
وجودها وتحليل بقر الوحش وغيرها من اصناف ما يؤكل من الوحش المحللة لان غذاءها غير مكروه ولا
محرم ولا هي مضرة بعضها ببعض ولا مضرة بالانس ولا في خلقها تشويه وكره اكل لحوم البغال والحمير الاهلية
لحاجة الناس الى ظهورها واستعمالها والخوف من فنائها لقلتها لا لقذر خلقها ولا قذر غذائها وحرم

على خلقته وصورته وجعل فيه شبها من الانسان ليدل على انه من الخلق المغضوب عليهم وحرمت الميتة لما فيها من
فساد الابدان والآفة ولما اراد الله ان يجعل التسمية سببا للتحليل وفرقا بين الحلال والحرام وحرم الله عز وجل
الدم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الابدان لانه يورث الماء الاصفر ويبخر الفم وينتن الريح ويسيء الخلق و
ويورث قسوة القلب وقلة الرافة والرحمة حتى لا يؤمن ان يقتل ولده ووالده وصاحبه وحرم الطحال لما فيه
من الدم ولان علته وعلة الدم والميتة واحدة لانه يجري مجراها في الفساد وعلة المهر ووجوبه على
الرجال ولا يجب على النساء ان يعطين ازواجهن لانه على الرجل مؤنة المرأة لان المرأة بايعة نفسها والرجل
مشتري ولا يكون البيع بلا ثمن ولا الشراء بغير اعطاء الثمن مع ان النساء محظورات عن التعامل والمجيء مع علل
كثيرة وعلة تزويج الرجل اربع نسوة وتحريم ان تتزوج المرأة اكثر من واحد لان الرجل اذا تزوج اربع
نسوة كان الولد منسوبا اليه والمرأة لو كان لها زوجان واكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو اذ هم مشتركون
في نكاحها وفي ذلك فساد الانساب والمواريث والمعارف وعلة تزويج العبد اثنتين لا اكثر منه لانه نصف
رجل حر في الطلاق والنكاح لا يملك نفسه ولا له مال انما ينفق عليه مولاه وليكون ذلك فرقا بينه وبين الحر
وليكون اقل لاشتغاله عن خدمة مواليه وعلة الطلاق ثلاثا لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة الى الثلاث لرغبة تحدث
او سكون غضب ان كان وليكون تخويفا وتاديبا للنساء وزجرا لهن عن معصية ازواجهن واستحقت
المرأة الفرقة والمباينة لدخولها فيما لا ينبغي من معصية زوجها وعلة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات
فلا تحل له ابدا عقوبة لئلا يتلاعب بالطلاق ولا يستضعف المرأة وليكون ناظرا في اموره متيقظا معتبرا
وليكون يأسا لهما من الاجتماع بعد تسع تطليقات وعلة طلاق المملوك اثنتين ان طلاق الامة على
النصف فجعله اثنتين احتياطا لكمال الفرائض وكذلك في الفرقة في العدة المتوفى عنها زوجها وعلة
ترك شهادة النساء في الطلاق والهلال لضعفهن عن الرؤية ومحاباتهن النساء في الطلاق ولذلك
لا يجوز شهادتهن الا في موضع ضرورة مثل شهادة القابلة وما لا يجوز للرجال ان ينظروا اليه كضرورة تجويز
شهادة اهل الكتاب اذا لم يوجد غيرهم وفي كتاب الله عز وجل اثنان ذوا عدل منكم مسلمين او آخران من
غيركم كافرين ومثل شهادة الصبيان على القتل اذا لم يوجد غيرهم والعلة في شهادة اربعة في الزنا و
اثنين في سائر الحقوق لشدة حد المحصن لان فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفة مغلظة لما فيه من
قتل نفسه وذهاب نسب ولده ولفساد الميراث وعلة تحليل مال الولد لوالده بغير اذنه وليس ذلك للولد

لان

لان الولد موهوب للوالد في قول الله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور مع انه المأخوذ
بمؤنته صغيرا او كبيرا والمنسوب اليه والمدعو له لقول الله عز وجل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله وقول
النبي صلى الله عليه وآله انت ومالك لابيك وليس للوالدة كذلك لا تأخذ من ماله شيئا الا
باذن الاب لان الاب مأخوذ بنفقته والولد ولا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها والعلة في ان البينة في جميع
الحقوق على المدعي واليمين على المدعى عليه ما خلا الدم لان المدعى عليه جاحد ولا يمكن اقامة البينة على الجحود
ولانه مجهول فصارت البينة في الدم على المدعى عليه واليمين على المدعي لانه حوط يحتاط به المسلمون لئلا
يبطل دم امرئ مسلم وليكون ذلك زاجرا وناهيا للقاتل لشدة اقامة البينة عليه لان من يشهد على
انه لم يفعل قليل واما علة القسامة ان جعلت خمسين رجلا فلما في ذلك من التغليظ والتشديد في
الاحتياط لئلا يهدر دم امرئ مسلم وعلة قطع اليمين من السارق لانه يباشر الاشياء بيمينه وهي افضل
اعضائه وانفعها له فجعل قطعها نكالا وعبرة للخلق لئلا يبتغوا اخذ الاموال من غير حلها ولانه اكثر ما
يباشر السرقة بيمينه وحرم غصب الاموال واخذها من غير حلها لما فيه من انواع الفساد فمحرم لما فيه من الفناء و
غير ذلك من وجوه الفساد وحرم السرقة لما فيها من فساد الاموال وقتل الانفس لو كانت مباحة ولما يأتي
في التغاصب من القتل والتنازع والتحاسد وما يدعو الى ترك التجارات والصناعات في المكاسب واقتناء الاموال
اذا كان الشيء المقتنى لا يكون احد احق به من احد وعلة ضرب الزاني على جسده باشد الضرب لمباشرته الزنا
واستلذاذ الجسد كله به فجعل الضرب عقوبة وعبرة له وهو اعظم الجنايات وعلة ضرب القاذف وشارب
الخمر ثمانين جلدة لان في القذف نفي الولد وقطع النسل وذهاب النسب وكذلك شارب الخمر لانه اذا شرب هذى
واذا هذى افترى واذا افترى جلد فوجب عليه حد المفتري وعلة القتل بعد اقامة الحد في الثالثة على
الزاني والزانية لاستخفافهما وقلة مبالاتهما بالضرب حتى كانهما مطلق لهما ذلك الشيء وعلة اخرى ان المستخف
بالله وبالحد كافر فوجب عليه القتل لدخوله في الكفر وعلة تحريم الذكران للذكران والاناث للاناث من
انقطاع النسل وفساد التدبير وخراب الدنيا واحل الله تعالى لحوم البقر والغنم والابل لكثرتها وامكان
وجودها وتحليل بقر الوحش وغيرها من اصناف ما يؤكل من الوحش المحللة لان غذاءها غير مكروه ولا
محرم ولا هي مضرة بعضها ببعض ولا مضرة بالانس ولا في خلقتها تشويه وكره اكل لحوم البغال والحمير الاهلية
لحاجة الناس الى ظهورها واستعمالها والخوف من قلتها لا لقذر خلقتها ولا قذر غذائها وحرم

على المدعي

النسب

لما ركب في الاناث ما طبع عليه الذكران وعلة
في اتيان الذكران للذكران و
الاناث للاناث

على خلقته وصورته وجعل فيه شبها من الانسان ليدل على انه من الخلق المغضوب عليهم وحرمت الميتة لما فيها من
فساد الابدان والآفة ولما اراد الله ان يجعل التسمية سببا للتحليل وفرقا بين الحلال والحرام وحرم الله عز وجل
الدم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الابدان لانه يورث الماء الاصفر ويبخر الفم وينتن الريح ويسيء الخلق
ويورث قسوة القلب وقلة الرأفة والرحمة حتى لا يؤمن ان يقتل ولده ووالده وصاحبه وحرم الطحال لما فيه
من الدم ولان علته وعلة الدم والميتة واحدة لانه يجري مجراها في الفساد وعلة المهر ووجوبه على
الرجال ولا يجب على النساء ان يعطين ازواجهن لانه على الرجل مؤونة المرأة لان المرأة بايعة نفسها والرجل
مشتري ولا يكون البيع بلا ثمن ولا الشراء بغير اعطاء الثمن مع ان النساء محظورات عن التعامل والمجيء مع علل
كثيرة وعلة تزويج الرجل اربع نسوة وتحريم ان تتزوج المرأة اكثر من واحد لان الرجل اذا تزوج اربع
نسوة كان الولد منسوبا اليه والمرأة لو كان لها زوجان او اكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو اذ هم مشتركون
في نكاحها وفي ذلك فساد الانساب والمواريث والمعارف وعلة تزويج العبد اثنتين لا اكثر منه لانه نصف
رجل حر في الطلاق والنكاح لا يملك نفسه ولا له مال انما ينفق عليه مولاه وليكون ذلك فرقا بينه وبين الحر و
ليكون اقل لاشتغاله عن خدمة مواليه وعلة الطلاق ثلاثا لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة الى الثلاث لرغبة تحدث
او سكون غضبه ان كان وليكون تخويفا وتاديبا للنساء وزجرا لهن عن معصية ازواجهن واستحقت
المرأة الفرقة والمباينة لدخولها فيما لا ينبغي من معصية زوجها وعلة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات
فلا تحل له ابدا عقوبة لئلا يتلاعب بالطلاق ولا يستضعف المرأة وليكون ناظرا في اموره متيقظا معتبرا
وليكون يأسا لهما من الاجتماع بعد تسع تطليقات وعلة طلاق المملوك اثنتين لان طلاق الامة على
النصف فجعله اثنتين احتياطا لكمال الفرائض وكذلك في الفرق في العدة المتوفى عنها زوجها وعلة
ترك شهادة النساء في الطلاق والهلال لضعفهن عن الرؤية ومحاباتهن النساء في الطلاق ولذلك
لا يجوز شهادتهن الا في موضع ضرورة مثل شهادة القابلة وما لا يجوز للرجال ان ينظروا اليه كضرورة تجويز
شهادة اهل الكتاب اذا لم يوجد غيرهم وفي كتاب الله عز وجل اثنان ذوا عدل منكم مسلمين او آخران من
غيركم كافرين ومثل شهادة الصبيان على القتل اذا لم يوجد غيرهم والعلة في شهادة اربعة في الزنا و
اثنين في سائر الحقوق لشدة حد المحصن لان فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفة مغلظة لما فيه من
قتل نفسه وذهاب نسب ولده ولفساد الميراث وعلة تحليل مال الولد لوالده بغير اذنه وليس ذلك للولد

لان الولد موهوب للوالد في قول الله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور مع انه المأخوذ
بمؤونته صغيرا او كبيرا والمنسوب اليه والمدعو له لقول الله عز وجل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله وقول
النبي صلى الله عليه وآله انت ومالك لابيك وليس للوالدة كذلك لا تأخذ من ماله الا باذنه او
باذن الاب لان الاب مأخوذ بنفقته والولد ولا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها والعلة في ان البينة في جميع
الحقوق واليمين على المدعى عليه ما خلا الدم لان المدعى عليه جاحد ولا يمكن اقامة البينة على الجحود
على المدعي
لانه مجهول فصارت البينة في الدم على المدعى عليه واليمين على المدعي لانه حوط يحتاط به المسلمون لئلا
يبطل دم امرئ مسلم وليكون ذلك زاجرا وناهيا للقاتل لشدة اقامة البينة عليه لان من يشهد على
انه لم يفعل قليل واما علة القسامة ان جعلت خمسين رجلا فما في ذلك من التغليظ والتشديد في
الاحتياط لئلا يهدر دم امرئ مسلم وعلة قطع اليمين من السارق لانه يباشر الاشياء بيمينه وهي افضل
اعضائه وانفعها له فجعل قطعها نكالا وعبرة للخلق لئلا يبتغوا اخذ الاموال من غير حلها ولانه اكثر ما
يباشر السرقة بيمينه وحرم غصب الاموال واخذها من غير حلها لما فيه من انواع الفساد فحرم لما فيه من الفناء و
غير ذلك من وجوه الفساد وحرم السرقة لما فيها من فساد الاموال وقتل الانفس لو كانت مباحة ولما يأتي
في التغاصب من القتل والتنازع والتحاسد وما يدعو الى ترك التجارات والصناعات في المكاسب واقتناء الاموال
اذا كان الشيء المقتنى لا يكون احد احق به من احد وعلة ضرب الزاني على جسده باشد الضرب لمباشرته الزنا
واستلذاذ الجسد كله به فجعل الضرب عقوبة وعبرة لغيره وهو اعظم الجنايات وعلة ضرب القاذف وشارب
الخمر ثمانين جلدة لان في القذف نفي الولد وقطع النسل وذهاب النسب وكذلك شارب الخمر لانه اذا شرب هذى
النسب
واذا هذى افترى واذا افترى جلد فوجب عليه حد المفتري وعلة القتل بعد اقامة الحد في الثالثة على
الزاني والزانية لاستخفافهما وقلة مبالاتهما بالضرب حتى كأنهما مطلق لهما ذلك الشيء وعلة اخرى ان المستخف
بالله وبالحد كافر فوجب عليه القتل لدخوله في الكفر وعلة تحريم الذكران للذكران والاناث للاناث من
لما ركب في الاناث ما طبع عليه الذكران وما في اتيان الذكران للذكران والاناث للاناث
انقطاع النسل وفساد التدبير وخراب الدنيا واحل الله تعالى لحوم البقر والغنم والابل لكثرتها وامكان
وجودها وتحليل بقر الوحش وغيرها من اصناف ما يؤكل من الوحش المحللة لان غذاءها غير مكروه ولا
محرم ولا هي مضرة بعضها ببعض ولا مضرة بالانس ولا في خلقها تشويه وكره اكل لحوم البغال والحمير الاهلية
لحاجة الناس الى ظهورها واستعمالها والخوف من قلتها لا لقذر خلقتها ولا قذر غذائها وحرم

النظر الى شعور النساء المحجوبات بالازواج والى غيرهن من النساء لما فيه من تهييج الرجال وما يدعو الى التوسع الى الفساد والدخول فيما لا يحل وكذلك ما اشبه الشعور الا الذي قال الله تعالى والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة اي غير الجلباب فلا باس بالنظر الى شعور مثلهن وعلة اعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث لان المراة اذا تزوجت اخذت والرجل يعطي فلذلك وفر على الرجال وعلة اخرى في اعطاء الذكر مثلي ما تعطى الانثى لان الانثى في عيال الذكر ان احتاجت وعليه ان يعولها وعليه نفقتها وليس على المراة ان تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقته اذا احتاج فوفر الله على الرجال لذلك وذلك قول الله عز وجل الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعلة المراة انها لا ترث من العقار شيئا الا قيمة الطوب والنقض لان العقار لا يمكن تغييره وقلبه والمراة يجوز ان ينقطع ما بينها وبينه من العصمة ويجوز تغييرها وتبديلها وليس الولد والوالد كذلك لانه لا يمكن التفصي منهما والمراة يمكن الاستبدال بها فما يجوز ان يجي ويذهب كان ميراثه فيما يجوز تبديله وتغييره اذ اشبهه وكان الثابت المقيم على حاله لمن كان مثله في الثبات والقيام والاخبار في مصالح احاد ما جاء في الشريعة المطهرة اكثر من ان ينضبط وانما اوردت هذه الاخبار ليكون دليلا وهاديا للمتفكرين في احكام الله ودستور السائر بما شرع الله هذا اخر ما قصدنا ايراده في الفن الاول والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا

الفن الثاني في مواقع التفكر في اسرار الصفات المهلكات من مساوي الاخلاق ومحاسنها والغايات المترتبة على تزكية النفس وتهذيبها من الرذائل والبركات الحاصلة من تحلية النفس وتزيينها بالفضائل والحض على مراعاة العدل والتوسط في الصفات بكل حال والمجاهدة على الانحراف عن طرفي الافراط والتفريط الى حد الاعتدال لكي يستريح المجاهد ويسلم من قرناء السوء وعذاب النيران ويحشر مع النبيين والصديقين في نعيم مقيم ورضوان وليكون باعثا الى ان يتشبه النفس باخلاق الله ولا يكون شيء احب اليه من لقاء الله **وصل** اعلم ان النفس جوهر لطيف شريف ملكوتي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته ... الذي هو ذات الانسان وحقيقته العالم بالمعلومات وله في هذا البدن جنود جسمانية هي الاعضاء وجنود روحانية هي القوى قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال نبينا صلى الله عليه وآله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه

حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقور وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه عند الامر ظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء **وصل** اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتك والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والتحقير والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها مما تزيد مرآة القلب

جلاؤه واشراقه ونوره وضياؤه حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله
اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب
هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب
ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقال الله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع
بالتقوى حيث قال اتقوا الله واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند
ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر
الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا
من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال الباقر عليه السلام ما من عبد الا
وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب العبد خرج في النكتة نكتة سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد
حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فلا يرجع الى خير ابدا وهو قول الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الباقر عليه السلام ان القلوب ثلاثة قلب منكوس
لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر ولا يطفئ
نوره الى يوم القيامة وهو قلب المؤمن وقال الصادق عليه السلام ان القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر ولا ايمان
كالثوب الخلق وقال الامام من فضل قال امير المؤمنين ... على الكبر ما لم يكن اعمالهم ... **وصل** اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة
في النفس يصدر عنها الافعال بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا
سمي الخلق خلقا حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة سمي خلقا سيئا وان جميع الصفات الملكية ... المطاع لحزب الرحمن وجنود
من نور العلم وروح المعرفة والرضا وان جميع الصفات المهلكة الشيطانية ورئيسها المطاع لجنود الشيطان كما هو ظلمة الجهل والغفلة
وما سعد من سعد الا بسبب العلم وتوابعه وما هلك من هلك الا بسبب ظلمة الجهل وتوابعه فكل قلب وقع فيه شيء من نور المعرفة
حمل العقل على تطهيره بالتقوى وتزكيته بالرياضة فاذا صفا القلب عن ظلمات الاخلاق الذميمة يقدح فيه من خزائن الملكوت وموارد الغيب
خواطر الخير فيبتغي العقل التفكر فيما خطر له ليعرف سر الخير ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه
لا بد من فعله ويستحثه عليه ويدعوه الى العمل فينظر الملك الى القلب ويجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا
بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا ومهبطا للملك فعند ذلك يمده ويؤيده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات
اخرى حتى يجر الخير الى الخير ... هذا القلب يشرق فيه نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو

الصدر

الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع
مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بالزخرف من القول غرورا
فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو ما كان فيه قليل من نور اليقين لقلبه ويغلب سلطان
الهوى اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى ينطفئ نور المعرفة ويصير العقل
كالعين التي ملأ الدخان اجفانه فهكذا يفعل غلبة الشهوة بالعقل حتى يعمى وتحركت الجوارح على
وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى هذا القلب
الاشارة بقوله افرأيت من اتخذ الهه هواه الى قوله بل هم اضل سبيلا وبقوله لقد حق القول على
اكثرهم فهم لا يؤمنون الآيات ثم ان الاسرار المودعة تحت الصفات المهلكة ومفاسد الاخلاق
الشيء ومساويها كثيرة فعلينا ان نفصل مجاريها ونذكر فيها في ابواب

الباب الاول في البطن والفرج واللسان

اعلم ان الاخلاق انما ترسخ في النفس بتكرير
الاعمال والاعمال انما تصدر عن القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة تصلح لان يصدر منها الاعمال الحسنة
الجالبة للاخلاق الجميلة وان يصدر منها الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة فلا بد من مراعاة القلب في
الجوارح بصرفها الى الخيرات ومنعها من الشرور واعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن والفرج واللسان
ولذا قال الحبيب الجوع وضيق مجاري الشيطان لا دخلت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان
ان يجبر ذلك بالحرمة تنهمك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا
في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ما من شيء اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة
شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن
وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وبالجملة ففوائد الجوع كثيرة منها صفاء القلب ورقته والاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن التقصير والغفلة
وذكر جوع يوم القيامة وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع ودفع النوم الذي يبطل الطبع ويضيع العمر ويفوت
القيام والتهجد وتيسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بتحصيل الاطعمة والاكل ودفع
الامراض الشاغلة عنها فان المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء ثم اذ قد تبين ان المقصد الاقصى في جميع
الاحوال والاخلاق الوسط وما ذكر في فضائل الجوع ربما يومئ الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات بل

ثم نذكر فيها مجاريها في الصفات المنجية ومكارم الاخلاق ومحاسنها ومعالجتها

لا فضلها الا اضافة الى الطبع للفضلات بالكل حيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر
فيه اصلا ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع والى الاشارة بقوله
تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا والقوام فيه ان لا ياكل طعاما حتى يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه **وصل**
واما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته فيقيس
بها اللذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان الم النار اعظم الالام
الجسد فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فهذه
فائدتها ولكن فيها من الافة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال
فان لها ايضا افراطا وتفريطا وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها و
انقباضها **وصل** واما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم
طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من
موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له
باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم يتناوله و
هذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد
فله في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك
به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على
مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم كما ورد في الحديث النبوي ولا ينجو من شر اللسان الا ان يقيده
بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله واجله
واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق
في الاحتراز عن افاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان
وافاته كثيرة منها الخطأ والكذب والغيبة الغير المأذون فيها وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق
والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان
وايذاء الخلق وهتك العورة وافشاء السر والسخرية والاستهزاء وغير ذلك وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عليه السلام الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين عليه السلام

على

على الرجل المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير
ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله
من الكلام في رضا الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين
رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم ثبت
بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله
واشدها ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه وسئل السجاد عليه السلام عن الكلام والسكوت ايهما افضل
فقال عليه السلام لكل واحد منهما افات فاذا سلما من الافات فالكلام افضل من السكوت قيل وكيف ذلك
يا ابن رسول الله قال لان الله عز وجل ما بعث الانبياء والاوصياء بالسكوت انما بعثهم بالكلام ولا استحقت
الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا تجنب سخط الله
بالسكوت انما ذلك كله بالكلام ما كنت لاعدل القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست
تصف فضل الكلام بالسكوت

الباب الثاني في الغضب والحقد والحسد

اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها لمستكنة
في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين او حمية الجاهلية
والكبر الدفين من قلوب الجبارين التي لها عرق الى الشيطان اللعين حيث قال خلقتني من نار
وخلقته من طين فمن شأن الطين السكون والوقار ومن شأن النار التلظي والاستعار والحركة و
الاضطراب ومن نتائج هذا الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما
مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد والناس في هذه القوة على ثلاث درجات في اول الفطرة من
التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو
الذي يقال فيه انه لا حمية له وهو ناقص جدا ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واحتمال الذل من الاخساء
وصغر النفس والخوف والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد وصف الله خيار الصحابة بالشدة
والحمية فقال اشداء على الكفار وقال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وانما الشدة والغلظة من اثار قوة الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى
تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار و

اعتداله ان يقف على الوسط الحق بين الطرفين وهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد
من السيف وان يكون الحق عن امير المؤمنين عليه السلام قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يغضب
للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له وعلاجه عند هيجانه التفكر فيما
ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه
امنا وايمانا وقال الصادق عليه السلام ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله عزا في الدنيا و
الاخرة واعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الخارج الى الباطن واحتقن فيه فصار
حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم على ذلك ويبقى وهو
من نتائج الغضب كما ان الحسد من نتائج الحقد ومعنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها
منه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس
اورث بحسده لنفسه اللعنة ولادم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقايق العهد والاصطفاء فكن
محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا
ينفع حسد الحاسد وماذا يضر المحسود الحسد واصله من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر
وبالحسد وقع ابن ادم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد
به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج

الباب الثالث في الرياء والعجب والكبر

اعلم ان الرياء بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله ومعناه
طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات واعمال الخير قال الصادق عليه السلام الرياء شجرة لا تثمر الا الشرك
الخفي واصلها النفاق والسر فيه ان العبد اذا قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ به ومن وقف بين
يدي ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك او جارية من
جواريه فانظر ماذا يستحق من النكال لاستهزائه بالملك وكان اذا قصد العباد بالعبادة فقد اعتقد ان
عباد الله اقدر على نفعه وضره من الله تعالى اذ عظم العباد في قلبه دعاه الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله و
كذلك العجب مذموم عند الله وهو اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والامن من زوالها
فان انضاف اليه انه راى لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك ادلالا وان ايوب على نبينا وعليه السلام

قال

خفيف
والحسد

قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة
الاف صوت يا ايوب انى لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه
واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا وافاته كثيرة منها انه يدعو الى الكبر وقد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وشرع الجبابرة تجاهل
الحق وتطعن على اهله وتحقير الناس وتجبر عليهم وتحته انواع من الخبائث عظيمة منها انه منازعة
لله في خصوص صفته اذ الكبرياء رداؤه كما قال ومنها انه يحمل على جحد الحق وازدراء الخلق ومنها انه
يحول بينه وبين جميع الاخلاق المحمودة وعلاجه ان يعرف الانسان نفسه وان اوله نطفة مذرة واخره
جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ويتفكر في فضيلة التواضع في مصباح الشريعة قال
الصادق عليه السلام التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق
لنطق عن حقايق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن
تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع علامات يعرفها اهل السموات من
الملائكة واهل الارض من العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا
بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها
الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته
قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وقد امر الله عز وجل خير خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالتواضع فقال
عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية
والحياء وانهن لا يأتين الا منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله

الباب الرابع في حب الدنيا

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وعن السجاد عليه السلام
الدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة بيان ذلك ان الدنيا والاخرة عبارتان عن حالتين من
احوال القلب والقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى اخرة وهي ما
بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في
حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم وذلك لانها تنقسم الى الدنيا

وتبقى معه بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة في الحقيقة وانما يسمى بالدنيا
باعتبار دنوه فان العالم قد يانس بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والنكاح والمطعم
لذة لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكن اذا ذكرت الدنيا المذمومة لم
نعد هذا منها بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع عنها لكان
ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام
الليل بل نقول ان من جملة العمل الصالح الذي هو من الاخرة التعرض للرزق عن الصادق عليه السلم
قال له رجل والله انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود
بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق بها واحج واعتمر فقال ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب
الاخرة وقال ليس منا من ترك دنياه لاخرته ولا اخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم
فان اباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها وقد مرت الاخبار فيها قبل في طلب الحلال فتذكرها وصل
فظهر مما ذكرنا ان ما هو لله فليس من الدنيا وكل ما ليس لله فهو من الدنيا والدنيا حظ نفسك
العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل هذه الامور الخمسة
سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب فهذه
هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه
اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بها ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة
بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر و
التفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن
وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف
التي الخلق مشغولون بها بحيث نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا
عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها وتتابعت

الاشغال

الاشغال واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا
مقصودها وكل ما ورد في ذم الدنيا يرجع الى هذا وصل قد انكشف لارباب البصائر بنور الايمان
ان لا سعادة في الاخرة الا لمن قدم على الله عارفا به محبا له وان المحبة لا تنال الا بدوام الذكر وان
المعرفة لا تنال الا بدوام الطلب والتفكر ولا يتفرغ لهما الا من اعرض عن اشغال الدنيا ولا يتيسر له تحصيل
المعرفة والحب على القلب الا بتفريغ من جميع غير الله تعالى ففراغ القلب عن غير الله تعالى ضرورة اشتغاله
بحب الله تعالى ومعرفة الله ولن يتصور ذلك الا لمن اعرض عن الدنيا قانعا منها بقدر الزاد والضرورة
فان كنت من اهل البصيرة فقد صرت من اهل الذوق والمشاهدة وان لم تكن كذلك
فكن من اهل التقليد والايمان واعلم ان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء
الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ
خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى
تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها
واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها
حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها
يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون قال بعض الحكماء ما اشبه حال الانسان في
اغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية
الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه
اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزالان يقرضان
ذلك الحبل شيئا فشيئا ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان
ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا قد اقبل على قليل عسل قد تلطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه
واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير
عليه وقد صرف باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل
هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للاعمار والعسل المختلط

بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما
اشد انطباق هذا المثال على الممثل له فنسئل الله الهداية والبصيرة ونعوذ به من الغفلة والغواية
وصل اعلم ان خندق الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاحوال
الخطر فيها واتم محنها واعظم فتنة فيها المال لا غناء عنها فاذا وجدت فلا سلامة منها فان فقدت حصل
منه الفقر الذي كاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبته الا خسرا
وبالجملة فهو لا يخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها
من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين ومثل
المال مثل الحية فيها سم وترياق ففوائدها ترياقها وغوائلها سمومها وترياقها ما لا حد القوت
وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وآفات واعلم ان لا خلاص من تعب الدنيا وغوائلها الا
بالزهد فيها وهو ان لا تريدها بقلبك الا بقدر ضرورة بدنك وهو مقام عال عن الصادق عليه السلام اذا
اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا والآخرة وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي
خير الدنيا والآخرة وقال عليه السلام من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها
لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار السلام وفي مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركك كل
شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة
عليها ولا عوض لها بل ترى فوتها راحة وكونها آفة وتكون ابدا هاربا من الآفة معتصما بالراحة
والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعاقبة
الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة وعنه عليه السلام
قال ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك
اوثق منك بما عند الله وقال امير المؤمنين عليه السلام الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال
الله سبحانه لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي
فقد اخذ الزهد بطرفيه ولعمري انه تمام في معناه ومن ثمرة الزهد السخاء ومن ثمرة الرغبة في الدنيا
البخل فالمال ان كان مفقودا ينبغي ان يكون حال العبد القناعة وان كان موجودا ينبغي ان يكون حاله

السخاء واصطناع المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية على الارض فمن اخذ
منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وحد البخل امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من
حفظ المال شرعا او مروة وعادة وفي مقابلة السخاء والجود والتبذير بذله حيث يكون الامساك
اهم وصل ومن فتن الدنيا حب الجاه واصله انتشار الصيت والاشتهار وهو آفة عظيمة
وحبه مذموم بل المحمود هو الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال
الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا واعلم ان الجاه و
المال ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها في التوصل الى الاغراض والمقاصد
وقضاء الشهوات ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها ليتوصل باستعمال
اربابها في الاغراض والمقاصد ولكن الجاه احب لان التوصل به الى المال ايسر اذ الكمال الحقيقي
الذي يقرب من يتصف به من الله ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ليس الا العلم بالله وصفاته وافعاله
وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به ثم الحرية اعني الخلاص
عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة
ولا يستهويهم الغضب واما المال فمنفعته في الاعانة على معرفة الله وتحصيل الحرية فهما لا يبصر
بالعرض واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية
لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى و
من ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد
بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال كمال فلما اعتقدوا
الكمال في ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي
الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا
للنفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة

[illegible]

الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة
الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال
والجاه كمال وهمي لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة
منها الى الكمال الحقيقي **وصل** ومن فتن الدنيا الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى
ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن
شبهة فاسدة فهو مغرور قال الله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وفرق
المغترين كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يبني المساجد ويزخرفها
من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه
ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره كالذي يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب
ويشتغل بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصورة على الوسواس في النية او تصحيح مخارج
الحروف حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت ثم لا يحضر قلبه في صلوته ويزعم انه اذا اتعب
نفسه في تصحيح النية او الحروف تميز عن العامة بهذا الجهد ومنهم من اغتر بقراءة القران فيهذه
هذا وربما يختمه في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري به وقلبه متردد في اودية الاماني ومنهم من اغتر
بالصوم وربما صام الدهر ولا يحفظ لسانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن
بنفسه الخير ومنهم من اغتر بالحج فيخرج الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد
الحلال ويضيع في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن ويتعرض لمكس الظلمة وذلك
موجب سقوط حجة الاسلام عنه ومنهم من يتقلد امامة مسجد او اذانه ويظن انه على خير ولو امر عزله
او اذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من يأمر بالحسبة وينبي نفسه
فاذا او خيف وطلب الرياسة والعز واذا رد عليه اذا امر منكرا غضب عليه وقال انا المحتسب فكيف ينكر
على واما غرضه الرياسة ومنهم من احكم العلوم الشرعية وتعمق فيها واشتغل بها واهمل تفقد الجوارح و
حفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واهمل تفقد قلبه ليمحو عنه الصفات المذمومة والاخلاق
الردية واغتر بعلمه وظن انه عند الله بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله بل يقبل في الخلق
القلب شفاعته وانه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم من يجتهد بنفسه ويظن انه غفل عن الاخلاق

المذمومة

المذمومة وانه ارفع عند الله من ان يبتليه بها وانما يبتلى بها العوام ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة
وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله
وارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او في من رد عليه شيئا من كلامه لم يظن
بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد المبطل في عداوته وظلمه ثم لو طعن في
غيره من اهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الان بل ربما يفرح به واذا خطر له خاطر الرياء قال
هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب
الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه
صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان وربما يذكر هذا فلا يخليه الشيطان ايضا
بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول
الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على سريرته ومنهم من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء
والرد على المخالفين واعتقد انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم
وما يسمونه ادلة عقائدهم وظن انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد
مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعا كل فرقة منهم الى نفسه وفي الحديث النبوي ما ضل قوم بعد هدى
الا اوتوا الجدل وحرموا العمل ومنهم من اشتغل بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس
وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر ونظائرها وظن بنفسه اذا تكلم بهذه
الصفات ودعا الخلق اليها صار موصوفا بها وهو منفك عنها عند الله الا عن قدر يسير
لا ينفك عنه عوام المسلمين والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة
ولا يقنعون منها بالتزويق ومنهم من ظن ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء
فيصنعون الحيل في دفع الحقوق واسقاط وميلا الى الالفاظ واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وذلك
مثل قولهم بان المرأة مهما ابرأت الزوج من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله وذلك
خطا بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ
الزوج لتتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا و
طيبة النفس ان تسمح بالابراء لا عن ضرورة تقابله وكذلك لو طلب من انسان مالا على ملأ من

ثم طيبة القلب انه قد يريد ما لا تطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة ويطلبه لكن يكره بما فيه طلب الفتوح

الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن
خاف مذمة الناس والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن
وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر
سعايته فهو حرام عليه ومن المغترين قوم يسموا باهل الذكر والتصوف يدعون البراءة من التصنع
والتكلف يلبسون خرقا ويجلسون حلقا يخترعون الاذكار ويتغنون بالاشعار يعلون بالتهليل
وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ابتدعوا شهيقا ونهيقا واخترعوا رقصا وتصفيقا قد خاضوا الفتن
واخذوا بالبدع دون السنن دعوا اصواتهم بالنداء وصاحوا الصيحة الشنعاء ومنهم من يدعي
علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاوزة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود ولا يعرف من هذه الامور
الا الاسماء ولكنه تلقف من الطامات كلمات يرددها على الاغبياء وكانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن
السماء ينظر الى اصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العباد انهم اجراء متعبون وفي
العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبي مقرب لا علما احكم
ولا عملا هذب ياتي اليه الرعاع الهمج من كل فج اكثر من اتيانهم مكة للحج يزدحم عليه الجمع ويلقون اليه
السمع وربما يخرون له سجودا كانهم اتخذوه معبودا يقبلون يديه ويتهافتون على قدميه باذن لهم
في الشهوات ويرخص لهم في الشبهات ياكل وياكلون كما تاكل الانعام ولا يبالون من حلال اصابوا
ام من حرام وهو يحلل لهم هاضم ولكنه واياهم حاطب ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون واما ارباب الاموال ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد
والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة باموال اكتسبوها من غير حلها ويكتبون
اسماءهم بالاحجار عليها ليخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك
وانهم مخلصون فيه ولو كلف احد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه
لشق عليه ولم يسمح به نفسه والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه يريد وجه الناس لا وجه
الله لما افتقر الى ذلك وربما يكون في جواره احد او في بلده فقير وصرف المال اليه اهم من الصرف الى
المساجد وزينتها ومنهم من ينفق الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلب به المحافل
الجامعة والفقراء الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر ويرى اخفاء الفقير

لما خذ

لما اخذ منه جناية عليه وكفرانا ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي لا
يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح
نفسه الا باداء الزكوة فقط ثم يخرجها من المال الخبيث الردي الذي يرغب عنه ويطلب من الفقراء
من يخدمه ويتردد في حاجاته ويظن انه اداها لله ومجاري الفكر في اصناف الغرور لا تحصى
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام المغرور في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه
باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك ان لعلك
تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بجمالك ومنيتك
واصابتك ما مولك وهواك وظننت انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق
من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على
العبادة متكلفا والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات ما
في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت
تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها في الحقيقة واعلم انك لن
تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك
من حيث لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت
راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيامة الى هاهنا
انتهى ما اردنا ايراده من مهلكات القوى ومجاري الفكر في مساوي الاخلاق ومفاسدها ولنأتي
بعد ذلك بالمجاري في مكارم الاخلاق ومحاسنها فنقول

الباب الخامس في الصبر

وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى في فعل الشاق كالعبادة والمكروه كالمصيبة
مطلقا وضده الجزع والهلع وهو الاسترسال في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب
وعن شهوة البطن والفرج عفة وضده الشره وفي الغنى ضبط النفس عن الاسترسال والانهماك
في ملاذ الدنيا وضده البطر وفي الحرب شجاعة وضده الجبن وفي كظم الغيظ حلم وضده الغضب
وفي النوائب سعة الصدر وضده ضيق الصدر والضجر والتبرم وفي اخفاء الاسرار كتمان وضده
الاذاعة وفي فضول العيش زهد وضده الحرص وهذا الثبات انما يكون بقوة المعرفة

التي تنتج ايمانا وهو اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الله وقد وعد الله الصابرين بانه معهم
فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصبر
ثلثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن
عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر على
الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ومن صبر
عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء و
الجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة والصبر يدعيه كل احد وما يثبت عنده الا المخبتون والجزع
ينكره كل احد وهو ابين على المنافقين لان نزول المحنة والمصيبة يخبر عن الصادق والكاذب و
تفسير الصبر ما يستمر مذاقه وما كان عن اضطراب لا يسمى صبرا وتفسير الجزع اضطراب القلب وتحزن
الشخص وتغير اللون وتغير الحال وكل نازلة خلت اوائلها عن الاخبات والانابة والتضرع الى الله فصاحبها
جزوع غير صابر والصبر ما اوله مر وآخره حلو لقوم ولقوم مر اوله وآخره فمن دخله من اواخره فقد
دخل ومن دخله من اوائله فقد خرج ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عما منه الصبر قال الله عز وجل في
قصة موسى والخضر عليهما السلام وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فمن صبر كرها ولم يشك الى الخلق ولم يجزع
بهتك ستره فهو من العام ونصيبه ما قال الله عز وجل وبشر الصابرين اي بالجنة والمغفرة ومن استقبل
البلاء بالرحب وصبر على سكينة ووقار فهو من الخاص ونصيبه ما قال الله عز وجل ان الله مع الصابرين

الباب السادس في الرضا والشكر

اما الرضا فهو ترك الاعتراض والسخط قال
الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سأل طائفة من اصحابه ما انتم
فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء
فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفائدته
في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المآل رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال
سبحانه من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سوائي وفي مصباح الشريعة قال الصادق

عليه السلام

عليه السلام صفة الرضا ان يرضى المحبوب والمكروه والرضا شعاع نور المعرفة والراضي فان عن جميع اختياره
والراضي حقيقة هو المرضي عنه والرضا اسم يجتمع فيه معاني العبودية وتفسير الرضا سرور القلب سمعت ابي
محمد الباقر عليه السلام يقول تعلق القلب بالموجود شرك وبالمفقود كفر وهما خارجان من سنة الرضا
واعجب ممن يدعي العبودية لله كيف ينازعه في مقدوراته حاشا الراضين العارفين عن ذلك ثم اعلم
ان من قال ليس فيما خالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتي من باب
انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور المحبة لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال
الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به
ويصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد يصيبه جراحة
وهو لا يحس بها فاذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه
شوكة في قدمه ولا يحس بالمها لشغل قلبه وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى
به لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه
ما كان يتألم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا
اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به
جمال فمن يكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحس بما يجري عليه واما
الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله
ان كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض
به وراغب فيه ومتقلد منه المنة فهذه حالة الراضي بما يجري عليه من الالم ومهما اصابته بلية من
الله عز وجل وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه و
شكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث
يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده
ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم
ونثرهم وقد روينا ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف
الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في

القرآن فما سوا المبلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جمال وجه ما احسن بذلك
وروي ان عيسى على نبينا وعليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام
وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء تراه مصروفا
عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال اصدقت هات
يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى و
تعبد معه **فصل** واما الشكر فهو من المقامات العالية لانه مقصود في نفسه فلذلك لا ينقطع
في الجنة قال تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وحقيقته عرفان النعمة من المنعم والفرح به و
العمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد لله واستعمال النعمة في طاعته اما المعرفة فبان تعرف ان النعم
كلها من الله وانه هو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وانما الذي انعم عليك هو الذي يجزم لك الفوي في
قلوبهم من الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين الى الايصال اليك فمن عرف ذلك فكانت
معرفته شكرا لله وهذا هو الشكر بالقلب واما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو ايضا
في نفسه شكر على حدة كما ان المعرفة شكر فان كان فرحك بالمنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالانعام ومن
حيث انه تقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره فهو الرتبة العليا في الشكر و

فهو صح

امارته ان لا تفرح بالدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويعين عليها وتحزن بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله
وتصدك عن سبيله وهذا ايضا شكر بالقلب واما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم
فهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق بالقلب وباللسان والجوارح اما بالقلب فقصد
الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميد الدال عليه واما بالجوارح
فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان من شكر العينين ان تستعملها
في مطالعة كتاب الله وكتب العلم ومطالعة السموات والارض لتعتبر بها وتغض عن كل عورة وان تستر كل
عيب تراه بمسلم ومن شكر الاذنين ان تستعملهما في سماع الذكر وما ينفع في الاخرة وان تستر كل
عيب تسمعه لمسلم فيدخل هذا وامثاله في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء بل نقول ومن كفر نعمة العينين
فقد كفر نعمة الشمس ايضا اذ الابصار انما يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي
بهما ما يضره فيهما بل نقول المراد من خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق

بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بالمحبة والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام
الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا ببقاء البدن و
لا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق الارض والسماء وخلق سائر الاعضاء
وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فكل
من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك
المعصية قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وعن الصادق عليه السلام شكر النعم اجتناب
المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين وعنه عليه السلام قال كان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة واذا ورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله
على كل حال وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام في كل نفس من انفاسك شكر لازم لك
بل الف او اكثر وادنى الشكر رؤية النعمة من غير علة يتعلق القلب بها دون الله والرضا بما اعطى وان لا تعصيه
بنعمته وتخالفه بشيء من امره ونهيه بسبب نعمته وكن لله عبدا شاكرا على كل حال ولو كان عند الله
عبادة يتعبد بها عباده المخلصين افضل من الشكر على كل حال لاطلق لفظة فيهم من جميع الخلق
بها فلما لم يكن افضل منها خصها من بين العبادات وخص اربابها فقال وقليل من عبادي
الشكور وتمام الشكر اعتراف لسان السر خاضعا لله تعالى بالعجز عن بلوغ ادنى شكره لان التوفيق للشكر
نعمة حادثة يجب الشكر عليها وهي اعظم قدرا واعز وجودا من النعمة التي من اجلها وفقت له
فيلزمك على كل شكر شكر اعظم منه الى ما لا نهاية له مستغرقا في نعمه قاصرا عاجزا عن درك
غاية شكره واني يلحق شكر العبد نعمة الله ومتى يلحق صنيعه بصنيعه والعبد ضعيف لا قوة له
ابدا الا بالله والله غني عن طاعة العبد قوي على مزيد النعم على الابد فكن لله عبدا شاكرا على
هذا الاصل ترى العجب **فصل** الطريق الى تحصيل الشكر المعرفة والتفكر في صنايعه تعالى والنظر
الى الادون في الدنيا والى الاعلى في الدين وشكره في المصايب على ان لا يصيبه اكبر منها وان لا يكون في
الدين وانه تعجل عقوبته ولا تتاخر للاخرة وانها كانت مكتوبة فوقع منها وان ثوابها خير له وانها تنقص من
القلب حب الدنيا ونعم في التحقيق اذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة او رياضة النفس او رفع الدرجة ومع ذلك
كله فالعافية خير من البلاء نعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل

علة صح

تجد الله ربا كريما على كل حال صح

من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فان عافية القلب اعلى من
عافية البدن ولعل انه لا يتمكن من كمال الشكر الا من شرح الله صدره حتى يطلع على نوع من سر الله في كل شيء
حكمته وسر محبوب الله فيه وشرح حكمة الله في جميع خلقه مما يطول ويكفيك ههنا مثال واحد وهو
ان الله خلق الدرهم والدينار ليتم بهما [margin: قوام م] الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق
اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد
يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه فخلقهما الله سبحانه حاكمين في الامور كلها يقدر بهما الاموال
ويعدل بهما القيم ويتوسل بهما الى سائر الاشياء ولولاهما لتعذرت المعاملات اذ لا يدرى كيف
يشترى الثياب بالزعفران والدواب بالاطعمة فانه لا مناسبة بينهما وانما يشتركان في روح المالية
ومعيار مقدار رواجهما هو النقد فمن كنزهما كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت
الاحكام ومن اتخذ منهما انية كان كمن يستعمل حاكما من حكام المسلمين في الحياكة والفلاحة التي
يقدر عليها كل احد حتى يتعطل الحكم وذلك اشد من الحبس ومن اربى فيهما فجعلهما مقصد تجارة
بالمصارفة بين جنسيهما ونوعيهما كان كمن شغل الحاكم عن الحكم واتخذه سخرة لنفسه ليحتطب له ويحتش
ويكتسب القوت وكل ذلك ظلم وتغيير لحكمة الله في خلقه وعباده وعاداته في تجاير ومن لا ينكشف له
بنور البصيرة هذه الاسرار عرف على لسان الشرع صورته دون معناه وقيل له والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقيل من شرب من اناء من ذهب او فضة فكانما يجرجر
في بطنه نار جهنم وقال الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من
المس فالصالحون يقفون على الحدود ولا يعرفون اسرارها والعارفون اذا اطلعوا على الاسرار بانفسهم
وشاهدوا شواهد الشرع ازدادوا انوارا على نور والعميان الجاهلون يجترئون الوقوف على
الحدود والعثور على الاسرار جميعا فلا هم كمتبعي الانبياء ولا كالاحرار الكرام وهم الذين قال الله تعالى
فيهم لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون ولكن حق القول مني لاملان جهنم وقال افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
الى قوله اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى واية الله سبحانه حكمته في خلقه وقد القي الى
الخلق على لسان الانبياء عليهم السلام كما فصله جملة الشريعة من اولها الى اخرها وما من حد من حدود

الشرع

الشرع الا وفيه سر وخاصية وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها

الباب السابع في الخوف والرجاء

اما الرجاء فهو ارتياح القلب لانتظار محبوب فان حصل
اكثر اسبابه فالاسم الصادق عليه اسم الرجاء كمن توقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا في ارض صالحة يصلها الماء
وان فقد فالغرور والحماقة كالذي القى في غير صالحة لا يصلها الماء وان شك فيها فالتمني كما اذا صلحت
الارض ولا ماء وذلك لان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات
جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا
المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع
ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في
ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فاذن اسم الرجاء انما يصدق
على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره
وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان بماء الطاعات وطهر القلب
من شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة
كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام
اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل
الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال الله تعالى ان
الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال عز وجل
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا

وصل

واما الخوف فهو عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وبحسب تظاهر اسباب
المكروه يكون قوة الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف والخوف من الله
تارة يكون لمعرفة الله ومعرفة صفاته وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون
بهما جميعا وبحسب معرفته بجلال الله وتعاليه واستغنائه وبعيوب نفسه وجناياته يكون قوة خوفه فاخوف
الناس اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انا اخوفكم لله وقال الله سبحانه
انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح و

على الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والبكاء واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها
بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من
يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه واما في
الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها
عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول
والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر
عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات
ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات ويكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره
هذا حال من غلب الخوف واستولى عليه واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع من المحظورات
ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم ويسمى ذلك
تقوى وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه
التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف
الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق
التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة
فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام واعلم ان فضيلة الشيء بقدر اعانته على السعادة ولا سعادة
كسعادة لقاء الله ولا وصول اليها الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصيل المحبة الا بالمعرفة ولا
تحصيل المعرفة الا بدوام الفكر ولا تحصيل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر
الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك
المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا ينقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المنقمع للشهوات
فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك
بحسب اختلاف درجات الخوف **وصل** اعلم ان الرجاء محمود الى حد فان جاوز الى الامن فهو خسر
ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وكذا الخوف محمود الى حد فان جاوز الى القنوط فهو ضلال
ومن يقنط من رحمة ربه الا القوم الضالون والى الياس فهو كفر انه لا ييأس من روح الله الا القوم

الكافرون والاصلح ان يعتدلا عن الباقر عليه السلام ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء
لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن لم يزد على هذا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الخوف
رقيب القلب والرجاء شفيع النفس ومن كان بالله عارفا كان من الله خائفا واليه راجيا وهما جناحا الايمان
يطير بهما العبد المحقق الى رضوان الله وعينا عقله يبصر بهما الى وعد الله ووعيده والخوف طالع عدل الله باتقاء
وعيده والرجاء داعي فضل الله وهو يحيي القلب والخوف يميت النفس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن
بين خوفين خوف ما مضى وخوف ما بقي وبموت النفس يكون حيوة القلب وبحيوة القلب البلوغ الى الاستقامة
ومن عبد الله على ميزان الخوف والرجاء لا يضل ويصل الى مأموله وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم بما
يختم صحيفته ولا له عمل يتوسل به استحقاقا ولا قدرة له على شيء ولا مفر وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز
وهو غريق في بحر الاء الله ونعمائه من حيث لا يحصى ولا يعد والمحب يعبد ربه على الرجاء بمشاهدة احواله
بعين سهر والزاهد يعبد ربه على الخوف ثم اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد
الى الله احبهم اليه والحب يغلب بالرجاء ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن ترغيبا لا سيما وقت الموت عن
الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى لا يتكل العاملون على اعمالهم
التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم
كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن
برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم
رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت

الباب الثامن في المحبة والانس

اعلم ان المحبة هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من
الدرجات فما بعدها مقام الا وهو ثمرة من ثمراتها كالشوق والانس ولا قبلها مقام الا وهو مقدمة
من مقدماتها كالصبر والزهد وسائر المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها
فاما محبة الله عز وجل فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض اهل العلم امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة
على طاعة الله عز وجل واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق
ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب ثم ابعد مما في القرآن والحديث وحكايات المحبين ما هو ناص
على ثبوت حقيقة المحبة ولوازمها لله من غير قبول للتاويل قال الله سبحانه يحبهم ويحبونه وقال والذين

اشد حباً لله وقال ﴿قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
يأتي الله بامره﴾ وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما وقال في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك
احب الي من الماء البارد وقال امير المؤمنين عليه السلام في بعض ادعيته فهبني يا الهي وسيدي ومولاي
وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك وقال ابنه الحسين سيد الشهداء عليه السلام في دعاء
يوم عرفة يا من اذاق احباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة
الى السجاد عليه السلام وعزتك لقد احببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها وانست نفسي ببشارتها ومحال
في عدل اقضيتك ان تسد اسباب رحمتك عن معتقدي محبتك الى غير ذلك من امثال هذه وهي اكثر
من ان تحصى **وصل** كل محب اما ان يحب نفسه او يحب غيره ومحبة الغير اما لحسنه وجماله او لاحسانه او
كماله او لمجانسة بينه وبين المحب اما محبة النفس فهي اشد واقوى لان المحبة انما تكون بقدر الملائمة والمعرفة
ولا شيء اشد ملائمة لاحد من نفسه ولا هو لشيء اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعل معرفة نفسه مفتاحاً
لمعرفة ربه ووجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له فمحبة نفسه ترجع الى محبة ربه وان لم يشعر المحب به واما
محبة الغير لحسنه وجماله او لقربه من الله وكماله فذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء الجمال الظاهر الصوري
او الباطن المعنوي وكذا الكمال والله هو الجميل لذاته والكامل بذاته وكل مليح حسنه من جماله وكل
كامل فكماله فرع كماله فما احب احد غير خالقه ولكنه محتجب عنه تحت وجوه الاحجاب واستار الاسباب
وكذا الكلام في محبة الغير للاحسان فان الاحسان ايضاً محبوب لذاته سواء كان متعدياً الى المحب ام
لا ولا احسان الا من الله ولا محسن سوى الله جل شأنه فانه خالق الاحسان وذويه وجاعل اسبابه
ودواعيه وكل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن فعاله وقطرة من بحار كماله وافضاله
واما محبة الغير للمجانسة فهو لان الجنس يميل الى الجنس سواء كانت المجانسة ظاهرة كميل الصبي
الى الصبي لصباه او معنوية كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال او طمع في جاه او مال فان
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذه المحبة فرع لمحبة النفس فترجع
الى محبة الله كما عرفت فعلى كل وجه ما يتعلق المحبة الا بالله الا انه لا يعرف ذلك الا اولياؤه واحباؤه

كما اشار اليه سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة بقوله وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى
لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع
عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون
وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون **وصل** اعلم ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر
الى وجهه الكريم ولا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة وذلك لان اللذات
تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها
مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام
وغريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء وهكذا
سائر الغرائز وفي القلب غريزة تسمى بالبصيرة الباطنة وقد يسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقائق
الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم والعلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك
يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب
بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك ولا لذة العلم بالنحو و
الشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم
وشرف العلم بقدر شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم
فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل
من خالق الاشياء كلها ومكملها ومربيها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها فينبغي ان يعلم ان
لذة المعرفة بالله اقوى من سائر اللذات لمن له غريزة المعرفة ثم من عرف الله عرف ان اللذات المقرونة
بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قيل كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ
رأتك العين اهوائي ❊ فصار يحسدني من كنت احسده ❊ فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي ❊ تركت
للناس دنياهم ودينهم ❊ شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي **وصل** كمال المحبة ان يحب الله بكل قلبه وما دام
يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله الا ان
يكون التفاته الى الغير من حيث انه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر اسماء الله والى هذا التفريد

والتجريد للاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وذلك انما يكون بعد الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح
اتضاحا ما والتشوف لما بقي من المطلوب بعد التحصيل فان الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم
يدرك من وجه وهو انما يكون بعد الامرين ولا نهاية له لان الانفتاح فيما حصل لا نهاية لدرجاته وكذا
الازدياد فيما بقي من جمال الله وجلاله لا ساحل له بل مع حصول اصل الوصال يجد ايضا شوقا لذيذا
لا يظهر فيه الم فالشوق لا يسكن قط ولا سيما من يرى فوق درجات كثيرة يسعى نورهم بين ايديهم و
بايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام المشتاق لا يشتهي
طعاما ولا يلتذ بشرابا ولا يستطيب رقادا ولا يأنس حميما ولا يأوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا ولا
يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا راجيا بان يصل الى ما اشتاق اليه ويناجيه بلسان شوقه معبرا
عما في سريرته كما اخبر الله عن موسى بن عمران في ميعاد ربه بقوله وعجلت اليك رب لترضى وفسر النبي صلى
الله عليه وآله وسلم عن حاله انه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه ومجيئه اربعين
يوما شوقا الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا وودع المالوفات و
احرم عن سوى معشوقك ولب بين حيوتك وموتك لبيك اللهم لبيك واعظم الله اجرك ومثل
المشتاق مثل الغريق ليس له همة الا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه واعلم ان محبة الله ابدا في عرض المزيد
قال بعض الحكماء ان كل محب لشيء من الاشياء مشتاق اليه ما لم يجده فانه متى وصل اليه ونال ما هواه
وبلغ حاجته من الاستمتاع به والتلذذ بقربه فانه لا بد ان يفارقه ويمله او يتغير عليه وتذهب تلك
الحلاوة ويتلاشى تلك البشاشة ويذهب ذلك الاشتياق والهيمان الا المحبين لله عز وجل من
المؤمنين والمشتاقين اليه من عباده المخلصين فان لهم كل يوم من محبوبهم قربة ومزيدا ليس له نهاية ولا
غاية والى المحبين لسواه اشار بقوله عز وجل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا
ثم عطف نحو محبيه فقال ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب يعني عند المحبة وصل
اعلم ان الانسان اذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن
الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج
شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل
من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد

استبشر

استبشر القلب بما يلاحظ فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم
المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه الاحوال
تابعة لهذه الملاحظات فان غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال
عظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه الانس بالله لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة وذلك لان الانس
بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة يكون اثقل الاشياء على القلب كما روي
ان موسى على نبينا وعليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الخلق الا اخذه الغشيان
لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلوب عذوبة ما سواه فان خالط
الناس كان كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة
وغائب في حضور ومخالط بالجسد منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر قال امير المؤمنين
عليه السلام في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره
المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام حب الله
اذا اضاء على سر عبد اخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله عنده ظلمة والمحب اخلص الناس سرا
لله واصدقهم قولا واوفاهم عهدا وازكاهم عملا واصفاهم ذكرا واعبدهم نفسا يتباهى الملائكة
عند مناجاته ويفتخر برؤيته وبه يعمر الله تعالى بلاده وبكرامته يكرم الله عباده يعطيهم اذا سألوه بحقه
ويدفع عنهم البلايا برحمته فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا الى الله الا بتراب
قدميه قال امير المؤمنين عليه السلام حب الله نار لا تمر على شيء الا احترق ونور الله لا يطلع على شيء
الا اضاء وسحاب الله ما ظهر من تحته شيء الا غطاه وريح الله ما تهب في شيء الا حركته وماء الله يحيي به
كل شيء وارض الله ينبت منها كل شيء فمن احب الله اعطاه كل شيء من الملك والملك

الباب التاسع في اليقين والتوكل

قال الله تعالى وبالآخرة هم يوقنون وقال النبي صلى الله عليه وآله
من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام
الليل وقال الحا قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال
ما من احد الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب

ذنبا تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وعن الصادق عليه السلام ليس شيء
الا وله حد قيل فما حد التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله شيئا واعلم ان
اليقين ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط
كلها مسخرة لا حكم لها ثم الثقة بضمان الله سبحانه للرزق وان ما قدر له سيسوقه اليه ثم ان يغلب
على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم المعرفة بان الله مطلع عليه
في كل حال ومشاهد لهواجس ضميره وخفايا خواطره فيكون متادبا في جميع احواله واعماله مع الله
سبحانه فيكون سعيه في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من سعيه في تزيين
ظاهره لسائر الناس وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اليقين يوصل العبد الى كل
حال سني ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عظم شان اليقين
حين ذكر عنده ان عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء فدل بهذا
ان الانبياء مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة اليقين
على الابد والمؤمنون ايضا متفاوتون في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري
من الحول والقوة الا بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا قد استوت عنده حالتا
العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل لانه يرى كلها من عين واحدة
ومن ضعف يقينه تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات واقاويل الناس بغير
حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله وان العبد
لا يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله تعالى يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وانما عطف الله لعباده حيث اذن لهم في الكسب و
الحركات في باب العيش ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا فرائضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم ولا
يعدلوا عن محجة التوكل ولا يقفوا في ميدان الحرص واما اذا ابوا ذلك وارتبطوا بخلاف ما حد لهم
كانوا من الهالكين الذين ليس معهم في الحاصل الا الدعاوي الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلا فلا
يستجلب من كسبه الى نفسه الا حراما وشبهة وعلامته ان يؤثر ما يحصل من كسبه ويجوع وينفق في سبيل
الدين ولا يمسك والماذون بالكسب من كان بنفسه مكتسبا وبقلبه متوكلا وان كثر المال عنده

قام

قام كالامين عالما بان كون ذلك وفوته سواء وان امسك امسك لله وان انفق انفق فيما امره الله
عز وجل ويكون منعه وعطاؤه في الله **وصل** التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات
الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث
العمل ووجه غموضه من حيث العلم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل
عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب انغماس في غمرة الجهل قال الله
ان الله يحب المتوكلين فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فان المحبوب
لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك
للتوكل وهو المكذب بهذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يكون اغنى
الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده وعن الصادق عليه السلام اوحى الله الى داود ما اعتصم
بي عبد من عبادي دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والارض ومن فيهن
الا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته
الا قطعت اسباب السموات من يديه واسخت الارض من تحته ولم ابال باي واد هلك وعنه عليه السلام
ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا وعنه عليه السلام انه قرا في بعض الكتب
ان الله يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل مؤمل غيري
باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه من وصلي ايؤمل
غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح
الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوائبه فقطعته دونها و
من ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا
بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي
فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري افيراني ابدا بالعطاء
قبل المسألة ثم اسال فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو
والرحمة بيدي اوليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري
فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص

امله

من ملكه مثل عصفور ذرة وكيف ينقص ملكا انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني
ولم يراقبني وليعلم ان من اعتقد جازما بانه لا فاعل الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله وان له تمام العلم و
القدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وانه ليس وراء منتهى
قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل لا محالة قلبه على الله وحده
ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه ومن لم يجد هذه الحالة من نفسه فسببه احد امرين اما ضعف اليقين
واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه **فصل**
ان من الناس من يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على
الارض كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع فان الانسان مكلف
بطلب الرزق بالاسباب التي هداه الله اليها من زراعة او تجارة او صناعة او غير ذلك مما احله الله
وكما ان الصلوة والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها اليه كذلك طلب الرزق
الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا اليه بل هو افضل العبادات كما مر بيانه ولكنه سبحانه كلفهم ايضا
بان لا يثقوا الا به جل وعز ولا يثقوا بالاسباب كما انه سبحانه كلفهم بان لا يتكلوا على اعمالهم الخيرة
بل بفضل الله تعالى فمعنى التوكل المامور به في الشرع الاقدس هو اعتماد القلب على الله في الامور
كلها وانقطاعه عما سواه ولا ينافيه تحصيل الاسباب اذا لم يكن يسكن اليها وكان سكونه الى الله
تعالى دونها مجوزا ان يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الاسباب التي حصلها وان
يقطع هذه الاسباب عن مسبباتها قال الصادق عليه السلام ابى الله ان يجري الاشياء
الا بالاسباب وروي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسأل
احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني
برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل
الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب
واوجس في نفسه ذلك فاوحى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق
عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي وفي الاسرائيليات ان موسى عليه السلام
اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرأت فقال لا اتداوى

حتى يعافيني الله من غير دواء فطالت علته فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما
ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه
اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع الاشياء غيري

الباب العاشر في الصدق واداء الامانة

ادنى الصدق الصدق في القول في كل حال وكماله
بترك المعاريض من غير ضرورة حذرا عن تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ومراتبه مع الله
تعالى فمن قال وجهت وجهي وفي قلبه سواه او اياك نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم في
النية بتمحيضها لله تعالى فالمشوب يفوت به اسم الصادق للحلاوة اي محضها فالصادق في النية لا بد ان
يكون مخلصا ثم في العزم وهو الجزم القوي على الخير فان الانسان قد يقدم العزم على العمل
يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة ثم في الوفا بالعزم فالنفس
قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت
الشهوات انحلت العزيمة وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله سبحانه رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ثم في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا
يتصف هو به لا بان يترك العمل ولكن بان يجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا غير الريا لان
المرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد
مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن نظر اليه راه قائما بين يدي الله عز وجل و
هو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته ثم في مقامات الدين وهو اعلى الدرجات
واعزها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والحب والتوكل وساير المكارم فان هذه
الامور لها مبادي يطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من نال
حقيقتها والتقرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله الا وهو خايف من الله خوفا ينطلق عليه
الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق
في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرايصه وتتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه ويتقسم
عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وتراه لا يخاف النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام
طالبها والتحقق بهذه الامور عزيز جدا ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله اما ضعيف واما

معصية
ولا يظهر عليه شي من ذلك عند جريان
عليه ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وآله لم ار مثل
النار

قوي ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان
صادقا في الجميع فهو الصديق حقا في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا اردت
ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر في قصد معناك وغور دعواك وعيرهما بقسطاس من الله
عز وجل كانك في القيمة قال الله عز وجل والوزن يومئذ الحق فاذا اعتدل معناك بدعواك
ثبت لك الصدق وادنى حد الصدق ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ومثل
الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه ان لم ينزع فماذا يصنع وعن النبي صلى الله عليه وآله
الامانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر وعن امير المؤمنين عليه السلام ادوا الامانات ولو
الى قاتل ولد الانبياء انتهى الكلام في الفن الثاني والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا

الفن الثالث في سارح التفكر في انوار العلوم الحقيقية والمعارف العقلية والتدبر

في الحكم المودعة فيها والكمالات المترتبة عليها والسعادات المستلزمة لها والاشارة الى رموزها
واسرارها والتشويق الى اكتسابها واقتباس انوارها والنظر في اغوارها ليزداد المؤمنون
بها ايمانا وينفتح لهم حقائق الاشياء عيانا ويطمئنوا اليها ايقانا ويكون تلك الانوار لهم مصابيح
وسراجا وانموذجا وعلاجا ودستورا ومنهاجا فيفوزوا بارباح التجارات والبلوغ الى معالي
الدرجات والعروج الى اعلى السعادات مع الابتهاجات العقلية الابدية واللذات اللذيذة السرمدية

مقدمة اعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره والى ما
يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره اشرف
مما يطلب لذاته فحسب والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله
عز وجل يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة والذي يطلب لذاته كاللذات والذي
يطلب لذاته ولغيره كسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث انها سلامة عن الالم و
المطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته
لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى سعادة الدنيا والاخرة وذريعة الى القرب
من الله فانه لا يتوصل اليها الا به واعظم الاشياء ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل اليها الا بالعلم
والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة في الدنيا والاخرة هو العلم فهو

اذن

اذن افضل الاشياء وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين
والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ
الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم
مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان
لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم وتتفاوت
مراتبها فتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله تعالى بحقيقة اليقين التي هي اصل
كل معرفة واخرها قال الصادق عليه السلام لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا اعينهم الى
ما متع به الاعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم اقل عندهم مما يطؤنه بارجلهم و
لنعموا بمعرفة الله وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله
تعالى انس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء
من كل سقم ثم قال قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير ويضيق عليهم الارض
برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا اذى بما نقموا
منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد فسلوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم
ثم ان العلم علمان علم يقصد لذاته وهو نور يظهر في القلب فينشرح فيشاهد الغيب وينفسح فيحتمل
البلاء ويحفظ السر وعلامته التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود وهو الافضل لانه المقصد
الاقصى وعلم يقصد للعمل ظاهرا او باطنا ليتوسل به الى ذلك النور وهو العلم بما يقرب الى الله تعالى وما يبعد عنه
وعلامته الحلم والصمت وتصديق الفعل القول وهو الاقدم لانه الشرط ومنه العلم بالاحكام الشرعية اذا
احتيج سعته واما مجادلة الكلام والتعمق في فتاوى يستنبط بالراي فليسا من العلم والفقه في
شيء وسمي العلم المقصود لذاته بعلم الباطن والحقيقة والذي يقصد للعمل ظاهرا بعلم الفقه والرسوم
وما يقصد للعمل باطنا بعلم الاخلاق والطريقة والمجموع بالحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا والعلم لا يكون علما حتى يكون يقينا واليقين ثلث مراتب علم اليقين وهو تصور الامر على
ما هو عليه وعين اليقين وهو شهوده كما هو وحق اليقين وهو الفناء في الحق والبقاء به علما
وشهودا وحالا وصل اعلم ان العلم والعمل جوهران لاجلهما انزلت الكتب والرسل بل في حلهما

خلق ما خلق وناهيك لشرف العلم قوله الله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ولشرف
العبادة قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فنحن العبيد ان لا نشتغل الا بهما فان ما
سواهما باطل لا خير فيه واشرف الجوهرين العلم فانه بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف
للشجرة فانها الاصل لكن الانتفاع بثمرتها فى الخبر من عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح و
بيانه ان اصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال البدنية
ليست مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما
المطلوب ان يكشف له المعارف الحقيقية من العلم بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر لكل انسان
بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم فى ذلك ولا يكشف هذه المعارف الا بان يقع ذلك الاصلاح
والتطهير على وجهه مأخوذا عن صاحب الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع ثم
من اقتصر فى سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة فالتصفية تصير
وبالا عليه اذ تحرك النفس الخواطر الوهمية ويستولى عليه الوساوس النفسانية فيشوش القلب
حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة والافكار الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب
الشرع وخلفائه صلوات الله عليهم فينتشب بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة و
اوهام كاذبة وربما يتخيل فى ذات الله وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة و
فى زعمه انها صحيحة حقة نعوذ بالله منه وربما يقتدى به غيره فيتعدى شره ويصير من الجاهلين
المتنسكين القاصرين المتظاهرين مع ذلك قلما يخلو من اعجاب بنفسه وافتخار بعمله واغتراره بعبادة
ونظر الى الناس بعين الاحتقار والازدراء وربما يتشحن باطنه بامراض نفسانية وهو غافل
عنها غير ملتفت الى معالجتها وازالتها وربما يظن الرذائل فضائل والعيوب كمالات فيكون ممن
اخبر الله عنهم بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا ثم اعلم ان المراد بالعلم علم الدين الذى لا يفسده فساد البدن ولا يخربه خراب الدنيا
بل يبقى فى الاخرة ابدا وهو العلم بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اما العلم بالله فهو العلم
بذاته وصفاته وافعاله واسمائه وآثار رحمته جل جلاله واما العلم بملئكته فهو العلم بوجود صور روحانية

مقدسة

مقدسة عن المواد مجردة عن الاجساد مدركة لذاتها ولما عداها وهم سكان الحضرة الربوبية وحجاب
الساحة الالهية وعلمها بعالم القدرة والارادة وتنقسم الى العقول القاهرة والنفوس المدبرة والكل
مما ابدعها الله بحسب اليقينيات اللازمة لاسمائه وصفاته ويدخل فيه معرفة الشيطان وجنوده و
اما العلم بكتبه فهو العلم بكلامه تعالى وكتابته وكيفية تصويره الحقايق والعلم بقلمه ولوحه وقضائه
وقدره ويدخل فيه معرفة كيفية العبادة الظاهرة والباطنة واما العلم برسله وانبيائه فهو ان
يعلم ان لله خلفاء فى عالم الارض متوسطين بين الله وبين عباده مأمورين باصلاح هذا النوع
الادمى بواسطة استجماعهم لشرائط الرسالة وخصائص السفارة لعموم مناسبتهم ووفور فضائلهم
ويدخل فيه معرفة اوصياء الرسل وخلفائهم عليهم السلام واما العلم باليوم الاخر فهو الايمان بالقبر و
القيامة والبعث والحشر والحساب والميزان ونشر الصحايف وتطاير الكتب والجنة والنار ويدخل فيه معرفة
النفس الانسانية وترقياتها فى اطوارها من لدن تكونها حتى ان تلقى الله سبحانه فظهر مما بينا انه لم
يخرج شيء من العلوم الدينية من هذه الاصول الخمسة والايمان فى الشرع فمحض التصديق بهذه
الخمسة ولوازمها الا ان العلم بها مما لا نهاية له واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم طلب العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة ولكن لكل انسان بحسب طاقته ووسعه لا يكلف الله نفسا الا وسعها فان للعلم و
الايمان درجات مترتبة فى القوة والضعف والزيادة والنقصان بعضها فوق بعض وذلك لان
الايمان انما يكون بقدر العلم الذى به حيوة القلب وهو نور يحصل فى القلب بسبب ارتفاع الحجاب
بينه وبين الله جل جلاله وهذا النور قابل للزيادة والنقصان والقوة والضعف كساير الانوار
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقل رب زدنى علما كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيقوى
الايمان ويتكامل الى ان ينبسط نوره فينشرح صدره ويطلع على حقايق الاشياء ويتجلى له
الغيوب ويعرف كل شيء فى موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام فى جميع ما اخبروا عنه اجمالا
وتفصيلا على حسب نوره وبقدر انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مامور
والاجتناب عن كل محظور فيضاف الى نوره معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة نورهم
يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور وكل عبادة يقع على وجهها يورث فى القلب صفاء يجعله
مستعدا لحصول نور فيه وانشراح ومعرفة ويقين ثم ذلك النور والمعرفة واليقين يجعله على

خلق ما خلق وناهيك لشرف العلم قول الله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ولشرف
العبادة قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فخلق العباد ان لا يشتغل الا بهما فان ما
سواهما باطل لا خير فيه واشرف الجوهرين العلم فانه بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف
للشجرة فانها الاصل لكن الانتفاع بثمرتها في الخبر من عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح و
بيان ان اصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال البدنية
ليست مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات والعدم لا يكون مطلوبا الا بالعرض انما
المطلوب ان ينكشف له المعارف الحقيقية من العلم بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر لكل انسان
بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ولا ينكشف هذه المعارف الا بان يقع ذلك الاصلاح
والتطهير على وجهه مأخوذا عن صاحب الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع ثم
من اقتصر في سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة فالتصفية تصير
وبالا عليه اذ تحرك النفس بالخواطر الوهمية ويستولي عليه الوساوس الشيطانية فيشوش القلب
حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة والافكار الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب
الشرع وخلفائه صلوات الله عليهم فيتشبث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة و
اوهام كاذبة وربما يتخيل في ذات الله وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة و
في زعمه انها صحيحة حقة نعوذ بالله منه وربما يقتدي به غيره فيتعدى شره ويصير من الجاهلين
المتنسكين القاصرين المظهرين مع ذلك فقلما يخلو من اعجاب بنفسه وافتخار بعمله واغتراره بعبادته
ونظر الى الناس بعين الاحتقار والازدراء وربما يتشحن باطنه بامراض نفسانية وهو غافل
عنها غير ملتفت الى معالجتها وازالتها وربما يظن الرذائل فضائل والعيوب كمالات فيكون ممن
اخبر الله عنهم بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا ثم اعلم ان المراد بالعلم علم الدين الذي لا ينفد بنفاد البدن ولا يخرب بخراب الدنيا
بل يبقى في الاخرة ابدا وهو العلم بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اما العلم بالله فهو العلم
بذاته وصفاته وافعاله واسمائه وآثار حضرته جل جلاله واما العلم بملئكته فهو العلم بوجود صور روحانية

مقدسة

مقدسة عن المواد مجردة عن الاجساد مدركة لذاتها ولما عداها وهم سكان الحضرة الربوبية وحجاب
الساحة الالهية وعالمها عالم القدرة والارادة وينقسم الى العقول القاهرة والنفوس المدبرة والكل
مما ابدعها الله بحسب التقييدات اللازمة لاسمائه وصفاته ويدخل فيه معرفة الشيطان وجنوده و
اما العلم بكتبه فهو العلم بكلامه تعالى وكتابته وكيفية تصويره الحقائق والعلم بقلمه ولوحه وقضائه
وقدره ويدخل فيه معرفة كيفية العبادة الظاهرة والباطنة واما العلم برسله وانبيائه فهو ان
يعلم ان لله خلفاء في عالم الارض متوسطين بين الله وبين عباده مأمورين باصلاح هذا النوع
الادمي بواسطة استجماعهم لشرائط الرسالة وخصائص السفارة لعموم مناقبهم ووفور فضائلهم
ويدخل فيه معرفة اوصياء الرسل وخلفائهم عليهم السلام واما العلم باليوم الاخر فهو الايمان بالقيمة و
القبر والبعث والحشر والحساب والميزان ونشر الصحائف وتطاير الكتب والجنة والنار ويدخل فيه معرفة
النفس الانسانية وترقياتها في اطوارها من لدن كونها جنينا الى ان يلقى الله سبحانه فظهر مما بينا انه لم
يخرج شيء من العلوم الدينية من هذه الاصول الخمسة والايمان في الشرع هو التصديق بهذه
الخمسة ولوازمها الا ان العلم بها مما لا ينحصر واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم طلب العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة ولكن لكل انسان بحسب طاقته ووسعه لا يكلف الله نفسا الا وسعها فان العلم و
الايمان درجات مترتبة في القوة والضعف والزيادة والنقصان بعضها فوق بعض وذلك لان
الايمان انما يكون بعد العلم الذي به حيوة القلب وهو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع الحجاب
بينه وبين الله جل جلاله وهذا النور قابل للزيادة والنقصان والقوة والضعف كساير الانوار
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقل رب زدني علما كلما ارتفع حجاب ازداد نوره فيتقوى
الايمان ويتكامل الى ان ينبسط نوره فينشرح صدره ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى له
الغيوب ويعرف كل شيء في موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام في جميع ما اخبروا عنه اجمالا
وتفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور
والاجتناب عن كل محظور فيضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة نورهم
يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور وكل عبادة يقع على وجهها يورث في القلب صفاء يجعله
مستعدا لحصول نور فيه وانشراح ومعرفة ويقين ثم ذلك النور والمعرفة واليقين يجعله على

الاخلاق

عبادة اخرى واخلاص اخر فيها يوجب نورا اخر وانشراحا اتم ومعرفة اخرى ويقينا اقوى وهكذا
الى ما شاء الله جل جلاله ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة مشى
فيها فيصير ذلك المشي سببا لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا وفي الحديث النبوي من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفيه ما من عبد الا وله عينان وهما غيبيان يدرك بهما الغيب فاذا
اراد الله بعبد خيرا فتح عيني قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره وفي كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام
ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح
الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج
من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى
قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن
الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس **وصل** ان راس السعادات ورئيس الحسنات
هو اكتساب الحكمة الحقة اعني العلم بالله وصفاته وافعاله وملكه وملكوته والعلم باليوم الاخر و
منازله ومقاماته من البعث والحشر والميزان والحساب والجنة والنار وهي الايمان الحقيقي والخير
الكثير والفضل العظيم المشار اليه في قوله سبحانه ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقوله هو الذي
بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الى قوله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن
بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر الاية والاشارة الى ان الكفر والضلال مقابل هذا
العلم اعني الجهل بهذه المعارف قوله ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل
ضلالا بعيدا فقد ظهر ان الاعتقاد بهذه الامور هو الايمان الحقيقي وبه يحصل الكرامة عند الله و
الزلفى لديه وذلك لان الانسان باكتساب هذه العلوم الالهية يصير من حزب الملئكة المقربين بعد
ما كان من جنس الحيوان المبعدين بيانه ان النفس الناطقة مترقية في الاستكمالات العلمية من حد
العقل الهيولاني وهو جوهر نفساني بالقوة لكنه مادة روحانية الى حد العقل بالفعل وهو جوهر عقلي
نوراني فيه صور جميع الموجودات على وجه مقدس وهو نور يرى الاشياء كما هي والاشارة
الى ان العروة الوثقى والعهد العظيم في التقرب الى الله والفوز بالسعادة الاخروية هي اقسام العلم

والمعرفة

والمعرفة دون مجرد العمل والطاعة وان كان العمل الصالح وسيلة اليه وان المعرفة هي الثمرة والغاية و
العمل كالزرع وهي الثمرة والعمل كالخدمة وهي المخدوم والسلطان والعمل كالخادم والعبد و
الاجير قال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة والنبيين وقال اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر ففيه اشارة الى ان فضل الصلوة وفضل
الحج اللذين هما عمدة الاعمال البدنية والطاعات ليس مثل الايمان واليقين بالامور المذكورة
وقال والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله هذا تعريف المؤمن ولم يدخل في حده الا
هذه المعارف الحقيقية لا شيء من الاعمال فلو فرض حصول هذه المعارف على وجه في قلب احد
من الادميين من دون عمل حسنا كان او قبيحا لكان مؤمنا حقا فايزا بالسعادة الحقيقية من غير
قصور وخلل في ايمانه وهذا وان كان مجرد فرض لكن الغرض التنبيه على ان العرفان هو الاصل
والمقصود والعمل فرع له **وصل** فظهر مما ذكرنا ان الثمرة القاصية للاعمال البشرية والحركات
الانسانية بدنية كانت او نفسانية واخر ما لاجله التفكرات والانتقالات النفسانية من
الاحوال والعلوم هي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها والعلم المخدوم الذي لا يستخدم من شيء من العلوم
بل ينبعث عن غيره انبعاث المعلول عن العلة والفرع وذلك هو العلم الالهي والفن الربوبي
من الاصل
الذي هو بالحقيقة مخدوم سائر العلوم والمعارف ومبدؤها وغاية جميع الحرف والصنائع
ومنتهاها عليه يدور رحاها وبسم الله مجريها ومرسيها وباقي العلوم والصنائع عبيده وخدمه
كان الحكيم الالهي والعالم الرباني مخدوم العالم والمستحق بذاته الكاملة المنورة بنور الحق الاول
المستضيئة بالبوارق الالهية لان يكون مقصودا اوليا في التكوين ومطاعا جليلا للخلايق
اجمعين وسائر المكونات موجودة بطفيله مطيعة لاوامره ونواهيه وذلك الاستحقاق للرياسة
موجود فيه من قبل الله سواء كان الخلق عرفوه واطاعوه ام لا بل جهلوه وانكروه وربما كان مثل
هذا الشخص غير واجد لقوت يومه في غاية الخمول كما كان نبينا صلى الله عليه واله وسلم **وصل** ان
الجهل بهذه المعارف الالهية وجحودها مع وجود الاستعداد وقوة التعلم وامكان التحصيل راس
الشقاوات والعقوبات وانه مادة كل نفاق ومرض نفساني ومنبع كل شجرة ملعونة وشجرة خبيثة

في الدنيا والآخرة وهو منشأ العذاب الأليم والخزي العظيم والحسرة والندامة يوم القيمة يدل عليه قوله
تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة
هم الخاسرون وقوله ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة أعمى قال رب لم حشرتني
أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقوله استحوذ عليهم الشيطان
فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون وهو صريح في أن من
نسي ذكر الله يكون من أهل العذاب وأنه يحشر أعمى واعلم أن بناء الآخرة على المعرفة والذكر لأنها نشأة
إدراكية ودار حيوانية عمارتها بالاعتقادات والعلم والنيات الصالحة والإدراكات الخالصة وبناء
الدنيا على الظلمة المادية وعمارتها بالأمور الشهوية والأماني الباطلة لأنها نشأة كدرة جرمانية
فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ثم إن من جهل بالأشياء كلها لما تقرر أن

بالله جهل به

العلم بذوات الأسباب لا يحصل إلا من جهة العلم بأسبابها ومن جهل بالأشياء كان من الهالكين
في الآخرة لما مر من أن وجود الآخرة وجود إدراكي فيكون منسيا عند الله إذ لو كان مذكورا
كان موجودا في نفسه إذ المعلومية لا تنفك عن الموجودية في الأمور التي وجودها وجود إدراكي وصورتها
صورة إدراكية وقال الله تعالى نسوا الله فنسيهم وهذا بمنزلة عكس نقيض لقوله عليه السلام من عرف نفسه
فقد عرف ربه على ما أوضحناه وقوله إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون جعل الله سبحانه الجهل بآياته
والاطمئنان بالدنيا منشأ الرجوع إلى نار الجحيم والعذاب الأليم وذلك لأن نفوس الجهال أبدا متوجهة نحو لذات
الأجسام وأغراض الدنيا وشهواتها إذ لا تعرف غير هذه الأمور وأما العارف الرباني فنفسه لأجل
الاستكمال بالعلم والإعراض عن الأمور الدنية الجسمانية متوجهة دائما نحو عالم القدس الإلهي لا يغيب عنه
قربه تعالى لأن من أحب شيئا كان يحشر إليه والجاهل لا يحب إلا الأمور الباطلة والأماني العاجلة الزائلة
ولا يشتهي إلا لذات الدنيا وشهواتها أمور باطلة وهمية فكان يحشر إلى عالم البوار والشرور والظلمة فمآله
إلى نار الجحيم ونصيبه العذاب الأليم قوله وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد

وصل

اعلم أن الكفر الذي هو منشأ العذاب الأليم الشديد ضرب من الجهل أعني المركب مع الاعتقاد

المشفوع

المشفوع بالاستكبار والعناد لا مجرد الجهل البسيط بالمعارف ولذلك وصف الله أولئك الكافرين
بحب الدنيا والصد عن طريق الحق والضلال والاعوجاج عن سبيله قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما قوله من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ومن أراد
الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا إلى قوله ولا تجعل مع الله إلها
آخر فتقعد مذموما مخذولا قوله تعالى ذلك مما أوحى إليك أي معرفة الحق لذاته وعمل الخير لأجله
ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا قوله تعالى فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يوم
نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا أي غاية سلوك العارفين ومآل
سيرهم هو الله وغاية مسلك الجهال المنهمكين في الدنيا وشهواتها واعلم أن الوصول إلى الله خير

إلى النار

من كل نعيم وسعادة لأن كل خير وكمال ونعيم وسعادة في الدنيا والآخرة رشح من بحر جوده و
فيض من نور شهوده قوله تعالى من يأت ربه مجرما فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى إذ ليس
له الحيوة الدنيوية الحسية لأنها بطلت ولا الحيوة الأخروية أعني حيوة العلم والمعرفة لأنها ما حصلت
وما اكتسبت قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى إلى قوله وذلك جزاء
من تزكى أي تجردت نفسه عن الهيئات البدنية والأغراض الدنيوية قوله من أعرض عنه فإنه يحمل يوم
القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا لا شبهة في أن هذه الأوزار والأحمال التي تثقل
ظهر القلب وتمنع النفس عن الصعود إلى الدرجات العلى ليست أحمالا ثقيلة محسوسة بل هي
من باب الهيئات النفسانية والأغراض التعلقية التي تجر النفس عن عالم النور إلى عالم الغرور ومن
سلاسل الشهوات وأغلال التعلقات لغير ذلك من الآيات الدالة على أن رأس الشقاوة
ومنشأ العذاب الأليم هو الكفر الذي هو ضرب من الجهل والاحتجاب عن الحق بما يلزم من
الأعمال والملكات المؤدية إلى البعد عن دار الكرامة ومعدن الرحمة والانغمار في بحر الظلمات
الهيولانية الهاوية السفلية والقرية الظلمانية الظالم أهلها كما أن أصل كل سعادة ومنبع كل خير هو الإيمان
بالله وكلماته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والخروج من هذه النشأة الداثرة

في الدنيا والآخرة وهو منشأ العذاب الأليم والخسران العظيم والحسرة والندامة يوم القيامة يدل على ذلك قوله
تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة
هم الأخسرون وقوله ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني
أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقوله استحوذ عليهم الشيطان
فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون والوجه في أن من
نسي ذكر الله يكون من أهل العذاب وإن حشر أعمى وأصم أن بناء الآخرة على المعرفة والذكر لأنها نشأة
إدراكية ودار حيوانية عمارتها بالاعتقادات والعلم والنيات الصالحة والإدراكات الخالصة وبناء
الدنيا على الظلمة المادية وعمارتها بالأمور الشهوية والأماني الباطلة لأنها نشأة كدرة جرمانية
فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ثم إن من جهل بالأشياء كلها لما تقرر أن
العلم بذوات السبب لا يحصل إلا من جهة العلم بسببها ومن جهل بالأشياء كان من الهالكين
في الآخرة فالأمر من أن وجود الآخرة وجود إدراكي فيكون منسيا عند الله إذ لو كان مذكورا
كان موجودا في نفسه إذ المعلومية لا تنفك عن الموجودية في الأمور التي وجودها وجود إدراكي وصورتها
صورة إدراكية وقال نسوا الله فنسيهم وهذا بمنزلة عكس نقيض لقوله عليه السلام من عرف نفسه
فقد عرف ربه على ما أوضحناه وقوله إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون فجعل الله سبحانه الجهل بآياته
والأمارة منشأ الرجوع إلى نار الجحيم والعذاب الأليم وذلك لأن نفوس الجهال أبدا متوجهة نحو لذات
الأجسام وأغراض الدنيا وشهواتها إذ لا تعرف غير هذه الأمور وأما العارف الرباني فنفسه لأجل
الاستكمال بالعلم والإعراض عن الأمور الدنية الجسمانية متوجهة دائما نحو عالم القدس لأنه عبد إله
قريب تعالى لأن من أحب شيئا كان حشره إليه والجاهل لا يحب إلا الأمور الباطلة والأماني العاجلة الزائلة
ولأن لذات الدنيا وشهواتها أمور باطلة وهمية فكان حشره إلى عالم البوار والشرور والظلمة فماله
إلى نار الجحيم ونصيبه العذاب الأليم قوله وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة
الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد وصل
اعلم أن الكفر الذي هو منشأ العذاب الأليم الشديد ضرب من الجهل أعني المركب مع الاعتقاد

بالله جهل

المشفوع

المشفوع بالاستكبار والعناد لا مجرد الجهل البسيط بالمعارف ولذلك وصف الله أولئك الكافرين
بحب الدنيا والصد عن طريق الحق والضلال والاعوجاج عن سبيله قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما وقوله من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد
الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا إلى قوله ولا تجعل مع الله إلها
آخر فتقعد مذموما مخذولا وقوله تعالى ذلك مما أوحى إليك أي معرفة الحق لذاته وعمل الخير لأجله
ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا وقوله تعالى فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يوم
نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا أي غاية سلوك العارفين ومآل
سيرهم هو الله وغاية مسلك الجهال المنهمكين في الدنيا وشهواتها واعلم أن الوصول إلى الله خير
من كل نعيم وسعادة لأن كل خير وكمال ونعيم وسعادة في الدنيا والآخرة رشح من بحر جوده و
فيض من نور شهوده قوله تعالى من يأت ربه مجرما فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى إذ ليس
له الحياة الدنيوية الحسية لأنها بطلت ولا الحياة الأخروية أعني حياة العلم والعرفان لأنها ما حصلت
بما اكتسب قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى إلى قوله وذلك جزاء
من تزكى أي تجردت نفسه عن الهيئات الدنية والأغراض الدنيوية قوله من أعرض عنه فإنه يحمل يوم
القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا لا شبهة في أن هذه الأوزار والأحمال التي تثقل
ظهر القلب وتمنع النفس عن الصعود إلى الدرجات العلى ليست أحمالا ثقيلة محسوسة بل هي
من باب الهيئات النفسانية والأغراض التعلقية التي تجر النفس عن عالم النور إلى عالم الغرور من
سلاسل الشهوات وأغلال التعلقات وغير ذلك من الآيات الدالة على أن رأس الشقاوة
ومنشأ العذاب الجحيم هو الكفر الذي هو ضرب من الجهل والاحتجاب عن الحق بالجزم من
الأعمال والملكات المؤدية إلى البعد عن دار الكرامة ومعدن الرحمة والانغمار في بحر الظلمة و
الموقعة في الهاوية السفلية والقرية الظلمانية الظالم أهلها كما أن أصل كل سعادة ومنبعها هو الإيمان
بالله وكلماته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والخروج من هذه النشأة الداثرة

إلى النار صح

في الدنيا والآخرة وهو منشأ العذاب الأليم والخسران العظيم والحسرة والندامة يوم القيمة يدل على ذلك قوله
تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة
هم الاخسرون وقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقوله استحوذ عليهم الشيطان
فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والوجه في ان من
نسي ذكر الله يكون من اهل العذاب وانه يحشر اعمى واصم ان بناء الآخرة على المعرفة والذكر لانها نشأة
ادراكية ودار حيوانية عمارتها بالاعتقادات والعلم والنيات الصالحة والادراكات الخالصة وبناء
الدنيا على الظلمة المادية وعمارتها بالامور الشهوية والاماني الباطلة لانها نشأة كدرة جرمانية
فمن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ثم ان من جهل الاشياء كلها لما تقرر ان
العلم بذوات الاسباب لا يحصل الا من جهة العلم باسبابها ومن جهل الاشياء كان من الهالكين
في الآخرة فلما مر من ان وجود الآخرة وجود ادراكي فيكون منسيا عند الله اذ لو كان مذكورا
كان موجودا في نفسه اذ المعلومية لا تنفك عن الموجودية في الامور التي وجودها وجود ادراكي وصورتها
صورة ادراكية وقال تعالى نسوا الله فنسيهم وهذا بمنزلة عكس نقيض لقوله عليه السلم من عرف نفسه
فقد عرف ربه على ما اوضحناه وقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون جعل الله سبحانه الجهل بآياته
والآية منشأ الرجوع الى نار الجحيم والعذاب الأليم وذلك لان نفوس الجهال ابدا متوجهة نحو لذات
الاجسام واغراض الدنيا وشهواتها اذ لا تعرف غير هذه الامور واما العارف الرباني فنفسه لاجل
الاستكمال بالعلم والاعراض عن الامور الدنية الجسمانية متوجهة دائما نحو عالم القدس الالهي اعني الى
قربه تعالى لان من احب شيئا كان حشره اليه والجاهل لا يحب الا الامور الباطلة والاماني العاجلة الزائلة
ولا شك ان الدنيا وشهواتها امور باطلة وهمية فكان حشره الى عالم البوار والشرور والظلمة فمآله
الى نار الجحيم ونصيبه العذاب الأليم قوله وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد **وصل**
اعلم ان الكفر الذي هو منشأ العذاب الأليم الشديد ضرب من الجهل اعني المركب مع الاعتقاد

المشفوع

المشفوع بالاستكبار والعناد لا مجرد الجهل البسيط بالمعارف ولذلك وصف الله اولئك الكافرين
بحب الدنيا والصد عن طريق الحق والضلال والاعوجاج عن سبيله قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما قوله من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ومن اراد
الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا الى قوله ولا تجعل مع الله الها
آخر فتقعد مذموما مخذولا قوله تعالى ذلك مما اوحى اليك الحكمة اي معرفة الحق لذاته وعمل الخير لاجله
ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا قوله تعالى فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا اي غاية سلوك العارفين ومآل
الرحيم هو الله وغاية مسلك الجهال المنهمكين في الدنيا وشهواتها واعلم ان الوصول الى الله خير
من كل نعيم وسعادة لان كل خير وكمال ونعيم وسعادة في الدنيا والآخرة رشح من بحر جوده و
فيض من نور شهوده قوله تعالى من يأت ربه مجرما فان له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى اذ ليس
له الحيوة الدنيوية الحسية لانها بطلت ولا الحيوة الاخروية اعني حيوة العلم والمعرفة لانها ما حصلت
وما اكتسب قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى الى قوله وذلك جزاء
من تزكى اي تجردت نفسه عن الهيئات البدنية والاغراض الدنيوية قوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم
القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا لا شبهة في ان هذه الاوزار والاحمال التي تثقل
ظهر القلب وتمنع النفس عن الصعود الى الدرجات العلى ليست احمالا ثقيلة محسوسة بل هي
من باب الهيئات النفسانية والاغراض التعلقية التي تجر النفس من عالم النور الى عالم الغرور ومن
سلاسل الشهوات واغلال التعلقات وغير ذلك من الآيات الدالة على ان راس الشقاوة
ومنشأ العذاب الأليم هو الكفر الذي هو ضرب من الجهل والاحتجاب عن الحق بما يلزم من
الاعمال والملكات المؤدية الى البعد عن دار الكرامة وسعة الرحمة والانغمار في بحر الظلمة في
الهوية الهاوية السفلية والقرية الظلمانية الظالم اهلها كما ان اصل كل سعادة ومنبعه هو الايمان
بالله وكلماته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والخروج من هذه النشأة الداثرة

المظلمة والصعود الى عالم الطهارة والقدس والنور من عالم الطبيعة ومعدن الرجس والظلمة والكدورة

وصل اعلم ان محبة الدنيا والكفر متلازمان ويستلزم احدهما الاخر ولهذا ورد في الكتاب الالهي تعليل العذاب الاخروي والشقاوة تارة بهذا وتارة بهذه كما في قوله من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين دلت على ان محبة الدنيا معدن الكفر ومنبت النفاق لكن نتيجة محبة الدنيا هي العذاب الجحيم العظيم الحاصل عن مفارقتها يوم الاخرة ونتيجة الكفر هي غضب الله في القيمة ولا شك عند المحقق العارف ان عذاب الغضب اشد من عذاب النار لان الاول عذاب روحاني والثاني جسماني حسي والجحيم صورة غضب الله كما ان الجنة صورة رحمة الله وكما ان لذة رضوان الله اكبر من لذة نعيم الجنة من الحور والقصور والانهار والاشجار وغيرها كما قال ورضوان من الله اكبر فكذا الم الحجاب عن الحق اشد من الم النار ولذلك وقع مقدما في الذكر في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فظهر ان محبة الدنيا منشأ الكفر والاحتجاب ومادة الشقاوة و العذاب وان مبناء التنعم في الاخرة والحيوة الدائمة على العلم والمعرفة اذ ما لم يصر جوهر الادراك عقليا لم يجعل من جنس الجواهر العقلية القدسية من الله ودار كرامته المرتفعة عن عذاب النار ومن البوار المتنعمة بنعيم دار الحيوان المندرجة في طبقات الجنان

جوهر الانسان

وصل العوالم والنشآت ثلثة عالم الحس وهو الدنيا وعالم الغيب العقلي وعالم القدس والماوى والمسافرون ثلثة اصناف صنف يسافر في الدنيا وراس ماله المتاع والثروة وربحه المعصية واللذة وصنف يسافر في الاخرة وراس ماله العبادة وربحه الجنة وصنف يسافر الى الله وراس ماله المعرفة وربحه لقاء الله واعلم ان المعرفة اصل كل سعادة والجهل اس كل شقاوة فان سعادة كل نشأة وعالم هو الشعور بما فيه حتى ان الدنيا مع حقارتها وكدرها وبطلانها انما نيل اللذة فيها من كان ابلغ في الحواس واقوى في المشاعر الحيوانية فان كل لذة هو نيل ملائم له والالم فقد او نيل اضداده فاذا كانت البهجة واللذة في هذه الدنيا منوطة بالمعرفة والشعور فما ظنك بعالم الاخرة التي قوامها بالنيات والمعارف ثم ما ظنك بعالم القدس الذي هو معدن العقول ومنبع المعارف فعليك بالحكمة والمعرفة واما الزهد والتقوى وساير العبادات والرياضات فانما هي كلها لاعداد الحكمة و

لذة الشيء

تقدم

وتقدمة للمعرفة وتصفية الباطن وتهذيب السر وتصقيل مراة القلب عن الغشاوة والرين حتى تصير مجلوة تحاذي بها شطر الحق وترى فيها وجه المطلوب واما نفس الصفاء والصقالة فلكونها امرا عدميا ليست مقصودة بالاصالة بل لاجل ما يظهر بها او يتصور فيها من ايات الحق وجلايا وجهه على ان الزهد في الدنيا على اي وجه كان لا شيء محض لكون الدنيا لا شيئا محضا والعاقل لا يزهد في اللاشيء وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي القران وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ومدة الحيوة الدنيا بالقياس الى دوام الاخرة كلحظة وسعة مكانها بالقياس الى مكان الاخرة كذرة كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وفي الحديث عنه صلى الله عليه واله ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فترك هذا القليل واحب ليس بزهد في الحقيقة وانما وراءها عالم اخر بل عوالم اخرى اليها رجعى الطاهرات من الفتور و للاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ومن اراد ان يعرف عظمة الله وعظمة اسمائه الحسنى التي تكون عالم الاخرة ظلالها وهذا العالم ظلال ظلالها ويحصل برحمة الله نصيبا اكثر وحظا اوفر فليزهد في الاخرة ولا يقعد عن الزهد فيها ايضا حتى يخوض لجة الوصول ويخلص عن نفسه وقلبه بالكلية وقيل الزهد في الدنيا يريح النفس والزهد في الاخرة يريح القلب والاقبال بالكلية الى الله يريح الروح واعلم ان العوالم والنشآت الوجودية بمنزلة طبقات بعضها محيط ببعض والسالك اذا صعد من عالم وولج في عالم اخر كانه مات من الاول وتولد في الثاني قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ثم ان طلاب الحق طلبوا الحق بالحق فوجدوه وطلاب الهوى طلبوا الهوى بالهوى فلم يجدوها ولن يجدوها ابدا فماذا بعد الحق الا الضلال فان لم تسمع هذا الكلام مني ولم تصدق بمحواه فاسمع وتدبر فيما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم من قوله ان المؤمن اخذ دينه عن الله و ان المنافق نصب رايا واتخذ دينه منه وقوله افرايت من اتخذ الهه هويه وقوله سبحانه كونوا ربانيين فالمؤمنون المؤمنون بالحقيقة والمتقين العابدين المخلصين لله ولرسوله ولاولي الامر منهم الحكماء الربانيون الراغبون عن الدنيا وغيرهم عبيد الهوى وعباد الاصنام واولياء الطاغوت وعبدة الاحبار واصحاب القبور وسكان عالم الديجور وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

وصل ان هذا النهج الذي هو منهج التوحيد وهو طلب العلم بالله واياته وملكه وملكوته وملائكته و
كتبه ورسله واليوم الآخر هو مسلك جميع الانبياء والاولياء عليهم السلام ولهذا لا اختلاف بينهم في شيء
من العلوم الالهية والاصول الايمانية ولا تطرق تغير في العلم واحد ودينهم واحد وانما الخلاف في
شرايعهم في المسائل الفرعية العملية التي قد تختلف باختلاف الازمنة والاوقات وهذا النوع العلمي
والايمان الحقيقي في غاية الندرة والشذوذ لا يوجد منهم في كل عصر الا عدة قليلة كما اهلا والاثنين
كما قيل جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد وذلك لان علم
التوحيد والايمان الحقيقي نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده ليس يحصل بمجرد اقرار بالشهادة
ولا بحث وتكرار او تلفيق ادلة كلامية كما هو شأن اكثر المنتسبين الى العلم المشهورين بالافادة والتدريس
واكثر اهل الاسلام ظاهرا هم اهل الكفر والاشراك باطنا كما قال تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
وقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون والمؤمنون بالحقيقة هم الراسخون في العلم والعلماء بالله
واليوم الآخر وهذا العلم نور عزيز المنال وصعب رفيع المنال لا يوجد بمجرد القيل والقال والبحث والجدال
او رواية الحديث وحفظ الاقوال كما قال بعض العارفين اخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحي
الذي لا يموت وهذا العلم المشار اليه هو علم الوراثة لا علم الدراسة يعني ان علوم الانبياء عليهم السلام لدنية
فمن كان علمه مستفادا من الكتب والرواية والدراسة فليس هو من ورثة الانبياء لان علومهم لا
تستفاد الا من الله كما قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولا تظن ان التعليم
من عند الله يختص بهم لا يتجاوز غيرهم فقد قال الله واتقوا الله ويعلمكم الله فكل من وصل الى حقيقة
التقوى فلا بد ان يعلمه الله ما لم يعلم ويكون معه كما قال ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

وصل اعلم ان الحكمة الالهية مما احتجبت العقول عن دركها وانتهائها واحتجبت عنها البراهين العقلية والنقلية
فانها انوار مواهب الحق ترد على قلوب الانبياء والاولياء عند تجلي صفات الاحدية وفنائهم واوصافهم الخلقية
فكاشف الاسرار هو المتحقق بحقايق سبحات اورثها الله الانوار كما قال صلى الله عليه وآله وسلم
اوتيت جوامع الكلم اي الحكم فامارة صحتها ما دلتها الحقايق القرانية بل هي عينها كما قال صلى الله عليه وآله
اوتيت ومثله معه اشار بهذا الى الحكمة وقد فسر سهل بن عبد الله التستري الحكمة وقال في تاويلها
هي السنة تحقيق الحكمة نور من انوار صفات الله يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده فيكون له كما قال

تعالى

تعالى نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء فمن اكرم بهذا النور فقد اعطي كل خير وسرور وقد اوتي مع الحكمة
خيرا كثيرا كما قال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فافهم واغتنم واجتهد ان تستعد لان تكون
من ذوي الالباب لانه قال وما يذكر الا اولوا الالباب لم يقتنعوا بقشور المعقول باكتساب ظواهر المنقول
بل سعوا في طلب لبابها بمتابعة الانبياء فاخرجهم من ظلمات قشور العقل الانسانية الى نور لب القرآن
الربانية فتحققوا بما ان من لم يجعل الله له نورا فما له من نور فانتبه ايها المغرور المفتون بنار الغرور
من مرقد الجهالة الحاصلة من الشغف والسرور بما عندك من القشور فلا يغرنك بالله الغرور ولا تقنع
الى ما قاله قوم من الفلاسفة وارباب البحوث والانظار ان الحكمة تحصل بمجرد التكرار او من نتايج الافكار
وذلك لان هؤلاء ما لهم الا قوانين المعقولات والحكميات الالهيات فالمعقولات مشتركة بين اهل الايمان
واهل الكفر وبين المقبول والمردود اذ المعقول ما يحكم به العقل ببرهان عقلي وهذا ميسر لكل عاقل
بالدراية وبالقراءة والرواية فمن صفى عقله عن شوب الوهم والخيال فيدرك المعقول بقوة تفهيم
استاد مرشد وهذا بخلاف الحكمة الالهية فانها ليست من هذا القبيل بل هي من مواهب الله وصل
انما يحصل علم الحكمة من الله سبحانه بالالهام لمن تبتل اليه تبتيلا واتخذ الذكر والفكر اليه سبيلا على
قدر صفائه وقبوله واستعداده فلا يحصل الا بعد فراغ القلب وصفاء الباطن والتجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود والتاهب للموت قبل نزول الموت وتطهير النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل
ومتابعة الشرع والتادب بادابه وملازمة التقوى وتحمل الاعمال في طريق الوصال وملازمة الذكر
في الخلوة حتى تنور القلب وتخلى من صداء الشهوات النفسانية والخواطر الشيطانية وطلب الحظوظ
الدنيوية وحصلت له الجمعية فتكون الهموم هما واحدا فحينئذ تصير القلب مرآة مستعدا لقابلية الاتصاف
بالعلوم الكلية الحقيقية فتنطبع العلوم النظرية بحقائقها فيه من القدس بادنى فكره فلا يخطر الشيء
الا ظهرت له حقيقته ظهورا يجري مجرى العيان فلو كشف الغطاء ما ازداد يقينا وهذا من
باب الهداية التي بعدها الانابة كما قال الله سبحانه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب
والاجتباء للانبياء والاولياء والهداية للعلماء والحكماء وما لم يبلغ هذه المرتبة لا يكون حكيما لان
الحكمة من مواهب الله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والدليل على ذلك
كله من الكتاب والسنة كثير قال الله تعالى حكاية واتقوا الله ويعلمكم الله وقال والذين جاهدوا

بالبرهان دراية ومن أصفى عقله من هذه الآفات فهو يدرك المعقول

فينا لنهدينهم سبلنا وفي الحديث النبوي ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد ان يهديه
العلم نور وضياء يقذفه الله في قلوب اوليائه وانطق به على لسانهم من اخلص لله اربعين صباحا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه قال العلامة نصير الدين الطوسي قدس سره القدوسي في الفصول
وهذا القدر في معرفة الله وصفاته كاف اذ لا يعرف بالعقل اكثر منه ولا تيسر في علم الكلام التجاوز عنه ثم
قال ومن اراد الارتقاء عن هذا المقام ينبغي ان يتحقق ان وراء طوره وهو اعلى من هذا الطور فلا يقتصر همته على
ما ادركه ولا يشغله عقله الذي يمكنه معرفة الكثرة التي هي امارة العدم ولا يقف عند زخارفه التي هي لوازم العدم
بل يقطع عن نفسه العلائق البدنية ويزيل عن خواطره الموانع الدنيوية ويضعف حواسه وقواه التي هي عابدة لا لاله
الغاية ويحبس بالرياضة نفسه الامارة التي تشير الى التخيلات الواهية ويوجه همته بكليتها الى عالم القدس و
يقصر امنيته على نيل محل الروح والانس ويسأل بالخضوع والابتهال من حضرة ذي الجود والافضال ان يفتح على
قلبه باب خزانة رحمته ويتنور بنور الهداية التي وعد بعد مجاهدته حيث قال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا ليشاهد الاسرار الملكوتية والآثار الجبروتية ويكشف في باطنه الحقائق الغيبية والدقائق
الخفية الا ان ذلك منقبة لم يحط على قدر كل ذي قدر ولا يتاح لو لم يعلم مقدماتها حتى كل ذي جبل ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء جعلنا الله واياكم من السالكين لطريقة المحققين بتوفيق المستعدين لالهام
حقيقة المستبصرين بتجلي هدايته وتدقيقه وقال بعض المحققين يشترط غالبا في تصفية القلب حتى يستعد
لانتقاش العلوم الحقيقية فيه امران اكتساب العلوم الرسمية والعمل بالطاعات البدنية فان الاعراض عنهما
السعيان يعين انسان في مجاري الفكر في العلوم الحسنة الالهية المذكورة في ابواب

الباب الأول في العلم بالله

اعلم انه لا اله الا الله وحده لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له متوحد
لا مثل له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له
دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء وتصرم الآباد وانقراض
الآجال بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام
في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل
موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به
الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء

منزه

وصل السر في اشتراط تطهير القلب في تحصيل هذا العلم من رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف
هو ان العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله فكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة
الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر من الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن و
عمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وآله
بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها
للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون
نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب
البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل و
لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة
ومهبط آثارهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب
واخواتها كلاب نابحة فانى يدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله عز وجل في
القلب الا بواسطة الملائكة وصل اعلم ان صاحب هذا العلم وحامل هذه الحكمة بعد الانبياء والاولياء
ليس الا المؤمن الممتحن وهو قليل جدا قال الله تعالى وقليل ما هم وقال وقليل من عبادي الشكور و
لكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن اكثرهم لا
يعقلون ولكن اكثرهم لا يفقهون وقال الصادق عليه السلام المؤمن اعز من الكبريت الاحمر وقال الباقر
عليه السلام الناس كلهم بهائم الا قليل من المؤمنين وذلك لان هذا العلم صعب مستصعب عزيز المنال
دقيق المدرك يضعف عن ادراكه بصائر الاكثرين كما يضعف ابصار الخفافيش عن ادراك ضوء الشمس
ولهذا انما يخاطب الجمهور بظواهر الشرع ومجملاته دون اسراره واغواره لعدم احتمالهم ذلك بل يضرهم
استماعه لقصور افهامهم واعوجاج اذهانهم فيضلون ويضلون وينكرون ويكفرون حيث
انهم لا يكادون يفقهون حديثا ولا يسعهم الجمع بين الظاهر والباطن لضيق وعائهم وقصور حوصلتهم
ذكرت التقية يوما عند سيد العابدين عليه السلام فقال والله لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله و
لقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ان علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله الا
ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال وانما صار سلمان من العلماء لانه

امروٗنا اهل البيت فذلك نسبته الى العلما واراد عليه السلم اهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة
لا اهل بيت النسوان والصبيان والاهل والاولاد فانظر الى عظمة قدر ابي ذر رضي الله عنه في الزمان
سمعت في حقه واستشهد به على عظمة السر المودع عند سلمان رضوان الله عليه وعلى لزوم الغير في
كتمان اسرار الله حيث ظهر ان كبار الصحابة كانوا يحقون بعضهم عن بعض وذلك لان شاهق المعرفة
اشمخ من ان يطير اليه كل طاير وسرادق البصيرة احجب من ان يحوم حوله كل سائر يضل به كثيرا و
يهدي به كثيرا وهذه حكمة اهله في خزائن صدورهم من اصحاب القلوب ويضنون به على الاغيار
كما نص عن السجاد عليه السلم في ابيات مشهورة اليه: اني لاكتم من علمي جواهره * كيلا يرى الحق ذو جهل
فيفتتنا * وقد تقدم في هذا ابو حسن * الى الحسين ووصى قبله الحسنا * يا رب جوهر علم لو ابوح به
لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا * ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون اقبح ما ياتونه حسنا * والاخبار
في وجوب صونه وكتمانه وانه من الاسرار التي لا ينبغي ان يذكر اكثر من ان يضبط ويسطر

وصل

اعلم ان الاسرار التي يكتمها العلماء عن العوام منها ما يقصر عن ادراكه افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم
وذلك كالروح فانه من عالم الملكوت والعوام لم يتجاوز علمهم عن عالم الملك فاذا افشوه اليهم يصير
فتنة لهم قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا و
منها ما هو مفهوم في نفسه لا يخل الفهم عنه ولكن ذكره باكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل
وهذا منع من افشائه ولا استبعاد في ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور
الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن
فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة
في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به
عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم
ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير ادرك السر والباطن فيتفاوت الناس
بذلك وكذلك ما ورد في الحديث اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار
وذلك من حيث الصورة لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كاين اذ حقيقة الحمار وخاصيته
هي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق

هو

هو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانما شانا
وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومن هذا القبيل قوله تعالى
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فان تمثيل التاثير قد يتم فهمه وانما
بالذات عنها بامر المطاع واجابة المطيع الطايع ومنه قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون وهو نوع من الكلام مرابطنا من دون حرف وصوت ومنه التعبير عن الصراط بالجسر الممدود
بين الجنة والنار وعن الميزان بذي الكفتين الى غير ذلك ومنها ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه
تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني
كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلام او على البعد فيحصل
له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكماله
فكذلك في العلم والايمان والتصديق من هذا القبيل اكثر العقايد اذا عرفت ما مهدنا للمتفحصين ان
تاتي لمجاري الفكرية في العلوم الخمس الايمانية المذكورة في ابواب

الباب الاول في العلم بالله تعالى

في العلل عن الرضا عليه السلام انه قال ان قال قائل هل يجوز ان يكلف الحكيم عبده فعلا من الافاعيل لغير علة ولا معنى
قيل له لا يجوز ذلك لانه حكيم غير عابث ولا جاهل فان قال فاخبرني لم كلف الخلق الاقرار بالله وبرسوله
وحجته وبما جاء به رسول الله من عند الله قيل لعلل كثيرة منها ان من لم يقر بالله لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ولم يراقب احدا
فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم فاذا فعل الناس هذه الاشياء وارتكب كل انسان ما يشتهي و
يهواه من غير مراقبة لاحد كان في ذلك فساد الخلق اجمعين ووثوب بعضهم على بعض فغصبوا
الفروج والاموال واباحوا الدماء والسبي وقتل بعضهم بعضا من غير حق ولا جرم فيكون في ذلك خراب
الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل ومنها ان الله عز وجل حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف
بالحكمة الا الذي يحظر الفساد ويامر بالصلاح ويزجر عن الظلم وينهى عن الفواحش ولا يكون حظر
الفساد والامر بالصلاح والنهي عن الفواحش الا بعد الاقرار بالله ومعرفة الامر والناهي فلو
ترك الناس بغير اقرار بالله ولا معرفة لم يثبت امر بصلاح ولا نهي عن فساد اذ لا امر ولا نهي و
منها انا وجدنا الخلق قد يفسدون بامور باطنة مستورة عن الخلق فلولا الاقرار بالله وخشيته
بالغيب لم يكن احد اذا خلا بشهوته وارادته يراقب احدا في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب

كبيرة اذا كان فعله ذلك مستورا عن الخلق غير مراقب لاحد فكان يكون في ذلك هلاك الخلق جميعا وفيهم
قوام الخلق وصلاحهم الا بالاقرار منهم بعليم خبير يعلم السر واخفى آمر بالصلاح ناه عن الفساد ولا تخفى عليه خافية
ليكون في ذلك انزجار لهم عما يهمون به من انواع الفساد فان قال قائل لم وجب عليهم الاقرار والعلم بان الله
واحد احد قيل لعلل منها انه لو لم يجب ذلك عليهم لجاز لهم ان يتوهموا مدبرين او اكثر من ذلك واذا جاز ذلك
لم يهتدوا الى الصانع لهم من غيره لان كل انسان منهم لا يدري لعله انما يعبد غير الذي خلقه ويطيع غير الذي
امره فلا يكون على حقيقة من صانعهم وخالقهم ولا يثبت عندهم امر آمر ولا نهي ناه اذ لا يعرف الآمر بعينه
ولا الناهي من غيره ومنها انه لو جاز ان يكون اثنين لم يكن احد الشريكين اولى بان يعبد ويطاع من الآخر
وفي اجازة ان يطاع ذلك الشريك اجازة ان لا يطاع الله وفي ان لا يطاع الله الكفر بالله عز وجل وبجميع كتبه
ورسله واثبات كل باطل وترك كل حق وتحليل كل حرام وتحريم كل حلال والدخول في كل معصية والخروج
من كل طاعة واباحة كل فساد وابطال كل حق ومنها انه لو جاز ان يكون اكثر من واحد لجاز لابليس ان
يدعي انه ذلك الآخر حتى يضاد الله في جميع حكمه ويصرف العباد الى نفسه فيكون في ذلك اعظم الكفر واشد
النفاق فان قال قائل لم وجب عليهم الاقرار لله بانه ليس كمثله شيء قيل لعلل منها ان يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة
والطاعة دون غيره غير مشتبه عليهم ربهم وصانعهم ورازقهم ومنها انهم لو لم يعلموا انه ليس كمثله شيء
لم يدروا لعل ربهم وصانعهم هذه الاصنام التي نصبتها لهم اباؤهم والشمس والقمر والنيران اذا كان جائزا
ان يكون مشتبها وكان يكون في ذلك الفساد وترك طاعاته كلها وارتكاب معاصيه كلها على قدر ما يتناهى
اليهم من اخبار هذه الارباب وامرها ونهيها ومنها انه لو لم يجب عليهم ان يعرفوا ان ليس كمثله شيء لجاز عندهم ان
يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغير والزوال والفناء والكذب والاعتداء ومن جاز عليه
هذه الاشياء لم يؤمن فناؤه ولم يوثق بعدله ولم يحقق قوله وامره ونهيه ووعده ووعيده
وثوابه وعقابه وفي ذلك فساد الخلق وابطال الربوبية **وصل** اعلم انه لا اله الا
الله وحده لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له متوحد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا
بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا
يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء بتصرم الآماد وانقراض الآجال بل هو الاول
والآخر والباطن والظاهر ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام

منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف
قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الارض فوقية لا تزيده قربا الى العرش
والسماء بل هو رفيع الدرجات على العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود
وهو اقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل
ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده
زمان بل كان قبل كل شيء وقبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن
بصفاته من خلقه ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث
ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة
الاستكمال لا تبلغه العقول والافكار ولا تدركه البصائر والابصار حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور
ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت
له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلق مقهورون في قبضته وانه المتفرد
بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم واجالهم لا يشذ عن قبضته
مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات
محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم
السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر لم يزل موصوفا بالعلم في ازل
الآزال لا بعلم متجدد في ذاته بالحلول والانتقال في الكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك و
الملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او
نقصان طاعة او عصيان الا بقضائه وقدره ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن
مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمعونته وارادته ولو اجتمع الجن
والانس والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته عجزوا عنه
وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في

اوقاته التي قدرها لوجودها في اوقاتها كما اراد في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته
من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار ولا تربص زمان فلذلك لا يشغله شان عن شان
سميع بصير يرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق لا يحجب سمعه بعد
ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم من غير قلب ويبطش
بغير جارحة ويخلق بغير آلة لا تشبه صفاته صفات المخلوقين كما لا تشبه ذاته ذات الخلق تكلم امر ونهى
ووعد وتوعد لا يشبه كلامه كلام المخلوقين بصوت من انسلال هواء او اصطكاك اجرام ولا حرف ينقطع
باطباق شفة او تحريك لسان لا موجود سواه الا وهو حادث الوجود والكون عن عدله على احسن
الوجوه واكملها واتمها واعدلها حكيم في افعاله عادل في قضيته فلا يقاس عدله بعدل العباد لان العبد
يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله وانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون
تصرفه فيه ظلما وكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر
وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه انشاء بعد ان لم يكن شيئا
اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعد اظهار القدرة وتحقيقا لما سبق
من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا من افتقار اليه وحاجة متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن
وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ
كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك
لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق
واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وشرح تفاصيل ما يتعلق بمعرفة
الله وصفاته وافعاله موكول الى كتب الحكماء والالهيين والعلماء والربانيين والعرفاء الراسخين الا
انا ناتي هنا بجمل القول في توحيد الذات والصفات والافعال في فصول ليكون دليلا للمتفكر
الى التامل في فوائده والخوض في اسراره

فصل في وحدة وجوده

اعلم انه تعالى اجلى و
اجل وانور واولى من ان يدل عليه بشيء من مخلوقاته ومصنوعاته فان الهيئات المنشورة المحسوسة في
اشعة الشمس والذرات المنثورة المطموسة تحت انوارها الداخلة في عالم الظهور للحس من جهتها
وان كانت موجودة دونها كيف يعرف بها وجود الشمس ويوضحها على البصر الحسي مع ان وجودها

بسمعه — بصوت — والاستفادة بانواره

ونورها

ونورها وعظمتها وقهرها يبهر ابصار الناظرين ويعشي ابصار الباصرين فكيف بمن عظمة جلاله الازلي ونور
اشراق جماله الاول فهو انور من ان ينوره ويدل عليه ذرات وجوده الا كما في وهبات جوده الفائض
للعقول البشرية والبصائر القلبية لكن كالخفافيش بالنسبة الى قرص الشمس مع ان وجودها وظهورها
ودوامها منه وبه وله واليه وكفى بالله شهيدا على نفس الوجود وذات المعبود فالنظر الى حقيقة
الوجود المنبسط على كل موجود يعطي انه كماله وتمامه موجود بلا شوب عدم ويعطي انه لا ثاني له
في اصل الوجود وكل ما فرضه العقل ثانيا فهو بعد تحقيق النظر وجد عين الاول ومثال ذلك الانسان
مثلا فانك لو اردت ان تجد بنفس هذه الجهة الانسانية المطلقة التي لا يشوبها فيه عموم ولا
خصوص ولا شيء من الصفات التي يكون غير الانسانية ثانيا في الوجود لا تجد اصلا اذ لا تفاوت
ولا تغاير في اصل الماهية وصرف الحقيقة بل في امر مغاير لها فهكذا حال حقيقة الوجود التي تحيط
بها كل موجود فانا لا نعني بالواجب الا الوجود الكامل التام الذي لا يشوبه غير الوجود من الاعدام
والقصور والنقائص والامكانات والتصورات وكل ما هو كذلك لا ثاني له فلو فرض في الوجود
واجبان لكان احدهما غير متناه في غاية الكمال فهو ناقص وكل ناقص يحتاج الى كامل ويكملها فيكون
معلولا لغيره فلا يكون واجب الوجود وقد فرض انه واجب الوجود هذا خلف فقد علم ان نفس
حقيقة الوجود شاهد على ذاته بانه واجب قائم بنفسه قيوم لغيره وانه لا شريك له في الوجوب الذي هو
كمالية الوجود وتاكده واعلم ان التفكر في ذاته سبحانه ممنوع منه كما ورد في صدر الكتاب في الخبر
تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله والوجه فيه ان العقول تحيرت فيه فلا يطيق مد البصر اليه
الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر اليه بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله
كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقها البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر في
بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان بالنظر الى الشمس فانه يقدر على
النظر اليها ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو ادام النظر اليها ونظر المختطف اليها يورث العمش
ويضعف البصر وكذلك النظر الى ذات الله يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب
اذن ان لا نتعرض لمجاري الفكر في ذات الله فان العقول لا تحتمله قال الشيخ محيي الدين العربي في
فتوحاته اذا ادرك الانسان صورته في المراة يعلم قطعا انه ادرك صورته بوجه وانه ما ادرك صورته

بوجه ما يراه في غاية الصغر لصغر جرم المرآة او الكبر لعظمه ولا يقدر ان ينكر انه رأى صورته ويعلم انه ليس في المرآة
صورته ولا هي متحيزة بينه وبين المرآة فليس بصادق ولا كاذب في قوله رأيت صورتي [illegible] وما رأى صورته فما
[illegible] تلك الصورة المرئية واين محلها وما شأنها فهي مع تغيرها ثابتة موجودة معدومة معلومة مجهولة فاذا عجز
هذه الحقيقة لعبد ضرب لمثال العلم وحقيقته اذ عجز وحار في دراك حقيقته هذا وهو من العالم ولم يحصل
علما بحقيقته فهو على الحقيقة اذن اعجز واجهل واشد حيرة وقال الشيخ نور في الواجب لذاته اجمالا كلا
واكملها لان كل جمال في كمال الشيء وفيض وظل من جماله وكماله فلا جلال الارفع والنور الاتم فهو محتجب بكمال
نوريته وشدة ظهوره والحكماء والمتالهون العارفون شاهدونه لا بالكنه لان شدة ظهوره وقوة لمعانه
وضعف ذواتنا المجردة النورية منعنا عن مشاهدته بالكنه كما منع شدة ظهور الشمس وقوة نورها
ابصارنا عن اكتناهها لان شدة نوريتها حجابها فهو بحر نعرف بالحق الاول ونشاهده ولكن لا نحيط به
علما كما ورد في الوحي الالهي ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم **وصل** اعلم ان التوحيد
هو البحر الخضم الذي لا ساحل له وله اربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب اللب والى قشر وقشر القشر ولنمثل
لذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن وهو لب اللب
فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد
المنافقين والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد والثالثة ان
يشاهد ذلك ببصيرة قلبه بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة لكن يراها
صادرة عن الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين ويسميه
اهل المعرفة الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه
مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد
اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه خال
عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن
العذاب في الآخرة ان توفي عليها ولم يضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه
وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه
العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده

دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ
التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا
انكشف له الحق كما هو عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم اللفظ فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين
اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل
هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من
حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني
كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها
ان اكلت فهي مر المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذت حطبا اطفأت النار واكثرت
الدخان وان تركت في البيت ضيقت المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى فكذلك
التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة
السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القالب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم
لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشر وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة
بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب عن الفساد عند
الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد
من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة
التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه باشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من
ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة
الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة
الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور
ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة
فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم الاسرار التي لا يجوز ان يسطر ثم ذكر ما يكسر
سورة استبعادك ممكن وهو ان يكون الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا

في كتاب

بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفصيل روحه وجسده واطرافه وعروقه
وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد اذ يقال انه انسان واحد وهو الحقيقة
الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة اعضائه وعروقه واطرافه وتفصيل
روحه وجسده والفرق بينهما يظهر في حالة الاستغراق والاستهتار بمستغرق بواحد ليس فيه
تفرق فكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك الكامل في الوجود من الخالق والمخلوق له
اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من حيث الاعتبارات واحد وباعتبارات
اخر ومشاهدات كثيرة بعضها اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكن
ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود
لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التصديق نصيب وان
لم يكن ما آمنت به صفتك وهذه المشاهدات التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ
كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز **فصل في صفاته الكمالية** كما ان وجوده تعالى
حقيقة الوجود من غير شوب بعدم وامكان فيكون كل الوجود فكذلك جميع صفاته الكمالية التي هي عين
ذاته فعلمه حقيقة العلم وقدرته حقيقة القدرة وما هنا شائبة تستحيل عنه التعدد والامكان الشيء
قاصر عن ذاته فيكون علمه علما بكل شيء وقدرته قدرة على كل شيء وارادته ارادة لكل شيء وهكذا في
جميع ما له من الصفات فالعلم هنالك واحد ومع وحدته يجب ان يكون علما بكل شيء لا يعزب عنه
شيء من الاشياء الكلية والجزئية اذ لو بقي شيء من الاشياء لا يكون ذلك العلم عالما به ولا شك في ان العلم
به من جملة مطلق العلم فلم يخرج جميع العلم بتة ذلك الفعل وقد قلنا انه ذلك الواجب ضروري والا لم
يكن محض حقيقة العلم بل علما من جهة وجهلا من جهة اخرى ففيه شوب تركيب من علم وجهل ووجود
وعدم ووجوب وامكان فهو تعالى بكل شيء عليم وكذا قدرته حقيقة القدرة فلا يخرج عنها شيء من
المقدورات والا لم يكن قدرة محضة بل قدرة من وجه وعجزا من وجه والله على كل شيء قدير وهكذا
قياس ارادته وسائر صفاته الكلية فان قلت مفهوم العلم غير مفهوم القدرة ومفهومهما غير مفهوم
الارادة ومفهومات هذه الثلثة غير مفهوم الحيوة فكيف يكون الجميع في حق الواجب تعالى حقيقة واحدة
بسيطة لا تغاير فيها قلنا الاختلاف في المفهوم لا ينافي البساطة للحقيقة لان قولنا صفات الواجب

عين ذاته معناه ان وجوده بعينه وجود هذه المعاني وحيثية ذاته بعينها حيثية سائر الصفات وليست
بامور زائدة من حيث وجودها وحقيقتها على وجود الواجب وحقيقته وليس معناه ان هذه الالفاظ مترادفة
لها مفهوم واحد والا لم يكن حملها مفيدا وقول امير المؤمنين عليه السلم كمال التوحيد نفي الصفات عنه
ليس المراد نفي معانيها عن ذاته والا لزم التعطيل وهو كفر فضيح بل معناه نفي كونها صفات زائدة
على ذاته بحسب الوجود والحقيقة فعلى هذا صح قول من قال ان صفاته عينه وصح قول من قال انها غيره
وصح قول من قال انها لا عينه ولا غيره لو علم ما حققناه فكن على بصيرة في هذا الامر ولا تكن من
الغافلين **فصل في اسمائه سبحانه** الاسم هو الذات باعتبار صفة معينة وتجل خاص وهو عين
المسمى باعتبار الهوية والوجود وان كان غيره باعتبار المعنى والمفهوم واعلم ان الله سبحانه وان كان
غنيا عما سواه كما قال ان الله لغني عن العالمين ولكن اسماؤه الغير المتناهية يقتضي ان يكون لكل منها
مظهر في الخارج يظهر فيه اثر ذلك الاسم ومعناه ويتجلى المسمى الذي هو الذات تعالى شانه بذلك الاسم
لاهل التوحيد حتى يعبر عن الله بصفات الكمال كلها فموجودات العالم باسرها مظاهر لاسماء الله سبحانه
فهو سبحانه يخلق ويربي كل نوع من الانواع باسم من الاسماء وذلك الاسم هو رب ذلك النوع والله سبحانه
رب الارباب ثم ان الله سبحانه اسماء متقابلة لازمة لذاته كالاول والاخر والظاهر والباطن والهادي
المضل والمعز والمذل فله بحسب احدية وجوده الواجبي من كل صفتين متقابلتين اسم جامع بحسب
ذاته وثنية وجهه وانما يصدق الطرف المقابل عليه بحسب مقابلته بحيثية ذاته وجلاله الى من دونه وتارة
على من سواه فالاسماء والصفات الجمالية انما يثبت له اولا وبالذات والاسماء والصفات الجلالية يصدق
عليه ثانيا وبالعرض فكل ممكن زوج تركيبي الحقيقة من جهة كمالية نورية ناشية من الصفات الجمالية النورية
ومن جهة نقصانية عدمية ظلمانية ناشية من الصفات القهرية الجلالية النارية فمن هذين الاصلين نشأ
النور الجمالي والنار الجلالي السارتين في سموات الارواح والروحانيات وارض الاجسام والجسمانيات
والله منور الكل بنور وجوده وجماله ونار هيبته وجلاله كما اشار اليه بقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور فالله نور السموات والارض وانوار كواكب جماله النورية الجمالية المشرقة في سماء
حقيقة ذاته واشعة نيران الجواهر النيرة في آفاق ملكوته وجبروته فالموجودات كلها مسخرة لها بين الصفتين
متقلب بين الاصبعين فالعرش وما حواه بين صفتين من صفات الرحمان والقلب وما يحواه بين اصبعين

من اصابع الرحمن اللتين كانتا في مرتبة صفتي لطف وقهر وفي مقام آخر جوهري عقل ونفس وفي درجة
اخرى حالتي بسط وقبض وظلالهما في العالم سماء وارض ومن الكواكب سعود ونحوس ومن الآفاق شرق
وغرب ومن الحيوان ذكر وانثى ومن الطعوم حلاوة ومرارة ومن اللون بياض وسواد ومن الكم متصل و
منفصل ومن المقدار قار وغير قار ومن الخط مستقيم ومعوج ومن السطح مستو ومنحن ومن العدد منطق
واصم ومن المذهب هداية وضلال ومن الاعتقاد حق وباطل ومن النفس اقبال وادبار ومن القلب بصيرة
وعمى ومن الآخرة نعيم وجحيم ومن الدنيا دولة ونكبة ومن الباطن الهام ووسوسة الى غير ذلك من المزاوجات
السارية في جميع الذراري النازلة من سماء عالم الوحدة الى ارض عالم الكثرة والهيولى لقوله تعالى
ومن كل شيء خلقنا زوجين **فصل في فعله سبحانه** اعلم ان فعله تعالى افاضة الوجود
مطلقا واثره لوازم الوجودات من الماهيات وسائر الصفات الفعلية راجعة الى الابداع للوجود
لانه بسيط الحقيقة لا كثرة له بوجه من الوجوه ففعله يجب ان يكون واحدا وكما ان الذوات كلها
ترجع الى ذات واحدة وكذلك الصفات والاسماء فكذلك الافعال ترجع الى فاعل واحد لا شريك له
افاعيل الغير في فعله كذواتهم وصفاتهم في ذاته وصفاته قال بعض الناظرين عن مشكوة
نور الله للكاغذ وقد راه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والان قد ظهر
عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغذ ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما
سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن
الوطن ونزل بساحتي وسود وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت ثم سأل الحبر عن ذلك فقال ما
انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد
واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما تراه على ساحة بيضاء فالسؤال
عليه لا علي قال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من اوطانه فقال سل
اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد
بسكين فنحتت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي وشقت
راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهو ذا تستخدمني وتمشيني على قمة راسي ولقد نثرت الملح
على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها على

القلم

على القلم واستخدامها له وتعديها عليه فقال اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما
يتحرك بنفسه انما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة وهي التي تردني وتجول بي في نواحي
الارض اما ترى المدر والحجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبها مثل هذا الفارس
القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين
القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني
من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شانها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها
لها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك
امري ام كيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت راكبا اياها قبل التحريك وما كنت
احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة حتى ظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت
اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته و
لم يكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ
ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت
ثم سأل الارادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك و
ارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ومناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا و
انت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وامر
جازم فقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل
بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري
باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد
علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته
الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة في المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في
حكمه فانا ساكنة مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت
القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني ودع عنك عتابي فقال صدقت واقبل على العلم والعقل
والقلب مطالبا ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا

سراج ما اشتعلت بنفسي ولكني أُشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بُسطت
وقال العلم إنما أنا نقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي ولكني خُططت
فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني فإن الخط لا يكون إلا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل
ولم يقنعه جوابه وقال لقد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة
هذا الامر على غيره ولكني كنت أطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في الفؤاد و
عذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك إني خط ونقش وإنما خطني قلم فلست أفهم فإني لا أعلم قلما
إلا من القصب ولا لوحا إلا من الحديد أو الخشب ولا خطا إلا بالحبر ولا سراجا إلا من النار وإني لأسمع
في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا أسمع جعجعة ولا أرى
طحنا فقال له العلم صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم أن المهالك
في الطريق الذي توجهت إليه كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعُشّك
فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وإن كنت راغبا في استتمام الطريق إلى المقصد فألق سمعك وأنت
شهيد واعلم أن العوالم في طريقك هذا ثلثة عالم الملك والشهادة أولها ولقد كان الكاغد والحبر
والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت الأعلى
وهو ورائي فإذا جاوزتني انتهيت إلى منازله وفيها المهامه الفسيحة والجبال الشاهقة والبحار
المغرقة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث عالم الملكوت الأسفل وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت
الأعلى ولقد قطعت منها ثلثة منازل إذ في أوائلها منازل القدرة والإرادة والعلم وهو يشبه السفينة
التي بين الأرض والماء فلا هو في حد اضطراب الماء ولا هو في حد سكون الأرض وثباتها وكل من يمشي
على الأرض يمشي في عالم الملك والشهادة فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على الماء من غير سفينة كان
لمن يمشي في عالم الملكوت الأعلى من غير تكعكع فإن كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت
الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافي وأول عالم الملكوت الأعلى مشاهدة القلم الذي
يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في عيسى لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له إنه كان يمشي على الماء فقال السائل السالك قد تحيرت
في أمري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها

ام لا

أم لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدّقه نحوي فإن ظهر لك القلم
الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق فإن كل من جاوز عالم الملكوت الأسفل
وقرع أول باب من أبواب الملكوت الأعلى كوشف بالقلم أما ترى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في
أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله اقرأ وربك الأكرم
الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما أرى
إلا قصبا وخشبا ولا أعلم قلما إلا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت أن متاع البيت
يشبه رب البيت أما علمت أن الله لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده سائر الأيدي
ولا قلمه سائر الأقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور إلهية من عالم
الملكوت الأعلى فليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف
الأيدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج
وعفص فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك إلا مخنثا بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه مذبذبا
بين هذا وذاك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته عن ذوات الأجسام
وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه و
خطه فإن كنت قد فهمت من قوله إن الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن
مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي
تدرك بالبصائر لا بالأبصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فإنك بالواد المقدس طوى
واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي
به موسى إني أنا ربك الأعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وأنه مخنث بين
التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته
الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور
فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف
له القلم الإلهي وإذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو
يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكأن له في كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى منه العجب

فهمت منه

وقال له الرفيق العلم جزاك الله عني خيرا اذ الان ظهر لي صدق ما انبأتني عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا
كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادتي لك وانا عازم على ان اسافر
الى حضرة القلم فاسئله عن شانه وسافر اليه وقال له ايها القلم ما لك تخط على القلوب من العلوم ما تنبعث
الدوام في
به الارادات الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال او نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة و
سمعت من جواب القلم اذ سالته فاحالك على اليد قال لم انس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت
لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق ادم على صورته قال نعم قال فاسل عن شاني الملقب بيمين الملك
فاني في قبضته هو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي في معنى التسخير
وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات
بيمينه قال نعم قال والاقلام ايضا في قبضته هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى
شاهده وراى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يحوي
مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع
فراى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسال اليمين عن شانه وتحريكه للقلم فقال جوابي مثل ما
سمعته من اليمين التي رايتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما
محركها القدرة لا محالة فسافر الى عالم القدرة وراى فيها من العجائب ما استحقر فيها ما قبلها و
سالها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فسل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات
وعند هذا كاد ان يزيغ قلبه ويطلق بالجراة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء
حجاب سرادقات الحضرة لا يسال عما يفعل وهم يسئلون فغشيته دهشة الحضرة فخر صعقا
في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك واعز سلطانك تبت اليك وتوكلت عليك
وامنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك
من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا ان اسئلك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول
اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع
في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما اتاك فخذه وما نهاك عنه فانته وما قاله فقله فانه
ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي

ان لم

٩

ان لم يكن للسان جراة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين
فارجع الى الصديق الاكبر والفاروق الاعظم امير المؤمنين وامام المتقين علي بن ابي طالب عليه السلام
فاقتد به اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن سر ذات السر اشراك فيكفيك
نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا
رجع السائل السالك واعتذر عن سؤالاته ومعاتبته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة
وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة
فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والان قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المتفرد
بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون
في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلما قال ذلك في عالم الشهادة استبعد ذلك منه
وقيل كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول
ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه
واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل
الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك اخر السفر فهو اخر في المشاهدة اول في الوجود و
هو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة
الى من يطلبه بالسراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت الاعلى
فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد

وصل اعلم ان المخلوقات مع تباينها في الذوات والصفات والافعال وتفاوتها في القرب والبعد
من الحق الاول والذات الاحدية يجمعها حقيقة واحدة الهية جامعة لجميع حقايقها وطبقاتها لا
بمعنى ان المركب من المجموع شيء واحد هو الحق سبحانه حاشا الجناب الالهي عن وصمة الكثرة والتركيب بل
هو هو والاشياء اشياء بل بمعنى ان تلك الحقيقة الالهية مع انها في غاية البساطة والاحدية ينفذ
نورها في اقطار السموات والارضين فما من ذرة الا وهو محيط بها قاهر عليها ظاهر فيها كما قال
امام الموحدين امير المؤمنين عليه السلام مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة وكذلك الصفات
المخلوقات تجمعها صفة واحدة الهية جامعة للجميع فان السمع والبصر وغيرهما من الصفات في اي موصوف

كان هو الله سبحانه حقيقة ولذلك قال وهو السميع البصير اي لا غيره يعني هو السميع بعين سمع كل سميع والبصير
بعين بصر كل بصير وقال هو الحي لا اله الا هو اي بعين كل حي وفي الحديث القدسي فبي يسمع وبي يبصر و
كذلك الافعال فانها منسوبة الى الموجودات من تلك الوجه الذي ينسب الى الحق بعينه فكما ان وجود
زيد بعينه امر محقق في الواقع وهو شان من شئون الحق سبحانه والمحققين تعالى ومظهر من مظاهره
كذلك هو فاعل لما يصدر عنه بالحقيقة لا بالمجاز ومع ذلك فعله احد افاعيل الحق تعالى بلا شوب
قصور وتغيير تعالى عن ذلك كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاحفظ هذا واعلمه ايها
الحبيب فالفعل ثابت لك عيانا بشرطك اياه وقيامه بك وسكن جانبك ايها القدري فان الفعل
مسلوب منك من حيث انت انت لان وجودك اذا قطع النظر عن ارتباطه بوجود الحق جهة
باطل فكذا فعلك اذ كل فعل متقوم بوجود فاعله وانظر اليهما بعين الاعتبار في فعل الحواس
كيف انمحى وانطوى في فعل النفس وتصورها في تصور النفس وتلو اليهما قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم وتصالحا بقول الامام بالحق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لا جبر ولا تفويض بل
امر بين امرين

الباب الثاني في ملائكة الله سبحانه

الملئكة المقربون
متفاوتة منهم الكروبيون المستغرقون في بحار الاحدية المتحيرون في عظمة رب العالمين المتواجدون
في جلال الاولين المستهترون بذكر الاله المتواضعون لجبروته وكبريائه لا التفات لهم الى
ذواتهم المنورة بنور الحق فضلا عن غيرهم لولههم وهيمانهم في جمال الحق ابدا سرمدا ومنهم الملئكة
العقلية الذين ابدعهم الله عز وجل وسائط جوده ورحمته وحجب جلاله وعظمته وهم مبادي سلسلة
الموجودات وغاياتها ومنتهى اشواق النفوس ونهايات بهائها ولهم جهتي وحدة وكثرة وكثرتهم بازاء
كثرة المخلوقات وانواعها وبسبب تراكيب جهاتها ومناسبتها وهيئاتها النورية واشعتها العقلية من
المحبة واللذة والعز والذل والقهر والانقهار والاستغناء والافتقار وغير ذلك من المعاني والهيئات
خلق الله تعالى امورا في هذا العالم يناسبها من عجائب الترتيبات ولطائف النسب وبدايع النظر في
السموات والارضين وما بينهما وفي عالم النفوس من العجائب الروحانية والغرائب الجسمانية واذ
ليس للمقربين حجاب لبرائتهم من الغواشي فذواتهم ظاهرة لانفسهم معقولة لهم وكما ذوات بعضهم
لبعض فهم ظاهرون لمن دونهم من الموجودات فهم اذن انوار مجردة واشعة الهية واضواء قاهرة وكلهم

احياء

احياء فانقهرت عالم الموت وعالمهم عالم القدرة والعالي منهم قهر على السافل واشراق واحاطة وللسافل
عشق الى العالي وتحير له ومشاهدة من دون احاطة لانقهاره عنه والله من ورائهم محيط وهو القاهر
فوق عباده واما الملئكة المدبرون فهم الروحانيات المتعلقة بعالم الاجسام على كثرة اجناسها وانواعها
المتخالفة المتفاوتة بحسب تخالف طبقات الاجسام السماوية والارضية وتفاوتها وما من جسم علوي
او سفلي الا وله جوهر ملكوتي ونسبتهم الى النفس الكلية المسماة باللوح كنسبة سائر العقول والارواح
الى العقل الاول المسمى بالقلم واليهم الاشارة في كلمات الانبياء عليهم السلام ان لكل شيء ملكا وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في كثرة ملئكة السماء اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع
قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وقال في كثرة ملئكة الارض ما من قطرة تنزل من السماء
الا ومعها ملك حتى يضعها موضعها وقد يكون الواحد منهم ذا قوى متعددة فيفعل بكل قوة فعلا
من الافاعيل وتلك القوى ملئكة اخرى مسخرة تحت سلطانه كانها اجزاؤه وجوارحه واجنحته و
هو جهة وحدتها والمشتمل عليها كلها ولما كانت الاجسام الارضية منحصرة في الجماد والنبات و
الحيوان والانسان وكل لاحق من الاربعة مشتمل على سابقه وزيادة امر فان النبات جماد مع زيادة
معنى لحفظه التركيب مع قوة نامية والحيوان نبات مع زيادة للحركة في الاقطار مع حس وحركة في
الانسان حيوان مع زيادة معنى لاحساسه وحركته مع نطق وادراك امور كلية فالملئكة الموكلة
بكل منها موجودة في الانسان مطيعة اياه خاضعة له لاشتماله على النفوس الاربع كلها فالمدبر للجماد
للنبات والحيوان والانسان في الفن الاخير انشاء الله تعالى بقي الكلام في ملئكة الاعمال والكرام
الكاتبين والمعقبات والشياطين والملائكة المدبرة للاجسام العلوية وغيرها فلنشر الى تفاصيل
مجاري التفكر في ذلك في فصول

فصل في الكرام الكاتبين

اعلم ان كل همة
وصفة ترسخ في النفس فتأكد بها من تكرر افاعيله واعماله سمي في الشرع ملكا ان كانت حسنة و
شيطانا ان كانت سيئة وفي الحكمة كلتاهما ملكة ويؤيد هذا ما ورد في الحديث ان كل من عمل حسنة
خلق الله منها ملكا يثاب به ومن اقترف سيئة خلق الله منها شيطانا يعذب به وقد قيل ان من
البواطن والصدور ما يزار منه لزيارته كل يوم الوف من الملائكة لغاية صفائه ومنها ما يقع فيه كل
يوم الف وسواس وكذب وفحش وخصومة ومجادلة بين الناس فهو مرتع للشياطين ويصدق فيه

معنى

وباقي تمام الكلام في الملائكة

سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة وفي مقابله قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين واعلم ان الآثار الحاصلة
من الافعال والاقوال والعقائد في النفوس بمنزلة النقوش الكتابية في الالواح كما قال الله سبحانه اولئك
كتب في قلوبهم الايمان وهذه الالواح النفسية يقال لها صحائف الاعمال وهذه النقوش والصور
كما تفتقر الى قابل يقبلها كذلك تفتقر الى ناقش ومصور فالمصورون والكاتبون الكرام
الكاتبون وهم طائفتان ملئكة اليمين وملائكة الشمال كما قال الله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن
اليمين وعن الشمال قعيد قال المفسرون فائدة ذلك ان المكلف اذا علم ان الملئكة موكلون
به يحصون عليه اعماله ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك
ازجر له عن القبائح **فصل في المعقبات والشياطين** عن امير المؤمنين عليه السلام
ان المعقبات ملئكة يحفظون العبد من المهالك حتى ينتهوا به الى المقادير فيخلون بينه وبين المقادير
وعن النبي صلى الله عليه وآله قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه
من ذلك سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا
لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين والشيطان جوهر مجرد الذات شبيها في التعلق بالعقول خلقته لذاته من الله بتوسط العقول
الفعالة لاجل الكثرة الظلمانية وذاته وان كانت شرا محضا الا انها وجدت بتقدير الله لحكمة وقضاء و
مصلحة قدرية جزوات كان من شأنه الغلط والتغليط والضلال والاضلال الا ان نسبته الى الملئكة
المقدسين نسبة الوهم الى القوة العاقلة وكما ان وجود الوهم في العالم الصغير الانساني منشأ الغلط
والكفر والتغليط الا انه ضروري الوجود في ادراك الجزئيات و يدفع ضرره وشره بالحكمة والبرهان
فكذلك وجود الشيطان في العالم الدنياوي ضروري يوجب تتميم هذه النشأة الدنيوية ويدفع
ضرره وشره بنور الاسلام وطاعة الشريعة الالهية ثم ان الشيطان وان كان اصله من الملك الا انه
لم يكن الا منافقا معاندا جاهلا كافرا وما زعمه بعض الجماهير ان الشيطان كان من اعلم العلماء فكلامه
مزيف سخيف وكان لم يفرق بين العلم والتعلم ولا بين الحكمة والسفسطة **وصل** التطارد بين
جندي الملائكة والشياطين في معركة النفس الانسانية دائم لما يزال وجودها وقابليتها للامرين

يرتبط

بتوسط قوتيها العقلية والوهمية الى ان ينفتح لاحدهما ويستوطن فيها ويكون احتيال الثاني اختلاسا
وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بقلبه
الذي هو منبع الدم المركب للروح البخارية الحاملة للقوى الوهمية والشهوية والغضبية ومن هنا
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم
صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وعن الصادق عليه السلام
قال ما من قلب الا وله اذنان على احدهما ملك مرشد وعلى الاخرى شيطان مفتن هذا يأمره
وهذا يزجره الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها وهو قول الله تعالى عن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعن النبي صلى الله عليه وآله قال خلق الله الانس
ثلثة اصناف صنف كالبهائم قال الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها الآية وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف كالملائكة
في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وبقية تمام الكلام في الجنة والشياطين في اواخر الكتاب **فصل
في اصناف الملئكة** ان الملئكة على كثرة شعوبها وقبائلها وضروبها وطبقاتها انواعا
شتى واجناسا مختلفة حتى انه لا يتفاوت ما يطلق عليه اسم من الاسماء ما يتفاوت ما يطلق عليه اسم
الملك فمن اصنافهم الاكابر الاربعة وهي اسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل الموكلون
باركان العرش وهم بمنزلة اركان العالم وهي ما كان بناء الخلق عليه وهي الحيوة والموت والرزق
والعلم ومن اصنافهم حملة العرش والحافون حوله في اعتقادات الصدوق رحمه الله فاما العرش
الذي هو جملة الخلق فحملته اربعة من الملئكة لكل واحد منهم ثماني اعين كل عين طباق الدنيا واحد
منهم على صورة بني آدم يسترزق الله لولد آدم والآخر على صورة الثور يسترزق الله للبهائم كلها
والآخر على صورة الاسد يسترزق الله للسباع والآخر على صورة الديك يسترزق الله للطيور فهم
اليوم هؤلاء الاربعة واذا كان يوم القيمة صاروا ثمانية واما العرش الذي هو العلم فحملته اربعة من
الاولين واربعة من الآخرين فاما الاربعة من الاولين فنوح وابرهيم وموسى وعيسى واما الاربعة
من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام هكذا روي بالاسانيد الصحيحة عن الائمة عليهم السلام في

العرش وحملته وفي خبر ابن سلام انه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبرني عن حملة العرش كم هم صنفا
قال ثمانون صنفا طول كل صنف الف الف فرسخ وعرض جسمانه عام ورؤسهم تحت العرش و
اقدامهم تحت سبع ارضين ولو ان طايرا يطير من اذن احدهم اليمنى الى اليسرى الف سنة من سني
الدنيا لم يبلغ الى الاذن الاخرى حتى يموت هرما اي شيخا لهم ثياب من در وما تحت شعورهم كالزعفران
طعامهم التسبيح وشرابهم التهليل والصنف الاول نصفه ثلج ونصفه نار لا النار تذيب الثلج ولا
الثلج يطفي النار والصنف الثاني نصفه رعد ونصفه برق والصنف الثالث نصفه ماء ونصفه مدر
لا الماء يذيب المدر ولا المدر يذيب الماء والصنف الرابع نصفه ريح ونصفه ماء لا الريح ينشف الماء
ولا الماء يسبق الريح قال صدقت يا محمد وفي تفسير الامام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله لما خلق العرش خلق له ثلثمائة وستين الف ركن وخلق عند كل ركن ثلثمائة الف وستين
الف ملك لو اذن الله تعالى لاصغرهم فالتقم السموات السبع والارضين السبع ماكان ذلك بين
لهواته الا كالرملة في المفازة الفضفاضة فقال لهم الله يا عبادي احتملوا عرشي هذا فتعاطوه فلم يطيقوا
حمله ولا تحريكه فخلق الله عز وجل مع كل واحد منهم واحدا فلم يقدروا ان يزعزعوه فخلق الله مع كل واحد
منهم عشرة فلم يقدروا ان يحركوه فخلق الله بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا جميعا ان يحركوه فقال
الله عز وجل لجميعهم خلوه علي امسكه بقدرتي فخلوه فامسكه الله عز وجل بقدرته ثم قال لثمانية منهم
احملوه انتم فقالوا يا ربنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجم الغفير فكيف نطيقه الان دونهم فقال
الله عز وجل لاني انا الله المقرب للبعيد والمخفف للشديد والمسهل للعسير افعل ما اشاء واحكم ما
اريد اعلمكم كلمات تقولونها يخف بها عليكم قالوا وما هي قال تقولون بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين فقالوها فحملوه وخف على كواهلهم
كشعرة نابتة على كاهل رجل قوي فقال الله عز وجل لسائر تلك الاملاك خلوا على هؤلاء الثمانية
عرشي ليحملوه وطوفوا انتم حوله وسبحوني ومجدوني وقدسوني فانا الله القادر على ما رأيتم وعلى
كل شيء قدير ومنهم سكان الجنان وخزنتها وخزنة جهنم وزبانيتها ويجيء احوال هؤلاء مذكورة في
موضعه وقال السجاد عليه السلام في بعض ادعية الصحيفة الكاملة بعد تحميد الله عز وجل والثناء
عليه والصلوة على سيد المرسلين وآله مصليا على حملة العرش واصناف من الملائكة ما هذا لفظه

اللهم

اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون من تقديسك ولا يستحسرون من
عبادتك ولا يؤثرون التقصير على الجد في امرك ولا يغفلون عن الوله اليك واسرافيل صاحب
الصور الشاخص الذي ينتظر منك الاذن وحلول الامر فينبه بالنفخة صرعى رهاين القبور و
ميكائيل ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك وجبريل الامين على وحيك المطاع في اهل
سمواتك المكين لديك المقرب عندك والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو
من امرك فصل عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكان سمواتك واهل الامانة على
رسالاتك والذين لا تدخلهم سامة من دؤوب ولا اعياء من لغوب ولا فتور ولا تشغلهم عن تسبيحك
الشهوات ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات الخشع الابصار فلا يرومون النظر اليك
النواكس الاذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك المستهترون بذكر آلائك والمتواضعون
دون عظمتك وجلال كبريائك والذين يقولون اذا نظروا الى جهنم تزفر على اهل معصيتك سبحانك
ما عبدناك حق عبادتك فصل عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك واهل الزلفة عندك وحمال
الغيب الى رسلك والمؤتمنين على وحيك وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك واغنيتهم عن
الطعام والشراب بتقديسك واسكنتهم بطون اطباق سمواتك والذين على ارجائها اذا نزل الامر
بتمام وعدك وخزان المطر وزواجر السحاب والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود واذا سبحت به
حفيفة السحاب التمعت صواعق البروق ومشيعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر اذا نزل
والقوام على خزائن الرياح والموكلين بالجبال فلا تزول والذين عرفتهم مثاقيل المياه وكيل ما
تحويه لواعج الامطار وعوالجها ورسلك من الملائكة الى اهل الارض بمكروه ما ينزل من البلاء و
محبوب الرخاء والسفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبين وملك الموت واعوانه ومنكر و
نكير ومبشر وبشير ورومان فتان القبور والطائفين بالبيت المعمور ومالك والخزنة ورضوان
وسدنة الجنان والذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والذين يقولون سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والزبانية الذين اذا قيل لهم خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ابتدروه
سراعا ولم ينظروه ومن اوهمنا ذكره ولم نعلم مكانه منك وبأي امر وكلته وسكان الهواء والارض
والماء ومن منهم على الخلق فصل عليهم يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد فصل في كثرتهم

عن الصادق عليه السلام ليس خلق اكثر من الملائكة انه لينزل كل ليلة من السماء سبعون الف ملك فيطوفون
بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كل يوم وسأله رجل فقال الملائكة اكثر ام بنو ادم فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده لملائكة الله في السموات اكثر من عدد التراب في الارض وما في السماء موضع قدم الا وفيه
ملك يسبح له ويقدسه ولا في الارض شجرة ولا عودة الا وفيها ملك موكل بها ياتي الله كل يوم بعملها والله اعلم
بها وما منهم احد الا ويتقرب الى الله في كل يوم بولايتنا اهل البيت ويستغفر لمحبينا ويلعن اعداءنا
ويسئل الله ان يرسل عليهم من العذاب ارسالا وعن الباقر عليه السلام ان في السماء لسبعين صفا
من الملائكة لو اجتمع اهل الارض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما احصوهم وانهم ليدينون بولايتنا
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين عرج به راى ملائكة في موضع منزلة سوق بعضهم
يمشي تجاه بعض فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اين يذهبون فقال جبرئيل لا ادري
الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سألوا واحدا او قيل له منذ
كم خلقت قال لا ادري غير ان الله يخلق كوكبا في كل اربعمائة الف سنة فخلقوا مثل ذلك الكوكب منذ
خلقني اربعمائة الف مرة وروي ان بني ادم عشر الجن والجن والانس عشر حيوانات البر
والجميع عشر الطيور وكلهم عشر حيوانات البحر وكلهم عشر ملائكة الارض الموكلين بها
وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الاولى وعلى هذا الترتيب الى السماء السابعة ثم الكل في
مقابلة الكرسي يسير ثم الجميع عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة
الف سرادق طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت بجميع السموات والارضين كانت شيئا
يسيرا حقيرا وما فيه موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل التقديس والتسبيح
وكل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد مر
بعض الاخبار في كثرتهم في الفصول السالفة **فصل في بدايع خلقهم** في التوحيد عن
امير المؤمنين عليه السلام انه قال في بعض خطبه بعد ان سئل عن قدرة الله جلت عظمته ان لله تبارك
وتعالى ملائكة لو ان ملكا منهم هبط الى الارض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة اجنحته ومنهم من لو كلفت الجن
والانس ان يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته وكيف يوصف من ملائكته
من سبعمائة عام ما بين منكبيه وشحمة اذنيه ومنهم من يسد الافق بجناح من اجنحته دون عظم بدنه ومنهم

من السموات الى حجزته ومنهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الاسفل والارضون الى ركبته ومنهم من
لو القي في نقرة ابهامه جميع المياه لوسعتها ومنهم من لو القيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر
الداهرين فتبارك الله احسن الخالقين وفي نهج البلاغة في خطبة الاشباح ثم خلق سبحانه لاسكان
سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته وملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم
فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب
وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار عن
بلوغها فتقف خاسئة على حدودها انشاهم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة الى
ان قال منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي قترة الظلام الايهم ومنهم من قد
خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة
تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية الخبر وعنه عليه السلام ان الله تبارك وتعالى خلق الملائكة
في صور شتى الا ان لله ملكا في صورة ديك ابح اشهب براثنه في الارضين السابعة السفلى وعرفه
مثنى تحت العرش له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب واحد من نار والاخر من ثلج فاذا
حضر وقت الصلوة قام على براثنه ثم رفع عنقه من تحت العرش ثم صفق بجناحيه ثم يصفق الديوك
في منازلكم فلا الذي من النار يذيب الثلج ولا الذي من الثلج يطفي النار فينادي اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا سيد النبيين وان وصيه سيد الوصيين وان الله سبوح قدوس
رب الملائكة والروح قال فتخفق الديكة باجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله وهو قوله عز وجل
والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه من الديكة في الارض **الباب الثالث في**
النبي والوصي لما اقتضى حكم الالهية الجامعة لجميع الكمالات المشتملة على الاسماء الحسنى والصفات العليا
بسط مملكة الايجاد والرحمة ونشر لواء القدرة والحكمة باظهار الممكنات وايجاد المكونات وخلق الخلائق
وتسخير الامور وتدبيرها وكان مباشرة هذا الامر من الذات القديمة الوحدانية بغير واسطة بعيدة
جدا لبعد المناسبة بين عزة القدم وذلة الحدوث فقضى سبحانه بتخليف نايب ينوب عنه في التصرف
والولاية والايجاد والحفظ والرعاية فلا محالة له وجه الى القدم يستمد من الحق ووجه الى الحدوث يمد به
الخلق فجعل على صورته خليفة يخلف عنه في التصرف وخلع عليه خلع جميع اسمائه وصفاته ومكنه في مسند

الملاذ في البقاء ومقادير الامور اليه واحالة حكم الجمهور عليه وتستفيد بتصرفاته في خزائن ملكه وملكوته وتسخير
الخلائق لحكمه وجبروته وجعل لحكمه مظهرية اسمه الظاهر والباطن حقيقة باطنة وصورة ظاهرة يتمكن
بهما من التصرف في الملك والملكوت فالمقصود من وجود العالم وايجاد الاشياء فيه شيئا فشيئا ان يوجد
الانسان الذي هو خليفة الله في العالم فالغرض من الاركان ان يحصل منها النباتات والغرض من النبات
ان يحصل منه الحيوانات ومن الحيوانات ان يوجد الاجسام البشرية ومن الاجساد البشرية ان يحصل الارواح
الناطقة ان يحصل خليفة الله في ارضه كما دل عليه قوله اني جاعل في الارض خليفة والانبياء عليهم السلام بالاضافة
الى سائر الناس كالانسان بالاضافة الى سائر الحيوانات وكالقلب بالقياس الى سائر الاعضاء والجوارح و
ايضا منزلة الانبياء من اممهم منزلة ضوء الشمس من الارض ومنزلة علمائهم وعلم وارثهم وتابعيهم من علماء الامم
منزلة ضوء الشمس ونور القمر من ضوء نواحي الارض كما قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وكما ان
وجه الارض لا يستضيء الا بنور الشمس والقمر والنجوم ونور الشمس هو المفيض على القمر والنجوم وغيرها فكذلك
منزلة عامة الخلائق لا تحصل ولا تزكى نفوسهم الا بواسطة نبوة الانبياء عليهم السلام وعلى هذا دل بقوله وابعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين فالله تزكى الانبياء
بواسطة الملك وتزكى الناس بواسطتهم كالطابع الذي حصل له كتابة ثم يثبت هو بواسطته في الشموع
المختلفة مثل تلك الكتابة ونسبة الملائكة الى نفس النبي كنسبة ضوء الشمس الى جرمها ونسبتها الى سائر
الناس كنسبة نور الشمس الى سطوح الارض **وصل** اعلم ان الدنيا منزل من منازل السائرين الى
الله والبدن مركب فمن ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره ومالم ينتظم امر المعاش في الدنيا لا يتم امر
التبتل والانقطاع الى الله الذي هو السلوك ولا يتم ذلك حتى يبقى بدنه سالما ونسله دائما وانما يتم كلاهما
باسباب الحفظ لوجودهما واسباب الدفع لمفسداتهما ومهلكاتهما اما اسباب الحفظ لوجودهما فالاكل و
الشرب وذلك لبقاء البدن والمناكحة وذلك لبقاء النسل وقد خلق الله الغذاء سببا للحيوة والاناث
محال الحراثة الا انه لم يخصص المأكول والمنكوح ببعض الآكلين والناكحين بحكم الفطرة مع انهم محتاجون الى عدل
واجتماع وتعاون اذ لا يمكن لكل منهم ان يعيش وحده بتولي تدبيرات المتكثرة المختلفة من غير ان يعاونه
على ضروريات حاجاته بل لابد منه لان يعمل هذا لهذا ويطحن هذا لهذا ويخبز هذا لهذا وعلى هذا القياس
فافترقوا اعدادا واختلفوا احزابا وانعقدوا ضياعا وبلادا فاضطروا في معاملاتهم ومناكحاتهم و

ومن الارواح الناطقة

جناياتهم

جناياتهم الى القانون مرجوع اليه بين كافتهم يحكمون به بالعدل والا لتهارشوا وتقاتلوا بل شغلهم ذلك عن
السلوك للطريق بل افضى بهم الى الهلاك وانقطع النسل واختل النظام فما حيلة عليه كل احد من انه يستهدي
ما يحتاج اليه ويغضب على من يزاحمه فيه وذلك القانون هو الشرع ولا بد من شارع يعين لهم ذلك
القانون والمنهج لينتظم به معيشتهم في الدنيا ويبين لهم طريقا يصلون به الى الله عز وجل ما يفرض عليهم
ما يذكرهم امر الآخرة والرحيل الى ربهم وينذرهم يوم ينادون فيه من مكان قريب وتنشق الارض عنهم سراعا
ويهديهم الصراط المستقيم لئلا ينسوا ذكر ربهم وينهلوا انما بهم عن غايتهم التي هي الغاية القصوى والمقصد
الاقصى عن الصادق عليه السلام قال للزنديق الذي سأله من اين اثبت الانبياء والرسل انا لما اثبتنا ان لنا
خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز ان يشاهده خلقه
ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون عنه الى خلقه
وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون والناهون عن
الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعز وهم الانبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين
بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من احوالهم مؤيدين عند الحكيم العليم
بالحكمة ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما اتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين لكيلا
تخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته وفي نهج البلاغة في خطبته عليه السلام
واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله
اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث
فيهم رسله وواتر اليهم انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا
لهم دفائن العقول ويروهم آيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم
وآجال تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتابع عليهم **وصل** وليعلم ان الغرض الاصلي من ارسال
الرسل ووضع الشرائع انما هو تحصيل الغيب للشهادة وسياقة الخلق الى الله وخدمة الشهوات للعقول
وارجاع الدنيا الى الآخرة والحث على هذه الامور والزجر على عكسها لكي يتخلص الخلائق من عذاب الآخرة والوبال
ووخامة العاقبة وسوء المآل ويفوزوا بالسعادة القصوى على قدر استعداداتهم والامكان في الانسان
في ان يعيش نوع من السياسة يحفظ اجتماعهم الضروري وان كان ذلك منوطا بتغلب او ما يجري مجراه

كما نرى من تعيش سكان اطراف العمارة بالسياسات الضرورية فالسياسة الدنيوية بالنسبة الى النبي انما هو
بالعرض لا بالذات مع انه لا شيء منها الا وفيه حكمة اخروية اذا باشرها النبي او ناب فيها اذا اقتربت الاحكام
الالهية لم يحب شيئا منها خاليا عن تقوية الجنبة العالية وان كانت مما يتعلق بامور الدنيا كما قال
بعض الحكما واذا قام العدل خدمت الشهوات العقول واذا قام الجور خدمت العقول الشهوات فطلب الاخرة
اصل كل سعادة وحب الدنيا راس كل خطيئة وليلاحظ العاقل اللبيب هذا الاصل في حكمة كل ما امر به
او نهي عنه في الشريعة وقيل نسبة النبوة الى الشريعة كنسبة الروح الى الجسد الذي فيه الروح والسياسة المجردة
عن الشرع كجسد لا روح فيه **وصل** ومن صفات النبي ان يكون حاله في الحد المشترك بين عالم المعقول
وعالم المحسوس فهو تارة مع الحق بالحب له وتارة مع الخلق بالرحمة عليهم والشفقة لهم فاذا عاد الى الخلق كان
كواحد منهم كانه لا يعرف الله وملكوته واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق ما جف
من الله ويتعلم من لدنه ويعطي لعباده ويعلمهم ويهديهم فيشكل وجاب ونسال ويجيب فانها للطرفين
واسطة بين العالمين جمعا من جانب ولسانا الى جانب فلقلبه بابان مفتوحان احدهما وهو الباب
الداخلي الى مطالعة اللوح والذكر الحكيم فيعلم علما يقينيا الدنيا من عجائب ما كان او سيكون واحوال
العالم ما مضى وما سيقع واحوال القبر والحشر والحساب ومال الخلق الى الجنة او النار وانما ينفتح هذا
الباب لمن توجه الى عالم الغيب وافرد ذكر الله على الدوام والثاني الى مطالعة ما في الحواس ليطلع على سوانح
مهمات الخلق فيهديهم الى الخير ويردعهم عن الشر فيكون قد استكملت ذاته في كلتي القوتين اخذ الحظ الاوفر
من نصيب الوجود والكمال من الله سبحانه بجميع الجانبين ويؤتي حق الطرفين وهذا اكمل مراتب الانسانية
وصل والسر في اطلاع النبي على الملك الموحي دون غيره انه لما صقل روحه بصقالة العقل العبودية
التامة وزالت عنه غشاوة الطبيعة ورين المعصية بالكلية وكانت قدسية شديدة القوى قوية الانارة
لما تحتها لم يشغلها جهة فوقها عن جهة تحتها لضبط الطرفين ووسع الجانبين ولا يستغرقها حسها
الباطن عن حسها الظاهر فاذا توجهت الى الافق الاعلى وتلقت انوار المعلومات بلا تعليم بشري من
الله يتعدى تاثيرها الى قواها ويتمثل صورة ما يشاهد روحها البشري ومنها الى الظاهر فيكون متمثلا
للحواس الظاهرة سيما السمع والبصر لكونهما اشرف الحواس الظاهرة والطفها فيرى شخصا محسوسا
ويسمع كلاما منظوما في غاية الجودة والفصاحة او صحيفة مكتوبة فالشخص هو الملك النازل الحامل للوحي

الالهي والكلام هو كلام الله والكتاب كتابه وقد يرى لكل منها من عالم الامر القولي القضائي ذات الحقيقية
وصورته الاصلية الى عالم الخلق الكتابي القدري في احسن صورة واجمل كسوة كتمثل جبرئيل عليه السلام لنبينا
صلى الله عليه واله وسلم في صورة دحية بن خليفة الكلبي الذي كان اجمل اهل زمانه وما رآه في صورته
الحقيقية الا مرتين وذلك انه صلى الله عليه واله وسلم ساله ان يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فطلع له جبرئيل فسد الافق من المشرق الى المغرب وفي رواية كان له ستمائة جناح ووراه مرة اخرى
على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى **وصل** ان مقصود فطرة الادميين وكمالهم وغايتهم
ادراكهم لسعادة القرب من الحضرة الالهية ولم يمكن ذلك الا بتعريف الانبياء فكانت النبوة مقصودة
بالايجاد والمقصود كمالها وغايتها لا اولها وانما يكمل بحسب سنة الله تعالى بالتدريج كما يكمل عمارة الدار
بالتدريج فمهد اصل النبوة بادم عليه السلام ولم يزل ينمو ويكمل حتى بلغ الكمال بمحمد صلى الله عليه واله وسلم
وكان المقصود كمال النبوة وغايتها وتمهيد اوائلها وسيلة اليها كتاسيس البناء وتمهيد اصول
الحيطان فانه وسيلة الى كمال صورة الدار ولهذا السر كان خاتم النبيين فان الزيادة على الكمال نقصان
كالاصبع الزائدة في الكف واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم مثل النبوة مثل دار معمورة لم
يبق فيها الا موضع لبنة وكنت انا تلك اللبنة او لفظا هذا معناه فهو اذن خاتم النبيين ضرورة اذ بلغ
به الغاية والكمال والغاية اول في التقدير اخر في الوجود وقوله صلى الله عليه واله وسلم كنت نبيا وادم
بين الماء والطين ايضا اشارة الى ما ذكرناه وانه كان نبيا في التقدير قبل تمام خلقة ادم لانه لم ينشا خلقة
ادم الا لينتزع الصافي من ذريته ولا يزال يستصفي تدريجا الى ان يبلغ كمال الصفا فيقبل الروح القدسي
المحمدي والحكمة في كونه خاتم النبيين وامته اخر الامم امور منها ان يظهر فضله وشرفه بنسخ شريعته لسائر
الشرائع واستمرار حكمها الى اخر الدهر ومنها اخذ الله العهد والميثاق على سائر الانبياء بان من ادركه
اتبعه ومن لم يدركه ياخذ العهد على امته بذلك ليكون ذلك دليلا على صحة قرينة دعوى نبوته وحجة
على من خالفه ومنها ان يكون هو وامته شهداء على الناس ومنها ان يكون لبثهم تحت الارض اقل
من لبث غيرهم تكرما لهم ومنها ان الله قص اخبار الامم وعواقب امورهم على من بعدهم من الامم حتى
وصل علم ذلك الينا ولم يحصل بعد هذه الامة امة تطلع على احوالهم بل سر اسرارهم موكولة الى الله تعالى
ستر الهم لئلا يطلع على معايبهم ولا يفتضحوا بذكرها الا ما النبيهم صلى الله عليه واله وسلم الى غير ذلك من

الفوايد والحكم والحكمة في كونه صلى الله عليه وآله وسلم يتيما انه لا يجب عليه طاعة لغير ابيه ولا تكون عليه ولاية لغير مربوبه
ولا يتوجه عليه حق لمخلوق ولا ينسب اليه مخالفة ولا تطيع ولا عقوق وصل اعلم انه قد اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ومضت عليه برهة من الزمان ما كان امرا مشهورا ثم بعد مرور
الشهور وكرور الدهور خلق من نطفة امشاج حاصلة على اوسط مزاج وهذه المدة وما وقع فيها
من الاستحالات والتجددات حسب ارادة الله ومشيته في خلق الانسان سماها القران بتقدير ادوار
في قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء
ركبك ثم بعد التسوية والتعديل افاض عليه انوار الحواس بواسطة تسليط الحرارة الغريزية على الرطوبة
الغريزية لاعداد الادخنة اللطيفة واصعاد الارواح الهوائية منها التي تتشبث بها النفس الناطقة وهي بها
تتشبث المنار بل نورها بالفتيلة الدخانية فينجذب كل منها الى صاحبه انجذاب الحديد الى مغناطيس
وانجذاب عاشق الى معشوق كما قال فجعلناه سميعا بصيرا وبعدها النفس المخيلة واليها الاشارة
بقوله انا هديناه السبيل الى سبيل الخير والشر المعقول والمحسوس ثم العقل العاقلة واليها الاشارة
بقوله اما شاكرا واما كفورا وقوله سبحانه ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فعند
ما اشتعلت القوة النفسانية في مشكوة الحواس اشتعالا تاما والتهب لشدة صفاء زيتها في
فتيلتها التهابا قويا انفتحت بصيرته فراى العالم المحسوس والسموات والارض وما بينها افقا هدهدا
فلانسقه بلغزيم كواكب ليله ونهاره مكلله قبابها سود وله حلبابها مسدودة ابوابها السائل
الطاسات المقبتة والكاسات المعلقة الغير المثقبة ولم ير في هذه الدار ديارا سوى الدائرات السائرات
فتحير وتنظر ما يم درين كنبد فيروزه اساس جوينده رخنه جو مور طاس كاهنه از منزل اميد
هو اس سركشته ضيم بسر چون كاو خراس حيقارى في هذه الحلقة المستدير وفي هذا البساط
الذي يحرك عليه الصورة الدائرة الذاهبة الجائية التي تطلع وتغرب على وتيرة واحدة من غير ان يعلم
فيها اثر الحيوة وتغير الارادات والشهوات الاقربا وبعدا بين هذه الحقائق الذهبية والفضية والنحاسية
والاسرية وغيرها تارة بالتثليث واخرى بالتربيع وطورا بالتسديس والمقابلة ودفعة بالاحتراق
والمقارنة برده هنى هو واضطرب حكلدا ما العنكاكم وظلف لعستان ازدروى حقيقت ازرقي
مخار بازنجه سمى كنم ريطع وجود رفتم بصند وقعد مرليا باز ولم يعلم ان هذه الصور مربوطة

بخيوط دقيقة لا ترى لدقتها باكثر الانظار بيد مدبر حكيم ومشعبذ عليم يحركها كيف يريد ويقلبها كيف يشاء
فاحال الجهلة بالمدبر الصانع هذه الكائنات والحوادث المصنوعات الى الدهر والطبيعة المصنوعة قائلا
كما حكى الله عنهم وما يهلكنا الا الدهر فجحد المدبر الحكيم القدير الصانع العليم الخبير وعبد الطاغوت وجعل
الهه هواه فلما انفتحت بصيرته قليلا وتامل تاملا كليلا تحير ان هذه المتغيرات الجارية على وجه
الدهر الكائنات المجددة على بسيط الهيولى لا تتكون الا من مكون غير متكون ومن مغير غير متغير موجد
من الوجوه فاعترف بذنوبه وعثر على عيوبه فاستغفر وتاب واقروا نابه فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فتيقن علما بالمبدء الدائم والقيوم الثابت القائم لكن
تحير بعد في حال المعاد واضطرب فكره في مآل العباد بل صرح بنفيه حيث تردد في ان الانسان يتكون
من المزاج الحاصل بين الاضداد ثم بعد فساده لا يرجى له العود الى المعاد سيما عند من راى استحالة
اعادة المعدوم راسا ثم اي فائدة له ولغيره في الابتداء حتى يعاد في الانتهاء كما حكى الله عنهم بقوله
ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى ثم البعث والمرجع فلهذا السبب انكر النبوة المتدرة بالبعث
وفوائدها واحتج عليها على منع نشر دواليها وطي بساط الشريعة وفائدة التكليف والبعث وجزاء
الحسنات والسيئات يوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم وعلى هذه الطريقة جرى برهمان الهند
وتابعوه وعليها جرت الصابئة خصوم الخليل عليه السلام على ما حكى الله في مواضع جمة من كتابه بشر
يهدوننا ان هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون وملاء الكائم
واستكبارهم وسبب اصرارهم واستكبارهم على حرف واحد وهو ما حكى الله عنهم في قوله ما انتم الا بشر
مثلنا وما انزل الرحمن من شيء عنوا به ان البشر لا يصلح للرسالة لان افراده مشتركة في الماهية متماثلة
في الطبيعة النوعية فمن المحال ان يختص بعضها بخاصية دون اخر فاما ان يكون كلهم انبياء وهذا محال
لا ترددي الى عدم النبوة او لا يكون واحد منهم نبيا وكلاهما سط ظهر فهذه حجتهم الداحضة وغاية
افكارهم الغامضة الا انها واهية لانها اوهن من بيت العنكبوت فان افراد الناس وان كان بحسب الفطرة
الاولى متماثلة كما في قوله انما انا بشر مثلكم الا انها بعد مزاولة الاعمال ومباشرة الافعال وحصول
الملكات والاخلاق الحسنات والحسنات والسيئات المقتنيات تصير بحسب الفطرة الثانية متخالفة الحقيقة
فاين الروح المحمدية النورية العلية والنفس اللهبية النارية الجهلية التي لابي لهب وابي جهل هل يستوي الذين

الفوائد والحكم والحكمة في كونه صلى الله عليه وآله وسلم يتيما انه لا يجب عليه طاعة لغير الله ولا يكون عليه ولاية لغيره تعالى
ولا يتوجه عليه حق لمخلوق ولا ينسب اليه مخالفة ولا تطيعه ولا عقوق **وصل** اعلم ان الله تعالى اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ومضت عليه برهة من الزمان ما كان امرا مشهورا ثم بعد مرور
الشهور وكرور الدهور خلق من نطفة امشاج حاصلة على اوسط مزاج وهذه المدة وما وقع فيها
من الاستحالات والتقلبات حسب ارادة الله ومشيته في خلق الانسان سماها القران تعديلا وتسوية
في قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء
ركبك ثم بعد التسوية والتعديل الفاض عليه انوار الحواس بواسطة تسليط الحرارة الغريزية على الرطوبة
الغريزية لاعداد الادخنة اللطيفة واصعاد الارواح الهوائية منها التي تتشبث بها النفس الناطقة وهي بها
تتشبث النار بل نورها بالفتيلة الدخانية فيجذب كل منهما الى صاحبه انجذاب الحديد الى مغناطيس
وانجذاب عاشق الى معشوق كما قال فجعلناه سميعا بصيرا وبعدها النفس المخيلة واليها الاشارة
بقوله انا هديناه السبيل اي سبيل الخير والشر في المعقول والمحسوس ثم العقل العاقلة واليها الاشارة
بقوله اما شاكرا واما كفورا وقوله سبحانه ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فعند
ما اشتعلت القوة النفسانية في مشكوة الحواس اشتعالا تاما والتهبت لشدة صفاء زيتها في
فتيلتها النهابا قويا انفتحت بصيرته فراى العالم المحسوس والسموات والارض وما بينهما فشاهدها
قد اتسقت بنظم محكم كواكب ليله ونهاره مكللة قبابها سدوله جلبابها مسدودة ابوابها امثال
الطاسات المقببة والكاسات المعلقة الغير المتغيرة ولم ير في هذه الدار الا سوى الدائرات الكاينات
~~فحرك ... ما يم دريكسبد ... اسماس جويند ... وانداطاس ... ازمنزل ميدهر~~
~~هو اس ... سركشتر جيلم ... چون ... وخراس ... بر ... في هذه الحلقة المعلقة~~ وفي هذا البساط
الذي يجري عليه الصورة الدائرة الذاهبة الجائية التي تطلع وتغرب على وتيرة واحدة من غير ان يعلم
فيها اثر الحيوة ونقش الارادات والشهوات الا قريبا وبعد بين هذه الحلقات الذهبية والفضية والنحاسية
والاسربية وغيرها تارة بالتثليث واخرى بالتربيع وطورا بالتسديس والمقابلة ودفعة بالاحتراق
~~والمقارنة ... واضطرب ... ما العنكبوت وطالت ... ازروى حقيقت ارزوي~~
~~مجاز ... وجود ... وقعدم ... ولم يعلم~~ ان هذه الصور مربوطة

بخيوط دقيقة لا ترى لدقتها بابصار الانظار بيد مدبر حكيم وشعبذة عليم يحركها كيف يريد ويقلبها كيف يشاء
فمال الجهلة بالمدبر الصانع هذه الكاينات والحوادث المصنوعات الى الدهر والطبيعة المصنوعة قائلا
كما حكى الله عنهم وما يهلكنا الا الدهر فجحد المدبر الحكيم القدير الصانع العليم الخبير وعبد الطاغوت وجعل
الهه هواه فلما انفتحت بصيرته قليلا وتامل تاملا كليلا علم ان هذه المتغيرات الجارية على وجه
الدهر الكاينات المتجددة على بسيط الهيولى لا يكون الا من مكون غير متكون ومن مغير غير متغير بوجه
من الوجوه فاعترف بذنوبه وعثر على عيوبه فاستغفر وتاب واقر واناب فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فتيقن علما بالمبدأ الاول والقيوم الثابت القائم ثم
تحير بعد في حال المعاد واضطرب فكره في مال العباد بل صرح بنفيه حيث ذهب ان الانسان يتكون
من المزاج الحاصل بين الاضداد ثم ما فسد لا يرجى له العود الى المعاد سيما عند من راى استحالة
اعادة المعدوم راسا ثم اي فائدة له ولعيه في الابتداء حتى يعاد في الانتهاء كما حكى الله عنهم بقوله
ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى بل العبث والمرجع فلهذا انكر النبوة المتقدرة بالبعث
وفوائدها واعترض عليها بانه لم يبين فوائدها وطي بساط الشريعة وفائدة التكليف والبعث وجزاء
الحسنات والسيئات يوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم وعلى هذه الطريقة جرى برهمان الهند
وتابعوه وعليها جرت الصابئة في خصوم الخليل عليه السلام على ما حكى الله في مواضع جمة من كتابه بقوله
يريدون ان هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ومدار انكارهم
واستكبارهم ومبنى اصرارهم واستكبارهم على حرف واحد وهو ما حكى الله عنهم في قوله ما انتم الا بشر
مثلنا وما انزل الرحمن من شيء عنوا به ان البشر لا يصلح للرسالة لان افراده مشتركة في الماهية متماثلة
في الطبيعة النوعية فمن المحال ان يختص بعضها بخاصية دون اخر فاما ان يكون كلهم انبياء وهذا محال
لا نه يؤدي الى عدم النبوة او لا يكون واحد منهم نبيا وكلاهما مطلوبهم فهذه حجتهم الداحضة وغاية احكامهم
الفاسدة الا انها واهن الاساس واوهن من بيت العنكبوت فان افراد الناس وان كانت بحسب الفطرة
الاولى متماثلة كما في قوله انما انا بشر مثلكم الا انها بعد مزاولة الاعمال ومباشرة الافعال وحصول
الملكات والاخلاق الحسنات الحسنات والسيئات المقبحات تصير بحسب الفطرة الثانية متخالفة الحقيقة
فاين الروح المحمدية النورية العلية والنفس اللهبية النارية الجهلية التي في جيدها حبل هل يستوي الذين

ايل

الفوائد والحكم والحكمة في كونه صلى الله عليه وآله وسلم يتيما ان لا يجب عليه طاعة لغير الله ولا يكون عليه ولاية لغيره
ولا يتوجه عليه حق لمخلوق ولا ينسب له مخالفة ولا تطيير ولا عقوق وصل اعلم انه قد اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ومضت عليه برهة من الزمان ما كان امرا مشهورا ثم بعد مرور
الشهور وكرور الدهور خلق من نطفة امشاج حاصلة على اوسط مزاج وهذه المدة وما وقع فيها
من الاستحالات والتجددات حسب ارادة الله ومشيته في خلق الانسان سماها القران تقديرا وتدبيرا
في قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء
ركبك ثم بعد التسوية والتعديل الفائض عليه انوار الحواس بواسطة تسليط الحرارة الغريزية على الرطوبة
الغريزية لاعداد الادخنة اللطيفة واصعاد الارواح الهوائية منها لتتشبث بها النفس الناطقة وهي بها
تتشبث النار بل نورها بالفتيلة الدخانية فيجذب كل منهما الى صاحبه انجذاب الحديد الى مغناطيس
والعاشق الى معشوقه كما قال فجعلناه سميعا بصيرا وبعدها النفس المتخيلة واليها الاشارة
بقوله انا هديناه السبيل اي سبيل الخير والشر في المعقول والمحسوس ثم العقل العاقلة واليها الاشارة
بقوله اما شاكرا واما كفورا وقوله سبحانه ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فعند
ما اشتعلت القوة العقلانية في مشكوة الحواس اشتعالا تاما والتهبت بشدة صفاء زيتها في
فتيلتها النيرة باقوى انفتحت بصيرته فراى العالم المحسوس والسموات والارض وما بينها افقا هذا
ثم انتقل ... كواكب ليله ونهاره مكلله قبابها مسدوله جلبابها مسدودة ابوابها امثال
الطاسات المكبة والكاسات المعلقة الغير المثقبة ولم ير في هذه الدار ديارا سوى الدائرات السائرات
~~فيحور ... ما بيم درين كنبد فيروزه اساس جويند رخنه جو مور ... اكاه نه از منزل ...~~
~~هوايس سركشته ... چون كاو خراس ...~~ في هذه الحلقة المبهمة وفي هذا البساط
الذي يجرك عليه الصورة الدائرة الذاهبة الجائية التي تطلع وتغرب على وتيرة واحدة من غير ان يعلم
فيها اثر الحيوة وتعين الارادات والشهوات الا قربا وبعدا بين هذه الحلقات الذهبية والفضية والنحاسية
والاسربية وغيرها تارة بالتثليث واخرى بالتربيع وطورا بالتسديس والمقابلة ودفعة بالاحتراق
والمقارنة ~~... ما لعبتكانيم ...~~ از روى حقيقت نه از روى
مجاز ~~بازيچه ...~~ ولم يعلم ان هذه الصور ...

ثم

بخيوط دقيقة لا ترى لدقتها باكثر الانظار بيد مدبر حكيم وشعبة عليم يحركها كيف يشاء ويقلبها كيف يشاء
فاحال الجهلة بالمدبر الصانع هذه الكائنات والحوادث المصنوعات الى الدهر والطبيعة المصنوعة قائلا
كما حكى الله عنهم وما يهلكنا الا الدهر فجحد المدبر الحكيم القدير الصانع العليم الخبير وعبد الطاغوت وجعل
الهه هواه فلما انفتحت بصيرته قليلا وتامل تاملا كليلا علم ان هذه المسخرات الجارية على وجه
الدهر الكائنات المتجددة على بسيط الهيولى لا تكون الا من مكون غير متكون ومن مغير غير متغير بوجه
من الوجوه فاعترف بذنوبه وعثر على عيوبه فاستغفر وتاب واقر واناب فقال ربنا ظلمنا انفسنا و
ان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فتيقن علما بالمبدأ الاول والمبدأ الثابت القائم لكن
تحير بعد في حال المعاد واضطرب فكره في مآل العباد بل صرح بنفيه حيث درى ان الانسان يتكون
من المزاج الحاصل بين الاضداد فاذا فسد لا يرجى له العود الى المعاد سيما عند من راى استحالة
اعادة المعدوم راسا ثم اي فائدة له ولغيره في الابتداء حتى يعاد في الانتهاء كما حكى الله عنهم بقوله
ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى بل العبث في المرجع فلذلك السبب انكر النبوة المنذرة بالبعث
وفوائدها واصر على منع نشر بوائدها وطي بساط الشريعة وفائدة التكليف والبعث وجزاء
الحسنات والسيئات يوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم وعلى هذه الطريقة جرى برهمان الهنود
وتابعوه وعليها جرت الصابئة خصوم الخليل عليه السلام على ما حكى الله في مواضع جمة من كتابه ابشر
يهدوننا ان هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ومدار انكارهم
واستنكارهم ومبنى اصرارهم واستكبارهم على حرف واحد وهو ما حكى الله عنهم في قوله ما انتم الا بشر
مثلنا وما انزل الرحمن من شيء وعنوا به ان البشر لا يصلح للرسالة لان افراده مشتركة في الماهية متماثلة
في الطبيعة النوعية فمن المحال ان يختص بعضها بخاصية دون اخر فاما ان يكون كلهم انبياء وهذا محال
لانه يؤدي الى عدم النبوة او لا يكون واحد منهم نبيا وكلاهما سلموهم فهذه حجتهم الداحضة وغاية افكارهم
الغامضة الا انها واهنة الاساس وهي من بيت العنكبوت فان افراد الناس وان كانت بحسب الفطرة
الاولى متماثلة كما في قوله انما انا بشر مثلكم الا انها بحسب اولة الاعمال ومباشرة الافعال وحصول
الملكات والاخلاق الحسنات المحسنات والسيئات المقبحات تصير بحسب الفطرة الثانية متخالفة الحقيقة
فاين الروح المحمدية النورية العلية والنفس ... النارية الجهلية التي ... هل يستوي الذين

يعلمون والذين لا يعلمون ولاجل هذا التفاوت في النفوس قال عز وجل الله اعلم حيث يجعل رسالته
نوع البشر وان كانت افراده متماثلة الا ان بعض النفوس مقدار اعند الله لا يقدرونه بل يفوق الانبيا
في النبوة من جهتين احديهما نظر العناية الخالق الذي له الخلق والامر فانه من لم يهمل اخمص القدمين
دون التقعير مع قلة نفعه بل تكميلا للزينة ولم يضيع تقويس الحاجبين ولا تقريب اهداب العيون و
تسويد اشفارها مع حقارة فوائدها فكيف يظن به ان لا يفيض افاضة النبوة على روح من الارواح البشرية
مع كونه رحمة للعالمين كان احرى واولى والثانية نظر الى حاجة الخلق لان في العالم الصغير الذي
هو الهيكل الانسي متى لم يكن دماغ مطاع لقواه سوى كل واحد على ما كان لخرب بعضها بعضا اصبح كل
منها مطاعا مطيعا بل الكل من امير واحد ينتهون بزجره ويأتمرون بامره ما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا فاذا كان امر العالم الصغير لا يتم ولا يتمشى دون امير قاهر فما ظنك بعالم العناصر
المثارة لاثار الفتن المكمن لانواع المحن فلا بد للخلق من الهداية الى كيفية تحصيل المصالح وجلب المناجح
حتى تتم العناية الازلية كما قال الله تعالى حكاية عن افاضل الانبياء والرسل حيث المعتبر اعلى
هذه الكلمة وهي العناية فان الخلق دون الهداية تعطيل واهمال والهداية دون الخلق مستحيل و
محال فلا بد من مجموعهما وهي عناية قال ابرهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين ذكر عناية
خاصة به لانه كان اول الناس حبا الملة وقال موسى عليه السلام الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ذكر
عناية عامة حيث حكم بقضية حملية كلية لانه قدم حيطانه دون سقفه فان الصلوة التي هي عماد الدين
ما قامت عمودها حتى يستوي عرشه عليه وقال سيدنا صلى الله عليه وآله الذي خلق فسوى و
الذي قدر فهدى ذكر مطلقا شاملا للخاص والعام بل زاد عليهما سوى ذلك لانه ذكر مبدا عالم الخلق
ومنتهاه وهو قوله خلق فسوى وذكر مبدا عالم الامر ومنتهاه وهو قوله قدر فهدى فبمثل امثال هذه
المدائح يعرف فضيلة الانبياء وبمثل هذه الكلمة الوجيزة الفصيحة الا من جوامع الكلم التي اوتي ومجامع
الحكم التي اعطي ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واعلم انه كما ان المقصود من خلق الاجناس والمواد
هي الانواع والصور وهكذا الى النوع الاخير والصورة الكاملة الانسانية فكذا المقصود في وجود النوع
الى الصنف الاشرف كالعالمين من الناس والمقصود من وجود الصنف الجاد تخص المقصود منهم
اخراج عضو صالح فيه نقطة صالحة لقبول الفيض والا من الرحمة الواسعة الوجودية من الانوار الملكية

ثم

ثم من الآثار العلوية العقلية ثم من العناية الربانية والهداية الى الصراط المستقيم للذين انعم الله عليهم غير
مغضوب عليهم بنعمة الغضب والنكال ونقمة الضلال والوبال وهي كالعلم والحكمة ثم الحرية والولاية ثم النبوة و
الرسالة وهكذا الى غاية الرسالة وختم النبوة وهذا كالبلد فيها البيت فيه الحجر فيها الدرة الفاخرة
مثل القالب فيه بيت القلب فيه صدف الروح المخزونة فيها جوهر النفس الناطقة العاقلة فيها
سر النبوة والولاية فهو اشرف من العقل الذي هو اشرف من ذلك الروح الاشرف من قلب
الاشرف من قالب الاشرف من صنف عال واشبه من نوع عال على درجات ومن جنسه على منازل
كقوله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم وقوله والذين اوتوا العلم درجات فالاشرف
من كل جنس نير كالشمس ومن كل نوع نبيه كالانسان ومن كل صنف نبيه كالحكيم ومن كل شخص
نبيه كالقلب ولهذا قال تعالى ولكل قوم هاد وقال ايضا وان من امة الا خلا فيها نذير
وقال صلى الله عليه وآله العالم في قومه كالنبي في امته وقد اجتمعت هذه الشرافات كلها في درة
يتيمة هي النفس الناطقة العاقلة الملكوتية التي هي نور على نور وصفاء في صفاء وضياء في ضياء
انشق في جيب نوره نور القمر وانكسف عند ضيائه ضياء الشمس هو نور النبي محمد
المصطفى المزكى الذي لا يزال نوره يستضيء به ويستكمل ويستنير حتى فاز بالقدح المعلى والسهم
الاوفى فهو كالشمس في نصف النهار واولاده المطهرون كالبروج الاثني عشر واصحابه واولياؤه
المرضيون كالنجوم الزواهر واحبائه كالدرر الفاخرة صلوات الله وسلامه عليه وعلى اهل بيته المطهرين
واوليائه وامته الهادين المهديين ما درت صبا على البسيط وهبت نسيم على المحيط ولا استغناء في حدة
واستقاء حسم من هذه الارواح التي هي كالاصلاب الشامخة والاحسان الحسنة والنوعية التي هي
كالبطون والاصداف امورها بالاتكال عليه في قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت الذي يراك
حين تقوم وتقلبك في الساجدين يعني مبادي اجناسهم وفصول انواعهم ساجدين لكونكم خاضعين
مطيعين له وسعى تقلبه من طور الى طور تقلبا وصل فقد تقرر في العلوم الالهية ان الحق تعالى
برهان على كل شيء كما قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد ثبت ايضا ان المبدا عين
الغاية والبداية عين النهاية وان الله فاعل كل شيء وان الانسان الكامل الذي هو الاكمل غاية
المخلوقات لولاك لما خلقت الافلاك فاذن يجب ان يكون هو البرهان على سائر الاشياء كما انه اولا

يعلمون والذين لا يعلمون ولاجل هذا التفاوت في النفوس قال عز وجل الله اعلم حيث يجعل رسالته في
نوع البشر وان كانت افراده متماثلة الا ان بعض النفوس مقدسة عند الله لا تفهمونه بل تفوق الاب
في النبوة من جهتين احدهما نظر الاعتناء الخالق الذي له الخلق والامر فان من لم يجعل اخص القديم
دون الناقص مع قلة نفعه بل كهلاك المزية ولم يضع نفوس الحاجبين الامور ابور اهداب العيون و
ستر بدل اشعارها مع حقارة فوائدها فبان ان لا يسوغ العقل باختصاص النبوة على روح من الارواح البشرية
مع كونه رحمة للعالمين كان احرى واولى والثانية نظر الى حاجة الخلق لان في العالم الصغير الذي
هو الهيكل الانسي لم يكن لجميع طاع القواه سوى كل واحد على كانه بحزبه بعيا حتى اصبح كل
منها مطاعا مطيعا بل الكل من امير واحد منه يتون بزجره ويأتمرون بامره ما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا فاذا كان امر العالم الصغير لا يتم ولا يتمشى دون امير قاهر فما ظنك بعالم العناصر
المشاركة لاثار الفتن المكرم لانواع المحن فلا بد للخلق من الهداية الى كيفية تحصيل المصالح وجلب المناجح
حتى تتم العناية الازلية كما قال الله تعالى حكاية عن افاضل الانبياء والرسل حيث المقرا على
هذه الكلمة وهي العناية فان الخلق دون الهداية تعطيل واهمال والهداية دون الخلق مستحيل و
محال فلا بد من مجموعهما وهي عناية قال ابرهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين ذكر عناية
خاصة به لانه كان والناس حنيفا ملة وقال موسى عليه السلام الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ذكر
عناية عامة حيث حكم بتقضية حلية كلية لانه قدم حيطانه دون سقفه فان الصلوة التي هي عماد الدين
ما قامت عمودها حتى يستوي عرشه عليه وقال سيدنا صلى الله عليه واله الذي خلق فسوى
الذي قدر فهدى ذكر مطلقا شاملا للخاص والعام بل لا دليل عليها سوى ذلك لانه ذكر مبدا عالم الخلق
ومنتهاه وهو قوله خلق فسوى وذكر مبدا عالم الامر ومنتهاه وهو قوله قدر فهدى ففي امثال هذه
المرامز يعرف فضيلة الانبياء وبها هذه الكلمة الوجيزة الفصيحة الا من جوامع الكلم التي اوتي ومجامع
الحكم التي اعطي ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واعلم انه كان المقصود من خلق الاجناس والانواع
من الانواع والصور فهكذا الى النوع الاخير والصورة الكاملة الانسانية فكذا المقصود في وجود النوع
الى الصنف الاشرف كالعالمين من الناس والمقصود من وجود الصنف ايجاد شخص المقصود منهم
اخراج عضو صالح فيه نقطة صالحة لقبول الفيض اولا من الرحمة الواسعة الوجودية من الانوار الحكمية

ساير

خلق

ثم

١٠

٨٦

ثمرة من الاثار العلوية العقلية ثم من العناية الربانية والهداية الى الصراط المستقيم للذين انعم الله عليهم غير
سوية بنعمة الغضب والكمال وسمة الضلال والوبال وهي كالعلم والخبرة ثم الجزية والولاية ثم النبوة و
الرسالة وهكذا الى الغاية الرسالة وختم النبوة وهذا كالبلدة فيها البيت فيه الحجرة فيها الدرة القا
فيه القالب فيه بيت القلب فيه صدفة الروح المخزونة فيها جوهر النفس الناطقة العاقلة فيها
سر النبوة والولاية فهو اشرف من العقل الذي هو اشرف من ذلك الروح الاشرف من قلب
الاشرف من قالب الاشرف من صنف على وانتبه من نوع على درجات ومن جنسه على منازل
كقوله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم وقوله والذين اوتوا العلم درجات فالاشرف
من كل جنس نير كالشمس ومن كل نوع نبيه كالانسان ومن كل صنف نبيه كالحكيم ومن كل شخص
نبيه كالقلب ولهذا قال تعالى ولكل قوم هاد وقال ايضا وان من امة الا خلا فيها نذير
وقال صلى الله عليه واله الشيخ في قومه كالنبي في امته وقد اجتمعت هذه الشرافات كلها في درة
يتيمة هي النفس الناطقة العاقلة الملكوتية الهي نور على نور وصفاء في صفاء وضياء في ضياء
اشرق في حين نوره نور القمر انكشف عند ضيائه ضياء الشمس هو نور الضحى بدر الدجى محمد
المصطفى المزكي الذي لا يزال نوره يستضيئ وبدره يستكمل ويتنمى حتى فاز بالقدح المعلى والسهم
الاوفى فهو كالشمس في نصف النهار واولاده المطهرون كالبروج الاثني عشر واصحابه واولياؤه
المرضيون كالنجوم الزواهر واصحابه كالدرر الفاخرة صلوات الله وسلامه عليه وعلى اهل بيته المطهرين
واولياء امته الهادين المهديين ما درت [illegible] على البسيط وما نسيم على المحيط ولاستصفاء روح
واستنشاق [illegible] من هذه الارواح التي هي كالاصلاب الشامخة والاصلاب الجنسية والنوعية التي هي
كالبطون والاصداف امره بالاتكال عليه في قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت الذي يراك
حين تقوم وتقلبك في الساجدين في مبادي اجناسه وفصول انواعه ساجدين لكونهم كلهم خاضعين
مطيعين له وهي تنقله من طور الى طور تقلبا **وصل** فقد تقرر في العلوم الالهية ان الحق تعالى
برهان على كل شيء كما قال او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد ثبت ايضا ان المبدا عين
الغاية والبداية عين النهاية وان الله فاعل كل شيء وان الانسان الكامل الذي هو اكمل غاية
المخلوقات لولاك لما خلقت الافلاك فاذن يجب ان يكون هو البرهان على سائر الاشياء كما قال اوحينا

لنعلم هؤلاء شهيدًا ومن الشواهد الدالة على هذا المطلب ان الله اعطى كل نبي آية وبرهانًا وجعل نفس النبي
الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم برهانًا فقال قد جاءكم برهان من ربكم وذلك لان براهين الانبياء عليهم السلام
كانت اشياء غير انفسهم مثل برهان موسى عليه السلام في عصاه ويده وفي الحجر الذي انبجست منه
اثنتا عشرة عينًا قد علم كل اناس مشربهم وكان نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم برهانًا بالكلية فكان
برهان عينه ما قال لا تسبقوني بالركوع فاني اراكم من خلفي كما اراكم من امامي وبرهان بصره ما زاغ
البصر وما طغى ولقد رأى من آيات ربه الكبرى وقوله زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها
وبرهان سمعه قوله اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع
وبرهان شمه قوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن وبرهان ذوقه ان هذا الذراع مسموم
وبرهان لمسه قوله وضع الله يده بين كتفي فاحسست برده وبرهان لسانه وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى وبرهان بصاقه ما قال جابر انه امر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم ولا تنزلن برمتكم
حتى اجيء فجاء فبصق في العجين وبارك وبصق في البرمة فاقسم بالله انهم لاكلوا وهم الف حتى تركوه وانصرفوا
وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو وبرهان تفل لعابه انه تفل في عين علي عليه السلام وهي
ترمد فبرأ باذن الله يوم خيبر وبرهان يده قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وانه سبح الحصا في
كفه وبرهان اصبعه انه اشار الى القمر فانشق فلقتين وكان الماء ينبع من اصابعه حتى شرب منه خلق كثير
وبرهان صدره قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانه كان ينام عيناه ولا ينام قلبه وقوله ما كذب
الفؤاد ما رأى وامثال هذه البراهين في مظاهر وجوده المقدس اكثر من ان يحصى واما براهين مطاوي
وجوده وقواه المستورة فمنها برهان قوة حفظه كقوله سنقرئك فلا تنسى وبرهان قوة علمه قال
علي صلوات الله عليه علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الف باب من العلم فاستنبطت من كل باب الف
باب واذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي المعلم له واما برهان قوته المحركة العملية فعروجه
بجسده النوراني الى اقصى عالم السموات وهو سدرة المنتهى وبروحه المقدس الى قاب قوسين او ادنى
واما برهان عقله العملي فقوله انك لعلى خلق عظيم وقوله بعثت لاتمم مكارم الاخلاق **وصل** كان
نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب
ومكارم الاخلاق فكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق

فاستجاب

فاستجاب الله دعاءه وانزل عليه القرآن وادبه به فكان خلقه القرآن وادبه بمثل قوله عز وجل خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي واصبر على ما اصابك فاعف عنهم واصفح ادفع بالتي هي احسن
الى غير ذلك فلما اكمل الله خلقه وخلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فانظر الى عميم فضل
الله كيف اعطى ثم اثنى ثم بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق
ويبغض سفسافها وقال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في ذلك اذا تقرر هذا فيجب
ان يعلم ان من شاهد احواله واصغى الى سماع اخباره الدالة على اخلاقه وافعاله واحواله وآدابه و
عاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه اصناف الخلق وقوده اياهم
الى طاعته مع ما يحكى من عجائب اجوبته في مضايق الاسولة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق
ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوائل
دقائقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبًا بحيلة يقوم بها القوة
البشرية بل لا يتصور ذلك الا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور
لكذاب ولا لملبس بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه
فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من يشاهد
اخلاقه ويمارس في جميع مصادره وموارده وقد آتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم
ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب العلم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيمًا ضعيفًا مستضعفًا
فمن اين حصل له ما حصل من محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون
غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح
الوحي ومن اين لبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد
ظهر من معجزاته وآياته ما لا يستريب فيه محصل **وصل** اعلم ان من صفات النبي ان يكون صافي
النفس في قوتيها النظرية صفاء يكون شديد الشبه بالروح الاعظم فيتصل متى اراد من غير كثير تعمل
وتفكر حتى يفيض عليه العلوم الدينية من غير توسط تعليم بشري بل يكاد زيت عقله يضيء ولو لم تمسسه
نار التعليم البشري بمقدح الفكر وزناد البحث والتكرار وان يكون قوة المتخيلة بحيث يشاهد في اليقظة

عالم الغيب ويتمثل له الصور المثالية الغيبية الجميلة في غاية الحسن ويسمع الاصوات الملكوتية المنظومة في نهاية الفصاحة
ويتلقى المغيبات والاخبار الجزئية من الملكوت فيطلع على الحوادث الماضية والاتية وان يكون قوية الحس
والحركة في القوة بحيث تؤثر في مادة العالم بازالة صورة والباس اخرى فيحيل الهواء الى الغيم باذن
الله ويحدث الامطار والزلازل لاستهلاك امة فجرت وعتت عن امر ربها ورسله ويسمع دعاؤه
في الملك والملكوت لغرض مهم فيستشفى المرضى ويستسقى العطشى ويخضع له الحيوانات والجمهور انما
يعظمون هذه الخاصية اكثر من الاوليين ثم الاخبار عن الحوادث الجزئية فاما اولوا الالباب فافضل اجزاء
النبوة عندهم هو الفرد الاول ثم الثاني ثم الثالث ولهذا كان من عظائم معجزات نبينا صلى الله عليه واله
معجزة الاسراء فانها معجزة عظيمة لا يبلغها معجزة من معجزات سائر الانبياء وان كان لبعضهم معاريج
لكن لنبينا صلى الله عليه واله وسلم في معراجه خصائص عظيمة وكرامات جليلة ومعارف ربانية ولطائف
رحمانية ومواهب ملكوتية وبوارق نورانية وظروف حسية وتحف معنوية وعلوم قلبية واسرار سرية
ودقائق خفية وحقائق جلية ومشاهدات غيبية واخلاق نبوية واوصاف ذكية وترويحات روحانية
في حظائر قدسية ومقاعد صدقية وتقريبات عندية من غير كيفية ولا اينية فاق بها على سائر البرية و
نال بها السعادات الابدية السرمدية صلى الله عليه واله وسلم واعظم من تلك المعجزة القران المجيد فانه
الترياق الاكبر والكبريت الاحمر والخواص الغريبة والمعجزات العجيبة ولا يبلغه الطود الاشم بل هو اشم ولا البحر
الخضم بل هو اعظم فان نظرت الى المواعظ والزواجر ففيه ابلغ الخطب المصقع والواعظ البليغ وان نظرت
الى الاحكام ومعالم الحلال والحرام ففيه بحيث يعترف الفقيه الحاذق والمحقق الصادق وان نظرت الى البلاغة
والفصاحة ففيه ما يبهر البلغاء ويعجب كلام الفصحاء وبتوضيح معانيه ومعرفة اساليبه ومباني نظمه الاديب
الكاسر والكيس الماهر وما عسى يقول فيه المادحون ويثني عليه المثنون بعد قوله فباي حديث بعده يؤمنون
وقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وان نظرت الى الاستشفاء والاستسقاء ففيه الشفاء والدواء
وهو سبيل الى الكفاية والغناء ووسيلة الى اجابة الدعاء ووجوه عمارة الاشياء وكيفية اسرارها واقربها
عند اولي البصائر باشتماله على العلوم والاسرار واحتوائه على المعارف والانوار وتضمنه جوامع
الكلم ولوامع الحكم الذي يعجز العقول عن ادراكها بل كلما تعقل الانسان في رياض فنونها وتعمق في بحار
عيونها انفتحت له مسالك موصلة الى مقفلاتها واتضحت له مدارك تبين حل مشكلاتها وانكشفت

له

له معالم يدرك بها وجوه صوابها ولاحت له لوائح تدل له سبل معانيها فيستخرج بغواص عقله جواهر
بحورها ويقدح بزناد فكره فيقتبس من اضواء نورها وترى العلماء والعارفين كل في فن يزداد ولا
ينتهون الى غاية في بلوغ المراد ان هذا لرزقنا ما له من نفاد وقد ملات علوم الاقدمين الدفاتر
وصدق من قال كم ترك الاول للاخر ولذلك لسان الله تعالى وريحانة النبي وباب العلم الذي ابرز
الليث من ربقة الحق وعلى هذا هو من المعجزات المتكررة التي تحدث ما تناسل يوما فيوما وشيا بعد شي
ومن هذا القبيل الاحاديث النبوية وكلماته الجامعة فان العالم الذكي ذا اللب الصالح والذكاء القادح
اذا تاملها وامعن في النظر فيها بصفاء القريحة ملاحظا لانواع العلوم الدقيقة ومستحضرا لحكم اهل الحقيقة
ظهر له من مكنون اسرارها جمل متكاثرة وكشف له من خفايا كنوزها عن تحف باطنة وظاهرة وكلما
اعمل فكره في تحرير دقائقها واستعان بصفاء سره على تحقيق حقائقها لاحت له لوائح عوارفها وبدت
له لطائف معارفها قال الله عز وجل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى
فالعلماء بعلم الشرائع والاحكام لا يزالون من القران والحديث في فهم وافهام وارباب القلوب والالباب
دائما منهما في ترق لمعالي الدرجات وتلق لتنزل التحف والكرامات بحسن اقتدائهم في اقتفائهم لاثار
سيد السادات ومن ذلك من اجل المعجزات المتجددة على تجدد الاوقات ثم من معجزاته الباهرة المتكررة
اوصياؤه المعصومون وعترته الطاهرون وظهورهم واحدا بعد واحد في كل حين الى يوم الدين
فان كلا منهم صلوات الله عليهم حجة قاطعة على صدقه وآية بينة على حقيته صلى الله عليه واله وسلم
كما يظهر من التتبع لاحوالهم وملاحظة اثارهم والاطلاع على فضائلهم ومناقبهم والايات الصادرة
عنهم والكرامات الظاهرة على ايديهم بسبب متابعتهم اياه واقتدائهم بهديه وهداه صلى الله
عليه وعليهم ولان بهم يقضى حوائج العباد وببركتهم يدفع الله انواع البلاء عن البلاد وبدعائهم
ينزل الرحمة وبوجودهم تصرف النقمة الى غير ذلك من بركات علومهم وضيائهم فكما ان القران معجزة
باقية الى يوم الدين فكذلك كل من عترته المعصومين معجزة باقية نوعا الى يوم القيام ولهذا قال
صلى الله عليه واله وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم
من معجزاته المتكررة المتجددة العمل باحكام الشريعة المطهرة ولا سيما كثرة الصلوة والسلام عليه و
على اله في الصلوات وغيرها والدعاء لا تخلو من يصلي عليهم ليلا ونهارا سرا وجهرا في البر والبحر في الشرق و

والقربة في الارض والسماء وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي وقد عرف كثرة الملائكة
وعظم عالمها وعدم فتورهم عن العبادة التي امروا بها فوجود الصلوة عليه واله منهم وتجددها من
مصليهم كل وقت اذا تامله ذو الذوق ظهر له انها معجزة له صلى الله عليه واله وسلم وربما كانت خاصة لجنابه
الشريف ومقامه المنيف ولا يعلم ان الله امر امة نبي بالصلوة على نبيهم واله الا نبينا صلى الله عليه واله
لم ينقل بل كل كرامة ظهرت على يد احد من امة محمد صلى الله عليه واله وسلم فهي معدودة من جملة
معجزاته لان ذلك انما يكون ببركة متابعته له صلى الله عليه واله وسلم فاذا وفر الناس حظا من القرب
الى الله اوفرهم حظا من متابعة الرسول **وصل** ما ذكرنا في بيان الاضطرار الى الرسل بعينه
جار في الاضطرار الى اوصيائهم وخلفائهم الائمة من بعدهم الى ظهور نبي اخر لان الاحتياج اليهم غير
مختص بوقت دون اخر وفي حالة دون اخرى ولا يكفي بقاء الكتب والشرايع من دون قيم لها عالم
بها الا ترى الى الفرق المختلفة كيف يستندون في مذاهبهم كلها الى كتاب الله عز وجل لجهلهم بمعانيه
وزيغ قلوبهم وتشتت اهوائهم فلهذا لابد لكل نبي مرسل بكتاب من عند الله عز وجل ان ينصب وصيا
يودع فيه اسرار نبوته واسرار الكتاب المنزل عليه ويكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصي هو حجة
ذلك النبي على قومه ولئلا يضلوا عن الامة في ذلك الكتاب بارائها وعقولها المختلفة وزيغ
قلوبها كما اخبر الله عز وجل به فقال هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء
تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا
الالباب فالرسول والامام والكتاب هم الحجج على الامة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة وايضا وجود الامام لطف من الله تعالى بعبيده لانه بوجوده فيهم يجتمع شملهم ويتصل حبلهم
وينتصف الضعيف من القوي والفقير من الغني ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل فاذا عدم بطل
الشرع واكثر احكام الدين واركان الاسلام كالجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضايا
ونحو ذلك ينتفي الفوائد المقصودة منها واما غيبة بعض الائمة في بعض الاحيان وتعطل الاحكام
في المدد المتطاولة فانما ذلك من جهة الرعية دون الامام فليس ذلك نقصا على الله سبحانه فانما
على الله عز وجل ايجاد الامام المرشد ليجمع به شملهم فان لم يمكنوه من فعله لعدم قابليتهم وسوء استعدادهم

فما

فما على الله من ذلك حجة فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وذلك كما في سائر الكمالات والخيرات فانما
تفيض على العباد بقدر قابليتهم مع ان ما في الغيبة من الخيرات والحكم من تضاعف مثوبات المؤمنين بها لتصديقهم
بوجود الامام في امثالهم الصالحات ما لا يسهل معها فوات اقامة الحدود ونحوها وعن الصادق عليه السلام عن ابيه عن
عليهم السلام قال نحن ائمة المسلمين وحجج الله على العالمين وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين وموالي المؤمنين ونحن
امان لاهل الارض كما ان النجوم امان لاهل السماء ونحن الذين بنا يمسك الله السماء ان تقع على الارض الا باذنه
وبنا يمسك الارض ان تميد باهلها وبنا ينزل الغيث وتنشر الرحمة وتخرج بركات الارض ولولا ما في الارض
منا لساخت باهلها ثم قال ولم تخل الارض منذ خلق الله ادم من حجة لله فيها ظاهر مشهور او غائب مستور
ولا تخلو الى ان تقوم الساعة من حجة لله فيها ولولا ذلك لم يعبد الله قال الراوي فقلت للصادق عليه السلام
فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور قال كما ينتفعون بالشمس اذا سترها سحاب وعن جابر بن عبد الله
الانصاري قال لما انزل الله على نبيه صلى الله عليه واله وسلم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولو الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك
فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين من بعدي اولهم علي بن ابي طالب ثم الحسن
ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التورية بالباقر وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقرئه
مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي
ثم سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه
مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته
الا من امتحن الله قلبه للايمان قال جابر فقلت له يا رسول الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته فقال اي والذي
بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان جللها سحاب يا جابر
هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه الا عن اهله واذا ثبت ذلك ثبت انه لابد في كل زمان من وجود
خليفة يقوم به الامر ويدوم به النوع ويحفظ به البلاد ويهتدي به العباد ويمسك به السموات والارض
والا لم يكون الكل هباء وعبثا اذ لا يرجع الى غاية ولا يؤول الى عاقبة فهيهات اذن وخربت وساخت الارض
باهلها كما في الحديث المذكور وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال في كل خلف من امتي عدل من اهل بيتي ينفون
عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين وفي العلل عن الحسن بن علي العسكري عليهما السلام قال

ان الله عز وجل منه ورحمة ما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه اليكم بل رحمة منه لا اله الا هو ليميز الخبيث
من الطيب وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم ولتسابقوا الى رحمته ولتتفاضل منازلكم في جنته ففرض
عليكم الحج والعمرة واقام الصلوة وايتاء الزكوة والصوم والولاية وجعل لكم بابا لتفتحوا به ابواب الفرائض و
مفتاحا الى سبيله ولولا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضا
من الفرائض وهل تدخل قرية الا من بابها فلما من الله عليكم باقامة الاولياء بعد نبيكم صلى الله عليه وآله
قال الله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفرض عليكم لاوليائه حقوقا
امركم بادائها اليهم ليحل لكم ما وراء ذلكم من ازواجكم واموالكم وماكلكم ومشربكم ويعرفكم بذلك البركة والنماء و
الثروة وليعلم من يطيعكم بالغيب وقال تبارك وتعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فاعلموا ان
من يبخل فانما يبخل على نفسه ان الله هو الغني وانتم الفقراء اليه لا اله الا هو فاعملوا من بعد ما شئتم فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون والعاقبة للمتقين والحمد لله رب
العالمين وعن الرضا عليه السلام انه قال فان قال قائل لم جعل اولي الامر وامر بطاعتهم قيل لعلل كثيرة منها ان الخلق لما
وقفوا على حد محدود وامروا ان لا يتعدوا تلك الحدود لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم
الا بان يجعل عليهم فيها امينا ياخذهم بالوقف عندما ابيح لهم ويمنعهم من التعدي على ما حظر عليهم لانه لو لم يكن
ذلك لكان احد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره فجعل عليهم قيما يمنعهم من الفساد ويقيم عليهم الحدود
والاحكام ومنها انا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا الا بقيم ورئيس لما لا بد لهم منه في
امر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم ان يترك الخلق مما يعلم انه لا بد لهم منه ولا قوام لهم الا به فيقاتلون به
عدوهم ويقسمون به فيئهم ويقيمون به جمعتهم وجماعتهم ويمنع ظالمهم من مظلومهم ومنها انه لو لم يجعل
لهم اماما قيما امينا حافظا مستودعا لدرست الملة وذهب الدين وغيرت السنن والاحكام ولزاد فيه
المبتدعون ونقص منه الملحدون وشبهوا ذلك على المسلمين اذ قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير
كاملين مع اختلافهم واختلاف اهوائهم وتشتت حالاتهم فلو لم يجعل فيها قيما حافظا لما جاء به الرسول
الاول لفسدوا على نحو ما بيناه وغيرت الشرائع والسنن والاحكام والايمان وكان في ذلك فساد
الخلق اجمعين فان قيل فلم لا يجوز ان يكون في الارض امامان في وقت واحد واكثر من ذلك قيل لعلل منها
ان الواحد لا يختلف فعله وتدبيره والاثنين لا يتفق فعلهما وتدبيرهما وذلك انا لم نجد اثنين الا مختلفي الهمم و

الارادة

الارادة فاذا كانا اثنين ثم اختلفت هممهما وارادتهما وكانا كلاهما مفترضي الطاعة لم يكن احدهما
اولى بالطاعة من صاحبه فكان يكون في ذلك اختلاف الخلق والتشاجر والفساد ثم لا يكون احد
مطيعا لاحدهما الا وهو عاص للآخر فتعم المعصية اهل الارض ثم لا يكون لهم مع ذلك السبيل
الى الطاعة والايمان ويكونون انما اتوا في ذلك من قبل الصانع والذي وضع لهم باب الاختلاف
وسبب التشاجر اذ امرهم باتباع المختلفين ومنها انه لو كانا امامين لكان لكل من الخصمين ان
يدعو الى غير الذي يدعو اليه الثاني في الحكومة ثم لا يكون احدهما اولى بان يتبع صاحبه فتبطل
الحقوق والاحكام والحدود ومنها انه لا يكون واحد من الحجتين اولى بالنطق والحكم والامر والنهي
من الآخر واذا كان هذا كذلك وجب عليهما ان يبتدئا بالكلام وليس لاحدهما ان يسبق صاحبه بشيء
اذا كانا في الامامة شرعا واحدا فان جاز لاحدهما السكوت جاز للآخر مثل ذلك واذا جاز لهما السكوت
بطلت الحقوق والاحكام وعطلت الحدود وصار الناس كانهم لا امام لهم فان قيل فلم لا يجوز ان يكون
الامام من غير جنس الرسول قيل لعلل منها انه لما كان الامام مفترض الطاعة لم يكن بد من دلالة
تدل عليه ويتميز بها من غيره وهي القرابة المشهورة والوصية الظاهرة ليعرف من غيره ويهتدى اليه بعينه
ومنها انه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل اذ جعل اولاد الرسل اتباعا
لاولاد اعدائه كابي جهل وابن ابي معيط لانه قد يجوز بزعمه ان ينتقل ذلك في اولادهم اذا كانوا مؤمنين
فيصير اولاد الرسل تابعين واولاد اعداء الله واعداء رسوله متبوعين وكان الرسول اولى بهذا الفضل
من غيره واحق ومنها ان الخلق اذا اقروا للرسول بالرسالة واذعنوا له بالطاعة لم يتكبر احد منهم
عن ان يتبع ولده ويطيع ذريته ولم يتعاظم ذلك في انفس الناس واذا كان ذلك في غير جنس الرسول
كان كل واحد في نفسه اولى به من غيره ودخلهم من ذلك الكبر ولم تسخ انفسهم بالطاعة لمن هو
عندهم دونهم فكان يكون في ذلك داعية لهم الى الفساد والنفاق والاختلاف **فصل** كما ثبت وجوب
وجود الامام كذلك معرفته ايضا واجبة لانه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مات ولم يعرف
امام زمانه مات ميتة جاهلية فان قيل فبماذا يعرف الامام قلنا اما الخواص فيعرفونه بالعلم والمعرفة بما يحتاج اليه الناس
والجواب عن مسائلهم على وفق مرادهم وباقواله الحكيمة وافعاله الكريمة وباخلاقه الحميدة ومقاماته المشهورة
وخصاله المحمودة واما العوام فبالبينة والمعجزة ومع ذلك فالنص عليه من ابيه لابد منه وذلك لان

امر خفي لا يطلع عليها سوى الله سبحانه او من اوحى الله اليه عن النجاشي عليه السلام قال الامام منا لا يكون الا معصوما
وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون الا منصوصا وما زعمه طائفة من الاشعرية تقليدا للشياطين الانس
او خذلا عامتهم ان خلافة النبي تثبت باجماع الناس بلا نص من الله على رسوله صلى الله عليه وآله فبطلانه في غاية الوضوح اذ من له ادنى
مسكة من الحديث يعلم ان اتفاق العشرة والاكثر على امر لا ينتهي بالجمع الى الاراء وتقليد بعضهم بعضا لا تحصى وجوه من
الوجوه فضلا عن العدد الكثير والجم الغفير اصحاب الاغراض الفاسدة والاهواء الكاسدة والسالكين في الجاهلية والمعقول
ولا ريب لاصحابه لم يقع نص على خلافة الاول ولم يكن حجة قاطعة على ذلك كما اعترف به الجمهور وان تمتع بخلافة من الحق
بالزور وقد تحقق ان كثيرا من اساطين الاصحاب واجلة الصحابة الكبار لم يبايع معه ولم يكن حاضرا في ذلك الاجماع المزور
في حلقة تلك البيعة ذات الغرور وقد اخذت البيعة من بعضهم بالوعيد والتهديد وتوعد بعضهم حين وبقي بعضهم على الانكار
على الانكار الى يوم الدين وقد ثبت عقلا ونقلا ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما قصر في تبليغ ما انزل الله في نصب
الوصي وانهم قد سمعوا منه النصوص على الخصوص مرة بعد اولى وكرة غب اخرى فلبسوا الامر على الجاهل وتسلطوا
على العالم مع ان علماء اهل السنة وثقات رواتهم قد رووا احاديث نص غدير خم في نصب علي اماما واميرا للمؤمنين سلام الله
عليه وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اخذ البيعة له على الناس من الصحابة وذكروا الخبر الثاني له على التفصيل
الذي سمعه الناس ونقلوه وهذا النقل من القوم العمياء دليل واضح على مقتضى البصيرة البيضاء وايضا قد
روى ابن المغازلي الشافعي في مناقبه عن ابي ذر الغفاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ناصب عليا
في الخلافة من بعدي فهو كافر ومن شك في علي فهو كافر وايضا قد تكررت الرواية عنه صلى الله عليه وآله على ما نقله
العامة والخاصة انه قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي وفي
لفظ آخر اني تارك فيكم الثقلين ان تمسكتم بهما لن تضلوا الحديث وقال عليه السلام مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من
ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وايضا قد ثبت عندنا وعندهم استحقيته بهذا الامر لما تواتر عندنا ورووه في كتبهم
من شدة جهاده وعظم بلائه في وقايع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعدم بلوغ درجته في غزواته وشجاعته
وقوة حديثه وذكائه وشدة ملازمته للرسول وتربيته اياه منذ حين الصبا الى ان خلفه بعده ورجوع الصحابة
في اكثر الوقايع اليه واستناد الفضلاء في جميع العلوم اليه وكونه اشجعهم كفا واكملهم زهدا واجهدهم
عبادة واعظمهم حلما واوفرهم علما واحسنهم خلقا واطلقهم وجها واقدمهم ايمانا وافصحهم لسانا
واصدقهم قولا واقلهم كلاما واصوبهم منطقا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا واكرمهم خصالا

وانهم

وانهم كمالا واعظمهم عنا وارفعهم درجة واشرفهم منزلة واحكمهم حكما واسدهم رايا واقضاهم قضاء واشدهم حياء
واعلاهم همة وشهامة واقوامهم عزما وحزما وارفعهم نسبا وارومة واكرمهم حرصا على اقامة حدود الله واحفظهم
لكتاب الله ومواقع تنزيله واعلمهم بتفسيره وتاويله وما ثبت من اخباره بالغيب مرارا واستجابة دعائه كثيرا
المعجزات منه مرة بعد اولى وكرة الشمس له واحياء النفس وتكلم الثعبان والحيتان والسلطنة على الاكوان وما له من
اختصاصه بالقرابة والاخوة وما اجتمع من وجوب محبته ونصرته ومساواته الانبياء ومواساته للرسول وحديث الطائر
المنزلة والغدير وحديث الكساء في اتى المباهلة والتطهير واختصاصه بسورة هل اتى وكثير من الآيات التي لا تحصى
لو لم يكن سوى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي حين نصبه الله يوم الغدير لكفى به واعطاء الراية يوم خيبر
بعد انهزام ابي بكر وعمر وتبا ثر اياه حينئذ على التشريك باعن عبور الاحزاب وقلعه وحماية البلد والقائه باب
عند سد الابواب وصحبته على الفراش ليلة الغار وارتقائه كتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لالقاء الاصنام وافشاء من
الاسرار وتشبيهه اياه بعيسى في بعض طائفة اياه واتخاذه اخا له والمباهلة بزوجته وولده والظهار
بركة فضل طهوره وتزلزل قيصر وانه نفس النبي وانهما خلقا من نور واحد وانهما واحد وهما كنفس واحدة
الى ما لا يمكن احصاؤه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما والثقلان كاتبين والملائكة حاسبين كما ورد عن
سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والاوصياء اجمعين ولعمري لو لم يقع عليه نص بالخلافة
لكانت صفاته الظاهرة ومناقبه الباهرة نصوصا صريحة وبراهين قاطعة تكفيه وقد وقع قال الخليل بن احمد
احتياج الكل اليه واستغناؤه عن الكل دليل على انه امام الكل وسئل عن مدحه فقال ما اقول في مدح امرء
كتمت احباؤه فضائله خوفا واعداؤه حسدا ثم ظهر من بين الكتمين ما ملأ الخافقين وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله
عن ارتداد الصحابة بما رووه عنه في صحاحهم انه قال ليردن الناس من اصحابي على الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا
دوني فاقول اصحابي اصحابي وفي رواية اصيحابي اصيحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك وزاد في اخرى وارتدوا
على ادبارهم القهقرى وقد صرح الله سبحانه على ذلك بقوله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله ولو شاء
الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا
ولكن الله يفعل ما يريد وكان هذا من ابتلاء الله تعالى اولياءه المخلصين وخواص عباده المؤمنين لينظر كيف
يعملون وعلى البلاء كيف يصبرون وفي الحديث النبوي البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
والذي ابتلى اكثر هذه الامة بعد نبيها انه لما اختار الله عز وجل للوصاية والخلافة والامارة من اختاره

امر خفي لا يطلع عليها سوى الله سبحانه او من اوحى الله اليه عن نبيه وعنه عليه السلام قال الامام منا لا يكون الا معصوما
وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون الا منصوصا وما زعمه طائفة من الاغبياء تقليدا للشياطين
او خداعا منهم ان خلافة النبي ثبتت باجماع الناس لا بنص من الله على رسوله فبطلانه في غاية الوضوح اذ من له ادنى
مسكة من الحس يعلم ان اتفاق العشرة والتمرد على امر الائمة بالحجم الى ذلك او تقليد بعضهم بعضا الا تخمين بوجه من
الوجوه فضلا عن العدد الكثير والجم الغفير من اصحاب الاغراض الفاسدة والاهواء الكاسدة والسلائق الجاهلة والعقول المتناقضة
فلا ريب لاجله لم يقع نص على خلافة الاول ولم يكن حجة قاطعة على ذلك كما اتفق في الجمهور وان تمتع بخلافة من الحق
بالزور وقد تحققوا ان كثيرا من اساطين الاصحاب واجلة الصحابة الكبار لم يبايع معه ولم يكن حاضرا في ذلك الاجماع
في حلقة تلك البيعة ذات الغرور وقد اخذت البيعة من بعضهم بالوعيد والتهديد ومن بعضهم بعد حين وبقي بعضهم على الاصرار
على الانكار الى يوم الدين وقد ثبت عقلا ونقلا ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما قصر في تبليغ ما امر الله في نصب
الوصي وانهم قد سمعوا منه النصوص على الخصوص مرة بعد اخرى وكرة غب اخرى ولبسوا الامر على الجاهل فسلطوا
على العالم مع ان علماء اهل السنة وثقاة رواتهم قد رووا احاديث نص غدير خم في نص مولانا امير المومنين سلام الله
عليه وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اخذ البيعة له على الناس من الصحابة وذكروا الخبر الذي دل على التفصيل
الذي يجمع الناس وقبلوه وهذا النقل من القوم اعني اوضح دليل واتم على مقتضى البصيرة البيضاء وايضا قد
روى ابن المغازلي الشافعي في مناقبه عن ابي ذر الغفاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ناصب عليا
في الخلافة بعدي فهو كافر ومن شك في علي فهو كافر وايضا قد تكررت الرواية عنه صلى الله عليه وآله على ما نقله
العامة والخاصة انه قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي وفي
لفظ اخر اني تارك فيكم الثقلين ان تمسكتم بهما لن تضلوا الحديث وقال عليه السلام مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من
ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وايضا قد ثبت عندنا وعندهم استحقاقه بهذا الامر حالات عندنا ووقع في كتبهم
من شدة جهاده وعظم بلائه في وقايع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعدم بلوغ احد حده في غزواته وشجاعته
وقوة حدسه وذكائه وشدة ملازمته للرسول وتربيته اياه منذ حين الصبا الى ان حلت فيه ورجوع الصحابة
في اكثر الوقايع اليه واستناد الفضلاء في جميع العلوم اليه وكونه اسخاهم كفا واكملهم زهدا واجهدهم
عبادة واعظمهم حلما واوفرهم علما واحسنهم خلقا واطلقهم وجها واقدمهم ايمانا وافصحهم لسانا
واصدقهم قولا واقلهم كلاما واصونهم منطقا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا واكرمهم خصالا

وابرهم

وابرهم كلا واعظمهم غناء وارفعهم درجة واشرفهم منزلة واحكمهم حكما واسدهم رايا واقضاهم قضاء واشدهم حياء
واعلاهم همة وشهامة واقواهم عزما وحزما وارفعهم نسبا واورعهم ورعا واكرمهم حرصا على اقامة حدود الله واحفظهم
لكتاب الله ومواقع تنزيله واعلمهم بتفسيره وتاويله وبما اشتمل من اخباره بالغيب مرارا واستجابة دعائه كثيرا وظهور
المعجزات منه مرة بعد اخرى كرد الشمس واحياء النفس وتكلم الثعبان والحيتان والسلطنة على الاكوان وما له من
اختصاصه بالقرابة والاخوة وبما سمع من تعجب محبته ونصرته ومواساته للرسول وخبر الطائر و
المنزلة والغدير وحديث الكساء واية المباهلة والتطهير واختصاصه بسورة هل اتى وكثير من الايات التي لا تحصى و
لو لم يكن سوى نزول اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي حين نصب الله في يوم الغدير لكفى به واعطاه الراية يوم خيبر
بعد انهزام ابي بكر وعمر وتنازلهما اياه حينئذ بما اشتهر وكسبا بعبور الاخر وقلعه وحمايته الباب والقائه
عند سد الابواب ووصيته على الفراش ليلة الغار وارتقائه كتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لالقاء الاصنام عن
الاسرار وتسميته اياه بعيسى في بعض الاخبار واتخاذه اخا والمباهلة به وبزوجته وولده واظهار
بركة فضل طهوره وترابه قيصر وان ... واحد ... واحد كنفس واحدة
الى ما لا يمكن احصاؤه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما والثقلان كاتبين والملائكة حاسبين كما ورد عن
سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والاوصياء اجمعين ولعمري لو لم يقع عليه النص بالخلافة
لكانت صفاته الظاهرة ومناقبه الباهرة نصوصا صحيحة وبراهين قاطعة كيف وقد وقع قال الخليل بن احمد
احتياج الكل اليه واستغناؤه عن الكل دليل على انه امام الكل وسئل عن مدحه فقال ما اقول في مدح امرء
كتمت احباؤه فضائله خوفا واعداؤه حسدا ثم ظهر ما بين الكتمين ما ملا الخافقين وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن ارتداد الصحابة بعده وروى عنه في صحاحهم انه قال ليردن الناس من اصحابي على الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا
دوني فاقول اصحابي اصحابي وفي رواية اصيحابي اصيحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك وزاد في اخرى انهم ارتدوا
على ادبارهم القهقرى وقد نبه الله سبحانه على ذلك بقوله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله ولو شاء
الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا
ولكن الله يفعل ما يريد وكان هذا من ابتلاء الله تعالى اولياءه المخلصين وخواص عباده المؤمنين لينظر كيف
يعملون وعلى البلاء كيف يصبرون وفي الحديث النبوي البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
والحاصل ان ارتداد اكثر هذه الامة بعد نبيها الا من اختار الله عز وجل للوصاية والخلافة والامارة من اختاره واخذ

لم يبق يوم الغدير من تهدي الاقطار غلب على اراذل العرب حب الرياسة والهوى واشتعل في قلوبهم نائرة الحسد
والبغضاء فعادوا الى الخلاف الاول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فصاروا اصنافا
صنفا من اهل التدليس والتلبيس من جنود ابليس وهم الذين سبقوا الى كان هذه الضلالة وصنفا من اهل
العمى والتقليد قد شبه لهم الامر فدخلوا فيه على غير بصيرة تعصبا لمن تقدم وكثرة تقليد الشياطين البشرية كان
في الجاهلية لا يفرق بين الله وبين الخشب والحجر فكيف بين علي وبين ابي بكر وعمر وكان منهم ممن تلد العقول السقيمة
غير متقيدين على الطريقة القويمة وصنفا اتبعوهم خوفا وتقية فارتد اكثر الناس الا ما شاء الله بعد وفاة الصحابة عن الدين
وخرجوا عن زمرة المسلمين كسنة الله في سائر امم النبيين والاصل في ضلال جمهور الامة عن فرق الائمة
مع انهم كانوا يعرفون فضله ومنزلته عند الله وعند رسوله وبطلان رؤساء الضلالة هو ان هؤلاء الثلثة
كانوا مع المتبوعين من جنس واحد وكانت سليقتهم وحيلتهم متوافقة وآراؤهم والطوارئ متطابقة والجنس
مع الجنس الى الجنس يميل على ان حب الدنيا الدنية اشرب في قلوبهم فكيف يانسون بمن حجب الدنيا وروحه معلقة
بالملأ الاعلى سأل بعض اهل العلم كيف مال الناس الى ابي بكر ولم يميلوا الى علي ع مع جهوره نورهم وخالفت
جمهورهم والناس الى اشكالهم اميل والحق ما قاله هو صلوات الله عليه حيث قال لم يعرفني بيانهم وهذا
كله من مقتضيات جمال الجلال وكمال الجمال واستدعا الاسماء الجلالية بسط ظهورها وانبساط نورها
والحكمة كانت مقتضية لما وقع ولا يرتفع ما وقع على ان الخليفة في الحقيقة كان في زمان خلافة الاعداء الا
من كانت الخلافة حقه لترتب اكثر فوائدها على وجوده عليه السلام حتى ان الثلثة كانوا يرجعون اليه في اكثر
المسائل الدينية التي كانوا يسألون عنها بل وفي كيفية تسخير البلاد وسياسة العباد وسائر كليات الامور
لجهلهم بها وعجزهم عنها فالمقصود الاهم من الخلافة حاصل كما قال الله عز وجل يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون **وصل** قال الشيخ الفقيه علي بن عبد العالي رحمه الله
وليتامل العاقل هل يجوز ان يتولى منصب الامامة الذي هو منصب النبوة مثل شيخ تيم الجاهل بامور الدين
ومواقع الشرع بحيث يخفى عليه ميراث الجدة ونحوه بعد ان سجد للاصنام حتى شاب راسه ومثل عتل عدي
الزنيم ذي الفظاظة والغلظة والمكر والخديعة والمطعون في نسبه والمجتري على الرسول صلى الله عليه وآله
في حيوته وبعد موته الذي حكم في الدين برايه وغير الشرع من عند نفسه وفضح بقبيح افعاله
النبوة مالا يفعله ذوو الاحقاد من الجاهلية الاولى باعدائهم ومثل نور بن امية الذي حملهم على اعناق
المسلمين

المسلمين وآثرهم بالفيء والغنائم على كبراء الانصار والمهاجرين في اعداء الرسول والمتهم من ذرية
المقتول والمقتول بسيوفهم قتلهم المشركون في بدر واحد وغيرهما من مواقف الحروب وليتامل كيف
تداول الامر حتى تنازعها علوج بني امية الشاربون الخمور والمعلنون بالفسوق والفجور والمستحلون
لبس الحرير ولعب الطنابير قاتلوا ذرية المصطفى والمنتسبون نسب المرتضى ثم تلقفها بنو العباس
السالكون مسلك اولئك الارجاس ثم لينظر كيف تهد هؤلاء السنة مجوس هذه الامة العذر
عن ذلك تارة بجعل الامامة منوطة باراء الامة فقالوا ان معظم الغرض المطلوب منها حفظ نظام
الخلق في دنياهم فيمكن ان يتولاها الفاسق والجاهل بل الكافر حتى لو بايع جمع من الاعيان بل
واحد شخصا ما فقد صار اماما بل لو تغلب على الامام العادل متغلب وقهره انعقدت امامته وصار
خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان كان من شرار الخلق وانعزل الاول وصار رئيسا صاحب الشرع
بين الناس وتارة بدعوى النص على امامة ابي بكر ويختلقون في فضله مثل ما يروون من قول
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وان صاحبكم خليل الله
واذا تامل المنصف ذلك ازداد تعجبه من هذا الافتراء فانه ليس في ابي بكر باتفاق المسلمين
صفة معلومة يقتضي ذلك من علم او دين او فقه او زهادة او عبادة او جهاد او حسن بلاء
في الدين ولعل السر في خلته لعنه الله انه عبد الاصنام من دون الله حتى شاب قرنه و
ابيض فوده وكيف حرصوا على ان لا يتفطن متفطن الى قطيع افترائهم فقالوا ان الامامة من
احاد فروع الدين لا يجب البحث عنها ولا طلب الحق فيها مع انهم يروون في كتبهم ان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ويقولون في مواضع
اخرى ان حقوق النبوة من حماية بيضة الاسلام وحفظ الشرع ونصب الولاة والقضاة
وعزلهم وعقد الالوية والرايات في جهاد الكفار والبغاة والانتصاف للمظلوم وانفاذ المعروف
وازالة المنكر وغير ذلك من توابع منصب النبوة ثابتة لها لانها خلافة عنها وبالغوا في
ستر فضائح الهتهم التي يدعون من دون الله فمنعوا من النظر في احوال الصحابة وعن
تفضح ما جرى بينهم حذرا من الاحاطة بما اشتملوه من الكفر وما اقدموا عليه من
البغي واختلفوا على الرسول الصادق عليه وآله الصلوة والسلام انه قال

اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم مع اتفاقهم على ان في عصره منافقين
كانوا يدعون ظاهرا من الاصحاب ولم يكونوا معروفين باعيانهم واعيانهم حالهم
بتتبع اقوالهم وافعالهم في مثل تخريق عمر كتاب الزهراء وقوله متعتان كانتا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلالا انا انهى عنهما واعاقب عليهما ثم العنوا في الافتراء او
تحملوا السباب لاحدهم فاسقا بل كافرا واوجبوا تاديبه بل قتله بغير حجة تحقيقي او دليل
تقليدي بل كذبا وافتراء على الله سيجزيهم بما كانوا يفترون واعتذارا عما كان عليه
السلف الحايد عن طريق الهدى المسيد للكفر علوج بني امية وطواغيت بني
العباس وصل يجب ان يكون الامام افضل الامة واقربهم الى الله وان يجتمع
فيه خصال الخير المتفرقة في غيره وان يكون معصوما من الزيغ والزلل والخطاء في
القول والعمل منزها ان يحكم بالهوى او يميل الى الدنيا وبالجملة يجب ان يكون نظيرا لما كان
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا النبوة والازواج كما ورد في الخبر وذلك لما درست
ان الغرض الاصلي من بعثة الانبياء والرسل تقوية الجنبة العالية واستخدام الغيب
للشهادة لا مجرد السياسة الحافظة للاجتماع الضروري ولاجل ذلك نعت الامامة
ثقيل خطبها جليل وامرها عظيم وخطرها جسيم واعلم ان فضائل اهل بيت نبينا
سلام الله عليهم ومناقبهم اغزر من قطر المطر واكثر من عدد النجوم والشجر فمن
اين يقدر المتصدي لجمعها على الاحاطة باقطارها والخوض كما يجب في غمارها وهل
ذلك الا طلب متعذر ومحاولة مستحيل وحق لكل قائل ان يسمي نفسه مختصرا و
ان طال ومقصرا ان بالغ وان بسط القول وقال سيما في فضائل مولانا ومقتدانا
امير المؤمنين وسيد الموحدين علي بن ابي طالب عليه السلام وانا الان اكتفي بقليل من
كثير ويسير من غزير وقطرة من سحاب ونقطة من عباب من الاخبار في جلالة
قدر نبينا واهل بيته الاطهار عليهم السلام ففي المصابيح عن النبي صلى الله عليه وآله
قال اول ما خلق الله نوري وانا من الله والكل مني وفي نوادر الحكمة عن الباقر عليه
السلام وقال ان الله عز وجل خلق اربعة عشر نورا من نور عظمته قبل خلق

غزر الماء بالضم غزارة وغزارة فهو غزير اي كثير والدار الغزيرة النفع

ادم باربعة عشر عاما فهي ارواحنا فقيل له يا ابن رسول الله فمن هؤلاء الاربعة عشر نورا
فقال محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائمهم ثم عدهم
باسمائهم ثم قال نحن والله الاوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و
ونحن المثاني الذي اعطاه الله عز وجل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ونحن شجرة النبوة
ومنبت الرحمة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع
سر الله ووديعة الله جل اسمه في عباده وحرم الله الاكبر وعهده المسؤول عنه فمن وفى
عهدنا فقد وفى بعهد الله ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده عرفنا من عرفنا وجهلنا
من جهلنا نحن الاسماء الحسنى الذي لا يقبل الله من العباد عملا الا بمعرفتنا ونحن والله
الكلمات التي تلقاها ادم من ربه فتاب عليه ان الله خلقنا فاحسن خلقنا وصورنا
فاحسن صورنا وجعلنا عينه على عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة
عليهم بالرافة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزان علمه و
تراجمة وحيه واعلام دينه والعروة الوثقى والدليل الواضح لمن اهتدى وبنا اثمرت
الاشجار واينعت الثمار وجرت الانهار ونزل الغيث من السماء ونبت عشب الارض و
بعبادتنا عبد الله ولولانا ما عرف الله وايم الله لولا وصية سبقت وعهد اخذ علينا لقلت
قولا يعجب منه او يذهل منه الاولون والاخرون وفي منهج التحقيق عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال ان الله عز وجل خلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين من نور
واحد فعصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعتنا فسبحنا فسبحوا وقدسنا
فقدسوا وهللنا فهللوا ومجدنا فمجدوا ووحدنا فوحدوا ثم خلق الله السموات و
الارض وخلق الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحا ولا تقديسا فسبحنا فسبحت
شيعتنا فسبحت الملائكة وكنا في الهواء نحن الموحدون حيث لا موحد غيرنا وحقيق
على الله عز وجل كما اختصنا واختص شيعتنا ان يزلفنا وشيعتنا في اعلى عليين ان الله
اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل ان نكون اجساما فدعانا فاجبناه فغفر
لنا ولشيعتنا من قبل ان نستغفر الله عز وجل وعن امير المؤمنين عليه السلام

قال نزلونا عن الربوبية ثم قولوا في فضلنا ما شئتم فان البحر لا ينزف وسر الغيب
لا يعرف وكلمة الله لا توصف وقال نحن اسرار الله المودعة في الهياكل البشرية
وروي انه وجد بخط يد مولانا ابي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام ما
صورته قد صعدنا ذرى الحقايق باقدام النبوة والولاية ونورنا سبع طبقات
اعلام الفتوى بالهداية فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى وطعناء الهدى
وفينا السيف والقلم في العاجل ولواء الحمد والعلم في الآجل واسباطنا
حلفاء الدين وخلفاء النبيين ومصابيح الامم ومفاتيح الكرم فالكليم البس
حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاغورة ذاق من
حدائقنا الباكورة وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزاكية صاروا لنا ردءا
وصونا وعلى الظلمة البا وعونا وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتمام
الم وطه والطواسين وهذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة وقطرة من بحر الحكمة و
كتب الحسن بن علي العسكري عليهما السلام في سنة اربع وخمسين ومائتين ووجد
بخطه ايضا اعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب ونسوا الله رب الارباب و
النبي وساقي الكوثر في مواقف الحساب ولظى الطامة الكبرى ونعيم دار الثواب فنحن
السنام الاعظم وفينا النبوة والولاية والكرم ونحن منار الهدى والعروة الوثقى
والانبياء كانوا يقتبسون من انوارنا ويقتفون آثارنا وسيظهر حجة الله على
الخلق والسيف المسلول لاظهار الحق وهذا خط الحسن بن علي بن الحسين بن
علي امير المؤمنين صلوات الله عليهم فظهر مما ذكرنا ان افضل الخلايق كلها واشرف
الموجودات باجمعها هو نبينا ثم اوصياؤه الاثنا عشر سلام الله عليهم وكما ان هؤلاء
افضل الخليقة اجمعين كذلك اعداؤهم ارذل المخلوقات كافة ولاسيما صنما قريش
عليهما وعلى سائر من سار بسيرتهما لعائن الله ابد الآبدين فظهر مما ذكرنا ان افضل
الخلايق كلها واشرف الموجودات باجمعها وهو نبينا ثم اوصياؤه الاثنا عشر سلام
الله عليهم وكما ان هؤلاء افضل الخليقة اجمعين كذلك اعداؤهم ارذل المخلوقات كافة ولا

محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين

دون الله فمنعوا من النظر في احوال الصحابة ومن تتبع ما جرى بينهم حتى ولمن لا خاطر لهم تحاموه من الكفر
وما اقدموا عليه من البغي واطبقوا على الرسول الصادق عليه وآله الصلوة والسلام انه قال اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم مع ان اطباقهم على ان فيهم عصاة ومنافقين كانوا يعرفون بظاهر من الصحاب
ولم يكونوا معروفين باعيانهم وانما يعلم حالهم بتتبع اقوالهم وافعالهم في مثل تحريق عمر كتاب
الزهراء وقوله متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلالا انا انهى عنهما واعاقب
عليهما ثم تراه العوام الا افتراء فجعلوا النسبة لحدثهم فاستقبلوا كاذوا واخبروا ان ادبر بل قتله بغير
حجة تقيني او دليل تقييدي بل كذبوا او افتروا على الله تحرجهم عما كانوا فيه يبرون واغتروا بما كانوا عليه
السلف الجاهلين عن طريق الهدى المتشبث الكفر على من حج بني امية وطواغيت بني العباس **الباب**
الرابع في كتب الله عز وجل قد تحققت ان صور جميع ما اوجده الله من ابتداء العالم الى
انتهائه مستقيمة في العالم العقلي بحيث لا يشاهد بهذه العين وكذا في عالم النفوس السموية
وقواها الجزئية فهذه العوالم كلها كليها وجزئيها كتب الهية ودفاتر سبحانية لاحاطتها بكلمات
الله التامات التي هي عبارة عن صور الحقايق والمعاني واشتمالها عليها كالخطوط والارقام الدالة
على المعاني السبحانية والآيات الربانية يتلوها القاري العارف بقوة فكره وصفاء سره وسلامة
طبعه عن كدورات هذه التعلقات وتجرد ذهنه وصلاح ميزه عن علايق هذه الغشاوات فيطالع
ما فيها ويتدبر في معانيها ويرتقي من بعضها حتى يصل الى منشيها وراقمها ومليها وناظمها قال لله
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا
انه هو السميع البصير فعالم العقول المقدسة والنفوس الكلية كلاهما كتابان الهيان ونقال للعقل
الاول ام الكتاب لاحاطته بالاشياء اجمالا وللنفس الكلية السموية الكتاب المبين لظهورها فيها
تفصيلا وللنفس المنطبعة في الجسم السماوي كتاب المحو والاثبات لقوم بها فيها الاعيان الموجودات
هي آيات تلك الكتب ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات
لقوم يتقون وهي كلمات الله التي لا تنفد ولا تبيد مع اعراضها اللازمة والمفارقة التي هي بمنزلة الحركات
البنائية والاعرابية قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا ومن جملة كتب الله عز وجل المكتوبة بيد قدرته صحايف النفوس الناطقة الانسانية المكتوب

فيها اعتقاداتهم الحقة او الباطلة واعمالهم الحسنة او القبيحة كما قال عز وجل اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال الله
تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وهذه الكتب تسمى صحائف
الاعمال وكتابها هم الكرام الكاتبون ومنها صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة ومنها غير ذلك
واما الكتب السموية المنزلة على الانبياء والرسل عليهم السلام المكتوبة بالقلم العقلي على الواح نفوسهم المرتسمة في صحائف
قلوبهم المنورة فمن ذلك كتاب التورية النازل باللغة العبرانية على قلب موسى على نبينا وعليه السلام اولا ثم على
الالواح الزبرجدية ومنها الانجيل النازل باللغة السريانية على قلب عيسى ومنها الزبور النازل على
قلب داود ومنها الفرقان النازل على قلب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بلسان عربي مبين مصدقا
لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه وفيه عظائم العلوم الربوبية كان يتعلم بها النبي صلى الله عليه وآله
كما قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وفيه كرائم اخلاق الله عز وجل وكان
يتخلق بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل وانك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن ومنها غير ذلك
كصحف ابرهيم وكانت عشرين صحيفة وصحف ادريس وكانت ثلثين وصحف شيث بن آدم وكانت خمسين
كما روي كل عن امير المؤمنين عليه السلام ومنها صحف موسى قال الله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى
صحف ابرهيم وموسى وهي الالواح كما ورد في الخبر ومنها كتابا الجامعة والجفر اللذان هما عند ائمتنا
عليهم السلام في الخبر ان الجامعة صحيفة طولها سبعون ذراعا باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واملاء من فلق
فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج اليه الناس والجفر وعاء من ادم فيه علم النبيين و
الوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل وفيه خبر علم الاولين والآخرين ومنها مصحف
مصحف فاطمة عليها السلام في الخبر ان مصحف فيه مثل قرآنكم ثلث مرات وما فيه من قرآنكم حرف واحد وورد ما هو
قرآن ولكنه كلام من كلام الله انزله عليها املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط علي عليه السلام وفي
رواية ان الله لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه الا الله
فارسل اليها ملكا يسلي غمها ويحدثها فاعلمت بذلك امير المؤمنين عليه السلام فجعل عليه السلام يكتب كل ما
سمع منها حتى اثبت من ذلك مصحفا وليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون والمستفاد
من الاخبار ان جميع كتب الاولين عند ائمتنا سلام الله عليهم وعندهم ايضا من الكتب سوى ما ذكرنا ما
ليس عند الاولين **وصل** كما ان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم افضل الانبياء واوصياؤه افضل

الاوصيا

الاوصيا وكذلك الكتاب خير الكتب وقد ثبت انه صلى الله عليه وآله وسلم ترك من بعده خليفة الثقلين كتاب الله
وعترته المصطفين وما اوصى امته في ذلك الا بالتمسك بهما كما استفاضت الاخبار من طريقي العامة و
الخاصة جميعا على اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى ففي رواية اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا
بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ومعنى عدم افتراقهما ان علم الكتاب
كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ايها الناس انكم
في دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد
ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود فاعدوا الجهاز لبعد المجاز قيل وما دار الهدنة فقال دار بلاغ و
انقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدق ومن جعله
امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وعن الصادق عليه السلام ما من امر يختلف فيه اثنان
الا وله اصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال وعن الباقر عليه السلام ان لتفسير القرآن على سبعة وجوه
منها ما كان ومنها ما لم يكن بعد تعرفه ذلك الائمة وفي الخبر النبوي المشهور ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا

للقرآن

وعن امير المؤمنين عليه السلام والله لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من باء بسم الله الرحمن الرحيم **وصل**
وان اردت ان يكثر سرورك استبعادك من اشتمال القرآن على جميع العلوم والمعارف وتعرف كيفية استنباط
العلوم الكثيرة من الالفاظ القليلة واستخراج المعاني الدقيقة من الكلمات الوجيزة فانظر الى ما حققه
الرازي في مقدمة تفسيره وهو هذا على التلخيص وتصرف ما في عباراته قال اعلم انه مر على لساني في
بعض الاوقات انه يمكن ان يستنبط من فوائد سورة الحمد ونفائسها عشرة آلاف مسئلة فاستبعد هذا
بعض الحساد وقوم من اهل الجهل والعناد وحملوا ذلك على التعلقات الفارغة عن المعاني والكلمات
الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير
كالتنبيه على ان ما ذكرناه امر ممكن الحصول قريب الوصول فنقول وبالله التوفيق ان قولنا اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم لا شك ان المراد منه الاستعاذة بالله من جميع المنهيات والمحظورات والمنهيات
اما ان يكون من باب الاعتقادات او من باب اعمال الجوارح اما الاعتقادات فقد قال في الخبر النبوي المشهور
ستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وهذا يدل على ان الاثنين والسبعين
موصوفون بالعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة ثم ان ضلال كل واحد من اولئك الفرق غير مختص

مسئلة واحدة بل هو حاصل في مسائل كثيرة متعلقة بذات الله وصفاته واسمائه وافعاله وبالنبوة والولاية
والمعاد وبالتعديل والتجويز والاحكام فاذا وزعنا عدد الفرق الضالة على هذه المسائل بلغ العدد
الحاصل مبلغا عظيما وكل انواع الضلالات حاصلة في فرق هذه الامة واما فرق الضلال الخارجة عن هذه
الامة فهو قريب من سبعمائة فاذا ضممت انواع ضلالاتهم الى انواع ضلالات فرق هذه الامة بلغ
المجموع مبلغا عظيما ولا شك ان الاستعاذة من الشيء لا يمكن الا بعد معرفة المستعاذ منه ومعرفة كونه
باطلا وقبيحا فظهر بهذا الطريق ان قولنا اعوذ بالله مشتمل على الوف من المسائل واما الاعمال الباطلة
فهي عبارة عن كل ما ورد النهي عنه في الكتاب والسنة ولا شك ان تلك المنهيات تزيد على الالوف
وقولنا اعوذ بالله متناول للجميع فثبت ان هذه الكلمة مشتملة على عشرة الاف مسئلة مهمة او اقل
او ازيد واما قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ففيه نوعان من البحث الاول انه قد ثبت ان لله سبحانه
الفا وواحدا من الاسماء المقدسة والبحث عن كل واحد منها مسئلة شريفة عالية وايضا العلم بالاسم
لا يحصل الا بعد العلم بالمسمى والبحث عن ثبوت تلك المسميات وعن الدلائل على ثبوتها وعن اجوبة
الشبهات التي تذكر في نفيها يزيد على الالوف من المسائل والثاني ان الباء في البسملة باء
الالصاق وهي متعلقة بفعل تقديره بسم الله اشرع في اداء الطاعات ولا يحصل هذا المعنى
الا بعد الوقوف على اقسام الطاعات من العقائد الحقة والاعمال الصالحة مع الدلائل البينات والاجوبة
عن الشبهات وبهذا يزداد المجموع على عشرة الاف مسئلة وكما ان الاستعاذة تدل على نفي الاعتقادات
والعمليات الباطلة فالبسملة تدل على اثبات العقائد والاعمال الحقة واما قوله تعالى الحمد لله فاعلم ان
الحمد انما يكون على النعمة ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة اقسام نعم الله وهي خارجة عن حد الاحصاء كما قال
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولنتكلم في مثال واحد وهو ان نعتبر العاقل انه ذات مؤلف من
نفس وبدن ولا شك ان ادونهما هو البدن ثم ان اصحاب التشريح وجدوا قريبا من خمسة الاف من
المصالح والمنافع التي دبرها الله بحكمته في خلق البدن ومن وقف على الاقسام المذكورة في كتب التشريح
عرف ان نسبة هذا القدر المعلوم المذكور الى ما لم يعلم ولم يذكر كالقطرة في البحر المحيط وعند هذا يظهر
ان معرفة اقسام حكمة الله في خلق الانسان تشتمل على عشرة الاف مسئلة او اكثر ثم اذا ضم الى هذه
الجملة اثار حكمة الله في خلق العرش والكرسي واطباق السموات والارض واجرام الكواكب وتخصيص كل

واحد

واحد منها بقدر ولون وحيز مخصوص ثم انضم اليها اثار حكم الله في خلق الامهات والجمادات والنباتات
والحيوانات واصناف اقسامها واحوالها علم ان المجموع مشتمل على الف الف مسئلة واكثر ثم انه سبحانه نبه
على ان اكثرها مخلوقة لمنفعة الانسان كما قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض وحينئذ يظهر ان قوله
الحمد لله مشتمل على مائة الف الف او ازيد واما قوله رب العالمين فاعلم ان العلم بكونه تعالى ربا للعالمين موقوف
على معرفة العالمين فان معرفة المضاف تتبع معرفة المضاف اليه ثم ان العالمين عبارة عن كل موجود سوى
الله وهي مما لا نهاية كثرة فانه قد ثبت بدليل العقل والنقل انه سبحانه الف الف عالم خارج هذا
العالم المحسوس بحيث يكون كل واحد من تلك العوالم اعظم من هذا العالم ويحصل في كل واحد منها مثل
ما حصل في هذا العالم من العرش والكرسي والسموات والارضين والشمس والقمر ومعلوم ان البحث
عما يتعلق بهذا العالم المحسوس يشتمل على الوف من المسائل بل الانسان لو ترك الكل واراد ان يحيط
علمه بعجائب احوال المعادن والنبات والحيوانات لفني عمره في اقل القليل من هذه المطالب ولا ينتهي
الى غورها كما قال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله وهي باسرها داخلة تحت قوله رب العالمين واما قوله تعالى الرحمن الرحيم
فاعلم ان الرحمة عبارة عن تخليص الاقسام عن الافات وايصال الخيرات الى اصحاب الحاجات ومن
طالع كتب الطب يقف على كثرة اقسام الافات وانواعها لا يعلمها الا الله ومن تامل كيف هدى الله
سبحانه الخلق الى معرفة الاغذية والادوية علم ان هذا الباب بحر لا ساحل له وحينئذ يظهر له
ان اقسام رحمة الله على عباده خارجة عن الضبط والاحصاء واما قوله مالك يوم الدين ففيه
اشارة الى مسائل المعاد وهي عقلية وسمعية ويندرج في العقلية البحث عن حقيقة النفس وكيفية احوالها
وصفاتها وبقائها بعد البدن وسعادتها وشقاوتها وفي السمعية الاحوال والعلامات الدالة
على قيام القيامة قبل وقوعها واحوال البرزخ وموت الخلائق وتخريب السماء والارض ونفخ الصور
وغيرها والاحوال التي توجد بعد قيام القيامة وشرح ما يتعلق باهل الموقف من وقوف الخلائق
بين يدي الله وما يشاهدونه من الاحوال وكيفية الحساب ووزن الاعمال وصفة اهل الجنة والنار
والكلمات التي يذكرونها والاعمال التي يباشرونها ولعل مجموع المسائل العقلية والنقلية يبلغ الالوف
وهي داخلة تحت قوله مالك يوم الدين واما قوله اياك نعبد واياك نستعين فاعلم ان العبادة

عبارة عن الفعل المامور به على سبيل التعظيم للامر وما لم يثبت بالدليل ان للعالم الها قادرا عالما حيا
وانه امر عباده ببعض الاشياء ونهاهم عن بعضها وانه يجب على الخلق طاعته لا يمكن القيام بلوازم قوله اياك
نعبد ثم بعد الفراغ من ذلك لا بد من تفصيل اقسام التكاليف وما يدخل فيه من تكاليف الله بحسب هذه الشريعة
وكذلك ما يدخل فيه من تكاليف الله بحسب الشرائع المتقدمة ويدخل فيه ما كلف الله ملائكته منذ خلقهم وامرهم بالاشتغال
بالعبادات واذا اعتبر الانسان مجموع ما تضمنه كتب الفقه من اعمال الجوارح وكتب الاخلاق من اعمال القلوب
وكتب السياسات بحسب الملل المختلفة والامم المتباينة وعلم ان كلها داخلة تحت قوله اياك نعبد علم ان المسائل
التي اشتملت عليها هذه الاية كالبحر المحيط الذي لا تصل العقول والافكار الا الى القليل منها واما قوله اهدنا
الصراط المستقيم فاعلم انه عبارة عن طلب الهداية ولتحصيلها طريقان احدهما طلب المعرفة بالبرهان وهنا
يعرف انه ما من ذرة من ذرات العالم الاعلى والاسفل الا وهي شاهدة بكمال الهيته وجلال صمديته
كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وثانيهما بتصفية الباطن والرياضة وهذا بحر لا ساحل له
ولكل واحد من السائرين الى الله منهج خاص ومشرب معين كما قال تعالى ولكل وجهة هو موليها ولا وقوف للعقول
على تلك الاسرار ولا خبر عند الاوهام من مبادي ميادين تلك الانوار والعارفون المحققون لحضوا فيها
مباحث عميقة واسرار دقيقة قلما ترقى اليها افهام الاكثرين واما قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم
فهو عبارة عن صراط السعداء من الملائكة والانبياء والاولياء والذين لا يعلمهم الا الله وشرح تفصيل
ذلك الصراط وتفاوته في الشرف والعظم وتفاوت اهله وتفاوت الاستقامة عليه تستدعي الف الف
مجلد لا تفي بقطرة من بحره ولا بذرة من عالمه وساحله واما قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين فعبارة
عما عدا السعداء من الخلق وشرح تفصيل معتقداتهم وتفاوت طرقهم في الغضب والضلال مما يخرج عن
الحد والحصر فظهر ان هذه السورة مشتملة على مباحث لا نهاية لها واسرار لا غاية لها وان قول من
قال انها مشتملة على عشرة الاف مسئلة كلام خرج على التقريب بافهام السامعين ثم قال رحمه الله
تقرير شرح اخر يدل على انه يمكن استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة وهو ان قولنا اعوذ
بالله نوع من انواع الفعل المضارع والمضارع نوع من انواع الفعل والباء في قوله بالله باء الالصاق
وهو نوع من انواع الحروف وقولنا الله اسم معين اما من اسماء الاعلام او من الاسماء المشتقة وكل واحد
منها نوع من مطلق الاسم وقد ثبت امتناع المعرفة بالنوع الا بعد معرفة الجنس فلا يمكن تحصيل العلم باعوذ

مرتبة الجنس ونوع من انواع

بالله

بالله الا بعد معرفة الاسم والفعل والحرف اولا ولا يمكن هذه المعرفة الا بذكر حدودها وخواصها ثم بعد
الفراغ منه لا بد من تقسيم الاسم الى العلم والمشتق واسم الجنس وتعريف كل واحد منها بحده ورسمه وخواصه ثم
بعد الفراغ منه يجب الكلام في لفظ الله هل هو علم او مشتق ومما ذا اشتق ويجب البحث عن حقيقة مطلق
كل واحد منها بحده ورسمه وخواصه الفعل واقسامها وحدودها وخواصها وعن خصوص الفعل المضارع
ثم عن خصوص اعوذ وكذلك يجب البحث عن حقيقة الحرف واقسامها وحدودها وخواصها وعن باء
الالصاق وحده وخواصه وعند الوقوف على تمام هذه المباحث يحصل الوقوف على تمام المباحث اللفظية المتعلقة
بقوله اعوذ بالله ومن المعلوم انها كثيرة جدا والمرتبة الرابعة ان نقول هذه الانواع الثلاثة داخلة
تحت الكلمة فيجب البحث عن حقيقة الكلمة وحدها وخواصها وايضا فهاهنا الفاظ شبيهة بالكلمة من
الكلام والقول واللفظ واللغة والعبارة فيجب البحث عن كل واحد منها ثم عن كونها من الالفاظ المترادفة
او المتباينة وعلى تقدير كونها متباينة يجب ذكر الفرق على التفصيل والمرتبة الخامسة ان نقول لا شك
ان هذه الكلمات انما تحصل من الحروف والاصوات فيجب البحث عن ماهية الصوت وعن سبب
حدوثه من خروج النفس عن الصدر فيجب البحث عن حقيقة النفس وعن الحكمة في كون الانسان متنفسا
وان هذا الصوت بسبب استدخال النفس او بسبب اخراجه وعند هذا يحتاج الى معرفة القلب
والرئة والحجاب الاول الذي هو المبدا الاول لحركة الصوت ومعرفة سائر العضلات المحركة للصدر
والحنجرة واللسان والشفتين واما الحرف فيجب البحث عنه هل هو نفس الصوت او هيئة موجودة في
الصوت ومغايرة له وايضا انما تتولد هذه الحروف عند تقطيع الصوت في مخارج مخصوصة في الحلق
واللسان والاسنان والشفتين فيجب البحث عن احوال تلك المخارج وعن العضلات التي بها
يمكن الحيوانات من ادخال الانواع الكثيرة من الجنس في الوجود ولا تتم هذه المباحث الا بعد
الوقوف التام على علم التشريح والمرتبة السادسة ان الصوت والحرف كيفية محسوسة بحاسة السمع و
اللون والضوء كيفية محسوسة بحاسة البصر وكذا سائر الكيفيات المحسوسة فهذه الانواع من الكيفيات
هل هي داخلة تحت جنس واحد او هي اجناس متباينة بتمام الماهية وهل الاشتراك بينها في اللوازم
الخارجية ام لا والمرتبة السابعة ان الكيفيات المحسوسة نوع من انواع جنس الكيف فيجب البحث عن
مقولة الكيف ثم عن وقوعه على ما تحته هل هو وقوع الجنس على الانواع ام لا والمرتبة الثامنة ان مقولة الكيف

والكم وغيرها داخلة العرض فيجب البحث عن حقيقة العرض واقسامه واحكامه ولوازمه وتوابعه والمرتبة
التاسعة ان العرض والجوهر يشتركان في الدخول تحت الممكن والممكن والواجب يشتركان في الدخول تحت
الموجود والبحث عن الممكن والواجب والوجود والعدم مما لا ينتهي الى الحصر والضبط والمرتبة العاشرة
ان المعلوم يدخل فيه الموجود والمعدوم وكيف يعقل حصول امر اعم من الوجود والعدم وايضا لا شك ان
المعلوم يقابل غير المعلوم والشيء ما لم يعلم حقيقته امتنع الحكم بكونه مقابلا لغيره وما حكمنا على غير المعلوم
بكونه مقابلا للمعلوم وجب ان يكون غير المعلوم معلوما وهذا محال واعلم ان من اعتبر هذه
المراتب العشرة في كل جزء من جزئيات الموجودات واستدل على صحة كل وجه من هذه الوجوه العشرة
بدلائل ثم حكى فيها الشبهات الواردة على كل واحد واحد والاجوبة عن كل شبهة شبهة انفتحت
عليه ابواب مباحث لا نهاية لها ولا يحيط عقله باقل القليل منها فظهر بهذا كيفية استنباط المسائل
الكثيرة من الكلمات القصيرة **وصل** اعلم ان القرآن في اللغة بمعنى الجمع كما ان الفرقان بمعنى الفرق
والتفصيل قال تعالى ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه والاول اشارة
الى العلم الاجمالي المعروف عند العلماء بالعقل البسيط وهو العلم بجميع الموجودات على وجه بسيط اجمالي
وذلك العقل هو خلاق تفاصيل العلوم النفسانية والثاني اشارة الى العلم النفساني المتكثر بصور عقلية
حاصلة في النفوس الفاضلة وربما يحصل الثاني دون الاول لكن الاول لا ينفك عن الثاني فكل
قرآن لا ينفك عن الفرقان دون العكس ونفس نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في مقام قاب قوسين
او ادنى عقل بسيط قرآني مجمع للمعقولات كلها وهو قلم الحق الاول وكلامه بوجه وهو كلمة الله التامة
التي فيها جوامع الكلم كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم اوتيت جوامع الكلم وفي مقام اخر لوح نفساني
فيه تفاصيل العلوم وصور الحقائق المرسومة فيه من قبل قلم الحق الفعال لصور العلوم وتلك الصور
او محلها هو الكتاب الفرقاني فهذا المصحف الذي بين اظهرنا قرآن بوجه وفرقان بوجه وهو كلام
الله بوجه وكتابه بوجه ومن اسماء القرآن النور لانه نور عقلي ينكشف به احوال المبدأ والمعاد
ويتراءى به حقائق الاشياء ويهتدى به في سلوك يوم القيامة وطريق الآخرة كما قال تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى
صراط مستقيم وقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل

السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم فقوله نور اشارة الى مرتبة العقل
القرآني البسيط وقوله كتاب اشارة الى مرتبة العلم التفصيلي كما قال تعالى كتاب فصلت آياته وقال
كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وقال تفصيل الكتاب لا ريب فيه ومن اسمائه
العظام الحكمة كما في قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فان الموجودات اعني الممكنات متميزة حال
عدمها الكوني في علم الله الواحد ويعلم الله بعلم واحد بسيط صور جميع الاشياء ويراها ويامرها
بالتكوين بامر واحد هي كلمة كن الوجودي فما عند الله اجمال بل الامر كله في نفسه وفي علم الله مفصل
وان كان كل معلوم ما يعلم واحدا لكن معلومات كثيرة كثرة لا تحصى وانما وقع الاجمال في حقنا فمن كوشف
بالتفصيل في عين الاجمال علما او عينا او حقا فذلك العالم الذي اعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب
وليس ذلك الا الانبياء عليهم السلام والورثة لهم من العلماء الراسخين واما الفلاسفة المشهورون
فليسوا من هذا المقام في شيء ومن اسمائه الروح قوله تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من
عباده لينذر يوم التلاق وقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ومن نعوته الحق قوله
تعالى نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وقوله بل هو الحق من ربك لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير وقوله تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق وقوله افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب ومن القابه الشريفة الهدى
لانه يهدي الى الحق بل هو الحق قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وقوله هدى للمتقين
الذين يؤمنون بالغيب ومن القابه الذكر لانه يتذكر به امور الآخرة واحوال المبدأ والمعاد فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم انه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ومنها الشفاء
لانه يرتفع النجاة عن الامراض النفسانية والاسقام الباطنية والآلام الاخروية من الجهل والحسد
والكبر والنفاق والرياء والرعونة وحب الشهوة والغضب وحب الجاه وسائر الملكات والامراض
التي اذا استحكمت اعيت الاطباء الروحانيين عن علاجها قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى و
شفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد يعني
ان القرآن هدى وشفاء بالقياس الى قوم وهم الذين لم يفسد وتر الحكم ولم يتغير فطرتهم الاصلية
التي فطرهم الله عليها وعمى بعينه وضلال بالقياس الى من فسدت قريحته وتغيرت فطرته كما ان نور

الشمس تقوى الابصار وهو عمى للخفافيش كما في قوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم
وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين ومنها الهدى والرحمة قال وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وصفات القران و
نعوته كثيرة واكتفينا بما ذكر لانه كاف للمتفكر المستبصر **وصل** قد درسته في بيان معجزات نبينا
صلى الله عليه واله وسلم ان اعلى وجوه اعجاز القران عند اولي البصائر انما هو اشتماله على المعارف و
الحكم وانطواؤه على جوامع الكلم فاعلم ان الغرض الاصلي من تنزيله انما هو دعوة العباد الى الله سبحانه كما
اشير اليه في غير اية منه فلذا انحصرت سوره واياته في ستة انواع كما ذكره بعض العلماء ثلثة منها
هي الاصول والمهمات احدها تعريف المدعو اليه وهو يشتمل على معرفة ذات الحق ومعرفة صفاته
ومعرفة افعاله ولما كانت معرفة الذات اضيقها مجالا واعسرها مقالا واعصاها على الفكر وابعدها
عن قبول الذكر لم يرد فيه منها الا تلويحات واشارات يرجع اكثرها الى ذكر التقديس المطلق
كقوله تعالى ليس كمثله شيء وكسورة الاخلاص والى التعظيم المطلق كقوله سبحانه تعالى عما يصفون
بديع السموات والارض واما الصفات فالمجال فيها افسح ونطاق النطق فيها اوسع ولذلك
كثرت الايات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحيوة والحكمة والكلام والسمع والبصر وغيرها واما
الافعال فبحر متسع اكنافه ولا ينال بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله وافعاله وكل
ما سواه فعله لكن القران يشتمل على الجلي منها والواقع في عالم الشهادة كذكر السموات والكواكب
والارض والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات وسائر اسباب النبات و
الحيوة وهي التي ظهرت للحس واشرف افعاله واعجبها وادلها على جلالة صانعها ما لا يظهر للحس
بل هو من عالم الملكوت وليس في القران منه الا اشارات ورموز لقصور ادراك اكثر الخلق
عن جهتها وهذا النوع باقسامه هو زبدة القران وقلبه ولبابه وسره والنوع الثاني تعريف الصراط
السلوك الى الله وهو يشتمل على ما يوجب الاقبال على الله والاعراض عما سواه وترجمته قول لا اله الا
الله قال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وتبتل اليه تبتيلا
قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وامثال ذلك وهو
بحر عميق من بحار القران والثالث تعريف الحال عند الوصول اليه سبحانه وهو يشتمل على ذكر

الروح

الروح والنعيم الذي يلقاه الواصلون والعبارة الجامعة لانواعها الجنة وعلى ذكر الخزي و
العذاب الذي يلقاه المحجوبون عن باحال السلوك والعبارة الجامعة لاصنافها الجحيم وعلى
ذكر مقدمات احوال الفريقين وعنها يعبر بالحشر والنشر والحساب والميزان والصراط وللظاهر منها جلية
جلية تجري مجرى الغذاء لعموم الخلق واسرار غامضة تجري مجرى الحيوة لخصوص الخلق و
لعل ثلث القران وسوره يرجع الى تفصيل ذلك وللمتفكر فيه مجال رحب وثلثة انواع هي التوابع
والمتمات احدها تعريف احوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله تعالى فيهم كقصص الانبياء و
الاولياء والملئكة عليهم السلام وتعريف احوال الناكبين والناكلين عن الاجابة وكيفية قمع الله تعالى
لهم وتنكيله بهم وفائدة هذا القسم الترغيب والترهيب والتنبيه والاعتبار ويشتمل على اسرار
ورموز واشارات محوجة الى التفكر الطويل وثانيها حكاية احوال الجاحدين ومحاجتهم وايضاح
مخازيهم وكشف فضائحهم ورد اباطيلهم وتخاييلهم من ذكر الله سبحانه بما لا يليق به كقولهم ان
الملئكة بنات الله وان له ولدا وشريكا وانه ثالث ثلثة ومن ذكر الرسول صلى الله عليه واله وسلم
بانه ساحر وكاهن وكذاب وانكار نبوته وانه بشر فلا يستحق ان يتبع ومن انكار الاخرة و
جحد البعث والنشور والجنة والنار وانكار عاقبة الطاعة والمعصية وفي محاجة الله تعالى اياهم
بالحجج لطائف وحقائق وثالثها تعريف منازل الطريق وكيفية التأهب للزاد والاستعداد
باعداد السلاح التي يدفع بها سراق المنازل وقطاعها واسباب الدفع لمضلاتها وقد شرح ذلك
كله في ايات الحلال والحرام وحدود الاحكام وتحت تلك الايات سياسات وحكم وفوائد يدركها
المتفكر في محاسن الشريعة المنتشر لحدود الاحكام الدنيوية كما اشرنا الى طرف منها في اوائل هذا
الكتاب **وصل** اعلم ايها المتفكر ان القران اذا كشف نقاب العزة عن وجهه ورفع
جلباب العظمة والكبرياء عن سره يشفي كل عليل داء الجهل ويروي كل غليل طلب الحيوة و
الحقيقة ويداوي كل مريض القلب بعلل الاخلاق الذميمة المزمنة واسقام الجهالات المهلكة وعن
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان القران هو الدواء وان القران غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه
والقران هو حبل الله المتين النازل الى هذا العالم لنجاة المقيدين بسلاسل المعلقات وغ
اغلال الاثقال والاوزار من حب الاهل والولد والجاه والمال وشهوة البطن والفرج

الذهب والفضة والخيل وطول الآمال وهو مع عظمة قدره ومأواه ورفعة سره ومعناه مما تلبس بلباس
الحروف والاصوات واكتسى بكسوة الالفاظ والعبارات رحمة من الله للعباد وشفقة على خلقه
وتأنيسا لهم وتقريبا الى افهامهم وملاداة معهم ومنازله الى اذواقهم والا فما للتراب ورب
الارباب ففي كل حرف من حروفه الف رمز واشارة وغنج ودلال وطلب لقلوب العشاق المشتاقين
الى روح الوصال وذوق اللقاء من عالم السماء وتخليص الاسراء من هذا الهوى في سجن الدنيا بعونه
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ضبطت شبكة الحروف والاصوات مع حبوب المعاني لصيد طيور
السموات ولكل طير رزق خاص معروف عند ذلك مبدئ الخلائق ومنشئها ومعيدها ومسببها وانما
الغرض الاصلي اصطياد نوع خاص من الطيور السموية طيور نفوس الادميين وهي المسماة بالحمامة
المطوقة برزق مخصوص معنوي من اغتذى به فهم منطق الطير كله وهو المقصود من بسط الشبكة في
الارض دون غيره سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة
هذا الامر الذي به قوت القلوب وغذاء الارواح فاحتجوا عما لا يطيقون خوض غمرته فالحجا الحجا
النجا وقيل لهم اسكتوا فانما انتم خلقتم لا تسألون عما يفعل وهم يسألون ما للعميان وملاحظة حقائق
الالوان وأما من استلذت مشكاة قلبه نارا مقتبسا من نور القرآن فادرك اسرار الامور والكلمات
والآيات كاملي فقيل لهم تأدبوا بآداب الله ورسوله واسكتوا انظر وابين اضعفكم ولا تكشفوا حجاب
الشمس لابصار الخفافيش فيكون سببا لهلاكهم وانزلوا الى السماء الدنيا من سماء علومكم لينتفع
بكم ضعفاء الابصار ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجب مضروبة بينكم وبينهم كما قيل
شربنا واهرقنا على الارض فضلة وللارض من كأس الكرام نصيب ولذلك يوجد القرآن ما فيه
صلاح كل احد وما من رزق من الارزاق المعنوية والصورية الا ويوجد في الكتاب قسم منه لاهله
متاعا لكم ولانعامكم ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وكما يوجد فيه من حقائق الحكم ولطائف
النعم التي هي غذاء الارواح والقلوب فكذلك يوجد فيه العلوم الجزئية والاغذية والادوية الصورية
من القصص والاحكام والمواريث والديات والمناكحات وغيرها مما ينتفع به المتوسطون في
المنازل والعوام ففيه الاغذية المعنوية والصورية معا والاحكام الاخروية والدنيوية جميعا فما
من شيء الا وفيه تبيانه ولو كان من باطنه طريق الى ملكوت القرآن وباطنه لتقر وكونه

تبيانا

تبيانا لكل شيء وهذه العلوم التي يشتمل عليها كلام الله وكتابه تنبه المتفكر فيها على الحقيقة الى
ما لم يدركه جماهير الناس وفي مجال الافكار كنسبة المشي على الماء الى المشي على وجه الارض فالمشي
على الارض يمكن ان يتعلم واما المشي على الماء فضلا عن الطيران في الهواء فلا يكتسب بالتعليم
او بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك حاكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان عيسى يقال انه يمشي
على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فلاهل القرآن انهم اهل الله خاصة لهم اعين
يبصرون بها آيات الله ولهم آذان يسمعون بها كلماته وقلوب يعقلون بها اسرار حكمته و
شريعته وايد يبطشون بها بمواهب كرمه ورحمته وارجل يمشون بها في دار كرامته ومنازل جوده
ورافتردو نعيمه الذين هم عمي القلوب عن مشاهدة الانوار صم العقول عن استماع ذكر الله
واحبائه بكم الارواح عن استدعاء القرب من الحبيب الاول قال الله تعالى صم بكم عمي فهم
لا يعقلون فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وعن ابي الدرداء وورد
في الحديث لولا تزييد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما ارى ولسمعتم ما اسمع فالمراد به
تكثر الحديث انهم احباء الله واولياؤه بتلك القلوب والالسن والآذان والاعين وصلاحهم
بادراك الحقائق شرح الصدور وليس لغيرهم من هذه الاذواق حظ لقلوبهم وضيق صدورهم
التي هي كالقبور الا القشور ولا ينال بالقشور الا القشور ولا يدرك بالنور الا النور ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون فكما ان السماع قد يكون
مجازيا وقد يكون حقيقيا والاول مثل قوله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله واما الثاني
مثل قوله انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء فكذلك النظر للبصر والفقه فالمراد القرآن
لا يكادون يفقهون حديثا الا ابا جهل ونظراءه وشعراء العرب في الجاهلية مع عربيتهم و
براعتهم في تلفيق الالفاظ ونظم الآيات لم يسمعوا ولو حرفا من هذا القرآن ولم يفهموا
كلمة واحدة لعدم حواسهم الباطنة التي هذه الحواس قشور واغطية لها وما يذكر الا اولوا الالباب
ان في ذلك لآيات لاولي الالباب فانتبه يا حبيبي ان كنت ذا قلب من رقدة الغافلين واستيقظ
من مضجع النائمين وقم مقام المصلين رافعا يديك بالتهليل والتكبير واشكر ربك الها

التزييد

المسكين واحمد الله حيث انزع غاية عظمته وجلالته ما انسيل مع ما انت عليه من الحقارة والقصور والعجز
والفتور فارسل اليك رسولا كريما وسراجا منيرا وانزل عليك كتابا مبينا ونورا وهدى وشفاء
وحبل الصراطا مستقيما وحبلا متينا وسلما من الارض الى السما ولينجيك من سجن الدنيا والعذاب
الادنى وصحبة الاضداد ومقارنة الموذيات التي لا تزال تلسعك وتلدغك ولكن لا تشاهدها
بنفع العين ولا تحس بايلامها مادام هذا الكون الدنياوي لاسكار الطبيعة وتخدير الجسم عناية
من الله وانما لا لك نعمة لتحصيل الزاد في المعاد لان جملة هذه الاشيا من اسباب معيشتك
الاخرى ولا عيش الا عيش الاخرة لكن لما افتقرت قبل الوصول الى الاخرة الى العبور على الدنيا
لتوقف الاخرى على الاولى توقف الثمرة على الشجرة والحيوان على النطفة وتوقف الغاية على
الحركة والعقل المستفاد منا على الحس كما قيل من فقد حسا فقد علما وكقوله ولقد علمتم النشاة
الاولى فلولا تذكرون فكما خلق الله لك اسبابا سموية مع حركاتها واوضاعها واخرى ارضية
مع صورها وموادها كما قال الله تعالى مخاطبا لافضل البشر لولاك لما خلقت الافلاك
فخلق الله الافلاك والاركان لاجل الانسان فكذلك خلق فيه دواعي طبيعية واغراضا نفسانية
وشوايب شهوية وغضبية كل ذلك لان يكون الات مستعملة لسفره واسبابا لما يهيج لعزمه
ودواعي لعروجه الى موطنه ومستقره ومحركات لخروجه الى سبيل ربه الاعلى ومشاهدة ايات
الكبرى فهو ثمرة شجرة الوجود خلق لاجله الكل وخلق هو لاجل الملك المعبود قال وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وفي الخبر خلقت العالم لكم وخلقتكم لاجلي فالقران هو
حبل الله المتين نزل من السما والنجاة المعتصمين في مهوى النازلين ومهبط الشياطين وهو نور
من انوار الله فيه هداية السالكين وبه العروج من اسفل العوالم الى اعلى منازل العليين و
ارفع مراتب القاعدين في مقاعد الصدق واليقين فاقرا ياسكين وارقا وتفكر في معانيه
وتنور واصعد الى الطواسين والا فتغرق في بحار الظلمات وتخرج الشياطين وتحرق
بالنار وتلسعك الحيات والثعابين **وصل** اعلموا ايها الاخوان المعتنين بامر الدين
وفهم غرايب الكلام المتين ان فهم غرايبه ورموزه وعجايبه مما لم يتيسر لاحد من الناس وان كان
من الاكابر الا لمن ذاق حلاوة علم اليقين وتعلم في مدارس الياسين ومكتب اهل التقديس

اهل

اهل الذكر الحكيم وقراة الايات من ارقام اللوح العظيم ونسخة الاصل الكريم الذي هو الامام المبين
وكان معلمه علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ومؤدبه ادبني ربي فاحسن تاديبي و
كان كاتب لوحه بالقلم ومصور صحيفة نفسه بصورة العلم والحكم هو ربك الاكرم الذي علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم فانه مجاز معلم لا بسبب من الاسباب كفكر او تقليد او قياس او رواية او
سماع بل انك لتلقى القران من لدن حكيم عليم او بسمع سماع باطني في علم الغيب من عند مطاع ثم
امين واول ما ينكشف لاولاد روح القدس في مكتب التقديس معنى اللوح والقلم والكتابة
والرقم ومعنى الم وطه وياسين والقران الحكيم ومعنى ص والقران ذي الذكر وق والقران
المجيد ون والقلم وما يسطرون ومعنى الحروف الهجاء وهي الحروف المقطعة القرانية والكلمات
التامات المفردة وبعدها الكلمات المركبة الفرقانية فان العناية الربانية لما تعلقت بتربية
اطفال الارواح العالية افادتهم رزقهم من البان ضروع الملكوت والجنات واذاق لهم
من لطايف الرحمة والرضوان اغذية لطيفة روحانية في كسوة الحروف المفردة على طريقة
الرمز والاشارة الى مقاصد اهل البشارة لئلا يطلع عليها الاغيار ومن لم يكن له اهلية
الوصول الى عالم الاسرار ومعدن الانوار كتب الله اولا في الواح ارواحهم حروفا مجملة و
مقطعات مفردة لعلهم يذكرون وبصنايع اباتهم يصعدون وعلى شكل كتابتهم يكتبون والى
منازلهم ومقاماتهم يرتقون وبايات الله يهتدون والى ربهم يرجعون لقد كتبنا حروفا
عاليات ترتلنا في سطور سافلات ثم اعلم ان من لم يظهر عليه سلطنات الاخرة ولم يتم عن
نيته هذه النشاة لم يطلع على معاني الكلام ورموز ايات القران وحروفه وكلماته ولم يتخلص
من حروف المقطعة ولم يتجل له وجه قائله وسد به وعظه كاتبه ومنشيه فانه يا معزوز وقد
من مرقد له يا محكوم حتى ينافر ويهاجر في سبيله مهاجرا الى الله ورسوله ومشاهدة ملكوت
الاعلى واستماع ايات الكبرى ونجاهد بالحقيقة الايمانية فان المسافر يحتاج الى الرفيق اولا ثم الطريق
وقتا وصديق بصادقه ونصيحة رفقة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم يد الله مع الجماعة وقد ترى انا فتح
فاركب معانيه سفينة النجاة التي باسم الله مجريها ومرسيها والى ربك منتهاها ولا تبال بما تجد
عن المشهور وتخالف ما عليه الجمهور فانهم سكان هذا المنزل وانت المسافر الى الحال المرتحل والسالك

بعدهم

بالجمعية

لا يبدان خلاف عادة اهل الجدل والا تركن اليهم ولا تجلس مع اهل الغفلة والبطالة وذر الذين اتخذوا
دينهم هزوا واشتغلوا بدنياهم لهوا ولعبا وزينة الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهم الذين ذمهم الله
في مواضع من كتابه ووبخهم بقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وشكى الى الله رسوله عنهم
ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ارشد رجل اديب اريب عاقل فصيح عارف بعلم اللغة والنحو والبلاغة
متكلم قادر على فن المناظرة مع الخصام والالزام في علم الكلام لم يسمع حرفا من حروف القرآن ولا فهم كلمة
واحدة من كلام (كتاب) الله النازل على عبده ولم يرغب بعد الى ما هو الحقيقة علم ونور وفقه وحكمة واعرض
عن ذلك نعما اكب عليه الجمهور مما يعد وزر علما وايمانا وفقها وايقانا وانت ايها المشعوف بعلوم
الدنيا المعرض عن علوم الاخرة اعلم انك لم تخرج حجبا الى الان قدما من عتبة بابك الذي انت
عكف فيه الى طلب الحق ولم ترغب في طريق معرفته والاطلاع على اسرار حكمته والوقوف على معاني
كتبه وكلامه ولم تحصل بعد معرفة اسم ومن رسالة التي انزل اليك ومعبودك ستوجه اليك من
سماء عظمته واحديته ناظرا اليك بعين عنايته وصمديته ليجذبك بجذبة ارجعي الى جوار قدسه و
كرامته وانت مشغول الدهر بجمع اسباب الجدل والخلاف وطلب الرياسة بالجزاف والتقلب في البلاد
والديار والتسلط في الاسفار لطلب الاسانيد العالية للتفاخر والاشتهار اما علمت ان ذلك
لحرمانك عن فهم اسرار اليقين والاطلاع على سر كلام الله المبين وكنت كالجهال العميين بلا مع
ارباب الحكمة المحرومين عن سر رجاء بحر المعرفة في انهار ايات القرآن وجداول احاديث سيد الانس
والجان وسواقي كلمات اوليائه واهل بيته الطاهرين سلام الله عليه وعليهم اجمعين كما اشير اليه
بقوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاودية القلوب سالت عن فيض بقدرها
وجداول العقول فاضت من نحو بحرها فابرزت الاودية على سواحل الاسماع جواهر وافرة و
دررا وانبتت الجداول على شواطي الانظار زواهر ناضرة وثمار فاخرة ايها العاقل من حجابك
وعتبة بابك واخلع عنك لباس الجاهلية وانطلق عن قيود الرسمية ورسوم العادية
لترى عجائب قدرة الله وعظمته في انزال القرآن وتنزيل الكتاب والفرقان وترى فتح مقاليد
خزائن السموات والارض بمفاتيح علم الغيب الجامع وصحة الشك والريب خسران ادركك الموت
في الخروج عن بيت نشأتك الاولى الى الفطرة الثانية والنشأة الاخرة فقد وقع اجره على

اهله

الله

الله وعن الصادق عليه السلام كتاب الله على اربعة اشياء العبارة والاشارة واللطائف والحقائق فالعبارة
للعوام والاشارة للخواص واللطائف للاولياء والحقائق للانبياء **وصل** اعلموا ايها المعتنون
بالتفكر في معاني الكتاب هداكم الله طريق الصواب انه هنا ابحاثا لفظية بعضها متعلقة بنقوش
الحروف وهيآتها الكتبية وصور الالفاظ وصفاتها السمعية فقد نصب الله لها اقواما من الكتاب
والقراء والحفاظ وصل غاية سعيهم معرفة تجويدها وتحسين كتابتها وبعضها متعلقة بمعرفة
احوال الابنية والاشتقاقات والاحوال الاعرابية والبناء والكلمات وبعضها متعلقة باوايل
مفهومات اللغات المفردة والمركبة وهذه كلها دون ما هو المقصد الاقصى والمنزل الاسنى
وقد بلغت في كل منها طائفة حد المهارة وعرجت فيها غاية المدى فقد نصبهم الله لكسب هذه
العلوم الجزئية المتوقف عليها فهم حقائق القرآن ليكون درجتهم درجة الخوادم والالات لما
هو الحقيقة الثمرة والتمام وما به كمال نوع الانسان فاعلم ان الكلام مشتمل على عبارة و
اشارة كما ان الانسان متالف الوجود من غيب وشهادة فالعبارة لاهل الرعاية والاشارة
لاهل العناية فالعبارة كالميت المستتر في طي الاكفان والاشارة كاللطيفة الذاكرة العارفة
التي هي حقيقة الانسان والعبارة من عالم الشهادة والاشارة من عالم الغيب والشهادة ظل
الغيب كما ان شخص الانسان ظل حقيقته اما اهل العبارة والكتابة فقد صرفوا اعمارهم في تحصيل
الالفاظ والمباني وقد عرفت عقولهم في ادراك البيان والمعاني واما اهل القرآن والكلام
وهم اهل الله خاصة بالمحبة الالهية والجذبة الربانية والقرابة النبوية فقد يسر الله لهم السبيل وقل
منهم قليل العمل الرحيل وذلك لخلوص نيتهم وصفاء سريرتهم فهم لا يحتاجون في فهم حقائق
القرآن وغرائب معانيه الى التعمق والتوغل في البحث عن ظواهر الفاظ الكلام وضبط هيأته ومبانيه
وصرف العمر في معرفة الاشتقاق والاعراب والتصريف ومسابقا في علم الاعراب مقدمين في
حمل الكتاب ويضيعوا غاية جهدهم في الاوقات والازمان في تحصيل ما سيبويه علم المعاني و
البيان وما يجري هذا المجرى في الرتبة والشان بل كلامهم طرف يسير من كل فن منها وجمع قليل
من كل دستور منها اخذ للزاد وتمهيدا لسفر المعاد فمن اراد ان يقف على انه لم طولت الباء
في بسم الله ومدت السين اولم حذفت الالف في الخط هنا واثبتت في قوله اسم ربك اولم اسقطت

الالف بعد اللام في الله او هل تفخم لام الجلالة ام لا فليرجع الى اهل الخط والقراءة ومن اراد ان يقف
على ان البسملة تماما في اوائل السور الكريمة هل هي هناك جزء من كل واحد او انها جزء من
الفاتحة وحدها لا غير او انها ليست جزءا من شيء منها بل هي اية فذة من القران او انزلت للفصل
بينها وبين السور او انها ليست الا بعض اية من سورة النمل وليست جزءا من غيرها وانما يأتي بها
التالي والكاتب في اوايلهن تبركا باسمه تعالى او انها ايات من القران انزلت بعدد السور المصدرة
بها من دون الجزئية لهن فليرجع الى اصحاب النقل واهل الرواية ومن اراد ان يعرف بم تعلقت الباء
وباي محذوف ارتبطت ولم قدر المحذوف متأخرا هنا والمراد باسم الله اقرا او اتلو وقد قدم
تعالى في قوله اقرا باسم ربك وما معنى تعلق اسم الله بالقراءة او كيف يعد كذلك والقايل هو الله
او كيف بنيت الباء على الكسرة ومن حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة
التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك وان كلمة
الله اسم هي او صفة مشتقة ام جامدة فليرجع الى مطالعة التفاسير المشهورة سيما الكشاف
فانه كامل في بابه فايق على اترابه وان لكل طائفة فيما يعبدون تقربا الى الله وعبودية له رايا ومذهبا
والكل على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم اياه يطلبون ونحوه يقصدون وعلى ادينهم فرحون وعما
بغيرهم وان كان على بينة من ربه يستهزئون وللناس فيما يعبدون مذاهب الا ان مذهب اهل
الله شيء اخر ودينهم دين خالص بل الحق انه مذهب لهم الا انه الدين الخالص مذهب شتى لمحبين في
الهوى ولي مذهب فرد اعيش وحدي وهم عباد الرحمن بالحقيقة وغيرهم عبدة المذاهب
والاراء وطلاب النفس والهوى لان عبادة الرب وطاعته فرع معرفته وطلب قربته اذ طلب
المجهول محال فمن لم يكن عارفا بالله ولا عارفا عاملا كيف يحبه ويطلبه ويقصد التقرب اليه ويتولاه
ولكن الحق لكمال رافته ورحمته لعباده وشمول عاطفته وانبساط نور وجوده على الممكنات وتجلي
وجه ذاته لسائر الموجودات جعل لكل منهم مثالا لحقيقته ومثابة يقصدونها ومنها جانبا يكون
وجهة يتولونها وقبلة يرضونها وشرعة يعملون بها فقال ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا وقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال كل حزب
بما لديهم فرحون وهكذا اختلاف المشتغلين بعلم القران وتفاوت مراتبهم في بطونه وظهوره
ولبابه

ولبابه وقشوره لان كلام الله لمعة من لمعات ذاته فكما وقع الاختلاف والتفاوت في مذاهب
الخلق واعتقاداتهم لله بين مجسم ومنزه ومتفلسف ومشرك وموحد فكذا وقع الاختلاف و
التفاوت بينهم في الفهوم فهذا اما دل على كمال القران لانه بحر عميق غرق في تياره الاكثرون و
ما نجا منه الا الاقلون ولا يعلم تاويله الا الله والراسخون سواء وقع الوقف على الله ام لا اذ الكل
اذا علموا تاويله لم يعلموا الا بالله ولم يحيطوا به علما الا بعد فناء ذواتهم واندكاك جبال هويتهم
ولا يحيطون بعلمه الا بما شاء والغرض من هذا الكلام ان علم القران مختلف والاذواق فيه
متفاوتة حسب اختلاف اهل الاسلام في المذاهب والاديان وكل حزب بما لديهم فرحون الا ان
ساير المشتغلين به منزهين عنه واهل القران وهم اهل الله وخزنته واولياؤه من اهل القول
والعبارة وهؤلاء من اهل الكشف والاشارة ومن اراد ان يخوض لجة هذا البحر العميق ويخوض غمرة
خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور كان يجب عليه اولا ان يطلع على ساير التفاسير ويتفحص عن
عقيدة كل فرقة من فرق اثنين وسبعين ويستكشف اسرار مذهب كل طائفة من طوائف المسلمين
ليميز بين محق ومبطل ومتدين ومبتدع ويكون كما حكى الشيخ ابو حامد الغزالي لا نغادر باطنيا الا و
هو يريد ان يطلع على بطانته ولا ظاهريا الا و يقصد ان يعلم حاصل ظهارته ولا فيلسوفا الا و
يحرص الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما الا ويجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا
صوفيا الا ويحرص على العثور على سر صفوته ولا زنديقا او معطلا الا ويتجسس لتنبه لاسباب
جرأته في زندقته او تعطيله وكان لم يزل التعطش الى درك حقايق الامور دابه وديدنه و
غريزيا له وفطرة من الله في جبلته لا باختياره وحيلته حتى انحلت عن قلبه رابطة التقليد وانكسرت
عليه سفينة العقايد الموروثة على قرب الصبى من الاباء والاساتيد اذ قد راى صبيان النصارى
لا يكون لهم نشو الا على التنصر وصبيان اليهود لا نشو لهم الا على التهود وصبيان المسلمين لا نشو لهم
الا على الاسلام كما دل عليه الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فاذا بلغ الى هذا المقام من التحير والاضطرار والانكسار و
التهاب نار نفسه الكامنة فيه لغاية الاضطرار واشتعل كبريت قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما
راها بعين النقص والاحتقار وكان زيت نور الايمان في قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار دفع عليه

نور من نور الانوار وانكشف له سر من عالم الاسرار اي بذلك النور الجلي اصل كل نظر دقيق وشاهد
بذلك السر الخفي غاية كل شك ونهاية كل بحث عميق وبه يحصل له الاقتدار على معرفة اسرار القرآن
العظيم واستيضاح لطائف كتاب الله العليم ومعجزة رسوله الكريم عليه وآله الصلوة والتسليم فعند
ذلك يخوض فيه ويغوص في بحار معانيه ويستخرج دررا ويواقيت ينعكس لمعانها على اعين الناظرين
في سواحله واسماع الواقفين على حواليه وما يكشف منها للدارسين فهو قدر يسير بالاضافة
الى ما لم يكشف لانه مما استأثر الله بعلمه فيا ايها الناظر بعين المروة والاشفاق من هذا
الجنس في هذه الاوراق ان كنت من اهله ولا تغمض بصرك عن ملاحظة اسرار معرفة الله ولا
تنظر اليها ولا تتسرح في ميدان معرفة معاني الوحي والقرآن واشتغل باشعار شعراء العرب
وغرائب النحو وعلوم الادب والفروع ونوادر الطلاق والعتاق وحيل المجادلة في البحث والمراء
في الكلام وسائر الحكايات والمواعظ التي فيها مصيدة العوام ومجلبة الجاه والحطام والغلبة في
الخصام فذلك اليق بك فان فيه يتم لك معاشك وتصل الى سمت رتبتك ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم **وصل** واعلم ان فهم رموز القرآن واغواره واسراره مما لا يمكن حصوله بدقة الفكر
وكثرة البحث والنظر من غير طريق التصفية والملاجأة الى اهل بيت الولاية واقتباس انوار الحكمة
من مشكوة علم النبوة واستضاءة اضواء المعرفة من جهة احكام احكام التابعية المطلقة و
تصفية الباطن بالعبودية التامة واقتفاء آثار الائمة الماضين الواقفين على اسرار الشريعة و
تتبع منار الهداة المتقين المطلعين على انوار الكتاب والسنة لينكشف على السالك شيء من
انوار علوم الملكوت والتنبيه ويتخلص من ظلمات اقاويل المبتدعين وها انا اذكر انموذجا واصل
البيان في هذا الباب من اسرارهم وشعبها من انوارهم ليكون لك دستورا وميزانا عليك ان تنظر
من بعد اطلاعه الى انوار كواكب القرآن والآيات كتاب العرفان واكتفي بذكر مثال واحد منه لاني
الآن عاجز عن دركه قاصر عن فهم سره وحقيقته فانه نبأ عظيم وانتم عنه معرضون ولاني اخاف
ان يكذبوني فلاجل هذا يضيق صدري ولا ينطلق لساني كما في قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فاعلم ان الله ما خلق شيئا في عالم الصورة

والدنيا

والدنيا الا وله نظير في عالم المعنى والعقبى وما ابدع شيئا في عالم العقبى الا وله نظير في عالم الآخرة
والمأوى وله ايضا نظير في عالم الاسماء وكذا في عالم الحق وغيب الغيوب مبدع الاشياء فما من شيء
في الارض ولا في السماء الا وهو شأن من شؤونه ووجه من وجوهه والعوالم متطابقة متحاذية المراتب
فالادنى مثال الاعلى والاعلى حقيقة الادنى وهكذا الى حقيقة الحقائق وجود الوجودات فجميع ما في هذا العالم
امثلة وقوالب لما في عالم الارواح كبدن الانسان بالقياس الى روحه ومعلوم عند اولي البصائر ان
هوية البدن بالروح وكذا جميع ما في عالم الارواح هي مثل واشباح لما في عالم الاعيان العقلية الثابتة
التي هي مظاهر اسماء الله واسمه عينه كما حقق في مقامه ثم ما خلق في العالمين شيء الا وله مثال
مطابق وانموذج صحيح في الانسان فلنكشف اولا عن بيان حقيقة العرش والكرسي والاستواء على
ونكشف فيها مثال واحد في هذا العالم الانساني ليقاس به غيره من معاني الالفاظ الموهمة للتشبيه
فنقول مثال العرش في ظاهر عالم الانسان قلبه المستدير الشكل وفي باطنه روحه الحيواني بل
النفساني وفي باطن باطنه نفسه الناطقة وهو قلبه المعنوي محل استواء الروح الاضافي الذي
هو جوهر علوي نوراني مستقر عليه لخلافة الله في هذا العالم الصغير كما ان مثال الكرسي في
ظاهر هذا العالم البدني صدره وفي الباطن روحه الطبيعي الذي وسع سموات القوى
السبع الطبيعية وارض قابلية الجسد وفي باطن باطنه نفسه الحيوانية التي فيه موضع قدمي الناطقة
اليمنى واليسرى اي المدركة والمحركة كما ان الكرسي موضع القدمين قدم صدق عند ربك و
قدم الجبارين تضع في النار ثم المحيط كل المحيط وليس بحسب العرش مع عظمته وانما قرار
الرحمن يكون مستوى له بالنسبة الى سعة قلب العبد المؤمن كحلقة ملقاة في فلاة بين السماء
والارض وقد ورد في الحديث الرباني لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن
فاذا علمت هذا المثال تحققت القول على هذا المنوال فاجعله دستورا لك في تحقيق معاني
الآيات وميزانا تقيس به جميع الامثلة الواردة على لسان النبوات وتلخيص القول ان منهج الراسخين
في العلم هو ابقاء ظواهر الالفاظ على معانيها الاصلية من دون تصرف فيها لكن مع تحقيق تلك
المعاني وتخليصها عن الامور الزائدة وعدم الاحتجاب عن روح المعنى بسبب غلبة احكام بعض
خصوصياتها على النفس واعتيادها بحصول معنى على هيئة مخصوصة له فيتمثل ذلك المعنى بها

للمفسر في هذه النشأة فلفظ الميزان مثلاً موضوع لما يوزن ويقاس به الشيء مطلقاً مجردا عن القيود ليشمل
المحسوس منه والمتخيل والمعقول فذلك المعنى الشامل روح معناه وملاكه من غير ان يشترط فيه خصوصية بهيئة
مخصوصة فكل ما يقاس به الشيء باي خصوصية كانت حسية او عقلية يتحقق فيه حقيقة الميزان ويصدق عليه
معناه فالمسطرة والشاقول والكونيا والاصطرلاب والذراع وعلم النحو وعلم العروض وعلم المنطق
وجوهر العقل كلها مقاييس وموازين يوزن بها الاشياء لان لكل شيء ميزانا يناسبه ويجانسه فالمسطرة
ميزان الخطوط المستقيمة والشاقول ميزان الاعمدة على الافق والكونيا ميزان السطوح الموازية
للافق والاصطرلاب ميزان الارتفاعات القوسية من الافق اولا وللحمول بها واوتادها ثانيا و
النحو ميزان الاعراب والبناء للفظ على عادة العرب والعروض ميزان لكمية الشعر والمنطق ميزان الفكر
يعرف به صحيحه من فاسده والعقل ميزان الكل ان كان كاملا فالكامل العارف اذا سمع الميزان
لا يحتجب عن معناه الحقيقي بما يكثر احساسه ويتكرر مشاهدته من الآلة ذي الكفتين والعمود و
لسان وهكذا حاله في كل ما يسمع ويراه فانه ينتقل الى الفحواء ويسافر من ظاهره وصورته الى روح
معناه ومن دنياه الى اخراه ولا يتقيد بظاهره واولاه واما المقيد بعالم الصورة فلجمود طبعه و
جمود فطنته وسكون قلبه الى اول النشأة واخلاده عقله الى ارض الحيوانية فينكس الى اوائل الفهوم
ويطمئن الى مبادي المعقول ولا يسافر من مسقط راسه ومعدن جسمه ومنبت حسه ولا يهاجر من
بيته الى الله ورسوله فهو ممن ان يدركه الموت ويعوزه الصورة الحسية ولا يصل الى عالم المعنى لعدم
وثوقه بما وعد الله ورسوله وعدم تصديقه بما قاله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله **وصل** اعلم انه ما من كلمة من القرآن الا وتحتها رموز واشارة
الى معنى خفي يدركها من يدرك الموازنة والمناسبة بين عالم الملك والشهادة وبين عالم الغيب والملكوت
فما من شيء في عالم الحس والشهادة الا وهو مثال لامر روحاني من عالم الملكوت فانه هو في روحه ومعناه
وليس هو في صورته وقالبه والمثال الجسماني من عالم الشهادة مرقاة الى المعنى الروحاني من ذلك العالم
ولذلك كانت الدنيا منزلا من منازل الطريق الى الله تعالى ضرورية في حق الانس اذ كما يستحيل الوصول
الى اللب الا من طريق القشر فيستحيل الترقي الى عالم الارواح الا من مثال عالم الاجسام ولا يعرف هذه
الموازنة الا بمثال فانظر الى ما ينكشف للنائم في نومه من الرؤيا الصحيحة التي هي جزء من ستة واربعين

حذو ام

جزءا

جزءا من النبوة وكيف ينكشف بامثلة خيالية فمن يعلم الحكمة غير اهلها راى في المنام انه يعلق الدر في اعناق
الخنازير وراى بعضهم كان في يده خاتما يختم به فروج النساء وافواه الرجال فقال له ابن سيرين انت رجل
تؤذن في رمضان قبل الصبح فقال نعم وراى اخر كانه يصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية
فهي امك قد سبيت وبيعت واشتريتها انت ولا تعرف فكان كذلك فانظر كيف كان ختم الافواه والفروج
مشاركا للاذان قبل الصبح في روح الختم وهو المنع وان كان مخالفا له في صورته وقس على ما ذكرته ما لم اذكره
واعلم ان القرآن والاخبار يشتمل على كثير من هذا الجنس فانظر الى قوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن فان روح الاصبع القدرة على سرعة التقليب فانما قلب المؤمن بين لمة الملك ولمة الشيطان هذا
يغويه وهذا يهديه والله تعالى بهما يقلب قلوب العباد كما انت تقلب الاشياء باصبعك فانظر كيف شارك
نسبة الملكين المسخرين الى الله تعالى اصبعيك في روح الاصبعية وخالف في الصورة ولتستخرج من هذا
سائر الآيات والاخبار الموهمة عند الجهال للتشبيه فالذكي يتيسر عليه بمثال واحد والبليد لا يزيده الكثير الا تحيرا
ومهما عرفت معنى الاصبع امكنك الترقي الى القلم واليد واليمين والوجه والصورة واخذت جميعها روحانيا
لا جسمانيا فتعلم ان روح القلم وحقيقته التي لا بد من تحقيقها اذا ذكرت حد القلم هو الذي يكتب به و
ان كان في الوجود شيء يسطر بواسطته نقش العلوم في الواح القلوب فاخلق به ان يكون هو القلم فان
الله علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وهذا القلم روحاني اذ وجد فيه روح القلم وحقيقته ولم يعوزه الا
قالبه وصورته وكون القلم من خشب او قصب ليس من حقيقة القلم ولذلك لا يوجد في حده الحقيقي و
لكل شيء حد وحقيقة هي روحه فاذا اهتديت الى الارواح صرت روحانيا وفتحت لك ابواب الملكوت
واهلت لمرافقة الملأ الاعلى وحسن اولئك رفيقا ولا يستبعد ان يكون في القرآن اشارات من هذا
الجنس فان كنت لا تقوى على احتمال ما يقرع سمعك من هذا النمط ما لم تسند التفسير الى الصحابة فان التقليد
غالب عليك فانظر الى تفسير قوله تعالى على ما قاله المفسرون انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله الآية وانه كيف مثل
العلم بالماء والقلوب بالاودية والينابيع والضلال بالزبد ثم نبهك في آخرها فقال كذلك يضرب الله الامثال
ويكفيك هذا القدر من هذا فلا تطيق اكثر منه وبالجملة فاعلم ان كل ما لا يحتمله فهمك فان القرآن يلقيه اليك
على الوجه الذي كنت في النوم مطالعا بروحك للوح المحفوظ ليتمثل لك بمثال مناسب وذلك يحتاج الى التعبير

الى

واعلم ان التأويل يجري مجرى التعبير فاذلك كما يدور المفسر على القشر اذ ليس من شرح حجة الخاصة والفروج في
الاهواء كمن يدرك المنزلات قبل الصبح ولعلك تقول لم اوردت هذه الحقائق في هذه الامثلة ولم يكشف رجا
حتى يتبلا الناس في جهالة التشبيه وضلالة التمثيل فاعلم ان هذا تعرفه ان عرفت ان النائم لم ينكشف له
الغيب من اللوح المحفوظ الا بالمثال دون الكشف الصريح كما حكيت لك المثل وذلك يعرفه من يعرف العلاقة
التي بين عالمي الملك والملكوت ثم اذا عرفت ذلك عرفت انك في هذا العالم نائم وان كنت مستيقظا فالناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيكشف لهم عند الانتباه بالموت حقائق ما سمعوا بالمثال وارواحها ويعلمون ان
تلك الامثلة كانت قشورا واصدافا لتلك الارواح ويتيقنون صدق آيات القرآن وصدق قول الرسول
كما تيقن ذلك المؤذن صدق قول ابن سيرين وصحة تعبيره للرؤيا وكل ذلك ينكشف على الاتصال بالموت وربما
انكشف بعضها في سكرات الموت وعند ذلك يقول الجاحدون والغافلون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا حسرتا على
ما فرطنا فيها يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون والى
هنا تشير آيات القرآن المتعلقة بشرح المعاد والآخرة فافهم من هذا انك كنت نائما في هذه الحيوة و
انما تنتبه بعد الموت وعند ذلك تصير اهلا لمشاهدة صريح الحق كفاحا وقبل ذلك فلا تحتمل الحقائق الا
مصبوبة في قالب الامثال الخيالية ثم لجمود نظرك على الحس تظن انه لا معنى له الا التخيل وتغفل عن روح نفسك (الروح كما تغفل عن)
ولا تدرك الا القالب وقد سبق في كتاب ذكر اسرار تلاوة القرآن ما ينفعك في هذا المكان فتذكره

الباب الخامس في اليوم الاخر

اعلم ان النفس المجردة لها وجود للبدن و
وجود لذاتها والبدن علة قابلية لوجودها لا لوجودها لذاتها الا بالعرض فاذا احدث مادة بدنية
ذات كيفية واحدة صالحة لان تكون آلة للنفس ومملكة لها احدث البارى الجواد باستخدام بعض الاكرمين المقربين
المفارقين عن عالم المواد والقوى الكلية النفس الجزئية التي هي صورة البدن ومبدأ افاعيله واخلاق و
تدابير بشرية مودعة بروح القدس لان تلك التدابير لا تتم الا بجوهر قدسي له تعلقات كلية فالبدن باستعداده
استدعى صورة مادية وجود المبدأ الوهاب افاض عليه كلمة عقلية ولطيفة ملكوتية فوق ما استدعيه لسابق
استعداده من باب الاحتجار والاستتباع فيكون البدن علة قابلية لجوهر النفس بالعرض لا بالذات وقد
يشبه البدن شبكة تقتنص بها النفس المجردة التي هي من طيور سموية محبوسة في اقفاص الاجرام الارضية

فقد

فقد وقوع طير النفس في الوجود بواسطة الشبكة لا احتياج في بقائها الى بقاء الشبكة ومما يدل على بقاء
النفس بعد فساد البدن اتفاق اصحاب الشرائع والملل على ذلك ويدل عليه ايضا اهل الانبياء والاولياء
عليهم السلام ومن يرى مثل رأيهم من الحكماء والعرفاء لا يهتمون بها ويرون بالاجساد اذ لا تبعث النفوس و
انما يرون ان هذه الابدان المظلمة الكثيفة حبس النفوس او حجاب لها ويرون ان هذه الاجساد
بمنزلة البيضة للفرخ والمشيمة للجنين والدنيا بمنزلة الرحم والطبيعة حاضنها والنفوس هي بمنزلة النطف
الدافقة من صلب القضاء الالهي في ارحام الطبايع والموت الطبيعي هي الولادة المعنوية للنفوس في النشأة
الاخرة وملك الموت هي قابلة الارواح ودار النفوس والقبر هو المهد الذي يربى فيه الاطفال وكما
ان الاطفال ما دامت في المهد فتحت الحيوة غير قادرة على تمام الحس والحركة فتستعد فيه للحيوة التامة
والنهوض للافعال الاختيارية كذلك النفوس ما دامت هي مقبورة غير تامة الحيوة الاخروية فالنفس
بحسب الغريزة تشفق على البدن ما لم تستتم له الخلقة ولم تستكمل الصورة فاذا تمت الخلقة وكملت الصورة
تهاونت بحسب جبلتها التي فطرت عليها ولا تبالي ان شقت البيضة او تخرقت المشيمة اذا سلم الفرخ
او الطفل فهكذا حال النفوس مع الاجساد انما تشفق على الجسد وصونه وتربيته ما لم تستيقظ تقطنا غريزيا
بان لها وجودا خلوا من الجسد وذلك الوجود خير وابقى والنفع اقرب من هذا الوجود والبقاء الذي
لها مع الجسد فاذا استتمت الانفس وكملت صورتها العقلية وانتبهت من هذه النوم واستيقظت
من هذه الغفلة الكبيرة واحست بغربتها في هذا العالم الدنياوي وانها اسيرة في يد الطبيعة غريقة
في بحر الهيولي تائهة في قعر الاجسام مبتلاة بجنة الابدان مغرورة بزينة المحسوسات الشهوية التي
هي لهو ولعب والغضبية التي هي تفاخر وتكاثر في الاموال وبانت لها حقيقة ذاتها وعرفت فضيلة
جوهرها معرفة اجمالية وان كانت في غاية (الخفاء) ونظرت الى عالمها وشاهدت الصور الروحانية عند
ادراكها المعقولات واقلها الاوليات هانت عليها مفارقة الجسد ومزايلة البدن ومن تامل في
حال بدن الانسان ومراتب انتقالاته واستحالاته من جهة انه كلما قربت نفسه ضعف بدنه وانه كلما
تدرجت نفسه في الاستكمال من لدن بلوغه الى شيخوخته تدرج بدنه في الانتقاص والاضمحلال
لعلم يقينا ان النفوس متوجهة بحسب الغريزة الى عالم اخر اليه رجعاها ومنتهاها وان غفل عن
هذا التوجه العقلي والسلوك الاخروي اكثر الناس الا انه مركوز في طبيعة الجميع مفطور عليه فطرة الكل

هنا

كما يدل عليه قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم **وصل** النفوس الانسانية انما هبطت الى
العالم من عالم اخر وهو ماواها الطبيعي وموطنها الاصلي وهي كانت هناك جواهر مجردة لطيفة عاقلة قادرة
متقوية مبتهجة بما يجري في عالمها وجنانه مطمئنة عند باريها في مقعد صدق وهي الجنة التي كان فيها ابوها
العقلي وامها النفسي فاذا هبطت من هناك بخطيئة وقعت من ابيها وامها وورثت من سخط الله والغفلة
الى السفل وحولت الى هذا العالم انقلبت حيوتها موتا ونورها ظلمة وتبدلت قدرتها عجزا واختيارها
اضطرارا واستقرارها اضطرابا ولطافتها كثافة ومن التذكر انساها ونسيها وكمالها الى النقص و الخسر و
النقص والجزئية جمعيتها ووحدتها الى التفرقة والكثرة حتى لم يتصل تماما الى معادها الاصلي ولم يزل
الكثرة والتفرقة عنها بالكلية كانها لم تكن لم تسكن ولم تطمئن من انزعاجها واستيفازها عن الصادق
عليه السلام ما محصله انه سئل عليه السلام لاي علة جعل الله الارواح في الابدان بعد كونها في الملكوت في ارفع محل
فقال عليه السلام ان الله علم ان الارواح في شرفها وعلوها متى تركت على حالها نزع اكثرها الى دعوى الربوبية
فجعلها بقدرته في الابدان نظرا لها ورحمة واحوج بعضها الى بعض ورفع بعضها فوق بعض وبعث اليهم
رسله يامرونهم بالعبودية والتواضع لمعبودهم بانعبدهم بها ونصب لهم عقوبات ومثوبات في
العاجل والاجل ليرغبهم بذلك في الخير ويزهدهم في الشر وليذلهم بطلب المعايش فيعلموا بذلك
نعم الابد وياتنسوا النزوع الى ما ليس لهم بحق **وصل** اعلم ان حقيقة النفس وتجردها شيء غامض
غفل عنها الاكثرون ولم يصل الى غورها الا الاقلون من اصحاب السلوك والرياضة وما ذكره الحكماء
المشاؤون والفلاسفة الرواقيون في النفس من التجرد الصرف والطهارة عن البدن واوصافه صدق و
صواب لكن يرجع الى تجرد قوة من قواها بل مرتبة من مراتبها المسماة بالقوة العاقلة وهي مرتبة غيبتها
عن البدن وقواه واتصالها بعالم القدس ورجوعها الى جهة الوحدة وليست حقيقة النفس عند ارباب الذوق
والشهود مجرد قوة عاقلة مباينة للابدان متنزهة عن الاجرام بل البدن عندهم كظل النور الشمسي لا استقلال
له في الوجود كما لا استقلال له في الحركة الارادية واما ما يتحرك بالحركة الطبيعية عند السقوط من السطح فهو
بالحقيقة خارج عن البدن من حيث هو بدن فانه لطيفة جسمانية حارة بخارية متصرف فيها للنفس اولا و
بالذات وهذا الكثيف الثقيل كانه غلاف وقشر لذلك البدن وكانه قد حصل من كدورة ذلك ويترشح
ويتكثف فيخرج جزوه عن الاعتدال اللائق لاجل ثقله وبرده عن تصرف النفس وطاعته لها وتسخيرها له

واستخدامها

واستخدامها اياه ولاجل ذلك يتحرك بطبعه من غير ارادة النفس واما اللطيفة التي هي عرش النفس التي يكون
معرفتها مثال معرفة النفس الرحمانية تعالى منزه عن المثل الاعلى المثال وما هو قواها وملكوتها المقربة
لها التي هي نظائر ملائكة الله الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا حالة تعرفها
النفس وتحركها كيف تشاء وتامر تلك القوى باوامرها وتنهى عن نواهيها لا تستطيع لها خلافا ولا عصيانا
الا قوة واحدة يسمى الوهم لها نصيب من الشيطنة وبها تتمرد عن طاعة العقل كما تمرد ابليس عن طاعة
الربوبية بالجملة كل من يعلم ان هوية الانسان ليست الا جوهر عقله المجرد في ذاته عن مخالطة الابدان و
قواها المتنزهة عن عوارض الاجرام وخواصها فقد جحدها ونظر اليها بعين عوراء وغفل عن كثير
من تجلياتها وشئونها ولوازم تنزلاتها وقل ايتاء الادب وما رعاها حق رعايتها وهو عند بعض بعيد
ان قصتها دب معها اذ قد جردها عن التلوث بالبدن واقذاره وكثائفه وما علم ان الجوهر النوري غير قابل
للتلوث والتقذر ولا يؤثر فيه الامور التي تؤثر في الجسم فان السواد مثلا اذا قورن جسما يجعله حالكا
وينفعل عنه ذلك الجسم واذا قورن جوهرا عقليا لا يؤثر فيه ولا يجعله اسود وكذلك القوة العاقلة من
الانسان اذا اجتمعت وصارت في الانسان بعينها نازلة في رتبة القوى والحواس لم تقدح النقائص
البدنية والاعراض الجسمانية من الاستحالات والتغيرات والامراض والآفات والكثائف والاقذار
في نوريتها المحضة ونقاوتها الصرفة بل تحفظ مع هذه التنزلات ذاتها وتجردها وعقليتها وتقدسها
عن الامكنة والاوضاع والاستحالات والتغيرات بل ان حسن المعاشيق وشمائلها التي ترى في ظواهر
ابدانها وتحمل العقول وتهيج اخيارها وتقطع في تجشم عنها الصبر والسكون ما تقول فيها اهي مجرد
اشكال والوان وتخاطيط وصفحة ملساء بل حقيقة النفس لا اظنك ان كنت من اهل الوجدان وسلامة
الذوق في ريبة في ان مجرد عوارض الجسم لا يمكن ان يفعل هذا الفعل من الاثر والتسلط على افئدة العقلاء
لولا ان الهوية النورية تنزلت من مراتبها الروحانية وتكدرت ولاحت في صور الاعضاء واشكالها المتناسبة
وتخاطيطها المتلائمة وسمت بالحسن والجمال فهي التي تدهش العقول والالباب وتوقع في الفتن
العشاق والطلاب مع انها ضعفت بحجب الظلمة وتكدرت بكدر الجسم لا الجسم وكيانه ولواحقه
فانها جميعا بمعزل عن هذا التاثير في العقول لولا مخرج البدن للقوة النطقية على تحصيل لذات
معقول من انه قد ادعى الحق والحاصل انه كان من توهم ان حقيقة الانسان مجرد البدن ووراحه

زاغ عن الحق وقصر نظره عن الجسم واخلد الى ارض البدن غير مرتق من هذه الهاوية المظلمة الى ما فوقها
منظر الى حقيقة الانسان باحدى العينين وهي اليسرى فكذلك من ظن ان حقيقته ليس الا الجوهر النطقي بلا تجسم
البدن فقد اخطأ ونظر بالعين العوراء الا انها اليمنى والعارف الكامل هو الذي يكون ذا العينين من
غير عمى لا في اليمنى كالحشوية والمجسمة ولا في اليسرى كاتباع الفلاسفة المحرومين عن المشرب العذب المحمدي في
فهم ما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن المجيد الذي كان خلقه عليه السلام الممنوعين عن ورود العين
عن الشراب الذي يكون الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها
زنجبيلا وذلك لحرمانهم عن متابعة الانبياء واستنكافهم عن الرياضات الدينية والانقيادات
الشرعية واستبدادهم بعقولهم وآرائهم وذهولهم عن مشاهدة انوار الحضرة النبوية العالمة بمراتب
الوجود وتنزلاته وتطابق العوالم بعضها على بعض والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحاصل
ان من شبهها من غير تنزيه فمع بصره اليمنى عن ادراكها فما عرفها حق معرفتها ومن جردها عن
تشبيه فنظر اليها بالعين العوراء فما رعاها حق رعايتها والكامل المحقق والبصير المحدق لا يهمل
احد الجانبين ولا يعطل عن ادراك مجموع النشأتين ويعرف سر العالمين ومجمع البحرين ومرآة
الاقليمين **وصل** اعلم ان تعلق النفس الانسانية بالمواد بدو نشوها ضعفها وتعوقها عن ادراك
الانوار الباهرات بحسب فعلها لانها اذا تجردت ونفضت عن جناحها علوق هذه الارضيات
وصقلت حدقتها عن هذه الغبارات وطارت الى العالم العقلي واتصلت باجنحة الكروبيين ان
تطالعها حق المطالعة وتحاذيها بالصور العقلية للاشياء كما اتحدت الآن بالبدن وقواه الجسمية فاذا
تركت هذه القيود العشرة تحتجب بحجب العقول العشرة واذا استكملت نسبتها بالعالم العقلي الذي
هو صورة الكل عند الباري صارت قابلة لصورة الكل كما ان الباري فاعل لها وذلك باتصالها
بالعالم العقلي والكروبيين من ملائكته الذين هم انوار واشعة لجلاله تتابع صفاتها عن ذاتها
وعدم التفاتها بالاكوان الا من جهة كونها رشحات لفيض وجوده وتاكد علوقها عند صور الاشياء
وتحيرها وهيمانها في عظمة خالق الارض والسماء بانها كالمستعيد لتيهها وتنزهها بنور رب الاعلى كل
شيء صادرا عنه فائضا من لدنه ولا ينظر الى شيء من الاشياء نظرا استقلاليا يكون المنظور اليه
ذلك الشيء غير ذات الحق بل يراه كانه ظل وشبح لا استقلال له في الحصول والكون فان شئت يا

حبيبي

حبيبي ان تصل الى كعبة المقصود فاخرج تقربا الى ربك واترك عنك وجودك وامط اذى هوسك
عن طريق الحق وهو اول درجات الاسلام الحقيقي كما اشير اليه في الحديث النبوي بقوله صلى الله عليه وآله
المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه فان طريق الحق لا يحتمل ثقلك فضلا عن اثقالك واوزارك
وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فان المانع عن ظهور الحق لك وجودك وانك تنازعه في شهود
الحق هويتك وانك وقد تبين ان تلبس القوة الاستعدادية بكل صورة ناقصة يمنعها عن التلبس
بالصورة الكاملة فالقوة الهيولانية الانسانية كلما خلعت عنها صورة ناقصة تلبست بما هو ارفع
كلما خلعت
منها وهكذا حال الانسان من بدو الوجود الى هذه المرتبة التي فيه كلما خلعت عن ذاته صورة
تلبست باخرى وما لم يتخرج عن مرتبة ادنى لم يحصل لها درجة اخرى فوقها بل كل فساد منه
عن مرتبة
يلزمه كون بازائه وعن كل موت يخرج به عن نشأة يحيا بحيوة يدخل بها في نشأة اخرى
اعلى منها الى ان يبلغ الى هذه الحالة فاذن ما لم يحصل لها قطع التعلق من جميع الصور الامكانية
وترك الالتفات الى كل القيود النفسانية لم يتصور لها درجة المقربين والانخراط في سلك المهيمين
الفانين في عشق جمال الحق الاول بحيث لا يلتفتون الى ذواتهم الكاملة بالحق الاول من حيث
ذواتهم فضلا عن الالتفات بما دونهم **وصل** اعلم انه ما من نفس انسانية الا ولها وجود
استقلالي بعد بوار هذا البدن ولها بحسب ما لها من الافعال والاعمال نوع فعلية وتحصل في
الوجود وهيئات خلقية حاصلة لها بالفعل سواء كانت تلك الاخلاق والهيئات التي توجب فعلية
ذاتها وتحصل وجودها اوصافا ملكية او شيطانية او سبعية او بهيمية فاذا خرجت النفس
الانسانية في مدة كونها العنصري وحيوتها الطبيعية ونشأتها الدنياوية من القوة التي كانت
لها في اول الفطرة صارت بالفعل بحسب ما لها من الاخلاق والملكات مخرطة في سلك انواع
شتى من هذه الاجناس الاربعة التي تحت كل جنس منها انواع كثيرة كل منها مشتمل على اشخاص
غير محصورة في عدد معين فصارت صورة بلا مادة بوجه وفعلية بلا قوة سواء كانت سعيدة
او شقية منعمة بلوازم اخلاقها الشريفة واعمالها الحسنة او معذبة بنتائج اخلاقها الخبيثة وافعالها
القبيحة واما الابدان الاخروية المناسبة لاخلاق النفوس وملكاتها فليست موادا لتلك النفوس
الاخروية حاملة لقوة كمالاتها وهيئاتها بل هي من اشباح ظلالها والظلال مثالية حاصلة من

تلك النفوس بمجرد جهات فاعلية بلا مدخلية للجهات القابلية وكل ما يحصل من الجهة الفاعلية الصرفة
والهيئات الصورية المحضة بلا مدخلية القوى المنفعلة والهيئات الاستعدادية فهو لا يكون مادة ولا بدنا
بما هو بدن بل وجوده كوجود الظل من ذي الظل فان ذا الظل لا يستكمل بظله ولا ينفعل منه ولا يتغير
عن حاله بسببه ولا يلتفت اليه وبالجملة الابدان الاخروية ليست وجوداتها بسبب استعدادات المواد
وحركاتها وتهيؤاتها واستكمالاتها المتدرجة الحاصلة عن اسباب عرضية ولواحق مفارقة بل هي
انما تنشأ بمجرد ابداع الحق الاول اياها بحسب الجهات الفاعلية من غير مشاركة القوابل مثل جوهر
مفارق نفساني لذي شبح مثالي بحسب ملكاته واخلاقه وهيأته النفسانية بلا مدخلية
الاستعدادات والمواد والحركات لحصولها شيئا فشيئا في هذا العالم فليس وجود البدن الاخروي
متقدما على وجود نفسه بل هما معا في الوجود كمعية الظل وذي الظل وكالشخص والظل احدهما
لم يحصل الاستعداد من الاخر لوجوده بل على سبيل التبعية واللزوم فهكذا قياس الابدان الاخروية
مع نفوسها المتعلقة بها ان قيل النصوص القرآنية دالة على ان البدن الاخروي لكل انسان هو بعينه
هذا البدن الدنياوي له قلنا نعم ولكن من حيث الصورة لا من حيث المادة والكيفية والمقدار وغيرها
من عوارض المادة والشيء انما هو بصورته لا بمادته وكذا الكلام في اعضاء شخص واحد **وصل** ان
الله سبحانه انما خلق الانسان وسواه وعدله شيئا فشيئا واتم خلقته واكمله تدريجا والمواد كما
قال عز من قائل جل جلاله خمرت طينة آدم بيدي اربعين صباحا وذلك بعد ما اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا كما قال جل جلاله وقال عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فخلقه
اولا ما خلقه من تراب ومن طين لازب ومن صلصال من حمأ مسنون ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين من نطفة من مني يمنى ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ليقر في الارحام ما يشاء ثم
جعله عظاما ثم كسا العظام لحما ثم انشأه خلقا آخر ثم اخرجه طفلا ليبلغ اشده ومنهم من يتوفى و
منهم من يرد الى ارذل العمر وفي هذه المراتب تكامل شيئا فشيئا بعد ما لم يكن شيئا مذكورا ويكون
كالجماد والمعادن ليس له الا صورة حافظة لتركيبه ثم تصير تلك الصورة بعينها نفسا نباتية ذات قوى
غاذية وجاذبة وماسكة وغيرها تصدر منها مع حفظ التركيب النشو والنمو والزيادة في الاقطار ثم
تصير تلك النفس النباتية بعينها نفسا حيوانية تصدر منها مع ما يصدر من قبل الاحساس والحركة و

عز وجل وقد خلقكم اطوارا وقال

قواهر

وخواص الحيوانية ثم تكاملت في الحيوانية شيئا فشيئا الى ان تصير انسانا تصدر منه مع ما يصدر من قبل ما
هو من خواص الانسانية ثم تتكامل في الانسانية الى ان تتصل الى درجة العقل وقد اشار الى هذا امير المؤمنين
عليه السلام في حديث كميل بن زياد الذي يأتي في باب الانسان ان شاء الله وقد علمت قبل ان نفس الانسان
ورد في غير هذه العقدة المحسوس الى الناشئة بقوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر فهذا الخلق الآخر
انما هو من النشأة الاخرى الباقية وهي غير هذه النشأة الدنياوية الفانية وهو من روح الله
المنفوخ في هذا القالب بعد استعداده له وهو الغرض الاصلي من هذه الخلقة والتركيب واما البدن
السابق عليه فانما خلقت لتكون محلا له وعشا وغلافا حافظا وهو الانسان بالحقيقة وانما البدن
له لتحصيل كمالات خارج عن ذاته فاذا حصل له الكمالات التي كان في استعداده ان يحصل له
وصار كاملا استغنى عن البدن لا محالة وانزجر عنه لتوجهه دائما نحو كماله الاخروي على التدريج في
رجوعه الطبيعي الى عالم آخر وانتقاله قليلا قليلا الى نشأة ثانية حتى اذا بلغ غاية من التجوهر وسلفه
من الاستقلال بالذات ينقطع تعلقه عن البدن بالكلية ويرجع الى عالم آخر ومحل ارفع ولهذا ترى
الانسان كلما ازداد عقله وكمل روحه ازداد في بدنه وهنا وفي قواه كلالا وضعفا لاستغنائه
عنه شيئا فشيئا فكلما ازداد الروح حيوة بتحصيل الكمال ازداد البدن موتا الى ان يموت هذا كلا و
يموت هذا كلا سواء كانت الارواح سعيدة او شقية فانه كما يكون الحركة الذاتية في السعادة ويكون
التكامل فيها كذلك يكون في الشقاوة والازدياد فيهما على حسب ما غرز في جبلة الروح فللانسان
حركة طبيعية ذاتية من لدن نشوه ووجوده وسيره الى الآخرة وبعثه ولقاء ربه ومعاده واليها الاشارة
بقوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه والموت والبعث كلاهما من منازل
هذا الطريق لابد من المرور عليهما لا محالة ولا مفر منهما ومما هو ورائهما للانسان اينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم في بروج مشيدة قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم كل نفس ذائقة الموت ثم انكم
يوم القيامة تبعثون فظهر مما ذكرنا ان سبب الموت الطبيعي هو قوة النفس وضعف وجودها وتجوهرها
وانحدارها عن البدن لرجوعها الى عالم الآخرة لا كما ذكره الاطباء من انقطاع تعلق النفس من البدن تابع
لاختلاف البنية وفساد مزاج البدن وهذا الذي ذكرناه هو الاجل الطبيعي القضائي دون الاجل
الاخترامي الذي هو بحسب القواطع الاتفاقية القدرية والفرق بين الاجلين يظهر من هذا المثال وهو

ان هلاك السفينة اذا هلكت لا يخلو من حالين اما لفساد من جهة جوهرها او لخلل تركيبها ونظمها الملاح وقد
يكون ذلك سببا للغرق فيها واستحالتها وهلاك من فيها ان غفلوا عنها ولم يتداركوا باصلاح حالها كهلاك
الجسم وقواه من غلبة احد الطبايع من بينها وتناصر به وعقلة عنه فلا يبقى النفس معه اذا افسد مزاجه
وتعطل نظامه وتفرقت بنيته وضعفت الته كما لا يبقى الريح للسفينة والريح موجودة في هبوبها غير
معدومة في الموضع الذي كانت قبل هلاك السفينة فتلك النفس باقية في معادها كبقاء الريح في افقها
وعالمها بعد تلف الجسم واما القسم الثاني فيكون هلاكها بقوة الريح العاصفة الهابة الواردة منها على
السفينة ما لا يسع وسع الملاح حملها ولا تقدر عليها لضعف الالة وتحمل الاداة فان كان من فيها عارفين
بموجب التقدير الالهي اطمأنت نفوسهم وسلموا الى ربهم ووعظ بعضهم بعضا بالصبر وقلة الجزع وشوق
الارتحال الى دار البقاء وفاز اليهم العمل بهذه السياسة والعمل بموجب العقل فقد استراحوا من الغم والهم و
وصلوا الى النعيم الدائم وان كانوا غير عارفين بموجب التقدير الالهي وان كل فعل من الحكيم خير وصواب ولا
مستعين بحسن الانقياد والتسليم خرجوا الى الجحيم والحرمان عن النعيم والبعد عن الحق الحكيم العليم وظهر مما
قلناه ايضا ان النشأة الاخرة عبارة عن خروج النفس عن غبار هذه الهيئات البدنية وان كل نفس بحسب
جبلتها وفطرتها متوجهة الى عالم الاخرة ومشتاقة من حيث غريزتها الى اثارها من اوكارها وسدرتها او لمعدتها
الى الله تعالى لانها جاءت منه فتعود اليه ولفظ المعاد دال على هذا المعنى فان الرجوع والعود يقتضي
المجيء والسابقية وظهر ايضا ان فعل الحق بواسطة ملكه المقربة في تخمير طينته بيد قدرته اربعين
صباحا بعيد عند العقل المكتحل بنور البصيرة ان يكون اماتة واهلاكا وابعادا بل موت البدن
في الحقيقة احياء للنفس بالذات ونقل لها من حالة دنية الى حالة شريفة وتحويل اياها من دار
فانية الى دار باقية كما ان الانسان في انقلاباته السابقة من طور الى طور ومن حقيقة الى حقيقة كان
فعل الحق في حقه التكميل والتربية والاحياء والنقل من نشأة اولى الى نشأة ثانية يكون الثانية صفوة
بالنسبة الى الاولى والاولى موتا بالنسبة الى الثانية ايضا اذا كان الموت طبيعيا للانسان وكل
طبيعي لشيء خير وغاية وكل خير وغاية محبوب فما السبب في كراهة الموت قلنا السبب فيها امران فاعلي
وغائي اما الفاعلي فهو ان النفس لها نشأت ثلث حسية وخيالية وعقلية واول نشأتها نشأة الحس
ولها الغلبة على الانسان ما دامت هذه الحيوة الحسية باقية له يجري احكامها على النفس في هذه الدار

نسخة م

ويؤثر

ويؤثر فيها من هذه الجهة كل ما يؤثر في الجوهر الحساس في الحيوان الحسي من الملائمات والمنافرات الحسية
وهذا يتضرر ويتألم بتفرق الاتصال والاحتراق بالنار وساير المنافيات الحسية لا من حيث كونها
جوهرا ناطقا وذاتا عقلية ذات نشأة روحانية وعالم ملكوتي بل من حيث كونها جوهرا حساسا ذا
نشأة حسية وعالم دنيوي فتوحشها من الموت البدني وكراهتها للعدم الحسي انما يكون لها بحسب
هذه النشأة الحسية واما ما يقتضيه العقل التام وقوة الباطن وغلبة سلطان الملكوت و
الشوق الى الله ومجاورة مقربيه فهو محبة الموت الطبيعي والوحشة عن حيوة هذه النشأة و
مشاهدة حيوانات الدنيا فان وحشة اهل الباطن عن مجاورة احياء هذا العالم اشد
من وحشة الانسان الحي عن مجاورة الاموات ومن هنا قال امير المؤمنين عليه السلم حين
ضربه ابن ملجم فزت ورب الكعبة واما السبب الغائي فهو ان ارادة الله سبحانه وحكمته في ايداع الالم
في جبلة الحيوانات والوجع والخوف في طباعها مما يحل ابدانها من الافات والعاهات وحصول
الموت انما هو لحث نفوسها على حفظ ابدانها وكلاءة اجسادها من الافات العارضة لها اذ الاجساد
لا شعور لها في ذواتها ولا قدرة على جر منفعة لها ولا دفع مضرة فلو لم يكن في جبلتها وبث النفوس
بالاجساد وحفظها لها واسلمتها الى الهلاك قبل حلول اجالها وتحصيلها النشأة الاخرى وعمارتها
الباطن وذلك ينافي المصلحة الكلية والحكمة الازلية **وصل** اعلم ان مسئلة المعاد ركن عظيم في
الاسلام واصل كبير في الحكمة ولا تعجب لاولي الالباب من النشأة الثانية بل تعجبهم من النشأة الاولى
اكثر لكثير الا ان الاولى لما كانت محسوسة مشاهدة معتادة سقط التعجب عنها كما ذكر بعض العرفاء انه
لو سمع عاقل قبل ان يشاهد ان انسانا حصل في بطن امرأة مرارا كالحبل المتخضخض وخرج من بعض
اجزائه شيء مثل زبيب السايل المختفي ذلك الشيء في بعض اعضاء المرأة ويبقى مدة على هذه الحالة ثم
يصير علقة ثم العلقة تصير مضغة ثم المضغة تصير عظاما ثم تكتسي العظام لحما ثم يحصل منه الحركة فيخرج
من موضع لم يمكن خروج شيء منه على حالة لا يملك امره ولا يشعر عليها ولا يدرك ثم يفتح عينه ويحصل
في ثدي الام مثل شراب سايغ لم يكن فيها قبل ذلك وحينئذ يغتذي به الطفل الى ان يصير هذا الطفل
بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات بل ربما يكون هذا الذي اصله نطفة وهو عند الولادة
اضعف خلق الله عن قريب كما حيا راقهار اعلى اكثر العالم ومسخرهم فان التعجب من ذلك اكثر واوفر

من التعجب من النشأة الثانية ولكن هذه المسألة من اغمض المسائل قدرا واعظمها شرفا وادقها وقل من كان يهتدي
اليها من كبراء الحكماء من المتقدمين ومن يرشد الى اتقانها من علماء الفضلاء من الاسلاميين لان اكثر
الفلاسفة معتقدون وقائلون بالمعاد الروحاني فقط دون الجسماني والحشر المزبور للجلادة بانواع حيلها
وحللها وتخيلها وسلسليها كناية عندهم عن ادراك المعقولات والوصول الى الحقائق العقلية ودركات
جهنم بقيودها وسلاسلها وجحيمها وزقومها هي عبارة عن رذائل الاخلاق وذمائم الصفات ونقص
الجهل المركب والعناد والتعصب في الآراء والمذاهب الذي يوجب العذاب الاليم بما وجدا فيه من احراق
كل نار وتجميد كل زمهرير فهم وان كانوا مصيبين في اثبات هاتين المرتبتين للنفوس الانسانية الا
انهم اخطأوا في انكار النشأة الاخرى المتوسطة بين عالم العقول وعالم الصور الدنياوية وهي
المقتسم لحشر السعداء وجحيم الاشقياء ثم ان اكثر الاسلاميين يرون ويعتقدون بان الانسان
ليس هو شيئا سوى هذه البنية المحسوسة اعني الجسد المركب من اللحم والدم والعظم والعروق وما
شاكلها التي كلها اجسام وما يحملها من الاعراض على هيئة مخصوصة هي الصورة الانسانية عندهم
وتلك مادتها فانهم لا يحققون امر البعث ولا يتصورون تحقيقه الا تقليدا او اعتقادا وان اقروا
به لسانا ولفظا فالقيامة عندهم ليست الا اعادة هذه الاجساد المعدومة بعينها والاعراض بعينها
على هذه الحال التي هي عليها الآن واكثر ابناء زماننا وان قالوا بتجرد النفس الانسانية تقليدا
والسماع الا انهم في غفلة عن هذا بحسب المعرفة والتصديق فانهم من معرفة النفس واحوالها و
مهيتها وكيفية ارتقائها في الدرجات وانحطاطها في الدركات واستعدادها الجوهري والذاتي
والعجب من اكثر المنتسبين الى العلم كيف قنعوا بمرتبة العوام والنساء والصبيان ولم يشتغلوا بالبحث
عن حقيقة نفوسهم وانه كيف حالها والى ماذا يصير حالها مع انه فرض عليهم وهم معطلون فيه مشتغلون
طول عمرهم بكثير من المسائل الفرعية وبعض الخلافيات الفقهية التي تفني الاعمار من غير الاحتياج
اليها مع انها ليست فرض عين عليهم بل كسائر الفروض الكفائية **وصل** اعلم ان اهل الايمان
والاعتقاد بحقيقة الحشر والمعاد الجسماني حسبما ورد في الشريعة الحقة على مقامات واعلاها التحقيق
بالتصديق هو اعتقاد الراسخين في العلم والعرفان وسالك المتألهين من اهل الكشف و
الايقان وهو ان الصور الموعودة في الآخرة موجودات خارجية وثابتات عينية وهي في الموجودية

والثبوت

والثبوت اقوى واشد وادوم من موجودات هذا العالم بل لا نسبة بينها وبين هذه في باب قوة
الوجود وترتب الآثار وليست انها بحيث يمكن ان يرى بهذه الابصار الفانية البالية كما ذهب اليه
الظاهريون ولا انها امور خيالية او موجودات مثالية لا وجود لها في العين كما يراه الاشراقيون
وتبعهم آخرون ولا انها مجرد امور عقلية او مفهومات ذهنية من غير اشكال وهيئات ومقادير
وصور جسمانية كما يراه جمهور المتفلسفين من اتباع المشائين وانما هي صور عينية جوهرية موجودة
في الخارج لا في هذا العالم الهيولاني بل في عالم الآخرة وعالم الآخرة جنس لعوالم كثيرة كل منها اعظم
من مجموع هذا العالم بل لا نسبة بينهما ولكل شخص من الاخيار عالم عظيم افسح واوسع واعظم مما في
السموات والارضين بسبع اضعاف ووجود امور الآخرة وان كان يشبه وجود الصور التي
يراها الانسان في المنام او في المرآة من وجه لكن يفارقها بالذات اما وجه المشابهة فهو ان
وجودها لا يزاحم وجود شيء من هذا العالم فان النائم يرى افلاكا عظيمة وجبالا شاهقة و
صحاري واسعة مثل ما يراها في هذا العالم ثم ما يراها في النوم غير ما يراها في اليقظة من الامور
الخارجية بالعدد لا الآن شيء منها يزاحم شيئا من هذه ولا تضايقه فكذلك ما يراه الانسان
بعد الموت لا يزاحم ولا تضايق بينه وبين اجسام هذا العالم واما وجه المفارقة بينهما بالذات فهو
ان تلك الدار الآخرة وصورها الواقعة فيها هي موجودات عينية اقوى في قوة الوجود وشدة
التاثير من موجودات هذا العالم فكيف من الصور المنامية المحلومة ونسبة النشأة الثانية الى
هذه النشأة كنسبة الانتباه الى النوم كما في قوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا **وصل**
اجناس العوالم والنشآت ثلاثة والانسان مجتمع من هذه العوالم والنشآت باعتبار ادراكاته
الثلاثة فكلما غلب عليه واحد منها يكون ماله الى احكام ذلك ولوازمه فان غلب عليه التعلقات الدنياوية
والمستلذات الحسية فهو بعد وفاته يتعذب بفقدان المحسوس ومواتيه ويتوجه اليه غصته وحسرته
عذابا اليما لان اللذات الدنياوية لا حقيقة لها والملاذ الحسية امور مجازية فمن عشقها وعشق
بها يكون كمن عشق امرا معدوما وطلب شيئا باطلا لم يكن له ثمر ولا عثر خير فيكون الراغب الحريص و
العاشق له والمعتاد به مجتهدا ضيرا الا انه ما دام في الدنيا يظن ان المحبوب موجود ويمكن ان
ينال وهذا الظن القبيح المستنكر عند الكاملين من العقلاء يعيش في الدنيا ويأنس في جميع الحالات

الحيوة المجازية وعقباها الذي هو متاع الغرور وحلية الغرور فاذا طلعت شمس الحقيقة وذابت بها المجازات و
اضمحلت المحسوسات ذوبان الجليد وانعدام الثلوج بحرارة ارتفاع الشمس في اوان الصيف فبقي المحب للدنيا
والمحسوسات لفقد محبوبه واتباع وجوده في عقبه والمرتحمة فابتلى بنار الجحيم معذبا بالعذاب الاليم مع الشياطين
في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وان غلبت عليه جهة اللذات الخيالية ورجاء النعماء الاجلية من
نكاح الحور والتمكن في القصور مع سرر مرفوعة واكواب موضوعة واكل فاكهة ولحم طير مما يشتهون وشرب
شراب طهور وبانية من قصره والخوف من عذاب جهنم وتصلية جحيم وشرب الحميم والزقوم وعمل مقتضاها
من فعل الطاعات البدنية والخيرات والاجتناب عن اكتساب الكليات الخطيئات وارتكاب السيئات
مع شرائط صحتها من الاعتقادات الشرعية والنيات التي يكلف بها جميع الناس فماله الى النعيم
البعيد عن الجحيم في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وان غلبت عليه الجهة العقلية وعمل مقتضاها
من اكتساب العقليات المحضة والحقائق اليقينية بالبراهين الحقة الدائمة فماله الى الانخراط في سلك
الملكوتيين بل المقامات في صف عالي المهيمين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين اذا كانت
عقائده الحقة مشفوعة بالنيات الخالصة الالهية مع الزهد الحقيقي عن جميع ما يشغل سره عن الحق و
ذلك هو الفضل العظيم ومن الجحيم ولمثل ذلك فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

وصل اعلم ايها السالك الخائف والراغب في سبيل ملكوت ربك الاعلى ان الامور الجسمانية و
الصور المادية جعلها الله تعالى كلها امثالات دالات على الامور الغيبية الاخروية كما انها ايضا امثالات
دالات على الروحانيات العقلية التي هي عالم الجبروت وحضرة الربوبية والاسماء الالهية وذلك لان
العوالم متطابقة وجميعها مظاهر ومنازل لاسمائه تعالى باعتبار وعين تلك الاسماء عند بعضهم
اضعف الاسماء وجا كثرتها التي باعتبار تعدد معانيها ومفهوماتها لا باعتبار حقيقتها ووجودها الذي
هو احدي محض لا يشوب كثرة تنزلت اولا في عالم العقول المجلة والقواهر المفارقة وهي عالم
الجبروت وعالم القوة والقدرة ثم تنزلت الى عالم الاشباح الروحانية والصور المثالية ثم الى عالم
المحسوسات والماديات فكما ان النزول من المبدأ الاعلى على هذا المنوال فكذلك الرجوع والصعود
الى الحق تعالى يكون على عكس هذا المنوال لطريق الحواس درجا وراقيا يرتقى بها الى مشاهدة
الامور العقلية التي هي الغرض الاقصى في بلوغ النفس اليها مصطحبا مراتب الدنيويات والاوساط

فالدنيات هي عالم المحسوسات والاوساط عالم الاخرة التي فيها الجنة والنار الجسمانيتين وقد تبين ان سبب
التعذيب بالنار انما يحصل من التلذذ بالمحسوسات فدخول النار هو نتيجة ارتكاب اللذات الدنياوية كما
ان دخول الجنة هو من نتايج التزهد في الدنيا والورع عن محارم الله وقوله تعالى وان منكم الا واردها كان
على ربك حتما مقضيا يؤيد ما ذكرنا فان اردت يا حبيبي وفقك الله لسلوك طريق الحق ان تبلغ اشرف
المطلوبات وافضل الغايات التي هي الامور العقلية والحقائق الروحانية فاجتهد اولا في معرفة الامور
المحسوسة فبذلك تيسر لك ان تتركها وتزهد فيها وتنال الامور الغير المحسوسة فان العوالم من
المضافات فاذا احكمت المحسوسات تعرفت ما وراءها ولكون الدنيا والاخرة تحت جنس المضاف
بالقياس الى النفس قال الله تعالى تنبيها على معرفة النشأة الاخرة ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون
ومما يجب عليك ان تعلم ان معرفة الدنيا والمحسوسات ومشاهدتها هي غذاء النفس وشدة حاجتها في
معرفة امور الاخرة والروحانيات هي عقاقيرها ونعيمها وذلك ان النفس في معرفة الامور الجسمانية محتاجة
الى هذا البدن العنصري والالة لتدرك بتوسطها الجسمانيات وقد تحقق ان النفس ما دامت في البدن
كراكب سفينة هي البدن والالة التي هي بمنزلة الات السفينة لتشاهد بتوسطها عجائب بحر الهيولى و
طبايع المحسوسات ثم ترحل وتعبر الى عالم الاخرة فاذا حصل لها ذلك فقد استغنت عن الجسد و
التعلق به بعد ذلك كما استغنى عن السفينة بعد ان عبر بها البحر فاجتهد ايها الحبيب في طلب الفناء الابدي
وربح التجارة الكريمة بتوسط هذا الهيكل والالة ما دام عليك فقبل فناء المدة وفساد الهيكل و
بطلان وجوده واحذر كل الحذر ان تفني وتهمل نفسك حتى تحتاج الى الهيكل حيث لا هيكل وتحله
فتكون ممن يقول يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل او يبقى في البرزخ الى يوم يبعثون ومن ابن لهم
ليعيد والايات يبعثون او يبقى في العذاب ولمثل هذا قيل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون
ما دامت النفس ساهية لاهية مقبلة على الشهوات الجسمانية واللذات الجرمانية والزينة الطبيعية و
الغرور الاماني في هذه الحيوة الخسيسة المذمومة التي ذمها رب العالمين فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما **وصل** قد علمت ان النفس الانسانية بحيث يكون لها اقتدار على ابداع الصور
الباطنية الغائبة عن الحواس وكل صورة صادرة عن الفاعل فلها حصول له بل حصولها في نفسها هو عين

حصولها لفاعلها وليس من شرط حصول شيء لشيء ان يكون حالا فيه وصفة له بل ربما يكون الشيء حاصلا لشيء
من دون قيامه بنحو الحلول والاتصاف كما ان صور جميع الموجودات حاصلة للباري تعالى حصولا اشد
من حصولها لنفسها ولقابلها فللنفس الانسانية في ذاتها عالم خاص بها يشاهد جميع الحقايق بغير
حصولاتها لها لا بحصولات اخرى فلا يتسلسل فعلها بها بغير قدرتها عليها وكذلك الباري تعالى
خلاق الموجودات المبدعة والكائنة وخلق النفس الانسانية مثالا له ذاتا وصفة وفعلا مع
التفاوت بين المثال والحقيقة لتكون معرفتها مرقاة لمعرفته فخلقها من وجه وجعل ذاتها
مجردة عن الاكوان والاحياز والجهات وصيرها ذات حيوة وقدرة وعلم وارادة وسمع وبصر وجعلها
ذات مملكة شبيهة بمملكته تخلق ما تشاء وتختار ما تريد فلها في ذاتها عالم خاص بها من الجواهر و
الاعراض المفارقة والمادية والافلاك والعناصر والمركبات وساير الخلايق الا انها لضعفها وبعدها
عن ينبوع الوجود بوسايط وتنزلات وغلبة احكام التجسم عليها بصحبة المادة وعلايقها لا يترتب على
افعالها وآثارها ما دامت في هذه النشأة ما يترتب على الاشياء الخارجية بل وجودات آثارها حينئذ
كظلال واشباح للموجودات الخارجية وان كانت المهية بعينها محفوظة في الوجودين ثم من تجرد عن
جلباب البشرية واتصل بعالم القدس ومحل الكرامة وكملت قوته فانه يقدر على ايجاد امور موجودة في
الخارج مترتبة عليها الآثار باذن الله ولو كان بعد في هذه النشأة ويقدر على حفظها بالهمة ما لم
يغفل عنها فمتى طرأ عليه غفلة عدمت وهذه القوة والقدرة في ايجاد الصور العينية كما تكون
في الدنيا لاصحاب الكرامات تكون لعامة الناس في الآخرة سواء كانوا سعداء او اشقياء الا ان
السعداء لعدالة ملكاتهم واستقامة آرائهم وصحة اخلاقهم وسلامة نفوسهم من الامراض النفسانية
والاخلاق الذميمة الحاصلة من المعاصي والشهوات تكون قرينهم في الآخرة الحور والغلمان والرضوان
واللؤلؤ والمرجان والوجوه الحسان وانواع النعم وفنون الكرامات والاشقياء لخباثة اخلاقهم و
رداءة ملكاتهم واعوجاج ادراكاتهم وفساد آرائهم وامراض نفوسهم الحاصلة من المعاصي ومتابعة
الدنيا وصحبة الشهوات والمستلذات والاشتغال بالاوامر والنواهي الشرعية ومتابعة النفس الامارة
بالسوء تكون جليسهم في قعر الجحيم والنيران وما لا يحصى من العقارب والحيات والصور المؤذية
القباح وانواع العذاب وفنون العقاب اذ الامور الاخروية من نعيم الجنان وعذاب النيران وغيرهما

كلها

كلها من نتايج الاعمال والافعال في الدنيا وتوابع الاخلاق والملكات في الاولى ظهرت وحصلت في النشأة
الثانية والدار الآخرة للعباد والصور الاخروية اشد التذاذا وايلاما من الصور الدنيوية بالنسبة
بينهما في التنعيم والتعذيب وذلك لصفاء المحل وقوة الفاعل وعدم الشاغل وذكاء المدرك واتحاد
القوى كلها في قوة واحدة هي المتخيلة وصيرورتها عينا باصرة للنفس وقوة فعالة وانقلاب العلم مشاهدة
وليعلم ان الاقتدار على اختراع الصور في الآخرة انما يكون لكل انسان بحسب حاله ومقتضى مرتبته
ودرجته وبحسب رتبة ما اكتسبه من الاخلاق والملكات على اختلاف انواعها وفنونها بحسب ما حصل
بالعادة في الدنيا وبحسب ما غلب من العلوم والاعمال وما غلب عليه من العقايد والافكار وذلك
كما انه في الدنيا ايضا كذلك فان من البواطن والصدور في الدنيا ما يبلغ [illegible]
من الملائكة لغاية صفائه وتعكفه في الادعية ومناجاته ويعد في مقربي الدار الآخرة وما يجري هاهنا
الحرف ومنها ما هو مرتع للشياطين لما يقع فيه كل يوم الف وسواس وكذب وفحش وخصومة
ومجادلة بين الناس قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة وفي مقابله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

وصل

واعلم يا اخي ان جميع امور الدنيا وما يجري فيها من الاعمال والافعال امثلة واشارات
الى ما يكون في يوم القيمة وكان الناس في بيعهم واشترائهم وعطائهم وتصرفاتهم وما يقع فيه
في امر معيشة الدنيا لا بد لهم في جميع ذلك من الميزان والكيل والحساب والكتاب والشهود
والربح في التجارات والخسران فيها وقلة المال في الخسارة وانهم لا بد لهم في كل مدينة يحتاجون فيها
من قضاة وحكام يرجعون اليهم فيما يختلفون فيه ويثبتون الحقوق ويحكمون بها لاهلها
بعد اثباتها وحضور العدول والشهود والكتبة ثم بعد ذلك ايجاب الحكم على مستحقه واخذ
ما اغتصب ورده واستخراج ما ظلم بالحبس والهوان والعذاب وان اولئك الحكام و
القضاة والشهود في جميع الآفاق والامصار انما يحكمون بحكم دين واحد وشريعة واحدة
جاء بها رسول واحد من عند الله الواحد العالم كذلك يجيء الانبياء يوم القيمة ويخرج
الصكاك ويحضر الشهود وينصب الموازين وتبرز النفوس باعمالها ليوزن بالميزان عند فصل
القضاء ووجوب الجزاء وكان من سنة القضاة في دار الدنيا لا يبرزون في كل سبعة ايام يوما

واحد الفصل القضاء بين الناس وتفقد امورهم واستخلاص حقوقهم وانصاف مظلومهم من ظالمهم واقامة الحد
من غير عسر ورده الى مستحقه كذلك يكون في كل سبعة الاف سنة وهي مثل سبعة ايام تبرز فيها النفس الكلية محاسبة
النفوس الجزئية وعرضها عليه ليجازي المحسن وغيره كما قال وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق ووفيت
كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال تعالى فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها و
كفى بنا حاسبين وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمر الدنيا سبعة الاف سنة بعثت في اخرها القاسمين
السبعة ولا نبي بعدي وقال على اخر هذه الامة تقوم القيامة وكما ان في الدنيا لاهلها جنات وميادين
وانهار وبساتين وفيها مجالس ومضايق وسجون فالاولى لنزاهة النفوس وبهجتها وسرورها و
لذتها ونعيمها والثانية لعقوبتها وعذابها على قدر جرائمها وذنوبها فهكذا في طبقات الوجود ومراتب
الكون فجنة وسقر اهلها في جنات نعيم وروح وريحان ونعمة ورضوان ومجالس ودركات اهلها
في عذاب اليم وعقاب شديد وغصة عظيمة كما ذكره الله في التورية والانجيل والقران في مواضع كثيرة
من نعت الجنان ولذاتها والنيران وآفاتها تم الفن الثالث والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا

الفن الرابع في مطارح التفكر في انوار عجائب المصنوعات واطوار غرائب المبدعات

ولطائف المخلوقات

وبدائع المكونات والحث على الاهتداء بآياتها الى وحدة صانعها وعظمة فاطرها وجلالة خالقها
والتنبيه على نزر قليل من عظيم قدرته وجسيم نعمته ليزداد الناظرون في آيات عظمته وآثار رحمته
علما بقدرة المبدع الحكيم ومعرفة بحكمة الباري العليم ويقينا بعناية الرب الرحيم وليكون مع
ذلك آلة للتشبه بالنفوس المسبحين ومرقاة للاقتداء بالعقول المقدسين والانسلاك في
زمرة الملائكة المهيمين وفيه ابواب

الباب الاول في بيان احوال العالم

اعلم ان جميع الموجودات متوجهة نحو الخير الاقصى والمبدأ الاعلى طالبة الحق سالكة في طريقه
مشتاقة الى لقائه قال الله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
والشمس والقمر والنجوم والدواب وكثير من الناس وهذا سجود فطري في آية عن تجلٍ وقع من قبل الله
لهم فاحبوه فانبعثوا الى الخضوع له تقربا اليه بعبادة ذاتية وحركة جبلية نحوه من غير تكلف و
قال ايضا الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته
وتسبيحه فلزم ذلك الشعور بعلم ودوام وهذا ايضا تسبيح فطري وثناء ذاتي انبعث عن
ذواتهم

ذواتهم وبواطنهم التي هي عند لهم فيجري حكم السجود الفطري والصلوة الحقيقية والتسبيح الذاتي الى
ظواهرهم واشباحهم واظلالهم كما في قوله اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين و
الشمائل سجدا لله وهم داخرون ومن لطائف كلام الله انه قال في الآيتين السابقتين الم تر
مخاطبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذه الآية اولم يروا بلفظ الجمع المراد به عامة الناس وكل
عاقل وذلك لان متعلق الرؤية فيهما هو الله من حيث كونه مسجودا ومسبحا وفي هذه الآية
متعلق الرؤية ما خلق الله ولا شك في ان تلك الرؤية مرتبة عظيمة مختصة بالنبي صلى الله عليه وآله
شهودا وعيانا ولمن هو تبع له صلى الله عليه وآله وسلم عيانا كشفيا ولنا ايمانا عقليا فاشهد انه يسجد كل شيء
ويسبحه كما اعلمنا بمتابعة دينه وكتابه وما جاء به دلت الآيات على ان لهذه الموجودات حتى الجبال و
الشجر والدواب عبادة ذاتية لله ونسك فطري يزدان به متمما لما سبق ولله يسجد ما في
السموات وما في الارض من دابة اي ممن يدب عليهما يعني اهل السموات والارض اشارة
الى حركتها الذاتية الفطرية وقوله والملائكة وهم لا يستكبرون يعني الملائكة ليس في سماء ولا
ارض لا يستكبرون عن عبادة ربهم ثم وصف المامورين منهم انهم يفعلون ما يؤمرون اي لا يعلمون
لان سبب حركتها وسعيها اليس قوة جسمانية او غاية حيوانية شهوانية او غضبية بل الشوق الى
الله وتقربا عنده وتخلصا من الم الفراق ونار الاشتياق وكل ذلك يدل على ان العالم كله في مقام
الاستقامة والعبودية والخضوع الا كل مخلوق له قوة الفكر وتسلط الوهم واغواء الشيطان
وليس الا النفوس الناطقة من حيث عصيان تلك النفوس واما ابدانهم وهياكلهم فهي ايضا كسائر
العالم في التسبيح والعبودية الذاتية فاعضاء البدن كلها مسبحة ناطقة الا ترى انها تشهد على
النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود والايدي والارجل والالسن والسمع والبصر وجميع القوى
فالحكم لله العلي الكبير في تفسير القمي في قوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء الاية قال تحويل كل
ظل خلقه الله هو سجوده لله كانه ليس شيء الا له ظل يحركه بتحريكه وتحويله سجوده وفي المحاسن عن
الباقر عليه السلام في قوله وان من شيء الا يسبح بحمده قال تنقض الحيطان تسبيحها وفي آخر نقض
الجدر تسبيحها وعنه عليه السلام في هذه الآية قيل له اتسبح الشجرة اليابسة فقال نعم اما سمعت خشب
البيت ينقض وذلك تسبيحه فسبحان الله على كل حال وفي العلل المجيب عن ابي ابراهيم قال الكلام السماء

اجرامها من غير غيم وبكاء الارض زلزالها وتسبيح الشجر حركتها من غير ريح وتسبيح الثمر نموه ونشوه قال
اعينا ظلاله تسبيح لله قال بعض المحققين ان جميع المصنوعات والممكنات بصفاتها ولوازمها و
اثارها دالة على صانعها وباريها ومصورها وعلمه وحكمته شاهدة بتنزهه عن صفاتها المستلزمة للعجز
والنقصان مطيعة لربها فيما خلقها له وامرها به من مصالح عالم الكون متوجهة الى ما خلقت
له فسكون الارض خدمتها وثبوتها وخرير الماء وجريه تسبيحه وطاعته وقيام الاشجار والنباتات
ونموها وجري الرياح واصواتها وهدم الابنية وسقوطها وعروق الهار وانهيارها واصوات الصواعق
واضاءة البروق وجلاجل الرعود وجري الطيور في الجو وتغريدها كلها طاعة لخالقها وسجدة و
تسبيح وتنزيه له سبحانه ومن الايات الدالة على الحركات الذاتية للموجودات بعد البارئ جل ذكره
قوله سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وقوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
واليه ترجعون وقوله ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا
انتم تخرجون وقوله ثم استوى الى السماء فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقوله طوعا وقع حالا عن السماء في اتيانها فان حركات السماء ارادية نفسانية تقربا الى الله كما بين
في مقامه من ان نفوسها تحرك اجرامها لاجل غايات عقلية ومعشوقات قدسية هي اشعة وانوار
للهوية الالهية نور الانوار ولها اتصالات بها واستشراقات بانوارها وكل منها يتصل بمعشوقه
العقلي وتجديه وقوله كرها اشارة الى حال الارض في اتيانها فانها لكثافة طبيعتها وبعدها عن سببها
لعالم القدس الحق لا تصير صالحة للتوجه الى الحضرة الاحدية والعبودية والانابة الى الله الا بعد
استحالات وانقلابات بالقسر والجبر من جهة قوة محركة خارجية كالغاذية والنامية فيصير غذاء
للنبات مصورة بصورته ثم للحيوان فتصور بصورته صائرة اياه ثم يدخل في باب الانسانية وهو
باب الله الاعظم فاذا دخلت في هذه المسميات تطيع الله وتعبد اليه فصارت مطيعة بعد ما كانت
متعصية وكذا لكل حركة قسرية فانها تصير بعد ما عاد القاسر طبيعية صادرة عن الطبيعة المقسورة
ولهذا قال اتينا طائعين فحال السماء في توجهها الى الله كحال المؤمن الفطري في عبادته و
عبوديته وحال الارض كحال المؤمن الذي كان اولا كافرا مرتابا عن كفره وامن وعمل الصالحات

وقوله

وقوله تعالى انا نحن نحيي ونميت والينا المصير وقوله ولله ملك السموات والارض والى الله المصير وقوله
ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اشارة الى
ان جميع ما في العالم الجسماني سيعود في حركاتها الذاتية والطبيعية واستحالاتها الجوهرية و
العرضية الى عالم الامر العقلي والمقام الواحد الجمعي واطلاق الدابة على ما في السماء من الكواكب وغيرها و
على ما في الارض من المعادن والنباتات وغيرها لاجل انها حيوانات سموية وارضية دائمة
الدؤوب والسعي الى الله اذ ما من جوهر سماوي او ذي طبيعة فلكية او عنصرية الا وله حركة جوهرية ذاتية
الى الله تعالى كما قال يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فالسماء والسماوي كالارض و
الارضي في هذه الحركة الذاتية كما برهن عليه في موضعه **وصل** الكتب الالهية والروايات
الكلامية قائلة ناطقة بان العالم باسره حادث زماني لان الغرض من خلق العالم ليس نفسه
بل ما هو اشرف من صرفات الطبائع الجسمانية وما في حكمها لا يمكن ان يكون هي الغاية الاقصى في
الوجود بل البرهان الحكمي ناهض على ان للطبائع غايات اخرى هي اعلى منها وكل ما هو اعلى من الطبيعة
الكونية لا يكون وجوده في هذا العالم بل في عالم اخر فثبت بالبرهان ان هذا العالم باسره واقع
تحت الفساد ويلحقه العدم والانقراض وما يلحقه العدم والانقراض فهو حادث زماني
لا محالة فالعالم وكل ما فيه حادث زماني والغرض الاقصى من خلق السموات وادارة الافلاك
وتسيير الكواكب وجريان الامور على وفق القضاء الالهي والقدر الرباني في تبليغ الاشياء الى غاياتها
الذاتية وخيراتها الاصلية وازالة شرورها ونقائصها عنها ليكون العالم كله خيرا محضا لا
شر فيه ونورا لا ظلمة فيه وتماما لا نقص معه ويكون الدين كله لله اذ لا شك ان الدنيا طافحة
بالشرور والافات مشحونة بالمحن والالام والنقائص والاعدام ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره
الكافرون فالغرض من اصل الابداع وجود البارئ وفيضانه نيل كل ناقص الى كماله ووصول المادة
الى صورتها والصورة الى معناها وغنيها وان يلحق النفس لدرجة العقل ومقام الروح وهناك
الراحة المطلقة والطمانينة التامة والسعادة القصوى والخير الاعلى والنور الاتم وهذا هو
المقصد الاقصى واللباب الاصفى في بناء الارض والسماء وجري سفينة الهيولى في طوفان
الدنيا ولاجله مجيء الانبياء والرسل من ملكوت السماء بالوحي والانباء والكتاب والدعاء الى نزول

الشر وينقرض الظلمة واهلها ويعود الكائنات الى ما بدئت منه فيجيء لاصحابه قيم الحكمة ويصعد الكلمة ويكمل الخلقة
ويزول الدنيا ويقوم القيمة ويجيء الساعة ويمحق الشر واهله وينقرض الكفر وحزبه ويحق الحق بكلماته ويبطل
الباطل فاحفظ يا حبيبي هذا العلم المخزون والسر المكنون الذي لا يمسه الا المطهرون **وصل** العوالم كثيرة
لا يعلم عددها الا رب العالمين واصولها في التدوين ثلثة عالم عقلي روحاني وعالم خيالي مثالي وعالم حسي
جسماني وسيأتي من كل منها بوسيلة علوم الانسان واعماله واما بزيادة العود ثلثة اخرى بازائها
فيتأتى بها من الانسان اهل واصحاب وكتب ازواجا ثلثة والعالم العقلي المسمى بالملكوت الاعلى وعالم
الارواح واعلى عليين والجبروت وهو مجرد عن الصور والمواد بريء من القوة والاستعداد انشأه الله
سبحانه من نوره واصحابه السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم والعالم الخيالي يسمى بالملكوت
الاسفل وعالم الاشباح وعالم المثل والبرزخ وهو مجرد عن المواد دون الصور انشأه الله من نور
العقل واصحابه اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود والعالم الحسي يسمى بعالم الملك وعالم الشهادة
وعالم الكون والفساد والدنيا وهو مقارن للصور والمواد والقوة والاستعداد وقبول التقابل والتضاد
انشأه الله سبحانه من الهيولى الاولى المسماة بالماء التي هي ظل النفس وذلك بان حرك الهيولى طولا و
عرضا وعمقا فكان منها الجسم المطلق وخلق من الجسم الارضين والسموات بصورها وطبايعها ثم ادار
الافلاك حول الاركان فاختلط بعضها ببعض فكانت منها المواليد الكائنات من المعادن والنباتات
والحيوانات ولعل الى بعض هذه الغاية اشير بقوله في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال
اول ما خلق الله جوهرة الخبر وسيأتي واصحابه اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم وقد يطلق
الروح على ما يقابل الجسم فيشمل ما في العالمين الاولين جميعا باعتبار تاثيرها واعطائها الحيوة لها و
كذلك النفس يطلق على ما فيهما باعتبار تعلقها بالجسم وتدبيرها له والعالم العلوي يقابل العالم الحسي
فيشملهما ايضا وقد يطلق على السموات في مقابلة الارضين **وصل** اعلم ان عالمي الملك والملكوت
اثر من آثار انوار الجبروت وبحران من بحار اللاهوت ولكن ما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه اي بحر الروحانيات الذي هو زلال صاف واف ولذيذ العقول والارواح كاف شاف اذ هو
لب لا قشر فيه ولا ضوء مادة وهذا ملح اجاج اي الذي هو زبد كدر جفاء وغثاء اذ هو قشر كله و
مادة لا لب فيه فالعذب لب للاجاج كما ان الاجاج قشر للب فلهذا يسمى العقل لبا ويجري من كل من البحرين

النبوي ص

في الاجسام

آثار م

نهران

فيجري

نهران عظيمان اما من بحر الجسمانيات فنهر من العنصريات ونهر من الفلكيات واما من بحر الروحانيات فنيل
العقول العالية وفرات النفوس السافلة وهذه الانهار الاربعة تجري في الجنة التي وعد المتقون وهي ايضا
من العيون الاربعة التي هي العلوم الاربعة المنطقيات وهي انهار الماء الغير آسن والرياضيات وهي انهار
من لبن لم يتغير طعمه والطبيعيات وهي انهار من خمر لذة للشاربين والالهيات وهي انهار من عسل
مصفى لانه صفي من جميع القشر اذ الالهيات لباب العلوم كما ان الاله لب الوجود ولكل من البحرين سفينة
ولها راكب اما راكب بحر المعقولات فهو العقل وسفينته القوة النظرية الفكرية واما راكب بحر المحسوسات
فهو الوهم وسفينته القوة المتخيلة فقد مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان والبرزخ هو الحائل
بين الشيئين وهو الخيال فانه كالحبل الحائل بين عالم المعقول وعالم المحسوس ولولاه ما منع موسى بن
عمران عن روية الحق وغاية هذه السباحة والسياحة وهذا السفر في البحر والبر هو التوجه الى شطر كعبة
المقصود والتوجه الى وجه الخير والجود وحاصل هذه التجارة التي لن تبور هو بذل متاع هذا الوجه
الفاني واخذ العوض من الوجه الباقي فما عند الله خير للابرار وهذا الوصول الى كعبة المقصود و
وجهة المامول لا يمكن الا بالسير الحثيث العلمي الباطني بقدم التفكر والتدبر لا بمجرد حركات البدن التي لا
يوجب الا اتعاب النفس دون تحصيل الزاد والمتاع للمعاد ثم الفائدة في العمل البدني والفكري هي
تصفية المراة وازالة الخبث وهو امر عدمي وانما المطلوب المقصود هو صورة وجه الوجود ثم عمل
بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم والعمل بالمعلوم هو التفكر فيه بتمرين القلب وتحريره وتليينه وتخشيعه وتخضيعه
مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى حتى يزيد النفس جلاء وصفاء وانوارا واعتبارا ونورا واستبصارا
ولهذا قال عليه وآله السلام تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة لم يتفكر فيها وشبه قوله تعالى
ليلة القدر خير من الف شهر اي فرصة ينتهز فيها نظرة الى صورة المعشوق الذي صرف العمر مدة
مديدة في الترصد في ساحة داره وقال صلى الله عليه وآله وسلم لباب مدينة علم يا علي اذا تقرب الناس
الى خالقهم بانواع البر تقرب اليه بانواع العقل تسبقهم يعني اذا عنى الناس انفسهم في تكثير الخيرات البدنية
فاستعن بعقلك في تكثير العلوم حتى تسبقهم كلهم قال ابو علي بن سينا هذا الخطاب منه صلى الله عليه و
آله وسلم انما يليق ويستقيم لعظيم كريم مثل علي العالي عليه السلام حيث كان بين الناس كالمعقول بين
المحسوس فتحصل من هذا ان المقصود من العبادات الشرعية والاحكام كالقيام والصيام وسائر

الاوضاع الدينية انما هو الفكر فيها من حيث انها تقرب المعبود الحق وقربات للاله المطلق لا حركة الاركان
وتلقلق اللسان لان الله غني عن حركات الناسكين كما انه بريء عن اعتقادات المشركين لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من
امن بالله واليوم الاخر **وصل** اعلم ان كل ما في الوجود سوى الله عز وجل فهو فعل الله جل جلاله وخلقه
وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض مجرد او مادي فلكي او عنصري بسيط او مركب جماد او نبات او
حيوان ففيها عجائب وغرائب يظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته ما تنقضي الاعمار دون
الوقوف على عشر عشيره لانها لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولكنا نشير
الى جمل منها لتكون كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا نعرف اصلها
فلا يمكننا التفكر فيها قال الله سبحانه سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن
انفسهم ومما لا يعلمون والى ما نعرف اصلها وجملتها فيمكننا التفكر في تفصيلها لنزداد معرفة و
بصيرة بخالقها وهي تنقسم الى ما لا ندركه بحس البصر ويسمى بالملكوت كالملائكة والجن والشياطين
وينقسم الى اجناس وطبقات كثيرة لا يعلمها الا الله والى ما ندركه ويسمى بالملك كالسموات و
الارض وما بينهما والاول مشاهد بكواكبها وحركتها في طلوعها وغروبها والثاني مشاهد
بجبالها ومعادنها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بينهما وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها
ورعدها وبرقها وعواصف رياحها وكل جنس من الاجناس الثلثة ينقسم الى انواع وكل نوع الى
اقسام وكل قسم ينشعب الى اصناف ولا نهاية لمنشعباتها في اختلاف الصفات والهيات و
المعاني الظاهرة والباطنة ولا يتحرك ذرة منها الا ومحركها هو الله عز وجل وفي حركتها حكمة او
حكمتان او عشر او الف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه
وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القران بالحث على التفكر فيها ونحن الان نشير الى ما يتعلق
بنشأة الملكوت وتفاصيل اهليها وما يوجد فيها ثم الى ما يتعلق بعالم الملك وموجوداته على
الترتيب الوجودي وفق ما جاء في الاخبار والاثار ونقل عن الحكماء والاخيار لكي يتسع مجاري التفكر
في عظيم خلق الله وعجيب صنعه

الباب الثاني في مجمل القول في الملكوت

اجل ذكرك لا يخفى في الملكوت وما ادراك ما الملكوت الملكوت ما غاب عن الابصار كما ان الملك

ما ظهر

ما ظهر لها وهو عالم الغيب والباطن كما ان هذا العالم عالم الشهادة والظاهر قال الله تعالى وكذلك نري
ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وقال اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء وعسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون فانظر يا
اخي في الملكوت عسى ان ينفتح لنا ابواب السماء فترى من عجائب العز والجبروت وتضيء لك من سنا برق
اللاهوت واعلم ان الله سبحانه خلق اول ما خلق جوهرة شريفة ملكوتية روحانية وجعل لها وجوها
متعددة وجهات مختلفة كان له بكل وجه وجهة اسم من الاسماء ولهذا اختلفت الفاظ الشرع
في تسميته فسمي بالعقل في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق الله العقل وذلك
لانه محل علم الله سبحانه وبالقلم في قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان اول ما خلق الله القلم لافاضة الله
الصور العلمية على الواح النفوس بتوسطه وسيما على النفس الكلية التي هي اللوح الاعظم كما قال
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وذلك لان قلم الحق سبحانه عبارة عن ملك
مقرب جليل شانه افاضة الحقايق وتصوير العلوم واللوح عبارة عن ملك نفساني شانه استفادة
الحقايق والعلوم من الجانب اليميني واظهارها واعلامها بالتشكيل والتصوير على الجانب الشمالي سئل
مولانا الصادق عليه السلام عن اللوح والقلم فقال هما ملكان وبالروح في قوله صلى الله عليه وآله وسلم اول
ما خلق الله روحي لافاضة الله عز وجل الحيوة على كل حي بتوسطه وانما اضافه الى نفسه لان المبعوث
الى مقام الروح الاول كما قال عز اسمه يوم يقوم الروح والملائكة وسئل مولانا الصادق
عليه السلام عن قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال خلق من خلق الله اعظم من
جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره ويسدده وهو مع الائمة من
بعده وزاد في رواية اخرى وهو من الملكوت وفي اخرى انه لم يكن مع احد ممن مضى غير محمد صلى
الله عليه وآله وسلم وهو مع الائمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم وفي اخرى ليس كل ما طلب وجد
وفي اخرى منذ انزل الله ذلك الروح على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما صعد الى السماء وانه
لفينا وفي اخرى قيل له اليس الروح جبرئيل فقال جبرئيل من الملائكة والروح خلق اعظم من
الملائكة اليس يقول تنزل الملائكة والروح كذا في المروي في بصائر الدرجات ومن جهة كثرة
قال صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق الله ارواحنا ثم خلق الملائكة وقال خلق الله الارواح

قبل الاجساد وعن مولانا امير المؤمنين عليه السلام ان الروح ملك من الملائكة له سبعون الف وجه في
كل وجه سبعون الف لسان في كل لسان سبعون الف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها ويخلق
بكل تسبيحة ملك يطير مع الملائكة الى يوم القيمة وسمي بالنور في قوله صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق
الله نوري اذ به تنورت السموات والارض ووجه الاضافة ما سبق وبالاسم في قوله عز وجل
سبح اسم ربك الاعلى وقوله عز وجل تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام لانه مظهر اسمائه الحسنى
المشتمل عليها كلها بل هو اسمه الاعظم الاعظم الاجل الاكرم وباليمين في قوله عز اسمه والسموات
مطويات بيمينه لشرفه وقوته بالاضافة الى الجسمانيات وباليد في قوله عز ذكره يد الله فوق ايديهم
لكونه بمنزلة اليد في خلق العالم وباعتبار كثرته قال بل يداه مبسوطتان وقال والسماء بنيناها
بايد وقال انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فلله سبحانه ايدي ليست بجوارح جسمانية بل
ذوات عاقلة روحانية عمالة بامره وبالحجب النورية في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لله
سبعا وسبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وهذا بالنظر
الى الكثرة وفي رواية من نور وظلمة وهي اشارة الى جهاته المختلفة مع ما خلق منه ولاجله من الاجسام
والجسمانيات ولعل وجه تسمية الحجب ما تحقق من ان الخلق حجاب للرب كما قال مولانا الكاظم
عليه السلام ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه وبالاعين في قوله واصنع الفلك باعيننا ووحينا
لكونه مرائي من الله سبحانه وبمفاتح الغيب في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وبالخزائن في قوله
ان من شيء الا عندنا خزائنه لاختزان الصور العلمية فيها وبالجنود في قوله وما يعلم جنود ربك الا هو لانها
مرتفعة الذوات من ان يحيط به ادراك احد ولذلك قال ويخلق ما لا تعلمون واليه الاشارة
بقوله وما لا تبصرون في آيات كثيرة لانهم وسائط فيض وجوده ورسل الله الى خلقه وبالعرش كما
ورد في الحديث وبالملكوت لقوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من
الموقنين واما ما ورد ان اول ما خلق الله الماء فلانه اول ما خلق من عالم الاجسام والمراد بالماء
مادة الاجسام وما به قوامها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها
بعين الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء فتحرك الماء وطفى فوقه زبد وارتفع منه دخان فخلق
السموات من ذلك الدخان والارضين من ذلك الزبد وهو اشارة الى كيفية تكونه ولعل تسمية ماذا

وبالملائكة

مـ

منه الماء وانما هي لسيلانه وتبدله التشكلات المختلفة بسهولة فان المخلوقات الجسمانية كلها انما خلقت
به وبواسطته وفي كتاب التوحيد عن الباقر عليه السلام اول شيء خلقه من خلق الشيء الذي جميع الاشياء
منه وهو الماء قيل فالشيء خلقه من شيء او من لا شيء فقال عليه السلام خلق الشيء لا من شيء كان قبله ولو خلق
الشيء من شيء اذن لم يكن له انقطاع ابدا ولم يزل الله اذن ومعه شيء ولكن كان الله ولا شيء فخلق الشيء
الذي جميع الاشياء منه وهو الماء **وصل** اعلم ان اول الصوادر عن ذاته تعالى بذاته يجب ان يكون
اشرف الممكنات وافضل المفطورات واكرم المربوبات وهي الصور المجردة الالهية والانوار المفارقة
العقلية دون شيء من الجواهر الجسمانية وطبايعها وقواها التي هي من عالم الظلمات ومعدن
الشياطين والشرور والآفات فان الواهب الحق والجواد المطلق لا يترك الاشرف ويفعل
الاخس بل يجب ان يصدر عن فيض جوده الاشرف فالاشرف الى ان ينتهي الى الاخس فالاخس
فما من شيء من الممكنات سواء كان شريفا او خسيسا عاليا او دنيا روحانيا او جسمانيا الا
ويجب ان يسع اليه رحمته ولا يقصر رداء جوده وكرمه ان يشمله اذ لا منع في فاعليته ولا راد لقضائه
ولا قصور في احسانه ولا دافع لامره لكن يجب في قضية البرهان ان يصدر عنه الاشياء على
حسن الترتيب والنظام وجودة الهيئة والتمام وعلى حسب توسيط وسائط في جوده ووسائل
لكل فيض جوده والعقل الاول اول ما ينفتح به باب الفيض والابداع ونسبته الى سائر الجواهر
الروحانية نسبة ادم الى اولاده وله وجه الى الحق لانه يجب به وجوده ووجه الى ذاته لانه هوية
صادرة عن الحق الاول صادرة مغايرة له فلا بد له من ان يتضمن معنى النقص والامكان
والا لم يكن فرق بين المفيض والمفاض عليه فلتضمنه جهة الخير والوجوب يصدر عنه بوساطته عقل
آخر دونه في الرتبة ولتضمنه معنى النقص والامكان يصدر منه جوهر جسماني فيه الامكان
الاستعدادي وهو اول الافلاك واعلاها وهكذا يصدر عن كل عقل بحسب جهتيه جوهر قدسي
وجرم سماوي الاشرف من الاشرف والاخس من الاخس حتى ينتهي عدد الكرات الى فلك
القمر وعدد العقول الى عقل اخير ولحقايقها بكثرة جدا بحسب تكثر الانواع الطبيعية حتى
يكون لكل كرة سماوية او كوكبية ولكل نوع من الطبايع النوعية البسيطة كالماء والهواء والنار و
الارض والمركبة كانواع المعادن والنباتات والحيوانات عقل فعال ذو عناية وتدبير وحفظ

لافراد ذلك النوع ففي عالم الارواح العقلية كثرة وافرة خارجة عن احصارنا وضبطنا لا يعلم عددها
الا الله كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو واليها الاشارة بقوله تعالى والصافات صفا
فالمدبرات امرا وقوله والسماء بنيناها بايد وقوله وخلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فالجمع للاول
ايدي عماله فهذه لا جوارح جسمانية بل ذوات نورية هي وسائط جوده وجهات فاعليته وافاضته
على الاشياء وهي كما انها في طريق الايجاد مبادي فعاله لهذه الانواع فهي كما انها مبادي لوجود
طبايع الاشياء وحركاتها كذلك هي غايات لوجود هذه الطبايع واستكمالاتها بها يتم ذواتها
ويكمل وجوداتها ولاجلها ينفعل اثار حركاتها واستحالاتها وبها يتم النظام ويكمل الخلق والتشوق
اليها يدور الافلاك ليلا ونهارا وسرا وجهارا وبسبب ذلك تعمر الدنيا ويدوم الحرث والنسل
صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى النظام المحكم والتوالد الاتم الادوم ولاجل وجود هذه المقومات
العقلية للانواع الطبيعية كلها ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واليها الاشارة بقوله تعالى
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر وذلك لان هذه الطبائع النوعية هي ظلال
وقوالب لتلك الذوات النورية والارواح المهيمة العقلية وهي ايضا ظلال وقوالب للاسماء الالهية
التي هي عند محققي العرفاء بمنزلة ارباب الارباب لتلك الاعيان الثابتة النوعية العقلية وتلك
الاسماء كلها موجودة بوجود واحد الذي هو الغيب المطلق وغيب الغيوب وما في هذا العالم شهادة
مطلقة واما الاسماء والاعيان العقلية وكذا الصور المثالية فكل منها غيب بالنسبة الى ما
تحتها وشهادة الى ما فوقها فما من شيء من الموجودات الكونية الاولية الا وهو ظاهر وباطن فظاهره ظلماني
وباطنه نوراني على اختلاف الاشياء في الشرافة والخسة فالمنسوب الى الله من كل شيء لبه و
لطيفه وباطنه النوراني وظاهره الكدر الظلماني لان الظلمة والكدورة منشأهما العدم والنقصان
والامكان فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون له ما في السموات وما في الارض
اي اهاليهما وارواحها ولذلك عقبه بقوله كل له قانتون

الباب الثالث في القلم واللوح

في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال اول ما خلق
الله القلم فقال له اكتب فكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة وسئل عليه السلام عن ن والقلم
قال ان الله القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد ثم قال لنهر في الجنة كن مدادا فجمد النهر وكان

[margin: بالنسبة] [margin: خلق]

اشد

١١٩

اشد بياضا من الثلج واحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب ما كان
وما هو كائن الى يوم القيمة فكتب القلم في رق اشد بياضا من الفضة واصفى من الياقوت ثم طواه
فجعله في ركن العرش ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق ابدا فهو الكتاب المكنون الذي منه
النسخ كلها اولستم عربا فكيف لا تعرفون معنى الكلام واحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب
اوليس انما ينسخ من كتاب اخر من الاصل وهو قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وفي المعاني
عنه عليه السلام انه سئل عن ن فقال هو نهر في الجنة قال الله عز وجل اجمد فجمد فصار مدادا
من نور والقلم قلم من نور واللوح لوح من نور قيل يا ابن رسول الله بين لي امر اللوح و
القلم والمداد فضل بيان وعلمني مما علمك الله فقال لولا انك اهل للجواب ما اجبتك فنون
ملك يؤدي الى القلم وهو ملك والقلم يؤدي الى اللوح وهو ملك واللوح يؤدي الى اسرافيل
واسرافيل يؤدي الى ميكائيل وميكائيل يؤدي الى جبرئيل وجبرئيل يؤدي الى الانبياء والرسل
صلوات الله عليهم وفي الدر المنثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خلق الله لوحا
من درة بيضاء دفتاه من زبرجد خضراء كتابه من نور يلحظ اليه في كل يوم ثلثمائة وستين
لحظة يحيي ويميت ويرزق ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وفي الاختصاص سال ابن سلام النبي
صلى الله عليه واله وسلم عن ن والقلم قال النون اللوح المحفوظ والقلم نور ساطع وذلك
قوله ن والقلم وما يسطرون قال صدقت يا محمد فاخبرني ما طوله وما عرضه وما مداده واين
مجراه قال طول القلم خمسمائة سنة وعرضه مسيرة ثمانين سنة له ثمانون سنا يخرج المداد
من بين اسنانه يجري في اللوح المحفوظ بامر الله وسلطانه قال صدقت يا محمد فاخبرني عن اللوح
المحفوظ مما هو قال من زمردة خضراء اجوافه اللؤلؤ بطانته الرحمة قال صدقت يا محمد قال
فاخبرني كم لحظة لرب العالمين في اللوح المحفوظ في كل يوم وليلة قال ثلثمائة وستون لحظة وقد
سبق في باب العلم بالكتب ما يناسب المقام

الباب الرابع في العرش والكرسي

اعلم ان العرش قد يطلق ويراد به الجسم المحيط بجميع الاجسام وقد يراد به ذلك الجسم مع
جميع ما فيه من الاجسام اعني العالم الجسماني بتمامه وقد يراد به الملك اي مجموع العالم الجسماني
مع جميع ما يتوسط بينه وبين الله سبحانه من الارواح والعقول التي لا تقوم الاجسام الا بها اعني

[margin: ويفقر ظ] [margin: بامر الله]

العوالم كلها ملكها وملكوتها وجبروتها وبالجملة ما سوى الله عز وجل وقد يراد به علم الله المحيط بها
سواء وقد يراد به علم الله الذي اطلع عليه انبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم خاصة وكذلك
الكرسي قد يطلق ويراد به العلم المحيط بالكل وقد يراد به العلم الذي لم يطلع عليه احدا من حججه وقد
يراد به الجسم الذي تحت العرش بالمعنى الاول لاحتوائه عليها كانه مستقر لها والعرش فوقه كانه
سقفه وقد يعبر بالكرسي كناية عن الملك لانه مستقر الملك ففي بعض الاطلاقات يكون العرش
والكرسي مترادفين وقد ورد في الاشارة الى جميع هذه المعاني العرش والكرسي في الاخبار عن
الائمة الاطهار وقد مر في باب العلم والملائكة خبر في العرش وحملته وفي التوحيد عن السجاد عليه السلام
ان الله خلق العرش ارباعا لم يخلق قبله الا ثلاثة اشياء الهواء والقلم والنور ثم خلقه من انوار مختلفة
فمن ذلك النور نور اخضر اخضرت منه الخضرة ونور اصفر اصفرت منه الصفرة ونور احمر احمرت
منه الحمرة ونور ابيض وهو نور الانوار ومنه ضوء النهار ثم جعله سبعين الف طبق غلظ كل طبق كاول
العرش الى اسفل السافلين ليس من ذلك طبق الا يسبح بحمد ربه ويقدسه باصوات مختلفة و
السنة غير مشتبهة ولو اذن للسان منها فاسمع شيئا مما تحته لهدم الجبال والمدائن و[illegible]
الحصون ولخسف البحار ولاهلك ما دونه له ثمانية اركان على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصي
عددهم الا الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولو حس شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفة
عين بينه وبين الاحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة ثم العلم وليس وراء
هذا مقال وفي خبر عن مولانا سيد العابدين عليه السلام ان في العرش تمثال جميع ما خلق الله من البر
والبحر قال وهذا تاويل قوله عز وجل وان من شيء الا عندنا خزائنه وان بين القائمة من قوائم
العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسيرة الف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف
لون من نور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة و
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان لله ملكا تحت العرش فاوحى الله اليه ايها الملك طر فطار
ثلثين الف سنة ثم اوحى اليه طر فطار ثلثين الف سنة اخرى فاوحى اليه لو طرت الى نفخ الصور
كذلك لم تبلغ الى الطرف الثاني من العرش فقال الملك سبحان ربي الاعلى وبحمده وفي خبر اخر عن
السجاد عليه السلام قال ان لله ملكا يقال له حزقائيل له ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى

الجناح

من معاني العرش الاول دون السموات والارضين

الوان ...

الجناح خمسمائة عام فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء فزاده الله مثلها اجنحة اخرى فكان له ستة و
ثلثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام ثم اوحى الله اليه ايها الملك طر فطار مقدار
عشرين الف عام لم ينل راس قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة وامره ان يطير فطار
مقدار ثلثين الف عام لم ينل ايضا فاوحى الله اليه ايها الملك لو طرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك
لم تبلغ الى ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها
في سجودكم وفي المعاني عن الصادق عليه السلام في حديث سئل عن الاقداح المبثوثة قال هي بين يدي العرش
فيه انهار تطرد فيه من القدحان عدد النجوم

الباب الخامس في الحجب والسرادقات والبيت المعمور وسدرة المنتهى

اعلم ان
الحجب جارية من ضروب ملكة الله هي جواهر قدسية وانوار عقلية ثم حجب اشعة جمال نور الانوار و
وسائط النفوس الكاملة في الاتصال لحجاب رب الارباب حجاب سلطانه ويهتدى برهانه وفي الحديث ان
لله سبعا وسبعين حجابا من نور لو كشف عن وجهه لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره وفي
رواية سبعمائة حجاب وفي اخرى سبعين الف حجاب من نور وظلمة وفي اخرى حجابه النور لو كشفه
لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وفي الكافي سئل الصادق عليه السلام عما يروون
من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا
من نور الستر فان كانوا صادقين فليملؤوا اعينهم من الشمس ليس دونها سحاب وفي التوحيد
عن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل عن الحجب فقال اول الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة
خمسمائة عام بين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام وحجبة كل حجاب منها سبعون الف ملك قوة
كل ملك منها قوة الثقلين منها ظلمة ومنها نور ومنها نار ومنها دخان ومنها سحاب ومنها برق ومنها
مطر ومنها رعد ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها انهار وهي حجب
مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين الف عام ثم سرادقات الجلال وهي سبعون سرادقا في كل
سرادق سبعون الف ملك بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام ثم سرادق العز ثم سرادق
الكبرياء ثم سرادق العظمة ثم سرادق القدس ثم سرادق الجبروت ثم سرادق الفخر ثم سرادق
النور الابيض ثم سرادق الوحدانية وهو مسيرة سبعين الف عام في سبعين الف عام ثم الحجاب الاعلى

العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءا من نور الستر

والحجاب الثاني سبعون حجابا بين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام ...

وفي الاثر المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيل له هل احتجب الله من خلقه بشيء غير السموات قال نعم
بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وسبعون حجابا من ظلمة وسبعون
حجابا من رفارف الاستبرق وسبعون حجابا من رفارف السندس وسبعون حجابا من در
ابيض وسبعون حجابا من در احمر وسبعون حجابا من در اصفر وسبعون حجابا من در اخضر
وسبعون حجابا من ضياء وسبعون حجابا من ثلج وسبعون حجابا من ماء وسبعون حجابا
من برد وسبعون حجابا من عظمة الله التي لا توصف ويأتي في الباب الآتي ما يناسب هذا الباب وعنه
صلى الله عليه وآله وسلم قال ان في السماء الدنيا بيت يقال له المعمور حيال الكعبة وفي السماء
الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبرئيل كل يوم فينغمس انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخر عنه
سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلون
فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون اليه ابدا ويولى عليهم احدهم ثم يؤمر ان يقف بهم في السماء
موقفا يسبحون الله فيه الى ان تقوم الساعة وفي اخبار اخر ان البيت المعمور في السماء الرابعة
يدخله كل يوم وليلة سبعون الف ملك لا يعودون اليه ابدا وفي العلل في خبر المعراج
عن الباقر عليه السلام انما سميت سدرة المنتهى لان اعمال اهل الارض يصعد بها الملائكة الحفظة الى
محل السدرة قال عليه السلام وان غلظ السدرة لمسيرة مائة عام من ايام الدنيا وان الورقة منها
تغطي اهل الدنيا وقد مضى تمام الكلام في ضروب الملائكة في باب العلم بالملائكة عليهم السلام

الباب الثاني عشر في بدو خلق العالم وعظمته

في كتاب الانوار لابي الحسن البكري عن
امير المؤمنين عليه السلام قال كان الله ولا شيء معه فاول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم
قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسموات والارض واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة و
آدم وحوا باربعة وعشرين واربعمائة الف عام فلما خلق الله نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقي
الف عام بين يدي الله واقفا يسبحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر اليه ويقول يا عبدي انت المراد
والمريد وانت خيرتي من خلقي وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الافلاك من احبك احببته ومن ابغضك
ابغضته فتلالا نوره وارتفع شعاعه فخلق الله منه اثني عشر حجابا اولها حجاب القدرة ثم حجاب العظمة
ثم حجاب العزة ثم حجاب الهيبة ثم حجاب الجبروت ثم حجاب الرحمة ثم حجاب النبوة ثم حجاب الكرامة ثم حجاب

المنزلة

المنزلة ثم حجاب الرفعة ثم حجاب السعادة ثم حجاب الشفاعة ثم ان الله تعالى امر نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان يدخل في حجاب القدرة فدخل وهو يقول سبحان العلي الاعلى وبقي على ذلك اثني عشر الف عام ثم
امره ان يدخل في حجاب العظمة فدخل وهو يقول سبحان عالم السر واخفى احد عشر الف عام ثم دخل
في حجاب العزة وهو يقول سبحان الملك المنان عشرة الاف عام ثم دخل في حجاب الهيبة وهو يقول
سبحان من هو غني لا يفتقر تسعة الاف عام ثم دخل في حجاب الجبروت وهو يقول سبحان الكريم
الاكرم ثمانية الاف عام ثم دخل في حجاب الرحمة وهو يقول سبحان رب العرش العظيم سبعة الاف
عام ثم دخل في حجاب النبوة وهو يقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون ستة الاف عام ثم
دخل في حجاب الكرامة وهو يقول سبحان العظيم الاعظم خمسة الاف عام ثم دخل في حجاب المنزلة وهو
يقول سبحان العليم الكريم اربعة الاف عام ثم دخل في حجاب الرفعة وهو يقول سبحان ذي الملك
والملكوت ثلثة الاف عام ثم دخل في حجاب السعادة وهو يقول سبحان من يزيل الاشياء
ولا يزول الفي عام ثم دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم الف
عام قال الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ثم ان الله خلق من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم عشرين بحرا
من نور في كل بحر علوم لا يعلمها الا الله ثم قال لنور محمد انزل في بحر العز فنزل ثم في بحر الصبر
ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوفاء ثم في بحر الحلم ثم في بحر التقى ثم في بحر
الخشية ثم في بحر الانابة ثم في بحر العمل ثم في بحر المزيد ثم في بحر الهدى ثم في بحر الصيانة ثم في بحر
الحياء حتى تقلب في عشرين بحرا فلما خرج من آخر الابحر قال الله تعالى يا حبيبي ويا سيد رسلي
ويا اول مخلوقاتي ويا آخر رسلي انت الشفيع يوم المحشر فخر النور ساجدا ثم قام فقطرت منه
قطرات كان عددها مائة الف واربعة وعشرين الف قطرة فخلق الله من كل قطرة من نوره
نبيا من الانبياء فلما تكاملت الانوار صارت تطوف حول نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما
يطوف الحجاج حول بيت الله الحرام وهم يسبحون الله ويحمدونه ويقولون سبحان من هو عالم لا يجهل
سبحان من هو حليم لا يعجل سبحان من هو غني لا يفتقر فناداهم الله تعالى تعرفون من انا فسبق
نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل الانوار ونادى انت الله الذي لا اله الا انت وحدك لا شريك
لك رب الارباب وملك الملوك فاذا بالنداء من قبل الحق انت صفيي وانت حبيبي وانت خير خلقي

استلذ بخيلته اخرجت المنابر ثم خلق من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم جوهرة وقسمها قسمين فنظر
الى القسم الاول بعين الهيبة فصار ماء عذبا ونظر الى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش
فاستوى على وجه الماء فخلق الكرسي من نور العرش وخلق من نور الكرسي اللوح وخلق من
نور اللوح القلم وقال له اكتب توحيدي فبقي القلم الف عام سكران من كلام الله تعالى فلما
افاق قال اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع
القلم اسم محمد خر ساجدا وقال سبحان الواحد القهار سبحان العظيم الاعظم ثم رفع راسه من
السجود وكتب لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قال يا رب ومن محمد الذي قرنت اسمه باسمك وذكره
بذكرك قال الله تعالى يا قلم فلولاه ما خلقتك ولا خلقت خلقي الا لاجله فهو بشير ونذير و
سراج منير وشفيع وحبيب فعند ذلك انشق القلم من حلاوة ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ثم قال القلم السلام عليك يا رسول الله فقال الله وعليك السلام مني ورحمة الله وبركاته فلاجل
هذا صار السلام سنة والرد فريضة ثم قال الله تعالى اكتب قضائي وقدري وما انا خالقه الى
يوم القيمة ثم خلق الله تعالى من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحجب وزينها باربعة اشياء التعظيم
والجلالة والسخاء والامانة وجعلها الاولياء واهل طاعته ثم نظر الى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت
فخلق من دخانها السموات ومن زبدها الارضين فلما خلق الله تعالى الارض صارت تموج
باهلها كالسفينة فخلق الله الجبال فارسها بها ثم خلق ملكا من اعظم ما يكون في القوة فدخل تحت
الارض ثم لم يكن لقدمي الملك قرار فخلق الله صخرة عظيمة وجعلها تحت قدمي الملك ثم لم يكن
للصخرة قرار فخلق الله لها ثورا عظيما لم يقدر احد ينظر اليه لعظم خلقته وبريق عيونه حتى لو وضعت
البحار كلها في احدى منخريه ما كانت الا كخردلة ملقاة في ارض فلاة فدخل الثور تحت الصخرة وحملها
على ظهره وقرونه واسم ذلك الثور لهوتا ثم لم يكن لذلك الثور قرار فخلق الله حوتا عظيما واسم
ذلك الحوت بهموت فدخل الحوت تحت قدمي الثور فاستقر الثور على ظهر الحوت فالارض كلها
على كاهل الملك والملك على الصخرة والصخرة على الثور والثور على الحوت والحوت على الماء والماء
على الهواء والهواء على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة ثم خلق الله العرش من ضيائين
احدهما الفضل والثاني العدل ثم امر الضيائين فانتفسا بنفسين فخلق منهما اربعة اشياء العقل

والعلم

والحلم والعلم والسخاء ثم خلق من العقل الخوف وخلق من العلم الرضا ومن الحلم المودة ومن السخاء المحبة ثم
عجن هذه الاشياء في طينة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم خلق من بعدهم ارواح المؤمنين من امة محمد صلى
الله عليه وآله وسلم ثم خلق الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والضياء والظلام وسائر الملائكة
من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما تكاملت الانوار سكن نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحت
العرش ثلث وسبعين الف عام ثم انتقل نوره الى الجنة فبقي سبعين الف عام ثم انتقل الى سدرة المنتهى
فبقي سبعين الف عام ثم انتقل نوره الى السماء السابعة ثم الى السماء السادسة ثم الى السماء الخامسة ثم الى
السماء الرابعة ثم الى السماء الثالثة ثم الى السماء الثانية ثم الى السماء الدنيا فبقي نوره في السماء الدنيا الى
ان اراد الله ان يخلق ادم الخبر وفي تنبيه الخاطر عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان الله تعالى اول ما خلق
الخلق خلق نورا ابتدعه من غير شيء ثم خلق منه ظلمة وكان قديرا ان يخلق الظلمة لا من شيء كما خلق النور
من غير شيء ثم خلق من الظلمة نورا وخلق من النور ياقوتة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع ارضين
ثم زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماء مرتعدا ولا يزال مرتعدا الى يوم القيمة ثم خلق عرشه
من نوره وجعله على الماء وللعرش عشرة الاف لسان يسبح الله كل لسان منها بعشرة الاف لغة ليس
فيها لغة تشبه الاخرى وكان العرش على الماء من دونه حجب الضياء وفي شرح النهج للكيدري ورد
في الخبر ان الله تعالى لما اراد خلق السماء والارض خلق جوهرا اخضر ثم ذوبه فصار ماء مضطربا
ثم اخرج منه بخارا كالدخان فخلق منه السماء كما قال ثم استوى الى السماء وهي دخان ثم
فتق تلك السماء فجعلها سبعا ثم جعل من ذلك الماء زبدا فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض
كلها من تحت الكعبة ولذلك تسمى مكة ام القرى لانها اصل جميع الارض ثم شق من تلك الارض سبع
ارضين وجعل بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وكذلك بين كل ارض وارض وكذلك بين
هذه السماء وهذه الارض ثم بعث ملكا من تحت العرش حتى حمل الارض على منكبه وعنقه ومد يديه فبلغت
احديهما الى المشرق والاخرى الى المغرب ثم بعث لقرار قدمي ذلك الملك بقرة من الجنة كانت لها اربعون
الف قرن واربعون الف رجل وبعث ياقوتة من الفردوس الاعلى حتى وضع بين سنام تلك
البقرة واذنها فاستقر قدما ذلك الملك على السنام والياقوت وان قرون تلك البقرة لخارجة من
اقطار الارض التي تحت العرش وان مناخرها بازاء الارض فاذا تنفست البقرة مد البحر واذا

فتصبت انفاسها جرى البحر من ذلك ثم خلق لقرارها تلك البقرة صخرة وهي التي حكى الله عن لقمان في
قوله فتكن في صخرة فيزيد مقدار سعة تلك الصخرة سبع مرات على مقدار سبع السموات وسبع
ارضين ثم خلق حوتا وهو الذي اقسم الله فقال ن والقلم والنون الحوت وامرها بوضع تلك الصخرة
على ظهر ذلك الحوت وجعل ذلك الحوت في الماء وارسل الماء على الريح وحفظ الله الريح بقدرته وفي
التوحيد عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ان الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل
خلق السموات والارض وكانت الملائكة تستدل بانفسها وبالعرش والماء على الله عز وجل ثم جعل عرشه
على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم ان الله على كل شيء قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق
السموات السبع ثم خلق السموات والارض في ستة ايام وهو مستول على عرشه وكان قادرا على ان يخلقها
في طرفة عين ولكنه عز وجل خلقها في ستة ايام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئا بعد شيء فيستدل
بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرة بعد مرة ولم يخلق الله العرش لحاجة به لانه غني عن العرش
وعن جميع ما خلق لا يوصف بالكون على العرش لانه ليس بجسم تعالى عن صفة خلقه علوا كبيرا وفي
خبر اخر ولو شاء ان يخلقها في اقل من لمح البصر لخلق ولكنه جعل الاناة والمداراة مثالا لامنائه
وايجابا للحجة على خلقه وفي خبر ابن سلام قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبرني ما بال السماء
الدنيا خضراء قال يا ابن سلام اخضرت من جبل قاف قال صدقت يا محمد فاخبرني مم خلقت قال
من موج مكفوف قال وما الموج المكفوف قال يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب له وكانت اولا
دخانا قال صدقت يا محمد فاخبرني عن السموات الها ابواب قال نعم لها ابواب وهي معلقة ولها
مفاتيح وهي مخزونة قال صدقت يا محمد فاخبرني عن ابواب السماء ما هي قال من ذهب قال فما اقفالها
قال من نور قال فما مفاتيحها قال اسم الله العظيم قال صدقت يا محمد قال فاخبرني عن طول كل
سماء وعرضها وكم ارتفاعها وما سكانها قال يا ابن سلام طول كل سماء خمسمائة عام وعرضها
كذلك وبين كل سماء الى سماء خمسمائة عام وسكان كل سماء جنود من الملائكة لا يعلم عددهم
الا الله قال صدقت يا محمد فاخبرني عن السماء الثانية مما خلقت قال من الغمام قال صدقت يا محمد
فاخبرني عن السماء الثالثة مم خلقت قال من زبرجدة قال فالرابعة قال من ذهب احمر قال صدقت

يا محمد

قال فما فوق حجاب المجد

يا محمد فالخامسة قال من ياقوتة حمراء قال فالسادسة قال من فضة بيضاء قال فالسابعة قال
من ذهب قال صدقت يا محمد فاخبرني ما فوق السماء السابعة قال بحر الحيوان قال فما فوقه قال
بحر الظلمة قال فما فوقه قال بحر النور قال فما فوقه قال الحجب قال فما فوقها قال سدرة المنتهى قال
فما فوق سدرة المنتهى قال جنة المأوى قال فما فوق جنة المأوى قال حجاب المجد قال حجاب المجد
قال فما فوق حجاب الهيبة قال حجاب الجبروت قال فما فوق حجاب الجبروت قال حجاب العزة
قال فما فوق حجاب العزة قال حجاب العظمة قال فما فوق حجاب العظمة قال حجاب الكبرياء قال فما فوق
حجاب الكبرياء قال الكرسي قال صدقت يا محمد قال فما فوق الكرسي قال العرش قال فما فوق
العرش قال الله تعالى وهو فوق الفوق وعلم تحت التحت قال اخبرني عن الارضين مم خلقت قال
من زبرجد قال فالزبرجد مم خلقت قال من الموج قال فالموج مم خلق قال من البحر قال
صدقت يا محمد فكيف ذلك قال ان الله عز وجل لما خلق البحار امر الريح ان تضرب
الامواج حتى اذا ازبدت امواجه بيت ان تجتمع فاجتمعت ثم امرها ان تلين فلانت ثم امرها ان
تنعقد فانعقدت ثم امرها ان تتسع فاتسعت فصارت ارضا قال صدقت يا محمد فاخبرني
من اي شيء سكونها قال من جبل قاف وهو اصل اوتاد الارض التي هي عليها قال فاخبرني
ما تحت هذه الارض قال تحتها ثور قال وما صفته قال يا ابن سلام له اربع قوائم وهو قائم على
صخرة بيضاء قال فاخبرني ما صفته قال يا ابن سلام له اربعون قرنا واربعون سنا راسه بالمشرق
واذنه بالمغرب وهو ساجد لله تعالى الى يوم القيامة من القرن الى القرن مسيرة خمسين الف سنة
قال صدقت يا محمد فاخبرني ما تحت الصخرة قال تحتها جبل يقال له الصعود قال وما ذلك الجبل
قال لاهل النار يصعد المذكورين الى يوم القيامة وهو مسيرة الف سنة حتى اذا بلغوا اعلاه الى
الجبل ضربوا بمقامع فيسقطون الى اسفله فيسحبون على وجوههم قال صدقت يا محمد فاخبرني ما
تحت ذلك الجبل قال الارض قال الارض قال وما اسمها قال جارية قال وما تحتها قال البحر قال وما اسمه
قال بهسلة قال صدقت يا محمد قال فما تحت ذلك البحر قال الارض قال وما اسمها قال ناعجة
قال وما تحتها قال البحر قال وما اسمه قال الزاخر قال وما تحته قال الارض قال وما اسمها قال
مسيح قال فصف لي هذه الارض قال يا ابن سلام هي ارض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك

صورها كالقرونيا كالنعزاب وعروت عليه المتقون يوم القيمة قال صدقت يا محمد قال
فاخبرني ان يكون هذه الارض التي نحن عليها اليوم قال النبي صلى الله عليه واله وسلم يا ابن
سلام تبدل الارض غيرها قال صدقت يا محمد فاخبرني ما تحت تلك الارض قال الثور قال وما
اسمه قال القمقام قال وما فيه قال الحوت قال وما اسمه قال يهموت قال صدقت يا محمد قال
فصف لي الحوت قال يا ابن سلام راسه بالمشرق وذنبه بالمغرب قال فما على ظهره قال
الارض والبحار والظلمة والجبال قال فما في عينيه قال سبعة ابحر في كل بحر سبعون الف مدينة في
كل مدينة الف الف دار تحت كل دار سبعون الف ملك قال فما يقولون قال يقولون لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير قال
صدقت يا محمد فاخبرني ما تحت الريح قال الظلمة قال فما تحت الظلمة قال الثرى قال فما تحت الثرى
قال لا يعلمه الا الله عز وجل وفي العلل عن امير المؤمنين عليه السلام عن الوان السموات السبع
واسمائها فقال اسم السماء الدنيا رفيع وهي من ماء ودخان واسم السماء الثانية قيدوم و
هي على لون النحاس والسماء الثالثة اسمها الماروم وهي على لون الشبه والسماء الرابعة اسمها
ارفلون وهي على لون الفضة والسماء الخامسة اسمها هيعون وهي على لون الذهب والسماء
السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء والسماء السابعة اسمها عجماء وهي درة بيضاء
وفي تفسير القمي عند قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام قال في ستة اوقات
وعند قوله خلق الارض في يومين اي وقتين ابتداء الخلق وانقضاؤه وجعل فيها رواسي
من فوقها وقدر فيها اقواتها اي لا يزول ويبقى في اربعة ايام سواء للسائلين يعني في اربعة
اوقات وهي التي يخرج الله فيها اقوات العالم من الناس والبهائم والطير وحشرات الارض وما
في البر والبحر من الخلق من الثمار والنبات والشجر وما يكون فيه معاش الحيوان كله وهو الربيع و
الصيف والخريف والشتاء ففي الشتاء يرسل الله الرياح والامطار والانداء والطلول من السماء
فيلقح الارض والشجر وهو وقت بارد ثم يجيء بعده الربيع وهو وقت معتدل حار وبارد فيخرج الشجر
ثمارها والارض نباتها فيكون اخضر ضعيفا ثم يجيء من بعده وقت الصيف وهو حار فينضج الثمار
ويصلب الحبوب التي هي اقوات العباد وجميع الحيوان ثم يجيء من بعده وقت الخريف فيطيبه ويبرده

ولو

ولو كان الوقت كله شيئا واحدا لم يخرج النبات من الارض لانه لو كان الوقت كله ربيعا لم تنضج الثمار
ولم تبلغ الحبوب ولو كان الوقت كله صيفا لاحترق كل شيء في الارض ولم يكن للحيوان معاش
ولا قوت ولو كان الوقت كله خريفا ولم يتقدمه شيء من هذه الاوقات لم يكن شيء يتقوت به العالم
فجعل الله هذه الاقوات في هذه الاربعة الاوقات اياما سواء للسائلين يعني المحتاجين لان
كل محتاج سائل وفي العالم من خلق الله من لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوانات كثير فهم سائلون
وان لم يسألوا وقوله ثم استوى الى السماء اي دبر وخلق وقد سئل ابو الحسن الرضا عليه السلام عمن
كلم الله لا من الجن ولا من الانس فقال السموات والارض في قوله ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين فقضاهن اي خلقهن سبع سموات في يومين يعني في وقتين ابتداء وانقضاء و
اوحى في كل سماء امرها فهذا وحي تقدير وتدبير وفي تفسير الامام عليه السلام لما خلق الله الارض
دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فاحاطت بكل شيء ففخرت الارض وقالت احطت
بكل شيء فمن يغلبني وكان في كل اذن من اذان الحوت سلسلة من ذهب مقرونة الطرف
بالعرش فامر الله الحوت فتحولت فتكفأت الارض باهلها كما تكفأ السفينة على متن الماء
قد اشتدت امواجه ولم تستطع الارض الامتناع ففخر الحوت وقال غلبت الارض التي
احاطت بكل شيء فمن يغلبني فخلق الله عز وجل الجبال فارساها وثقل الارض بها فلم يستطع الحوت
ان يتحرك ففخرت الجبال وقالت غلبت الحوت الذي غلب الارض فمن يغلبني فخلق الله عز وجل الحديد
فقطعت به الجبال ولم يكن عندها دفاع ولا امتناع ففخر الحديد فقال غلبت الجبال التي غلبت
الحوت فمن يغلبني فخلق الله عز وجل النار فالانت الحديد وفرقت اجزاءه ولم يكن عند الحديد دفاع
ولا امتناع ففخرت النار وقالت غلبت الحديد الذي غلب الجبال فمن يغلبني فخلق الله عز وجل الماء
فاطفا النار ولم يكن عندها دفاع ولا امتناع ففخر الماء وقال غلبت النار التي غلبت الحديد
فمن يغلبني فخلق الله عز وجل الريح فايبست الماء ففخرت الريح وقالت غلبت الماء الذي غلب النار
فمن يغلبني فخلق الله الانسان فصرف الريح عن مجاريها بالبنيان ففخر الانسان وقال غلبت الريح التي
غلبت الماء فمن يغلبني فخلق الله عز وجل ملك الموت فامات الانسان ففخر ملك الموت وقال
غلبت الانسان الذي غلب الريح فمن يغلبني فقال الله عز وجل انا القهار الغلاب الوهاب اغلبك

واغلب كل شيء فذلك قوله اليه يرجع الامر كله وفي الكافي في حديث زينب العطارة وقد سألت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن عظمة الله فقال الا احدثك عن بعض ذلك ان هذه
الارض بمن عليها عند التي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة قي والثالثة حتى انتهى الى السابعة وتلا هذه
الاية خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن والسبع الارضين بمن فيهن ومن عليهن على ظهر الديك
كحلقة ملقاة في فلاة قي والديك له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب ورجلاه في
التخوم والسبع والديك بمن فيه ومن عليه على الصخرة كحلقة ملقاة في فلاة قي والسبع والديك
والصخرة بمن فيها ومن عليها على ظهر الحوت كحلقة ملقاة في فلاة قي والسبع والديك والصخرة
والحوت بمن فيه ومن عليه على البحر المظلم كحلقة ملقاة في فلاة قي والسبع والديك والصخرة والحوت
والبحر المظلم على الهواء الذاهب كحلقة ملقاة في فلاة قي والسبع والديك والصخرة والحوت و
البحر المظلم والهواء على الثرى كحلقة ملقاة في فلاة قي ثم تلا هذه الاية له ما في السموات وما في
الارض وما بينهما وما تحت الثرى ثم انقطع الخبر عند الثرى والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر
المظلم والهواء والثرى بمن فيه ومن عليه عند السماء الدنيا كحلقة ملقاة في فلاة قي وهذا كله
والسماء الدنيا بمن فيها ومن عليها عند التي فوقها كحلقة ملقاة في فلاة قي وهاتان السماءان
ومن فيهما ومن عليهما عند التي فوقهما كحلقة ملقاة في فلاة قي وهذه الثلث بمن فيهن ومن عليهن
عند الرابعة كحلقة ملقاة في فلاة قي حتى انتهى الى السابعة وهن ومن فيهن ومن عليهن عند البحر
المكفوف عن اهل الارض كحلقة ملقاة في فلاة قي وهذه السبع والبحر المكفوف عند جبال البرد
كحلقة ملقاة في فلاة قي وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهواء الذي تحار فيه القلوب
كحلقة ملقاة في فلاة قي وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور عند الكرسي
كحلقة ملقاة في فلاة قي ثم تلا هذه الاية وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما
وهو العلي العظيم وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور والكرسي عند
العرش كحلقة ملقاة في فلاة قي وتلا هذه الاية الرحمن على العرش استوى

الباب التاسع في كثرة العوالم والخلائق

في الكافي دخل رجل على ابي عبد الله عليه السلام
فقال له جعلت فداك هذه قبة آدم عليه السلام قال نعم ولله قباب كثيرة الا ان خلف مغربكم هذا

تسعة

تسعة وثلثين مغربا ارضا بيضاء مملوة خلقا يستضيئون بنوره لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ما
يدرون خلق آدم ام لم يخلق يبرؤون من فلان وفلان قيل كأن ذلك اشارة الى عالم المثال فانه
عالم نوراني نوره من نفسه ولهذا قال يستضيئون بنوره اي بنور ذلك العالم وفي حديث
آخر ارضا بيضاء وضوؤها منها كما يأتي وفلان وفلان كناية عن الاولين وانما يبرؤون منهما لانهم
مجبولون على الخير فلا محالة يبرؤون من منبع الشر ونقل عن الحكماء الاقدمين ان في الوجود عالما
مقداريا غير العالم الحسي لا تتناهى عجائبه ولا تحصى مدنه من جملة تلك المدن جابلقا وجابرصا و
هما مدينتان عظيمتان لكل منهما الف باب لا يحصى ما فيهما من الخلائق وقال بعض اهل العلم في
كل نفس خلق الله عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخلق الله من جملة عوالمنا عالما على
صورتنا اذا ابصرها العارف شاهد نفسه فيها ثم قال وكل ما فيها حي ناطق وهي باقية لا تفنى
ولا تتبدل واذا دخلها العارفون انما يدخلون بارواحهم لا باجسامهم فيتركون هياكلهم في
هذه الارض الدنيا ويتجردون وفيها مدائن لا تحصى بعضها يسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين
الا كل مصطفى مختار وكل حديث واية وردت عندنا صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على
ظاهرها في هذه الارض وكل جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك وجن وكل صورة يرى الانسان
فيها نفسه في النوم فمن اجساد هذه الارض وقال ارسطو اشارة الى موجودات عالم العقل
من وراء هذا العالم سماء وارض وبحر وحيوان ونبات وناس سماويون وكل من في ذلك
العالم سماوي وليس هناك شيء ارضي البتة والروحانيون الذين هناك ملائمون للانس الذين
هناك لا ينفر بعضهم عن بعض وكل واحد لا ينافر صاحبه ولا يضاده بل يستريح اليه وفي الخصال
عن الصادق عليه السلام ان لله عز وجل اثنا عشر الف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سموات وسبع
ارضين ما يرى عالم منهم ان لله عز وجل عالما غيرهم واني الحجة عليهم وعن الباقر عليه السلام في قوله
تعالى افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد قال تأويل ذلك ان الله عز وجل اذا
افنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار جدد الله عز وجل عالما
غير هذا العالم وجدد خلقا من غير فحولة ولا اناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم ارضا غير هذه
الارض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى ان الله عز وجل انما خلق هذا العالم الواحد

اثني

وترى ان الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى الف الف عالم والف الف
ادم انت في اخر تلك العوالم واولئك الادميين وفي تفسير الثعلبي عن ابن عباس في قوله رب العالمين
قال ان الله عز وجل خلق ثمانمائة عالم وبضعة عشر عالما خلف قاف وخلف البحار السبعة
لم يعصوا الله طرفة عين قط ولم يعرفوا ادم ولا ولده كل عالم منهم يزيد من ثلثمائة وثلثة عشر مثل
ادم وما ولد وفي الدر المنثور عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال ان من وراء قاف سبع
بحار كل بحر خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع ارضين يضيء نورها لاهلها ومن وراء ذلك
سبعين الف امة خلقوا على امثال الطير هو وفرخه في الهواء لا يفترون عن تسبيحة واحدة ومن
وراء ذلك سبعين الف امة خلقوا من ريح فطعامهم ريح وشرابهم ريح وثيابهم من ريح
وانيتهم من ريح ودوابهم من ريح لا تستقر حوافر دوابهم الى الارض الى قيام الساعة اعينهم في صدورهم
ينام احدهم نومة واحدة ينتبه ورزقه عند راسه ومن وراء ذلك ظل العرش وفي ظل العرش
سبعون الف امة ما يعلمون ان الله خلق ادم ولا ولد ادم ولا ابليس ولا ولد ابليس وهو قوله و
يخلق ما لا تعلمون وعن ابن عباس قال خلق الله من وراء هذه الارض بحرا محيطا بها ثم خلق
من وراء ذلك جبلا يقال له ق والسماء الدنيا مترفرفة عليه ثم خلق من وراء ذلك جبلا
يقال له ق والسماء الثانية مترفرفة عليه حتى عد سبع ارضين وسبعة ابحر وسبعة اجبل قال
وذلك قوله والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وفي الجامع سئل النبي صلى الله عليه واله وسلم عن القاف
وما خلفه قال خلفه سبعون ارضا من ذهب وسبعون ارضا من فضة وسبعون ارضا من
مسك خلفه سبعون ارضا سكانها الملئكة لا يكون فيها حر ولا برد وطول كل ارض مسيرة
عشرة الف سنة قيل وما خلف الملئكة قال حجاب من ظلمة قيل وما خلفه قال حجاب من ريح قيل
وما خلفه قال حجاب من نار قيل وما خلفه قال حجاب من نور قيل وما خلفه قال حية محيطة
بالدنيا كلها تسبح الله الى يوم القيمة وهي ملك الحيات كلها قيل وما خلفه قال حجاب من نور
قيل وما خلفه قال علم الله وقضاؤه وسئل عن عرض قاف وطوله واستدارته فقال عليه السلم
عرضه مسيرة الف سنة من ياقوت احمر قضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلث
ذوائب من نور ذوابة بالمشرق وذوابة بالمغرب والاخرى في وسط السماء عليها مكتوب

ثلثه

الجبل ايضا [illegible] ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك

ثلثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله
وفي البصائر عن الباقر عليه السلم قال ان من وراء هذه اربعين عين شمس ما بين شمس الى شمس
اربعون عاما فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله عز وجل خلق ادم او لم يخلقه وان من وراء هذه
اربعين قمرا ما بين قمر الى قمر مسيرة اربعين يوما فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله عز وجل خلق
ادم او لم يخلقه قد الهموا كما الهمت النحل لعنة الاول والثاني في كل وقت من الاوقات
وقد وكل بهم ملئكة متى لم يلعنوهما عذبوا وعنه عليه السلم ان الله خلق جبلا محيطا بالدنيا
من زبرجد اخضر وانما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل وخلق خلقا ولم يفترض عليهم
شيئا مما افترض على خلقه من صلوة وزكوة وكلهم يلعن رجلين من هذه الامة وسماهما
وفي خبر اخر ولله وراء ذلك سبعون الف عالم اكثر من عدد الانس والجن وفي اخر في المعاني
عن الصادق عليه السلم واما ق فهو الجبل المحيط بالارض وخضرة السماء منه وبه يمسك الله الارض
ان تميد باهلها وعن جابر عن الباقر عليه السلم قال سالته عن قول الله عز وجل وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض قال كنت مطرقا الى الارض فرفع يده الى فوق ثم قال لي
ارفع راسك فرفعت راسي فنظرت الى السقف قد انفجر حتى خلص الى نور ساطع حار بصري دونه
ثم قال لي راى ابرهيم عليه السلم ملكوت السموات والارض هكذا ثم قال لي اطرق فاطرقت
ثم قال لي ارفع راسك فرفعت راسي فاذا السقف على حاله قال ثم اخذ بيدي وقام واخرجني
من البيت الذي كنت فيه وادخلني بيتا اخر فخلع ثيابه التي كانت عليه ولبس ثيابا غيرها ثم قال
لي غض بصرك فغضضت بصري فقال لي لا تفتح عينيك فلبثت ساعة ثم قال لي اتدري اين انت
قلت لا جعلت فداك فقال لي انت في الظلمة التي سلكها ذو القرنين فقلت جعلت فداك اتاذن لي
ان افتح عيني فقال لي افتح فانك لا ترى شيئا ففتحت عيني فاذا انا في ظلمة لا ابصر فيها موضع قدمي
ثم سار قليلا ووقف فقال لي هل تدري اين انت قلت لا قال انت واقف على عين الحيوة التي شرب
منها الخضر عليه السلم وخرجنا من ذلك العالم الى عالم اخر فسلكنا فيه فراينا كهيئة عالمنا في بنائه ومساكنه
واهله ثم خرجنا الى عالم ثالث كهيئة الاول والثاني حتى وردنا خمسة عالم قال ثم قال هذه
ملكوت الارض ولم يرها ابرهيم وانما راى ملكوت السموات وهي اثنا عشر عالما كل عالم كهيئة ما رايت

كلما مضى منا امام سكن احد هذه العوالم حتى يكون آخرهم القائم في عالمنا الذي نحن ساكنوه قال ثم قال
لي غض بصرك فغضضت بصري ثم اخذ بيدي فاذا نحن بالبيت الذي خرجنا منه فنزع تلك الثياب ولبس الثياب
التي كانت عليه وعدنا الى مجلسنا فقلت جعلت فداك كم مضى من النهار قال عليه السلام ثلث ساعات وعن الحسن
بن علي عليهما السلام قال ان لله مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب عليهما سوران من حديد
وعلى كل مدينة سبعون الف الف مصراع من ذهب فيها سبعون الف الف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه
وانا اعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجة غيري وغير الحسين اخي وعن امير المؤمنين عليه السلام
قال ان لله بلدة خلف المغرب يقال لها جابلقا وفي جابلقا سبعون الف امة ليس منها امة الا
مثل هذه الامة فما عصوا الله طرفة عين فما يعملون عملا ولا يقولون قولا الا الدعاء على الاولين والبراءة
منهما والولاية لاهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي المشارق عن الصادق عليه السلام ان لله مدينتين
احداهما بالمغرب والاخرى بالمشرق يقال لهما جابلقا وجابرصا طول كل مدينة منهما اثنا عشر الف فرسخ
في كل فرسخ باب يدخلون في كل يوم من كل باب سبعون الفا ويخرج منها مثل ذلك ولا يعودون الى
يوم القيمة لا يعلمون ان الله خلق آدم ولا ابليس ولا الشمس ولا القمر والله اطوع لنا منكم يأتون بالفاكهة
في غير اوانها موكلين بلعن فرعون وهامان وقارون وفي منتخب البصائر ان الله عز وجل مدينتين
مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب فيهما قوم لا يعرفون ابليس ولا يعلمون بخلق ابليس نلقاهم في كل حين
فيسألونا عما يحتاجون اليه ويسألونا عن الدعاء فنعلمهم ويسألونا عن قائمنا متى يظهر وفيهم عبادة
واجتهاد شديد ولمدينتهم ابواب ما بين المصراع الى المصراع مائة فرسخ لهم تقديس وتمجيد ودعاء و
اجتهاد شديد لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم يصلي الرجل منهم شهرا لا يرفع رأسه من سجدته طعامهم التسبيح
ولباسهم الورق ووجوههم مشرقة بالنور واذا رأوا منا واحدا لحسوه واجتمعوا اليه واخذوا من اثره
من الارض يتبركون به لهم دوي اذا صلوا كاشد من دوي الريح العاصف منهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ
كانوا ينتظرون قائمنا يدعون الله عز وجل اذا احتبسنا عنهم ظنوا ان ذلك من سخط يتعاهدون اوقاتنا
التي نأتيهم فيها لا يسأمون ولا يفترون يتلون كتاب الله عز وجل كما علمناهم وان فيما نعلمهم ما لو تلي
على الناس لكفروا به ولانكروه ولا يسألونا عن الشيء اذا ورد عليهم من القرآن لا يعرفونه فاذا اخبرناهم به
انشرحت صدورهم لما يستمعون منا ويسألون لنا طول البقاء وان لا يفقدونا ويعلمون ان المنة من الله عليهم فيما

نعلمهم

(هامش: ان يريهم اياه وعمر احدهم الف سنة اذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقربهم الى الله عز وجل)

نعلمهم عظيمة ولهم خرجة مع الامام اذا قام يسبقون فيها اصحاب السلاح ويدعون الله عز وجل ان يجعلهم
ممن ينتصر بهم لدينه فيهم كهول وشبان اذا رأى شاب منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم
حتى يأمره لهم طريق هم اعلم به من الخلق الى حيث يريد الامام عليه السلام فاذا امرهم الامام بامر قاموا عليه ابدا
حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره لو انهم وردوا على ما بين المشرق والمغرب من الخلق لافنوهم في ساعة
واحدة لا يحيك فيهم الحديد لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب احدهم بسيفه جبلا لقده
حتى يفصله ويغزو بهم الامام عليه السلام الهند والديلم والترك والروم وبربر وفارس وبين جابرسا الى
جابلقا وهي مدينتان واحدة بالمشرق وواحدة بالمغرب لا يأتون على اهل دين الا دعوهم الى الله عز
وجل والى الاسلام والاقرار بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والتوحيد وولايتنا اهل البيت فمن اجاب
منهم ودخل في الاسلام تركوه وامروا عليه اميرا ومن لم يجب ولم يقر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقر
بالاسلام ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل احد الا آمن اقول وجدت
الخبر في البصائر هكذا ان لله مدينة خلف البحر سعتها مسيرة اربعين يوما للشمس فيها قوم لم يعصوا الله
قط ولا يعرفون ابليس الخبر بتمامه وعنه عليه السلام ان الله عز وجل مدينة بالمشرق اسمها جابلقا لها اثنا عشر الف
باب من ذهب بين كل باب الى صاحبه مسيرة فرسخ على كل باب برج فيه اثنا عشر الف مقاتل يهلبون
الخيل ويشحذون السيوف والسلاح ينتظرون قيام قائمنا وان لله عز وجل بالمغرب مدينة يقال
لها جابرسا لها اثنا عشر الف باب من ذهب بين كل باب الى صاحبه مسيرة فرسخ على كل باب برج فيه
اثنا عشر الف مقاتل يهلبون الخيل ويشحذون السلاح ينتظرون قائمنا وفي القصص سئل
امير المؤمنين عليه السلام هل كان في الارض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السلام وذريته
فقال نعم قد كان في السموات والارض خلق من خلق الله يقدسون الله ويسبحونه ويعظمونه بالليل
والنهار لا يفترون فان الله عز وجل لما خلق الارضين خلقها قبل السموات ثم خلق الملائكة روحانيين
لهم اجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله فاسكنهم فيما بين اطباق السموات يقدسونه الليل والنهار و
اصطفى منهم اسرافيل وميكائيل وجبرئيل ثم خلق عز وجل في الارض الجن روحانيين لهم اجنحة فخلقهم دون
خلق الملائكة وخفضهم ان يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فاسكنهم فيما بين اطباق الارضين
السبع وفوقهن يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون ثم خلق خلقا دونهم لهم ابدان وارواح بغير اجنحة

يأكلون ويشربون نسناس اشباه خلقهم وليسوا بانس فسكنهم اوساط الارض على ظهر الارض مع الجن
يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون قال وكان الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السموات فيسلمون
عليهم ويزورونهم ويستريحون اليهم ويتعلمون منهم الخبر ثم ان طائفة من الجن والنسناس الذين خلقهم الله
واسكنهم اوساط الارض مع الجن تمردوا وعصوا عن امر الله ثم جوزوا وبغوا في الارض بغير الحق وعلا بعضهم
على بعض في العتو على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم واظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله قال واقامت
الطائفة المطيعون من الجن على رضوان الله وطاعته وباينوا الطائفتين من الجن والنسناس الذين عتوا عن
امر الله قال فحط الله اجنحة الطائفة من الجن الذين عتوا عن امر الله وتمردوا فكانوا لا يقدرون على الطيران
الى السماء والى ملاقاة الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق النسناس يدبون كما يدب الهوام
في الارض يأكلون ويشربون كما يأكل الانعام من مراعي الارض كلهم ذكران ليس فيهم اناث لم يجعل الله فيهم
شهوة النساء ولا حب الاولاد ولا الحرص ولا طول الامل ولا لذة عيش لا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار
ليسوا ببهائم ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والاودية الكبار ثم اراد الله ان
يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر وكون لهم مدينة انشاها تسمى جابرسا
طولها اثنا عشر الف فرسخ في اثني عشر الف فرسخ وكون عليها سورا من حديد يقطع الارض الى السماء
ثم اسكنهم فيها واسكن الفرقة الاخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكون لهم مدينة انشاها
تسمى جابلقا طولها اثنا عشر الف فرسخ في اثني عشر الف فرسخ وكون لهم سورا من حديد يقطع الى
السماء واسكن الفرقة الاخرى فيها لا يعلم اهل جابرسا بموضع اهل جابلقا ولا يعلم اهل جابلقا
بموضع اهل جابرسا ولا يعلم بهم اوساط الارض من الجن والنسناس فكانت الشمس تطلع على اهل اوساط
الارضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرها ويستضيئون بنورها ثم تغرب في عين حمئة
فلا يعلم بها اهل جابلقا اذا غربت ولا يعلم بها اهل جابرسا اذا طلعت لانها تطلع من دون جابرسا
وتغرب من دون جابلقا فقيل يا امير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون
وليس تطلع الشمس عليهم فقال صلوات الله عليه انهم يستضيئون بنور الله فهم في اشد ضوء من
نور الشمس ولا يرون ان الله خلق شمسا ولا قمرا ولا نجوما ولا كواكب لا يعرفون شيئا غيره فقيل يا
امير المؤمنين فاين ابليس عنهم قال لا يعرفون ابليس ولا سمعوا بذكره لا يعرفون الا الله وحده لا

شريك

شريك له لم يكتسب احد منهم قط خطيئة ولم يقترف اثما لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون الى يوم القيامة
يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار وعددهم سواء

الباب الثامن في عمر العالم

في المشارق ان رجلا قال لامير المؤمنين عليه السلام في حديث كم مقدار ما لبث الله
عرشه على الماء من قبل ان يخلق الارض والسماء فقال اتحسن ان تحسب قال نعم قال لعلك لا تحسن
قال بلى اني لاحسن ان احسب قال عليه السلام ارايت لو كان صب خردل في الارض حتى سد
الهواء وما بين الارض والسماء ثم اذن لمثلك على ضعفك ان تنقله حبة حبة من مقدار المشرق الى المغرب
ثم مد في عمرك واعطيت القوة على ذلك حتى تنقله واحصيته لكان ايسر من احصاء عدد اعوام ما
لبث الله عرشه على الماء من قبل ان يخلق الارض والسماء وانما وصفت لك بعض عشر عشير العشير من جزء
من مائة الف جزء واستغفر الله من التقليل في التحديد وفي تفسير العياشي قيل للصادق عليه السلام
فداك ان الناس يزعمون ان الدنيا عمرها سبعة الاف قال ليس كما يقولون ان الله خلق لها
خمسين الف عام فتركها قاعا قفرا خاوية عشرة الاف عام ثم بدا لله بداء فخلق فيها خلقا ليس
من الجن ولا من الملائكة ولا من الانس وقدر لهم عشرة الاف عام فلما قربت آجالهم افسدوا فيها
فدمر الله عليهم تدميرا ثم تركها قاعا قفرا خاوية عشرة الاف عام ثم خلق فيها الجن وقدر لهم
عشرة الاف عام فلما قربت آجالهم افسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء كما سفكت بنو الجان فاهلكهم الله ثم بدا لله فخلق آدم وقدر له عشرة
الاف عام ومائتان وانتم في آخر الزمان وفي الجامع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان موسى
سأل ربه ان يعرفه بدء الدنيا منذ كم خلقت فاوحى الله الى موسى عليه السلام تسألني عن غوامض علمي فقال
يا رب احببت ان اعلم ذلك فقال يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة الف الف عام عشر مرات فكانت خرابا خمسين
الف عام ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين الف عام ثم خلقت فيها خلقا على مثال البقر يأكلون رزقي
ويعبدون غيري خمسين الف عام ثم امتهم في ساعة واحدة ثم خربت الدنيا خمسين الف عام ثم بدأت
في عمارتها فمكثت عامرة خمسين الف عام ثم خلقت فيها بحرا فمكث البحر خمسين الف عام فجاء من الدنيا
شرب ثم خلقت دابة وسلطتها على ذلك البحر فشربه بنفس واحد ثم خلقت خلقا اصغر من الزنبور
واكبر من البق فسلطت ذلك الخلق على هذه الدابة فلدغها وقتلها فمكثت الدنيا خرابا خمسين الف عام

ثم ربت في عمارتها فمكثت حين الف عام ثم جعلت الدنيا كلها آجام القصب وخلقت السلاحف وسلطتها
عليها فاكلتها حتى لم يبق منها شيء ثم اهلكتها في ساعة واحدة فمكثت الدنيا خرابا حين الف عام ثم ربيت
في عمارتها فمكثت عامرة حين الف عام ثم خلقت الف الف ادم وبين ادم الى ادم الف الف سنة
فافنيتهم كلهم بقضائي وقدري ثم خلقت فيها حين الف الف مدينة من الفضة البيضاء وخلقت في كل
مدينة مائة الف الف قصر من الذهب الاحمر فملأت المدن خردلا الى ان سد الهواء والخردل يومئذ
الذ من الشهد واحلى من العسل وابيض من الثلج ثم خلقت طيرا واحدا اعمى وجعلت طعامه في كل
الف سنة حبة من الخردل اكلها حتى فنيت ثم خربتها فمكثت خرابا حين الف عام ثم ربيت في عمارتها
فمكثت عامرة حين الف عام ثم خلقت اباك ادم بيدي يوم الجمعة وقت الظهر ولم اخلق من الطين
غيره واخرجت من صلبه محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي كتاب زيد النرسي عن الصادق
عليه السلام اذا امات الله اهل الارض لبث مثل ما كان الخلق ومثل ما اماتهم واضعاف ذلك ثم امات
اهل السماء الدنيا ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما امات اهل الارض والسماء الدنيا واضعاف ذلك
ثم امات اهل السماء الثانية ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما امات اهل الارض والسماء الدنيا
والسماء الثانية واضعاف ذلك ثم امات اهل السماء الثالثة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل
ما امات اهل الارض والسماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة واضعاف ذلك ثم امات
اهل السماء الرابعة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما امات اهل الارض واهل السماء الدنيا و
السماء الثانية والسماء الثالثة والسماء الرابعة واضعاف ذلك ثم امات اهل السماء الخامسة ثم لبث
مثل ما خلق الخلق ومثل ما امات اهل الارض واهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة
والسماء الرابعة والسماء الخامسة واضعاف ذلك ثم امات اهل السماء السادسة ثم لبث مثل ما
خلق الخلق ومثل ما امات اهل الارض واهل السماء الدنيا والثانية والرابعة والثالثة والخامسة
والسادسة واضعاف ذلك ثم امات اهل السماء السابعة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما
امات اهل الارض واهل السموات الى السماء السابعة واضعاف ذلك ثم امات ميكائيل ثم لبث
مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف ذلك ثم امات جبرئيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق و
مثل ذلك كله واضعاف ذلك كله ثم امات اسرافيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله واضعاف

ذلك

ذلك ثم امات ملك الموت قال ثم يقول تبارك وتعالى لمن الملك اليوم فيرد على نفسه لله الواحد القهار ثم
اين الجبارون اين الذين ادعوا معي الها اين المتكبرون ونحو هذا ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك
كله واضعاف ذلك ثم يبعث الخلق وينفخ في الصور قال الراوي ان هذا الامر كائن طولت ذلك
فقال ارأيت ما كان قبل ان يخلق الخلق اطول او ذا قلت ذا قال فهل علمت به قلت لا قال
فكذلك هذا واذ فرغنا من بيان طرف مما يتعلق بعالم الملكوت فآن حين ان ناتي بشرح جملة
مما يرتبط بعالم الملك فنقول اولا ان العالم الجسماني قبة منضدة من احدى عشرة قبة متلاصقة
متماسة اعلاها الاطلس الخالي عن النقوش ثم المزين بالثوابت ثم السموات السبع للكواكب السبعة
السيارة ثم قبة النار والهواء ثم قبة الماء والارض وكلما بعد عن المركز ويقرب من المحيط يصير
الطف واشرف حتى ينتهي الى العرش الذي هو واسطة بين العالم الجسماني والعالم الروحاني
وكل واحد من الافلاك والعناصر نوع براسه لا يماثله غيره في حقيقته ولما كانت القبتان
الاوليان يعبر عنهما في الشرع الشريف بالعرش والكرسي وقد ذكرنا فيما تقدم جملة من احوالهما
فعلينا الآن ان ناتي اولا بشرح ما يتعلق بسائر القباب ثم نورد احوال ما يتولد منها من
المعادن والنبات والحيوان

الباب التاسع في شرح السموات و كواكبها

في الدر المنثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما بين السماء والارض مسيرة
خمسمائة عام وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء التي تليها مسيرة خمسمائة عام
كذلك الى السماء السابعة والارضون مثل ذلك وما بين السابعة الى العرش مثل جميع ذلك وعنه
صلى الله عليه وآله وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السماء
والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق
ذلك العرش بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض وفي تفسير العياشي عن الرضا عليه السلام ان
هذه ارض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية
فوقها قبة وهكذا الى ان قال والسماء السابعة قبة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء
السابعة وهو قول الله تعالى الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فكانه عليه السلام
جعل كل سماء ارضا بالاضافة الى ما فوقها وسماء بالنسبة الى ما تحتها ويكون العدد باعتبار

السماء م

فوق الارض السابعة م

فقد سطحها وفي كتاب الخصال عن الصادق عليه السلام سئل عن السموات السبع فقال سبع سموات ليس منها
سماء الا وفيها خلق وبينها وبين الاخرى خلق حتى ينتهي الى السابعة وفي النهج عن امير المؤمنين
عليه السلام انه قال في خطبته فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا
سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن
بالربوبية واذعانهن بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا
للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف
فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد
الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر وفي العلل عنه عليه السلام سئل عن
الطارق قال هو احسن نجم في السماء وليس يعرفه الناس وانما سمي الطارق لانه يطرق نوره
سماء سماء الى سبع سموات ثم يطرق راجعا حتى يرجع الى مكانه وفي الكافي عن الصادق عليه السلام
قال ان الله خلق نجما في الفلك السابع فخلقه من ماء بارد وسائر النجوم الستة الجاريات
من ماء حار وهو نجم الانبياء والاوصياء وهو نجم امير المؤمنين عليه السلام يامر بالخروج من الدنيا
والزهد فيها ويامر بافتراش التراب وتوسد اللبن ولباس الخشن واكل الجشب وما خلق الله
نجما اقرب الى الله تعالى منه قيل هذا الكلام من الانوار الساطعة من معدن الولاية واهل بيت النبوة
سلام الله عليهم وهو مطابق لما يراه المنجمون من نحوسة زحل وذلك لان نظرهم مقصور على
النشأة الفانية والدنيا والآخرة ضرتان فافهم واغتنم وفي الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام
سئل عن المجرة التي تكون في السماء قال هي شرج السماء وامان لاهل الارض من الغرق و
منه اغرق الله قوم نوح بماء منهمر وفي تفسير القمي عنه عليه السلام هذه النجوم التي في السماء مدائن
مثل المدائن التي في الارض مربوطة كل مدينة الى عمود من نور طول ذلك العمود في السماء مسيرة
مائتين وخمسين سنة وعن الباقر عليه السلام البروج الكواكب والبروج التي للربيع والصيف الحمل و
الثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة وبروج الخريف والشتاء الميزان والعقرب و
القوس والجدي والدلو والحوت وهي اثنا عشر برجا وفي التوحيد عن ابي ذر الغفاري رحمه الله
قال كنت اخذا بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتماشى جميعا فما زلنا ننظر الى الشمس

الخشن م

حتى

حتى غابت فقلت يا رسول الله اين تغيب قال في السماء ثم ترفع من سماء الى سماء حتى ترفع الى السماء
السابعة العليا حتى تكون تحت العرش فتخر ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ثم تقول يا
رب من اين تأمرني ان اطلع امن مغربي ام من مطلعي فذلك قوله عز وجل والشمس تجري لمستقر
لها ذلك تقدير العزيز العليم يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه قال فيأتيها جبرئيل بحلة
ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف او قصره في الشتاء او ما بين
ذلك في الخريف والربيع قال فتلبس تلك الحلة كما يلبس احدكم ثيابه ثم تنطلق بها في جو السماء حتى
تطلع من مطلعها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكاني بها قد حبست مقدار ثلث ليال
ثم لا تكسى ضوءا وتؤمر ان تطلع من مغربها فذلك قوله عز وجل اذا الشمس كورت واذا
النجوم انكدرت والقمر كذلك من مطلعه ومجراه من افق السماء ومغربه وارتفاعه الى السماء السابعة
ويسجد تحت العرش ثم يأتيه جبرئيل بالحلة من نور الكرسي فذلك قوله عز وجل جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وفي الكافي عن امير المؤمنين عليه السلام ان للشمس ثلثمائة وستين برجا كل برج
منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزل كل يوم على برج منها فاذا غابت انتهت الى حد بطنان
العرش فلم تزل ساجدة الى الغد ثم ترد الى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها وان وجهها
لاهل السماء وقفاها لاهل الارض ولو كان وجهها لاهل الارض لاحرقت الارض ومن عليها من
شدة حرها ومعنى سجودها ما قال سبحانه او لم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في
الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وعن الباقر عليه السلام
قيل له لاي شيء صارت الشمس اشد حرارة من القمر فقال ان الله خلق الشمس من نور النار و
صفو الماء طبقا من هذا وطبقا من هذا حتى اذا كانت سبعة اطباق البسها لباسا من نار فمن ثم
صارت اشد حرارة من القمر قيل والقمر فقال ان الله تعالى ذكره خلق القمر من ضوء نور النار وصفو
الماء طبقا من هذا وطبقا من هذا حتى اذا كانت سبعة اطباق البسها لباسا من ماء
فمن ثم صار القمر ابرد من الشمس وعن السجاد عليه السلام قال ان من الآيات التي قدرها الله
للناس مما يحتاجون اليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والارض وان الله قد قدر منه مجاري
الشمس والقمر والنجوم والكواكب ثم قدر ذلك كله على الفلك ثم وكل بالفلك ملكا ومعه سبعون

الف ملك ثم يديرون الفلك فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه فنزلت في منازلها
التي قدرها الله فيها ليومها وليلتها فاذا كثرت ذنوب العباد واراد الله تعالى ان يستعتبهم بآية
من آياته امر الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك الذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم و
الكواكب فيأمر الملك اولئك السبعين الف ملك ان يزيلوا الفلك عن مجاريه فيزيلونه فتصير
الشمس في ذلك البحر الذي يجري الفلك فيه فيطمس ضوؤها ويتغير لونها فاذا اراد الله ان يعظم
الآية طمس الشمس في البحر على ما يحب الله ان يخوف خلقه بالآية قال وذلك عند انكساف الشمس
وكذلك يفعل بالقمر فاذا اراد الله ان يجليها ويردها الى مجراها امر الملك الموكل بالفلك ان يرد
الشمس الى مجراها فيرد الملك الفلك الى مجراه فتخرج من الماء وهي كدرة والقمر مثل ذلك ثم قال
السجاد عليه السلام اما انه لا يفزع لهما ولا يرهب بهاتين الآيتين الا من كان من شيعتنا فاذا كان كذلك
فافزعوا الى الله تعالى ثم ارجعوا اليه وفي الفقيه عن الباقر عليه السلام سئل عن ركود الشمس فقال للسائل
ما اصغر جثتك واعضل مسألتك وانك لاهل الجواب ان الشمس اذا طلعت جذبها سبعون
الف ملك بعد ان اخذ بكل شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب ودافع
حتى اذا بلغت الجو وجازت الكو قلبها ملك النور ظهرا لبطن فصار ما يلي الارض الى السماء وبلغ
شعاعها تخوم الارض (العرش خ) فعند ذلك نادت الملائكة سبحان الله ولا اله الا الله والحمد لله الذي لم يتخذ
صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا فقيل له
احافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس فقال نعم حافظ عليه كما تحافظ على عينيك فاذا زالت
الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبحون في فلك الجو الى ان تغيب وسئل الصادق عليه السلام
عن الشمس كيف تركد كل يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود قال لان الله عز وجل جعل يوم الجمعة
اضيق الايام فقيل له ولم جعله اضيق الايام قال لانه لا يعذب المشركين في ذلك اليوم لحرمته عنده
وفي القصص عن الباقر عليه السلام ان موسى سأل ربه ان يعلمه زوال الشمس فوكل الله بها ملكا فقال يا
موسى قد زالت الشمس فقال موسى متى فقال حين اخبرتك وقد سارت خمسمائة عام وفي العيون
سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور قال لما خلقهما الله
عز وجل اطاعا ولم يعصيا شيئا فامر الله عز وجل جبرئيل ان يمحو ضوء القمر فمحاه فاثر المحو في القمر خطوطا

سودا

سودا ولولا ان القمر كان على حاله بمنزلة الشمس لم يمح ولولا ذلك لما عرف الليل من النهار ولا النهار
من الليل ولا علم الصائم كم يصوم ولا عرف الناس عدد السنين وذلك قول الله عز وجل و
جعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم و
لتعلموا عدد السنين والحساب وفي الدر المنثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لعيسى
عليه السلام خلق الليل لثلث خصال وخلق النهار لسبع خصال فمن مضى عليه الليل والنهار وهو
في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيمة فخصماه خلق الليل لتسكن فيه العروق
الفاترة التي اتعبتها في نهارك وتستغفر لذنبك الذي كسبته بالنهار ثم لا تعود فيه وتقنت
فيه قنوت الصابرين فثلث تنام وثلث تقوم وثلث تضرع الى ربك فهذا ما خلق له الليل
وخلق النهار لتؤدي فيه الصلوة المفروضة التي عنها تسأل وبها تخاطب وتبر والديك
وان تضرب في الارض تبتغي المعيشة معيشة يومك وان تعودوا فيه وليا كيما يتغمدكم الله
برحمته وان تشيعوا فيه جنازة كيما تنقلبوا مغفورا لكم وان تأمروا بمعروف وان تنهوا
عن منكر فهو ذروة الايمان وقوام الدين وان تجاهدوا في سبيل الله تراحموا ابرهيم خليل
الرحمن في قبته ومن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل و
النهار يوم القيمة فخصماه عند مليك مقتدر وفي الصحيفة السجادية وكان من دعائه عليه السلام
اذا نظر الى الهلال ايها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في
فلك التدبير آمنت بمن نور بك الظلم واوضح بك البهم وجعلك آية من آيات ملكه و
علامة من علامات سلطانه وامتهنك بالزيادة والنقصان والطلوع والافول والانارة
والكسوف في كل ذلك انت له مطيع والى ارادته سريع سبحانه ما اعجب ما دبر في امرك
والطف ما صنع في شأنك جعلك مفتاح شهر حادث لامر حادث الى آخر الدعاء وفيه الحمد لله
الذي خلق الليل والنهار بقوته وميز بينهما بقدرته وجعل لكل واحد منهما حدا محدودا وامدا
ممدودا يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به
وينشئهم عليه فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب وجعله لباسا
ليلبسوا من راحته ومنامه فيكون ذلك لهم جماما وقوة ولينالوا به لذة وشهوة وخلق لهم

النهار ليبتغوا من فضله وليتسببوا الى رزقه ويسيحوا في ارضه طلبا لما فيه من نيل العاجل من
دنياهم ودرك الاجل في اخرتهم بكل ذلك مما يصلح شانهم ويبلوا اخبارهم وينظر كيفهم في اوقات
طاعته ومنازل فروضه ومواقع احكامه ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
اللهم فلك الحمد على ما فلقت لنا من الاصباح ومتعتنا به من ضوء النهار وبصرتنا من مطالب
الاقوات ووقيتنا من طوارق الافات الدعاء وفي توحيد المفضل قال الصادق عليه السلام
فكر يا مفضل في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فان هذا اللون اشد الالوان
موافقة للبصر وتقوية حتى ان من صفات الاطباء لمن اصابه شيء اضر ببصره ادمان النظر الى
الخضرة وما قرب منها الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع في اجانة خضراء
او مملوة ماء فانظر كيف جعل الله جل وتعالى اديم السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد ليمسك
الابصار المتقلبة عليه فلا ينكا فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي ادركه الناس بالفكر
والروية والتجارب يوجد مفروغا منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون
قاتلهم الله انى يؤفكون فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتي النهار والليل فلولا
طلوعها لبطل امر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا مظلمة
عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه والارب في طلوعها ظاهر مستغن
بظهوره عن الاطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل تامل المنفعة في غروبها فلولا غروبها لم يكن
للناس هدو ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدو والراحة لسكون ابدانهم وجموم حواسهم و
انبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من
مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في ابدانهم فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل
لظلمته عليهم لم يكن لهم هدو ولا قرار حرصا على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الارض ستحمى
بدوام الشمس بضيائها وتحمي كل ما عليها من حيوان ونبات فقدرها الله بحكمته وتدبيره تطلع
وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج يرفع لاهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك
ليهدؤا ويقروا فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و
قوامه ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة وما في

ذلك

الحرارة ظ

ذلك من التدبير والمصلحة ففي الشتاء تعود الواردة في الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار ويستكثف
الهواء فينشؤ منه السحاب والمطر وتشتد ابدان الحيوان وتقوى وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في
الشتاء فيطلع النبات وتنور الاشجار ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج
الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض فتهيا للبناء والاعمال وفي الخريف يصفو الهواء فيه
الى مصالح اخرى لو تقصيت لذكرها ويرتفع الامراض وتصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض
الاعمال لطوله ويطيب الهواء فيه الى مصالح اخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام فكر الان في
تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لاقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي يصح به
الازمنة الاربعة من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف ويستوفيها على التمام وفي هذا المقدار
من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي الى غاياتها ثم تعود فيستانف النشو والنمو الا
ترى ان السنة مقدار مسير الشمس من الحمل الى الحمل فبالسنة واخواتها يكال الزمان من لدن خلق
الله تعالى العالم الى كل وقت وعصر من غابر الايام وبها يحسب الناس الاعمار والاوقات
الموقتة للديون والاجارات والمعاملات وغير ذلك من امورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم
حساب الزمان على الصحة انظر الى شروقها على العالم كيف دبر ان يكون فانها لو كانت تبزغ في
موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها الى كثير من الجهات لان الجبال و
الجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في اول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب
ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في اول النهار
فلا يبقى موضع من المواضع الا اخذ بقسطه من المنفعة منها والارب التي قدرت له ولو تخلفت
مقدار عام او بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء افلا ترى
كيف كفت الناس هذه الامور الجليلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصارت تجري على مجاريها
لا تعتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه استدل بالقمر ففيه دلالة
جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لان دوره لا يستوفي
الازمنة الاربعة ونشو الثمار وتصرمها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور
الشمس وسنيها وصار الشهر من شهور القمر يتنقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف فكر في

انارته في ظلمة الليل والارض في ذلك فانه مع الحاجة الى الظلمة لهدو الحيوان وبرد الهوا على النبات
لم يكن صلاح في ان يكون الليل ظلمة داجية لا ضيا فيها فلا يمكن فيه شي من العمل لانه ربما احتاج
الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في بعض الاعمال في النهار او لشدة الحر وافراطه فيعمل
في ضو القمر اعمالا شتى كحرث الارض وضرب اللبن وقطع الخشب وما اشبه ذلك فجعل ضو
القمر معونة للناس على معايشهم اذا احتاجوا الى ذلك وانسا للسائرين وجعل طلوعه في بعض
الليل دون بعض ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط الناس في العمل انبساطهم
بالنهار ويمتنعوا من الهدو والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة في مهله ومحاقه و
زيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم
ما يعتبر به المعتبرون فكر يا مفضل في النجوم واختلاف سيرها فبعضها لا يفارق مراكزها من الفلك
ولا تسير الا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في سيرها فكل واحد منها يسير
سيرين مختلفين احدهما عام مع الفلك نحو المغرب والاخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي
تدور على الرحا فالرحا تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في ذلك تتحرك حركتين
مختلفتين احديهما بنفسها فتتوجه امامها والاخرى مستكرهة مع الرحا تجذبها الى خلفها فاسال
الزاعمين ان النجوم صارت على ما هي عليه بالاهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها ان يكون كلها
راتبة او يكون كلها منتقلة فان الاهمال معنى واحد فكيف صار ياتي بحركتين مختلفتين على وزن
وتقدير ففي هذا بيان ان سير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير و
ليس باهمال كما يزعم المعطلة فان قال قائل ولم صار بعض النجوم راتبا وبعضها منتقلا قلنا
انه لو كانت راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كل برج
من البروج كما قد يستدل على اشيا مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو
كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لانه انما يوقف بمسير المنتقلة
بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الارض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان
تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المارب فيها ولساغ لقائل ان يقول ان كينونتها
على حال واحدة يوجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك

من المارب والمصلحة ابين دليل على العمد والتدبير فيها فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في
بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل فانها لو كانت باسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد
منها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم الان بما يكون من
~~طلوع الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل فانها لو كانت باسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد~~
~~منها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم الان بما يكون من~~
طلوع الثريا والجوزاء اذا طلعت واحتجابها اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير
الوقت الاخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وكما جعلت الثريا واشباهها
يظهر حينا ويحتجب حينا لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب لضرب اخر
من المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وذلك
انها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون اليها متى ارادوا ان يهتدوا بها الى حيث شاؤوا وصار الامران
جميعا على اختلافهما موجهين نحو الارب والمصلحة وفيها مارب اخرى علامات ودلالات
على اوقات كثيرة من الاعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر واشيا مما يحدث في
الازمنة من الامطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار
الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السما مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من
العبر فانها تسير اسرع السير واحثه ارايت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا
سرعة سيرها بكنه ما هي عليه الم تكن ستخطف الابصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث احيانا
من البروق اذا توالت واضطرمت في الجو وكذلك ايضا لو ان اناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح
تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت ابصارهم حتى يخروا لوجوههم فانظر كيف قدر ان يكون سيرها في
البعد البعيد لكيلا تضر في الابصار وتنكا فيها وباسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة
في سيرها وجعل فيها جزءا يسيرا من الضوء ليسد مسد الاضواء اذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة
اذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافي في جوف الليل فان لم يكن
شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع ان يبرح مكانه فتامل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين
جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة اليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمارب التي وصفنا فكر في

هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه يدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن
لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الازمان الاربعة من التنبيه على الارض وما عليها من اصناف
الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت وخصصت لك انفا وهل يخفى على ذي لب ان هذا
تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم فان قال قايل ان هذا شيء اتفق ان يكون هكذا فما
منعه ان يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فترى كل شيء من آلته
مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وما
ترى الناس كانوا قايلين له لو سمعوه منه افينكر ان يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة
قطعة من الارض انه كان بلا صانع ومقدر ويقدر ان يقول في هذا الدولاب الاعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها
اذهان البشر لصلاح جميع الارض وما عليها انه شيء اتفق ان يكون بلا صنعة ولا تقدير لو اعتل هذا
الفلك كما تعتل الالات التي تتخذ للصناعات وغيرها اي شيء كان عند الناس من الحيلة في اصلاحه
فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل
واحد منهما اذا امتد الى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك افرايت لو كان النهار يكون مقداره مائة
ساعة الم يكن في ذلك بوار كل ما في الارض من حيوان ونبات اما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر
طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ولا الانسان كان يفتر عن
العمل والحركة وكان ذلك سينهكها اجمع ويؤديها الى التلف واما النبات فكان يطول عليه حر النهار
ووهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق اصناف
الحيوانات عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات
حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على النبات اذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس اعتبر بهذا
الحر والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف في الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة
هذه الازمنة الاربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الابدان التي عليها بقاؤها و
فيهما صلاحها وانه لولا الحر والبرد وتداولهما الابدان لفسدت واخوت وانتكثت فكر في دخول
احدهما على الاخر بهذا التدريج والترسل فانك ترى احدهما ينقص شيئا بعد شيء والاخر يزيد
مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول احدهما على الاخر

مفاجاة لاضر ذلك بالابدان واسقمها كما ان احدكم لو خرج من حمام حار الى موضع البرودة لضره ذلك
واسقم بدنه فلم جعل الله عز وجل هذا الترسل في الحر والبرد الا للسلامة من ضرر المفاجاة ولم جرى الامر
على ما فيه السلامة من ضرر المفاجاة لولا التدبير في ذلك فان زعم زاعم ان هذا الترسل في دخول الحر
والبرد انما يكون لابطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في ابطاء مسير الشمس
في ارتفاعها وانحطاطها فان اعتل في الابطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك
فلا تزال هذه المسألة ترقى معه الى حيث رقي من هذا القول حتى استقر على العمد والتدبير لولا
الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة ولولا البرد لما
كان الزرع يفرخ ويريع الريع الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الارض للبذر افلا ترى ما في
الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الابدان ويمضها وفي
ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على انه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه وفي الجامع سئل
عليه السلام عن اثبات الصانع فقال البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير وآثار القدم تدل
على الحمير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان
على اللطيف الخبير وقال عليه السلام بصنع الله يستدل عليه وبالعقول يعتقد معرفته وبالتفكر
تثبت حجته معروف بالدلالات مشهور بالبينات وفي الاحتجاج عن الباقر عليه السلام في قوله
تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال من لم يدله خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار ودوران الفلك بالشمس والقمر والآيات العجيبات على ان وراء ذلك امرا هو
اعظم منه فهو في الاخرة اعمى قال فهو عما لم يعاين اعمى واضل سبيلا وفي المجالس عن امير المؤمنين
عليه السلام قال الطريق الى معرفة الله صنايعه الباهرة للعقول الدالة ذوي الاعتبار فما هو منها
مشهود ومعقول **وصل** وقال بعض العلماء اما ترفع راسك الى السماء وتنظر
في هوائها وفي تزيينها بزينة الكواكب وفي تعدد عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها وكيفية اشكالها
المرتسمة من اجتماعها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وسيما في شمسها وقمرها اللذين جعلها
الله سبحانه ضياء ونورا وجعل اعظمها سراجا وهاجا وصيرها رئيس السماء واهل الصنائع
فاعل النهار والليل بالحضور والغيبة وجاعل الفصول الاربعة بالذهاب والاوبة بامر الله

سبحانه وطاعته قرة عين الدنيا وهادي سبل العقبى وما ازداد على الكواكب بمجرد المقدار والقدر
بل بالشدة فان ما يرى من الكواكب بالليل مقدار مجموعها اكبر من الشمس على الايقاس ولا
يغني ضوؤها فسبحان من صورها ونورها وفي عشق جماله دورها وفي الحسن المحرق في جمال
باريها للعبر عنها في القرآن المجيد بالخنس الجوار الكنس وعن اعلادها بالطارق وما ادريك ما
الطارق النجم الثاقب ثم في اختلاف مشارقها ومغاربها ودورها في الحركة على الدوام من غير فتور
في حركتها ولا تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا تزيد ولا تنقص
الى ان يطويها الله عز وجل طي السجل للكتب وانظر الى عناية الله وجوده ورحمته في كيفية خلق
السموات والارض وحركاتها واوضاعها حيث جعلها كما ترى وكما ينبغي فانها لو كانت كلها
ثابتة لا تصلح اجزاؤها مواد الكائنات ولم يكن محل سكن للحيوانات كما اشار اليه بقوله سبحانه
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا
تبصرون ولو كانت بالكلية عرية عن النور لبقي ما دون الفلك في ظلمة شديدة وليل مظلم
لا اوحش منه كما نبه عليه بقوله عز وجل قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من
اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولو ثبتت انوار السموات او لازمت دايرة واحدة
لاثرت بافراطها فيما يقابلها وتفريطها فيما وراء ذلك ولو لم يكن لها حركة سريعة لفعلت ما يفعله
السكون واللزوم ولو لم يجعل الانوار الكوكب ذات حركتين سريعة مشتركة وبطيئة مختصة ولم يجعل
دواير الحركات البطيئة مائلة عن دائرة الحركة السريعة لما مالت الى النواحي شمالا وجنوبا ولولا
ان حركة الشمس على هذا المنوال من تخالف سمتها لسمت الحركة السريعة لما حصلت الفصول
الاربعة التي بها نظام الكون والفساد وتصلح امزجة البقاع والبلاد ولما كان القمر نائبا عن الشمس
خليفة لها في التسخين والتحليل اذا كان بقرب البدر جعل مجراه يخالف مجراها فالشمس تكون
في الشتاء جنوبية والقمر شماليا للبلاد فيفقد السيئات وفي الصيف بعكس ذلك لئلا يجتمع المسخنان
ولما كانت الشمس خالية الحركة صيفا جنوبيها شتاء جعل اوجها في الشمال وحضيضها في الجنوب
لينجبر قرب الميل ببعد المسافة لئلا يشتد الاضاءة والتنوير ويكسر بعدها بقربها لئلا يضعف

التنو

القوة المتحيرة عن التأثير وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها واقتصد على الجملة
انه ما من كوكب الا ولله فيه حكمة كثيرة في خلقه ومقداره وشكله ولونه ووضعه في السماء وقربه من
وسط السماء وبعده عنه وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده عنها وقس ذلك باعضاء بدنك وامر السماء
الناس لعظم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وانتم اشد خلقا
ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها
بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء وحتى التفاوت التي بينهما في كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت
في الكمية ان اكبر الارض واتساع اطرافها بحيث لا يقدر الادمي على ان يدور بجوانبها وقد اتفق الناظرون
على ان الشمس مثل الارض مائة وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب
التي نراها اصغرها مثل الارض ثماني مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل
الارض وبهذا يعرف ارتفاعها وبعدها فللبعد صارت ترى صغارا والى بعدها اشار سبحانه
بقوله رفع سمكها وفي الخبر ان بين كل سماء الى اخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار
كوكب واحد فانظر الى كثرة الكواكب ثم الى السماء التي هي مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى
سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا عن سرعتها لكن لا تشك انه في لحظة يسير مقدار
عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير وهو مثل الارض مائة مرة
وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل
عنه وانظر كيف عبر جبرئيل عليه السلام عن سرعة حركتها اذ قال له النبي صلى الله عليه وآله
هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت
الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها وخفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم
كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها ولا تنظر الى عظم السماء وكثرة
كواكبها بل انظر الى باريها كيف خلقها امنة من الخلل والفساد وامسكها من غير عمد ترونها ومن
غير علاقة من فوقها ثم جعلها موضع العرش ومعبد الملائكة المسبحين المهللين فانها
بيت واحد من بيوت عبادة الله فيها خلايق كثيرون فمنهم سجود لا يركعون ومنهم ركوع لا ينتصبون
وسجود لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان وليس من

البيت ان يكون من الطين والخشب ولا يشترط ان يكون المسجد جسمانيا بل كل ما يقوم فيه عبادة
الحق الاول وتسبيحه وتقديسه فهو مما يصدق المسجد حقيقة والعجب ممن ينظر الى بيت قوى الله عليه بنيانه
بقدرته وانفرد بعمارته وزينه بزينة تصاويره ناسيا ربه بسبب نسيان نفسه مشتغلا
ببطنه وفرجه ليس له هم الا شهوته او حشمته غافلا عن بيت الله وعن الملئكة الذين
هم سكان سمواته ولا يعرف من السماء الا بقدر ما تعرف النملة من سقف بيته وما صنع الصانع
فيه ولا يعرف من ملائكة السموات الا ما تعرف النملة من سكان البيت وايضا هذا العالم
كله كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها
بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه وسقفه وهوائه
وعجائب امتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث به ولا تلتفت بقلبك اليه او لم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها
رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وهم عن آياتها معرضون وبنينا فوقكم سبعا شدادا اشارة الى صلابتها وحفظها عن التغير الى
ان يبلغ الكتاب اجله وهذا بخلاف الارضيات فانها تتغير على القرب ولهذا عظم الله امر السموات
والنجوم واقسم بها في غير موضع من كتابه واحال الارزاق اليها وفي السماء رزقكم وما توعدون
يعني الجنة وجعلها مصعد الكلم الطيب والعمل الصالح وجعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في
مختلف فجاج الاقطار فسبحان الله بديع السموات والارض ما اعظم ما نرى من خلقك وما
اصغر عظيمه في جنب قدرتك **وصل** وعن بعض العلماء واما منافع السماء فان الله زينها
بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس وجعل الشمس
سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح
محفوظ وبالقلم ن والقلم وما يسطرون وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا
وخلقها مشتملا على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء و
الارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء
ومحل الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو

المستدير

المستدير وجعل نجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وفيض الشمس
طلوعها ويسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبها يصلح معه الهدوء والقرار في
الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا
الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة وافضت الى جمود الحرارة الغريزية وانكسار
سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة
السراج يوضع لاهل البيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور و
الظلمة مع تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الارض واما ارتفاع الشمس وانحطاطها
فقد جعله الله تعالى سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات
فيتولد منه مواد الثمار ويتكثف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوانات
بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في
الشتاء ويطلع النبات ويورق الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول
الابدان ويجف وجه الارض ويتهيا للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فتدرك
الثمار وتستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين
والحساب وتضبط المواقيت الشرعية ومنه تحصل النماء والرواء وقد جعل الله في طلوعه وفي
غيبته مصلحة ويحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر وقال
ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا
اسأله لك فان اهديت الي سرورا فقد اهدى الله اليك نورا وانشد في ذلك وقال
الجاحظ اذا تاملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف
والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه
وضروب النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة
على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية والاخبار
في حقيقة علم النجوم والآثار المترتبة عليها كثيرة ليس هنا موضع ذكرها **وصل** قال
اخوان الصفا قدس الله اسرارهم في رسالة علم الكواكب ملائكة الله وملوك سمواته خلقهم الله لعمارة

عالمه وتدبير خلائقه وهم خلفاء الله في افلاكه كما ان ملوك الارض خلفاء الله في ارضه وملكهم
بلاده ليسوسوا عباده ويحفظوا شرائع انبيائه ولا يعرف كيفية تأثير هذه الكواكب وافعالها في
الكائنات الا الراسخون في العلم ثم قالوا انما مثال الشمس في الفلك كالملك في الارض والكواكب
كالجنود والرعايا لها والافلاك كالاقاليم والبروج كالبلدان والدرجات كالمدن والدقائق
كالقرى وكما ان دار الملك في وسط المدينة ومدينته في اوسط البلدان صار مركز الشمس
في وسط فلكها وفلكها في اوسط الافلاك لان جملة العالم احدى عشرة كرة فكان خمس منها
من وراء فلكها وخمس دونها واعلم انه ينبث من جرم الشمس قوة روحانية تسري في جميع
العالم من الافلاك والاركان والمولدات بها يكون صلاح العالم وتمام وجوده وكما ان القابلة
كما ينبث من القلب الحرارة الغريزية في الجسد وبها يكون حيوته ويسميها الفلاسفة روحانيات
الشمس والناموس ملكا ذا جنود واعوان منهم ميكائيل وكما ينبث من المريخ روحانية
تسري في العالم بها يكون النهوض نحو المطالب والترقي في المعالي والبلوغ الى الكمال كما ينبث
القوة الصفراوية المميزة للاخلاط الموصلة لها الى مواضعها من المرارة وبها اثارة الغضب
والحمية ويسميها الفلاسفة روحانيات المريخ والناموس ملكا ذا جنود واسرافيل ومالك
وخزنة جهنم منهم وكما ينبث من المشتري روحانية تسري في العالم وبها اعتدال الطبايع المتضادة
وتاليف القوى المتنافرة وتوالد الكائنات ونظام جميع الموجودات كما ينبث من الكبد رطوبة
الجسد وبها اعتداله ونشوه وطيب الحيوة وائتلاف النفوس ويسميها الفلاسفة روحانيات
المشتري والناموس ملكا ذا جنود ومنهم رضوان خازن الجنان وكما ينبث من زحل روحانية
تسري في تمام العالم بها يكون تماسك الصورة في الهيولى وثباتها كما ينبث الخلط السوداوي من
الطحال في الجسد وبها تماسك اجزائه ويسميها الفلاسفة روحانيات زحل والناموس ملكا
ذا جنود وملك الموت ومنكر ونكير منهم وكذلك ينبث من الزهرة روحانية تسري في العالم وبها
زينة العالم وحسن ورونق الموجودات والشوق اليها والمودات كما ينبث من المعدة شهوة الملاذ
الى مجاري الحواس وبها استلذاذ المشتهيات وارادة البقاء في الدنيا وتمني الوصول الى المعشوق
ويسميها الفلاسفة روحانيات الزهرة والناموس ملكا ذا اعوان منها الحور العين وخزان

الجنان

الجنان وكما ينبث من عطارد روحانية تسري في العالم بها يكون الاحساس والادراك للعلوم و
المعارف كما ينبث من الدماغ القوة الوهمية وتوابعها وبها يكون الشعور والاحساس والعلوم
ويسميها الفلاسفة روحانيات عطارد والناموس ملكا ذا جنود منهم الولدان الذين هم
خدام اهل الجنان والكرام البررة والكرام الكاتبون وكما ينبث من القمر روحانية تسري في
العالم يكون بها النفس الموجود في الافلاك في اخر الشهور وفي الاركان في اوله وهي القوة
المتوسطة بين عالم الافلاك معدن البقاء والدوام وعالم الاركان معدن الكون والفساد
كما ينبث من الريه التنفس تارة باستنشاق الهواء من خارج لحفظ الحرارة الغريزية واخرى
بارساله الى الخارج لترويحه ويسميها الفلاسفة روحانيات القمر والناموس ملكا ذا جنود و
اعوان وجبرئيل منهم وبها تنزل الملئكة من السماء بالوحي والبركات وتصعد اليها باعمال بني
ادم وبها تعرج الارواح والمعقبات منهم وهكذا ينبث من كل كوكب من الثوابت قوة روحانية
تسري في العالم من اعلى الفلك الاطلس الى منتهى مركز الارض وبها حفظ صور اجناس الموجودات
وثبات سكان السموات والارضين وصلاح العالم وقوام وجوده باذن الباري جل جلاله
واليها اشار بقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر وحملة العرش منهم
واما الملئكة الذين سجدوا لادم ابي البشر فهم الذين في الارض خلفاء لهؤلاء الذين في الافلاك
وهي نفوس سائر الحيوانات المسخرة لادم وذريته الى يوم القيمة **وصل** اعلم ان الافلاك
الكلية تسعة يسمى الاعلى منها وهو الاطلس الذي هو غير مكوكب في الشرع بالعرش والذي
تحته وهو فلك البروج بالكرسي والبواقي بالسموات السبع المشار اليها بقوله تعالى خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن وقوله خلق سبع سموات طباقا وهي الكواكب السبعة
السيارة المسماة على الترتيب النزولي بزحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد
والقمر وكل واحد منها مركوز في موضع معين من فلكه دائما وانما يتحرك بحركة فلكه تبعا حركة
بالعرض لا كحركة السمك في الماء كما ثبت بالبرهان في محله وقد ورد النص على ذلك في الاخبار
فعن السجاد عليه السلام انه قال في حديث له ثم وكل بالفلك ملكا ومعه سبعون الف ملك
فهم يديرون الفلك فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه فنزلت في منازلها

التي قدرها الشمس فيها ليومها والليلها الحديث والطبق الطبيعيون على ان الافلاك باجمعها حية
بالحيوة الذاتية لها نفوس ناطقة قاهرة عليها تدبرها وتحركها عاشقة مطيعة لمبدعها و
خالقها واكثرهم على ان غرضها من حركاتها تحصيل التشبه بجنابه المقرب البرجل شانه وبعضهم
على ان حركاتها لورود الشوارق المقدسة عليها انا فانا فهي من قبيل هزة الطرق والرقص
الحاصل من شدة السرور والفرح وذهب بعضهم الى انه لا ميت في شيء من الكواكب حتى
المبتز الكل واحد منها نفسا على حدة تحركه حركة مستديرة على نفسه ومما يؤكد كونها احياء
ان المانع من قبول الفيض الذي يكون للاجسام الفساد والتفاسد والكثافة الطبيعية
الحاصلة من البعد عن الاعتدال وثبت ان الاجسام البسيطة المتضادة الطبايع اذا تركبت
واعتدلت ازدادت في قبول الفيض والحيوة بقدر الاعتدال والتوسط في المتضادات فما
ظنك باجرام كريمة صافية دورية الحركات دائمة الاشواق يترشح من حركاتها البركات و
الخيرات على ما دونها فكل جرم سماوي فهو حيوان مطيع لله جل وعز متصرف في نظام الكون
بالتدبير متحلي بعقل وسلم ومرتبته باتقان صور الاشياء واحوالها في لوح نفسه ورقيم
ذهنه وكتاب عقله ومما يؤيد ذلك قوله تعالى كل في فلك يسبحون حيث انه بالواو والنون
وقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وما في الصحيفة السجادية في دعاء الهلال ايها
الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير ثم ان الافلاك
كلها كروية الاشكال صحيحة الاستدارة محدبا ومقعرا كاملة تامة كما هو اللايق بالجوهر الجسماني
هي بالفعل في جميع ما هو ممكن لها الا امر واحد وهو الوضع اذ لا يمكن ان يكون على
وضعين في حالة واحدة ولو لم يكن لها هذا القدر بالقوة لم يكن احساما ولما لم يمكن جميع
الاوضاع بالفعل دفعة قصدت استدامتها بطريق التعاقب ليكون نوع الاوضاع دائما
لها بالفعل فلها من الاشكال افضلها واوفقها بالطبع وامتنها بالذات واحوطها لما يحويه كما
اشير بقوله تعالى هل ترى من فطور وبقوله ما لها من فروج ولها من الهيئات افضلها
وهي الصلابة والشفيف ومن الكيفيات المتضادة الجمع بينها من حيث لا تضاد فيها فان
فيها جميع ما في عالم الكون والفساد مما تدركه الحواس على نحو اشرف والطف واما الازرقة

الى

والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون و احكمها في القوام من اصوبها من الثبات كما اشير اليه بقوله م

التي يظن انها لون السماء انما هي في كرة البخار مستضيئة دائما باشعة الكواكب وما وراءها الهكذا لان كرة البخار م
قبول الضوء كالمظلم بالنسبة اليها وهذا اللون المتوسط بين الضوء والظلام وهو اللون
اللازوردي اشد الالوان مناسبة وتقوية للابصار فظهوره عناية من الله تعالى للناظرين المتفكرين
في خلق السموات والارض ليكون لهم لذة وقوة في الابصار في النظر فيكون لمعتبرهم لذة
وقوة عقلية من التامل فيها ولله الحمد على نعمائه وله الشكر على الائه **وصل** اعلم ان اصحاب الهيئة
قالوا بعد مقعر فلك القمر عن مركز العالم احد واربعون الفا وستمائة وستة وثلثون فرسخا
وبعد محدبه الذي هو مماس لمقعر فلك عطارد خمسة وثمانون الف فرسخ وسبعمائة فرسخ
وثلثة فراسخ وبعد مقعر فلك الزهرة مائتان وخمسة وسبعون الف فرسخ وثلثمائة وثمانون
فرسخا وبعد مقعر فلك الشمس الف الف فرسخ وثمانمائة وثمانون واربعون الف فرسخ وثمانمائة
وخمسة وثمانون فرسخا وستمائة واثنان وسبعون فرسخا وبعد مقعر فلك زحل ثلثة وعشرون
الف الف فرسخ وستمائة وواحد وتسعون الف فرسخ ومائتان وخمسة عشر فرسخا وبعد مقعر فلك
الثوابت ثلثة وثلثون الف الف فرسخ وخمسمائة الف وتسعة الاف فرسخ ومائة وثمانية وثمانون
فرسخا وبعد مقعر فلك الاعلى ثلثة وثلثون الف الف فرسخ واربعة وعشرون الف فرسخ وستمائة
وستة فراسخ وبعد محدب الفلك الاعلى لا يعلم احد الا الرب تبارك وتعالى اوحى اليهم وذكروا
ان قطر القمر سبعمائة وواحد وثلثون فرسخا وجرمه سدس سبع جرم الارض وقيل جزء من سبعة
وثلثين جزءا منها وقطر عطارد مائتان وتسعة فراسخ وجرمه جزء من اثنى عشر الف جزء وسبعمائة
تسعة وستين جزءا من جرم الارض وقطر الزهرة ستمائة فرسخ وخمسة وستين فرسخا وجرمه
ثلث تسع جرم الارض وقيل جزء من سبعة وثلثين جزءا من الارض وقطر الشمس سبعة عشر الف
فرسخ وخمسمائة وثمانية وستون فرسخا وجرمه ثلثمائة وثمانية وعشرون ضعف جرم الارض وقيل مائة
وستة وستون ضعفا وفي توحيد المفضل عن الصادق عليه السلام قال اصحاب الهندسة هي اضعاف
الارض مائة وسبعين مرة وقطر المريخ ثلثة الاف فرسخ وسبعمائة وخمسة وتسعون فرسخا وجرمه
ثلثة اضعاف جرم الارض وقيل مثل الارض ونصفها وقطر المشتري اربعة عشر الف فرسخ وخمسمائة
وستة وتسعون فرسخا وجرمه مائة وثمانون وثمانون ضعفا من الارض وقيل اثنان وثمانون ضعفا

خمسون

وربما منها وقطر زحل اربعة عشر الف فرسخ واربعمائة وخمسة وثلثون فرسخا وجرمه مائة واثنان و
ثمانون ضعفا من الارض وقيل سبع وسبعون ضعفا والكواكب الغير المرصودة لا يعلم عددها الا الله
تعالى وجل علمه والمرصود منها الف واثنان وعشرون كوكبا اعظمها على ما ذكره بعضهم مائة
وتسعون ضعفا للارض وسدسها واصغرها عشرة اضعاف وثلث من الارض وعلى ما ذكره اخرون
اعظمها مائتان واثنان وعشرون ضعفا من الارض واصغرها ثلثة وعشرون ضعفا منها ورتبوا اقدارها
المختلفة في ست مراتب ينقص كل مرتبة عن صاحبتها في القدر بسدس فاوسطها اعظمها ومنها خمسة
عشر كوكبا وفي الثانية خمسة واربعون وفي الثالثة مائتان وثمانية وفي الرابعة اربعمائة واربعة و
سبعون وفي الخامسة مائتان وسبعة عشر وفي السادسة تسعة واربعون واربعة عشر خارج عن
المراتب تسعة منها تسمى مظلمة وخمسة سحابية كانها قطعة غيم وقد زاد المتأخرون تسعة صغيرة لم ترصد في التعريف هذه
الكواكب صور الكواكب التي عليها او فيما بينها او بقربها والصور ثمانية واربعون احدى وعشرون في
الشمال واثنا عشر على المنطقة وهي صور البروج المشهورة وخمسة عشر في الجنوب وقال بعضهم بسير
الفلك الاعظم بمقدار ما يقول احد واحد الفا وسبعمائة واثنين وثلثين فرسخا من مقعره والله تعالى
يعلم ما يسير من محدبه وهو اسرع الحركات وحركته من المشرق الى المغرب تتم في يوم بليلة دورا والمغرب
وقطباه يسميان بقطبي العالم ومنطقته تسمى معدل النهار وهي تقطع العالم بنصفين شمالي وجنوبي
والصفائح والموازية المرتسمة من تحرك النقاط عن جنبيها تسمى بالمدارات اليومية وسائر الحركات التي
للكواكب من المغرب الى المشرق على توالي البروج وابطاؤها حركة فلك الثوابت وبواسطته جميع الممثلات
ويقطع في كل خمسة وعشرين الفا ومائة سنة دورا ويقطع في كل سنة عشرة ثوان ومع ذلك لا ترى
حركتها في قريب من خمسين سنة بل في مثل تلك المدة كانها ساكنة وقطباه يسميان بقطبي البروج و
منطقته منطقة البروج وفلك البروج وهي تقطع المعدل على نقطتين يسميان بالاعتدالين الربيعي
والخريفي وابعد اجزائها عنه بالانقلابين الصيفي والشتوي وغاية هذين البعدين من الجانبين الاقرب
يسمى بالميل الكلي وهو بالرصد الجديد ثلثة وعشرون جزءا وثلثون دقيقة وتنقسم منطقة البروج بهذه
النقاط الاربع ارباعا قطع الشمس لكل منها اصل الفصول الاربعة ولذا وايضا كالاوائل التي تسمى
بمبادي الفصول وتوجد في كل ربع من تلك الارباع نقطتين تنقسم بها بثلثة اقسام متساوية فحصل البروج

الاث

الاثناعشر الحمل والثور والجوزاء ربيعية والسرطان والاسد والسنبلة صيفية والميزان والعقرب
والقوس خريفية والجدي والدلو والحوت شتوية فيحصل الحركة الخاصة للشمس في هذه البروج
الفصول الاربعة في كل سنة والقمر يقطع تلك البروج في سبعة وعشرين يوما وليلة وثلث تقريبا والعطارد
والزهرة يقطعانها في سنة تقريبا والمريخ يقطعها في سنة وعشرة اشهر وواحد وعشرين يوما وليلة
واثنتين وعشرين ساعة وخمسين دقيقة والمشتري يقطعها في احدى عشرة سنة وشهرين وثلثة
عشر يوما وليلة واحدى عشرة ساعة وتسع دقايق وقيل في اثنتي عشرة سنة تقريبا وزحل يقطعها
في ثلثين سنة ويقال الشمس والقمر النيران وزحل والمشتري العلويان وعطارد والزهرة السفليان
والمشتري والزهرة السعدان وزحل والمريخ النحسان قران القدماء قالوا لكل واحد من افلاك
الكواكب السبعة يشتمل على افلاك اخر جزئية مفروزة عن كلها متحركة بحركة اخرى غير حركة الكل و
ذلك لانه يعرض لها في حركاتها السرعة والبطؤ والتوسط بينهما وكذا الوقوف والرجوع والاستقامة
الى غير ذلك من الاختلافات فاثبتوا الفلك الشمس فلكا اخر مسامتا للارض مركزه خارج عن
مركز العالم مايلا الى جانب من الفلك الكلي لها بحيث يماس محدبه بسطحه السطح الاعلى من الفلك
الكلي على نقطة مشتركة بينهما يسمى الاوج ومقعره بسطحه السطح الادنى منه على نقطة مشتركة تسمى
الحضيض فيحصل بسبب ذلك متممان مختلفا الثخن الغاية في ضعف ما بين المركزين احدهما
حاو للفلك الخارج المركز والاخر محوي فرقة الحاوي مما يلي الاوج وغلظه مما يلي الحضيض
ورقة المحوي وغلظه بالعكس يقال لكل منهما المتمم وجرم الشمس مركوز في ثخن الخارج عند منتصف
ما بين قطبيه مماس لسطحيه على نقطتين وافلاك كل من الكواكب العلوية والزهرة كفلك الا ان
لها تداوير مركوزة في خوارجها كارتكاز الشمس وهي فيها يماس سطح كل سطح تدويره على نقطة وكذلك
فلك القمر الا ان له فلكا اخر مركزه مركز العالم محيطا بالكل يسمى بالجوزهر واما عطارد فمركز فلكه الذي
في ثخن الخارج غير مركز العالم ويسمى بالمدير ومحوي في ثخن فلكه الكلي الذي مركزه مركز العالم كالخارج
في ثخن على الرسم المذكور فله خارجان واوجان وحضيضان واربعة متممات ويسمى الافلاك
الكلية بالممثلات لمماثلتها منطقة البروج في المركز والحركة والمنطقة والقطبين وتسمى الخوارج المراكز
كلها سوى الممثل بالحوامل ويسمى البعد الابعد في التداوير بالذروة والاقرب بالحضيض وصل

لزحل

قال بعض المحققين قد ثبت ان للافلاك نفوسا ناطقة ذوات ادراكات كلية وان لها في حركاتها
مرادا عقليا وثبت ايضا ان لكل متحرك فله عشق الى الغاية وفيه ميل وشوق الى تحصيل ما هو اعلى
وارفع منه فكمال النفس انما يتحقق بصيرورتها جوهرا عقليا او اتحادها منه فينبغي ان يكون تصوراتها
تصورا امر شريف من باب الجواهر العقلية او ما هو اعلى منها فالحاصل في نفوس السموات في كل
حين امر صوري جوهري وبما انما افاضات متتاليات متواردة عليها مما هو فوقها او تجليات و
انكشافات لها منه رجوعات واتصالات لهذه النفوس بما فوقها وما لها يجب ان يكون ذلك
المطلوب بما يمكن ان ينال الشي منه في كل حين متلاحقا تدريجيا يتبع الحركة الموصلة الى المطلوب
المتدرج متلاحقا تدريجيا فيكون تصور الجمال سبب العشق والعشق سبب الطلب اي الارادة
والطلب سبب الحركة والحركة سبب حصول المطلوب فالمطلوب في الجميع على الوجه الاشمل الاتم ذات
واحدة الهية ولهذا اشتركت في مطلق الحركة الدورية والطلب المطلق الكلي هو الذي ادارها
وبسم الله مجريها ومرسيها ولكل واحد معشوق عقلي متوسط يخصها او مبدا نفسي مباشر تحريكها
ولهذا اختلفت الحركات والجهات فيكون النفوس هي الملكة العلمية المحركة بطريق المزاولة والفعل
كتحريك الروح للبدن وما فوقها هي الملكة العلمية المحركة بطريق العشق والشوق كتحريك المعلم
للمتعلم من غير التفات وتغير لها لبراءتها عن علائق المواد والاجسام وفي هاتين الصفتين رب
الارباب جل جلاله فللافلاك في كل شوق وحركة كمال ولها عقيب كل كمال شوق آخر وحركة
اخرى فيكون لها في كل ان من الانات وصول الى المفارق المحض ورجوع الى العالم الاعلى وافاضة
من ذلك العالم اليها صورة اخرى وهكذا تتوالى الاشراقات وتتوالى الاتصالات وتتوالى الافاضات
وتتصاعد الكلمات الطيبات فتنتهي كمالات لها بعث وخلق جديد ولها في جميع الدهر حدوث واحد
من الله وحشر واحد اليه وحدة جمعية كما قال سبحانه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة و
اليه يرجع الامر كله وما وصفنا من احوال الافلاك انما كان وصفها من حيث نفوسها وعقولها و
ما كان لها بالنسبة الى النشأة الاخرة الباقية واما وصفها من حيث اجسامها وابدانها وما كان
لها بالاضافة الى هذه النشأة الفانية فهو ما ذكره بعض اهل المعرفة في بيان خراب العالم وطي السموات
ما ملخصه ان محرك الفلك قادر حكيم مختار في فعله وكل حكيم مختار فله في فعله غرض فاذا بلغ الى الغرض

بما يتبع منه

قطع الفعل واسلك [illegible]
فاذا علم انه لا يبلغ الى
غرضه

ح

في فعله لا يهمل شيئا ولا يطلبه فينتج هذه المقدمات ان العالم سيخرب يوما ما لانه مع بلوغه الى الغرض
او علمه بانه لا يبلغ وجب الامساك والتسكين واذا علم انه سيبلغ فاذا بلغ قطع الفعل وامسك واذا
امسك محرك الافلاك عن تحريكها وقفت الافلاك عن الدوران ووقفت الكواكب عن السير في
البروج ووقفت مجاري الليل والنهار والشتاء والصيف وبطل ترتيب الزمان ووقف الكون و
الفساد في المولدات الثلثة وفي ذلك بطلان العالم وبوار الكل وقيام القيامة الكبرى وطي السموات والارض
وتبديلها وهذا لا محالة كائن وانما يكون طرفة عين كما قال عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

الباب العاشر في احوال العناصر

في توحيد المفضل قال
الصادق عليه السلم فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الاربعة ليتسع ما يحتاج اليه
منها فمن ذلك سعة هذه الارض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس و
مزارعهم ومراعيهم ومنابت اخشابهم واحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيم غناؤها ولعل
من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي مأوى هذه الوحوش و
محالها ومرعاها ثم فيها بعد متنفس ومضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال باوطانهم فكم
بيداء وكم فدفد حالت قصورا وجنانا بانتقال الناس اليها وحلولهم فيها ولولا سعة الارض وفسحتها
لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه اذا حزبه امر يضطره الى الانتقال عنه
ثم فكر في خلق هذه الارض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فيكون موطنا مستقرا للاشياء و
فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوئهم والاتقان لاعمالهم فانها
لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون ان يتقنوا البناء والتجارة والصياغة وما اشبه ذلك
بل كانوا لا يتهنون بالعيش والارض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة
مكثها حتى يصيروا الى ترك منازلهم والهرب عنها فان قال قائل فلم صارت هذه الارض تزلزل
قيل له ان الزلزلة وما اشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعووا وينزعوا عن المعاصي وكذلك
ما ينزل بهم من البلاء في ابدانهم واموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر
لهم ان صلحوا من الثواب والعوض في الاخرة ما لا يعدله شيء من امور الدنيا وربما عجل ذلك في

الدنيا اذ كان فى ذلك صلاحها العامة والخاصة ثم ان الارض فى طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة
وكذلك الحجارة وانما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس فى الحجارة افرأيت لو ان اليبس افرط على الارض
قليلا حتى تكون حجرا صلدا اكانت تنبت هذا النبات الذي به حيوة الحيوان وكان يمكن بها حرث
او بناء افلا ترى كيف نقصت من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة ولتتهيا
للاعتماد ومن تدبير الحكيم جل وعلا فى خلقة الارض ان مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب فلم جعل
الله عز وجل كذلك الا لتنحدر المياه على وجه الارض فتسقيها وترويها ثم تفيض آخر ذلك الى البحر فكما
يرفع احد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال ارفع من مهب
الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا ذلك لبقي الماء متحيرا على وجه الارض فكان يمنع الناس من اعمالها
ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لولا كثرته وتدفقه فى العيون والاودية والانهار لضاق عما
يحتاج الناس اليه لشربهم وشرب انعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم واشجارهم واصناف غلاتهم وشرب
ما يرده من الوحوش والطير والسباع ويتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع اخر انت بها عارف
وعن عظم موقعها غافل فانه سوى الامر الجليل المعروف من غنائه فى احياء جميع ما على الارض
من الحيوان والنبات يمزج بالاشربة فتلين وتطيب لشاربها وبه تنظف الابدان والامتعة من
الدرن الذي يغشاها وبه يبل التراب فيصلح للاعتمال وبه يكف عادية النار اذا اضطرمت واشرف
الناس على المكروه وبه يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من نصبه الى اشباه هذا من المآرب التي تعرف
عظم موقعها فى وقت الحاجة اليها فان شككت فى منفعة هذا الماء الكثير المتراكم فى البحار وقلت
ما الارب فيه فاعلم انه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من اصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ
والياقوت والعنبر واصناف شتى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب
من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب الانسان ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل
ما يجلب من الصين الى العراق ومن العراق الى العراق فان هذه التجارات لو لم يكن لها محمل الا على
الظهر لبارت وبقيت فى بلدانها وايدي اهلها لان اجر حملها كان يجاوز اثمانها فلا يتعرض احد
لحملها وكان يجتمع فى ذلك امران احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها والآخر انقطاع معاش
من يحملها ويتعيش بفضلها وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الانام من الدخان

والبخار

والبخار التي يتحير فيه ويعجز عما يحول الى السحاب والضباب اولا اولا وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية والنار
ايضا كذلك فانها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولم يكن بد من ظهورها
فى الاحايين لغنائها فى كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة فى الاجسام تلتمس عند الحاجة اليها و
تمسك بالمادة والحطب ما احتيج الى بقائها لئلا تخبو فلا هي تمسك بالمادة والحطب فتعظم المؤونة
فى ذلك ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كل ما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع
بمنافعها والسلامة من ضررها ثم فيها خلة اخرى وهي انها مما خص به الانسان دون جميع
الحيوان لما له فيها من المصلحة فانه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر فى معاشه فاما
البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما قدر الله عز وجل ان يكون هذا هكذا خلق للانسان
كفا واصابع مهياة لقدح النار واستعمالها ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها اعينت بالصبر
على الجفاء والخلل فى المعاش لكيلا ينالها فى فقد النار ما ينال الانسان وانبئك من منافع
النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون به حوائجهم ما
شاؤوا من ليلهم ولولا هذه الخلة لكان الناس تصرف اعمارهم بمنزلة من فى القبور فمن كان يستطيع
ان يكتب او يحفظ او ينسج فى ظلمة الليل وكيف كانت حال من عرض له وجع فى وقت من اوقات
الليل فاحتاج ان يعالج ضمادا او سفوفا او شيئا يستشفي به فاما منافعها فى نضج الاطعمة ودفاء
الابدان وتجفيف اشياء وتحليل اشياء واشباه ذلك فاكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى وفي
الاحتجاج عنه عليه السلام انه قال للزنديق الذي ساله عن ساكن الريح لو حبست ايام لفسدت
الاشياء جميعا وساله عن جوهر الريح فقال الريح هواء اذا تحرك سمي ريحا فاذا سكن سمي هواء
وبه قوام الدنيا ولو كفت الريح ثلثة ايام لفسد كل شيء على وجه الارض ونتن وذلك ان الريح
بمنزلة المروحة تذب وتدفع الفساد عن كل شيء وتطيبه فهي بمنزلة الروح اذا خرج عن
البدن نتن البدن وتغير فتبارك الله احسن الخالقين وفي توحيد المفضل عنه عليه السلام
قال انبهك يا مفضل عن الريح وما فيها الست ترى ركودها اذا ركدت كيف يحدث
الكرب الذي يكاد ان ياتي على النفوس ويمرض الاصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن
البقول ويعقب الوباء فى الابدان والآفة فى الغلات ففي هذا بيان ان هبوب الريح من تدبير

الحكيم في صلاح الخلق وانبئك عن الهواء بخلة اخرى فان الصوت اثر يؤثره اصطكاك الاجسام في
الهواء والهواء يؤديه الى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض
ليلهم ولو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان
يكربهم ويفدحهم وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه في تجديد
القراطيس لان ما يلفظ من الكلام اكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا
خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل ابدا بلا انقطاع
وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح فانه حيوة هذه الابدان و
الممسك لها من داخل بما تستنشق منه ومن خارج بما تباشر من روحه وفيه تطرد هذه الاصوات
فتؤدي بها من البعد البعيد وهو الحامل لهذه الاراييح ينقلها من موضع الى موضع الا ترى كيف
تاتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان
على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الاجسام وتزجي السحاب من موضع
الى موضع ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن و
ترخي الاطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجفف الاشياء الندية وبالجملة انها تحيي كل ما في الارض
فلولا الريح لذوي النبات ومات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت وفي الكافي عن الباقر عليه السلام
سئل عن الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور وقيل ان الناس يذكرون ان الشمال
من الجنة والجنوب من النار فقال ان لله جنودا من رياح يعذب بها من يشاء ممن عصاه ولكل
ريح منها ملك موكل بها فاذا اراد الله ان يعذب قوما بنوع من العذاب اوحى الى الملك الموكل
بذلك النوع من الريح التي يريد ان يعذبهم بها فيامرها الملك فتهيج كما يهيج الاسد المغضب ولكل
ريح منهن اسم اما تسمع قوله تعالى كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
في يوم نحس مستمر وقال تعالى الريح العقيم وقال ريح فيها عذاب اليم وقال فاصابها اعصار فيه نار
فاحترقت وما ذكر من الرياح التي يعذب الله بها من عصاه قال ولله تعالى رياح رحمة لواقح و
غير ذلك ينشرها بين يدي رحمته منها ما يهيج السحاب للمطر ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء
والارض ورياح تعصر السحاب فتمطر باذن الله ومنها رياح مما عد الله في الكتاب فاما الرياح

الاربع

الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فانما هي اسماء الملائكة الموكلين بها فاذا اراد الله ان يهب شمالا
امر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت
ريح الشمال حيث يريد الله من البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث جنوبا امر الملك الذي اسمه الجنوب
فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الجنوب في البحر والبر حيث
يريد الله واذا اراد الله ان يبعث الصبا امر الملك الذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام
على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت ريح الصبا حيث يريد الله تعالى في البر والبحر واذا اراد
الله ان يبعث دبورا امر الملك الذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي
فضرب بجناحه فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر ثم قال عليه السلام اما تسمع
لقوله ريح الشمال وريح الجنوب وريح الدبور وريح الصبا انما تضاف الى الملائكة الموكلين بها
اقول الشمال الريح التي تهب من ناحية القطب والجنوب ما تهب من مقابلها والصبا ما يهب من
موضع مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار والدبور ما يهب من مقابلها وفي الفقيه عن
الصادق عليه السلام نعم الريح الجنوب تكسر البرد عن المساكين وتلقح الشجر وتسيل الاودية وفي العلل عن
وهب ان الريح العقيم تحت هذه الارض التي نحن عليها قد زمت بسبعين الف زمام من حديد قد
وكل بكل زمام سبعون الف ملك فلما سلطها الله عز وجل على عاد استاذنت خزنة الريح ربها عز وجل
ان تخرج منها في مثل منخر الثور ولو اذن الله عز وجل لها ما تركت شيئا على ظهر الارض الا احرقته
فاوحى الله عز وجل الى خزنة الريح ان اخرجوا منها مثل ثقب الخاتم فاهلكوا بها وبها ينسف الله عز و
جل الجبال نسفا والتلال والاكام والمدائن والقصور يوم القيمة وذلك قوله عز وجل ويسئلونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا والقاع الذي
لا نبات فيه والصفصف الذي لا عوج فيه والامت المرتفع وانما سميت العقيم لانها تلقحت بالعذاب
وتعقمت عن الرحمة كتعقم الرجل اذا كان عقيما لا يولد له وفي النوادر عن النبي صلى الله عليه وآله
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وما هاجت الجنوب الا اسح الله بها غيثا وارسل بها واديا
وفي المجمع عن الباقر عليه السلام ان لله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل لو فتح لاذرت ما بين السماء و
الارض ما ارسل على قوم عاد الا قدر الخاتم وقال بعض العلماء ومن آياته سبحانه الهواء

اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى بالعين
وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء وسابحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر
في الماء وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء
جعله ريحا هابة جعلها بشرا بين يدي الرحمة كما قال وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء
الى الحيوانات والنبات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف
الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء
فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته
مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله عز وجل السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا
تغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء ولا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة
فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف كالذي يقع في البئر فيتعلق
بذيل رجل قوي يمتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهواء القوي على
ان تمتنع عن الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل من هواء لطيف من غير
علاقة تشاهد وعقدة تشد **وصل** وفي العيون عن امير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل
شيء عليم قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لتعتبروا به وتتوصلوا به الى رضوانه
وتتوقوا به من عذاب نيرانه ثم استوى الى السماء اخذ في خلقها واتقانها فسويهن
سبع سموات وهو بكل شيء عليم ولعلمه بكل شيء علم المصالح فخلق لكم كل ما في الارض لمصالحكم
يا بني آدم وفي تفسير الامام في قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا قال جعلها ملائمة لطبايعكم
موافقة لاجسادكم لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرد فتجمدكم ولا شديدة طيب
الريح فتصدع هاماتكم ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ولا شديدة
الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وابنيتكم ودفن موتاكم ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به و
تتماسكون وتتماسك عليها ابدانكم وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من

منافعكم

كان شاء م

منافعكم فلذلك جعل الارض فراشا لكم وفي كتاب الجنة عن الصادق عليه السلام قال الارض سبع منهن
خمس فيهن خلق من خلق الرب واثنتان هواء ليس فيهما شيء وفي تفسير القمي عن امير المؤمنين
عليه السلام الارض مسيرة خمسمائة عام الخراب منها مسيرة اربعمائة عام والعمران منها مسيرة مائة عام
ومضى بيانها سابقا في الباب السابق وفي الدر المنثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ان الارضين بين كل ارض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى
طرفاه في السماء والحوت على الصخرة والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح فلما اراد الله ان
يهلك عادا امر خازن الريح ان يرسل عليهم ريحا تهلك عادا فقال يا رب ارسل عليهم من
الريح قدر منخر الثور فقال له الجبار اذن تكفئ الارض ومن عليها ولكن ارسل عليهم
بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم والثالثة
فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم قيل يا رسول الله للنار كبريت قال نعم والذي نفسي
بيده ان فيها لاودية من كبريت لو ارسل فيها الجبال الرواسي لماعت والخامسة فيها حيات
جهنم ان افواهها كالاودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم والسادسة فيها عقارب
جهنم ان ادنى عقرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة ينسيه ضربها حر جهنم والسابعة
فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد يد امامه ويد خلفه فاذا اراد الله ان يطلقه لما يشاء
اطلقه وقال بعض العلماء ومن آياته سبحانه ان خلق الارض مهادا وسلك فيها سبلا
وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها
وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض
فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
وقال الذي جعل لكم الارض فراشا واكثر في كتابه ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر
للاحياء وبطنها للاموات ولذلك قال تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا هذا خلق الله
فاروني ماذا خلق الذين من دونه وقال بعضهم ومما من الله به على عباده في خلق الارض
ان لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها
وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها وتاتى حفر الآبار واجراء الانهار ومنها انه لم يخلق في

نبات اللطافة والشفيف لتستقر الانوار عليها وتسخن بها فيمكن جوارها ومنها انكشاف بارزة
بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها ولهذا سبب انكشاف
ما برز منها وهو قريب من ربعها ومنها ان خلق حجمها بقدر الاستدارة بل خلقه في المادة بانه كرة واحدة
يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للشرقيين على طلوعها وغروبها
للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين
في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب ويتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين
الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة سيترون في ذلك راكب البر وراكب البحر وهذه الجبال
وان شمخت لا تخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها
ومنها الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم
تفاصيلها الا موجدها ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب
اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض ذات
الصدع ومنها جذبها الماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض
ومنها العيون والانهار العظام التي فيها والارض مددناها ومنها انها طابع الكرم و
السماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة ومنها حيوتها وموتها واية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها
من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة وانشاؤها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة و
اختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم كلوا
وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن
والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها
للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر
الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله فيها من المعادن الشريفة كالذهب
والفضة ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من

قعر

قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهواء وعجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم
فائدتهما راجع الى التثمين وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل
هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسنة من طلب المال
بالكيمياء افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف و
الحطب وما اشتد اليه الحاجة في الخبز والطبخ ولعل ما تركناه من المنافع اكثر مما عددناه فاذا
تأمل العاقل في هذه العجائب والغرائب اعترف بصانع حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع و
يبصر ويعتبر **وصل** اعلم ان الاجرام تنقسم الى بسيط ومركب ونعني بالبسيط ما له طبيعة
واحدة كالهواء والماء والافلاك وبالمركب الذي يجمع بين طبيعتين متخالفتين او اكثر باختلاف
قوى فيها كابدان الحيوانات والبسيط ينقسم الى ما له وجود كمالي وحيوة دائمة يمكن له مع
بساطته وهويته عبادة الحق وطاعته ومعرفته من غير اكتساب قوة اخرى يحتاج اليها في ذلك
والى ما ليس له ذلك من حيث هو هو لقصور جوهره وخسة صورته ولكن يتأتى منه التركيب
الموصل له الى ذلك بالفساد والكون فان الموجودات لم تخلق عبثا وهباء بل لان تكون عبادا
عابدين لله عز وجل شاهدين بوجوده ووحدانيته فالاجسام البسيطة صنفان صنف مختص
بصورة واحدة لا ضد لها فتكون حدوثه عن البارئ جل وعز على سبيل الابداع لا على سبيل
التكون من جسم اخر وله حيوة دائمة وسمي بالعلويات وصنف متهيئ لقبول صورة بعد
اخرى فتارة تتبدل هذه بالفعل وتلك بالقوة وتارة بالعكس وليس له حيوة بالذات وسمي
في لسان الشرع بالارضين وبلسان الحكماء العناصر الاربعة وهي النار والهواء والماء والارض
وشرح الصنف الاول مضى في الباب الماضي واما الصنف الاخر وهي السفليات فمعلوم لنا وجوده بالحس
مشاهدة الاجسام العنصرية القابلة للتركيب اما تركيبا غير تام معتد كما ركبنا الماء بالتراب
واما تركيبا تاما طبيعيا غير متأت الا بقدرة الله تعالى كالمعدن والنبات والحيوان وذلك لما
لم يتم الا بكيفيات فعلية وانفعالية لا بد لها من حرارة مبددة محللة وبرودة جامعة مسكنة و
رطوبة قابلة للتخليق والتشكيل ويبوسة حافظة لما يفيد من التقويم والتعديل فخلق الله
سبحانه بلطفه وجوده عناصر اربعة متضادة الاوصاف والكيفيات ساكنة بطبعها في اماكن

متخالفة بعضها فوق بعض بما يليق بطبايعها مرتبة ترتيبا متقنا متضمنا عجيبا حيث جعل كل اثنين منها ركنين
في كيفية واحدة فعلية وانفعالية متجاورين فجعل النار لكونها اخف من الكل مجاورة للسما لما
بينهما من مناسبة للطافة والضيا وجعل الارض لكونها عكس الكل في ثقلها واثقلها في غاية السفل
والبعد للمواضع من حركة الفلك لتكون سكنا للمركبات الحيوانية وجعل الماء مجاورا للارض
لكونه اشد مناسبة لها من جهة البرودة والكثافة وجعل الهواء مجاورا للنار لكونه اشد
مناسبة اياها من جهة التشفيف والحرارة والخفة ووضعت الارض في الوسط لئلا تحترق بتحريك
حركة الفلك ولم يجعل مجاور الفلك غير النار لئلا يشتعل بحركته ضمن النار فانظر
الى الحكمة ثم الى الرحمة تبهر لك ما لا يتقدر قدره فسبحانه ما اظهر برهانه ثم ان هذه الاربعة
اصول الكائنات واركان عالم الكون والفساد واسطقسات المركبات وعناصرها التي
منها التركيب واليها التحليل وانك اذا تتبعت جميع الاجسام التي عندنا وجدتها منتسبة بحسب
الغلبة الى واحد منها وهي ما لم تقبل الحيوة لعدم تعادلها لاجل تضادها ولهذا اذا تركبت و
اعتدلت قبلتها وكلها كروية الاشكال لبساطتها وطبقات هذه الاجرام السفلية سبع كما
حققه بعض المحققين وعلى ذلك نزل قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اولها
طبقة النار الصرفة وثانيها طبقة الهواء الصافي عن الدخان والبخار وثالثها طبقة الهوا
الذي يصل اليه الدخان ولم يصل اليه البخار ويكون من الطرف الاعلى منه النيازك وشبهها
وفي الطرف الادنى منه الشهب ورابعها طبقة الهواء الذي يصل اليه البخار ويبقى على برودته
الخاصة وهي الطبقة الزمهريرية التي تتكون فيها السحب والرعد والبرق والصواعق وخامسها
طبقة الهواء الكثيف المجاور للارض والماء وسادسها طبقة الماء وسابعها طبقة الارض واعلم
ان الارض كالنقطة عند ما فوق فلك الشمس سيما العرش والكرسي عن السجاد عليه السلام قال
ان الاشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة فلا قدر لها محسوسا واما بالاضافة الى ما تحت
فلك الشمس وما دونه فلها قدر محسوس قال اصحاب الهيئة ان مقدار محيط الدائرة العظمى
من الارض ثمانية الاف فرسخ وقطرها الفان وخمسمائة وخمسة واربعون فرسخا ونصف
فرسخ تقريبا ومضروب القطر في المحيط مساحة سطح الارض وهي عشرون الف الف وثلثمائة

وستون

وستون الف فرسخ وربع ذلك مساحة الربع المسكون من الارض واما القدر المعمور من الربع المسكون
وهو ما بين خط الاستواء والموضع الذي عرضه بقدر تمام الميل الكلي فمساحته ثلثة الاف الف و
سبعمائة وخمسة وستون الفا واربعمائة وعشرون فرسخا وهو قريب من سدس فرسخ جميع الارض و
سدس عشره والفرسخ ثلثة اميال بالاتفاق وكل ميل اربعة الاف ذراع عند المحدثين وثلثة الاف
عند القدماء وكل ذراع اربع وعشرون اصبعا عند المحدثين واثنان وثلثون عند القدماء وكل
اصبع بالاتفاق مقدار ست شعيرات معضودة تلصق بطون بعضها الى ظهور بعض من الشعيرات
المعتدلة وذكروا ان الارض ثلث طبقات الاولى الارض الصرفة المحيطة بالمركز الثانية الطبقة الطينية
وهي المجاورة للماء الثالثة الطبقة المنكشفة من الماء وهي التي تحتبس فيها الابخرة والادخنة و
تتولد منها المعادن والنباتات والحيوانات وزعموا ان البسائط كلها شفافة لا تحجب عن ابصار
ما وراءها ما عدا الكواكب وان الارض الصرفة المجاورة للمركز ايضا شفافة والطبقتان الاخريان
ليستا بسيطتين فهما كثيفتان فالارض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملونة كثيفة غبراء
لتقبل الضيا وخلق ما فوقها من العناصر مشفة لطيفة بالطباع لينفذ فيها ويصل الى
غيرها ساطع الشعاع فان الكواكب سيما الشمس والقمر اكثر تاثيرها في العالم السفلي بوسيلة
اشعتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة باذن الله تعالى وقالوا الارض في وسط السماء كالمركز
في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم **وصل** وقالوا ان الدائرة العظيمة التي
تحدث على سطح الارض اذا فرض سطح النهار قاطعا للعالم الجسماني هي خط الاستواء واذا
فرضت عظيمة اخرى على وجه الارض تمر بقطبيها انقسمت الارض بهما ارباعا احد القسمين
الشماليين هو الربع المسكون والباقية اما غامرة في البحار غير مسكونة واما غامرة غير
معلومة الاحوال وطول كل ربع بقدر نصف الدائرة العظيمة وعرضه بقدر ربعها وهذا الربع
المسكون ايضا ليس كله معمورا اذ بعضه في جانب الشمال لفرط البرد لا يمكن للحيوانات التعيش
فيه وهي المواضع التي يكون عرضها ازيد من تمام الميل الكلي وفي القدر المعمور ايضا بحار كثيرة بعضها
متصل بالمحيط وبعضها غير متصل وجبال واكام واحجار وبطائح ومفاوز وبراري لا تقبل العمارة و
وجدوا في جنوب خط الاستواء قبة الارض وقسموا المعمور من هذا الربع في جانب العرض بسبعة

اقاليم بدوابر موازية لخط الاستوا وطول كل اقليم ما بين الخافقين وعرضه بقدر تفاضل نصف ساعة
في النهار الاطول لان احوال اهل كل اقليم متشابهة متناسبة بحسب الحر والبرد والمزاج والالوان
والاخلاق فمبدا الاقليم الاول في العرض عند الاكثر مواضع يكون عرضها اثنا عشر درجة
وثلثا درجة ونهارهم الاطول اثنا عشرة ساعة ونصف وربع ولم يعدوا من خط الاستواء
الى هذه المواضع من المعمورة لقلة العمارة فيها وبعضهم يجعل مبدا الاقليم خط الاستوا لكن على
التقديرين لا خلاف في ان مبدا الاقليم الثاني حيث عرضه عشرون درجة ونصف ونهاره الاطول
ثلث عشرة ساعة وربع ومساحة سطح الاقليم الاول على ما ذكره البرجندي ستماية الف واثنان
وستون الف فرسخ واربعة واربعون فرسخا ونصف فرسخ والبلاد المشهورة الواقعة فيه لجزاير
وجند وصنعا وصعدة وصحار وسندان وكولم وعلاقة وقال بعضهم وهذا الاقليم
يبتدى في الطول من المشرق واراضي الصين ويمر هناك على انهار عظيم ثم يمر على سواحل
البحر الجنوبي وبعض ارض الصين وبعض البلاد الجنوبية من الهند والسند ثم على جزيرة كرك
التي واليها من قبل ملك اليمن ثم يمر على خليج فارس وجزيرة العرب واكثر بلاد اليمن كعلي و
حضرموت وصنعا وزبيد وعدن وشحر وقلهات وظفار وسبا ومدينة الطيب وصحار وقصبة
عمان ثم على الخليج الاحمر ودار ملك الحبشة وبلاد النوبة وعلى غاية معدن الذهب من بلاد
سودان المغرب ثم على بلاد بربر الى المحيط المغربي وعدد البلاد المشهورة الواقعة في هذا الاقليم
خمسون وفيه من الجبال والانهار العظيمة عشرون جبلا وثلثون نهرا ولون اكثر اهله السواد
ويزعمون ان هذا الاقليم منسوب الى زحل ومساحة سطح ما بين خط الاستوا والاقليم الاول
الف الف فرسخ ومائة وستة عشر الف فرسخ وسبعمائة وخمسة وثلثون فرسخا وسدس فرسخ
والبلاد المشهورة الواقعة فيها عدن وشام وحضرموت ورباط وسقوطرة وجزيرة سرانديب و
جزيرة كلاه وجزيرة كله وغانة وكوكو وسقاله وبربر وزغاوه من بلاد الزنج وهدر وزيلع كلاهما
من بلاد الحبشة ومساحة الاقليم الثاني خمسمائة الف واثنان وسبعون الف فرسخ وستة
وستون فرسخا وسدس فرسخ والبلاد المشهورة مكة ومدينة ضاعفهما الله شرفهما وجبال من بلاد
الشام وينبع وجحفة وصنعا وبطن مرو الطائف والعيد والفرع واليمامة والاحساء وقطيف

والبحرين

والبحرين والقفط وصعيد واسيوط واسوان واسنا وعيذاب وملطة من اقصى المغرب وسوس
اقصى وسجلماسة وديبل من بلاد السند ومكران وبيرون والمنصورة وصنم صومنات من
بلاد الهند وكنبايت وماهورة وقنوج وقال بعضهم هذا الاقليم مبداه في الطول من بلاد
الصين ويمر بمعظم بلاد الهند ومنها دهلي ثم يشمل الجبال من وقريه دبارم ويمر بمعظم بلاد
السند منها المنصورة ويصل الى عمان ويقطع جزيرة العرب من ارض نجد وتهامة ويمر
بالطايف ومكة شرفها الله ومدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويثرب وهجر وقطيف و
بحرين وهرموز من كرمان ويقطع القلزم ويصل الى صعيد مصر ويقطع النيل ويأخذ في
ارض المغرب ويمر باوساط بلاد افريقية ثم بلاد البربر ويصل الى المحيط والبلاد المشهورة الواقعة
في هذا الاقليم ايضا خمسون وفيه من الجبال عشرون ومن الانهار مثلها ولون عامة اهله
بين السواد والسمرة ويزعمون انه منسوب الى الشمس ومبدا الاقليم الثالث عرضه سبع و
عشرون درجة ونصف ونهاية طول الايام ثلث عشر ساعة وثلثة ارباع ساعة ومساحة سطحه
اربعمائة وستون الف فرسخ واحد وتسعون فرسخا وخمسا فرسخ والبلاد المشهورة فيه الاسكندرية
ومنفلوط من بلاد صعيد واكثر بلادها الواقعة على النيل ورشيد ودمياط من بلاد مصر و
قلزم على ساحل بحر اليمن وفسطاط من بلاد مصر وعين الشمس منها واسفى من اقصى المغرب وبلد
وفاس ومراكش ودرعه وسيله وتاهرت وقسطنطينة وسطيف كلها من بلاد المغرب وبنزرت
وتونس وقابس وقيروان ومهدية وصفاقس واطرابلس وقصر احمد كلها من بلاد افريقية
وغزة وعسقلان وقيسارية وقروان ورملة وبيت المقدس كلها من بلاد فلسطين ونابلس
وعكا وبيسان وصور وعمان وكرك وبيروت وصيدا واذرعات وبصرى ودمشق وصرخد
كلها من بلاد الشام وهيت والقادسية وحيرة والكوفة والانبار وبغداد وصرصر والمداين و
بابل ونعمانية ونهروان وقصر ابن هبيرة ونهر الملك كلها من بلاد العراق ونواحيها وواسط و
بصرة وابلة وعبادان وطيب وسوس وقرقوب وتستر وجبى وعسكر مكرم والاهواز و
دورق وارجان كلها من اعمال الاول من بلاد خوزستان وسيف البحر وجور وابرقوه و
كازرون ونوبندجان وفيروزاباد وشيراز والبيضاء واصطخر وفسا ودارابجرد كلها من بلاد فارس

جبال ه

٣

ونواحيها ويزد وباقته وبردسير وجيرفت وسيرجان وزرند وبم وهرموز كلها من بلاد كرمان و
زرنج وشروان وبست كلها من بلاد سجستان وملتان من بلاد السند ومعبر من بلاد الهند
وزيتون من بلاد الصين واصبهان واردستان وطبس وبيرزكوه وميمند وغزنة وكابل
وقال بعضهم هذا الاقليم يبتدئ من شرقي ارض الصين ودار ملكهم ويمر بوسط ملك
السند وقندهار وكشمير ويمر بملتان من ارض السند وبزابل وبست وسجستان وكيج
ويزد. وسير مدينة كرمان وخبيص ويزد وفارس واصبهان والاهواز وعسكر وكوفة وبصرة
وواسط وبغداد والمدائن واذا جاوز هذه البلاد يمر بديار ربيعة ومضر ودمشق وحمص
وبيت المقدس والصورية والطبرية والقيسارية وعسقلان والمدائن وياخذ طرفا من
ارض مصر فيه دمياط وفسطاط والاسكندرية ثم يمر ببلاد الافريقية وبلد قيروان والسوس
وطرابلس المغرب ثم يقابل البربر في ارض المغرب وبلاد طنجة وينتهي الى المحيط وعدد البلاد المشهورة
الواقعة فيه مائة وثمانية وعشرون وفيه من الجبال ثلثة وثلثون ومن الانهار اثنان و
عشرون ولون اكثر اهله السمرة ويزعمون انه منسوب الى عطارد واما الاقليم الرابع فعرض
اوله ثلث وثلثون درجة واربعون دقيقة واطول نهاره اربع عشرة ساعة وربع ومساحة
سطحه ثلثمائة الف وثمانية وسبعون الفا وثمانية وثلثون فرسخا وربع والبلاد المشهورة فيه
قصر عبد الكريم وطنجة وسبتة وتلمسان وبجاية من بلاد المغرب وبونه وقصر احمد من بلاد
افريقية واشبيلية وقرطبة ومالقة وغرناطة وبلنسية كلها من بلاد الشام ونواحيها وجزيرة
يابسة وجزيرة مايرقة فيها الحيوان محيطها تسعة اميال وجزيرة سردانية وجزيرة صقلية وجزيرة
وسامس وجزيرة رودس وجزيرة قبرس كل هذه الجزاير في بحر الروم وطرسوس واياس
وارم ومصيصة وبيروت وتل حمدون كلها من بلاد ارمن وطرابلس وبلنياس وبعلبك
وغزة وصيدا من بلاد الشام وصهيون وبغراس وحارم وحصن الاكراد والحمص وحماه وشيزر
ومرعش وحصن منصور ومنبج ومعرة وقنسرين وسمياط بعضها من اعمال حلب وحران
ورقة كلاهما من ديار مضر وماردين من ديار ربيعة وميافارقين من بلاد الجزيرة وقرقيسيا
وحيزان ونصيبين وجزيرة ابن عمر وسنجار من ديار ربيعة وتل اعفر وموصل والحديثة و

وبعضها من اعمال الشام وحلب

زفون

دقوقا واسعرد وعانة وسعرت وتكريت وسامرا ودسكرة وجلولا وخانقين وحلوان بعضها
من العراق وبعضها من الجزيرة ودلين من بلاد الهند وانطاليا من بلاد الروم وارزن
وبدليس وارجيش كلها من ارمينية وسلماس وخوي ومراغه وارجان واردبيل وميانج
وسرند وتبريز كلها من اذربيجان وموقان واربل وشهرزور وقصر شيرين وساوه و
قزوين وابهر وجرباذقان وقم وطالقان وقاسان والموت وكرخ اكثرها من بلاد الجبل
ولاهجان ورودبار وسالوس وتامل وارجان وامل وسارية كلها من بلاد طبرستان
وسمنان ودامغان وبسطام واسترآباد وابسكون وجرجان ودهستان وخسروجرد
وقصبة سبزوار واسفراين ونيسابور ونسا وطوس وموقان وابيورد وقهستان و
قاين وزوزن وخرجرد وبوزجان وسرخس وقوشنج وهراة وباذغيس ومالين
وشورغان واسفزار ومرو الروذ ومرو الشاهجان وفارياب وشهرستان وسمنجان
كلها من خراسان واعمالها وبدخشان وترمذ وختلان وخش وصغانيان واشروسنة
واشبيلية من بلاد المغرب ويقال انه بلد الحكماء يونان وقال بعض الافاضل هذا الاقليم
وسط الاقاليم ووسط معظم عمارة العالم ويبتدئ من شمال بلاد الصين ويمر ببلاد التبت
الداخلة وجرجير وختا وختن وجبال كشمير وبدخشان وصغانيان وكابل وغور
وطخارستان وغور وبلخ وترمذ وهراة ومرو الشاهجان ومرو الروذ وسرخس وجوزجان
وفارياب وغرجستان وباورد ونسا وسبزوار وطوس ونيسابور واسفراين وقهستان
وقومس وجرجان وطبرستان ودامغان وقم وامل وكاشان وسمنان وابهر وقزوين و
الديلم وساوة والموت وكرخ وكيلان ومازندران وساري وسمنان ودامغان و
استرآباد وبسطام ونهاوند ودينور وحلوان وشهرزور وزنجان وسلطانية واردبيل
والموصل وسامرة وارمينية ومراغه وتبريز وسنجار ونصيبين وسمياط وملطية وارزنجان
وراس العين وقاليقلا وسمياط وحلب وانطاكية وقنسرين وطرابلس الشام وحمص
وطرسوس وجزيرة قبرس ورودس ويمر بارض المغرب على بلاد افرنجة وطنجة وينتهي
الى المحيط على الزقاق بين الاندلس وبلاد المغرب وعدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان

واثنا عشر وفيه من الجبال خمسة وعشرون ومن الانهار اثنان وعشرون ولون عامة اهله بين
السمرة والبياض وهو منسوب الى المشتري على الاصح بزعمهم واما الاقليم الخامس فمبداؤه حيث
عرضه تسع وثلثون درجة وغاية طول نهاره اربع عشرة ساعة وثلث ارباع ساعة ومساحة سطحه
مائتا الف وتسع وستون الف فرسخ واربعمائة وثلثة وتسعون فرسخا وثلث اعشار فرسخ ومن
البلاد الواقعة فيه اشبونة وشنترين وبطليوس وماردة وطليطلة ومرسية ودانية ومدينة
سالم وسرقسطة وطرطوشة ولاردة وهيكل الزهرة واربونة وانقورية وعمورية واقشهر وقونية
وقيسارية واقسرا وملطية وسيواس وتوقات وارزن وارزنجان وموش وبلاد خرد و
اخلاط وشروان وشوى وبردعة وشكور وتفليس وسلقات وباب الابواب وكنجه وسلطانية
وقزاوه وكركنج وكات وزمخشر وهزاراسب ودرغان وطواويس وسكند وكرمينه و
نخشب وكش واربنجه واشتيخن وسمرقند وكشانية وشاش وبنكث وايلاق واسروشنه و
ساباط وخجند وشاوكث وتنكث واسكث وكاسان وفرغانه وقبا وختن وجيزه و
رومية الكبرى وما تقعو من اعمال قسطنطينية وقال بعض الافاضل يبتدئ هذا
الاقليم من اقصى بلاد الترك ويمر على مواضع الاتراك المشهورة الى حد كاشغر وختن وبه
للقدس وفرغانة وطراز وخجند ويمر بسيروان وخوارزم وبخارا واشروسنه ونسف وسمرقند
وكش ويجوز ببلاد ارمينية وبعض بلاد الروم كعمورية وقونية واقسراي وقيصرية وسيواس
وارز الروم ويمر بساحل بحر الشام وبلاد الاندلس الى ان ينتهي الى المحيط وعدد البلاد المشهورة
الواقعة فيه مائتان وفيه من الجبال ثلثون ومن الانهار خمسة وعشرون ولون عامة
اهله البياض وهو منسوب الى الزهرة بزعمهم واما الاقليم السادس فمبداؤه حيث عرضه
ثلث واربعون درجة ونصف وغاية طول نهاره خمس عشرة ساعة وربع ومساحة عرضه
مائتا الف وخمسة وثلثون الف فرسخ واربعة وثلثون فرسخا وثلثا فرسخ وفيه من البلاد
المشهورة نطيلة وسلونو وبرذال ولملا وجزيرة تقريبت واماسية ومكطوفية وسنوب و جند
قسطمونية
وفاراب واسفيجاب وطراز وشلج وخان بالق وكاشغر وسموره ولنبرد وبيره وبندقية
وبرشان وقسطنطينية وبلغر وقال بعض المحققين من بلاد معظم الروم والخزر والتركستان

فيبتدي

الترز

فيبتدي من المشرق ويمر بمساكن اتراك ويقطع وسط بحر طبرستان ويمر على خزر وسوقان و
سقسين وعلى الصقالبة وبلاد اس واران وباب الابواب والركا ثم بمعظم بلاد الروم مثل قسطنطينية
وبشمال الاندلس وينتهي الى المحيط وعدد البلاد المشهورة الواقعة فيه تسعون وفيه من الجبال
احد عشر ومن الانهار اربعون ولون غالب اهله الشقرة وهو عندهم منسوب الى القمر واما
الاقليم السابع فمبداؤه حيث العرض سبع واربعون درجة وربع وغاية طول نهاره خمس عشرة
ساعة وثلث ارباع ساعة ومساحة سطحه مائة الف وسبعة وثمانون الف فرسخ وسبعمائة
وثمانون الف فرسخ وسبعمائة واحد وعشرون فرسخا وثلثا فرسخ وفي هذا الاقليم العمارة
قليلة والبلاد المشهورة فيه كرش وازق وصراي وهو مستقر سلطان الدشت وبكل و
بلدر وبقالة وبلغار وانجا كرمان وصاري كرمان وقرقر وصلفات وكفا وصنجي و
سنتاق وهرقلة وقال بعضهم هذا الاقليم يأخذ في طوله من المشرق ويمر بنهايات
الاتراك الشرقية وبشمال بلاد ياجوج وماجوج ثم على غياض وجبال ياوي اليها اتراك
كالوحوش ثم على بلغار والروس والصقالبة ويقطع بحر الشام وينتهي الى المحيط وعدد بلاد
هذا الاقليم اثنان وعشرون وفيه من الجبال احد عشر ومن الانهار اربعون ولون اهله
بين الشقرة والبياض وهو منسوب عندهم الى المريخ واهل بعض بلاده يسكنون مدة ستة
اشهر في الحمامات لشدة البرد واخر الاقاليم حيث عرضه خمسون درجة ونصف وغاية طول
نهاره ست عشرة ساعة وربع ثم الى العرض التسعين لا يعدونه من الاقاليم واعلم ان خط الاستواء
يبتدئ من شرقي ارض الصين ويمر على جزيرة جمكوت ثم بلاد الصين مائلا الى الجنوب وعلى كنك
دز الذي من اراضي الصين ثم على جزاير زارة التي تسمى ارض الذهب وعلى جنوب جزيرة سرانديب
بين جزيرة كله وسريرة وفي وسط جزاير ديوه ثم على شمال جزاير الزنج وسفط بلاد ديم ثم على شمال القمر
جبال
وجنوب سودان المغرب الى المحيط واما اطول النهار لسائر البقاع سوى الاقاليم السبعة فالنهار
الاطول يبلغ سبع عشرة ساعة حيث العرض اربع وخمسون درجة وكسر ويبلغ ثماني عشرة ساعة
حيث العرض ثلث وستون وهنالك جزيرة تسمى تولي يقال ان اهلها يسكنون الحمامات مدة
كون الشمس بعيدة عن سمت رؤسهم والمشهور انها منتهى العمارة في العرض ويبلغ احدى وعشرين

ساعة حيث العرض اربع وستون درجة ونصف وقال بطليموس ان سكان هذا الموضع قوم من
الصقالبة لا يعرفون وعلى هذا يكون منتهى العمارة في العرض فيبلغ اثنين وعشرين ساعة حيث
العرض خمس وستون درجة وكسر ويبلغ ثلثا وعشرين ساعة حيث العرض مثل تمام الميل الكلي
ويبلغ شهرا حيث العرض سبع وستون درجة وربع وشهرين حيث العرض سبعون درجة الا ربعا
وثلثة اشهر حيث العرض ثلث وسبعون درجة ونصف واربعة اشهر حيث العرض ثمان وسبعون
درجة ونصف وخمسة اشهر حيث العرض اربع وثمانون درجة ونصف السنة تقريبا حيث
العرض ربع الدور ومنهم من قسم ما سوى الاقاليم من الربع قسمين قسما لم يدخل في الاقاليم
ويدخل في المعمورة وقسما لم يدخل فيهما فالاول مبداؤه حيث عرضه خمسون درجة وثلث في
غاية طول النهار ست عشرة ساعة وربع ومساحة سطحه سبعمائة الف وخمسون الف فرسخ ومائة
واثنان وثلثون فرسخا وربع فرسخ وفيه جزيرة برطانية وجزيرة صوداق وجزيرة تولي ومدينة
ياجوج وماجوج قالوا عرض تلك المدينة ثلث وستون درجة طولها مائة واثنان وسبعون
درجة ونصف والقسم الثاني مبداؤه حيث عرضه ست وستون درجة ونصف وغاية طول
نهاره سبع واربعون ساعة ومساحة سطحه اربعمائة الف واثنان وعشرون الف فرسخ واربعمائة
وسبعة فراسخ وخمس فرسخ وقيل في عرض خمس وسبعين درجة موضع اهله يسكنون في الشتاء في
الحمامات ولا يهم كلامهم والاخبار في منافع بعض البلاد الطيبة المحمودة ومضار الخبيثة المذمومة كثيرة
طوينا ذكرها خوف الاطناب وحذر الاسهاب قال القزويني في عجايب المخلوقات قالت
الحكماء يظهر على الارض هيئات عجيبة واطوار غريبة بتكرر السنين ودوران الافلاك روي انه
كان في بني اسرائيل ملك من الملوك فاتفق صحبته مع الخضر عليه السلام فسأله عن اعجب ما راى فقال
رايت ايام دهري عجايب كثيرة لكن اخبرك عما رايته ساعة قبل ذلك وهو اني مررت بمدينة عامرة
كثيرة الاهل والعمارة فسألت اهلها عن بدو عمارتها فقالوا هذه بلدة قديمة لا يدري احد متى
بنيت وسمعنا عن ابائنا انهم لا يدرون اصل بدو عمارتها ومضيت ثم مررت بها بعد خمسمائة
عام فلم ار فيها اثرا من العمارة ورايت بها رجلا يحصد النبات فسألته عن بدو خرابها فقال رايت
هذه الارض خربة ما زلت حيا وهكذا سمعت عن ابائي انهم الفوها خربة ولم يسمعوا انها كانت

ستة وستون درجة ويبلغ اربعا منها بساعة حيث العرض

عامرة

عامرة ابدا ومضيت ثم نزلت بها بعد خمسمائة عام فرايت هناك بحرا عظيما ورايت صيادا يصيد الحوت
هناك فسألته متى صار هذه الارض بحرا فقال انا سمعت عن ابائي انه يكون هذا المقام غير البحر ومضيت ثم
عبرت به بعد خمسمائة عام فرايته قد جف وصار برا وكان به رجل فسألته عن بدو جفافه فقال
ما سمعت عن احد من ابائي انهم وجدوها غير البر ومضيت ثم مررت الان بها بعد خمسمائة عام
فرايتها بلدة عظيمة عامرة اكبر مما رايت اولا مرة وبها اناس لا يحصون فسألتهم عن بدو عمارتها فقالوا
لا علم لنا ببدوها وهكذا وجدها اباؤنا ثم فارق الخضر عليه السلام الملك ووصاه بما وصاه في توحيد
المفضل قال الصادق عليه السلام انظر يا مفضل الى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي قد
يحسبها الغافلون فضلا لا حاجة اليها والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك ان يسقط عليها الثلوج
فتبقى في قلالها لمن يحتاج اليه ويذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها
الانهار العظام وتنبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا تنبت مثلها في السهل وتكون
فيها الكهوف ومعاقل للوحوش والسباع العادية وتتخذ فيها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز
من الاعداء وينحت منها الحجارة للبناء والارحاء وتوجد فيها معادن لضروب من الجواهر وفيها
خلال اخرى لا يعرفها الا المقدر لها في سابق علمه وفي الخصال عن الحسين بن زيد قال المتقي ان الله
سبحانه خلق الجبل من اربعة اشياء من البحر الاعظم المحدق بالدنيا ومن النار ومن دموع نبي الله
ابرهيم ومن برطيته وفي العيون سئل امير المؤمنين عليه السلام مما خلقت الجبال فقال من الامواج
وفي المجازات النبوية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجبل ظهورها حرز وبطونها كنز
وقال بعض الاعلام الاكثري في تولد الاحجار والجبال عمل الحرارة في الطين اللزج بحيث يستحكم
انعقاده رطبه يابسه باذن الله تعالى وقد ينعقد الماء السيال حجرا اما لقوة معدنية محجرة او
لارضية غالبة على ذلك الماء فاذا صادف الحجر العظيم طينا كثير الرجا اما دفعة واما على مرور الايام
تكون الحجر العظيم فاذا ارتفع بان يحمل الزلزلة العظيمة طائفة من الارض تلا من التلال او يحصل
من تراكم عمارات تخربت ثم تحجرت او يكون الطين المتحجر مختلف الاجزاء في الصلابة والرخاوة فتحفر
اجزاؤه الرخوة بالمياه والرياح ويتعرز تلك الحفر بالتدريج عوزا شديدا ويبقى الصلب مرتفعا
او بغير ذلك من الاسباب يحدث الجبل وقد يرى بعض الجبال منضودة سافا فسافا كانها سافا سافا

وصل

الجبل

السبب

تكون الجبال

فيشبه ان يكون حدوث مادة الفوقاني بعد تحجر التحتاني وقد سال على كل صاف من خلاف جوهر ما صار
حائلا بينه وبين الآخر وقد يوجد في كثير من الاحجار عند كسرها اجزاء الحيوانات المائية فيشبه ان يكون
هذه المعمورة قد كانت في سالف الدهر مغمورة في البحر فحصل الطين اللزج الكثير وتحجر بعد الانكشاف
ولذلك يكون كثير الجبال ويكون الحفار ما بينها باسباب تقتضيه كالسيول والرياح وقال بعضهم
ان الله خلق بلطيف صنعه الجبال على الارض لتخرجها عن كونها كرة حقيقية لتثبت ولا تضطرب
لان الجبال بحلولها من الاهوية والمياه تقاوم الرياح والامواج ان تحركها فتثبت واذا ثبتت ثبتت
الارض بثباتها ولذلك سميت الجبال اوتادا فان الوتد يوجب ثبات ما يربطه به واضافات الجبال
تحفظها وتمنعها من ان تتحرك بالزلازل ونحو ذلك فسبحان من امسكها بعد موجات مياهها وامواجها
بعد رطوبة اكنافها فجعلها لخلقه مهادا وبسطها لهم فراشا فوق بحر لجي راكد لا يجري وقائم لا يسري
تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف امسكها من غير اشتغال وارساها من غير
قرار واقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصنها من الاود والاعوجاج ومنعها من التهافت
والانفراج ارسى اوتادها وضرب اسدادها وقال عز اسمه والجبال ارساها وقال الم نجعل
الارض مهادا والجبال اوتادا وقال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ان في ذلك لعبرة
لمن يخشى واعلم ان منافع الجبال كثيرة منها كونها اوتادا للارض فعن ابن عباس ان الارض بسطت
على الماء فكانت تكفأ باهلها كما تكفأ السفينة فارساها الله بالجبال وفي العلل عن الصادق
عليه السلام قال ان ذا القرنين لما انتهى الى السد جاوزه فدخل في الظلمات فاذا هو بملك
قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع فقال له الملك يا ذا القرنين اما كان خلفك مسلك فقال
له ذو القرنين من انت قال انا ملك من ملائكة الرحمن موكل بهذا الجبل فليس من جبل خلقه الله
عز وجل الا وله عرق الى هذا الجبل فاذا اراد الله عز وجل ان يزلزل مدينة اوحى الي فزلزلتها وعن
عنه عليه السلام قال ان الله وكل بعروق الارض ملكا فاذا اراد الله ان يزلزل ارضا اوحى الى ذلك
الملك ان حرك عروق كذا وكذا فيحرك ذلك الملك عروق تلك الارض التي امره الله فتتحرك
باهلها وعنه عليه السلام ان الله تبارك وتعالى امر الحوت بحمل الارض وكل بلد من البلدان على فلس
فلوس فاذا اراد الله عز وجل ان يزلزل ارضا امر الحوت ان يحرك ذلك الفلس فيحركه ولو رفع

الفلس

الفلس لانقلبت الارض باذن الله وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال ان الحوت الذي يحمل الارض اسر
في نفسه انه انما يحمل الارض بقوته فارسل الله تعالى عز وجل حوتا اصغر من شبر واكبر من فتر فدخل في
خياشيمه فصعق فمكث بذلك اربعين يوما ثم ان الله عز وجل رأف به ورحمه وخرج فاذا اراد الله
عز وجل بارض زلزلة بعث ذلك الحوت الى ذلك الحوت فاذا رآه اضطرب فتزلزلت الارض وقالت
الحكماء قد يعرض لجزء من الارض حركة بسبب ما تحته فيتحرك ما فوقه ويسمى الزلزلة وذلك
اذا تولد تحت الارض بخار او دخان او ريح او ما يناسبه وكانت وجه الارض متكاثفا عديم
المسام او ضيقها فاذا حاول ذلك الخروج ولم يتمكن لكثافة الارض تحرك في ذاته وحرك
الارض وربما شقها لقوته وقد ينفصل منه نار محرقة واصوات هائلة لشدة المحاكة والمصاكة
وقد يسمع منها دوي لشدة الريح ولا توجد الزلزلة في الاراضي الرخوة لسهولة خروج الابخرة و
قلما تكون في الصيف لقلة تكاثف وجه الارض والبلاد التي يكثر فيها الزلزلة اذا حفرت فيها
ابار كثيرة حتى كثرت مخالص الابخرة قلت الزلزلة وقد يصير الكسوف سببا للزلزلة لفقد الحرارة
الكائنة عن الشعاع دفعة وحصول البرد الحاقن للرياح في تجاويف الارض بالتحصيف دفعة ولا
شك ان البرد الذي يحدث بغتة يفعل ما لا يفعله العارض بالتدريج **وصل** في الكافي عن
السجاد عليه السلام قال ان ملكا يهبط من السماء في كل ليلة معه ثلث مثاقيل مسك من مسك
الجنة فيطرحها في الفرات وما من نهر في شرق الارض ولا غربها اعظم بركة منه وفي الخصال
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اربعة من انهار الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان
فالفرات الماء في الدنيا والآخرة والنيل العسل وسيحان الخمر وجيحان اللبن وفي الكافي عن
الصادق عليه السلام ان الله بعث جبرئيل وامره ان يخرق بابهامه ثمانية انهار في الارض منها سيحان
وجيحان وهو نهر بلخ والخشوع وهو نهر الشاش ومهران وهو نهر الهند ونيل مصر ودجلة
والفرات اقول في القاموس سيحان نهر بالشام وآخر بالبصرة وسيحون نهر بما وراء النهر
ونهر بالهند وجيحون نهر خوارزم وجيحان نهر بالشام والروم معرب جهان ثم في بعض النسخ جيحون
بالواو وهو الاصوب وكان كان جيحان وجيحون نهر خوارزم وجيحان نهر فظن بعض النساخ
زيادة احدهما فاسقطه وصحف وسيأتي التفصيل وسيتقيم التفسير ايضا وقال المولى عبد الاعلى

البرجندي سيحان منبعه من موضع طوله ثمان وخمسون درجة وعرضه اربع واربعون درجة ويمر
في بلاد الروم من الشمال الى الجنوب الى بلاد ارمن ثم الى قرب مصيصه ثم يجتمع مع جيحان وينصبان
في بحر الروم فيما بين اياس وطرطوس ونهر جيحان منبعه من موضع طوله ثمان وخمسون درجة
وعرضه ست واربعون درجة وهو قريب من نهر الفرات في العظم ويمر من الشمال الى
الجنوب فيما بين جبال في حدود الروم الى ان يمر الى شمال مصيصه وينصب في البحر وجيحون يخرج
عموده من حدود بدخشان من موضع طوله اربع وتسعون درجة وعرضه سبع وثلثون درجة
ثم يجتمع معه انهار كثيرة ويذهب الى جهة المغرب والشمال الى حدود بلخ ثم يجاوزه الى ترمذ ثم
يذهب الى المغرب والجنوب الى [illegible]زم وطوله تسع وثمانون درجة وعرضه سبع وثلثون
ثم يميل الى المغرب والشمال الى موضع طوله ثمان وثمانون وعرضه تسع وثلثون ثم يمر الى ان
ينصب في بحيرة خوارزم ونهر الشاش يقال له سيحون ومنبعه من بلاد الترك من موضع
عرضه اثنتان واربعون درجة وطوله احدى وسبعون درجة ويمر الى المغرب مائلا الى
الجنوب الى خجند ثم الى فاراب ثم ينصب في بحيرة خوارزم ونهر مهران هو نهر السند يمر اولا في ناحية
ملتان ثم يميل الى الجنوب ويمر بالمنصورة ثم يمر حتى ينصب في البحر دبيل من جانب المشرق وهو نهر
عظيم وماؤه في غاية العذوبة ويشبه بنيل مصر ويكون فيه التمساح كالنيل وقيل اذا وصل
الى موضع طوله مائة وسبع درجات وعرضه ثلث وعشرون درجة ينقسم الى شعبتين ينصب
احديهما في بحر الهند والاخرى تمر وتنصب فيه بعد مسافة ايضا وقال النيل افضل الانهار
لبعد منبعه ومروره على الاحجار والحصيات وليس فيه وحل ولا يخضر الحجر فيه كغيره ويمر من
الجنوب الى الشمال وهو سريع الجري وزيادته في ايام نقص سائر المياه ومنبعه مواضع غير معمورة في
جنوب خط الاستواء واتمام الربع منبعه على التحقيق ونقل عن بعض الحكماء اليونانيين ان مادته يجتمع من
عشرة انهار بين كل نهرين منها اثنان وعشرون فرسخا فتنصب تلك الانهار في بحيرة ثم منها يخرج
نهر مصر متوجها الى الشمال حتى ينتهي الى مصر فاذا جازها وبلغ شنطوف انقسم قسمين ينصبان
في البحر ونهر دجلة يخرج من بلاد الروم من شمال ميافارقين من تحت حصار ذي القرنين و
يذهب من جهة الشمال والمغرب الى جهة الجنوب والمشرق ويمر بمدينة آمد والموصل وسر من رأى

وبغداد

وبغداد ثم الى واسط ثم ينصب في بحر فارس ونهر الفرات يخرج من جبل ارزروم ثم يسيل الى المشرق الى
ملطية ثم الى سميساط حتى ينتهي الى الكوفة ثم يمر حتى ينصب في البطائح ويأتي خبر انحرافه في منبع
النيل في البابين الاخيرين من هذا الكتاب ان شاء الله وفي العلل سئل امير المؤمنين عليه السلام عن
المد والجزر ما هما فقال ملك موكل بالبحار يقال له رومان فاذا وضع قدميه في البحر فاض واذا
اخرجهما غاض وفي شرح النهج لابن ميثم عن امير المؤمنين عليه السلام خطابا لاهل البصرة وسخر لكم
الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة اموالكم اقول صدر الخبر اشارة
الى المد والجزر وما بعده الى فائدتهما اذ لو كان دائما على حد النقصان لما سقي زروعهم ونخيلهم
او على حد الزيادة لغرقت اراضيهم بانهارهم وفي نقص الانهار بعد زيادتها فائدة اخرى هي غسل
الاقذار وازالة الخباثات عن شطوطها ومنهما فوائد اخرى كتأثيرهما في حركة السفن ونحو ذلك
وفي الدر المنثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ماء زمزم لما شرب له من شربه لمرض شفاه
الله او لجوع اشبعه الله او لحاجة قضاها الله قال الحكيم الترمذي وحدثني ابي قال
دخلت الطواف في ليلة ظلماء فاخذني من البول ما شغلني فجعلت اعتصر حتى اذاني وخفت ان خرجت
من المسجد ان اطأ بعض تلك الاقذار وذلك ايام الحاج فذكرت هذا الحديث ودخلت زمزم فتضلعت
منه فذهب عني الى الصباح وقال النيسابوري في تفسير قوله تعالى والفلك التي تجري في البحر
قد تبين ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من الارض فقيل هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك
الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي ومنقطعا عن الغربي الى وسط العمارة خليجان الاول
اذا ابتدأ من المغرب الخليج البربري لكونه في حدود بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال
مائة وستون فرسخا وعرضه خمسة وثلثون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض
الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة والثاني الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة و
ستون فرسخا وعرضه يقرب منتهاه ستون فرسخا وبين طرفه وفسطاط مصر الذي على شرقي
النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربي بعض بلاد الروم وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه
الشرقي سواحل عليها فرضة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقوا اقل مصر والحبشة الى الحجاز
ثم سواحل اليمن ثم يعطف على الزاوية الشرقية منه الثالث خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال

ابعثر م

٣

اربعمائة وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربي بلاد عمان وهذا يسمى البحر
هناك لانها وجملة ولاية العرب واحياؤهم من الحجاز واليمن والطائف وغيرها وبواديهم بين الضلع
الغربي من هذا البحر والشرقي من الخليج الاحمر فلهذا سميت العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها
مكة زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند
الرابع الخليج الاخضر مثلث الشكل الحقه من الجنوب الى الشمال الضلع الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم
هرموز ثم مكران متصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا
الضلع ولايات الصين وهذا يسمى بحر الصين ومن زاوية الشرقية الغربية الى زاوية من بحر
فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا فقد دخل الى العمارة من جانب الغرب
خليج عظيم يمر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب ويحاذي ارض السودان وينتهي الى بلاد
مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد الروس والجلالقة والصقالبة الى بلاد الروم والشام
ويتشعب منه شعبة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلي بلغار يسمى بحر ورنك طوله المعلوم
مائة فرسخ وعرضه ثلث وثلثون واذا جاوز تلك النواحي امتد نحو المشرق عمارا وراء جبال غير سالكة
وارض غير مسكونة ويتشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هي البحار المتصلة بالمحيط
واما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر والابسكون لكون هذه
الولايات على سواحله مستطيل الشكل الحقه من المشرق الى المغرب اكثر من مائتين وخمسين
فرسخا ومن الجنوب الى الشمال القريب من مائتين ومن عجائب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام و
الانواع والاصناف ومنها الجزائر الواقعة فيها فقد يقال في بحر الهند من الجزائر العامرة وغير
العامرة الف وثلثمائة وسبعون منها جزيرة عظيمة في اقصى البحر مقابل ارض الهند من الجزائر
العامرة في ناحية المشرق وعند بلاد الصين يسمى جزيرة سرانديب دورها ثلثة الاف ميل فيها
جبال عظيمة وانهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة
فيها مداين وقرى كثيرة ومن جزائر هذا البحر جزيرة كله التي يجلب منها الرصاص القلعي وجزيرة
سربرة
التي يجلب منها الكافور وغرائب البحر كثيرة وهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء
ما رايت من عجائب البحر قال سلامتي منه قال القزويني في عجائب المخلوقات ان البحر المحيط

من

من الجزائر ما لا يعد ولا يحصى حكى ان ذا القرنين امر قوما من قومه ان يركبوا سفينة ويسيروا في هذا البحر
سنة لكي ياتوه بخبر او شيء مما يوجد فيه فلما ساروا سنة ولم يجدوا ساحلا ساروا بعده الى
شهر فصادفوا سفينة فيها طائفة لا يعرفون لغاتهم فتزوج رجل منهم امراة من اهل تلك
السفينة ورجعوا الى ذي القرنين فولد منهما غلام وتعلم لغة كل واحد من ابويه فقال الرجل للغلام
سل امك عن خبر تلك السفينة وانها من اين جاءت فسالها فقالت ان في ناحيتنا ملكا
اعظم من هذا الملك وله مملكة اعظم من هذه المملكة وفيها امم كثيرة اضعاف هذه الامم و
كانوا احرص الناس على متاع الدنيا فسيرنا ملك تلك الناحية في هذا البحر سنة لكي ناتيه بخبر فلما سرنا
سنة صادفنا ما صادفنا وكان من امرنا ما كان **وصل** قال بعض العلماء ومن اياته
سبحانه البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع من البحر الاخضر المحيط بجميع الارض
حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم و
بقية الارض مستورة بالماء وقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم الارض في البحر كالاصطبل
في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت
عجائب الارض وما فيها فتامل عجائب البحر فان عجائب ما فيها من الحيوانات والجواهر اضعاف
عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعتها قال سبحانه ومن اياته
الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره انظر الى عجائب السفن
كيف امسكها الله عز وجل على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك
ليحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها
ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما
هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء
كانه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل
للانفصال والاتصال به حيوة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد
الى شربة ومنع لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم اذا شربها ومنع من
اخراجها لبذل جميع خزائن الارض في اخراجها فالعجب من الادمي انه يستعظم الدينار والدرهم

ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله عز وجل في شربة ماء اذا احتاج الى شربها واخراجها بذل
جميع الدنيا فيها فتامل عجايب المياه والآبار والانهار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وصل
اعلم ان الله سبحانه وتعالى بلطفه الشامل لكل قطعة من قطعات البر والبحر خاصية قلما توجد في غيرها
وخلق فيها الحكم ومصالح من العجايب والغرائب ما ليس في وسع الانسان الاحاطة بها وقد تصدى
جماعة من العلماء لذكر طائفة من عجايب البلاد والجبال والبحار في مصنفاتهم في ذلك منهم القزويني
في كتابه المسمى بعجايب البلدان وانا اورد ههنا قليلا مما حكاه ليكون انموذجا لما طويته وطويناه
قال عند ذكر عجايب بلدة بصرة انها ثلثة احدها ان دجلة والفرات يجتمعان قرب البصرة
ويصيران نهرا عظيما يجري من ناحية الشمال الى الجنوب فهذا يسمونه جزرا ثم يرجع من الجنوب
الى الشمال ويسمونه مدا يفعل ذلك في كل يوم وليلة مرتين فاذا جزر نقص نقصانا كثيرا بحيث لو
قيس لكان الذي ذهب مقدار ما بقي او اكثر ويبتدي كل اول شهر في الزيادة الى غاية ويسقي
المواضع العالية والاراضي القاصية ثم يشرع في الانتقاص فيجد كل يوم وليلة انقص من الذي
كان قبله الى آخر الاسبوع الاول من الشهر ثم يشرع في الزيادة الى آخر الشهر وهكذا ابد الآبدين
هذا القانون ولا يتغير وثانيها الملو التمر زيادة على رطبها على النخل او جواليقها او معاصرها
مما وجدت الآن القطاي الورق ولوات المعصرة دون الفيض وترى مسودة دون المساة
لما استغنتها من كثرة الذباب وذكر ان ذلك طلسم وثالثها ان الغربان القواطع في الخريف تسود
جميع نخل البصرة واشجارها حتى لا يرى غصن الا وعليه منها ولم يوجد في جميع الدهر غراب قط على
نخلة غير مصرومة ولو بقي عليها عذق واحد ومناقير الغربان كالمعاول والتمر في ذلك الوقت على
الاعذاق غير متماسك فلولا لطف الله تعالى لتساقطت كلها بنقر الغربان ثم تنتظر صرامها فاذا
تم الصرام رأيتها تخللت اصول الكرب فلا تدع حشفة الا استخرجتها فسبحان من قدر ذلك
لطفا بعباده وفيه ان بجيرم وهو كورة بين اصفهان وشيراز عين ماء يرفع الجراد بها وهي من
احدى عجايب الدنيا وهو ان الجراد اذا وقعت بارض يحمل من ذلك الماء الى تلك الارض ولا يلتفت
حامله الى ورائه فيتبع ذلك الماء من الطير السودانية عدد لا يحصى وتقتل الجراد وقيل ان كل واحد من
السودانية يقتل كل يوم من الجراد شيئا كثيرا حتى قالوا قريبا من الف لانها كانت تاكل وتقذف ثم تاكل

وتقذف

ويقذف ولا تفارق تلك الارض حتى يقتل جميعها ويحكي حامل ذلك الماء انه ما رأى شيئا من السودانية ثم
عند المنبع قال فلما اغترفت وشرعت في الرجوع رايت في كل منزل جموع الطير حولنا وهذا من
الخواص العجيبة كثيرة النفع فسبحان من لا يطلع على اسرار حكمته الا هو وفيه ان بوسطسين وهو
مدينة باذربيجان بين المراغة وزنجان بحيرة لا يدرك قعرها قال مسعر بن المهلهل في رسالته
فيه اربعة عشر الف ذراع وكسوا في الفحم استقروا واستدلوا انها نحو جريب الهاشمي ويتحول
ماؤه ترابا صار لوقته حجرا صلدا وفيه ان طمغاج وهو مدينة ببلاد الترك عينان احدهما
عذب والاخرى ملح وبينهما انصباب الى حوض ويختلطان فيه ويخرج من الحوض ساقيتان احدهما
عذبة لا ملوحة فيه والاخرى ملح وذكر انه من كرامات رجل صالح وصل الى تلك الديار ودعا اهلها
الى الاسلام وظهر من كراماته امر هذا الحوض والساقيتين فاسلم بعض اهلها وهم على الاسلام
الى الآن وفيه ان بالاندلس مدينة وقعية بها عين ماء يراها الناظر من بعيد ولا يشك
انها جارية فاذا قرب منها ووقع البصر على منبعها يراها جارية اصلا فاذا تباعد عنها يراها
جارية وهذا امر مشهور لا يكاد يخفى على احد من اهل تلك البلاد او على من دخلها وفيه
عند ذكر يورا وهي بلاد بقرب بحر الظلمات قال ابو حامد الاندلسي قال بعض التجار
الذين دخلوا عندهم في الصيف طويل جدا حتى ان الشمس لا تغيب عنهم مقدار اربعين يوما وفي
الشتاء ليلهم طويل جدا حتى تغيب الشمس عنهم مقدار اربعين يوما والظلمات قريبة منهم وحكى
ان اهل يورا ليس لهم زرع ولا ضرع بل عندهم غياض كثيرة وماكلهم منها ومن السمك والطيور
اليهم في ارض لا تفارقها الثلج ابدا وحكى ان اهل البلغار يحملون السيوف من بلاد الاسلام اليهم
ويبيعونها سيوفا لم تحمل لها نصاب ولا حلية بل نصل كما يخرج من النار ويسقى فاذا علق بخيط و
نقر بالاصبع سمع له طنين فتلك السيوف يصلح ان تحمل الى بلاد يورا ويشتريها اهل يورا ثم يلقونها في
البحر المظلم فاذا فعلوا ذلك اخرج الله لهم من البحر سمكة مثل الجبل العظيم يطردها سمكة
اخرى اكبر منها تريد اكلها فتهرب منها حتى تقرب من الساحل فتصير في موضع لا يمكنها الحركة
فيه فتتشبث بالرمل فيعرف اهل يورا فيذهبون اليها في المراكب فكل من اتى السيف يجتمع
عليها ويقطع من لحمها وربما يكثر ماء البحر فتخرج السمكة الى البحر بعدما قطع منها من اللحم ما

عليها الف بيت وربما بقي عندهم زمانا طويلا فيقطعون منها واذا لم يلقوا في البحر من تلك السيور لم تخرج
لهم السمكة فيكون عندهم الجدب والقحط وحكي انه في بعض السنين خرج عليهم هذه السمكة فاجتمع
القوم عليها وثقبوا اذنها وصلوا فيها حبلا ومدوها الى الساحل فانفتحت اذن السمكة وخرجت
من داخلها جارية تشبه الادميين بيضاء حمراء اسود الشعر مجزاة من احسن النساء وجها فاخذها اهل
بورا واخرجوها الى البر وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح وقد خلق الله تعالى في وسطها
جلدا صفيقا كالثوب من سرتها الى ركبتها الستر عورتها فبقيت عندهم مدة

الباب الحادي عشر في كائنات الجو وما تحته من المعادن ونحوها

في الكافي سئل
امير المؤمنين عليه السلام عن السحاب اين يكون قال يكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر ياوي
اليه فاذا اراد الله تعالى ان يرسله ارسل ريحا فاثارته ووكل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو
البرق فيرتفع ثم قرا هذه الاية الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد
ميت الاية والملك اسمه الرعد وعن الصادق عليه السلام قال كان امير المؤمنين عليه السلام يقوم في
المطر اول ما يمطر حتى يبتل راسه ولحيته وثيابه فقيل له يا امير المؤمنين الكن الكن فقال
ان هذا ماء قريب عهد بالعرش ثم انشا يحدث فقال ان تحت العرش بحرا فيه ماء ينبت
ارزاق الحيوانات فاذا اراد الله تعالى ان ينبت به ما يشاء رحمة منه لهم اوحى الله اليه فمطر ما شاء
من سماء الى سماء حتى يصير الى سماء الدنيا فيما اظن فيلقيه الى السحاب والسحاب بمنزلة الغربال
ثم يوحي الله الى الريح ان اطحنيه واذيبيه ذوبان الماء ثم انطلقي به الى موضع كذا وكذا فامطري
عليهم فيكون كذا وكذا عبابا وغير ذلك فتقطر عليهم على النحو الذي يامرها به فليس من قطرة
تقطر الا ومعها ملك حتى يضعها موضعها ولم ينزل من السماء قطرة من مطر الا بعدد معدود
ووزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فانه نزل منه ماء منهمر بلا وزن
ولا عدد وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ان الله جعل السحاب غرابيل المطر حتى يذيب البرد
حتى يصير ماء لكيلا يضر شيئا يصيبه فالذي ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من الله يصيب
بها من يشاء من عباده وفي الفقيه عن الصادق عليه السلام سئل عن الرعد اي شيء يقول قال انه
بمنزلة الرجل يكون في الابل فيزجرها هاي هاي كهيئة ذلك قيل فما حال البرق قال تلك

مخاريق

مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه الى الموضع الذي قضى الله عز وجل فيه المطر وقال عليه السلام الرعد صوت
الملك والبرق سوطه وروي ان الرعد صوت ملك اكبر من الذباب واصغر من الزنبور فينبغي
لمن سمع صوت الرعد ان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفي الاحتجاج
فيما اجاب الحسن بن علي عن اسولة ملك الروم قال السائل اما قوس قزح قال ويحك لا تقل
قوس قزح فان قزح اسم شيطان وهو قوس الله وعلامة الخصب وامان لاهل الارض من الغرق
وفي توحيد المفضل قال الصادق عليه السلام فكر يا مفضل في الصحو والمطر كيف يعتقبان على
هذا العالم لما فيه صلاحه ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده الا ترى ان الامطار اذا
توالت عفنت البقول والخضر واسترخت ابدان الحيوان وخصر الهواء فاحدث ضروبا من الامراض
وفسدت الطرق والمسالك وان الصحو اذا دام جفت الارض واحترق النبات وغيض
ماء العيون والاودية فاضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضروبا اخرى من
الامراض فاذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الاخر
فصلحت الاشياء واستقامت فان قال قائل ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل
له ليمض ذلك الانسان ويولمه بعض الالم فيرعوي عن المعاصي فكما ان الانسان اذا سقم بدنه
احتاج الى الادوية المرة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه اذا طغى واشر احتاج
الى ما يعضه ويولمه ليرعوي ويقصر عن مساويه ويتنبه على ما فيه حظه ورشده ولو ان
ملكا من الملوك قسم في اهل مملكته قناطير من ذهب وفضة الم يكن سيعظم عندهم و
يذهب له به الصوت فاين هذا من مطر رواء او يعمر به البلاد ويزيد في الغلات اكثر من
قناطير الذهب والفضة في اقاليم الارض كلها افلا ترى المطرة الواحدة ما اكبر قدرها واعظم
النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت عن احدهم حاجة لا قدر لها
فيتذمر ويسخط ايثارا للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة معرفة بعظيم
الغناء والمنفعة فيها تامل نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه جعل ينحدر عليها من
علو ليتفشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان انما ياتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع
المشرفة منها ويقل ما يزرع في الارض الا ترى ان الذي يزرع سيحا اقل من ذلك فالامطار

هي التي تطبق الارض وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة
وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع الى موضع وما يجري في
ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذوو العز والقوة ويحرمه الضعفاء ثم انه حين
قدر ان ينحدر على الارض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر الارض فيرويها ولو
كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الارض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزروع القائمة اذا
اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب المزروع ويحيي الارض والزرع القائم وفي نزوله
ايضا مصالح اخرى فانه يلين الابدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك و
يغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان الى اشباه هذا من المنافع فان قال
قائل اوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه او برد يكون
فيه تحطم الغلات وبخورة يحدثها في الهواء فيولد كثيرا من الامراض في الابدان والآفات
في الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه صلاح الانسان وكفه عن ركوب المعاصي
والتمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه ارجح مما عسى ان يرزأ في ماله وفي
تفسير القمي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى وانبتنا فيها من كل شيء موزون فان الله تبارك وتعالى
انبت في الجبال الذهب والفضة والجوهر والصفر والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ
واشباه هذه لا تباع الا وزنا ولعل المراد بالجوهر الاحجار كالياقوت والعقيق والفيروزج
واشباهها وفي المناقب عن الرضا عليه السلام اصل الماء خشية الله بعضه من السماء ويسلكه
في الارض ينابيع وبعضه ماء عليه الارضون واصله واحد عذب فرات قبل كيف منها
عيون نفط وكبريت وقار وملح واشباه ذلك فانما لغيره الجوهر وانقلبت كانقلاب العصير
خمرا وكما انقلبت الخمر فصارت خلا وكما يخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا قيل فمن اين اخرجت
انواع الجواهر قال انقلب منها كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم خلقة مجتمعة مبنية على المتضادات
الاربع وفي الكافي عن الرضا عليه السلام قيل له ان المتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دما فقال ان
لله واديا من ذهب حماه باضعف خلقه النمل فلو رامته البخاتي لم تصل اليه وبيان خبر آخر في هذا
المعنى في باب الحيوان وفي توحيد المفضل قال الصادق عليه السلام فكر يا مفضل في هذه المعادن

وما يخرج من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبسين والزرانيخ والمرتك والتوتيا والزيبق
والنحاس والرصاص والفضة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك
ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم فهل
يخفى على ذي عقل ان هذه كلها ذخاير ذخرت للانسان في هذه الارض ليستخرجها فيستعملها
عند الحاجة اليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك
فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى يكثر
الفضة والذهب ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشرى و
البيع والمعاملات ولا كان يجبي السلطان الاموال ولا يدخرهما احد للاعقاب وقد اعطي
الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب
من الفضة واشباه ذلك مما لا مضرة فيه فانظر كيف اعطوا ارادتهم فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك
فيما كان ضارا لهم لو نالوه ومن اوغل في المعادن انتهى الى واد عظيم يجري منصلتا بماء
غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن وراءه امثال الجبال من الفضة تفكر الآن في
هذا من تدبير الخالق الحكيم فانه اراد جل ثناؤه ان يري العباد قدرته وسعة خزائنه ليعلموا
انه لو شاء ان يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لانه لو كان فيكون
فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بانه قد يظهر
الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الاواني والامتعة فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل
آخذ الثمن فاذا فشا وكثر في ايدي الناس سقط عندهم وخست قيمته ونفاسة الاشياء
من عزتها وفي المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض
انزل الحديد والنار والماء والملح قال الرازي اما الحديد ففيه البأس الشديد فان آلات
الحروب تتخذ منه وفيه ايضا منافع كثيرة منها قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم ومنها ان مصالح
العالم اما اصول واما فروع اما الاصول فاربعة الزراعة والحياكة وبناء البيوت والسلطنة
وذلك لان الانسان مضطر الى طعام يأكله وثوب يلبسه وبناء يسكن فيه والانسان
والانسان مدني بالطبع فلا تتم مصلحته الا عند اجتماع جمع من ابناء جنسه ليشتغل

كل واحد منهم خاص فحينئذ ينتظم من الكل مصالح الكل وذلك الانتظام لا بد وان يفضي الى المزاحمة ولا بد من شخص
يدفع ضرر البعض عن البعض وذلك هو السلطان فثبت انه لا ينتظم مصالح العالم الا بهذه الاصول الاربعة
اما الزراعة فتحتاج الى الحديد وذلك من كرب الارض وحرثها ثم عند تكون هذه الحبوب لا بد لها
بد من خبزها وتنقيتها وذلك لا يتم الا بالحديد ثم لا بد من خبزها ولا يتم الا بالنار ولا بد فيها من المقدحة
الحديد واما الفواكه فلا بد من تنظيفها من قشورها وقطعها على الوجوه الموافقة للاكل ولا يتم ذلك
الا بالحديد ثم تحتاج في آلات الحياكة الى الحديد ثم تحتاج من قطع الثياب وخياطتها الى الحديد
والذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح فلو لم يوجد الذهب في الدنيا ما كان يختل
شيء من مصالح الدنيا ولو لم يوجد الحديد لاختل جميع مصالح الدنيا ثم ان الحديد لما كانت الحاجة
اليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود والذهب لما قلت الحاجة اليه جعله عزيز الوجود
وعند هذا يظهر اثر جود الله ورحمته على عبيده فان كل ما كانت حاجتهم اليه اكثر جعل وجدانه
اسهل ولهذا قال بعض الحكماء ان اعظم الامور حاجة اليه هو الهواء فانه لو انقطع وصوله
الى القلب لحظة لمات الانسان في الحال فلا جرم جعله الله اسهل الاشياء وجدانا وهيأ اسباب
التنفس والآلة حتى ان الانسان يتنفس دائما بمقتضى طبعه من غير حاجة فيه الى تكلف عمل وبعد
الهواء الماء الا انه لما كانت الحاجة الى الماء اقل من الحاجة الى الهواء جعل تحصيل الماء اشق قليلا
من تحصيل الهواء وبعد الماء الطعام ولما كانت الحاجة الى الطعام اقل من الحاجة الى الماء جعل
تحصيل الطعام اشق من تحصيل الماء ثم تتفاوت الاطعمة في درجات الحاجة والعزة فكلما كانت
الحاجة اليه اكثر كان وجدانه اسهل وكلما كان وجدانه اعسر كانت الحاجة اليه اقل والجواهر لما
كانت الحاجة اليها قليلة جعلها لا جرم كانت عزيزة جدا فظهر ان كل شيء كانت الحاجة اليه اكثر كان
وجدانه اسهل ولما كانت الحاجة الى رحمة الله اشد من الحاجة الى كل شيء فنرجو من رحمة الله ان
يجعلها اسهل الاشياء وجدانا وفي قرب الاسناد عن الصادق عليه السلام يخرج منهما اللؤلؤ و
المرجان قال من ماء السماء وماء البحر فاذا امطرت فتحت الاصداف افواهها في البحر فيقع فيها من
ماء المطر فتخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة وصل
قال بعض العلماء ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيها من الغيوم والرعود والبروق والامطار

والثلوج

والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والارض وقد اشار القرآن الى جملة في قوله تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين والسحاب هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في
مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب
والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك
فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملأ الاعلى فقد فتحت عينيك
فادركت ظاهرها فغمض عينيك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب
اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في استيفائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف
تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله عز وجل اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته
حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء الى ان ياذن الله عز وجل في ارسال الماء وتقطيع
القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراده الله عز وجل وعلى الشكل الذي شاءه فترى السحاب يرش
الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها اخرى ولا يتصل واحدة باخرى
بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه ولا يتقدم المتأخر ولا يتأخر
المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والآخرون على ان يخلقوا منها قطرة
واحدة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس
عن ذلك فلا يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان
فيها من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق
الدود الفلاني الذي هو في ناحية الجبل الفلاني يصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا
مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من
العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخالق القاهر ما لاحد فيه شركة
ومدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان
الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور انما نزل الماء
لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها
ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء والذي طبعه الثقل وما الذي

يرى الماء المصبوب في اسفل الاشجار الى اعالي الاغصان وهي ثقيلة بطبعها فكيف هربت الى اسفل ثم ارتفعت
الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع اطراف
الاوراق فيغذي كل جزء من كل ورق ويجري اليه في تجاويف عروق شعرية صغار ترى منها العرق
الذي هو اصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورق عروق صغار فكان
الكبير نهر يتشعب عنه جداول ثم يتشعب من الجداول سواقي اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة
تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورق فيصل الماء في اجوافها الى سائر اجزاء الورق
ليغذيها وينميها ويبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك
بطبعه الى اسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب شيء فالذي سخر ذلك الجاذب فان كان
ينتهي بالاخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في اول الامر
فنهاية الجاهل بداية العاقل قال ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من
الارض ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف تخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب
والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص
والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله تعالى الناس الى استخراجها و
تنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت
والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك
عليها فانظر الى رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من
المطر فيصير ملحا مالحا محرقا بحيث لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا
اكلت فيه يهنأ عيشك وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق
شيء منها ضايعا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه
ولذلك قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق

وصل ان الله سبحانه سخر السموات والنجوم ونفوسها الناطقة المدبرة لها والملائكة الموكلين
بها بامره وجعلها في حركاتها المتفننة واوضاعها المختلفة وعباداتها المتنوعة ذوات افعال في
تأثيرات في الارضين والاجرام السفلية تأثيرا على سبيل الترشح وجعل تلك الاجرام السفلية ذوات

تأثر

تأثر وانفعال منها تشبه تأثر النسوان من الذكران من وجه لا يعني ان السموات توجد شيئا من الارضيات
او يفيض عليها صورة هيئات ما كالتجسيم والجسماني المفتقر اليه والانارة والاحياء والخلق والابداء
ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار بل بمعنى انها تعد القوابل الارضية والمواد السفلية
لفيضان الصور والاعراض عليها من واهبها الذي هو الله سبحانه بتوسط ملائكته العقلية فان
الله سبحانه جعل لكل شيء من خلقه سببا ولسببه سببا الى ان ينتهي الى الله تعالى وهو مسبب الاسباب
كلها باجملها وتفصيلها فالاسباب مترتبة متوجهة نحو المسببات باذنه تعالى وهو الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى قال الصادق عليه السلام ابى الله ان يجري الاشياء الا بالاسباب فجعل
السم مثلا سببا للهلاك باذنه تعالى كما ان شرب الدواء سبب للشفاء باذنه تعالى وكذلك الاسباب
الكلية الاصلية الثابتة المستقرة كالسموات والنجوم والارضين بحركاتها المناسبة التي لا تبعد
ولا تتغير الى ان يبلغ الكتاب اجله وتوجهها الى المسببات الحادثة منها لحظة فلحظة الاخرى الى
الشمس كيف تؤثر بمحاذاتها الموضع من الارض في اضاءة ذلك الموضع ثم بتوسط الضوء في تسخينها
ثم بتوسط التسخين في تحليل الجسم المتسخن او اصعاده ثم بسبب التحلل والصعود في اخراجه من موضعه
الطبيعي ثم بسبب الخروج من موضعه في امتزاجه بغيره ثم بسبب الامتزاج في فيضان صورة عليه غير
صورته الاولى فانظر في اعدادها ذلك الجسم لتبدل تلك الهيئات والصور من الله سبحانه ثم انظر
كيف تؤثر باختلاف حركاتها الذاتية والعرضية المقتضي لحدوث الفصول الاربعة من الربيع والصيف
والخريف والشتاء في اختلاف احوال المركبات من المعادن والنباتات والحيوانات واختلاف
صورها واعراضها ونشوها في حيوتها وموتها وحرارتها وبرودتها ورطوبتها ويبوستها و
نضارتها وجودها الى غير ذلك مما لا يحصى قال النبي صلى الله عليه وآله اغتنموا برد الربيع
فانه يفعل بابدانكم ما يفعل باشجاركم واجتنبوا برد الخريف فانه يفعل بابدانكم ما يفعل باشجاركم والى القمر كيف
يؤثر في نضج الفواكه والمياه وجزرها وازدياد الرسل في الضروع ونشو الحرث والنسل والزروع
ونقصانها وذبولها بحسب امتلائه واضمحلاله واجتلائه واسراره والمحاق وغير ذلك وكل ذلك مقدر بقدر
معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر والشمس والقمر بحسبان اي حركاتهما بحساب معلوم كل
يجري لاجل مسمى ولا غيرهما من الكواكب كيف تؤثر في السفليات بحسب احوالها المختلفة

كما فصلت في علم النجوم تفصيلا حارت فيه اصحابه حيرة لا محيص لهم عنها سئل الصادق عليه السلام عن
النجوم احق هي فقال نعم وسئل ايضا عن النجوم فقال ما يعلمها الا اهل بيت من العرب واهل بيت
بالهند ثم ان الكائنات التي توجد عندنا كلها انما تتكون من العناصر الاربعة وللعناصر كلها مادة
واحدة مطيعة لامر الله تعالى ونواهيه في خلع بعض الصور ولبس بعضها وذلك لانها تنقلب بعضها
الى بعض وتفسد وتتكون بدلالة المشاهدة والتجربة ثم ما يتركب من العناصر اما تركيب طبيعي او
غير طبيعي اما الغير الطبيعي فلا يدخل تحت الضبط وليس للعلم به كثير فائدة ولا هو معدود في العلوم
المعتد بها فلنعرض عنه والطبيعي اما مزاجي او غير مزاجي والمزاجي اصول اجناسه ترجع الى ثلاثة
ان تحقق فيه سبب التغذية والتنمية فاما مع تحقق سبب الحس والحركة الارادية فهو الحيوان او بدونه ف
فهو النبات وان لم يتحقق ذلك فهو المعادن وهذه الثلاثة تسمى بالمواليد كما تسمى العناصر بالامهات
والافلاك بالاباء وتحت كل منها انواع لا تحصى بعضها فوق بعض وكل نوع يشتمل على اصناف و
كل صنف على اشخاص لا تتناهى بحيث لا يتيسر احصاء شيء من الانواع ولا من الاصناف ولا من الاشخاص
فسبحان باريها ومنشئها عن التكثر والاختلاف وانما نشأ الاختلاف النوعي بسبب الملائكة
العقلية ارباب الانواع والاختلاف الصنفي والشخصي بحسب اختلاف اصول العناصر في بعدها
وقربها من بعضها الى بعض كما وكيفا وصفات التركيب وبعد التركيب مع اختلاف اعداد السموات
لها بحركاتها المختلفة واوضاعها المتكثرة ومبادي التأثيرات في هذا المزج والتركيب بعد
الله سبحانه باذنه تعالى تسمى بالملائكة قريبا او كانت او بعيدا غير مزاول فان كل اثر لا بد له [illegible]
يسمى في الشرع ملكا علويا او سفليا فالملائكة السموية والارضية تمزج العناصر باذن الله سبحانه
وتركبها بعد ما استعدت بسبب امور تحصل لها من انحاء الاوضاع المختلفة من
التجاور والملاقاة فتستحيل في كيفياتها وتتقارب فيها بعضها من بعض الى ان ينتهي باذن
الله وامره الى كيفية وحدانية بسيطة ملموسة من جنس اوائل المحسوسات متوسطة توسطا ما
في حد ما بين الكيفيات الاربع المتضادة متشابهة في الاجزاء المقدارية للممتزج بحيث يكون بالقياس
الى الحرارة برودة وبالقياس الى البرودة حرارة وبالقياس الى الرطوبة يبوسة وبالقياس الى اليبوسة
رطوبة وهي المزاج ويستعد المركب بسبب حدوث هذه الكيفية المتوسطة الخارجة عن الاطراف

المتضادة

المتضادة صورة كمالية وحدانية فيستفيد صورة على قدر توسطه وخلوه عن المتضادات بل جمعه لها
على وجه اعلى واشرف حيث حصل لها طبيعة واحدة بسيطة متوسطة بين الطبائع الاربع في حقيقتها
الجوهرية فهو بهذا التوسط يشبه الاجرام الحية الفلكية ولذا يكون حيوته اشد واكثر وكلما امعن
في التوسط وهدم جانب التضاد يقبل من المبدأ الفياض صورة كمالية فوق صورة وحيوة فوق
حيوة فيصير الجماد اولا معدنا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا ثم ملكا مقربا ثم يفنى في ذات الله و
البرزخ الاكمل الا الى الله تصير الامور وصل ان الله سبحانه لما اراد ان يلطف بقوم او
يغضب عليهم باحداث حدث في الارض وتكوين كاين من امطار مطر او ارسال ريح او ما
اشبههما امر الملائكة السموية وخصوصا الموكلين بالشمس ان يفعلوا في الارض بتوسط
الملائكة الموكلين بها افاعيل بان يحركوا اشياء منها ويخلطوه حتى يحصل من اختلاطه ما يشاء
فان كل ما يتكون في الجو والارض انما يحدث من اختلاط العناصر الارضيات فاما يحدث
من ذلك القبيل انه يمتزج امتزاجا تاما يحصل بسببه الكيفية الوحدانية المسماة بالمزاج هو البخار
والدخان وذلك لان الملائكة اذا هيجوا باسخان السماويات الحارة اجزاء من الاجسام المائية
ودخانا من الاجسام الارضية واثاروا اجزاء اما هوائية ومائية مختلطين وهي البخار واما نارية
وارضية كذلك وهو الدخان ثم حصل بتوسطها موجودات شتى غير تامة المزاج من الغيم
والمطر والثلج والبرد والضباب والطل والصقيع والرعد والبرق والصاعقة والقوس و
الهالات والشهب والرياح والزلازل وانفجارات العيون والقنوات والابار والكنوز وكل
ذلك باذن الله سبحانه وتوسط ملائكته كما قال سبحانه اشارة الى بعض ذلك الم تر ان الله
يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء
من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
والتامل في بناء الجبال وعوارضها من العون على ادراك ماهية الجو وكثير من حوادثه بل التدبر فيما
يرتفع من ارض معدة الانسان الى دماغه يريد ما عند من الى نفسه وهي يعين على ذلك كسائر
الامور الانفسية على الاحكام الافاقية والابخرة والادخنة المحتبسة في باطن الارض اذا كثرت
يتولد منها ما ذكروا اذا لم يكن كثيرة اختلطت على ضروب من الاختلاطات المختلفة في الكم

المحتبسة

الكيف والمنح بحسب استعداد والحكم والاسرار والاعدادات فيكون منها الاخبار المعتبرة باذن الله وهي اول ما يحدث من المركبات العنصرية النامية المزاجية ولها بحسب حقايقها العقلية نفوس ملكوتية تحفظ اشخاصها وبها حيوتها اللايقة بها بحسب وجوداتها اكثر من حيوة ما دونها من الكاينات الغير المزاجية مما حيوتها شبيهة بالموت انظر كيف وصلت رحمة الله وحكمته الى كل شيء كما قال ورحمتي وسعت كل شيء تنبيه لقوله تعالى حكاية عن الملائكة ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وكيف قدر الاشياء على حسب استعداداتها ووهب لها ما يليق بها من الكمالات كما قال انا كل شيء خلقناه بقدر تنبيه لقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم وقد سبق في باب بدو خلق العالم نقل الامام خبر في غلبة بعض الاشياء على بعض بما يناسب المقام

الباب الثاني عشر في النبات

في توحيد المفضل قال الصادق عليه السلم فكر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء والاتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شيء من انواع النجارة وغيرها واللحاء والورق والاصول والعروق والصموغ من المنافع ارايت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الارض ولم تكن تنبت على هذه الاغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وان كان الغذاء موجودا فان المنافع بالخشب والحطب والاتبان وسائرها عندنا كثيرة عظيمة قدرها جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه فكر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة واكثر واقل وكان يجوز ان يكون الحبة تاتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع الا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الارض من البذر وما يتقوت الزراع الى ادراك زرعها المستقبل الا ترى ان الملك لو اراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك ان يعطي اهله ما يبذرونه في ارضهم وما يقوتهم الى ادراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج اليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فانك ترى الاصل الواحد حوله من فراخه امرا عظيما فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم وما يرد فيغرس في الارض ولو كان الاصل منه يبقى منفردا لا يفرخ ولا يريع لما امكن

ان

لضروب م

البلدان م

ان يقطع منه شيء لحاجة ولا لغرس ثم كان ان اصابته آفة انقطع اصله فلم يكن منه خلف تامل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلى وما اشبه ذلك فانها تخرج في اوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات الى ان تشتد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى فاما البر وما اشبهه فانه يخرج مدرجا في قشور صلاب على رؤسها امثال الاسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع فان قال قائل اوليس قد ينال الطير منه البر والحبوب قيل له بلى على هذا قدر الامر فيها لان الطير خلق من خلق الله وقد جعل الله تبارك وتعالى له فيما تخرج الارض حظا ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش فان الطير لو صادف الحب بارزا ليس عليه شيء يحول دونه لاكب عليه حتى ينسفه اصلا فكان يعرض من ذلك ان يبشم الطير فيموت ويخرج الزراع من زرعه صفرا فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطائر منه شيئا يسيرا يتقوت به ويبقى اكثره للانسان فانه اولى به اذ كان هو الذي كدح فيه وشقي وكان الذي يحتاج اليه اكثر مما يحتاج اليه الطير تامل الحكمة في خلق الشجر واصناف النبات فانها لما كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها افواه كافواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة في الارض لتنزع منها الغذاء فتؤديه الى الاغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الارض كالام المربية لها وصارت اصولها التي هي كالافواه ملتقمة للارض لتنزع منها الغذاء كما يرضع اصناف الحيوان امهاتها الا ترى الى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالاطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الارض ممتدة الى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولولا ذلك كيف كان تثبت هذه النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف فانظر الى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي يستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمة في خلق الشجر لان خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم الا ترى عمدها وعيدانها من الشجر فالصناعة ماخوذة من الخلقة تامل يا مفضل خلق الورق فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها اجمع فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا معجما لو كان مما يصنع بالايدي

الخلقة م

كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل ولاحتيج الى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي
منه في ايام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الارض كلها بلا حركة ولا كلام الا بالارادة النافذة في
كل شيء والامر المطاع واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق فانها جعلت تتخلل الورقة باسرها لتسقيها وتوصل

الدقاق صح

المادة اليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء الى كل جزء منه وفي الغلاظ منها معنى آخر فانها
تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنهتك وتتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة
من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي
الخلقة وان كانت لا تدركها على الحقيقة فكر في هذا العجم والنوى والعلة فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليقوم
مقام الغرس ان عاق دون الغرس عائق كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة اليه في مواضع
اخر فان حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر ثم هو بعد يمسك بصلابته
رخاوة الثمار ورقتها ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت واسرع اليها الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه
فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد تبين لك موضع الارب في العجم والنوى فكر الان في هذا الذي
تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة فيه ولماذا يخرج في هذه الهيئة وقد كان
يمكن ان يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السرو والدلب وما اشبه ذلك فلم صار
يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة الا ليستمتع بها الانسان فكر في ضروب من التدبير في الشجر فانك
تراه يموت في كل سنة موتة فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم يحيى وينتشر فيأتيك
بهذه الفواكه نوعا بعد نوع كما تقدم اليك انواع الاطبخة التي تعالج بالايدي واحدا بعد واحد
فترى الاغصان في الشجر تتلقاك بثمارها حتى كانها تناولكها عن يد وترى الرياحين تتلقاك في افنانها
كانها تجيئك بانفسها فلمن هذا التقدير الا لمقدر حكيم وما العلة فيه الا تفكه الانسان بهذه الثمار
والانوار والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها واعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها
من اثر العمد والتدبير فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم مركوم في نواحيها وحبا مرصوفا صفا
كنحو ما ينضد بالايدي وترى الحب مقسوما اقساما وكل قسم منها ملفوفا بلفائف من حجب منسوجة اعجب
النسج والطفه وقشره يضم ذلك كله فمن التدبير في هذه الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو الرمانة
من الحب وحده وذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضا فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى

ان اصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا تضطرب وغشي فوق ذلك
بالقشرة المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه اكثر من هذا
لمن اراد الاطناب والتذرع في الكلام ولكن فيما ذكرت لك كفاية من الدلالة والاعتبار فكر يا مفضل
في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة
فانه حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الارض ولو كان ينتصب قائما كما ينتصب
الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الارض ولو كان ينتصب قائما
كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقصف قبل ادراكها وانتهائها
الى غاياتها فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقي عليها ثمارها فتحملها عنه فترى الاصل من القرع
والبطيخ مفترشا على الارض وثماره مبثوثة عليها وحواليه كانه هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها
لترضع منها وانظر كيف صارت الاصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمارة الصيف ووقدة الحر
فتلقاها النفوس بانشراح وتشوق اليها ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها
واقشعرارا منها مع ما يكون من المضرة للابدان الا ترى انه ربما ادرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع من
اكله الا الشره الذي لا يمتنع من اكل ما يضره ويسقم معدته فكر يا مفضل في النخل فانه لما صار فيه اناث
يحتاج الى التلقيح جعلت فيه ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان
الذي يلقح الاناث لتحمل وهو لا يحمل تامل خلقة الجذع كيف هو فانك تراه كالمنسوج نسجا من غير خيوط
ممدودة كالسدى واخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج بالايدي وذلك ليشتد ويصلب ولا يتقصف
من حمل القنوات الثقيلة وهز الرياح العواصف اذا صار نخلة وليتهيأ للسقوف والجسور وغير
ذلك مما يتخذ منه اذا صار جذعا وكذلك ترى الخشب مثل النسج فانك ترى بعضه مداخلا بعضا طولا
وعرضا كتداخل اجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فانه لو كان مستحصفا كالحجارة
لم يمكن ان يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالابواب والاسرة والتوابيت وما
اشبه ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب انه يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف
جلالة الامر فيه فلولا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والاطراف تحمل امثال الجبال من الحمولة وانى
كان ينال الناس هذا الرفق وقلة المؤونة في حمل التجارات من بلد الى بلد وكانت تعظم المؤونة عليهم في حملها

حتى يلقى كثيرا م

ما يحتاج اليه في بعض البلدان مفقودا اصلا او عزيزا وجوده فكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها
من العمل في بعض الادواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف
المرة السوداء مثل الافتيمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الاورام واشباه هذا من

السكبينج صح

افعالها فمن جعل هذه القوى فيها الا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس لها الا من جعل هذا فيها ومتى
كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال القائلون وهب الانسان فطن لهذه الاشياء بذهنه
ولطيف رويته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه ان اصابته
ببعض العقاقير فيبرا وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم واشباه هذا كثير ولعلك تشكك
في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا انس ولا انيس فتظن انه فضل لا حاجة اليه و
ليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف للطير وعوده وافنانه حطب فيستعمله الناس و
فيه بعد اشياء تعالج به الابدان واخرى تدبغ به الجلود واخرى تصبغ به الامتعة واشباه هذا من
المصالح الست تعلم ان من اخس النبات واحقره هذا البردي وما اشبهه ففيه مع هذا من ضروب المنافع
فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج اليها الملوك والسوقة والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس
ويعمل منه الغلف التي يوقى بها الاواني ويجعل حشوا بين الظروف في الاسفاط لكيلا تعيب وتنكسر و
اشباه هذا من المنافع فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة وما لا قيمة
له واخس من هذا واحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا وموقعها من
الزروع والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى ان كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو الا بالزبل
والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه واعلم انه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته
بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق العلم فلا
تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطنوا طالبوا الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بانفس الاثمان
وغالوا بها **وصل** قال بعض العلماء انظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت
وربت واخضرت وانبتت عجايب النبات وخرج منها اصناف الحيوان ثم انظر كيف احكمت جوانب
الارض الجبال الراسيات والشوامخ الصم الصلاب وكيف اودعت المياه تحتها فتفجرت العيون ثم
واسيلت الانهار تجري على وجهها وانما اخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا

عذبا

عذبا صافيا زلالا وجعل منه كل شيء حيا فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون
ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح ويفضل
بعضها على بعض في الاكل تسقى جميعا بماء واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها
لاختلاف بذورها واصولها فمتى كانت في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في
حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى الارض البوادي وفتش ظاهرها و
باطنها فترى بها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج
الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الاخر فانظر الى
كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع
العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد
وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء
وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليهما وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا يفرح
وهذا ينوم وهذا يقوي وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع لا
يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد منها يحتاج الفلاح في تربيتها الى عمل مخصوص فالنخيل
يوبر والكرم يقطع والزرع ينقى من الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر في الارض وبعضها يغرس
كالاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات ومنافعه واحواله
وعجائبه لانقضت الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر وفي
العلل عن الصادق عليه السلام قال لم يخلق الله عز وجل شجرة الا ولها ثمرة تؤكل فلما قال الناس
اتخذ الله ولدا ذهب نصف ثمرها فلما اتخذوا مع الله الها شاك الشجرة وعنه عليه السلام قال
لما اهبط الله عز وجل ادم من الجنة اهبط معه عشرين ومائة قضيب منها اربعون ما يوكل داخلها و
خارجها واربعون منها ما يوكل داخلها ويرمى بخارجها واربعون منها ما يوكل خارجها ويرمى بداخلها
وغرارة فيها بذر كل شيء وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما اسري بي الى السماء سقط من عرقي
فنبت منه الورد فوقع في البحر فذهب السمك ليأخذها وذهب الدعموص ليأخذها فقالت السمكة
هي لي وقال الدعموص هي لي فبعث الله عز وجل اليهما ملكا يحكم بينهما فجعل نصفها للسمكة ونصفها

جعل م

للدعموص قـ الصدوق قدس الله قال ابي رضي الله عنه وترى اوراق الورد تحت جلناره وهي
خمس اثنان منها على صفة السمك واثنان منها على صفة الدعموص وواحد منها نصفها على
صفة السمك ونصفها على صفة الدعموص انتهى والمراد باوراق الورد الاوراق الخضر الملتصقة
بالاوراق الحمر المحيطة قبل انفتاحها فاثنان منها على مثال ذنب الدعموص واثنان منها على مثال ذنب
السمك وواحدة منها نصفها السمك ونصفها الدعموص **وصل** المركب العنصري في الاستواء في
درجات التراكيب الناقصة من الاثار العلوية وغيرها الى درجات المعادن تخطى خطوة اخرى الى
جانب القدس ان كان من اهل السلوك الى الله سبحانه بان يكون ناقصا ضعيف الفعل كالمني
الصالح لان يصير حيوانا او يكون تاما ولكن يترك صورته النوعية التي بها تمامه وفعليته و
زهد في حيوة الدنيا لكي يطلب الصورة الاعلى وفعلية اقوى وتوجه الى باريه سبحانه توجها طبيعيا
كالبذر مثلا اذا افسد في الارض فسادا ما واتى نتنا ما فحينئذ ينكسر قلبه ويضطر اضطرارا
جبليا ويتضرع الى الله سبحانه تضرعا فطريا ويتقرب الى الله تعالى تقربا ما وقد جرت سنة الله
فيمن تقرب اليه شبرا ان يتقرب اليه ذراعا فيترحم عليه ويجيب دعاءه اذ هو الذي يجيب
المضطر اذا دعاه فيفيد له بدل صورته الفانية صورة كمالية نباتية ذات نفس ملكوتية فيحيى لها
حيوة ما فوق حيوته الاولى التي كانت كلا حيوة فيصير بعد بساطته نفسا نباتيا صادرا من المعدن حين
حفظ التركيب مع زيادة شيء اخر وهو انه ينبت وينمو ويزيد في اقطاره الثلثة بالتدريج وذلك
لعدم حصول كماله الشخصي اول مرة لكون مادته جزء مادة شخص سابق لم يضيفها الله سبحانه الى
قوة التي بها يستبقي شخصه قوة اخرى يستبقي بها نوعه لعدم احتماله الديمومة الشخصية لمكان
لطافة مادته فوق المعدن التام الفعلية قوة متسلطة من البقاء واما فيها لم يتعدد اجتماع اجزائه
لبعده من الاعتدال ولسعة عرض مزاجه فعلى سبيل التولد واما فيما تعذر ذلك لقربه من الاعتدال
ولضيق عرض مزاجه فعلى سبيل التوالد لاستبقاء النوع ما وجب افناء شخص منا منه عز وجل
لطفا وهذا هو النبات وانما تم وجود هذا الصنف من الوجود بتوسط عدة ملائكة من الملكوتيين
وذلك لاحتياجه في التمامية الى افاعيل متخالفة تفعل فيه وكل فعل يفعل في هذا العالم فله مبدأ
من الملكوت غير مبدأ الاخر ولا يصدر فعلان عن مبدأ واحد وذلك لان اهل هذا العالم من

حيث

حيث انه اهله سنخ ظلمانية لا يجوز ان يكون سببا لامر ما فلا بد من مبدأ ملكوتي واهل الملكوت لغير واحد
منهم الا هو وحدانية الصفة ليس فيه خلط وتركيب فلا يكون لواحد منهم الا فعل واحد كما اشير اليه
بقوله سبحانه حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم وليس كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه
مثلا الطحن اولا ثم يتبر النخالة عنه ودفع الفضلة ثانيا وصب الماء عليه ثالثا والعجن رابعا وتقطعه
كرات مدورة خامسا وترقيقها رغيفا سادسا والصاقها بالتنور سابعا وذلك لان هذا
نوع اعوجاج وعدول عن السنة الالهية بسبب اضداد في صفات الانسان واختلاف دواعيه
وانقسام قواه لتركيبه وتوغله في عالم العدد والقسمة والتفرقة ولذلك ترى الانسان الواحد
يطيع الله مرة ويعصيه اخرى وذلك لتغيره لكون في طباع الملكوت فلا بد في النبات اذن من ملك
يزيد في اقطاره الثلثة على نسبة لائقة محفوظة الى ان يبلغ الى كمال النشو ومن ملك يقطع فضلة
من مادته ليكون سببا لشخص اخر ولما توقف فعل الاول على التغذي فلا بد من سبعة املاك
اخر لا اقل لتخيد عونه في هذا الامر اولهم عملا ملك لابد منه لجذب الغذاء الى جوار جسم المتغذي
والثاني لا بد منه لامساك الغذاء في جواره والثالث لابد منه لنزع الصورة عن الغذاء وخلعها
والرابع لابد منه لتكسو الغذاء صورة العضو والخامس لابد منه ليدفع ما لا يقبل المشابهة من الغذاء
والسادس لابد منه ليلصق ما اكتسى صورة العضو بالعضو والسابع لابد منه ليراعي المقادير في
الالصاق لئلا يربو بعض الاعضاء ويضعف البعض وتسمى هذه الاملاك في عرف الجمهور
بالقوى فالذي يزيد في الاقطار يسمى بالقوة النامية والقاطع للفضلة بالقوة المولدة و
الخوادم بالجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وكلها بالغاذية وقد احتاجت الصورة النباتية
الى التغذي من وجه اخر غير النمو وذلك لان الجسم النامي وسيما الحيوان منه ابدا في التحلل والذوبان
فلا بد اذن من ان تخلفه بدل ما يتحلل عنه انا فانا ولحظة فلحظة وما ذلك الا بالتغذي فالاحتياج
الى التغذي باق الى اخر العمر واما الى النامية فليس الا الى البلوغ الى كمال النشو وهؤلاء الاملاك
والعاملين فعلهم لا يسكنون عن اعمالهم طرفة عين فان الشجر اذا سقي الماء او الحيوان اكل الغذاء
فان ذلك ليس بغذاء ولا اكل على الحقيقة وانما مثلهما مثل الجابي الجامع للمال في خزانة وهي المعدة
في الحيوان وما يجري مجراها في النبات فاذا اخرت عاملها واسكا عن السقي والاكل فحينئذ يتولى

المتكثرة بالتقدير وجعله آية حال الى حال وبعد بهما برية كل الى ونعوض فيها الانزال ان في غذاء دائم ولولا ذلك
لبطلت الحكمة في نشأة كل متغذ والله حكيم فاذا اخلت الحرارة حركت المتكثرة الجاذبة الى تحصيل ما يلزمها به
فاذا لم يوجد عدلت الى تحليل المواد والفضلات التي في البدن ولايزال الامر كذلك ابدا فهذه صورة
الغذاء في كل نفس فكل نفس كلها دائما في هذه النشأة ايضا كما في الآخرة وحينئذ للمولد ملكات احدهما
تجعل فضل الهضم الاخير منيا او ما يجري مجراه بيضة او بذرا والثانية تهيئ كل جزء من اجزاء تلك
المادة لقبول صورة مخصوصة من واهب الصور ويسمى الاول عند الجمهور بالمغيرة والثانية بالمصورة
اما واهب الصور فهو الله سبحانه بتوسط الملائكة العقلية التي هي رب نوع النفس النباتية المخدومة
لهذه الاملاك جميعا كما في سائر الافاعيل قال الله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء لا اله الا هو وقال افرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون وعن النبي صلى الله عليه وآله
في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر
ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيها
الروح بالسعادة او بالشقاوة **وصل** ان الارض للنبات بمنزلة الرحم والبذر وما يقوم
مقامه من الاصول الذي انعقدت بالرطوبة بمنزلة المني والبيضة فاذا نكح الهواء الارض وانزل الماء
ودبر في رحمها انوار الانوار الفلكية ضحكت الارض بالازهار وانبتت من كل زوج بهيج فمما تولد
في الربيع ومنه في الصيف كما يكون حمل الحيوان مختلفا زمانه باختلاف طبيعته فانه لا يقبل من
تاثير الزمان الا بقدر ما يعطيه مزاجه وطبعه وان من النبات ما لا يكون الا من البذر والثمر ومنه
ما لا يكون الا من الاصل ومنه ما يكون منهما وربما يكون من بذر واحد في بلاد مختلفة نباتات
مختلفة واول ما يكون من النبات اوليا بالطبع طبقات تكثر بعضها وحرسها منها اللب وما يتصل
به ومنها العود كالخشب وما يشبهه وما يناسبه ومنها اللحا وما يحميه ويتهيأ الى والغرض الطبيعي في النبات
اما عوده او ساقه او اصله او ورقه او قشره او غصنه او ثمره وما الى خيل الجرم الصلب غذاء يتشبه به
دفعة بلا تدريج خلق الله في الاشجار الصلبة لبانيها الخ في العظام عنايته من الله تعالى في حفظها او
اما الاشجار الضعيفة القوام المتخلخلة فهي بمعزل عن ذلك لعدم حاجتها اليه وما كان الغرض الطبيعي
فيه ان يعظم حجمه ويطول قدره في مدة قصيرة امتنع ان يكون صلبا لان الصلب يحتاج الى مادة غاية

دهـ

وقوة طالجة والتصرف في شكلها يحتاج الى مدة طويلة فسبحان من انزل من السماء ماء فاخرج به
نبات كل شيء فاخرج منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات
من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم
لآيات لقوم يؤمنون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

الباب الثالث عشر في الحيوان

في الكافي عن الصادق عليه السلام قال
مهما ابهم على البهائم من شيء فلا يبهم عليها اربع خصال معرفة ان لها خالقا ومعرفة طلب الرزق و
معرفة الذكر من الانثى ومخافة الموت وفي حيوة الحيوان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال لما اراد الله ان يخلق الخيل قال لريح الجنوب اني خالق منك خلقا اجعله
عزا لاوليائي ومذلة لاعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت الريح اخلق يا رب فقبض منها
قبضة فخلق منها فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم محازة
على ظهرك وبوأتك سعة من الرزق وايدتك على غيرك من الدواب وعطفت عليك صاحبك
وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب واني سأحمل على ظهرك رجالا يسبحوني
ويحمدوني ويهللوني ويكبروني ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم ما من تسبيحة وتهليلة وتكبيرة يكبرها
صاحبها فتسمعه الا يجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة خلق الفرس قالت يا رب نحن
ملائكتك نسبحك ونحمدك فما لنا فخلق الله لها خيلا لها اعناق كاعناق البخت
يمد بها من يشاء من انبيائه ورسله قال فلما استوت قوائم الفرس في الارض قال الله له
اذل بصهيلك المشركين واملأ منه آذانهم واذل به اعناقهم وارعب به قلوبهم قال فلما ان عرض الله
على آدم كل شيء مما خلق قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقيل اخترت عزك وعز ولدك
خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا ابد الآبدين ودهر الداهرين وفي الخرائج عن الرضا عليه السلام قيل
له انا نخاف عليك من هذا صاحب الرقة قال ليس علي منه باس ان لله بلادا تنبت الذهب قد
حماها باضعف خلقه بالذر فلو ارادتها الفيلة ما وصلت اليها قال الوشاء فسألت عن هذه البلاد
وقد سمعت الحديث فقيل لي انها بين بلخ والتبت وانها تنبت الذهب وفيها نمل كبار اشباه

الكلاب على حلقها افليس لا يمر بها الطير فضلا عن غيره تكمن بالليل في جحرها وتظهر بالنهار فربما
غزوا الموضع على الدواب التي تقطع ثلثين فرسخا في ليلة لا يعرف شيء من الدواب يصبر صبرها فيموتون
احمالهم ويخرجون فاذا النمل حرجت في الطلب فلا تلحق شيئا الا قطعته تشبه بالريح في سرعتها
وربما شغلوهم باللحم يتخذ لها اذا لحقتهم يطرح لها في الطريق والا ان لحقتهم قطعتهم ودوابهم
في المجمع عن الصادق عليه السلام انما ضرب الله المثل بالبعوضة لانها على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما
خلق الله في الفيل مع كبره وزيادة عضوين اخريين فاراد الله ان ينبه بذلك المؤمنين على لطيف
خلقه وعجيب صنعه وفي تفسير العياشي عنه عليه السلام قيل له كيف تفقد سليمان الهدهد من بين
الطير قال لان الهدهد يرى الماء في بطن الارض كما يرى احدكم الدهن في القارورة وفي كتاب
عبد الملك بن حكيم عنه عليه السلام قال ان داود عليه السلام ليلة يتلو الزبور فاعجبته عبادته فنادته ضفدع
يا داود تعجب من سهرك ليلة واني لتحت هذه الصخرة منذ اربعين سنة ما جف لساني عن ذكر الله
عز وجل وفي الخرائج روى ان الحسين عليه السلام سئل في حال صغره عن اصوات الحيوانات لان من
شرط الامام ان يكون عالما بجميع اللغات حتى اصوات الحيوانات فقال عليه السلام اذا صاح
النسر فانه يقول يا ابن ادم عش ما شئت فاخره الموت واذا صاح البازي يقول يا عالم
الخفيات يا كاشف البليات واذا صاح الطاوس يقول مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي
فاغفر لي واذا صاح الدراج يقول الرحمن على العرش استوى واذا صاح الديك يقول من
عرف الله لم ينس ذكره واذا قرقرت الدجاجة تقول يا اله الحق انت الحق وقولك الحق يا الله
يا حق واذا صاح الباشق يقول امنت بالله واليوم الاخر واذا صاحت الحداة تقول توكل على
الله ترزق واذا صاح العقاب يقول من اطاع الله لم يشق واذا صاح الشاهين يقول سبحان
الله حقا حقا واذا صاحت البومة تقول البعد من الناس انس واذا صاح الغراب يقول يا
رازق ابعث الرزق الحلال واذا صاح الكركي يقول اللهم احفظني من عدوي واذا صاح اللقلق يقول
من تخلى عن الناس نجى من اذاهم واذا صاحت البطة تقول غفرانك يا الله واذا صاح الهدهد يقول
ما اشقى من عصى الله واذا صاح القمري يقول يا عالم السر والنجوى يا الله واذا صاح الدبسي يقول انت الله
لا اله سواك يا الله واذا صاح العقعق يقول سبحان من لا يخفى عليه خافية واذا صاح الببغا يقول

سبحان م

من ذكر ربه غفر ذنبه واذا صاح العصفور يقول استغفر الله مما يسخط الله واذا صاح البلبل
يقول لا اله الا الله حقا حقا واذا صاحت القبجة يقول قرب الحق قرب واذا صاحت السماناة
تقول يا ابن ادم ما اغفلك عن الموت واذا صاح السوذنيق يقول لا اله الا الله خيرة واذا صاحت
الفاختة تقول يا واحد يا احد يا فرد يا صمد واذا صاح الشقراق يقول مولاي اعتقني من النار
واذا صاحت القبرة تقول مولاي تب على كل مذنب من المذنبين واذا صاح الورشان
يقول ان لم تغفر ذنبي شقيت يقول لا قوة الا بالله العلي العظيم واذا صاحت النعامة تقول لا
معبود سوى الله واذا صاحت الخطافة فانها تقرأ سورة الحمد ويقول يا قابل توبة التوابين
يا الله لك الحمد واذا صاحت الزرافة تقول لا اله الا الله وحده واذا صاح الحمل يقول كفى بالموت
واذا صاح الجدي يقول عاجلني الموت فقل ذنبي وازداد واذا صاح الاسد يقول لا تغني
عن الموت ولا حيلة واذا صاح الفهد يقول يا عزيز يا جبار يا متكبر يا الله واذا صاح الجمل
يقول سبحان مذل الجبارين سبحانه واذا صهل الفرس يقول سبحان ربنا سبحانه واذا صاح الذئب
يقول ما حفظ الله لن يضيع ابدا واذا صاح ابن اوى يقول الويل الويل للمذنب المصر واذا
صاح الكلب يقول كفى بالمعاصي ذلا واذا صاح الارنب يقول لا تهلكني يا الله لك الحمد واذا صاح
الثعلب يقول الدنيا دار غرور واذا صاح الغزال يقول نجني من الاذى واذا صاح الكركدن
يقول اغثني والا هلكت يا مولاي واذا صاح الايل يقول حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله و
اذا صاح النمر يقول سبحان الله من تعزز بالقدرة واذا سبحت الحية يقول ما اشقى من عصاك
يا رحمن واذا سبحت العقرب يقول الشر شيء وحش ثم قال عليه السلام ما خلق الله عز وجل من
شيء الا وله تسبيح يحمد به ربه ثم تلا هذه الاية وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وفي الاختصاص عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان للعز في كل يوم ثلث
دعوات مستجابات يقول في اول نهاره اللهم وسع على سيدي الرزق ويقول في وسط
النهار اللهم اصلح لي حب سيدي من اهله وماله ويقول في اخر نهاره اللهم ارزق
سيدي على طهري الشهادة اقول والاخبار في تكلم الجمادات والبهايم والوحوش والطيور
وحيوانات البحر مع الانبياء والائمة عليهم السلام وعرض الحوائج عليهم وفي ولايتها وانقيادها

واذا صاح الشفنين م

واذا صاح المؤذن يقول الهلاك
لمن اتبع هواه يا ابن ادم انت بين يدي تعن
ربي ولا ادعي بما احد و
اذا صاح الفيل
يقول

لامرهم عليهم السلام وفي بيان اذكارها وتسبيحاتها وعباداتها اكثر من ان يحصى اعرضت عن ذكرها حذرا من
الاطناب وفي الخرائج عن صفوان الجمال قال كنت بالحيرة مع ابي عبد الله عليه السلام اذ اقبل الربيع وقال
اجب امير المؤمنين عليه السلام فلم يلبث ان عاد قلت اسرعت الانصراف قال انه سألني عن شيء فسل الربيع عنه
فقال صفوان وكان بيني وبين الربيع لطف فخرجت الى الربيع وسألته فقال اخبرك بالعجب ان الاعراب
خرجوا يجتنون الكماة فاصابوا في البر خلقا ملقى فاتوني به فادخلته على الخليفة فلما رآه قال نحه
وادع جعفرا فدعوته فقال يا ابا عبد الله اخبرني عن الهواء ما فيه قال في الهواء موج مكفوف
قال ففيه سكان قال نعم قال وما سكانه قال خلق ابدانهم ابدان الحيتان ورؤسهم رؤس الطير ولهم اعرفة
كاعرفة الديكة ونغانغ كنغانغ الديكة واجنحة كاجنحة الطير من الوان اشد بياضا من الفضة المجلوة فقال الخليفة
هلم الطست فجئت بها وفيها ذلك الخلق واذا هو والله كما وصفه جعفر فلما خرج جعفر قال يا ربيع
هذا الشجى المعترض في حلقي من اعلم الناس وفي خبر ابن سلام قال للنبي صلى الله عليه وآله اخبرني
عن طاير يطير بين السماء والارض ليس له في السماء سكان ولا في الارض مسكن ما هو قال
يا ابن سلام تلك حيات اعرافها كاعراف الخيل تقبض على اذنابها وتفرخ على مناكبها في الهواء الى
يوم القيمة وفي النهج في خطبة له عليه السلام ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الى
الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والبصائر مدخولة الا ينظرون الى صغير
ما خلق كيف احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى
النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت
على ارضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها
وفي ورودها لصدرها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان
ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس ولو فكرت اكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف
بطنها وما في الرأس من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى
الذي اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر
ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر
النخلة لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف

في مجاريه

والقوي

والقوي والضعيف في خلقه الا سواء وكذلك السماء والهواء والرياح والماء فانظر الى الشمس والقمر و
النبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال وطول
هذه القلال وتفرق هذه اللغات والالسن المختلفات فالويل لمن انكر المقدر وجحد المدبر زعموا
انهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع لم يلجأوا الى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما
وعوا وهل يكون بناء من غير بان او جناية من غير جان وان شئت قلت في الجرادة اذ خلق
لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي و
جعل لها الحس القوي ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع في زرعهم ولا
يستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزواتها وتقضي منه شهواتها وخلقها
كله لا يكون اصبعا مستدقة فتبارك الله الذي يسجد له من في السموات والارض طوعا و
كرها ويعفر له خدا ووجها ويلقي بالطاعة اليه سلما وضعفا ويعطي القياد رهبة وخوفا فالطير
مسخرة لامره احصى عدد الريش منها والنفس وارسى قوائمها على الندى واليبس قدر اقواتها
واحصى اجناسها فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طائر باسمه وكفل
له برزقه وانشأ السحاب الثقال فاهطل ديمها وعدد قسمها فبل الارض بعد جفوفها واخرج
نبتها بعد جدوبها وفيه في خطبة له عليه السلام ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات و
ساكن وذي حركات واقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت
له العقول معترفة به وسلمت له ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف
صور الاطيار التي اسكنها اخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسي اعلامها من ذوات
اجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة في زمام التسخير ومرفرفة باجنحتها في مخارق الجو المنفسخ
والفضاء المنفرج كونها بعد اذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصل محتجبة
ومنع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو في الهواء خفوفا وجعله يدف دفيفا ونسقها على
اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير
لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن اعجبها خلقا
الطاووس الذي اقامه في احكم تعديل ونضد الوانه في احسن تنضيد بجناح اشرج قصبه

مسلمة

المنفسح

وذنب طال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مظلا على راسه كانه قلع داري عنجه نوتيه يختال
بالوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحه ار الفحول المغتلمة احيلك من ذلك على
معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه
فتقف في ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما
كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب
داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما انبتت الارض قلت جني
جني من زهرة كل ربيع وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او مونق عصب اليمن وان
شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطقت باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال و
يتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه
زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه حمش كقوائم
الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء
موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة
مرآة ذات صقال وكانه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة
ممتزجة به ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في
سواد ما هنالك ياتلق وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص
ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها امطار ربيع ولا شموس قيظ وقد ينحسر من ريشه
ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان
ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سائر الوانه ولا يقع لون في غير مكانه
واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفرة
عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول او تستنظم وصفه
اقوال الواصفين واقل اجزائه قد اعجز الاوهام ان تدركه والالسنة ان تصفه فسبحان
الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فادركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا و
اعجز الالسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تادية نعته فسبحان من ادمج قوائم الذرة و

الهمجة

الهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان والافيلة ووأى على نفسه الا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح الا و
جعل الحمام موعده والفناء غايته وفي خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف عن كنه معرفته و
ردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما ترى العيون
لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على
غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع و
انقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش
التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها
عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان
الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضي في سبحات اشراقها واكنها في مكامنها
عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل
به في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا
القت الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق نورها على الضباب في وجارها
اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل
لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران
كانها شظايا الاذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها
جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت
ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه
ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره وفي توحيد المفضل ك
الصادق عليه السلام فكر يا مفضل في بنية ابدان الحيوان وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي صلاب
كالحجارة ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تتصرف في الاعمال ولا هي على غاية اللين والرخاوة فكانت
لا تتحامل ولا تستقل بانفسها فجعلت من لحم رخو تنثني تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب
وعروق تشده وتضم بعضه الى بعض وعليه فوق ذلك جلد يشتمل على البدن كله ومن اشباه
ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان وتلف بالخرق وتشد بالخيوط وتطلى فوق ذلك بالصمغ

فيكون العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم والخيوط بمنزلة العصب والعروق والطلاء بمنزلة الجلد
فان جاز ان يكون الحيوان المتحرك حدث بالاهمال من غير صانع جاز ان يكون ذلك في هذه التماثيل
الميتة فان كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحري ان لا يجوز في الحيوان فكر بعد هذا في اجسام الانعام
فانها حين خلقت على ابدان الانس من اللحم والعظم والعصب اعطيت ايضا السمع والبصر ليبلغ
الانسان حاجته فانها لو كانت عميا صما لما انتفع بها الانسان ولا تصرفت في شيء من مآربه ثم منعت
الذهن والعقل لتذل للانسان فلا تمتنع عليه اذا كدها الكد الشديد وحملها الحمل الثقيل فان
قال قائل انه قد يكون للانسان عبيد من الانس يذلون ويذعنون بالكد الشديد وهم مع ذلك غير
عديمي العقل والذهن فيقال في جواب ذلك ان هذا الصنف من الناس قليل فاما اكثر الناس فلا
يذعنون بما يذعن به الدواب من الحمل والطحن وما اشبه ذلك ولا يغرون بما يحتاج اليه منه ثم
لو كان الناس يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الاعمال لانه كان
يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الى عدة اناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون
فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقهم من التعب الفادح في ابدانهم والضيق والكد في
معاشهم فكر يا مفضل في هذه الاصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح
كل واحد منها فالانس لما قدروا ان يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من
البناء والتجارة والصياغة وغير ذلك خلقت لهم اكف كبار ذوات اصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض
على الاشياء واوكدها هذه الصناعات واكلات اللحم لما قدر ان يكون معايشها من الصيد خلقت
لهم اكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخالب تصلح لاخذ الصيد ولا تصلح للصناعات واكلات
النبات لما قدر ان يكونوا معاشها من حسيس خلقت لهم لا ذات صنعة ولا ذات صيد خلقت لبعضها
اظلاف تقيها خشونة الارض اذا حاولت طلب الرعي ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كاخمص القدم
تنطبق على الارض لتتهيأ للركوب والحمولة تامل التدبير في خلق اكلات اللحم من الحيوان حين خلقت
ذوات اسنان حداد وبراثن شداد واشداق وافواه واسعة فانه لما قدر ان يكون طعمها
اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك واعينت بسلاح وادوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير
ذوات مناقير ومخالب مهيأة لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد اعطيت ما لا

يحتاج

يحتاج اليه لانها لا تصيد ولا تاكل اللحم ولو كانت السباع ذوات اظلاف كانت قد منعت ما تحتاج اليه
اعني السلاح الذي به تصيد وتتعيش افلا ترى كيف اعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه
وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه انظر الان الى ذوات الاربع كيف تراها تتبع اماتها مستقلة بانفسها
لا تحتاج الى الحمل والتربية كما يحتاج اولاد الانس فمن اجل انه ليس عند امهاتها ما عند امهات
البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالاكف والاصابع المهياة لذلك اعطيت النهوض
والاستقلال بانفسها وكذلك ترى كثيرا من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج و
تلقط حين تنقاب عنها البيض فاما ما كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام
والحمرة فقد جعل في الامهات فضل عطف عليها فصارت تمج الطعام في افواهها بعد ما توعيه
حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بانفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيرة مثل ما
ترزق الدجاج لتقوى الام على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكل اعطي بقسط من
تدبير الحكيم اللطيف الخبير انظر الى قوائم الحيوان كيف تاتي ازواجا لتتهيا للمشي ولو كانت افرادا لم تصلح
لذلك لان الماشي ينقل بعض قوائمه ويعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على
واحدة وذو الاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لان ذا الاربع لو كان ينقل
قائمتين من احد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الاخر لما ثبت على الارض كما لا يثبت السرير وما
اشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الاخريين ايضا من خلاف فيثبت
على الارض ولا يسقط اذا مشى اما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما
والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان يذعن
لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف والاسنة بالمواساة
لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرقت الغنم فاخذ كل واحد منها في ناحية لم
يلحقها وكذلك جميع الاصناف المسخرة للانسان فبم كانت كذلك الا بانها عدمت العقل و
الروية فانها لو كانت تعقل وتروي في الامور كانت خليقة ان تلتوي على الانسان في كثير من
مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها واشباه هذا من
الامور وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة ان

امهاتها

بجماحها من كان يقوم للاسد والذئاب والنمورة والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس افلا ترى
كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من اقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم
عنها ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها الا بالليل فهي مع صولتها كالخائف للانس بل مقموعة
ممنوعة منهم ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم ثم جعل في الكلب من بين هذه
السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة
الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الدغار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه ان يبذل نفسه للموت
دونه ودون ماشيته وماله ويالفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على
هذا الالف الا ليكون حارسا للانسان له عين بانياب ومخاليب ونباح هائل ليذعر منه
السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفرها يا مفضل تامل وجه الدابة كيف هو فانك ترى
العينين شاخصتين امامها لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطا او تتردى في حفرة وترى
الفم مشقوقا شقا في اسفل الخطم ولو شق كمكان الفم من الانسان في مقدم الذقن لما استطاع
ان يتناول به شيئا من الارض الا ترى ان الانسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له
على سائر الاكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خطمها مشقوقا من اسفله
لتقبض به على العلف ثم تقضمه واعينت بالجحفلة لتتناول بها ما قرب وما بعد اعتبر بذنبها
والمنفعة لها فيه فانه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعا يواريهما ويسترهما ومن منافعها فيه
ان ما بين الدبر ومراق البطن منها وضر يجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبة
تذب بها عن ذلك الموضع ومنها ان الدابة تستريح الى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة فانه لما كان
قيامها على الاربع بأسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها في تحريك
الذنب راحة وفيه منافع اخرى يقصر عنها الوهم يعرف موقعها في وقت الحاجة اليها فمن ذلك
ان الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها وفي شعر الذنب
منافع للناس كثيرة يستعملونها في ماربهم ثم جعل ظهرها مسطحا مبطوحا على قوائم اربع ليتمكن
من ركوبها وجعل حياها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان باسفل البطن كما كان
الفرج من المراة لم يتمكن الفحل منها الا ترى انه لا يستطيع ان ياتيها كفاحا كما ياتي الرجل المراة تامل

مشفر

مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما الى جوفه
ولولا ذلك ما استطاع ان يتناول شيئا من الارض لانه ليست له رقبة يمدها كسائر الانعام فلما عدم
العنق مكان ذلك الخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو
الذي عدمه ما يقوم مقامه الا الرؤوف بخلقه وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة فان قال
قائل فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الانعام قيل له ان راس الفيل واذنيه امر عظيم وثقل ثقيل فلو كان
ذلك على عنق عظيم لهدها واوهنها فجعل راسه ملصقا بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفناه وخلق
له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته
انظر الان كيف حياء الانثى من الفيلة في اسفل بطنها فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن
الفحل من ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الانثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الانعام
ثم جعلت فيه هذه الخلة ليتهيا للامر الذي فيه قوام النسل ودوامه فكر في خلق الزرافة و
اختلاف اعضائها وشبهها باعضاء اصناف من الحيوان فراسها راس فرس وعنقها عنق
جمل واظلافها اظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل ان نتاجها
من فحول شتى قالوا وسبب ذلك ان اصنافا من حيوان البر اذا وردت الماء تنزو على بعض
السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من اصناف شتى وهذا جهل من قائله و
قلة معرفته بالباري جل قدسه ليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل
ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس
الحمارة فيخرج بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السمع على انه ليس يكون في الذي يخرج
من بينهما عضو من كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من
البقرة بل يكون كالمتوسط فيما بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فانك ترى راسه واذنيه و
كفله وذنبه وحوافره وسطا بين هذه الاعضاء من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من صهيل
الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على انه ليست الزرافة من لقاح اصناف شتى من الحيوان كما زعم
الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء وليعلم انه خالق
اصناف الحيوانات كلها يجمع بين ما يشاء من اعضائها في ايها شاء ويفرق في الخلقة ما شاء

اعين ه

وينقص منها ما شاء دلالة على قدرته على الاشيا وانه لا يعجزه شيء اراده جل وتعالى واما طول عنقها و
المنفعة لها في ذلك فان منشاها ومرعاها في غياطل ذوات اشجار شاهقة ذاهبة طولا في الهواء
فهي تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها اطراف تلك الاشجار فتقوت من ثمارها تامل خلقة القرد وشبهه بالانسان
في كثير من اعضائه اعني الراس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك احشاؤه ايضا شبيهة باحشاء الانسان
وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي اليه ويحكي كثيرا مما يرى الانسان يفعله
حتى انه يقرب من خلق الانسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه ان يكون عبرة للانسان
في نفسه فيعلم انه من طينة البهائم وسنخها اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وانه لولا فضيلة
فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على ان في جسم القرد فضولا اخرى تفرق
بينه وبين الانسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم وهذا لم يكن مانعا للقرد ان
يلحق بالانسان لو اعطي مثل ذهن الانسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الانسان بالصحة
هو النقص في العقل والذهن والنطق انظر يا مفضل الى لطف الله تعالى بالبهائم كيف كسيت اجسامهم
هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الافات والبست الاظلاف والحوافر
والاخفاف ليقيها من الحفا اذ كانت لا ايدي لها ولا اكف ولا اصابع مهياة للغزل والنسج فكفوا بان
جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها والاستبدال بها فاما الانسان
فانه ذو حيلة وكف مهياة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال
وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك انه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه اليه الكفاية ومنها
انه يستريح الى خلع كسوته اذا شاء ولبسها اذا شاء ومنها ان يتخذ لنفسه من الكسوة ضروبا لها جمال و
روعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروبا من الخفاف والنعال يقي بها قدميه
وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معايشهم ومنها اقواتهم واقوات عيالهم فصار
الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والاظلاف والحوافر والاخفاف مقام الحذاء فكر
يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم والا فاين
جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى بل لو قال قائل انها اكثر من
الناس لصدق فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من اسراب الظبا والمها والحمير والوعول و

الايائل

والايائل وغير ذلك من الوحوش واصناف السباع من الاسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها وضروب الهوام
والحشرات ودواب الارض وكذلك اسراب الطير من الغربان والقطا والاوز والكراكي والحمام وسباع الطير
جميعا وكلها لا يرى منها اذا ماتت الا الواحد بعد الواحد يصيده قانص او يفترسه سبع فاذا احسوا
بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولولا ذلك لامتلات الصحاري منها حتى تفسد رائحة
الهواء ويحدث الامراض والوباء فانظر الى هذا الذي يخلص اليه الناس وعملوه بالتمثيل الاول
الذي مثل لهم كيف جعل طبعا وادكارا في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما يحدث عليهم من
الامراض والفساد فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفا
من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه عز وجل احد من خلقه لا بعقل وروية فان الايل ياكل الحيات
فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا من ان يدب السم في جسمه فيقتله فيقف على
الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته فانظر الى ما
جعل في طباع هذه البهيمة من تحمل الظما الغالب خوفا من المضرة في الشرب وذلك مما لا يكاد
الانسان العاقل المميز يضبطه من نفسه والثعلب اذا اعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير
ميتا فاذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فاخذها فمن اعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه
الحيلة الا من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فانه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما يقوى
عليه السباع من مساورة الصيد اعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه والدلفين يلتمس صيد
الطير فيكون حيلته في ذلك ان ياخذ السمك فيقتله ويسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته و
يثور الماء عليه حتى لا يتبين شخصه فاذا وقع الطير على السمك الطافي وثب اليها فاصطادها فانظر
الى هذه الحيلة كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة لبعض المصالح قال المفضل فقلت خبرني يا
مولاي عن التنين والسحاب فقال عليه السلام ان السحاب كالموكل به يختطفه حيثما
ثقفه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع راسه في الارض خوفا من السحاب ولا يخرج الا في
القيظ مرة اذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيم قلت فلم وكل السحاب بالتنين يرصده
ويختطفه اذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرته قال المفضل فقلت قد وصفت لي يا
مولاي من امر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا

والنمل والطير فقال عليه السلام يا مفضل تامل وجه الذرة

عما فيه صلاحها فمن اين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة الا من المدبر القائم في صغير الخلق
وكبيره انظر الى النمل واحتشاده في جمع القوت واعداده فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت
الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام او غيره بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير
ما ليس للناس مثله اما تريهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون
الى الحب فيقطعونه قطعا لكيلا ينبت فيفسد عليهم فان اصابه ندى اخرجوه فنشروه حتى يجف ثم
لا يتخذ النمل الزبية الا في نشز من الارض كيلا يفيض السيل فيغرقها فكل هذا منه بلا عقل ولا
روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة لطفا من الله جل وعز انظر الى هذا الذي يقال له الليث
تسميه العامة اسد الذباب وما اعطي من الحيلة والرفق في معاشه فانك تراه حين يحس بالذباب
قد وقع قريبا منه تركه مليا حتى كانه موات لا حراك به فاذا راى الذباب قد اطمان وغفل عنه دب
دبيبا دقيقا حتى يكون منه بحيث يناله وثبه ثم يثب عليه فياخذه فاذا اخذه اشتمل عليه بجسمه كله
مخافة ان ينجو منه فلا يزال قابضا عليه حتى يحس بانه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيى
بذلك منه فاما العنكبوت فانه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه
فاذا نشب فيه الذباب احال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فذلك يحكي صيد
الكلاب والفهود وهذا يحكي صيد الاشراك والحبائل فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل
في طبعها ما لا يبلغه الانسان الا بالحيلة واستعمال الالات فيها فلا تزدر بالشيء اذا كانت
العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما اشبه ذلك فان المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا
يضع من الدينار وهو من ذهب ان يوزن بمثقال من حديد تامل يا مفضل جسم الطائر
وخلقته فانه حين قدر ان يكون طائرا في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر به من القوائم
الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما
ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه ان يخرق الهواء كيفما اخذ فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة
لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران و
كسي عليه الريش ليتداخله الهواء فيقله ولما قدر ان يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص
من خلقه الاسنان وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعمه فلا ينسحج من لقط الحب ولا يتقصف

من نهش اللحم ولما عدم الاسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا اعين بفضل حرارة في
الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغني به عن المضغ واعتبر ذلك بان عجم العنب وغيره يخرج من اجواف
الانس صحيحا ويطحن في اجواف الطير لا يرى له اثر ثم جعل مما يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا
يثقل عن الطيران فانه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل
شيء من خلقه مشاكلا للامر الذي قدر ان يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه
فيحضنه اسبوعا وبعضها اسبوعين وبعضها ثلاثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه
الريح لتتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه ان يلقط الطعم ويستخرجه بعد
ان يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه ولاي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يامل في فراخه ما
يامل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا هو فعل يشهد بانه معطوف على فراخه لعلة
لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره انظر الى الدجاجة كيف تهيج
لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطا بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي وتمتنع من الطعم
حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها الا لاقامة النسل ومن اخذها باقامة النسل
ولا روية ولا تفكر لولا انها مجبولة على ذلك اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المخ الاصفر الخاثر والماء
الابيض الرقيق فبعضه لينشو منه الفرخ وبعضه ليغتذي به الى ان تنقاب عنه البيضة وما في ذلك
من التدبير فانه لو كان نشو الفرخ في تلك القشرة المستحصفة التي لا مساغ لشيء اليها جعل معه في
جوفها من الغذاء ما يكتفي به الى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل الى من فيه فيجعل
معه من القوت ما يكتفي به الى وقت خروجه منه فكر في حوصلة الطائر وما قدر له فان مسلك
الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام الا قليلا قليلا فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى
تصل الاولى الى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه فانما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر
فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليوعي فيها ما ادرك من الطعم بسرعة ثم تنفذه الى القانصة
على مهل وفي الحوصلة ايضا خلة اخرى فان من الطائر ما يحتاج الى ان يزق فراخه فيكون رده
للطعم من قرب اسهل عليه قال المفضل فقلت ان قوما من المعطلة يزعمون ان اختلاف الالوان
والاشكال في الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط واختلاف مقاديرها بالمرج والاهمال

تأمل يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالاقلام
كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف ولو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفا تأمل
ريش الطير كيف هو فانك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق قد الف بعضها الى بعض كتأليف
الخيط الى الخيط والشعرة الى الشعرة ثم ترى ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا ولا ينشق لتداخله
الريح فيقل الطائر اذا طار وترى في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر
ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي في وسط الريشة وهو مع ذلك اجوف ليخف على الطائر ولا يعوقه عن
الطيران هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه
فانه اكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب
في الماء فان رأى شيئا مما يتقوت به خطا خطوات رفيقا حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين كان يخطو
نحو الصيد ليأخذه ويصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه ويتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك
بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فانك تجد كل طائر طويل
الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الارض وربما اعين مع طول العنق بطول
المناقير ليزداد الامر عليه سهولة وامكانا افلا ترى انك لا تفتش شيئا من الخلقة الا وجدته على
غاية الصواب والحكمة انظر الى العصافير كيف تطلب اكلها بالنهار فهي لا تفقده ولا هي تجده مجموعا
معدا بل تناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف قدره فلم يجعل مما لا يقدر
عليه اذ جعل للخلق حاجة اليه ولم يجعله مبذولا ينال بالهوينا اذ كان لا صلاح في ذلك فانه لو كان
يوجد مجموعا معدا كانت البهائم تتقلب عليه ولا تنقلع عنه حتى تبشم فتهلك وكان الناس يصيرون
بالفراغ الى غاية الاشر والبطر حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش اعلمت ما طعم هذه الاصناف من
الطير التي لا تخرج الا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش قلت لا يا مولاي قال ان معاشها من
ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش واشباه الجراد واليعاسيب وذلك ان هذه الضروب
مبثوثة في الجو لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بانك اذا وضعت سراجا بالليل في سطح او عرصة دار
اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن اين يأتي ذلك كله الا من القرب فان قال قائل انه يأتي من الصحارى
والبراري قيل له كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار

ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئا من الأرض م

ابعاده

محفوفة

محفوفة بالدور فيقصد اليه مع ان هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب فيدل ذلك على انها منتشرة
في كل موضع من الجو فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذا خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه
الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج الا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف مع ذلك المعنى
في خلق هذه الضروب التي عسى ان يظن ظان انها فضل لا معنى له خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة
الطير وذوات الاربع اقرب في ذلك انه ذو اذنين ناشزتين واسنان ووبر وهو يلد ولادا ويرضع
ويبول ويمشي اذا مشى على اربع وكل هذا خلاف صفة الطير ثم هو ايضا مما يخرج بالليل ويتقوت بما
يسري في الجو من الفراش وما اشبهه وقد قال قائلون انه لا طعم للخفاش وان غذاءه من النسيم
وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين احداهما خروج ما يخرج من الثفل والبول فان هذا لا يكون
من غير طعم والاخرى انه ذو اسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للاسنان فيه معنى وليس في
الخلقة شيء لا معنى له واما المآرب فيه فمعروفة حتى ان زبله يدخل في بعض الاعمال ومن اعظم الارب
فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل ثناؤه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة فاما
الطائر الصغير الذي يقال له ابو عزة فقد عشش في بعض الاوقات في بعض الشجر فنظر الى حية
عظيمة قد اقبلت نحو عشه فاغرة فاها تبتغي ابتلاعه فبينما هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها اذا
وجد حسكة فحملها فالقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوي وتتقلب حتى ماتت افرأيت لو لم اخبرك بذلك
كان يخطر ببالك او ببال غيرك انه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة او يكون من طائر صغير او كبير
مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الاشياء يكون فيها منافع لا تعرف الا بحادث يحدث به او خبر
يسمع به انظر الى النحل واحتشاده في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك
من دقائق الفطنة فانك اذا تأملت العمل رأيته عجيبا لطيفا واذا رأيت المعمول وجدته عظيما شريفا
موقعه من الناس واذا رجعت الى الفاعل الفيته غبيا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففي هذا
اوضح الدلالة على ان الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها و
سخره فيها لمصلحة الناس انظر الى هذا الجراد ما اضعفه واقواه فانك اذا تأملت خلقه رأيته كاضعف
الاشياء وان دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع احد ان يحميه منه الا ترى ان ملكا
من ملوك الارض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك افليس من الدلائل على قدرة

بل هو الى ذوات الاربع م

الى القوي بضعف خلقه الى القوي خلقه فلا يستطيع دفعه انظر اليه كيف ينساب على وجه الارض
مثل السيل فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا مما يصنع
بالايدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم سنة كان يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لا
يؤودها شيء ولا يكثر عليها تامل خلق السمك ومشاكلته للامر الذي قدر ان يكون عليه فانه خلق غير
ذي قوائم لانه لا يحتاج الى المشي اذ كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رئة لانه لا يستطيع ان يتنفس
وهو منغمس في اللجة وجعلت له مكان القوائم اجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح
بالمجاذيف من جانبي السفينة وكسي جسمه قشورا متانا متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه
من الآفات فاعين بفضل حس في الشم لان بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد
البعيد فينتجعه والا فكيف يعلم به وبموضعه واعلم ان من فيه الى صماخيه منافذ فهو يعب الماء
بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح من ذلك كما يتروح غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم
فكر الآن في كثرة نسله وما خص به من ذلك فانك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا
يحصى كثرة والعلة في ذلك ان يتسع لما يتغذى به من اصناف الحيوان فان اكثرها ياكل السمك
حتى ان السباع ايضا من حافات الآجام عاكفة على الماء ايضا كي ترصد السمك فاذا مر بها خطفته
فلما كانت السباع ياكل السمك والطير ياكل السمك والناس ياكلون السمك والسمك ياكل السمك
كان من التدبير فيه ان يكون على ما هو عليه من الكثرة فاذا اردت ان تعرف سعة حكمة الخالق و
قصر علم المخلوقين فانظر الى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والاصداف والاصناف
التي لا تحصى ولا تعرف منافعها الا الشيء بعد الشيء يدركه الناس باسباب تحدث مثل القرمز فانه
انما عرف الناس صبغه بان كلبة تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئا من الصنف المسمى بالحلزون
فاكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس الى حسنه فاتخذوه صبغا واشباه هذا مما يقف الناس
عليه حالا بعد حال وزمانا بعد زمان والاخبار في منافع اتخاذ بعض الحيوانات والفوائد المترتبة
على اكل لحومها والبانها وسائر اعضائها اكثر من ان يضبط **وصل** وقال بعض
العلماء ومن آيات عجائب اصناف الحيوانات واقسامها الى ما يطير والى ما يمشي واقسام ما
يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد ذلك في بعض الحشرات

والديدان

والديدان واقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى
وحوش البر والى البهائم الاهلية من العجائب ما لا يشك معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها و
حكمة مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة او النحلة
او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها
وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر على ذلك فترى
العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع
فما دونها حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدئ فيلقي اللعاب الذي هو خيطه على
جانب ليلتصق به ثم يغدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك ثانيا وثالثا
ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط فيشتغل
بالسدى فيلصق السدى الى اللحمة ويحكم العقد على موضع التقاء السدى باللحمة ويراعي في جميع
ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا
لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع فيها بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب
لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منها بخيط آخر وبقي
منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت ذبابة رمى بنفسه اليها فاخذها واحكم خيطه
على رجلها واحكمها ثم اكلها وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجائب ما لا يحصى
افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه آدمي او علمه او لا هادي له
ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انه مسكين عاجز ضعيف بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوته عاجز
عن امر نفسه فكيف بهذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بنفسه وشكله وصورته وحركته و
هدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان
الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن
سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير
محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا ولو دودا
جدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى

الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها واصوافها و
اوبارها واشعارها التي جعلها الله لباسا للخلق واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم واثاثا لاثاثهم
واوعية لاغذيتهم وصونا لاموالهم وحمل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب
وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبراري والمفازات لكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها
فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه
من غير فكر ومن غير تامل وتدبير ومن غير استعانة بوزير او مشير وهو العليم الخبير القدير ولقد تخرج
باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للمخلوق الا الاذعان لقدرته و
قدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته من الذي يحصي ثناء عليه بل هو
كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فسبحانه جل ان يكون سابقا بهدايته
ورافته **تتمة في بديع خلقة بعض الحيوانات** اعلم ان من عجب الحيوانات خلقة الابل
فان الله سبحانه خلقها خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لحمل الاثقال الى البلاد النائية
فجعلها عظيمة باركة حتى تحمل عن قرب وتنهض بالحمل وليس ذلك في غيرها من ذوات الاربع
وخلقت طويلة العنق ليعادل بها اعضاءها لتتمكن من القيام بالاحمال الثقال ترعى كل نابت و
تحتمل العطش ليالي لتقطع البراري والمفاوز لسلامتها وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا
بشق الانفس مع ما لها من منافع اخر ولهذا خصت في القران المجيد من بين الحيوانات بالنظر في
خلقها فقال سبحانه افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت في المجمع سئل الحسن عن هذه الاية وقيل له
الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا
يوكل لحمها ولا يحلب درها والابل من اعز مال العرب واعفو تاكل النوى والقت وتخرج اللبن
ويأخذ الصبي زمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها ويحكى ان فارة اخذت بزمام ناقة
فاخذت تجره وهي تتبعها حتى دخلت الجحر فجرت الزمام فبركت فجرت فقربت فمها من جحر الفار وفي
رسائل اخوان الصفا الاسد اكبر السباع جثة واعظمها خلقة واقواها بنية واشدها قوة وبطشا
واعظمها هيبة واجلادا عريض الصدر دقيق الخصر لطيف المؤخر كبير الراس مدور الوجه واسع الجبين
واسع الشدقين مفتوح المنخرين سين الزند حاد الاسنان صلب المخاليب براق العينين جهير الصوت

شديد الزئير شجاع القلب لا يهاب هائل المنظر لا يخاف احدا ولا يعوقه لشدة باسه الجواميس ولا الفيلة
والتماسيح ولا الرجال ذو النابل الشديد ولا الفرسان ذو السلاح الشاكي الملك عمر شديد العزم صارم
الراي مدبرا واذاه ما يرمقه الى نفسه ولا يستعين باحد من جنوده واعوانه يحمي النفس اذا اصطاد
فريسته اكل منه وتصدق بما بقي على جنوده وخدمه صلف النفس على الامور الدنية لا يتعرض للنساء
والصبيان ولا الايتام كريم الطبع اذا راى ضوءا من بعيد ذهب نحوه في ظلم الليل ووقف منه بالبعد و
سكنت سورة غضبه ولانت صولته واذا سمع نغمة طيبة قرب منها وسكن اليها لا يمتنع من شيء
ولا يتاذى الا من النمل الصغار فانها مسلطة عليه وعلى امثاله كسلطان البق على الفيلة و
الجواميس وكسلطان الذباب على الملوك الجبابرة من بني ادم وقال في وصف العنقاء انه ماوى
على اطراف الجبال الشامخة في جزائر البحر الاخضر التي قل ما يبلغ اليها المراكب او احد من البشر وهو اكبر
الطير جثة واعظمها خلقة واشدها طيرانا كبير الراس عظيم المنقار كانه معول من حديد حادة
المخاليب معقوسات كانها خطاطيف من حديد عظيم الجناحين اذا نشرهما كانهما شراعان من
شرع مراكب البحر وذنبه مناسب لهما كانه منارة نمرود الجبار واذا انقض من الجو في طيرانه اهتز
الجبال من شدة تموج الهواء من خفقان جناحيه وهو يخطف الجواميس والفيلة من وجه الارض
في طيرانه كما يخطف الحداة الفارة من وجه الارض في طيرانها وقال في صفة الثعبان انه
ماوى من البلاد فيدروس الجبال الشامخة المتقعة التي فوق كرة النسيم عند كرة الزمهرير حيث
لا يرتفع الى هناك سحاب ولا غيوم ولا يقع هناك امطار ولا ينبت نبات ولا يعيش حيوان
من شدة برد الزمهرير والعلة في ارتفاعه الى هناك انه يستروح ببرد الزمهرير من شدة
وهج السم الذي في بدنه وتلهبها في جسمه ويشبه التنين في الصورة والاخلاق والسيرة
وقال في صفة التنين انه حيوان عظيم الخلقة عجيب الصورة طويل القامة عريض الجثة هائل
المنظر مهول المخبر مخافة ويهابه حيوانات الماء لشدة قوته وعظم صولته اذا تحرك هاج البحر من
شدة سباحته كبير الراس براق العينين واسع الفم والجوف كثير الاسنان يبلع في كل يوم من
حيوان البحر ما لا يحصى واذا امتلأ جوفه منها والتم تقوس والتوى واعتمد على راسه وذنبه ورفع
وسطه خارجا من الماء في فضاء الهواء مثل قوس قزح مشرقا في عين الشمس يستروح لحرها

حتى يستوي في جو فربما يعرض له وهو على تلك الصفة غشيه وسكر وينشو السحاب من البحر فيرفعه
ويرميه ببر الاتي ياجوج وماجوج ولا يقع التنين من نتن الاموات بل بصيغة تشبه الجرجس لسود
لا يقدر عليها الطيشا ولانها احترازا واذا السقعد ديبها في حبث فات واجتمعت عليه الحيوانات
البحرية فتاكلها مدة من الزمان عشا وغدا وفي عجائب المخلوقات للقزويني ان التنين حية عظيمة شر
من الكوسج في فمه انياب مثل اسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق احمر العينين مثل الدم واسع
الفم والجوف براق العينين يبتلع كثيرا من الحيوانات يخافه حيوان البر والبحر اذا تحرك يتموج البحر
لشدة قوته واول امره يكون حية متمردة تاكل من دواب البر ما ترى فاذا كثر فسادها احتملها
ملك والقاها في البحر فتفعل في دواب البحر ما كانت تفعل بدواب البر فيعظم بدنها فيبعث
الله تعالى اليها ملكا يحملها ويلقيها الى ياجوج وماجوج وروى بعضهم انه راى تنينا طوله نحو من
فرسخين ولونه مثل لون النمر مفلسا مثل فلوس السمك بجناحين عظيمين على هيئة جناحي السمك
وراسه كراس الانسان لكنه كالتل العظيم واذناه طويلتان وعيناه مدورتان كبيرتان جدا وفي
عجائب الملك انه ظهر بارض حلب سنة اربع وعشرين وستمائة تنين عظيم بغلظ منارة وطول مفرط
ينساب على الارض يبلع كل حيوان يجده ويخرج من فيه نار تحرق ما يلقاه من شجر او نبات و
احتاز على بيوت فاحرقها والناس يهربون منه يمينا وشمالا حتى انساب قدر اثني عشر فرسخا فاغاث
الله تعالى الخلق منه بسحابة نشات وتدلت اليه واحتملته وكان قد لف ذنبه على كلب فرفع الكلب معه والكلب
يعوي في الهوا والسحاب يمشي والناس ينظرون اليه الى ان غاب عن الاعين ومنه انه ظهر في
جزيرة السجاح تنين عظيم يتلف مواشيهم وكان الناس منه في شدة شديدة فجعلوا له كل يوم ثورين
وظيفة ينصبونها قريبا من موضعه وهو يقبل كالسحاب الاسود وعيناه تتقدان كالبرق الخاطف
والنار تخرج من فيه فيبلع الثورين ويرجع الى مكانه وان لم يفعلوا ذلك قصد الادميين واتلف من
الناس والمواشي والمال شيئا فشكى اهل هذه الجزيرة الى الاسكندر فامر باحضار ثورين و
سلخهما وحشي جلدهما زفتا وكبريتا وكلسا وزرنيخا وكلاليب باحشائه فرآه ميتا فاخفاه
ففرح الناس بموته وفي عجائب المخلوقات حكى بعض التجار انه ركب مع جماعة في البحر فلما ساروا
اياما وجدوا جزيرة فنزلوا بها وحفروا حفرا ووضعوا عليها قدور الطبخ للاطعمة واوقدوا تحتها

حديد وجعلها مكان الثورين على العادة فجاء التنين وابتلعهما واضطرمت النار في جوفه وتعلقت الكلاليب

نارا فلما اشتعلت النار تحركت الجزيرة فقال الملاحون ليست هذه جزيرة بل هي سلحفاة احست بحرارة
النار فتحركت وادرك القوم بالرحيل وركوب السفينة فلما ركبوها غاصت تلك السلحفاة في البحر و
لم يجدوا من الجزيرة اثرا وفي مشارق الانوار ان سليمان عليه السلام كان سماطه كل يوم سبعة اكرار فخرجت
دابة من دواب البحر يوما وقالت يا سليمان اضفني اليوم فامر ان يجمع لها مقدار سماطه شهرا فلما
اجتمع ذلك على ساحل البحر وصار كالجبل العظيم اخرجت الحوت راسها وابتلعته وقالت يا سليمن
اين تمام قوتي اليوم هذا بعض قوتي فعجب سليمن وقال لها في البحر دابة مثلك فقالت الف امة فقال
سليمن سبحان الله الملك العظيم وفي عجائب البلدان ومن عجيب عادات اهل بلاد الزنج اصطيادهم الفيل
وتجاراتهم على عظامها وذلك لان الفيلة الوحشية ببلاد الزنج كثيرة والمستانسة ايضا كذلك و
الزنج لا يستعملونها في الحرب ولا في العمل بل يستنفعون بعظامها وجلودها ولحومها وذلك ان عندهم
ورقا يطرحونها في الماء فاذا شرب الفيل من ذلك الماء اسكره فلا يقدر على المشي فيخرجون اليه
ويقتلونه وعظام الفيل وانيابها من ارض الزنج يجلبون واكثر انيابها يحملون منها الى مائة من وربما
يصل الى ثلثمائة من ومنه عند ذكر مدينة تكرور وحكى انه كان بها ادور وقاصد من بعض عمال الملك
يقول قد رايت سوادا عظيما لا يعرف ما هو فالملك استعد للقتال فخرج بعساكره فاذا فيلة كثيرة
جاوزت العد والحصر فحارت حتى ترد الماء بقرب تكرور فقال الملك امسكوها بالنبل فلم يلتفت منها
شي من النبال وكانت تخفي خراطيمها تحت بطونها لئلا يصيبها النبل واذا اصاب شيا من بدنها اثر
عليها الخطور ووردتها فشربت الماء ورجعت ومنه ان بجزيرة زانج قوم على صورة البشر الا ان اخلاقهم
بالسباع اشبه يتكلمون بكلام لا يفهم ويطفرون من شجرة الى شجرة وبها صنف من السنانير لها اجنحة كاجنحة
الخفافيش من الاذن الى الذنب وبها وعول كالبقر الجبلية الوانها حمر منقطة ببياض واذنابها
كاذناب الظباء ولحومها ومنه ان بجزيرة سكسار قوم وجوههم وجوه الكلاب وسائر بدنهم كبدن
الناس وبجزيرة القصار قوم قامة احدهم قدر ذراع واكثرهم اعور وحكى ان ذا القرنين راى في
بعض جزائر الهند امة رؤسهم رؤس الكلاب وانيابهم خارجة من فيهم خرج الامر وركب ذو القرنين
وجاء بهم فراى نورا ساطعا فاذا هو قصر مبني من البلور الصافي وهولاء يخرجون منه فاراد
النزول فيجبر عليه فمنعه بهرام الفيلسوف الهندي وعرفوا ان من دخل هذا القصر يقع عليه النوم

والغشي ولا يستطيع الخروج فيظفر به هؤلاء ومنها ان في بعض بلاد الهند غنم لها ست اليات احدها
على المكان المعهود والثانية على الصدر والثالثة والرابعة على الكتفين والخامسة والسادسة على الفخذين
ومنها ان بها طيرا اعظم الجثة جدا قالوا انه في بعض جزائرها اذا مات يؤخذ نصف منقاره ويتخذ
مركبا يركب الناس فيه في البحر ومن عظم ريشه يتخذ اواني الطعام يسع واحد منها الكثير ومنها
ان بارض الهند بحيرة مقدار عشرة فراسخ في مثلها ماؤها ينبع من اسفلها الا انه ليس لها شيء من
الانهار وفي تلك البحيرة حيوانات على صورة الانسان اذا كان الليل يخرج منها عدد كثير يلعبون
على ساحل البحر ويرقصون ويصفقون بالايدي ومنهم جوار حسناوات ويخرج منها ايضا حيوانات
على غير صورة الانسان عجيبة الاشكال والناس في الليالي القمر يقعدون من البعد وينظرون اليهم
وكلما كان النظار اكثر كان الخارجون اكثر وربما جاؤوا بالفواكه الكثيرة اكلوها وتركوا ما فضل
منهم على الساحل وان فات منهم احد اخرجوه من البحيرة وستروا سوأته بالطين والناس يحفظونه
ما دام يجيء على الساحل لا يخرج من الماء احد البتة **وصل** المركب العنصري لما استوفى
درجات النبات تخطى خطوة اخرى الى جانب القدس ان كان من اهل السلوك على صراط الله وان
كان ناقصا ضعيف الفعل حيث كان يتضرع الى الله في فكاك رقبته من النقصان كالاجنة في بطون
امهاتها لما الهمها نفوس نباتية ولم تصر حيوانات بعد فاذا كان كذلك تقرب الى الله تعالى بالتوجه
اليه تقربا ما تقرب الله سبحانه اليه ضعف تقربه كما هو سنة الله فيفيد له بدل صورته الناقصة صورة
كمالية حيوانية ذات نفس ملكوتية حساسة دراكة متحركة بالارادة فيصدر عنها بسائطها كل ما
يصدر من النبات ويزيد عليه افعال مختصة بها فيوكل الله تعالى مع تلك الملكة التي كانت له اولا
ملكة اخرى ارفع درجة منها بها يدرك ويتحرك بالارادة وهذا هو الحيوان وينقسم الحيوان الى
كامل في الحيوانية وناقص فيها فاما الكامل منه في الحيوانية فهو ما يقوى اثر النفس فيه ويكون من شانه
ان يدخل في نشأة الملكوت ويصير حيا بالذات مستقلا في تلك النشأة فاذا كان كذلك افاض
الله سبحانه عليه بعد قوته المحركة اعني الفاعلة للحركة الارادية والباعثة لها المنقسمة الى الشهوية و
الغضبية عشر حواس للادراك خمسة للنشأة الظاهرة هي اللامسة والذائقة والشامة والباصرة والسامعة
وخمسة للنشأة الباطنة هي الحس المشترك المدرك للصور والخيال الحافظ لها والوهم المدرك للمعاني

والحافظة التي تحفظها والمتصرفة التي تركب بعضها من الصور والمعاني مع بعض وتفصل بعضها منها عن بعض
وافاض عليه نفسا ملكوتية مستخدمة لها الا انها تبقى بعد بوارحها بوجود مستقل وهي اما ناطقة اي
ذات ادراكات كلية عقلية كالنفوس الانسانية او غير ناطقة كنفوس الحيوانات الكاملة الاخر فتصير
الحيوانات الكاملة بذلك ذا حظين يكون له قدم في هذه النشأة واخرى في تلك النشأة فما اخف
في تكميل النشأتين سيما بالاولى الفانية حتى يبلغ في تكميلها الاحد ما يمكن له ان يجعلها الة التكميل
الاخرى متوجها الى الله سبحانه من عالم الاخرة توجها غريزيا وسلوكا ذاتيا كما اشير اليه بقوله
تعالى مخاطبا لاشرف انواعه يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فيتكامل ذاته
يوما فيوما بالتدريج باستعداد يكتسبها من النشأة الاولى واخلاق وهيئات اما في سعادة
او في شقاوة حتى يستقل في النشأة الاخرى فيصير فيها بالفعل ويبطل عنه القوة الاستعدادية
فيستغني عن تحريك البدن ويرفض هذه النشأة الفانية استغناء عنها ويرتحل الى الاخرة ارتحالا
طبيعيا وهذا هو الموت الطبيعي للحيوان الكامل وهو بعينه ولادة وحيوة في النشأة الاخرى
ومبناه استقلال النفس بحيوتها الذاتية وترك استعمالها الالات البدنية على التدريج حتى
تتفرد بذاتها وتخلع البدن بالكلية لصيرورتها بالفعل وهذه الفعلية لا تنافي الشقاوة الاخروية
اذ ربما تصير شيطانا بالفعل او على شاكلة ما غلب عليها من الصفات الردية واما الناقص في
الحيوانية فهو ما ضعف اثر النفس فيه ولم يكن من شانه الدخول في الملكوت والصيرورة من
اهله فاذا كان كذلك افاض الله عليه بعض الحواس دون بعض اما قوية او ضعيفة على اختلاف
مراتب الحيوانات وكلها ولكن ضعيف الباطنية خصوصا حس الخيال فيعيش في هذه النشأة مع
ما حيوة خسيسة بقوة الملكوت حيث ان ملكها وقواها من تلك النشأة ثم اذا مات فات كالنبات
لعدم تعينه واستقلاله في تلك النشأة فلم يبق منه الا رب نوعه الذي به حيوته وقوامه وفيه
هويته وحشره اليه كما قال الله سبحانه وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون **وصل** ان الله سبحانه خلق الحيوانات انواعا
مختلفة واصنافا شتى اختلافا لا يدخل تحت الحصر والضبط سئل امير المؤمنين عليه السلام عن الخلق
فقال خلق الله الفا ومائتين في البر والفا ومائتين في البحر واجناس بني ادم سبعون جنسا

والناس والملائم ما خلا ما جوج وماجوج والبري يتنفس ويتروح الحرارة من الهواء والبحري اما مكانه و
غذاؤه وتنشقه في الماء فينقل الماء الى بطنه ثم يرده بدل التنسيم فلا يعيش اذا فارقه واما مكانه وغذاؤه
في الماء ولكن يتنفس من الهواء سواء كان معدنه في الماء ولا يبرز او كان له ان يبرز كالسلحفاة و
اما مكانه وغذاؤه في الماء ولا يتنفس اصلا كاصناف من الصدف والمتنفس اما يتنفس من طريق
واحد كالفم والخيشوم او من مسامه مثل الزنبور والنحل ومن الحيوان ما يحتاج الى طعم معين كالنحل
فان غذاءه زهري والعنكبوت فان غذاءه ذباب ومنه منفتن الطعم ومنه ما يحتاج الى ماوى
معين ومنه ما ياوي حيث اتفق الا انه يحتاج الى ماوى كيف اتفق الا ان يلتقم الحضانه ومنه ما هو انس بالطبع
كالانسان او بالمولد كالهرة والفرس او بالقسر كالفهد ومنه ما لا انس له كالنمر ومنه ما لا يمكن ان يعيش
وحده كالانسان والنحل والنمل الا ان النحل يطيع رئيسا واحدا والنمل له اجتماع ولا رئيس له و
منه ما يحتاج الى حمل الشيء اما اثنتين او اربع او ثمانية او اكثر ولا بد ان يكون زوجا ليتعاد المحمل
والثقل ومنه ما لا يحتاج الى ذلك بل يمشي على بطنه كما ذكره الله تعالى ومنه ما يحتاج الى اجنحة اثنتين
او اربع يطير بها بصفيف او دفيف قال الله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن
ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير وقال الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن
الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والمتنقل في الماء منه ما يعتمد في غوصه على راسه وفي
السباحة على ارجله كالضفدع ومنه ما يمشي في قعر الماء كالسرطان ومنه ما يزحف كضرب من
السمك لا جناح له ومن الحيوان مصوت وغير مصوت وكل مصوت فانه عند الاغتلام وحركة
شهوة الجماع اشد تصويتا الا الانسان ومنه ما هو سبق كالديك ومنه ما يعين له وقت معين
يهيج فيه ومنه ما تناسله بان تلد انثاه حيوانا مثله ومنه ما تناسله بان يبيض انثاه بيضا
ومنه ما يبيض في بطنه ثم يصير بعد ذلك دودا مثل الجوي المعروف بسلاحي وربما كان بيضا
في البطن وصار قبل انفصاله حيوانا كالاكثر الافاعي الى غير ذلك من الاختلافات الكثيرة فالله
سبحانه بلطيف صنعه وبليغ حكمته لكل منها الآت وقوى بخاص افاعيلها وحاجاتها ما يناسبها
فاختلفت الحيوانات بحسب الاعضاء والادوات واوضاعها واعدادها وقواها ومشاعرها ومداركها
لحكم ومصالح مختصة بها وكل حيوان شحيم ذي اذن فله ما غد دسم وما لا شحم له فلا دسومة له ومنه

اي عوضا كالسلحفاة في السباحة

وذو

وذو الاذن يولد غالبا وما ليس له اذن ظاهر يكون من الابيض ومن الحيوان ما لا يغتذي مدة ويكون
مع ذلك في غاية السمن والقوة كالدببة الشاتية والقنفذ ومنها يغتذي من الحيوان فقط ومن
النبات فقط او منهما ومن الطير الكلوم ولا قط حب وكل عشب وكل طائر جناح ذو ريش فهو ذو قدم وما
جناحه جلد او صفاق فقد يكون له دم كالخفاش وقد لا يكون كالنحل وما له جناح صفاقي ولا دم له
منه ما له جناحان ومنه ما له اربعة اجنحة ومنه ما له ابرة يلسع بها وذو الجناحين منه صغير ومنه ما يلسع
بخرطومه كالبعوض والذباب وربما كان الجناح الصفاقي في غلاف كالجعلان والعديم الدم اصغر من
ذي الدم ما خلا اصناف الحيوان البحري وكما انها مختلفة الاعضاء والالات البدنية فكذلك مختلفة
في الاخلاق والهيئات النفسانية فمنها هاد بالطبع قليل الغضب والخرق كالبقر وشديد الجهل والغضب
كالخنزير البري وحليم جزوع كالبعير وردي الحركات مغتال كالحية وجري قوي شهم ومع ذلك
كبير النفس كريم كالاسد وقوي مغتال وحشي كالذئب ومحتال مكار ردي الحركات كالثعلب و
غضوب شديد الغضب سفيه خبيث الا انه ملق متودد كالكلب وشديد الكيس مستانس كالفيل و
القرود ذو حياء وحفاظ كالاوز وحسود متنافر مباه بجماله كالطاوس وشديد الحفظ كالجمل والحمار
الى غير ذلك من الصفات والاخلاق وبالجملة لكل نوع من انواع الحيوانات خاصية هو مطبوع عليها
وكلها توجد في الانسان وذلك انه يكون شجاعا كالاسد جبانا كالارنب سخيا كالديك بخيلا
كالكلب انوسا كالحمار وحشيا كالنمر الى غير ذلك ولكل منها هاد وملهم يهديه الى حصائه بعل افعاله
واخلاقه من الملئكة الموكلة بها باذن الله سبحانه والله تعالى وراء الكل اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وصل
وذكر الرازي في بعض مؤلفاته طرفا من عجائب بعض افعال الحيوانات من اهتدائها الى ما فيه صلاحها
ما ملخصه ان الفارة يجعل ذنبها في قارورة الدهن ثم تلحس لعلمها بانها محتاجة الى الدهن وان راسها لا
يدخل في القارورة وان ذنبها يدخل وان المقصود حاصل بهذا الطريق والنحل يبني البيوت المسدسة
وهذا الشكل فيه منفعتان لا تحصلان الا من المسدس احدهما ان المسدسات اذا ضم بعضها الى بعض
لم يبق فيما بينها فرجة ضائعة بخلاف غيرها من الاشكال وثانيهما ان البشر لا يقدر على بناء البيت
المسدس الا بالمسطر والبركار والنحل يبني تلك البيوت من غير حاجة الى شيء من الالات والادوات ثم
ان عجائب احوال النحل في رياسته وفي تدبيره لاحوال الرعية وفي كيفية خدمة الرعية لذلك الرئيس كثيرة

وان النمل يسعى في اعداد الذخيرة لنفسها لعلمها باحتياجها الى الغذاء في المستقبل وعدم اقتدارها على
تحصيله في ذلك الوقت ومن عجائب احوالها انها اذا احست بنداوة المكان فانها تشق الحب بنصفين
لعلمها بان الحبة لو بقيت سالمة ووصلت النداوة اليها لنبتت منها وتفسد الحب على النملة اما اذا
صارت متفرقة بنصفين لم ينبت ومن عجائبها انها اذا وصلت النداوة الى تلك الاشيا ثم طلعت
الشمس فانها تخرج تلك الاشيا من جحرها وتضعها حتى تجف ومنها انها اذا احتاجت في نقل متاعها
الى داخل الجحر تركت في المنزل للامطار وهبوب الرياح وان العنكبوت يبني بيوتها على وجه عجيب
وذلك انها ما نسجت الشبكة التي هي مصيدتها الا انها تفكرت كيف ينبغي وضعها حتى يصلح لاصطياد
الذباب بها وان الجمال والحمار اذا سلكا طريقا في الليلة الظلما وفي المدة الثانية يقدر على سلوك ذلك
الطريق من غير ارشاد مرشد ولا تعليم معلم حتى ان الناس اذا اختلفوا في ذلك الطريق وقدموا الجمال
تبعوه ووجدوا الطريق المستقيم عند مشاهدته والقطاء يطير في الهواء من مدة طيرانا مستويا من غير غلط
ولا خطا وكذلك الكراكي تنتقل من طرف من اطراف العالم الى طرف اخر لطلب الهواء الموافق من غير
غلط البتة وان الدب اذا اراد ان يفترس الثور علم انه لا [غير مقروء] ظاهرا فيقال انه يستلقي
في ممر ذلك الثور فاذا قرب الثور واراد نطحه حلقه فيما بين ذراعيه ولا يزال ينهش ما بين ذراعيه
حتى ينحر وايضا انه ياخذ العصا ويضرب الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه وربما عاد يشمه
ويتجسس نفسه وايضا يصعد الشجر اخف صعود وياخذ الجوز بين كفيه ويضربها باحد كفيه على ما
في الكف الاخر ثم ينفخ فيه ويزيل القشور وياكل اللب وان الثعلب اذا اجتمع البق الكثير والبعوض الكثير
على جلده اخذ بفيه قطعة من جلد حيوان ميت ثم يضع يديه ورجليه في الماء ولا يزال يغوص فيه قليلا
قليلا فاذا احس البق والبعوض بالماء اخذت تصعد الى المواضع الخارجة من الثعلب من الماء ثم
ان الثعلب لا يزال يغوص قليلا قليلا وتلك الحيوانات ترتفع قليلا قليلا فاذا غاص كل بدنه في الماء
وبقي راسه خارج الماء تصاعد كل تلك الحيوانات الى الراس ثم انه يغوص راسه في الماء قليلا قليلا
فتلك الحيوانات تنتقل الى تلك الجلدة الميتة وتجتمع فيها فاذا احس الثعلب بانتقالها الى تلك الجلدة رماها
في الماء وخرج من الماء سليما فارغا عن تلك الحيوانات الموذية ويقال ان من خواص الفرس انه
يعرف صوت الفرس الذي قاتله والكلاب تتعالج بالعشبة المعروفة لها والفهد اذا سقي الدواء

المعروف

المعروف بخانق الفهد طلب براز الانسان فاكله والسلحفاة يتناول بعد اكل الحية صعترا جبليا ثم تعود و (المحاربة)
تقاتل الافعى ومتى رجعت الى العقلة تنبح الخنس العربي وتتعالج باكلها من لسعة الافعى ثم تعود ولا تزال
تفعل ذلك حتى تقتله وابن عرس يستظهر في قتال الحية باكل السذاب والكلاب اذا تدودت بطونها
اكلت سنبل الحنطة واذا جرحت اللقالق بعضها بعضا عالجت تلك الجراحات بالصعتر الجبلي و
اللقالق تحس بريح الشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى جحرها والخطاف يتخذ العش
لنفسه من الطين وقطع الخشب فاذا اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من
الطين واذا افرخ بالغ في تعهد الفراخ وياخذ ذرقها بمنقارها ويرميها عن العش ثم تعلمها القاء
الذرق بالتولية نحو طرف العش واذا قرب الصائد من مكان فرخ القبج ظهرت له القبجة وقربت منه
مطمعة لاجل ان يتبعها ثم تذهب الى جانب اخر سوى جانب فراخها وناقر الخشب قلما يجلس على
الارض بل يجلس على الشجر وينقر الموضع الذي علم ان فيه دودا والغرانيق تصعد في الجو جدا عند
الطيران فان حصل ضباب وسحاب تحمي بعضها عن بعض واحدث بحنجرتها حفيفا يسمعها
ويصير ذلك الصوت سببا لاجتماعها وعدم تفرقها واذا نامت نامت على فرد رجل وادخلت
راسها في جناحها لعلمها بان الجناح احمل للصدمة وتحفظها قائدا وحارسا للايام ولا يدخل
راسه في جناحه ولا يزال ينظر من جميع الجوانب فاذا احس باحد صاح تنبيها للباقين و
النعامة اذا اجتمع لها من بيضها عشرون او ثلاثون قسمتها ثلاثة اقسام فتدفن ثلثها في التراب
وتترك ثلثها في الشمس وتحضن ثلثها فاذا اخرجت الفراخ كسرت ما كان في الشمس وسقت
تلك الفراخ ما فيها من الرطوبة التي في وجهها الشمس ورققتها فاذا قويت تلك الفراخ اخرجت
الثلث المدفون في الارض وثقبتها وقد اجتمع فيها النمل والذباب والديدان والحشرات فتجعل
تلك الاشياء طعمة لتلك الفراخ فاذا تم ذلك صارت الفراخ قادرة على الرعي والطلب وصل
ومن لطف الله سبحانه ورافته ان خلق هذه الحيوانات كلها من عفونات الارض لضعف الهواء
من تلك العفونات التي لو خالطت الهواء الذي يستنشقه اوجع اهله فيه حيوة الانسان وعافيه لكان
سقيما مريضا معلولا لا ينفعه الجو بتحريك هذه المعفنات حيوانا لطفا لنقل الاسقام و
العلل له الهوا والمنزه ومن عنايات الله سبحانه ان جعل في جبلة الحيوانات الالام والاوجاع و

لئلا يكون زمانها نيام

والجوع والعطش حثا للنفوس بهما على حفظ اجسادها من الآفات العارضة لها اذ كانت الاجساد لا تعتمد
على جوع شبعة ودفع مضرة فلولا ذلك لتهاونت النفوس بالاجساد واسلمتها الى الهلاك قبل فناء
اعمارها وتقارب آجالها ومما علم انه لا يقدم بعد اوقها الا ان تحصل الحكمة منها على الطبيعيا اكثر ما
يمكن ثم تجيء الموت الطبيعي شاء او ابى وقد علم الله انه عين سكل جوهرها في البر والبحر والسهل والجبل
عدد لا يحصيه الا هو فجعل بواجب حكمته حيث جعل موتاها غذاء لاحيائها ومادة لبقائها لئلا يضيع
شيء مما خلق بلا نفع وفائدة فكان في هذا منفعة للاحياء ولم يكن فيه ضرر على الموتى وهنا اصح وجوه
الحكمة في اكل بعض الحيوانات بعضا ومن جملة تلك الوجوه انه لو لم يكن الاحياء تاكل جثث الموتى
لبقيت تلك الجثث واجتمع منها على ممر الايام والدهور حتى كان يمتلئ بها وجه الارض وقعر البحار ويفسد
المياه وريحها فتصير تلك سببا وهلاكا للاحياء فالغرض الاصلي من ذلك انما هو جلب النفع ودفع
المضرة وان نال بعضها الالام والاوجاع عند الذبح والقتل والقبض فان ذلك انما هو بالعرض
ولنقتصر في هذا النمط من الكلام على ذلك فانه يجل [illegible] او يبلغ حكم الله سبحانه وعناياته في
خلقه اكثر من ان يصل اليه صفة عاتق الفطن او تبلغه قرائح العقول او تستنظم وصفه اقوال
الواصفين

الباب الرابع عشر في الانسان

في النهج قال
عليه السلام ايها المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت
من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك
جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل
منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك
هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات خالقه اعجز ومن تناوله بحدود
المخلوقين ابعد وفيه جعل لكم اسماعا لتعي ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء
جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارفاقها وقلوب
رائدة لارزاقها في مجللات نعمه وموجبات منته وحواجز عافيته وقدر لكم اعمارا سترها
عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم الى قوله عليه السلام ام هذا الذي انشأه في ظلمات الارحام
وشغف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه قلبا حافظا

ولسانا

١٧٨

ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا
للخطر وفي الدر المنثور عن محمد بن كعب القرظي قال قرأت في التوراة او قال في صحف ابراهيم
فوجدت فيها يقول الله تعالى يا ابن آدم ما انصفتني خلقتك ولم تك شيئا وجعلتك بشرا سويا
خلقتك من سلالة من طين ثم جعلتك نطفة في قرار مكين ثم خلقت النطفة علقة فخلقت
العلقة مضغة فخلقت المضغة عظاما فكسوت العظام لحما ثم انشأتك خلقا آخر يا ابن آدم
هل يقدر على ذلك غيري ثم خففت ثقلك على امك حتى لا تتبرم بك ولا تتأذى ثم اوحيت الى
الامعاء ان اتسعي والى الجوارح ان تفرقي فاتسعت الامعاء من بعد ضيقها وتفرقت الجوارح من
بعد تشبكها ثم اوحيت الى الملك الموكل بالارحام ان يخرجك من بطن امك فاستخلصك على
ريشة من جناحه فاطلعت عليك فاذا انت خلق ضعيف ليس لك سن يقطع ولا ضرس يطحن
[illegible] لك لبنا باردا في الصيف حارا في الشتاء واخلصته
[illegible] ت لك في قلب والقيت الرحمة وفي قلب ابيك التحنن
[illegible] يعيشانك ولم يناما حتى ينوماك يا ابن آدم انا فعلت ذلك
[illegible] عنت على قضائها يا ابن آدم فلما قطع سنك وطلع ضرسك
[illegible] ستار في اوانها فلما عرفت انني ربك عصيتني فالان اذ عصيتني
[illegible] تال عن الحسين بن علي عليهما السلام في دعاء يوم عرفة ابتدأتني
[illegible] را وخلقتني من التراب ثم اسكنتني الاصلاب آمنا لريب المنون
[illegible] من صلب الى رحم في تقادم الايام الماضية والقرون الخالية لم
[illegible] سانك الي في دولة ايام الكفرة الذين نقضوا عهدك وكذبوا
[illegible] لكنك اخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي يسرتني وفيه انشأتني
[illegible] صنعك وسوابغ نعمك وابتدعت خلقي من مني يمنى ثم اسكنتني في
[illegible] ستر [illegible] خلقي ولم تجعل الي شيئا من امري ثم اخرجتني الى الدنيا تاما
سويا وحفظتني في المهد طفلا صبيا ورزقتني من الغذاء لبنا مريا وعطفت علي قلوب الحواضن و
كفلتني الامهات الرواحم وكلاتني من طوارق الجان وسلمتني من الزيادة والنقصان فتعاليت

والجوع والعطش حث النفوس بها على حفظ اجسادها من الآفات العارضة لها اذ كانت الاجساد لا تقوم
على جر منفعة ودفع مضرة فلولا ذلك لتهاونت النفوس بالاجساد واسلمتها الى الهلاك قبل فناء
اعمارها وتقارب آجالها وبما علم انه لا يلبث بقاؤها الى الابد بل يحصل لكل منها عمر طبيعيا اكثر ما
يمكن ثم يجيء الموت الطبيعي شاء او لم يشأ وقد علم الله انه يموت كل يوم منها في البر والبحر والسهل والجبل
عدد لا يحصيه الا هو فجعل بواجب حكمته حيث جيف موتاها غذاء لاحيائها ومادة لبقائها لئلا يضيع
شيء مما خلق بلا نفع وفائدة فكان في هذا منفعة للاحياء ولم يكن فيه ضرر على الموتى وهذا احد وجوه
الحكمة في اكل بعض الحيوانات بعضا ومن جملة تلك الوجوه انه لو لم يكن للاحياء ما كل جيف الموتى
لبقيت تلك الجيف واجتمع منها على مر الايام والدهور حتى كان يمتلي بها وجه الارض وقعر البحار ويفسد
المياه وريحها فتصير تلك سببا وهلاكا للاحياء فالغرض للاحياء من ذلك انما هو جلب المنفعة ودفع
المضرة وان نال البعض منها الالام والاوجاع عند الذبح والقتل والقبض فان ذلك انما هو بالعرض كان مـ
ولنقتصر في هذا النمط من الكلام على ذلك فانه يجرك الى [illegible] او بليغ حكم الله سبحانه وعناياته في
خلقه اكثر من ان تصل الى صفته اعناق الفطن او تبلغه قرائح العقول او تستطر وصفه اقوال
الواصفين

الباب الرابع عشر في الانسان

في النهج قال
عليه السلام ايها المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت
من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك
جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل
منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك
هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات خالقه اعجز ومن تناوله بحدود
المخلوقين ابعد وفيه جعل لكم اسماعا لتعي ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء
جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارفاقها وقلوب
رائدة لارزاقها في مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز بليته وجوائز عافيته وقدر لكم اعمارا سترها
عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم الى ان قال عليه السلام ام هذا الذي انشاه في ظلمات الارحام
وشغف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه قلبا حافظا

ولسانا

ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا
وخبط وفي الدر المنثور عن محمد بن كعب القرظي قال قرأت في التوراة او قال في صحف ابراهيم
فوجدت فيها يقول الله تعالى يا ابن آدم ما انصفتني خلقتك ولم تك شيئا وجعلتك بشرا سويا
خلقتك من سلالة من طين ثم جعلتك نطفة في قرار مكين ثم خلقت النطفة علقة فخلقت
العلقة مضغة فخلقت المضغة عظاما فكسوت العظام لحما ثم انشأتك خلقا آخر يا ابن آدم
هل يقدر على ذلك غيري ثم خففت ثقلك على امك حتى لا تتبرم بك ولا تتاذى ثم اوحيت الى
الامعاء ان اتسعي والى الجوارح ان تفرقي فاتسعت الامعاء من بعد ضيقها وتفرقت الجوارح من
بعد تشبيكها ثم اوحيت الى الملك الموكل بالارحام ان يخرجك من بطن امك فاستخلصك على
ريشة من جناحه فاطلعت عليك فاذا انت خلق ضعيف ليس لك سن يقطع ولا ضرس يطحن به
فاستخلصت لك في صدر امك عرقا يدر لك لبنا باردا في الصيف حارا في الشتاء واستخلصته
من بين جلد ولحم ودم وعروق وقذفت لك في قلب والدتك الرحمة وفي قلب ابيك التحنن
فهما يكدان ويجهدان ويربيانك ويغذيانك ولا ينامان حتى ينومانك ابن آدم انا فعلت ذلك
لا لشيء استاهلت به مني او لحاجة استعنت على قضائها ابن آدم فلما قطع سنك وطلع ضرسك
اطعمتك فاكهة الصيف وفاكهة الشتاء في اوانها فلما عرفت اني ربك عصيتني فالآن اذ عصيتني
فادعني فاني غفور رحيم وفي الاقبال عن الحسين بن علي عليهما السلام في دعاء يوم عرفة ابتدأتني
بنعمتك قبل ان اكون شيئا مذكورا وخلقتني من التراب ثم اسكنتني الاصلاب آمنا لريب المنون
واختلاف الدهور فلم ازل ظاعنا من صلب الى رحم في تقادم الايام الماضية والقرون الخالية لم
تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي واحسانك الي في دولة ايام الكفرة الذين نقضوا عهدك وكذبوا
رسلك لكنك اخرجتني لرأفة منك وتحننا علي للذي سبق لي من الهدى الذي يسرتني وفيه انشأتني
ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك وسوابغ نعمك وابتدعت خلقي من مني يمنى ثم اسكنتني في
ظلمات ثلاث بين لحم ودم وجلد ولم تشهدني خلقي ولم تجعل الي شيئا من امري ثم اخرجتني الى الدنيا تاما
سويا وحفظتني في المهد طفلا صبيا ورزقتني من الغذاء لبنا مريا وعطفت علي قلوب الحواضن و
كفلتني الامهات الرحائم وكلأتني من طوارق الجان وسلمتني من الزيادة والنقصان فتعاليت

يا رحيم يا رحمن حتى اذا استهللت ناطقا بالكلام اتممت علي سوابغ الانعام وربيتني زايدا في كل عام حتى
اذا اكملت فطرتي واعتدلت سريرتي اوجبت علي حجتك بان الهمتني معرفتك وروعتني بعجايب فطرتك
وانطقتني لما ذرات في سمائك وارضك من بدايع خلقك ونبهتني لذكرك وشكرك وواجب
طاعتك وعبادتك وفهمتني ما جاءت به رسلك ويسرت لي تقبل مرضاتك ومننت علي في جميع ذلك
بعونك ولطفك ثم اذ خلقتني من حر الثرى لم ترض لي يا الهي بنعمة دون اخرى ورزقتني من انواع
المعاش وصنوف الرياش بمنك العظيم علي واحسانك القديم الي حتى اذا اتممت علي جميع النعم وصرفت
عني كل النقم لم يمنعك جهلي وجرأتي عليك ان دللتني على ما يقربني اليك ووفقتني لما يزلفني لديك
الدعاء وفي المناقب قال عمران الصابي للرضا عليه السلام فما بال الرجل يلتحي دون المرأة قال
عليه السلام زين الله الرجل باللحى وجعلها فصلا ليستدل بها على الرجال من النساء قال عمران فما
بال الرجل اذا كان مؤنثا والمرأة اذا كانت مذكرة قال عليه السلام علة ذلك ان المرأة اذا
حملت وصار الغلام منها في الرحم موضع الجارية كان مؤنثا واذا صارت الجارية موضع الغلام
كانت مذكرة وذلك ان موضع الغلام في الرحم مما يلي ميامنها والجارية مما يلي مياسرها وربما ولدت
المرأة ولدين في بطن واحد فان عظم ثدياها جميعا تحمل توامين وان عظم احد ثدييها كان
ذلك دليلا على انها تلد واحدا الا انه اذا كان الثدي الايمن اعظم كان المولود ذكرا واذا كان
الايسر اعظم كان المولود انثى واذا كانت حاملا فضمر ثديها الايمن فانها تسقط غلاما واذا
ضمر ثديها الايسر فانها تسقط انثى واذا ضمرا جميعا تسقطهما قال من اي شيء الطول والقصر في
الانسان فقال من قبل النطفة اذا خرجت من الذكر فاستدارت جاء القصر وان استطالت
جاء الطول وفي تفسير العياشي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
قال خلق كل شيء منكبا غير الانسان فانه خلق منتصبا وفي المحاسن عن الصادق عليه السلام
قال ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه لقد خلقنا الانسان في كبد يعني منتصبا في بطن امه
مقاديمه الى مقاديم امه ومواخيره الى مواخير امه غذاؤه مما تأكل امه ويشرب مما تشرب تنسمه
تنسيما وميثاقه الذي اخذ الله عليه بين عينيه فاذا دنا ولادته اتاه ملك يسمى الزاجر فيزجره
فينقلب فيصير مقاديمه الى مواخير امه ومواخيره الى مقاديم امه ليسهل الله على الولد والمرأة امره

ويصيب

ويصيب ذلك جميع الناس الا اذا كان عاتيا فاذا زجره فزع وانقلب ووقع على الارض باكيا من زجرة
الزاجر ونسي الميثاق وان الله خلق جميع البهائم في بطون امهاتها منكوسة مقاديمها الى مواخير
امهاتها ومواخيرها الى مقاديم امهاتها وهي في بطون الارحام منكوسة قد ادخل راسها بين يديها ورجليها
تأخذ الغذاء من امهاتها فاذا دنا ولادتها انسلت انسلالا واسترقت في بطون امهاتها وهات الانف
بين ايديها كلها موضع اعينها في بطون امهاتها وما في عراقيبها موضع مناخيرها لا ينبت عليه الشعر
وهو للدواب كلها ما خلا البعير فان عنق البعير طال فتقدم راسه بين يديه في بطن امه وفي العلل
عنه عليه السلام انه سئل عن الطفل يضحك من غير عجب ويبكي من غير الم فقال ما من طفل الا وهو يرى
الامام ويناجيه فبكاؤه لغيبة الامام عنه وضحكه اذا اقبل اليه حتى اذا اطلق لسانه اغلق ذلك
الباب عنه وضرب على قلبه بالنسيان وفي التوحيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا
تضربوا اطفالكم على بكائهم فان بكاءهم اربعة اشهر شهادة ان لا اله الا الله واربعة اشهر الصلوة
على النبي وآله صلوات الله عليهم واربعة اشهر الدعاء لوالديه وعن امير المؤمنين عليه السلام قال
ان للجسم ستة احوال الصحة والمرض والموت والحيوة والنوم واليقظة وكذلك الروح فحيوتها علمها
وموتها جهلها ومرضها شكها وصحتها يقينها ونومها غفلتها ويقظتها حفظها وفي العلل عن
الصادق عليه السلام قيل له لاي علة جعل الله الارواح في الابدان بعد كونها في ملكوته الاعلى
في ارفع محل فقال عليه السلام ان الله تبارك وتعالى علم ان الارواح في شرفها وعلوها متى ما
تركت على حالها نزع اكثرها الى دعوى الربوبية دونه عز وجل فجعلها بقدرته في الابدان التي
قدرها في ابتداء التقدير نظرا لها ورحمة بها واحوج بعضها الى بعض وعلق بعضها على بعض
ورفع بعضها على بعض ورفع بعضها فوق بعض درجات وكفى بعضها ببعض وبعث اليهم رسله
واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين يامرونهم بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالانواع التي
تعبدهم بها ونصب لهم عقوبات في الاجل وعقوبات في العاجل ومثوبات في الاجل ليرغبهم
بذلك في الخير ويزهدهم في الشر وليذلهم بطلب المعاش والمكاسب فيعلموا بذلك انهم مربوبون وعباد
مخلوقون ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الابد وجنة الخلد ويامنوا من النزوع الى ما
ليس لهم بحق ثم قال عليه السلام ان الله تبارك وتعالى احسن نظرا لعباده منهم لانفسهم الا ترى انك

ومثوبات في العاجل

لا ترى فيهم الاعجاب للعلو على غيرهم حتى ان يكون منهم لمن قد تسرع الى دعوى الربوبية ومنهم من قد تسرع الى
دعوى النبوة بغير حقها ومنهم من قد تسرع الى دعوى الامامة بغير حقها وذلك مع ما يرون في انفسهم
من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والالام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم
والقاهر لجميعهم ان الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده الا الاصلح لهم ولا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
انفسهم يظلمون وعنه عليه السلام قال ان منزلة القلب من الجسد بمنزلة الامام من الناس الواجب
الطاعة عليهم الا ترى ان جميع جوارح الجسد شرط للقلب وتراجمة له مؤدية عنه الاذنان والعينان
والانف والفم واليدان والرجلان والفرج فان القلب اذا هم بالنظر فتح الرجل عينيه واذا هم بالاستماع
حرك اذنيه وفتح مسامعه فسمع واذا هم القلب بالشم استنشق بانفه فادى تلك الرائحة الى القلب
واذا هم بالنطق تكلم باللسان واذا هم بالحركة سعت الرجلان واذا هم بالشهوة تحرك الذكر فهذه كلها
مؤدية عن القلب بالتحريك وكذلك ينبغي للامام ان يطاع للامر منه وعن وهب بن منبه انه وجدت في
التورية صفة خلق ادم عليه السلام حين خلقه الله عز وجل وابتدعه قال الله تعالى اني خلقت
ادم وركبت جسده من اربعة اشياء ثم جعلتها وراثة في ولده تنمى في اجسادهم وينمون عليها الى
يوم القيمة وركبت جسده حين خلقته من رطب ويابس وسخن وبارد وذلك اني خلقته من تراب
وماء ثم جعلت فيه نفسا وروحا فيبوسة كل جسد من قبل التراب ورطوبته من قبل الماء وحرارته
من قبل النفس وبرودته من قبل الروح ثم خلقت في الجسد بعد هذا الخلق الاول اربعة انواع وهن
ملاك الجسد وقوامه باذني لا يقوم الجسد الا بهن ولا يقوم منهن واحدة الا باخرى منها المرة السوداء
والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم اسكن بعض هذا الخلق في بعض فجعل مسكن اليبوسة في المرة السوداء
ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فايما جسد اعتدلت
به هذه الانواع الاربع التي جعلتها ملاكه وقوامه وكانت كل واحدة منهن اربعا لا تزيد ولا تنقص كملت
صحته واعتدلت بنيانه فان زاد منهن واحدة عليهن فقهرتهن ومالت بهن دخل على البدن السقم
من ناحيتها بقدر ما زادت واذا كانت ناقصة تقل عنهن حتى تضعف من طاقتهن وتعجز عن مقارنتهن
وجعل عقله في دماغه وشرهه في كليته وغضبه في كبده وصرامته في قلبه ورغبته في رئته وضحكه في
طحاله وفرحه وحزنه وكربه في وجهه وجعل فيه ثلثمائة وستين مفصلا وعن الصادق عليه السلام انه
قال

قال للهندي الذي كان في مجلس المنصور وحضرني انا اعلم بالطب ام انت قال الهندي انا اعلم
قال الصادق عليه السلام فاسالك شيئا قال سل قال اخبرني يا هندي لم كان في الراس
شؤون قال لا اعلم قال فلم جعل الشعر عليه من فوق قال لا اعلم قال فلم خلت الجبهة
من الشعر قال لا اعلم قال فلم كان الحاجبان فوق العينين قال لا اعلم قال فلم جعل العينين
كاللوزتين فقال لا اعلم قال فلم جعل الانف فيما بينهما قال لا اعلم قال فلم كان ثقب الانف في اسفله
قال لا اعلم قال فلم جعل الشفة والشارب من فوق الفم قال لا اعلم قال فلم خلت الكفان
من الشعر قال لا اعلم قال فلم خلا الظفر والشعر من الحيوة قال لا اعلم قال فلم كان القلب
كحب الصنوبر قال لا اعلم قال فلم كانت الرية قطعتين وجعل حركتها في موضعها قال لا
اعلم قال فلم كانت القلب كحب الصنوبر قال لا اعلم الكبد حدباء قال لا اعلم قال فلم كانت الكلية
كحب اللوبيا قال لا اعلم قال فلم جعل طي الركبة الى خلف قال لا اعلم قال فلم تخصرت
القدم قال لا اعلم فقال الصادق عليه السلام لكني اعلم قال فاجب فقال الصادق
عليه السلام كان في الراس شؤون لان المجوف اذا كان بلا فصل اسرع اليه الصداع فاذا جعل ذا
فصول كان الصداع منه ابعد وجعل الشعر من فوقه ليوصل بوصوله الادهان الى الدماغ
ويخرج باطرافه البخار منه ويرد الحر والبرد الواردين عليه وخلت الجبهة من الشعر لانها مصب
النور الى العينين وجعل فيها التخطيط والاسارير ليحبس العرق الوارد من الراس عن العين قدر
ما يميطه الانسان عن نفسه كالانهار في الارض التي تحبس المياه وجعل الحاجبان من فوق
العينين ليوردا عليهما من النور قدر الكفاية الا ترى يا هندي ان من غلبه النور جعل يده على
عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه وجعل الانف فيما بينهما ليقسم النور قسمين الى كل عين سواء وكانت
العين كاللوزة ليجري فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء ولو كانت مربعة او مدورة ما جرى فيها الميل
وما وصل اليها دواء ولا خرج منها داء وجعل ثقب الانف في اسفله لينزل منه الادواء المنحدرة
من الدماغ ويصعد فيها الاراييح الى المشام ولو كان في اعلاه لما انزل داء ولا وجد رائحة وجعل
الشارب والشفة فوق الفم ليحبس ما ينزل من الدماغ عن الفم لئلا يتنغص على الانسان طعامه وشرابه
فيميطه عن نفسه وجعلت اللحية للرجال ليستغني بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر من الانثى

وجعل السن حادا لان به يقع العض وجعل الضرس عريضا لان به يقع الطحن والمضغ وكان الناب طويلا
ليشد الاضراس والاسنان كالاسطوانة في البناء وخلا الكفان من الشعر لان بهما يقع اللمس فلو
كان بهما شعر ما درى الانسان ما يقابله ويلمسه وخلا الشعر والظفر من الحيوة لان طولهما سمج
وقصهما حسن فلو كان فيهما حيوة لالم الانسان لقصهما وكان القلب كحب الصنوبر لانه
منكس فجعل راسه دقيقا ليدخل في الرية فيتروح عنه ببردها لئلا يشيط الدماغ بحره وجعلت
الرية قطعتين ليدخل بين مضاغطها فيتروح عنه بحركتها وكانت الكبد حدباء لتثقل المعدة ويقع
جميعها عليها فيعصرها فيخرج ما فيها من البخار وجعلت الكلية كحب اللوبيا لان عليها مصب المني
نقطة بعد نقطة فلو كانت مربعة او مدورة لاحتبست النقطة الاولى الثانية فلا يلتذ بخروجها
الحي اذ المني ينزل من فقار الظهر الى الكلية فهي كالدودة تنقبض وتنبسط ترميه اولا فاولا الى المثانة
كالبندقة من القوس وجعل طي الركبة الى خلف لان الانسان يمشي الى ما بين يديه فتعتدل الحركات
ولولا ذلك لسقط في المشي وجعلت القدم متخصرة لان الشيء اذا وقع على الارض جميعه ثقل ثقل
حجر الرحا واذا كان على حرفه دفعه الصبي واذا وقع على وجهه صعب نقله على الرجل فقال الهندي
من اين لك هذا العلم فقال عليه السلام اخذته عن ابائي عن رسول الله عن جبرئيل صلوات الله
عليهم عن رب جل جلاله الذي خلق الاجساد والارواح فقال الهندي صدقت وانا اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وعبده وانت اعلم اهل زمانك وعنه عليه السلام ان الله جعل
الاذنين مرتين لئلا يدخلهما شيء الا امات لولا ذلك لقتل ابن ادم الهوام وجعل الشفتين عذبتين
ليجد ابن ادم طعم الحلو والمر وجعل العينين مالحتين لانهما شحمتان ولولا ذلك لثقل الدماغ و
تدود وفي خبر اخر لولا برد ما في الانف وامساكه الدماغ لسال الدماغ من حرارته وفي الاحتجاج
قال العالم عليه السلام خلق الله عالمين متصلين فعالم علوي وعالم سفلي وركب العالمين جميعا
في ابن ادم وخلقه كرويا مدورا فخلق الله راس ابن ادم كقبة الفلك وشعره كعدد النجوم وعينيه
كالشمس والقمر ومنخريه كالشمال والجنوب واذنيه كالمشرق والمغرب وجعل لمحه كالبرق و
كلامه كالرعد ومشيه كسير الكواكب وقعوده كشرفها وغفوه كهبوطها وموته كاحتراقها و
خلق في ظهره اربعة وعشرين فقرة كعدد ساعات الليل والنهار وخلق له ثلثين معا كعدد

ولولا الملوحة لذابتا وجعل الانف باردا سائلا لئلا يدع في الراس داء الا اخرجه م

الهلال

الهلال ثلثين يوما وخلق له اثني عشر وصلا كعدد السنة اثني عشر شهرا وخلق له ثلثمائة وستين عرقا
كعدد السنة ثلثمائة وستين يوما وخلق له سبعمائة عصبة واثني عشر عضوا وهو مقدار ما يقيم
الجنين في بطن امه وعجنه من مياه اربعة فخلق المالح في عينيه فهما لا يذوبان في الحر ولا يجمدان في
البرد وخلق المر في اذنيه لكي لا تقربهما الهوام وخلق المني في ظهره لكي لا يعتريه الفساد وخلق العذب
في لسانه ليجد طعم لذة الطعام والشراب وخلقه بنفس وجسد وروح فروحه التي لا تفارقه الا
بفراق الدنيا ونفسه التي تريه الاحلام وجسمه هو الذي يبلى ويرجع الى التراب وفي توحيد المفضل
قال الصادق عليه السلام اعتبر يا مفضل بخلق الانسان فاول ذلك ما يدبر به الجنين وهو محجوب في ظلمات
ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع اذى ولا استجلاب
منفعة ولا دفع مضرة فانه يجري اليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك
غذاءه حتى اذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي اديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء
هاج الطلق بامه فازعجه اشد ازعاج واعنفه حتى يولد فاذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان
يغذوه من دم امه الى ثدييها فانقلب الطعم واللون الى ضرب اخر من الغذاء وهو اشد موافقة للمولود
من الدم فيوافيه في وقت حاجته اليه فحين يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثديي
امه كالاداوتين المعلقتين لحاجته فلا يزال يتغذى باللبن ما دام رطب البدن رقيق الامعاء
لين الاعضاء حتى اذا تحرك واحتاج الى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحين
من الاضراس والاسنان ليمضغ به الطعام فيلين عليه ويسهل له اساغته فلا يزال كذلك حتى
يدرك فاذا ادرك وكان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعز الرجل
الذي يخرج به من حد الصبا وشبه النساء وان كانت انثى يبقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها البهجة
والنضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه اعتبر يا مفضل فيما يدبر الانسان في
هذه الاحوال المختلفة هل ترى مثله يمكن ان يكون بالاهمال افرايت لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو
في الرحم الم يكن سيذوي ويجف كما يجف النبات اذا فقد الماء ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه
الم يكن سيبقى في الرحم كالموؤد في الارض ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته الم يكن سيموت جوعا
او يتغذى بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ولو لم تطلع له الاسنان في وقتها الم يكن سيمتنع

عليه مضغ الطعام واساغته او يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه ولا يصلح لعمل ثم كان تشتغل امه بنفسه
عن تربية غيره من الاولاد ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته لم يكن سيبقى في هيئة الصبيان
والنساء فلا ترى له جلالة ولا وقارا قال المفضل فقلت يا مولاي فقد رايت من يبقى على حالته
ولا ينبت الشعر في وجهه وان بلغ حال الكبر فقال ذلك بما قدمت ايديهم وان الله ليس بظلام
للعبيد فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المارب الا الذي انشاه خلقا بعد
ان لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد ان كان فان كان الاهمال ياتي بمثل هذا التدبير فقد يجب ان
يكون العمد والتقدير ياتيان بالخطا والمحال لانهما ضد الاهمال وهذا فظيع من القول وجهل
من قائله لان الاهمال لا ياتي بالصواب والتضاد لا ياتي بالنظام تعالى الله عما يقول الملحدون
علوا كبيرا ولو كان المولود يولد فهما عاقلا لانكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل اذا
راى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير الى غير ذلك مما
يشاهده ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم واعتبر ذلك بان من سبي من بلد الى بلد وهو عاقل
يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلم الكلام وقبول الادب كما يسرع الذي يسبى صغيرا غير عاقل
ثم لو ولد عاقلا كان يجد غضاضة اذا راى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى في المهد لانه
لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من
القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج الى الدنيا غبيا غافلا عما فيه اهله فيلقى الاشياء بذهن
ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزيد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد
حال حتى يالف الاشياء ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التامل لها والحيرة فيها الى التصرف
والاضطراب الى المعاش بعقله وحيلته والى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية
وفي هذا ايضا وجوه اخر فانه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة
تربية الاولاد وما قدر ان يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية
للاباء على الابناء من المكافاة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى ذلك منهم ثم كان الاولاد
لا يالفون اباءهم ولا يالف الاباء ابناءهم لان الاولاد كانوا يستغنون عن تربية الاباء و
حياطتهم فيتفرقون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل اباه وامه ولا يمتنع من نكاح امه

واخته

واخته وذوات المحارم منه اذ لم يعرفهن واقل ما في ذلك من القباحة بل هو اشنع واعظم واقبح وابشع
والقطع
لو خرج المولود من بطن امه وهو يعقل ان يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به ان يراه افلا ترى كيف
اقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطا دقيقه وجليله اعرف يا مفضل ما للاطفال
في البكاء من المنفعة واعلم ان في ادمغة الاطفال رطوبة ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثا
جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤسهم فيعقبهم
ذلك الصحة في ابدانهم والسلامة في ابصارهم افليس قد جاز ان يكون الطفل ينتفع بالبكاء
ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكناه ويتوخيان في الامور مرضاته لئلا يبكي و
هما لا يعلمان ان البكاء اصلح له واجمل عاقبة فهكذا يجوز ان يكون في كثير من الاشياء منافع
لا يعرفها القائلون بالاهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء انه لا منفعة فيه من اجل
انهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فان كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثيرا
مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته فاما ما يسيل من افواه
الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في ابدانهم لاحدثت عليهم الامور العظيمة
كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فاخرجته الى حد البله والجنون والتخليط الى غير ذلك من الامراض
المتلفة كالفالج واللقوة وما اشبههما فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من افواههم في صغرهم لما
لهم في ذلك من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه
عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته فسبحانه ما اجل نعمته واسبغها على المستحقين وغيرهم
من خلقه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا انظر الان يا مفضل كيف جعلت الات الجماع في
الذكر والانثى جميعا على ما يشاكل ذلك فجعل للذكر الة ناشرة تمتد حتى تصل النطفة الى الرحم اذا
كان محتاجا الى ان يقذف ماءه في غيره وخلق للانثى وعاء قعرا ليشتمل على الماءين جميعا
ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم اليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى
عما يشركون فكر يا مفضل في اعضاء البدن اجمع وتدبير كل منها للارب فاليدان للعلاج
والرجلان للسعي والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد للتخليص و
المنافذ لتنفيذ الفضول والاوعية لحملها والفرج لاقامة وكذلك جميع الاجزاء اذا تاملتها
النسل

واعملت فكرك فيها وتطرقت وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة قال فكر يا مفضل في وصول
الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه الى الكبد من عروق
دقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فينكاها وذلك ان الكبد رقيقة
لا تحتمل العنف ثم ان الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما وينفذ الى البدن كله في مجاري مهياة
لذلك بمنزلة المجاري التي تهيا للماء حتى يطرد في الارض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول
الى مفايض قد اعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة وما كان من
جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة فتامل حكمة التدبير
في تركيب البدن ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك
الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير وله
الحمد كما هو اهله ومستحقه قال المفضل فقلت صف نشو الابدان ونموها حالا بعد
حال حتى تبلغ التمام والكمال فقال عليه السلام اول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين
ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفيا جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الاحشاء والجوارح
والعوامل الى ما في تركيب اعضائه من العظام واللحم والشحم والعصب والمخ والعروق والغضاريف
فاذا خرج الى العالم تراه كيف ينمى بجميع اعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص الى
ان يبلغ اشده ان مد في عمره او يستوفي مدته قبل ذلك هل هذا الا من لطيف التدبير والحكمة يا
مفضل انظر الى ما خص به الانسان في خلقه تشريفا وتفضيلا على البهائم فانه خلق ينتصب قائما
ويستوي جالسا ليستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوبا على
وجهه كذات الاربع لما استطاع ان يعمل شيئا من الاعمال انظر الان يا مفضل الى هذه الحواس التي
خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الراس كالمصابيح فوق
المنارة ليتمكن من مطالعة الاشياء ولم تجعل في الاعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعرضها
الآفات فتصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ولا في الاعضاء التي
وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الاشياء فلما لم يكن لها في شيء من هذه الاعضاء
موضع كان الراس اسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكيلا يفوتها

شيء

شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الالوان فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة
وخلق السمع ليدرك الاصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب وكذلك سائر
الحواس يا مفضل ثم يرجع متكافيا فلو كان بصر ولم تكن الوان لما كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم تكن
اصوات لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا فجعل لكل حاسة محسوسا تعمل فيه و
لكل محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد جعلت اشيا متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا تتم
الحواس الا بها كمثل الضيا والهواء فانه لو لم يكن ضياء تظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون
ولو لم يكن هواء تؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره
واعمل فكره ان مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضا وتهيئة
اشياء اخر بها تتم الحواس لا يكون الا بعمد وتقدير من لطيف خبير فكر يا مفضل فيمن عدم البصر
من الناس وما يناله من الخلل في اموره فانه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر ما بين يديه فلا يفرق
بين الالوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى حفرة ان هجم عليها ولا عدوا ان هوى اليه بسيف ولا
يكون له سبيل الى ان يعمل من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتى انه لولا نفاذ
ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى وكذلك من عدم السمع يختل في امور كثيرة فانه يفقد روح المخاطبة
والمحاورة ويعدم لذة الاصوات واللحون الشجية المطربة وتعظم المؤنة على الناس في محاورته حتى
يتبرموا به ولا يسمع شيئا من اخبار الناس واحاديثهم حتى يكون كالغايب وهو شاهد او كالميت و
هو حي فاما من عدم العقل فانه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيرا مما تهتدي اليه البهائم افلا ترى
كيف صارت الجوارح والعقل وساير الخلال التي بها صلاح الانسان والتي لو فقد منها شيئا لعظم
ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئا منها فلم كان كذلك الا لانه خلق بعلم
وتقدير قال المفضل فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله في ذلك
مثل ما وصفته يا مولاي قال ذلك للتاديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما قد يؤدب
الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رايهم ويتصوب من تدبيرهم
ثم ان للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ان شكروا وانابوا ما يستصغرون
معه ما ينالهم منها حتى انهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب

بعام

فكر يا مفضل في الاعضاء التي خلقت افرادا وازواجا وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير فالراس
مما خلق فردا ولم يكن للانسان صلاح في ان يكون له اكثر من واحد الا ترى انه لو اضيف الى راس الانسان
راس اخر لكان ثقلا عليه من غير حاجة اليه لان الحواس التي يحتاج اليها مجتمعة في راس واحد ثم كان
الانسان ينقسم قسمين لو كان له راسان فان تكلم من احدهما كان الاخر معطلا لا ارب فيه ولا حاجة
اليه وان تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان احدهما فضلا لا يحتاج اليه وان تكلم من احدهما بغير الذي
تكلم به من الاخر لم يدر السامع باي ذلك ياخذ واشباه هذا من الاخلاط واليدان مما خلق ازواجا
ولم يكن للانسان خير في ان يكون له يد واحدة لان ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من
الاشياء الا ترى ان النجار والبناء لو شلت احدى يديه لم يستطع ان يعالج صناعته وان تكلف
ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه اذا كانت له يدان تتعاونان على العمل اطل الفكر يا مفضل في
الصوت والكلام وتهيئة الاته في الانسان فالحنجرة كالانبوب لخروج الصوت واللسان والشفتان
والاسنان لصياغة الحروف والنغم الا ترى ان من سقطت اسنانه لم يقم السين ومن سقطت شفتاه
لم يصحح الفاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء واشبه شيء بذلك المزمار الاعظم فالحنجرة تشبه
قصبة المزمار والرية تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخله الريح والعضلات التي تقبض على الرية
ليخرج الصوت كالاصابع التي تقبض على الزق حتى تخرج الريح في المزمار والشفتان والاسنان التي
تصوغ الصوت حروفا ونغما كالاصابع التي تختلف في فم المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت
قد انباتك بما في الاعضاء من الغناء في صنعة الكلام واقامة الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك
مارب اخرى فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم الى الرية فيروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي
لو احتبس شيئا يسيرا لهلك الانسان وباللسان تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها
حلوها من مرها وحامضها من مزها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك
معونة على اساغة الطعام والشراب والاسنان لمضغ الطعام حتى يلين ويسهل اساغته وهي
مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك بانك ترى من سقطت
اسنانه مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف الشراب حتى يكون الذي يصل الى
الجوف منه بقصد وقدر لا يثج ثجا فيغص به الشارب او ينكا في الجوف ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق

فتصوغ صفيره الحانا غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فان المزمار

على الفم يفتحهما الانسان اذا شاء ويطبقهما اذا شاء ففيما وصفنا من هذا بيان ان كل واحد من هذه الاعضاء
يتصرف وينقسم الى وجوه من المنافع كما تتصرف الاداة الواحدة في اعمال شتى وذلك كالفاس تستعمل في
النجارة والحفر وغيرهما من الاعمال ولو رايت الدماغ اذا كشف عنه لرايته قد لف بحجب بعضها فوق بعض
لتصونه من الاعراض وتمسكه فلا يضطرب ولرايت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه هد الصدمة والنكبة
التي ربما وقعت في الراس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للراس يستره من شدة الحر
والبرد فمن حصن الدماغ هذا التحصين الا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة
بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته تامل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل
كالغشاء والاشفار كالاشراج واولجها في هذا الغار واظلها بالحجاب وما عليه من الشعر يا مفضل
من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح وما عليها من
اللحم والعصب لئلا يصل اليه ما ينكاه من جعل في الحلق منفذين احدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم
المتصل بالرية والاخر منفذ للغذاء وهو المري المتصل بالمعدة الموصل الغذاء اليها وجعل على
الحلقوم طبقا يمنع الطعام ان يصل الى الرية فيقتل من جعل الرية مروحة الفؤاد لا تفتر ولا
تخل لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فتؤدي الى التلف من جعل لمنافذ البول والغائط اشراجا تضبطهما
لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الانسان عيشه فكم عسى ان يحصي المحصي من هذا بل الذي لا يحصى
منه ولا يعلمه الناس اكثر من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ ومن
جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ولتهضم وتعمل ما هو الطف من عمل
المعدة الا الله القادر اترى الاهمال ياتي بشيء من ذلك كلا بل هو تدبير من مدبر حكيم قادر
عالم بالاشياء قبل خلقه اياها لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق
محصنا في انابيب العظام هل ذلك الا ليحفظه ويصونه لم صار الدم السائل محصورا في العروق بمنزلة
الماء في الظروف الا لتضبطه فلا يفيض لم صارت الاظفار على اطراف الاصابع الا وقاية لها
ومعونة على العمل لم صار داخل الاذن ملتويا كهيئة الكوكب الا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي الى السمع
وليكسر حمة الريح فلا ينكا في السمع لم حمل الانسان على فخذيه واليتيه هذا اللحم الا ليقيه من الارض فلا
يتالم من الجلوس عليهما كما يالم من نحل جسمه وقل لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل يقيه صلابتها

من جعل الانسان ذكرا او انثى الا من خلقه متناسلا ومن خلقه متناسلا من الارض الا من خلقه مولدا
ومن اعطاه الات العمل الا من خلقه عاملا ومن خلقه عاملا الا من جعله محتاجا ومن جعله محتاجا
الا من ضربه بالحاجة ومن ضربه بالحاجة الا من توكل بتقويمه ومن خصه بالفهم الا من اوجب له الجزاء
ومن وهب له الحيلة الا من ملكه الحول ومن ملكه الحول الا من الزمه الحجة من يكفيه ما لا تبلغه حيلته الا من لا يبلغ
مدى شكره فكر وتدبر ما وصفته هل تجد الاهمال ياتي على مثل هذا النظام والترتيب تبارك الله
وتعالى عما يصفون اصف لك الان يا مفضل الفؤاد اعلم ان فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التي في الرية تروح
عن الفؤاد حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح الى الفؤاد ولهلك
الانسان افيستجيز ذو فكر وروية ان يزعم ان مثل هذا يكون بالاهمال ولا يجد شاهدا من نفسه
ينزعه عن هذا القول لو رايت فردا من مصراعين فيه كلوب اكنت تتوهم انه جعل كذلك بلا معنى
بل كنت تعلم ضرورة انه مصنوع يلقى فردا اخر فتبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة وهكذا
تجد الذكر من الحيوان كانه فرد من زوج مهيا من فرد انثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه فتبا
وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى انكروا التدبير والعمد فيها
لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف كان يصل الى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعظا ابدا
كيف كان الرجل يتقلب في الفراش او يمشي بين الناس وشي شاخص امامه ثم يكون في ذلك مع
قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعا فقدر الله جل اسمه ان يكون
اكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مؤونة بل جعل فيه القوة على الانتصاب
وقت الحاجة الى ذلك لما قدر ان يكون فيه من دوام النسل وبقائه اعتبر الان يا مفضل بعظم
النعمة على الانسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الاذى اليس من حسن التقدير في بناء
الدار ان يكون الخلا في استر موضع منه فلم يجعله بارزا من خلفه ولا ناشرا من بين يديه بل هو
مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الاليتان بما عليهما
من اللحم فيواريانه فاذا احتاج الانسان الى الخلا وجلس تلك الجلسة الفى ذلك المنفذ منه منصبا
مهيا لانحدار الثفل فتبارك الله من تظاهرت الاؤه ولا تحصى نعماؤه فكر يا مفضل في هذه الطواحن
التي جعلت للانسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم

ينقص

ينقص واحد من الصنفين اذ كانت محتاجا اليهما جميعا تامل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر
والاظفار فانهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج الى تخفيفه اولا فاولا جعلا عديمي الحس لئلا
يولم الانسان الاخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم الاظفار مما يوجد له مس لكان
الانسان من ذلك بين مكروهين اما ان يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه واما
ان يخففه بوجع والم يتالم منه فقال المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج
الانسان الى النقصان منه فقال عليه السلم ان لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعما
لا يعرفها فيحمد عليها اعلم ان الام البدن وادواه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج
الاظفار من اناملها ولذلك امر الانسان بالنورة وحلق الراس وقص الاظفار في كل اسبوع
ليسرع الشعر والاظفار في النبات فتخرج الالام والادواء بخروجهما واذا طالا تحيرا وقل خروجهما
فاحتبست الالام والادواء في البدن فاحدثت عللا واوجاعا ومنع مع ذلك الشعر من
المواضع التي تضر بالانسان وتحدث عليه الفساد والضرر لو نبت الشعر في العين الم يكن سيعمى
البصر ولو نبت في الفم الم يكن سينغص على الانسان طعامه وشرابه ولو نبت في باطن الكف
الم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الاعمال ولو نبت في فرج المراة او على ذكر الرجل
الم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من
المصلحة ثم ليس هذا في الانسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فانك
ترى اجسامهن مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه فتامل الخلقة كيف
تتحرز وجوه الخطا والمضرة وتاتي بوجوه الصواب والمنفعة ان المانوية واشباههم حين
اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والابطين ولم يعلموا ان ذلك
من رطوبة تنصب الى هذه المواضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه
افلا ترى الى هذه المواضع استر واهيا لقبول تلك الفضلة من غيرها ثم ان هذه تعد مما
يحمل الانسان من مونة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة فان اهتمامه بتنظيف
بدنه واخذ ما يعلوه من الشعر مما يكسر به شرته ويكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه اليه
الفراغ من الاشر والبطالة تامل الريق وما فيه من المنفعة فانه جعل يجري جريانا دائما الى الفم

لبل الحلق واللهوات ولا يجف فان هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الانسان
ثم كان لا يستطيع ان يسيغ طعاما اذا لم يكن في الفم بلة تنفذه يشهد بذلك المشاهدة و
اعلم ان الرطوبة مطية الغذاء وقد تجري من هذه البلة الى موضع اخر من المرة فيكون في
ذلك صلاح تام للانسان ولو يبست المرة لهلك الانسان ولقد قال قوم من جهلة
المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التمييز وقصور العلم لو كان بطن الانسان كهيئة القبا
يفتحه الطبيب اذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما اراد علاجه الم يكن اصلح من
ان يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا يعرف ما فيه الا بدلالات غامضة كمثل النظر
الى البول وحس العرق وما اشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك
سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة ان هذا لو كان هكذا كان اول ما فيه انه كان يسقط
عن الانسان الوجل من الامراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغتر بالسلامة فيخرجه
ذلك الى العتو والاشر ثم كانت الرطوبات التي في البطن ترشح وتحلب فيفسد على الانسان مقعده
ومرقده وثياب بذلته وزينته بل كان يفسد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد والفؤاد انما تفعل
افعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها محتبسة في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل
البصر الى رؤيته واليد الى علاجه لوصل برد الهواء الى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل
الاحشاء فكان في ذلك هلاك الانسان افلا ترى ان كل ما تذهب اليه الاوهام سوى ما جاءت
به الخلقة خطا وخطل فكر يا مفضل في الافعال التي جعلت في الانسان من الطعم والنوم والجماع
وما دبر فيها فانه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به فالجوع يقتضي
الطعم الذي به حياة البدن وقوامه والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن واجمام
قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ولو كان الانسان انما يصير الى
اكل الطعام لمعرفته بحاجة البدن اليه ولم يجد من طباعه شيئا يضطره الى ذلك كان خليقا ان
يتوانى عنه احيانا بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد الى الدواء لشيء
مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض والموت وكذلك لو كان انما يصير الى
النوم بالتفكر في حاجته الى البدن واجمام قواه كان عسى ان يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى

بعذرم

واحتم

ينهك

ينهك بدنه ولو كان انما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد ان يفتر عنه حتى يقل النسل
او ينقطع فان من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه
الافعال التي بها قوام الانسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه واعلم
ان في الانسان قوى اربعا قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة وقوة ممسكة تحبس الطعام
حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن و
قوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد اخذ الهاضمة حاجتها فتفكر في تقدير هذه القوى
الاربعة التي في البدن وافعالها وتقديرها للحاجة اليها والارب فيها وما في ذلك من
التدبير والحكمة فلولا الجاذبة كيف يتحرك الانسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن ولولا
الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ
حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي
تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج اولا فاولا افلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن
تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسامثل في ذلك مثالا ان البدن
بمنزلة دار الملك وله فيها حشم وصبية وقوام موكلون بالدار فواحد لاقضاء حوائج الحشم
وايرادها عليهم واخر لقبض ما يرد وخزنه الى ان يعالج ويهيا واخر لعلاج ذلك وتهيئته و
تفرقته واخر لتنظيف ما في الدار من الاقذار واخراجه منها فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم
ملك العالمين والدار هي البدن والحشم هي الاعضاء والقوام هي هذه القوى الاربع ولعلك
ترى ذكرنا هذه القوى الاربع وافعالها بعد الذي وصفت فضلا وترداد وليس ما ذكرته
من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الاطباء ولا قولنا فيه كقولهم لانهم ذكروها
على ما يحتاج اليه في صناعة الطب وتصحيح الابدان وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين
وشفاء النفوس من الغي كالذي اوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير و
الحكمة فيها تامل يا مفضل هذه القوى التي في النفس وموقعها من الانسان اعني الفكر والوهم
والعقل والحفظ وغير ذلك افرايت لو نقص الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كان
تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه في اموره ومعاشه وتجاربه اذا لم يحفظ ما له وما عليه

وما أخذ وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به وما نفعه
مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره ولا يعتقد ديناً
ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان خليقاً أن ينسلخ من الإنسانية
أصلاً فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع وأعظم
من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان فإنه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبته
ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات
ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ و
النسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة وما عسى أن يقول
الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة وقد
تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة انظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان
من هذا الخلق الجليل قدره العظيم غناؤه أعني الحياء فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعدات و
لم تقض الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء حتى إن كثيراً من الأمور المفترضة
أيضاً إنما تفعل للحياء فإن من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم و
لم يؤد أمانة ولم يعف عن فاحشة أفلا ترى كيف وفي الإنسان جميع الخلال التي فيها صلاح
وتمام أمره تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا المنطق
الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره ويفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان
بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً وكذلك الكتابة التي بها
تقيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب
وغيرها وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه
لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ودرست العلوم وضاعت
الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون إلى النظر فيه من
أمر دينهم وما روي لهم مما لا يسع جهله ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة وليست
مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم

يسعهم

ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسرياني والعبراني
والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأمم إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام
فيقال لمن ادعى ذلك إن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة فإن الشيء الذي يبلغ
به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه فإنه لو لم يكن له لسان مهيأ للكلام و
ذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلم أبداً ولو لم يكن له كف مهيأة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً واعتبر
ذلك في البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة فأصل ذلك فطرة الباري جل وعز وما تفضل به على خلقه فمن
شكر أثيب ومن كفر فإن الله غني عن العالمين فكر يا مفضل فيما أعطي الإنسان علمه وما منع فإنه أعطي
علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد
القائمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبر الوالدين وأداء الأمانة ومواساة أهل
الخلة وأشباه ذلك مما قد توجد معرفته والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل أمة موافقة
أو مخالفة وكذلك أعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج الأرضين واقتناء
الأغنام والأنعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الأسقام والمعادن
التي يستخرج منها أنواع الجواهر وركوب السفن والغوص في البحر وضروب الحيل في صيد الوحش
والطير والحيتان والتصرف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه و
يكثر تعداده مما فيه صلاح أمره في هذه الدار فأعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك
مما ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان أيضاً كعلم ما فوق السماء
وما تحت الأرض وما في لجج البحار وأقطار العالم وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشباه هذا
مما حجب على الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس هذه الأمور فأبطل دعواهم ما يبين من
خطئهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادعوا علمه فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه
لدينه ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الأمرين فيهما صلاحه تأمل الآن
يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدة حياته فإنه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش
مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء فقد
استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر على أن الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر

اعظم مما يدخل عليه من فناء المال لان من يقل ماله يامل ان يستخلف منه فيسكن الى ذلك ومن ايقن بفناء
العمر استحكم عليه الياس وان كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك في اللذات والمعاصي وعمل
على انه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في اخر عمره وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله الا
ترى لو ان عبدا لك عمل على انه يسخطك سنة ويرضيك يوما او شهرا لم تقبل ذلك منه ولم يحل عندك
محل العبد الصالح دون ان يضمر طاعتك في كل الامور في كل الاوقات على تصرف الحالات فان قلت او
ليس قد يقيم الانسان على المعصية حينا ثم يتوب فتقبل توبته قلنا ان ذلك شي يكون من الانسان لغلبة
الشهوات له وتركه مخالفتها من غير ان يقدرها في نفسه ويبني عليه امره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة
فاما من قدر امره على ان يعصي ما بدا له ثم يتوب اخر ذلك فانما يحاول خديعة من لا يخادع بان يتسلف
التلذذ في العاجل ويعد ويمني نفسه التوبة في الاجل ولانه لا يفي بما يعد من ذلك فان النزوع من الترفه
والتلذذ ومعاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف البدن امر صعب ولا يؤمن على الانسان مع مدافعته
بالتوبة ان يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين الى اجل وقد يقدر
على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الاجل وقد نفد المال فيبقى الدين قائما عليه فكان خير
الاشياء للانسان ان يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي ويؤثر العمل
الصالح فان قلت وها هو الان قد ستر عنه مدة حيوته وصار يترقب الموت كل ساعة يقارف الفواحش
وينتهك المحارم قلنا ان وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الامر فيه فان كان الانسان مع
ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي فانما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه لا من خطا في التدبير كما
ان الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما يامره ولا ينتهي
عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم تكن الاساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ولئن
كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فانه لو وثق بطول البقاء كان احرى ان
يخرج الى الكبائر الفظيعة فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم ان ترقب الموت وان كان
صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف اخر منهم وينزعون عن المعاصي ويؤثرون
العمل الصالح ويجودون بالاموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من
العدل ان يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع اولئك حظهم منها فكر في الاحلام كيف دبر الامر فيها

فمزج

فمزج صادقها بكاذبها فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم انبياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن
فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت تصدق احيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها
او مضرة يتحذر منها وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد واعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالاخر
كما يتشابه الوحوش والطير وغير ذلك فانك ترى السرب من الظباء والقطا يتشابه حتى لا يفرق بين
واحد منها وبين الاخرى وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في
صفة واحدة والعلة في ذلك ان الناس محتاجون الى ان يتعارفوا باعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من
المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته الا
ترى ان التشابه في الطير والوحش لا يضرها شيئا وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه التوامان
تشابها شديدا فتعظم المؤونة على الناس في معاملتهما حتى يعطى احدهما بالاخر ويؤخذ احدهما بذنب
الاخر وقد يحدث مثل هذا في تشابه الاشياء فضلا عن تشابه الصور فمن لطف بعباده بهذه
الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب الا من وسعت رحمته كل شي لو رايت تمثال
الانسان مصورا على حائط فقال لك قائل ان هذا ظهر هاهنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع
اكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزئ به فقال تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر في الانسان
الحي الناطق لم صارت ابدان الحيوان وهي تغتذي ابدا لا تنمى بل تنتهي الى غاية من النمو ثم تقف ولا
تتجاوزها لولا التدبير في ذلك فان من تدبير الحكيم فيها ان يكون ابدان كل صنف منها على مقدار
معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير وصارت تنمي حتى تصل الى غايتها ثم تقف ثم لا تزيد
والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ولو كانت تنمي نموا دائما لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها حتى
لا يكون لشي منها حد يعرف لم صارت اجسام الانس خاصة تثقل عن الحركة والمشي ويجفو عن
الصناعات اللطيفة الا لتعظيم المؤونة فيما يحتاج اليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك
لو كان الانسان لا يصيبه الم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على
الناس اما ترى الانسان اذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب الى ربه في العافية وبسط
يديه بالصدقة ولو كان لا يالم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار ويذل العصاة المردة
وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات وبم كان العبيد يذلون لاربابهم ويذعنون

فكيف

لما عمتهم البلية هذا توبيخ الانبياء عليهم السلام وذويه الذين حجدوا التدبير والمانوية الذين انكروا الاله والوجود لو لم يولد من الحيوان الا ذكور فقط او اناث فقط الم يكن النسل منقطعا وباد مع ذلك اجناس الحيوان فصار بعض الاولاد ياتي ذكورا وبعضها ياتي اناثا ليدوم التناسل ولا ينقطع لم صار الرجل والمراة اذا ادركا نبتت لهما العانة ثم نبتت اللحية للرجل وتخلفت عن المراة ولولا التدبير في ذلك لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيما ورقيبا على المراة وجعل المراة عرسا وخولا للرجل اعطى الرجل اللحية لما له من العز والجلالة والهيبة ومنعها المراة ليبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل الفاكهة والمصاحبة افلا ترى الخلقة كيف ياتي بالصواب في الاشياء وتتخلل مواضع الخطاء فيعطي ويمنع على قدر الارب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل **فصل** قال بعض العلماء من اية سبحانه الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما ينقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنها فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرها وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فسوى وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الاية فتكرار ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظها ويترك التامل في معناها فانظر الان الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب كيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلبهما وكيف قادهما بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الارحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه

تخلق صح

ماء الحيض وغذاه ورباه وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرية والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها لتعطلت العين ولو ذهبنا نصف ما في احاد هذه الاعضاء من العجائب والايات لانقضت فيه الاعمار فانظر الان الى العظام وهي اجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصقه بالطرف الاخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الاخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد حركة جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوت به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على البعض ويطول ذكر الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة فيتصل به من اسفله عظم

صفحة صح

والاعصاب والعروق صح

من الابصار صح

تخص صح

العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام العانة (وعظام اليدين)
وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين ولا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع العظام
في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل
فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان تعرف
عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض منها ان تنظر في مدبرها و
خالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص
لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان
نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصاير ينظرون
فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان ما بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله
الات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وسبعا وعشرين
عضلة والعضلة هي المركبة من اللحم والعصب والرباط والاغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال
بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها
ولو نقصت واحدة من جملتها لاختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر
مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من
هذا كله وشرحه يطول وللتفكر مجال في احاد هذه الاجزاء ثم في احاد الاعضاء ثم في جملة البدن
وكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر
الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته لترى فيها من الصنعة ما تقضي به العجب وكل
ذلك صنع الله تعالى في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات
وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق
بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها ولا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات
تنفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان ولا نسبة لجميع
ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها
فارجع الان الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل انه لو اجتمع الانس والجن على

ان

ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا
او جلدا او شعرا هل يقدرون عليها بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله
تعالى ذلك لعجزوا عنها فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصورة على حائط تانق النقاش في
تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانه انسان اعظم تعجبك من
صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة
انما تمت بالصبغ والقلم والحائط واليد وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش
ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على الترتيب المخصوص فيكثر
تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة التي كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترايب
ثم اخرجها منها فشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وصورها فاحسن تصويرها
وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين
ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سببا لبقائها
وجعلها سميعا بصيرا عالما ناطقا فخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذائها
والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئاتها ثم حماها
باجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة
السماء مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها
ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام
اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقها فيتنبه من النوم
صاحبها اذا قصدتها الدابة في النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع
فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته وليتنشق بمنفذ المنخرين روح
الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب
وزين الفم بالاسنان لتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤوسها وحسن لونها
ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسبة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن
لونهما وشكلهما لتنطبقا على الفم وتسدا منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة لخروج صوت

وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع
طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر
ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل
صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس
بالشعور والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجبين بدقة الشعر واستقواس
الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة
لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمه بجذب
السوداء عنه والمرارة تخدمه بجذب الصفراء عنه والكلية تخدمه بجذب المائية عنه والمثانة تخدم الكلية بقبول
الماء عنها ثم تخرجه عن طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن
ثم خلق اليدين وطولهما لتمتدا الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاث انامل　　تم
ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب ليدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والاخرون
على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام
عن الاربع وتفاوت الاربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت
للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت آلة للضرب وان
ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على　　المجرفة
رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها
الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهرت
به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم يقم شيء مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك
حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك
الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله في النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلث ولو كشف الغطاء و
البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رايت
مصورا او فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه وابهر
برهانه ثم انظر مع كمال القدرة الى تمام الرحمة فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل

حتى

حتى يكبر وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج
الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في
خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما
اللبن وانبت منهما الحلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى
لا يخرج اللبن الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه الى الامتصاص
حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع به ثم انظر الى عطفه ورافته كيف اخر خلق
الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه
اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند
الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من اللثات اللينة ثم حنن
قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط
الله سبحانه الرحمة على قلبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة و
التمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا
او شكورا مطيعا او عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب
الحضرة الربوبية والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى　　او نقشا حسنا
التفكر في الخطاط والنقاش وانه كيف خطه ونقشه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول
ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ويغفل
عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي
لا يمكن استقصاؤها وهي اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها
مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي
فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلها وانما خاصية الانسان
التي حجبت البهائم عنها معرفة الله عز وجل بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الآفاق

والانعام ان بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من
حضرة رب العالمين ولفقد هذه الرتبة للبهائم ولا للانسان اذا رضي من الدنيا بشهوات البهائم فانه
شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك فاما هو فقد خلقت له القدرة ثم عطلها وكفر نعم الله
فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وهذه الخاصية وان لم توجد في غير الانسان الا ان جميع
ذرات الكائنات شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها معظمة من جلال بارئها
معربة عن كمال الحكمة فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قائلة اما تراني وما في من صورتي وتركيبي
وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي أتظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من
جنسي اوما تستحيي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بانها صنعة آدمي عالم قادر متكلم
ادمي م
ثم تنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا يدرك الابصار
ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينقلب قلبك عن جلالة صانعه ويقول النطفة لارباب
السمع لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهموني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت
الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي و
شفتي فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل
الرحم ولا خبر منها لا للاب ولا للام ولا للنطفة ولا للرحم افما هذا النقاش باعجب ممن تشاهد
ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس من
النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال
بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب فلا تفهم بان الذي صور
ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور كما ان نقشه وصنعه لا يساويه نقش
وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين وان كنت لا تتعجب من هذا
فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجيب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح
ومنعك التبيين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد
واشقى واسعد وفتح بصائر احبائه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب
اعدائه واحتجب عنهم بعزته وعلائه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه

ولا معقب لقضائه **وصل** المركب العنصري لما استوفى درجات المعدن والنبات والحيوان بما هو هو
وصفات اخر وقرب من الاعتدال الحقيقي تخطى خطوة اخرى الى درجات القدس ان كان من اهل
السلوك الى الله على صراط الله بان يكون ناقصا ضعيف الفعل كبعض الصبيان من اهل البلاهة
والذكاء والاستقامة من قلة شهوة وغضب وضعف حيوانية ولم يصر انسانا ناطقا فيتقرب
الى الله سبحانه بالتوجه اليه توجها طبيعيا فيتقرب الله اليه ضعف تقربه كما هو سنة الله تعالى فيهب
له صورة كاملة ناطقة بان يبدل صورته الناقصة بصورة كاملة ذات نفس ملكوتية ناطقة
مستخدمة لسائر القوى النباتية والحيوانية وفضله عنها باستباطنها كل ما يصدر من النبات
والحيوان بما هو حيوان ويزيد عليها بافعال ... مختصة بها فهو كلمة الله تعالى نهاية تلك
الملكة التي كانت له اولا ملكة اخرى ارفع منه درجة منهم نهاية ادراك الكليات المحضة مجردة
عن المواد اصلا ادراكا زائدا على ادراك سائر الناس وتحمله ملكته الى عالم القدس
والتوصل الى معرفة حقائق الامور من هنالك بالفكر والروية باقتناص المجهولات العقلية
من المعلومات وكل ادراك ونيل بضرب من التجريد الا ان الحس يجرد الصور عن المادة
بشرط حضور المادة والخيال يجردها عنها وعن بعض غواشيها وان لم تحضر والوهم
يجردها عن الكل مع اضافة الى المادة والناطقة يجردها مطلقة فتفعل في المحسوس عملا يجعله
معقولا وهذا هو الانسان بما هو انسان والى هذا اشار امير المؤمنين عليه السلام فيما يروى ان
بعض اليهود اجتاز به عليه السلام وهو يتكلم مع جماعة فقال له يا ابن ابي طالب لو انك تعلمت
الفلسفة لكان يكون منك شأن من الشأن فقال عليه السلام وما تعني بالفلسفة أليس من اعتدل
ومن قوي اثر النفس فيه م
طباعه صفا مزاجه قوي اثر النفس فيه ومن سما الى ما يرتقيه فقد تخلق بالاخلاق
النفسانية ومن تخلق بالاخلاق النفسانية فقد صار موجودا بما هو انسان دون ان يكون موجودا
بما هو حيوان فقد دخل في الباب الملكي الصوري وليس له عن هذه الغاية مغير فقال
اليهودي الله اكبر يا ابن ابي طالب لقد نطقت بالفلسفة جميعا في هذه الكلمات رضي الله
عنك وعن كميل بن زياد انه قال سألت مولانا امير المؤمنين عليا عليه السلام فقلت
يا امير المؤمنين اريد ان تعرفني نفسي فقال يا كميل واي الانفس تريد ان اعرفك قلت يا

مولاي هل هي الا نفس واحدة قال يا كميل انما هي اربعة النامية النباتية والحسية الحيوانية والناطقة القدسية
والكلية الالهية ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان فالنامية النباتية لها خمس قوى ماسكة
وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية ولها خاصيتان الزيادة والنقصان وانبعاثها من الكبد و
الحسية الحيوانية لها خمس قوى سمع وبصر وشم وذوق ولمس ولها خاصيتان الرضا والغضب
انبعاثها من القلب الناطقة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها
انبعاث وهي اشبه الاشياء بالنفوس الملكية ولها خاصيتان النزاهة والحكمة والكلية الالهية
لها خمس قوى بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء ولها
خاصيتان الرضا والتسليم وهذه التي مبدؤها من الله واليه تعود قال الله تعالى
ونفخت فيه من روحي وقال يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والعقل
وسط الكل وروي ان اعرابيا سال امير المؤمنين عليه السلام عن النفس فقال عن اي نفس تسال
فقال يا مولاي هل النفس انفس عديدة فقال عليه السلام نعم نفس نامية نباتية ونفس حسية
حيوانية ونفس ناطقة قدسية ونفس الهية ملكوتية كلية قال يا مولاي ما النباتية قال قوة
اصلها الطبائع الاربع بدء ايجادها مسقط النطفة مقرها الكبد مادتها من لطائف الاغذية
فعلها النمو والزيادة وسبب فراقها اختلاف المتولدات فاذا فارقت عادت الى ما منه
بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فقال يا مولاي وما النفس الحيوانية قال قوة فلكية و
حرارة غريزية اصلها الافلاك بدء ايجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم
والغشم والغلبة واكتساب الاموال والشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب فراقها اختلاف
المتولدات فاذا فارقت عادت الى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فتعدم صورتها
ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها فقال يا مولاي ما النفس الناطقة القدسية قال
قوة هيولانية بدء ايجادها عند الولادة الدنيوية مقرها العلوم الحقيقية الدينية موادها
التأييدات العقلية فعلها المعارف الربانية سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية فاذا فارقت
عادت الى ما منه بدأت عود مجاورة لا عود ممازجة فقال يا مولاي ما النفس اللاهوتية الملكوتية
الكلية فقال قوة لاهوتية جوهرة بسيطة حية بالذات اصلها العقل منه بدأت وعنه وعت

لاهوتية

اليه

١٩٣

اليه دلت واشارت وعودتها اليه اذا كملت وشابهته ومنها بدأت الموجودات واليها تعود بالكمال
فهي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من عرفها لم يشق ومن جهلها ضل
سعيه وغوى فقال السائل يا مولاي وما العقل قال العقل جوهر دراك محيط بالاشياء من
جميع جهاتها عارف بالشيء قبل كونه فهو علة الموجودات ونهاية المطالب قال بعض
المحققين النفسان الاوليان في كلامه عليه السلام مختصتان بالجهة الحيوانية التي هي محل اللذة والالم
في الدنيا والاخرة والاخيرتان بالجهة الانسانية للانسان بما هو انسان وهما سعيدتان
في النشأة الاخرة وسيما الاخيرة فانها لا حظ لها في الالم الاخروي فلا يتطرق اليها الم هناك
وليستا هي موجودة في اكثر الناس بل ربما لم يبلغ من الوف كثيرة الا واحد اليها واليها الاشارة
بقوله سبحانه وايدناه بروح القدس وفي الحديث الوارد في ارواح السابقين انهم بروح
القدس بعثوا انبياء مرسلين وغير مرسلين وبروح القدس علموا جميع الاشياء وذكر
ان مختصهم ليس لغيرهم **وصل** ان في النفس الانسانية لآيات واسرارا وحكما وعجائب
وغرائب لا تحصى كاشتمالها على كل الوجود وجميع النشآت وهي من اعظم آياته ومن عجائبها
مظهر لاسم الله الاعظم وكتقدمها على الوجود البدني النفسي وتأخرها عنه باعتبارين وكاحاطتها
بالبدن كله مع تنزهها عن المكان والتحيز وكاتصافها بالعلم والقدرة وسائر صفات الكمال
تخلق في مملكتها ما تشاء وتحكم ما تريد وتتصرف بقوتيها الخيالية والعقلية في الملك والملكوت ومع
ذلك فهي عاجزة عن معرفة ذاتها وكنه حقيقتها وهي من اعجب العجائب وكتطوراتها في الاطوار
وترقياتها في درجاتها ومقاماتها من لدن كونها جنينا بل نطفة وقبله الى ان تصير عالما
ربانيا ملاقيا لله سبحانه كما قال سبحانه يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه او
تصير ملكا من الملوك شديد البطش والقهر تملك جميع الارض ان في ذلك لآيات للعالمين و
كاطاعة جميع الموجودات اياها وتوجهها شطر كعبة قلبها ودخولها في دينها افواجا وتسخرها لها
ان في ذلك لآيات وما يعقلها الا العالمون وكحسنها وشرفها وتعبيرها وترقيها في معارجها و
انحطاط درجاتها في تنزلها فاما الى اسفل سافلين او لها اجر غير ممنون وكصيرورة الحق
سبحانه سمعها وبصرها ويدها ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وكونها في اول الحدوث

الشقاء م

تسفلها م

وبحسب الظاهر صورة نوع واحد وتصير اجزاء وبحسب الباطن صورة انواع كثيرة حتى قد يصير في تلك النشأة الظاهر
ايضا ان في تلك النشآت لقوم يعقلون ومن العجائب الواقعة في النشأة الانسانية الطبع الموزون و
تناسب البحور والصوت الحسن وصناعة الموسيقى ومن العجائب الاحلام التي بعضها جزء من اجزاء النبوة
وشرحها مما يطول ومنها اخبارها بالمغيبات من جهة اتصالها بالجواهر الروحانية ومنها تاثيرها
في مادة العالم بازالة صورة ونزعها عن المادة او تلبيسها اياها فيؤثر في استحالة الهواء الى الغيم و
نزول الامطار او في ازالة المرض او في اهلاك قوم او الظالم او خشوع سبع لها او عدم تفرط طائر منها او
غير ذلك مما يجري مجراها سواء كانت بدعاء او رقية او غيرها ومنها اطاقتها ما تعجز عنه فعلا او تحريكا او
حركة تخرج عن وسع مثلها ومنها الامساك عن القوت مدة غير معتادة ومنها الفراسة قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ومنها اظهار السالكين ابدانهم
المثالية في مواضع مختلفة في وقت واحد وفي اوقات واظهار ما يريدون من الطعام و
الملابس وكذا ما يبرزون من السحرة والكهنة يظهرون العجائب في هذا العالم كاراءة الجن وغيرها
ومنها تشكلهم باشكال غير اشكالهم المحسوسة وهم في دار الدنيا لقوة انسلاخهم من ابدانهم وبعد
انتقالهم ايضا الى الآخرة لازدياد تلك القوة بارتفاع المانع البدني ومنها دخولهم في العوالم
الملكوتية كلها كدخول الملائكة في هذا العالم وتشكلهم باشكال اهله وظهورهم في خيالات
المكاشفين كظهور الملائكة والجن ومنها مصاحبتهم مع الملائكة ومجالستهم معهم واخذهم العلوم
منهم ومنها مصاحبتهم الجن ومجالستهم معهم واستفادة بعض العلوم الجزئية وخبر بعض الحوادث
منهم او افادة المعالم الدينية والشرائع لهم او استخدامهم في الحوائج او غير ذلك ومنها سماعهم الكل
الاصوات الملكوتية كسماع الانبياء عليهم السلام الوحي النازل عليهم كلاما منظوما او مثل صلصلة
الجرس ودوي النحل وما ذكرناه انموذج من عجائب النشأة الانسانية ولها عجائب اخرى وغرائب
لا تحصى بعضها مذكور في الكتب المصنفة في ذلك ككتاب عجائب المخلوقات وكتاب عجائب الحيوان
وغير ذلك فانظر الى الكائنات العنصرية كيف سلكت سبيل العالم الانساني وتوجهت شطر كعبة
قلبه التي فيها آيات الحق بصورة الاجسام الاسطقسية البعيدة الشبه له غذاء لطيفا بعد تلطيفها
يسيرا يسيرا وتحويلها من حال الى حال وطيها درجات النبات والحيوان وقطع مسالكها البعيدة

ودخولها

ودخولها في مدارج قالبه وعالمه طائعة مسلمة له دخول الناس في دين الله افواجا وذلك لكونها
مفطورة في خدمة الانسان وسجدة آدم متحركة اليه طلبا وشوقا وتسخير الدنيا له طوعا او كرها فعلم
ان جميع الكائنات غذاء للانسان متحركة اليه وليس فيه تبديل لخلق الله لا تبديل لكلمات الله فاقم
وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فمعاد
العالم ذات الانسان ومعاده الى الهوية الالهية ومفاتيح عالمه ومقاليد مملكته تفتح مغاليق ابواب
السماء ابواب السماوات والارض بالرحمة والمغفرة والحكمة والمعرفة وعن الصادق عليه السلام ان الصورة
الانسانية هي اكبر حجة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه
بحكمته وهي مجموع صور العالمين وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ وهي الشاهد على
كل غائب وهي الحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم الى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة
والنار

الباب الخامس عشر في تشريح اعضاء الانسان الكامل ومنافعها

اعلم ان في معرفة علم التشريح تنبيه القارئ وايقاظه عن نوم الغفلة و
رقدة الجهالة ليطلع على حكم الله البالغة اللطيفة وقدرته التامة الشريفة الدالة على كمال
وحدانيته ووجوب الوهيته ويعلم انه تعالى وتقدس كيف ركب بنية الانسان وكيف ربط
بعض الاعضاء ببعض من العظام والاعصاب والاوتار والرباطات والاغشية والعضلات
والعصارات فيجيء لو تفكر فيه ذو لب وبصر ويخرج في عجائب قدرته وبدائع حكمته ويكون باعثا
له الى تحميده وتمجيده وذكره وشكره والثناء عليه بما هو ويعرف دقائق الطافه وحقائق
نعمه وعظم كرمه عليه ويحقق له ان في كل جزء من اجزائه مفردة كانت او مركبة حكمة ورحمة وكمالا و
خيرا فلا يستحقر نفسه ولا يستعمله الا فيما له مصلحة دنيوية او مثوبة اخروية في طاعة الله وطاعة
رسوله واهل بيته سلام الله عليهم ويتصور الترتيب والنسق والنظام الالهي الذي هو في غاية
النفع والحسن والاتقان والاحكام فنقول اولا انه لما كانت النفس الحيوانية من عالم الملكوت
وهي نشأة لطيفة نورانية وبدنها من عالم الملك وهي نشأة كثيفة ظلمانية والشيء انما يتصرف فيما
بينه وبينه مناسبة فلابد من متوسط له مناسبة ما مع كل من الطرفين ليتمكن من التصرف فيه
بالآخر وان يكون فيما بين الالطف اللطيفة والاكثف الكثيفة وسائط متناسبة منضودة بعضها البعض

كما في طبقات الاجرام الكلية الفلكية والعنصرية اذ الموجودات متدرجة في اللطافة والكثافة فمنها يتصف بهما كما
الباقية في الشرف والخسة فخلق الله سبحانه بلطيف صنعه جرما لطيفا نورانيا شفافا يسمى

> حارا م

بالروح البخاري وجعله مركبا للنفس وقرارها وكرسيا للملائكة احيا بحيوتها باقيا بتعلقها به
فانيا برحلتها عنه لا كسائر الاجرام التي يزول عنها الحيوة وهي باقية وبه حيوة البدن من
الواهب بواسطة النفس فكل موضع منه يفيض عليه من سلطان نوره يحيى والا فيموت ويعتبر
بالسدد فلولا ان قوة الحس والحركة قائمة بهذا الجسم اللطيف لما كانت السدد منعها او قد يخدر العضو
بالسدد بحيث لا يتالم بجرح وضرب وربما ينقطع الروح فيبطل الحيوة منه ولولا انه شديد اللطافة لما
نفذ في شباك العصب من اخلاط عصب ودقيق يجري جسم لطيف حار فيه وتراجعه عنه وهذا هو
الروح ومنبعه القلب الصنوبري ومنه يتوزع على الاعضاء العالية والسافلة من البدن فما
يصعد الى معدن الدماغ على ايدي خوادم الشرايين معتدلا بتبريده فايضا على الاعضاء للمدركة
والمتحركة منبثا في جميع البدن يسمى روحا نفسانيا وما يسفل منه الى الكبد بايدي سفراء
الاوردة الذي هو مبدأ القوى النباتية منبثا في اعماق البدن يسمى روحا طبيعيا وهذا
الروح انما يحدث من لطائف الاخلاط الاربعة التي هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء كما ان
الاعضاء حادثة عن كثائفها على نسبة محدودة واجبة والاخلاط هي اولا انما يحدث من الغذاء لكنه

> وذلك لان الغذاء مه

انهضام ما بالمضغ لاتصال سطح الفم بسطح المعدة بل كانهما سطح واحد وفيه منه قوة هاضمة ولهذا
لا يوجد في الممضوغ الطعم الاول ولا الرائحة الاولى اذا اورد على المعدة انهضم الانهضام التام بحرارة
المعدة ومجاورته تطيف بها اعضاء حارة [illegible] في كثير من الحيوان وعصوره ما يخالط من المشروب في
الكرش كيلوسا وهو جوهر سيال شبيه بماء الكشك الثخين ثم انه بعد ذلك ينجذب لطيفه
من المعدة ومن الامعاء ايضا فيندفع في طريق العروق المتصلة بالامعاء المسماة بماساريقا الى
العرق المسمى باب الكبد فينفذ في الكبد في اجزاء وفروع للباب داخلة في الكبد متصغرة متضائلة
فاذا انفرق في تليف هذه العروق صار كان الكبد بكليتها ملاقية لكليته هذا الكيلوس وكان
لذلك فعلها فيه اشد واسرع وكان الكبد يمتص من المعدة والامعاء ويجذبه الى نفسه فحينئذ
ينطبخ ويستفيد من الكبد الحرارة والحمرة ثم صفاوته تلك الشعب وفي كل انطباخ منه شيء

كالرغوة

كالرغوة والطفاوة وشيء كالدردي والعكر وشيء يميل الى الفجاجة كبيا من البيض فالرغوة هي الصفراء
والرسوب هو السوداء والفج هو البلغم والمصفى من هذه الجملة نقيا هو الدم وهو الغذاء الحقيقي
للبدن فاذا تمت استحالة الكيلوس الى الدم تميزت المائية وتجذب من الجانب المحدب في عروق نازلة
الى الكليتين وتجذب معها من الدم ما يكون بكمية وكيفية صالحا لغذاء الكليتين فتغذو
الكليتين الدسومة والدموية من تلك المائية وتندفع باقيها الى المثانة والى الاحليل وتندفع
الرغوة الصفراوية الى المرارة من الجانب المقعر في منفذ لها فوق الباب متصل احد طرفي
المنفذ بالمرارة والاخر بالكبد فينفذ منها المرارة من منفذ اخر الى الامعاء فتحث بحدتها الامعاء
على دفع الاثقال والفضول فيكون سببا للنقاء من الثفل ثم تخرج ايضا مع خروج الثفل
يلذعها الامعاء وعضل المقعدة بحس بالحاجة وينهض للتبرز ويتوجه الرسوب السوداوي
الى الطحال من الجانب المقعر ايضا في منفذ اخر فيحيلها الطحال حتى يكتسب حمضا وعفوصة
ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فتنبه بالجوع فتحرك الشهوة بحموضته وتنقبض ثم تخرج
ايضا مع خروج الثفل ويتوجه الدم الصافي الى الاعضاء ويتوزع عليها في شعب العروق
الاجوف العظيم النابت من حدبة الكبد فيسلك في الاوردة المنشعبة منه ثم في جداول ثم
في سواقي الجداول ثم في رواضع السواقي ثم في العروق الليفية الشعرية ثم يترشح في فوهاتها في
الاعضاء بتقدير العزيز العليم واما البلغم فلعدم استحكام انهضامه وتولده من الهضم الاول
لم يجد له الطبيعة وعاء يقبله فما صار منه الى الكبد مع عصارة الطعام والشراب انهضم في
الكبد وصار اولها واستحال وصار دما وما بقي منه في الامعاء ولم يجد منها الى الكبد اندفع
من الامعاء وانفصل بلزاقة الصفراء المنقية للامعاء الغاسلة لها بحدتها وحرافتها ومنها ما
لا يخرج من البدن لحاجة البدن اليه لانه يغذوه كالدم ولافتقاره اليه لحركة المفاصل و
ترطيب الامعاء وكل خلط يخرج من الفم بالقي او البصاق او يحتبس من الرأس ويخرج من الفم بالتنخع
ولا طعم له في طبيعته يسمى بلغما تفها لانه للدم وما يجري معه من الاخلاط في العروق هضما ثالثا
واذا توزع على الاعضاء فلنصيب كل عضو منه هضم رابع فمراتب الهضم في الحيوانات الكاملة
بالنظر الى الاعضاء والغذاء والعضو المغتذي والى ظهور التغيرات في الغاية اربع وان كان الغذاء

من مبدأ المضغ الى حين ان يصير جزءا من العضو بعرض له في كل ان تغير واستحالة من غير ان يكون
ذلك محصورا في عدد وينفصل في كل مرتبة من هذه المراتب الاربع فضلة لان الهاضمة لا يمكنها احالة
جميع ما يرد اليها من الغذاء اما الكثرة واما لان من اجزائه ما لا يصلح ان يصير جزءا من المغتذي
فالفضلة الاولى للهضم الاول الذي يكون في المعدة وهي البراز وتندفع في طريق الامعاء و
الثانية الذي يكون في الكبد وتندفع اكثرها بالبول والباقي من طريق الطحال والمرارة والثالث
للثالث الذي يكون في العروق والرابعة للرابع الذي يكون في الاعضاء واستفراغها قد
يكون طبيعيا وقد يكون غير طبيعي وغير الطبيعي قد يكون باقيا على حاله من غير تصرف الهضم الثالث
فيه كدم البواسير والدم الفاسد الخارج بالرعاف وغيره وقد تستحيل استحالة غير تامة كالصديد
والقيح او تامة اما الى حالة تصلح للتغذية كالثفل النضيج الخارج في البول في حال الصحة مما
فات القوة الغاذية او لا كالمرة الخارجة من الاورام المنفجرة وما يكون اندفاعه طبيعيا قد
يحتاج الى منفعة الانتقاص منفعة اخرى وقد لا يحتاج والاول اما ان يكون تلك المنفعة بتوليد
جسم متصل بالبدن من جنس الاعضاء وهو مادة الظفر اولا وهو مادة الشعر او غير متصل
وهو مادة الولد اعني المني او يكون غير توليد جسم اخر وحينئذ فتلك المنفعة قد تتعلق بالمني
كالوذي الحافظ لرطوبة المني المسهل لخروجه وقد تتعلق بالجنين حال تكونه كالطمث او حال خروجه
كالرطوبات الكائنة حالة الولادة او بعد ذلك كاللبن وقد لا يتعلق بهما وذلك اما الدفع ضرر
شيء يخرج من البدن كالوذي الكاسر لعابية لحدة البول او يدخل فيه كوسخ الاذن القاتل لما
لا يدخل فيها من الذباب ونحوه واما الدفع ضرر شيء كاللعاب المعين على الكلام بترطيبه اللسان
والثاني هو ما لا يحتاج الى منفعة الانتقاص منفعة اخرى اما ان يكون وهو اما ان يكون محسوسا
البتة كالبخار المتحلل او يكون محسوسا احيانا كوسخ البدن الكائن من فضل غذائه فانه لا يحس
الا اذا جمع او دائما واندفاعه اما من منفذ كالمخاط او غير محسوس كالعرق والاعضاء القوية
تدفع فضولها الى جاراتها الضعيفة كدفع القلب الى الابطين والدماغ الى ما خلف الاذنين و
الكبد الى الاربيتين وصل ان الله سبحانه خلق اعضاء الحيوان مختلفة لحكم ومصالح فجعلها
عظاما واعصابا وعضلات واوتارا ورباطات وعروقا واغشية ولحوما وشحوما ورطوبات

وغضاريف

وغضاريف وهي البسائط ثم جعل منها الاعضاء المركبة الاتية من القحف والدماغ الى اخرها على غاية شرحها
الترتيب واربعة منها رئيس شريف وهي الدماغ والقلب والكبد والانثيان اذ في الاول قوة الحس و
الحركة وفي الثاني قوة الحيوة وفي الثالث قوة التغذية والثلثة ضرورية لبقاء الشخص وفي الرابع
قوة التوليد وحفظ النسل المحتاج اليه في بقاء النوع وبه تتم الهيئة والمزاج الذكوري والانوثي
اللذين هما من العوارض اللازمة لانواع الحيوان وكل من الثلثة الاول مشتبك بالاخر محتاج اليه اذ
لولا الكبد وامداده لسائر الاعضاء بالغذاء لانحلت وانقضت ولولا ما يصل الى الكبد من حرارة
القلب لم يحل جوهره الذي به يتم فعله ولولا انتهى الدماغ بالشرايين واغتذاء الكبد بالعروق
الصاعدة اليه لم يدم له طباعه الذي يكون به فعله ولولا تحريك الدماغ لعضل الصدر لم يكن
التنفس ولم يبق القلب جوهره الذي منه ينبعث الحرارة الغريزية في ابداننا ولكن الرئيس
المطلق هو القلب وهو اول ما يتكون في الحيوان ومنه يسري الروح الذي هو محل الحس والحركة
الى الدماغ ثم يسري منه الى سائر الاعضاء فتبارك الله احسن الخالقين وصل العظام
انواع من طويل وقصير وعريض ودقيق ومصمت ومجوف على حسب اختلاف المصالح والحكم
منها ما قياسه من البدن قياس الاساس وعليه مبناه ومنها ما قياسه قياس المجن والوقاية
ومنها ما هو كالسلاح الذي يدفع به المصادم ومنها ما هو حشو بين فرج المفاصل ومنها
ما هو متعلق العضلات المحتاجة الى علاقة وجملة العظام دعامة وقوام للبدن وانما خلقت
صلبة ثم ما لا منفعة فيه سوى هذه خلق مصمتا وان كان فيه المسام والخلل التي لا بد منها وما
يحتاج اليه لاجل الحركة ايضا فقد زيد في تجويفه وجعل تجويفه في الوسط واحدا ليكون جرمه
غير محتاج الى مواقف الغذاء المتفرقة فيصير رخوا بل صلب جرمه وجمع غذاؤه وهو المخ في حشوه
ففائدة زيادة التجويف ان يكون اخف وفائدة توحيد التجويف ان يبقى جرمه اصلب وفائدة
صلابة جرمه ان لا ينكسر عند الحركات العنيفة وفائدة المخ فيه ليغذوه وليرطبه دائما فلا
يتفتت بتجفيف الحركة ولا يكون وهو مجوف كالمصمت والتجويف يقل اذا كانت الحاجة الى الوثاقة
اكثر ويكثر اذا كانت الحاجة الى الخفة اكثر وخلق بعضها متشابهة لامر الغذاء المذكور مع زيادة
حاجة بسبب شيء يجب ان ينفذ فيها كالراحة المستنشق مع الهواء في العظم الذي تحت

الدماغ والعضو الدماغ المدرعة منها والعظام كلها متجاورة متلاقية ليس بين شيء منها وبين الذي
يليه مسافة كثيرة واما الرحيل كل ما في البدن منها عظما واحدا لئلا يشمل البدن ما اصابه
من آفة او كسر وليكون لاجزاء البدن حركات مختلفة متفننة ولهذا هي كل واحد منها بالشكل
الموافق لما اريد به ووصل ما يحتاج منها الى ان يتحرك في بعض الاحوال معاونة بعضها فرادى
برباط انبته من احد طرفي العظم ووصل بالطرف الاخر وهو جسم ابيض عديم الحس وجعل لاحد
طرفي العظمين زوايد وفي الاخر نقرا موافقة لدخول هذه الزوايد وتمكنها فيها والثابت
بهذه الهيئة بين العظام مفاصل وصار للاعضاء من اجل المفاصل ان يتحرك منها بعض دون
بعض ومن اجل الربط المواصلة بين العظام ان يتحرك معا كعظم واحد فتبارك الله من حكيم ما احكم

وصل ومن اجل ان العظام وسائر الاعضاء ليس لها ان تتحرك بذاتها بل تحرك وعلى سبيل
جهة الانفعال وصل بها من مبدا الحس والحركة وينبوعها الذي هو الدماغ وصولا وهذه الوصول
هي العصب وهو جوهر لين علك مستطيل مصمت عند الحس غير العصبة المجوفة التي في العين
فايدته بالذات افاده الدماغ بتوسطه لسائر الاعضاء حسا وحركة وبالعرض تشديد اللحم
وتقوية البدن وليس يتصل بالعظم مفردا ولكن بعد اختلاطه باللحم والرباط ويكون غلظه و
صغره في الجهة التي يراد ان يتحرك اليها ذلك العضو ثم ينبت من الطرف الذي يلي العضو
المتحرك من طرفي العضلة شيء شبيه وترا وهو جسم مركب من العصب الاتي اليه ذلك العضو
ومن الرباط النابت من العظام وقد خلص من اللحم فيرجع يتصل بالعضو الذي يريد تحريكه
بالطرف الاسفل فليتام بهذا التدبير ان يعرض قليل تشنج للعضلة نحو اصلها جذب الوتر
جذبا قويا وان يتحرك العضو بكليته لان الوتر متصل منه بطرفه الاسفل وقد يجتمع الاوتار
لعضل واحد اذا كان كبيرا او ربما تعددت عضلا على تحريك عضو واحد وربما لا
يكون للعضل وتر لصغره حيث اثران مبدا الحس والحركة جميعا في الاعضاء وقد يكون عصبة
واحدة وقد يكون اثنتان وصلابة العصب للحس والحركة انما هو بسبب حمله للملك الحامل
والمحرك من جهة الروح النورية المنبثة فيه من الدماغ فالملك اللامس المسماة عند الجمهور
بالقوة اللامسة منبث في جلد جميع البدن واكثر اللحم والغشاء وغير ذلك بسبب انبثاث

حامله

والكلية م

حامله الذي هو الروح الا ما يكون عديم الحس لا نفع له كالكبد والطحال والرية والعظم ويدرك هذا الملك
الكيفيات الاربع الاول والخفة والثقل والملاسة والخشونة والصلابة واللين والهشاشة واللزوجة
كلها بالمماسة وكذلك فاعل الحركة منبث في جميع الاعضاء بواسطة الروح المنبثة في العضلات
واما سائر الاملاك فكل في محل خاص يعملون فيه كما يأتي فتبارك الله من لطيف ما الطف

يانزم

وصل لما كان اسافل البدن وما بعد من الدماغ يحتاج ان ينال الحس والحركة وكان نزول
العصب اليها من الدماغ بعيد المسلك غير حريز ولا وثيق وايضا لو نبتت الاعصاب كلها
من الدماغ لاحتيج ان يكون الراس اعظم مما هو عليه بكثير ولثقل على البدن حمله فلذلك جعل
الله عز اسمه في اسفل القحف ثقبا واخرج منه شيئا من الدماغ وهو النخاع وحصنه بخرز
العنق والصلب كما حصن الدماغ بالقحف واجراه في طول البدن وهو محصن فيه وانبت
منه حين قارب وحاذى عضوا ما عصبا يخرج من ثقب في خرز العنق والصلب ويتصل
بتلك الاعضاء والتي باتيها العصب من ذلك الموضع فيعطيها الحس والحركة بقوة مبداها الذي
فيه فان حدث على الدماغ حادث عظيم فقد البدن كله الحس والحركة وان حدث على النخاع
فقدتهما الاعضاء التي يجيئها العصب من ذلك الموضع وما دونه بحسب لان الدماغ بمنزلة
العين والينبوع لذلك والنخاع بمنزلة النهر العظيم الجاري منه والاعصاب بمنزلة الجداول
واول مبادي الاعصاب الخارجة من الدماغ والنخاع تكون لينة شبيهة بهما ثم انها تصلب
في تباعدت منهما حتى تصير عصبا تام النوع فتبارك الله احسن الخالقين **وصل** العضلات
كلها مجللة بغشاء لطيف وكذلك جميع الاحشاء مجللة باغشية والغشاء جسم لطيف رقيق
منسوج من العصب والرباط ليفيد العضو الذي هو غشاؤه وله ومحيط به مما لا حس له الحس و
الشعور بالعرض فينبا وليدفع الالم في الجملة وليحفظ ايضا الاعضاء على اشكالها و
اوضاعها ويصونها عن التبدد والتفرق وليربطها بعضو اخر بواسطة العصب والرباط

نقص اخر م

الذي يشظى له كغشاء وجميع الاحشاء الملفوفة في الغشاء مما هو داخل الاضلاع
فنبت غشاؤها من احد غشائي الصدر والبطن المستبطنة والاعضاء اللحمية اما ليفية كلها
العضل واما ليس فيها ليف كالكبد لا شيء من الحركات الا بالليف اما الارادية فبسبب ليف

العضل واما الطبيعية فكحركة الرحم والعروق والمركبة فكحركة الازدراد فليف مخصوص لهيئته من وضع
الطول والعرض والتوريب فللجذب الليف المتطاول وللدفع الليف الذاهب عرضا والعاصر و
للامساك الليف المورب فتبارك الله اللطيف الخبير **وصل** واما العروق فنوعان
احدها النابض الضوارب ومنبتها القلب وتسمى بالشرايين ولها حركتان انقباضية وانبساطية طبيعية
وشانها ان تنفض البخار الدخانية من القلب بحركتها الانقباضية وتجذب بحركتها الانبساطية
نسيما طيبا صافيا يستريح به القلب ويستمد منه الحرارة الغريزية وبهذه الحركة ينتشر الروح
والقوة الحيوانية والحرارة الغريزية في جميع البدن وخلقت كلها ذات صفاقين احتياطا في
وثاقة جسمها لئلا ينشق بسبب قوة حركتها بجامها ولئلا يتحلل ما فيها الا واحد منها يسمى
بالشريان الوريدي فانه ذو صفاق واحد ليكون الين واطوع للانبساط والانقباض

الوريدي م

فان الحاجة الى السلاسة اشد منه الى الوثاقة لانه كما انه منفذ للنسيم كذلك منفذ لغذاء الرية
فان غذاءه من القلب هو منفوض في الرية ويصير شعبا ولحم الرية لين لطيف لا يحتمل صفاقين
عند النبض ويحتاج الى ترشح الغذاء اليه بسرعة وسهولة وجعل الصفاق الداخلاني من ذات
الصفاقين اصلب لانه كالبطانة التي تحمي الظهارة وهو الملاقي لقوة الحرارة الغريزية ولمصادمة
حركة الروح فاوجبت الحكمة تقوية منفذ الروح والحرارة الغريزية بهذه البطانة واحرازها
بهما والنوع الثاني العروق الساكنة ومنبتها الكبد وتسمى الاوردة وشانها اما جذب الغذاء
الى الكبد واما ايصال الغذاء من الكبد الى الاعضاء وكلها ذات صفاق واحد الا واحد
يسمى بالوريد الشرياني فانه ذو غشائين صلبين لانه ينفذ في التجويف الايمن من القلب ما يأتي
تغذيه الرية الى القلب ولحم الرية لطيف خفيف لا يصلح له الا دم رقيق لطيف ومن الشرايين
ما يرافق الاوردة بالاغشية المجللة لهما فتتقي فيما بينهما من الاعضاء فتتقي كل واحد منهما

ارتباط الاوردة م

عن الاخر وكلما ترافقا على الصلب في داخل سطحي الشريان الوريدي ليكون اخسهما حاملا للاشرف
وما ترافقا في الاعضاء الظاهرة غاص الشريان تحت الوريد ليكون ساترا والكاتم ويكون
الوريد له كالجنة فتبارك الله العزيز الحكيم **وصل** واما العظم فهو العين من العظم
فيعظم واصلب من سائر الاعضاء وفايدته ان يحصل به اتصال العظام بالاعضاء اللينة

فلا

المنضغط

فلا يكون الصلب في اللين فتركيبا بلا متوسط فيتاذى اللين بالصلب وخصوصا عند الضربة و
وليحس به مجاور المفاصل المتحاكة فلا يتراض لصلابتها وليتسند به ويقوى بعض العضلات
الممتدة الى العضو فيه ذي عظم وليمتد عليها اذ يفتقر الى الاعتماد على شيء قوي ليس بغاية الصلابة فتبارك الله الرؤف
الرحيم فهذه هي الاعضاء المتشابهة الاجزاء التي تتركب منها الاعضاء الالية ولواهبها الملهم فوق ما حمدت لخلق
وكلها تتكون من المني خلا اللحم والشحم فانهما يتكونان عن الدم وسبب انعقاد الصورة في مني الذكر وسببا
انعقادها في الانثى وبما بالنسبة الى الجنين كالانفحة واللبن بالقياس الى الجبن وقيل ان الكل من المنيين
قوتا عاقدة وقابلة وان كانت العاقدة في الذكري اقوى والمنعقدة في الانثى اقوى وهو الاظهر و
بهذا استصح ولادة الصديقة مريم البتول عليها السلام حيث تمثل لها روح القدس بشرا سوي الخلق حسن
الصورة وابتداء خلق الجنين هو حصول المادة في الرحم وشبه بالعجين اذا الصق بالتنور ثم تتغير عن حالة
قليلا وشبه بالبذر اذا اخرج في الارض ويسمى نطفة ثم تحصل فيه نقط دموية من دم الحيض ويسمى علقة ثم
يظهر فيه حمرة ظاهرة ثم يصير شبيها بالدم الجامد ويعظم قليلا ويهيج فيه ريح حارة ويسمى مضغة ثم
يتم ويتميز فيه الاعضاء الثلثة الرئيسة ويظهر لسائر الاعضاء رسوم خفية ويسمى جنينا ثم يظهر فيه رسوم
سائر الاعضاء ويقوى ويصلب ويجري فيه الروح ويتحرك ويسمى صبيا ثم ينفصل الرسوم ويظهر
الصورة وينبت الشعر ثم ينفخ لسانه ويتم خلقته ويكمل خلقة الذكر قبل خلقة الانثى واذا كمل لم يكتف
بما يجيئه من الغذاء من دم الحيض فيتحرك حركات صعبة قوية ويهتك ربطه بالرحم فكانت الولادة
والى هذه الاطوار اشير في قوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ولنشرح الان الاعضاء الالية على الترتيب **وصل**

وابتداء الاشتغال م

اما قحف الراس الذي خلق لحفظ الدماغ ووقايته عن الافات فخلقه الله مستديرا الى طول لان المستدير
اعظم مساحة من الاشكال المستقيمة الخطوط اذا تساوت احاطتها ولئلا ينفعل عن المصادمات
ما ينفعل عنه ذو الزوايا واما طوله فلان منابت الاعصاب الدماغية موضوعة في الطول فكان
يزدحم ولا ينضغط وقد يفقد النتو المقدم او المؤخر او كلاهما والقحف مؤلف من ستة اعظم اربعة
منها بمنزلة السقف واربعة بمنزلة الجدران ويتصل بعضها ببعض بدروز تسمى بالشؤون وصل

الجدران اصلب من اليافوخ لان السقطات والصدمات عليها اكثر ولان الحاجة الى تحلل اليافوخ امس
لنفذ فيه البخار المتحلل ولئلا يثقل على الدماغ وجعل اصلب الجدران مؤخرها لانه غائب عن حراسة الحواس
فلا يحرسه البصر مثلا عن الآفات وفي القحف ثقب كثيرة تخرج منها اعصاب كثيرة يدخل فيها عروق
وشرايين ويخرج منها الابخرة الغليظة المتعذرة عن النفوذ في العظم فيبقى تحللها الدماغ وليتشبث
بها الحجاب الغليظ الثقيل الآتي ذكره فيجف عن الدماغ واعظم ثقب فيه الذي من اسفل عند نقرة
القفاء وهو مخرج النخاع ويتصل بالقحف اللحي الاعلى وهو الذي فيه الخدان والاوتار والاسنان
العليا ويتركب من اربعة عشر عظما يتصل بعضها ببعض بدروز واللحي الاسفل وهو الذي فيه الاسنان
السفلى الا انه لم يتصل به اتصال التحام وتركيب بل اتصال مفصل لاحتياجه الى حركة ويسمى موضع اتصاله
به الزرفين وهو مركب سوى الاسنان من عظمين بينهما شان في وسط الذقن وتحت القحف من ناحية
الحلق فيما بينه وبين اللحي الاعلى عظم مركوز فيه على يحل الخلل الحادث من تقسيم اشكال هذه العظام و
يسمى بالوتد وجميع عظام الراس اذا عدت على ما يتبع خلا الاسنان ثلثة وعشرون عظما **وصل** واما
الدماغ فخلقه الله سبحانه لينا ليسهل انطباع المحسوسات فيه بسهولة وليكون الاعصاب الناشئة منه
لدنا لا ينكسر ولا ينقطع وجعل مزاجه باردا رطبا لتعقل القوى المودعة فيه عن مدركاتها ولئلا يشتعل
بالحرارات المتولدة فيه من الحركات الفكرية والخيالية ولتعتدل قوة الروح والحرارة الصاعدة اليه
من القلب وجعل مقدمه الذي هو منبت الاعصاب الحسية الين من مؤخره الذي هو منبت الاعصاب الحركية
لان الحركة لا تحصل الا بقوة والقوة انما تحصل بصلابة وهو ذو قسمين طولا وعرضا ثلثا سمك الاخر
جميع اجزائه وفي طوله تجاويف ثلثة يفضي بعضها الى بعض تسمى بطون الدماغ وهي محل الروح النفساني
ومواضع الحواس ومقدمها اعظمها ويتدرج الى الصغر حتى يعود الاقرب النخاع وشكل وله زائدتان
شبيهتان بحلمتي الثدي يبلغان الى العظم الكثير الثقب الشبيه بالمصفى في موضع من القحف حيث
ينتهي اليه اقصى الانف وفيهما حس الشم وبهما يندفع الفضول من هذا البطن المقدم الى العظم المذكور
وينزل منه الى الخيشوم بالعطاس واما فضول البطنين الاخرين فيندفع الى العظم المثقب الذي تحت
الحنك والبطن المقدم هو موضع انجذاب الهواء الى الدماغ والهواء يعد بكثرة في البطون وتغير
الى المزاج الدماغي بتصير روحا نفسانيا وكثيرا ما يزيد على ما يسع البطون فيصعد الى عضون

بطون

للدماغ

الدماغ يسمى بالبرك ويستحيل منها الى المزاج الدماغي والى الصلو حصلته والسرح الموضوع من جانبي البطن
الاوسط يتمدد تارة ويتقلص اخرى مثل الدودة ويسمى بها كما يسمى هذا البطن ايضا الان بتمدده يستطيل
هو وينضم معه وبتقلصه يستعرض وينفرج عنه والاول حركة الانقباض بها يندفع الفضلة والثاني
حركة الانبساط بها يتادى صور المدركات الى القوة الحافظة بتقدير العزيز الحكيم فسبحانه سبحانه
ما اسبغ نعمه واعلى شانه **وصل** فقد جلل الدماغ بغشائين رقيق لين ملاصق له ومخالط
في مواضع وغليظ صلب فوقه ملاصق للقحف وله في امكنة منه وهو مثقب ثقبا كثيرة في موضعين
عند العظم الشبيه بالمصفى والعظم الذي في الحنك لاندفاع الفضول ويتشعب منه شعب دقاق
تصعد من درز القحف الى ظاهره فيتشبث اولا الغشاء بالقحف بتلك الشعب فيتجافى بها عن
الدماغ ويرتفع ثقله عنه ثم ينسج من تلك الشعب على ظاهر القحف غشاء يجلله ويتوسط ايضا
بين جزئي الدماغ المقدم والمؤخر حجاب لطيف ويحجب الجزء الالين عن مماسة الاصلب ويحته
الدماغ بين الغشاء الغليظ والعظم نسيج شبيه بالشباك الكثيرة التي القيت بعضها على بعض
حصلت من الشرايين الصاعدة الى الراس من القلب والكبد ويخرج منها عرقان فيتخللان الغشاء
الصلب ويتصلان بالدماغ وانما فرشت الشبكة تحت الدماغ ليبرد فيها الدم الشرياني والروح
فيتشبه بالمزاج الدماغي بعد النضج ثم تخلص الى الدماغ على التدريج والفرج التي تقع بين فروع
هذه الشرايينات محشو بلحم غددي لئلا تبقى خالية وليعتمد عليه تلك الفروع ويبقى على اوضاعها
فسبحان الخالق الكريم ما ابين كرمه واسبغ نعمه **وصل** واما الاعصاب الناشئة من الدماغ
فسبعة ازواج اولها ينشأ من مقدم الدماغ ويجيء الى العين فيعطيها حس البصر بقوة الملك الثابت
الموكل به وهاتان العصبتان مجوفتان واذا نشأتا من الدماغ وبعدتا عنه قليلا اتصلتا وافضى
ثقب كل واحد منهما الى صاحبه ثم تفترقان ايضا وجاء بعد ان اخلا القحف ثم تخرجان ويصير
كل واحد منهما الى العين التي من جانبه والزوج الثاني ينشأ من خلف منشأ الاول ويخرج من
القحف في الثقب الذي في قعر العين ويتفرق في عضل العين فيكون به حركاتها والثالث
منشأه من خلف الثاني من حيث ينتهي البطن الى البطن الثاني ويخالطه الزوج الرابع الذي
بعد ثم يفارقه وينقسم اربعة اقسام احدها ينزل الى البطن الى ما دون الحجاب والباقي منها يتفرق

المقدم م

في اماكن من الوجه والانف ومنها يتصل بالزوج الذي بعده والرابع منشأوه من خلف منشأ الثالث و
يتفرق في الفك فيعطيه حسا خاصا له والخامس يكون بعضه حس السمع وبعضه حركة العضل الذي
يحرك الخد والسادس يصير بعضه الى الحلق واللسان وبعضه الى العضل الذي في ناحية الكتف وما حواليه
وبعضه ينحدر من العنق وينشعب منها في مروره شعب تتصل بعضل الحنجرة فاذا بلغ الى الصدر
انقسم اقساما فيخرج منها بعضها صعدا حتى يتصل بعضل الحنجرة ويتفرق شي منها في غلاف القلب
والرية والمري وما جاورها وغير الثاني ويجي الكبرة حتى ينفذ الحجاب ويتصل بفم المعدة منه اكثره و
يتصل الباقي بعضا والكبد والطحال وسائر الاحشاء ويتصل به هناك بعض اقسام الزوج الثالث
والسابع يبتدي من مؤخر الدماغ حيث منشأ النخاع ويتفرق في عضل اللسان والحنجرة و
العضلات المحركة لاعضاء البدن كلها ينشأ من هذه الاعصاب والاعصاب النخاعية الاتي
ذكرها وعدة كلها ما في البدن من العضلات على راي جالينوس خمسمائة وتسعة وعشرون ولو احصيها
الخمسة اضعاف ما جمع الحامدون **وصل** واما العين فهي مركبة من سبع طبقات وثلث
رطوبات ما خلا الاعصاب والعضلات والعروق وبيان هيئاتها ان العصبة المجوفة التي هي
اول العصب الخارج من الدماغ يخرج من القحف الى حيث قعر العين وعليها غشاآن بهما غشاء
الدماغ فاذا برزت من القحف وصارت في حفرة عظم القحف العين فارقها الغشاء الغليظ وصار
لباسا وغشاء على عظم العين الا ما كان وسمي هذا الغشاء الطبقة الصلبة وفارقها ايضا
الغشاء الرقيق فصير غشاء ولباسا دون الطبقة الصلبة وسمي الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة
وتعرض العصبة نفسها وتصير فيها غشاء دون هذين وسمي الطبقة الشبكية ثم يكون في
وسط هذا الغشاء جسم لين رطب جدا صافية غليظة مثل الزجاج الذائب سمي الرطوبة الزجاجية
ويكون في وسط هذا الجسم جسم اخر مستدير الا ان فيه ادنى تفرطح شبيه بالجليد في صفائه و
سمي الرطوبة الجليدية ويحيط الزجاجية من الجليدية بقدر النصف ويعلو النصف الاخر جسم شبيه
بنسج العنكبوت شديد الصفاء والصقال سمي الطبقة العنكبوتية ثم يعلو هذا جسم سائل
في لون بياض البيض سمي الرطوبة البيضية ويعلو الرطوبة البيضية جسم رقيق مجلل الداخل حيث
يلي البيضة املس الخارج ويختلف لونه في الابدان فربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك

في وسطه حيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية الى
الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع عند الظلمة وبانسداده يبطل الابصار وهو مثل ثقب
حب عنب نزع من العنقود وهو الحدقة وفيها رطوبة لطيفة وروح ولهذا يبطل الناظر عند الموت
سمي هذا الغشاء الطبقة العنبية ويعلو هذه الطبقة ويغشاها جسم كثيف صاف صلب شبيه
صفيحة صلبة رقيقة من قرن ابيض وسمي القرنية غير انها متلونة بلون الطبقة التي تحتها المسماة عنبية
كالملتصق وراءه حاجز من زجاج شيئا ذا لون فيميل في ذلك المكان من الزجاج الى لون ذلك الشي و
يعلوه هذا ويغشاه لكن لا كله بل الى موضع سواد العين لحم ابيض دسم مشف مختلط بالعضلات
المحركة للعين غليظ ملتحم عليه يسمى بالملتحمة وهو بياض العين وينشأ من الغشاء الذي على القحف
من خارج كما ينشأ القرنية من الطبقة الصلبة والعنبية من الطبقة المشيمية والعنكبوتية من الشبكية
وكل جنب الغشاء من التي منشأوها فانها تتغذى منها وتودي الباقي اليها فتبارك
الله اللطيف الخبير احسن الخالقين **وصل** الوان العيون تختلف باختلاف الوان الطبقة
العنبية وانما خلقت هذه الطبقة اسود لانه وفق الالوان لنور البصر اذ الابيض يفرق نوره والاسود
يجمعه ويكثفه والاسمانجوني لاعتداله يجمع النور جمعا معتدلا ويقويه وانما خلقت غليظة ليمنع عن اشراق
الشمس على نور البصر ويكون متوسطا قويا بين الرطوبات وبين الطبقة الصلبة القرنية التي
قدامها وظاهرها اصلب ظاهرها الذي يليها اصلب وفي صلابة ظاهرها فائدة اخرى وهي ان تلقى الثقبة
العنبية لصلابتها ما يحفظها مفتوحة لا يتشوش من الطافها اشرف العصب الشي الرخو اللين و
في الحقيقة هذه الطبقة طبقتان داخلانية ذات خمل واخرى صلبة وجعلت القرنية شفيفة لئلا
يحجب نور البصر عن النفوذ فيها وصلبة ليكون وقاية للطبقات الاخر وللرطوبات عن الافات وتحفظها
على اوضاعها واشكالها وجعل الرطوبة البيضية قدام الجليدية لتحجب عنها قوة الاشعة و
الاضواء لكيلا تحللها وجعل ظاهر الجليدية مفرطحا لان تقع الاشباح المدركة في جزو كبير
منها فيكون الابصار به اقوى اذ المدور لا يحاذي الشي الا بجزء صغير وجعلت الزجاجية غليظة
لئلا تسيل وجعلت من وراء الجليدية ليكون لاسيما الغذاء اقرب والرطوبة الجليدية هي اشرف
اجزاء العين وسائر الطبقات والرطوبات خادمة لها ووقاية وهي محل المدركات البصرية من

جهة الروح الاتي اليه من العصبتين المجوفتين اللتين هما محل الملك الباصر لادراك الاضواء والالوان وغيرها
بتوسط الروح التي فيهما وانما جعلتا مجوفتين للاحتياج الى كثرة الروح الحامل لهذا الملك ومادته
ويجتمع عند تلاقيهما الروح حتى لو اصاب احدى العينين آفة لا يضيع نورها بل يندفع الروح من هذا المجمع
بالكلية الى العين الصحيحة فتصير اشد ابصارا ولان يكون للعينين مؤدى واحد تؤديان اليه شبح المبصر
فيتحد به هناك ويكون الابصار بالعينين ابصارا واحدا ولان يستدعم كل عصبة بالاخرى وتستند
اليها وتصير كانها نبتت من قرب الحدقة فيكون اندفاع النور الى العين اقوى مثل تجمع الماء الذي
تحت الماء القليل ولانه لولا هذا الالتقاء لكان العصبتان عند كل نظرة وتحديق والتفات
يتمايلان ويتزايل الصدع الحدقتين عن محاذاة الاخرى فيكون الناس في اكثر الاحوال يرى
الشيء الواحد شيئين فتبارك الله اللطيف ما الطفه واحكمه **وصل** واما الجفن فنشاؤه من
من الجلد الذي على ظاهر القحف وفائدته ان يمنع نكاية ما يلاقي الحدقة من خارج ويمنع عند الانطباق
وصول الغبار والدخان والشعاع ويصقل الحدقة دائما ويبعد عنها ما اصابها من الهباء و
القذاء وجعل الاسفل اصغر من الاعلى لانا لا نحتاج الى ستر الحدقة وتكشفها اخرى بتحركه و
اما الاسفل فغير متحرك فلو زيد على هذا القدر لستر شيئا من الحدقة دائما ولكان يجتمع فيه الفضول
ولا تسيل واما الاهداب فيمنع من الحدقة بعض الاشياء التي لا يمنعها الجفن مع انفتاح العين
كما يرى عند هبوب الرياح التي تاتي بالقذاء فينفتح ادنى فتح ويتصل الاهداب الفوقانية بالسفلانية
فيحصل له شبه شباك ينظر من ورائها فيحصل الرؤية مع اندفاع القذاء فتبارك المصور اللطيف
ما الطفه واحسن تصويره **وصل** واما الاذن فهي مخلوقة من العصب واللحم والغضروف خلقت
مقعرة كالشراع ليجتمع فيها الهواء الذي يتحرك من قوة صوت الصائت ويطن فيها وسقفه المنفذ الذي
في عظم صلب يسمى الحجري ويحرك الهواء الذي هو داخل الاذن ويموجه كما يرى من دوائر الماء لما وقع
فيه فيقع هناك على جلدة مفروشة على عصبة مقعرة كالجلد على الطبل فيحصل طنين يشعر بهيئته
الملك السامع للاصوات الواقع في تلك العصبة بتوسط ما هو واردها من جوهر الروح وذلك
المنفذ كثير التعاريج والعطفات وعند نهايته تجويف يسمى بالجوف والعصبة على جانبيها وانما جعل
كذلك ليطول به مسافة ما يقرع من قوة الصوت والرياح الحارة والباردة فينقص ضرره ويكسر

القوى غائرة وحال تلك العصبة في السمع كحال الرطوبة الجليدية في الابصار ومحلها اسكلها فتبارك
القدوس اللطيف الخبير **وصل** واما الانف فهو مخلوق من العظم والغضروف ما خلا العضلات المحركة
وبيان هيئته ان له عظمين كالمثلثين يلتقي زاويتاهما من فوق وقاعدتاهما يتماسان عند
زاوية وتتفارقان بزاويتين وعلى طرفيهما السافلين غضروفان لينان وفيما بينهما على طول الانف
غضروف صلب الاعلى اصلب من الاسفل ومجراه اذا علا انقسم قسمين نفذ احدهما الى
اقصى الفم وبه يكون استنشاق الهواء الى الرئة والتنفس الجاري على العادة لا الكائن بالفم ونفذ
الاخر صاعدا حتى ينتهي الى العظم الشبيه بالمصفى الموضوع في وجه زائدتي الدماغ المشبهتين
بحلمتي الثدي وبه يكون نفض الفضول من الدماغ واستنشاق الهواء اليه والتنفس وبالزائدتين
حس الشم اذ هما المحل للملك الشام للروائح بتوسط الهواء المتصل بهما وفي اقصى الفم مجريان
الى المآقين ولذا المنفذ يتادى طعم الكحل الى اللسان ومنفعة غضروفي الطرفين بعد المنفعة المشتركة
للغضاريف ان ينفرج ويتوسع ان احتيج الى فضل استنشاق ونفخ ويعين في نفض المخاط
باهتزازهما عند النفخ وانقباضهما وارتعادهما ومنفعة الوسطاني ان يفصل الانف الى منخرين
حتى اذا نزل من الدماغ فضلة نازلة مال في الاكثر الى احدهما ولم يسد جميع طرق الاستنشاق
فالحمد لله احسن الخالقين **وصل** واما الاسنان فستة عشر سنا في كل لحي منها ثنيتان
ورباعيتان للقطع ونابان للكسر وخمسة اضراس عن يمنة ويسرة للطحن واكثرها مدخل في تقطيع الحروف
وتبيينها وربما نقصت الاضراس فيكون اربعا وللاسنان اصول هي رؤوس محددة ترتكز في
نقب العظام الحاملة لها من الفكين وينبت على طرف كل نقبة زائدة مستديرة عليها اصلب لتشتمل
على السن وهناك روابط قوية واصول الاضراس التي في الفك الاعلى ثلثة او اربعة لانها معلقة
وفي الفك الاسفل اثنان او ثلثة واما سائر الاسنان فلها اصل واحد وانما جعل المتحرك
من الفكين عند المضغ والتكلم الاسفل دون الاعلى الا نادرا كما في التمساح لانه اصغر واخف و
لان الاعلى مجمع الحواس والدماغ فلو تحرك لتاذى الدماغ بحركته وتشوش الحواس ولكان ايضا مفصل
الراس مع العنق غير وثيق والواجب فيه الوثاقة وانما صار هذا الفك من الانسان اخف واصغر من سائر
الحيوانات لان اغذية الانسان مما لا يحتاج مضغه الى جلاد في الحيوانات فاعطي كل على قدر احتياجه

فتبارك الله الرؤف الرحيم **وصل** واما اللسان فهو مخلوق من لحم ابيض لين دخوته التفته عروق
صغار كثيرة منها شرايين ومنها اوردة وبسببها احمر لونه وعند موخره غدد في منبتي مولد اللعاب
وتحته فوهتان تفضيان الى هذا اللحم تسميان ساكبي اللعاب بهما ينسكب الرطوبة و
الريق من اللحم الغددي على اللسان والفم وتحته ايضا عرقان كبيران اخضران تسميان الضفدعين
وهو ذو شقين طولا ولكنهما في غشاء واحد متصل بغشاء الفم والمري والمعدة الا في بعض
الحيوانات كالحيات فان شقي لسانها ليسا في غشاء واحد ولهذا يظهران وعلى جرم اللسان
عصبة منبثة هي محل القوة الذائقة للطعوم بتوسط الاجسام المماسة المخالطة للرطوبة اللعابية
المستحيلة الى طعم الوارد وعليتها له من جهة ما موردها من جوهر الروح وعلى اصل اللسان
زائدتان نابتتان الى فوق كانهما اذنان صغيرتان تسميان باللوزتين وجوهرهما لحم عصبي
غليظ كالغدد ومنفعتهما مثل منفعة اللهاة وما في ذكرها وانما خلق اللسان لكونه آلة تقطيع
الصوت واخراج الحروف وتبيينها وآلة تقليب الممضوغ وتمييز المذوق واعدل الالسن في
الطول والعرض اقدر على الكلام من عظيمها جدا ومن الصغير المتشنج والمجهد فيه **وصل** واما الحلق و
الحنجرة وسائر آلات الصوت فبيان هيأتها ان اقصى الفم ينفذ الى مجريين احدهما من قدام وهو
الحلقوم ويسمى المجرى قصبة الرئة فيها ومنها منفذ الريح التي تدخل وتخرج بالتنفس والآخر
موضوع من خلف ناحية الفقار على خرز العنق ويسمى المري ومنه ينفذ الطعام والشراب في
مخرج الفم ويأتي شرحهما والحنجرة مؤلفة من ثلاث غضاريف احدها من قدام وهو الذي يظهر
تحت الذقن قدام الحلق وهو محدب الظاهر مقعر الباطن والثاني من خلفه وبانضمامهما يضيق
الحنجرة عند السكوت ويتباعد احدهما عن الآخر ويتسع عند الكلام والثالث مثل مكب بينه
وبين الذي من خلف مفصل ملتئم بزائدتين من ذلك تهندمان في نقرتين منه ويربط هناك
برباطات وهو يتحرك بهذا المفصل وبانكبابه عليهما ينغلق الحنجرة وبتجافيه عنهما تنفتح والحاجة الى انغلاق
الحنجرة عند الاكل والشرب لئلا يدخل في حد الانسداد او يقطر في قصبة الرئة شيء من المأكول والمشروب و
ذلك لان قصبة الرئة والمري متجاورتان متلاصقتان مربوط احدهما بالآخر وعند انغلاق الحنجرة يمر
الطعام والشراب على ظهر الغضروف المكب وينزل في المري واذا انفتحت الحنجرة عند غفلة من الانسان بان

تبلع

لحم م

تبلع ويصوت او يتنفس في حالة واحدة ربما وقع شيء من المأكول والمشروب في قصبة الرئة فيحدث
منها دغدغة وحالة مؤذية شبيهة بما يحدث في الانف عند حصول العطاس بما دخل فيه فيستقبله
القوة الدافعة لدفعه مورث السعال الى ان يندفع وقد امر كثيرا ان القصبة انما تمتد الى الرئة وليس لها
منفذ من اسفلها ما يندفع فيه ما يقع فيها فانه لا مجال ينال الحنجرة من هذه الغضاريف على
هذا الشكل لينغلق بها عند الاكل والشرب منفذ الصوت والتنفس فيسلم الانسان ويتخلص من
السعال المقلق ولهذا لا يجمع الازدراد والتنفس معا في حالة واحدة وفي داخل الحنجرة رطوبة لزجة
دهنية تملسها وترطبها دائما ليخرج الصوت صافيا حسنا ولهذا اذا جفت الحنجرة بغلبة الحرارة
عجز عن التكلم الا بعد ترطيبها والفائدة في دهنيتها ان لا تجف بسرعة ولا تفنى وان تسلس بها
حركات الحنجرة وفي اعلى الحنجرة عضو لحمي معلق يسمى باللهاة يلتقي ما يثار الصعود في الحنجرة من
خارج مثل برد الهواء وحره وحدة الدخان ومضرته فيمنع نفوذها دفعة ليتدرج وصولها
الى الرئة ويلتقي ايضا ما يثار الصعود من داخل مثل قرع الصوت الصاعد من الحنجرة وبالجملة
هي كالباب المرصد على مخرج الصوت بقدره فلا يندفع دفعة ولا ينقطع مدده جملة فيزداد بذلك
قوة الصوت ويتصل بذلك مدده وكذلك اللوزتان المشار اليهما فيما سبق فانهما تعاونانها
في ذلك وفيهما ايضا صفاقان لاصقان بالحلق يسميان بالغلصمة يصفي ما قد يتقرب الهواء من كدورة
الغبار والدخان لئلا يصل شيء منهما الى الحنجرة والرئة كالمصفاة لآلات الصوت والحلق كالفضاء
يطن فيها الصوت فهذه جملة آلات الصوت والصوت انما يكون من النفس واصله دوي في
قصبة الرئة وانما يصير صوتا عند طرف القصبة المسمى رأس المزمار وهو الرأس ٧١ تر لها هو بالحقيقة
الشعر والباقية من المعينات والمتممات وانما يصير بذلك لتضايقه ثم اتساعه عند الحنجرة فيبتدئ
من سعة الى ضيق ثم الى فضاء اوسع كما في المزمار اذ لا بد للصوت من ضيق لتحصيل الدوي
وتقديره ولا بد ايضا من الانضمام والانفتاح لتحصيل بهما قرع الصوت واللهاة تقوم مقام
اصبع الزامر والغلصمة مثل الشيء الذي يسد به رأس المزمار وعضلات آلات الصوت
كثيرة بحسب حركاتها المحتاج اليها في هذا الموضع فيكون منها ضروب الاشكال لضروب
الاصوات وعند الحنجرة من قدام عظم هو منشأ رباطات عضلاتها وللعظم نفسه ايضا عضلات

٣

عنك بها في عضلات الحنجرة ولما كان الانسان محتاجا في كثير من احواله وصنايعه الى اعلام
مكنونات ضميره صار من بين الحيوانات احوج الى اعلام مستوره باطنه ولا يصلح لذلك شي احف و
ادل من الصوت فانعم الله عليه بنعمة الكلام اكراما له وتعظيما فتبارك الله اللطيف الخبير وصل
واما العنق والصلب فمخلوقتان من الفقرات والفقرة عظم مدور في وسطه ثقب ينفذ فيه
النخاع وانما خلقت لتكون وقاية للنخاع ودعامة للبدن ونسبتها الى النخاع كنسبة القحف الى الدماغ
وهي ثلثون عددا سبع للعنق واثنا عشر للظهر وربما زادت او نقصت واحدة منها في الندرة و
الزيادة اندر وخمس للقطن وثلث للعجز وهي كالقاعدة للصلب وثلثة للعصعص وانما خلقت
صلبة ليكون للانسان استقلال وقوام وتمكن من الحركات الى الجهات ولذلك حصلت المفاصل
بينها لا سلسة فتوهن القوام ولا موثقة فتمنع الانعطاف ومنها ما لها زوايد من فوق (واسفلها)
ينتظم الاتصال بينها اتصالا مفصليا بدخول بعضها ورؤس بعضها في بعض ولبعضها زوايد
من نوع اخر عريضة صلبة موضوعة على طولها للوقاية والجنة والمقاومة لما يصادف ولان
تنسج عليها رباطات فما كان منها موضوعا الى خلف يسمى شوكا وسناسن وما كان يمنة
ويسرة يسمى اجنحة ولكل جناح مما يلي الاضلاع نقرتان ولكل ضلع زائدتان محدبتان
تهندم الزائدة في النقرة وترتبط برباطات قوية وللفقرات غير الثقب المتوسطة ثقب اخر
يخرج منها الاعصاب ويدخل فيها العروق والعنق وفقراته وقاية للمري وقصبة الرية
ولما كانت محمولة على ما تحتها من الصلب وجب ان يكون اصغر ولما كانت مسلكا لاصل النخاع
واوله الذي يجب ان يكون اغلظ واعظم مثل اول النهر وجب ان يكون الثقب الوسطاني منها
اوسع والصغر وسعة الثقب يقتضيان رقة جرمها ووهنه فالحق سبحانه تدارك ذلك
بان خصها بزيادة صلابة وحزن ليس لما تحتها وجعل سناسنها اصغر ليكون اخف عليها
لم يتدارك صغر سناسنها بكبر اجنحتها وجعلها ذوات راسين ولما كان اكثر منافع العنق
في حركات جعل مفاصله سلسة ولم يجعل زوايدها المفصلية كبيرة كزوايد ما تحتها لتكون
حركاتها اسرع وتدارك تلك السلاسة باعصاب وعضلات كثيرة محيطة به وجعل ايضا مسالك
الاعصاب التي تتفرع من النخاع مشتركة بين فقرتين لئلا يقع ثقب تام من فقرة واحدة فتوهنها

فقراته م

والصلب

والصلب وفقراته وقاية وجنة للاعضاء الشريفة الموضوعة قدامه ولذلك خلق له شوك
وسناسن وهو مبني لجملة عظام البدن مثل الخشبة التي تهيى في بناء السفينة اولا ثم يركب فيها ويربط
بها سائر الخشب ولذلك خلق صلبا وهو كشي واحد مخصوص بافضل الاشكال وهو
المستدير اذ هذا الشكل ابعد الاشكال عن قبول افات المصادمات ولما كان الصلب قد
يحتاج الى حركة الانثناء والانحناء نحو الجانبين وذلك بان يزول الوسط الى ضد الجهة ويميل
ما فوقه وتحته نحو تلك الجهة وكان طرفا الصلب يميلان الى الالتقاء لم يخلق للفقرة التي هي
الواسطة في الطول وهي العاشرة لقم بل نقر لاجل ان اللقم السفلانية والفوقانية زائدات
تنجذب الى اسفل والسفلانية ان تنجذب الى فوق فتبارك الله احسن الخالقين وصل
واما النخاع فانه جسم ابيض لين دسم دماغي منشاؤه مؤخر الدماغ كما ذكرنا وهو خليفته
ليتوزع منه الاعصاب والعضلات على الاعضاء ليفيدها الحس والحركة وجملة ما ينشأ منه
احد وثلثون زوجا من العصب وفرد لا مقابل له فالزوج الاول يخرج من الثقب الذي
في الفقرة الاولى من فقار العنق ويصعد حتى يتفرق في عضل الراس والثاني يخرج مما بين
الثقب الملتام فيما بين الفقرة الثانية والثالثة وينقسم قسمين فبعضه يصير الى العضل المحرك
للحي وبعضه يتفرق في العضل الذي بين الكتفين والرابع ينشأ مما بين الفقرة الثالثة
والرابعة وينقسم قسمين احدهما في العضل الذي في الظهر والاخر ياخذ الى قدام ويتفرق
في العضل الموضوع بحذائه ومؤخره والخامس يخرج مما بين الفقرة الرابعة والخامسة وينقسم
ايضا ما بعضها يصير الى الحجاب وبعضها الى العضل الذي يحرك الراس والرقبة وبعضها الى
عضل الكتف والسادس والسابع والثامن تخرج ما بين الخامسة والسادسة والسابعة و(الثامنة)
وينقسم بعضها الى (عضل) عضل الراس والرقبة وبعضها في عضل الصلب وفي الحجاب خلا الثامن فانه
لا يأتي الحجاب منه شي وبعضها يصير الى العضد والى الذراع والى الكف فيتصل من السادس (بعضه)
بعضل الكتف ويحرك العضد وبعضه بعضل اعالي العضد ويشيله الحس ومن السابع بعضه
يصير الى العضل الذي من العضد به حركة الذراع وبعضه يتفرق في جلد العضد الباقي
ويشيله الحس وبعض من الثامن ينبث في جلد الذراع فيعطيها الحس وبعضه يصير الى عضل

بجهة الهالا الفوقانية فان زدوا لالسفل مقاعلة لسفل زوائد الاولى جهة الميل ويكون الفوقانية

ما بين الفقرة الاولى والثانية يتصل بعضه بعضل الحلق فيعطيها الحس وبعضه يتصل بالعضل المحرك

الذراع ويحرك الكف والزوج التاسع يخرج ما بين الفقرة الثامنة والتاسعة وهما اول فقار الظهر وينقسم
بعضه في العضل الذي فيما بين الاضلاع وبعضه في عضل الصلب وبعضه يأتي الى الكف وينبث فيه
فيفيده الحس وبعض الحركة والعاشر يخرج ما بين الفقرة التاسعة والعاشرة ويصير منه جزء الى جلد
العضد فيعطيه الحس وباقيه ينقسم فيما خلف من قدام الاقدام فيتفرق في عضل الظهر والكتف وعلى نحو هذا
يكون خروج العصب وتفرقه الى الزوج التاسع عشر والزوج العشرون يخرج ما بين الفقرة الثامنة
عشرة والعشرين وهي اول فقرات القطن وعلى هذا القياس الى ان يخرج خمسة ازواج من بين هذه
الفقار ويصير بعضها الى القدام فيتفرق في العضل الذي على القطن وبعضه يتفرق في
العضل الذي على المثانة ويخالط الثلاثة الازواج العليا منه عصب يجيء من الدماغ والزوجان
اللذان تحت هذه الثلاثة الازواج يخرج منها شعب كبار الى الساق حتى يبلغ طرف القدم وثلاثة ازواج
تخرج من فقرات العجز وتخالط القطنية وتنحدر منها الى الساق وتتفرق في العضلات التي هناك و
ثلاثة تخرج من نخاع العصعص مشتركة المخارج كالعقير وفرد من اخر الفقرة الاخيرة منه لا ينقسم
فيها غير الوسطانيين وكلها ينبث في القضيب وفي عضل المقعدة والمثانة والرحم وفي غشاء البطن
وفي العضل الموضوع بقرب هذه المواضع ولله الحمد على نعمائه وله الشكر على الائه **وصل** واما
الاضلاع فهي اربعة وعشرون عظما من كل جانب اثنا عشر كلها محدبة الى وسطها اوسطها سبع منها يتصل
احد طرفيها من خلف بفقار الظهر بزوائد منها ونقرات من الفقرات وارتباط برباطات و
حدوث مفاصل مضاعفة ومن قدام بعظام القص ويسمى عظم فقير ويسمى اضلاع الصدر
لاتصالها بالقص واشتمالها على احشاء الصدر وخمسة منها ينقطع دون الاتصال بالقص متقاصرة
ورؤوسها متصلة بغضاريف ويسمى ضلوع الخلف وانما خلقت لتكون وقاية لما تحيط به من
الات التنفس واعالي الات الغذاء وانما جعل ما يحيط منها بالعضو الرئيس متصلا بالقص
ليكون محصنا به من جميع جهاته وما يلي الات الغذاء جعل كالمحززة من خلف حيث لا يدركه
حراسة البصر ولم يتصل من قدام بل درجت يسيرا يسيرا في الانقطاع وجعل اعلاها اقرب
مسافة ما بين اطرافها القدامية واسفلها ابعد مسافة ليجمع الى وقاية اعضاء الغذاء من الكبد
والطحال وغير ذلك توسيعا لمكان المعدة فلا ينضغط عند امتلائها من الاغذية ومن النفخ

وهنا

وهنا هو السبب في تقدم حدها كلها وكونها اذا افرج في الكل مع اعانة ذلك على جذب الهواء الكثير
وتحلل العضلات المعينة في افعال التنفس ولله الحمد **وصل** واما القص فهو سبعة عظام على
عدد اضلاع الصدر متصلة بها وهي عظام هشة موثقة وقد اتصل باخرها غضروف عريض
شبه الخنجر ويسمى خنجريا وانما جعلت هشة لتكون اخف والحركات الخفيفة الحقها اسهل وليتحلل
منها البخار ولا يحتقن فيها ووثاقة مفاصلها لئلا ينضغط من ضاغط او مصادم فينضغط القلب
والخنجري يجنه لفم المعدة واما الترقوة فعظم موضوع على كل واحد من جانبي اعلى القص فيه طول و
انحداب الى الجانب الوحشي وتقعر الى الجانب الانسي يتصل احد راسيه بالقص والاخر براس
الكتف فيرتبط به الكتف وبها جميعا العضد وراسه الذي هو مربوط بالقص اغلظ و
مستدير ويرق قليلا وراسه الاخر عريض وينفذ في مقعره العروق الصاعدة الى الدماغ
والعصب النازل منه وهو وقاية لها ولخالقها الحمد **وصل** واما الكتف فعظم طرفه
الوحشي الى الاستدارة يستدق من ذلك الطرف ويغلظ فيحدث عليه نقرة غير غائرة و
يدخل فيها طرف العضد المدور ولها زائدتان تمنعان العضد عن الانخلاع احديهما الى فوق و
من خلف وتسمى منقار الغراب وبها رباط الكتف مع الترقوة والاخرى الى اسفل ومن
داخل ثم لا تزال تستعرض كلما امعنت في الجهة الانسية لتكون اشتمالها على الاضلاع اكثر حتى تنتهي
الى غضروف مستدير الطرف متصل بها وعلى ظهره زائدة كالمثلث تسمى عير الكتف قاعدته الى
الجانب الوحشي وزاويته الى الانسي حتى لا يختل سطح الظهر باشتمال الجلد وقاية عن المصادمات
وهي بمنزلة السنسنة للفقرات مخلوقة للوقاية وانما خلق الكتف لان يتعلق به العضد فلا
يكون ملتصقا بالصدر ولان يتسلس به حركات اليدين فلا يضيق مجالها ولان يكون جنة و
وقاية ثانية للاعضاء المحصورة في الصدر ويقوم بدل سناسن الفقرات عند اضجاعها فتبارك
الله **وصل** واما العضد فهو عظم مستدير مثل انبوبة مقعر مملوء مخا محدب
الى الوحشي مقعر الى الانسي ليكن بذلك ما يتمدد عليه من العضل والعصب والعروق وليجود
تأبط ما يتأبطه الانسان وليقبل احدى اليدين على الاخرى وطرفه الاعلى المحدب مدخل في نقرة
الكتف منفصل عنه غير وثيق حبا تضم رباطات اربعة وبسبب الرخاوة يعرض له الخلع كثيرا

مخاً

وانما جعل نحو التسلسل الحركة في الجهات كلها مع عدم الاحتياج الى دوام هذه الحركة وكثرتها لئلا يخاف ان ينتاب
الاربطة او تحللها واما طرفه الاسفل فانه قد ركب عليه زائدتان متلاصقتان فالتي تلي الجانب الانسي
منهما اطول واحدب ولا مفصل الخامس عظم اخر وليس يرتبط بها شيء لكنها وقاية للعروق والعصب
التي تاتي اليد والاخرى التي تلي الجانب الوحشي يتم بها مفصل المرفق وفيما بين هاتين الزائدتين
مقطع شبيه بمقطع البكرة عند نهايته نقرتان من قدام ومن خلف يسميان عينين فالتي
الى قدام مسواة مملسة لا حاجز عليها والاخرى وهي الكبرى الى تحت وغير مستديرة للمقطع لكنها
كالجدار المستقيم اذا تحرك فيهما راس عظم الساعد الى الجانب الوحشي ووصل اليه وقف فسبحانه
سبحانه ما اعظم خلقه **وصل** واما الساعد فهو مؤلف من عظمين متلاصقين طولا
ويسميان الزندين والفوقاني الذي يلي الابهام منهما ادق لانه محمول ويسمى الزند الاعلى والسفلاني
الذي يلي الخنصر اغلظ لانه حامل ويسمى الزند الاسفل وجملتهما يسمى ذراعا وبالاعلى يكون حركة
الساعد على الالتواء والانبطاح وهذا خلق معوجا كانه ياخذ من الجهة الانسية ويتحدب يسيرا
الى الوحشية ليحصل استعداده للحركة الالتوائية وبالاسفل يكون حركة الساعد في الانقباض و
الانبساط وهذا خلق مستقيما ليكون اصلح لهما ووقف الوسط من كل منهما الاستغناء
بما حفه من العضل الغليظ عن الغلظ المثقل وغلظ طرفاهما لحاجتهما الى كثرة نبات الروابط
عنهما لكثرة ما يلحقهما من المصاكات والمصادمات العنيفة عند حركات المفاصل وتعريهما
عن اللحم والعضل والزند الاعلى في طرفه نقرة مهندمة فيها لقمة من الطرف الوحشي من العضد
ويرتبط فيها برباطات ويدور ايضا في تلك النقرة بحيث الحركة المنبطحة والملتوية واما الزند الاسفل
فله زائدتان بينهما مقطع يتهندم فيه المقطع الذي على طرف العضد ومنه يلتئم مفصل المرفق
فاذا تحرك المقطع الى خلف وتحت انبسطت اليد واذا اعترض المقطع الجداري من النقرة الخابية
للقهر حبسها ومنعها عن زيادة انبساط فوقف العضد والساعد على الاستقامة واذا تحرك
احد المقطعين على الاخر الى قدام وفوق انقبضت اليد حتى يماس الساعد العضد من الجانب
الانسي والقدام وطرفا الزندين من اسفل مجتمعان معا كشيء واحد ويحدث فيهما نقرة واسعة
مشتركة تركز فيها الزند الاسفل وما يفصل عن الانفصال سيفي محدبا مملسا ليبعد عن نيل الافات

فسبحان

ادق صح

فسبحان خالقها **وصل** واما الرسغ والمشط فالرسغ مؤلف من ثمانية اعظم ممدودة ومنضودة
في صفين وهي عظام صلبة عديمة المخ مقببة الشكل تقبيبا ملتاما من اجتماعها هيئة موافقة لما ينبغي
ان يكون الرسغ عليه والمشط مؤلف من اربعة اعظم متصلة باعظم الرسغ باربطة موثقة والصف
الاعلى من الرسغ وهو الذي يلي الساعد ثلثة عظام موثوقة المفاصل وعظامه ادق رؤوسها
التي تلي الساعد ادق واشد تهندما واتصالا والصف الاسفل اربعة عظام لتعدد عظام المشط
لاتصالها بها واما العظم الثامن فليس مما يتقوم صفي الرسغ بل خلق لوقاية عصب يلي الكف وعظام
المشط متقاربة من الجهة التي تلي الرسغ ليحصل اتصالها بعظام كالمتصلة المتلاصقة وينفرج يسيرا
في جهة الاصابع ليحسن اتصالها بعظام منفرجة متباينة وللرسغ مع الساعد مفصلان احدهما
للانبساط والانقباض وهو اكبرهما يحدث من تهندم عظام الرسغ في النقرة المشتركة بين
طرفي والاخر للالتواء ويحدث من تهندم زائدة نبتت على طرف الزند الاسفل على الخنصر في
نقرة وقعت في طرف عظم الرسغ محاذية لها فتدور النقرة على الزائدة ويلتوي الرسغ وما يتصل
بها ومفصل الرسغ مع المشط ملتئم بنقر في اطراف عظام الرسغ يدخلها زوائد من عظام
المشط فقد البست عضلا رقيقا وهذه العظام كلها موثقة المفاصل مشدود بعضها ببعض لئلا
يتشتت فيضعف عند ضبط الكف لما يحويه ويحبسه حتى لو كشفت جلدة الكف لوجدتها كانها
متصلة ليبعد تضررها عن الحرق مع وثاقتها مطاوعة للانقباض يسيرا وفي جميع عظام الرسغ و
المشط تقعير من جانب الكف تمكن الكف بتلك المطاوعة وهذا التقعير من قبض المستديرات
وضبط السيالات فسبحان باريها وبجهاتها **وصل** واما الاصابع فكل واحد منها مخلوق
من ثلثة عظام تسمى السلاميات والسفلانية منها اعظم والفوقانية ادق واصغر على التدريج
ليحسن نسبة ما بين الحامل والمحمول وعظامها مستديرة لتسوقي الآفات وصلبة عديمة
التجويف والمخ مقعرة الباطن محدبة الظاهر ليكون اقوى في القبض والضبط وجعل الوسطى
اسفل الطول ثم البنصر ثم السبابة ثم الخنصر ليستوي اطرافها عند القبض ولا يبقى فرجة وتقعر
في الراحة ويشتمل على المستدير المقبوض عليه ووصلت سلامياتها كلها بحروف ونقر متداخلة
بينها رطوبة لزجة ليدوم بها الابتلال ولا يجففها الحركة ويشتمل على مفاصلها اربطة قوية و

كانهما واحدة ورؤوسها التي تلي الصف الاسفل او عرضها اقل اشدها وانضاما

الازيد صح

ثلاثة باعشير غضروفية وتحشو الفرج في مفاصلها لزيادة الاستيثاق وعظام صغار تسمى سمسمانية
وجعل باطنها محيا ليتمكن من تحت الملاقيات المقبوضة ولم يجعل كذلك من خارج لئلا يشتغل و
ليكون حاله الجمع سلاحا موصبا ووفرت لحومها لتندم جيدا عند الالتقاء كالملاصق ولم يخلق
في الاصل الحيية خاليا من العظام وان كان يقع يكون مع ذلك اضلاف الحركات كالكثير من الدود
والسمك لكانا واهيا لئلا يكون افعالها واهية واضعف ما يكون الحركتين ولم يخلق من عظم
واحد لئلا يكون افعالها متعسرة كما يعرض للمكروزين واقتصر على عظام ثلثة لانه ان زيد في
عددها وافاد ذلك زيادة حركات فهالها اورث لا محالة وهنا وضعفا في ضبط ما يحتاج في ضبطه
الى زيادة وثاقة وكذلك لو خلقت من اقل من ثلثة مثل ان يخلق من عظمين كان الوثاقة تزداد و
الحركات تنقص عن الكفاية والحاجة الى التصرفات المتفننة اس منها الى الوثاقة المجاوزة للحد ولم يجعل
بعضها عند بعض محدبا ولا مقعرا ليكون كانها شيء واحد اذا احتيج الى ان يحصل منها مقعر عظم
واحد وجعل الابهام والخنصر محدبا في الجانب الوحشي الذي لا يلقاه اصبع ليكون مجملها عند
الانضمام كالمستدير النقي عن الافات ولم يربط الابهام بالبسط لئلا تضيق البعد بينه و
بين سائر الاصابع ويكون عدلا لجميع الاصابع الاربعة فاذا اشتمل الاربع من جهة على شيء و
قاومها الابهام من جانب اخر امكن ان يشتمل الكف على شيء عظيم وايضا اذا اشتمل الاربع على
شيء صغير وعاونها الابهام بان يحفظها على هيئة الاشتمال العادل قوة الابهام في ضبط ذلك
الشيء قوى الاربعة وليكون الابهام من وجه اخر كالعماد على ما يقبضه الكف ولو وضع في غير
موضعه لبطلت منفعته ولو وضع الى جانب الخنصر لكانت الذي كل واحد منهما مقبلا على الاخرى
فما يجتمعان على القبض عليه وابعد من هذا الموضع من خلفنا وعلى الراحة فتبارك الله العليم
بما ارقه واحكم صنعه وصل واما الظفر فهو عظم لين دائم النمو لانه سيسحق دائما كالشعر
وانما خلق ليكون سند الانامل لئلا ينعطف ولا ينضغط عند الشد على الشيء فيوهن وليتمكن
به الاصبع من لقط الاشياء الصغيرة ومن الحك والتنقية وليكون سلاحا في بعض الاوقات و
هذا في غير الانسان اظهر وخلق مستدير الطرف ليشق بعض الاشياء ويقطع به ما يحتاج
قطعه ولينا ليتطامن تحت ما يصاكه فلا ينصدع فسبحان منشئه ومجمله وصل واما هيئة

الصدر

الصدر فبيانها ان تجويف البطن كله من لدن الترقوة الى عظم الخاصرة ينقسم الى تجويفين عظيمين احدهما
فوق يحوي الرية والقلب والثاني اسفل يحوي المعدة والامعاء والكبد والطحال والمرارة والكلى والمثانة
والارحام ويفصل بين هذين التجويفين العضو المسمى بالحجاب وهذا الحجاب ياخذ من راس القص و
يمر متباربا الى اسفل في كل واحد من الجانبين حتى يتصل بفقار الظهر عند الفقرة الثانية عشر
ويصير حاجزا بين ما فوقه وما تحته ثم ينقسم هذا التجويف الارفع الى قسمين يفصل بينهما حجاب اخر في
الوسط حتى يلتصق ايضا بفقار الظهر ويسمى هذا التجويف الاعلى كله صدرا وحده من فوق
الترقوتين الى الحجاب القاسم للبطن عرضا وانما خلق الصدر من اجل التنفس وذلك لانه اذا انبسط
جذب الرية وبسطها واذا انبسطت الرية اجتذبت الهواء من خارج وكان ذلك احد
جزئي التنفس وهو تنشق الهواء ثم ان الصدر ينقبض فتنقبض الرية ويكون بانقباضها
اخراج النفس وهو الجزء الثاني وانما احتيج الى تنشق الهواء الخارج ثم اخراجه لترويح القلب و
تعديل حرارته وامداد الروح بجوهر ملائم له فان الهواء يصير مركبا للروح منفذا له مثل ما
يصير الماء المشروب مركبا للغذاء فالهواء الذي يستنشق يصل منه شيء الى القلب في المنافذ التي
بينها وبين القلب فاذا اسخن ذلك الهواء الذي اجتذب احتيج الى اخراجه والاستبدال به فينقبض
الصدر وتنقبض الرية ثم عاد فانبسط وبسط الرية فدخلها هواء اخر على مثال الزقاق التي ينفخ بها
النار فانها اذا انبسطت امتلأت من الهواء واذا انقبضت انفرغت منه فسبحان واهب الحيوة ما اتقن
صنعه وصل واما الرية فان قصبتها تنتهي من اقصى الفم على ما ذكرنا حتى ما اذا جاءت الى ما
دون الترقوة انقسمت قسمين وينقسم كل قسم منها اقساما كثيرة وانتسج واحتشي جرمها لحم
ابيض رخو متخلخل هوائي غذاؤه دم في غاية اللطافة والرقة فيملؤ العصب والفرج التي بين
شعبها وشعب العروق التي هناك فصار بدن الرية نصفين في تجويف الصدر الايمن والاخر في
الايسر فهي ذات شقين في جزئي الصدر لكي يكون التنفس اثنين فان حدث على واحد منهما
حادثة قام الاخر بما يحتاج اليه كالحال في العينين وجعلت عصباء وعصبي يحفظها على وضعها و
ليفيدها حسا ما وانما خلق لحمها لينفذ فيها الهواء الكثير فوق ما يحتاج اليه القلب ليكون عدة
له عند تعذر الاستنشاق وان يكون معينا بالانقباض على دفع الهواء الدخاني وعلى النفث

وسبب انتصاب حجابها هو كثرة تردد الهواء فيه وغلبته على ما تغتذي به وانما تشعبت شعبا لئلا يتعطل التنفس
لافة تصيب احدى الشعب ولا تثقل السمك وانما يتنفس بالهواء من طريق الاذنين فيجان الرؤى والجرم
وصل واما قصبة الرئة فمؤلفة من غضاريف كثيرة مقعورة بعضها الى بعض مربوطة
بعضها الى بعض برباطات بعضها دوائر تامة وهي القوية داخل الرئة وبعضها انصاف دوائر وهي
التي تجاور المري وتقاسمه في فضاء الحلق وبين كل اثنين منها فرجة وتخللها اغشية تجري عليها و
يتملا الفرج التي بينها وتصلات بين طرفي انصافها داخلا وخارجا وانما جعلت غضروفية
لتبقى مفتوحة ولا تنطبق ولتكون صلابتها سببا لحدوث الصوت او معينا فيه وانما كثرت لئلا يستملها
الافة وانما ربطت باغشية لتتسع تارة وتجتمع اخرى عند الاستنشاق والتنفس فان القابل
للتمدد والاجتماع هو الغشاء دون الغضروف وانما الاخص للمري بجانبها الناقص وبالغشاء
ليندفع الغشاء عند الازدراد عن وجه اللقمة النافذة اذا احتاج المري الى التمدد والاتساع فينبسط
الى الغشاء وانحطاط عن فضاء القصبة فيتسع ويتقدم اللقمة بسهولة فيكون تجويف القصبة
حينئذ معينا للمري عند الازدراد ووصل الغشاء الداخلي اصلب واشد ملاسة لتقاوم حدة
النوازل والنفوث الرديئة والدخان المردود من القلب ولئلا يتشرح عن قرع الصوت وانما
افترقت في داخل الرئة اقساما كثيرة ليستفيد منها الهواء الكثير ويستعد منها القلب ومنفعتها
في اعداد الهواء للقلب مثل منفعة الكبد في اعداد الغذاء لجميع البدن وانما ضيقت فوهاتها لئلا ينفذ
فيها النسيم الى الشرايين المودية الى القلب بالترشح وانه لا ينفذ فيها الدم فيحدث نفث الدم و
تخالطها اللحم عروق ما خلا الحاد دون وصل واما القلب فهو مؤلف من لحم وعصب و
غضروف واوردة وشرايين نبت منه ورباطات يتعلق هو بها وغشاء يحيط يحتوي به
للوقاية غير ملاصق له الا عند اصله لئلا ينضغط عند الانبساط اما اللحم فصلب غليظ منتسج
من ثلاثة اصناف من الليف الليف الطويل الجاذب والعريض الدافع والمورب الماسك ليكون له
اصناف الحركات والافعال وصلابته لئلا ينفعل بالرعة وليكون ابعد عن قبول الافات وهو
صنوبري الشكل قاعدته الى فوق ومنها نبت الشرايين ليكون في المنبت وفاء الثابت وغضروف
اساس له وثيق وهو كالقاعدة له وله تجاويف ثلاثة يسمى بالبطون اثنان منها كبيران والثالث
في

في الوسط صغير يسمى بالدهليز والايمن وعاء لدم متين مشاكل لجوهره والايسر وعاء للروح والدم
الرقيق وخص بزيادة فضل لعدم الامن من تحلل ما فيه وترشحه للطافته احدهما ورقة الاخر بخلاف
الايمن والاوسط منفذ بينهما له انضمام وانفراج بحسب انبساط القلب وانقباضه بها ينفذ كل من
صفي الدم فيه ويختلط احدهما بالاخر ويعتدلان فيه وقياسه من البطنين في المقدم والتعرف
قياس البطن الاوسط من الدماغ بين المقدم والمؤخر وللايمن فوهتان يدخل من احديهما العرق
النابت من الكبد ويصب منه الدم فيه والاخرى تتصل بالرئة وهي الوريد الشرياني وللايسر ايضا فوهتان
احديهما فوهة الشريان العظيم الذي منه ينبت شرايين البدن كلها والثانية فوهة الشريان الذي
يتصل بالرئة ومنه يكون نفوذ الهواء من الرئة الى القلب هو الشريان الوريدي وعليهما زايدتان
شبيهتان بالاذنين تقبلان الدم والنسيم من المنافذ والعروق ويرسلان الى القلب جرمهما
ارق من لحم القلب ليحسن اجابتهما الى الحركات وفيهما مع رقتهما صلابة ليكون ابعد عن قبول
الافات وانما وضع القلب في الصدر لانه اعدل موضع في البدن واوفقه واميل الى اليسار
قليلا لكي يبعد عن الكبد فلا يجتمع الحار كله في جانب واحد ولان يعدل الجانب الايسر لان الطحال
في ذلك الجانب وليس هو بنفسه كامل الحرارة ولكي يكون للكبد والعرق الاجوف النابت منه مكان
واسع ويتوسع المكان له ولما يحيط به ويتوسع للطحال الاشرف والرئة محللة للقلب ليمنع من ان
يلقاه عظام الصدر من قدام وهو موضع صلابة جوهره لا يحمل الما ولا ورما الشرف وعظمه وصغره
يكون في الاكثر سببا للجراة والجبن لقوة الحيوة وضعفها وربما يوجد بخلاف ذلك فالسبب
فيه قلة الحرارة بالنسبة الى جثته او كثرتها وقد يوجد في قلب بعض الحيوانات الكبير الجثة عظم او
خصوصا في الجمل والبقر وهو مائل الى الغضروفية واصلب ما يوجد من ذلك ما يوجد في
الفيل فتبارك الله رب العالمين وصل واما الشرايين فمنبتها التجويف الايسر من القلب
كما ذكرنا وذلك لان الايمن اقرب الى الكبد فيشتغل بجذب الغذاء واستحالته ويخرج من هذا
التجويف شريانان احدهما اصغر وهو الشريان الوريدي المتصل بالرئة والاخر اكبر كثيرا وهو
يطلع ينشعب منه شعبتان صغيرا احدهما الى التجويف الايمن من تجويفي القلب وهي اصغر الشعبتين
والاخرى يستدير حول القلب كما يدور ثم يدخل اليه وتتفرق فيه والباقي من العروق النابتة

من تجويف القلب الايسر بعد انشعاب هاتين الشعبتين منه ينقسم قسمين يأخذ احدهما الى اسافل البدن
والاخر الى اعاليه والثاني ينقسم في مصعده في الجانبين الى شعب يتصل بما يحاذيها من الاعضاء
فيعطيها الحرارة الغريزية حتى اذا حاذى الابط خرجت منه شعبة مع العرق الابطي من عروق الكبد
الى اليد وينقسم فيها كتقسيمه على ما سنذكره وانفصلت منه شعب صغار بالعضل الظاهر والباطن
من العضد وهو مع ذلك غائر متعمق حتى اذا صار عند المرفق صعد الى فوق حتى ان نبضه يظهر في
هذا الموضع في كثير من الابدان ولم يزل تحت الابطي ملاصقا له حتى تنزل عن المرفق قليلا ثم انه يغوص
ايضا في العمق وينشعب منه شعب شعرية يتصل بعضل الساعد الى ان يقطع من الساعد مسافة
صالحة ثم ينقسم قسمين فيأخذ احدهما الى الرسغ مارا على الزند الاعلى وهو العرق الذي
يلمسه الاطباء ويأخذ الاخر الى الرسغ ايضا مارا على الزند الاسفل وهو اصغر جدا ويتفرقان في الكف
وربما ظهر لهما نبض من ظاهر الكف واذا بلغ هذا القسم الاعلى موضع اللبة انقسم قسمين وانقسم
كل قسم الى قسمين اخرين مقدم ومؤخر وجاوز القسم المؤخر الوداج الغائر من عروق الكبد في
مصعده حتى يدخل القحف ويتصل في مروره منه شعب بالاعضاء الغائرة التي هناك واذا
دخل القحف انقسم هناك انقساما عجيبا وصار منه الشيء المعروف بالشبكة المفروشة تحت الدماغ
كما مر وبعد انقسامه الى هذه الشبكة يجتمع ويعود ايضا يخرج من هذه الشبكة عرقان متساويان
في العظم كحاله قبل الانقسام اليها ويدخلان حينئذ جرم الدماغ فيتقسمان فيه واما القسم المقدم
وهو اصغر جدا فانه يصعد الى ظاهر الوجه والرأس ويتفرق فيما هناك من الاعضاء الظاهرة
كتفرق الوداج الظاهر الاتي ذكره وقد يظهر نبض هذا القسم خلف الاذن وفي الصدغ فاما
النبض الظاهر عند الوداجين فانه نبض القسم العظيم المجاور للوداج الغائر ويسمى هذان
الشريانان الواقعان عن جنبي الرقبة ويسارها شرياني السبات واما القسم النازل الى اسافل
البدن فانه يركب فقرات الصلب مبتدئا من الفقرة الخامسة المحاذية للقلب نازلا الى الاسفل و
يتشعب منه عند كل فقرة شعبة يمنة ويسرة ويتصل بالاعضاء المحاذية لها واول شعبة تنشعب
منه شعبة تأتي الرئة ثم شعبة تأتي العضل التي بين الاضلاع ثم شعبتان تأتيان الحجاب ثم شعب
تأتي المعدة والكبد والطحال والثرب والامعاء والكلى والارحام وشعب تخرج حتى تتصل بالعضل

المحاذية

المحاذية لهذه المواضع حتى اذا جاء الى اخر الفقار انقسم قسمين اخذ كل واحد منهما نحو احدى الرجلين
وانقسم فيهما كانقسام العروق الكبدية الا انهما غائران ويظهر نبضهما عند الرسغ وعند العقب تحت
الكعبين الداخلين وفي ظهر القدمين بالقرب من الوتر العظيم فتبارك الله الحكيم العليم **وصل**
واما المريء والمعدة فالمريء يؤلف من جوهر لحمي وطبقات غشائية يحيط بها شعب من الاوردة والشرايين
وشعب من ... الاعصاب اما اللحمي فظاهر والطبقة الداخلية مطاولة الليف بها يجذب
الخارجة مستعرضة الليف بها يدفع المزدرد الى المعدة ويعصر بها وصدها في التقيؤ ولذلك يعسر في موضع
خلو قصبة الرئة كما مر على استقامة فقار العنق ويتخذ معه زوج العصب النازل من الدماغ ملتويا
عليه فاذا جاوز الفقرة الرابعة من فقار الصلب المسماة بفقار الصدر ينحرف يسيرا الى الجانب الايمن ليوسع
المكان على العرق النابت من القلب ثم يجري على استقامة الفقرات الباقية حتى اذا وافى الحجاب انفتح له
منفذ ويربط عند المنفذ برباطات تشمله وتحوطه لئلا يزدحم العرق الكبير المار فيه ولا ينضغط عند الازدراد
فاذا جاوز الحجاب انفتح واتسع حينئذ فم المعدة ويتدرج في الاتساع حتى يتم المعدة مستديرا الا
ان مايلي الصلب منها منسطح ... اعلاها ابر واسفلها اوسع لانه مستقر الطعام وهي ذات طبقتين
داخلتهما طولانية الليف لان اكثر افعالها الجذب وخارجتهما الليف مورب ليعين على الامساك وهي
متصلة بغشاء المريء وغشاء داخل الفم بل كلها غشاء واحد غير ان فوهها اخص كما مر والخارجة مستعرضة
الليف لم يخالطه شيء من المورب لانه آلة العصر والدفع فقط وياتيها من عصب الدماغ شعبة يعتد بها
الحس ولهذا يغشى بالروائح الكريهة وللمشاركة بين المعدة والدماغ ينفذ العصب وبها يحس الانسان
برد الماء المشروب وبها ينتبه الشهوة ويحس بالحاجة الى الغذاء اذا خلا المعدة والبدن فتحرك
لطلبه وانما لم يحس جميع الاعضاء بذلك مثل ما يحس فم المعدة لانه لو احست الجميع لم يحتمل الحيوان الجوع
ساعة البتة ولكان يبلغ جميع الاعضاء ويتصل بقدام المعدة عرق كبير ينقسم في طولها ويرسل اليها
شعبا كثيرة ويلزمه شريان ينشعب مثل ذلك وجميع تلك الشعب معتمدة على الصفاق ونسج من جملته الثرب
وتترشح الى داخلها رطوبة لزجة دهنية هي التي تسمى بهائم المشرب وفائدته ان يعين بحرارة المعدة في الهضم
من قدامها كما يعينها في ذلك الكبد من يمينها من فوقه والطحال من يسارها من تحته ولحم الصلب من خلفه
وفوق الثرب الغشاء الصفاقي وفوقه المراق وفوقه عضلات البطن وبهذه المجاورات تكتسب المعدة حرارة تامة

ما تقدم هاضمة مع ما يحلها من الحرارة الغريزية لانها خادمة لجميع البدن في طلب الغذاء وهضمه فلا بد ان يتم
انهضامها على تمام فضلها والغشاء الصفاقي هو الغشاء الذي يحوي جميع الاحشاء ويجتمع طرفاه عند الصلب
من جانبيه ويصل الحجاب من فوقه ويصل باسفل المثانة والخاصرتين من اسفل وهناك يثقب فيه
ثقبتان عند الاربيتين هما مجريان ينفذ فيهما عروق ومعاليق واذا اتسعا نزل فيهما المعاء ويسمى الفتق
وفائدة هذا الغشاء ان يكون وقاية للاحشاء ويحفظها على اوضاعها الثابتة وشد حركاتها وانها
وربط بعضها بالبعض وبالصلب ليكون اجتماعها وثيقا وليكون حاجزا بين الامعاء وعضل المراق
الى غير ذلك من المنافع فتبارك الحليم الحكيم **وصل** واما الامعاء فكلها طبقتان وعلى الداخلانية
لزوجات قد لبستها بمنزلة الترصيف يسمى مع الشحم الذي عليها بطبقة الامعاء لوقايتهما لها وكلها مربوطة
بالصلب برباطات تشدها وتحفظها على اوضاعها الا واحدا يسمى بالاعور فانه يخلو عن مربوط وخلقت
ستة قبائل ثلث رقاق وهي اعلا وثلث غلاظ وهي اسفل فاول الرقاق هو المعاء المتصل باسفل
المعدة ويسمى الاثنا عشري لان طوله في كل انسان اثنا عشر اصبعا من اصابعه مضمومة وفوهته المتصلة
بقعر المعدة يسمى البواب لانها تنضم عند امتلاء المعدة وتنغلق حتى لا يخرج منه شيء حتى يتم الهضم و
ينفتح حتى يصير ما في المعدة الى الامعاء وكما ان المري يجذب الى المعدة من فوق كذلك
هذا المعاء يدفع عنها من تحت وهو اضيق من المري في اول تجويفه لان المري ينفذ الشيء الممضوغ و
هذا ينفذ الشيء المهضوم المختلط بالماء المشروب وايضا فان النافذ في هذا المعاء اذن الثفل الذي
يحصل في المعدة عند الامتلاء والحركات التي تعرض لبعض الناس فيسهل اندفاعه فاعين الحيز
لتقوى على الاندفاع والاحساس الى التمام النضج والهضم وهو ممتد من المعدة الى اسفل على الاستقامة
ليس فيه ما يحويه من التلافيف ليكون اندفاع ما يندفع اليه غير متعسر التحليل الى البرعة ولا لزام ما يجاوره
من اليمين واليسار ويتلوه معاء يسمى بالصائم لانه يوجد في الاكثر خاليا فارغا وذلك لان الكيلوس
الذي يجلب اليه ينفصل منه ويجذب منه الى الكبد اكثر مما يجلب اليه بالسرعة وايضا فان المرة الصفراء
التي تنصب من المرارة الى الامعاء تغسلها لانها تجلب الى هذا المعاء فيغسلها بتفريقها الغسالة ويتبع الصائم
معاء يقال له الدقيق خاليا ويتصل بالصائم معاء اخر طويل متلفف مستدير باستدارات كثيرة ويسمى
بالدقيق وفائدة طول الامعاء وتلافيفها ان لا ينفصل الغذاء منها سريعا فاحتاج الحيوان الى الاكل دائما

ويام

وتبادر للحاجة دائما وليكون للكيلوس المنحدر من المعدة وقت في تحديرها ما لا ينفصل الغذاء منها
سريعا فاحتاج الحيوان الى ... صالح منها الى القوة الهاضمة التي فيها هضم ولينحدر صفوه ثم
الى الكبد من العروق المسماة ماساريقا المتصلة بتلك التلافيف وسعة هذه الامعاء الثلث
كلها تقدر بسعة البواب والهضم فيها اكثر منه في الغلاظ وان كانت لا تخلو تلك ايضا عن
هضم كما لا تخلو عن عروق ماساريقا بصاصة يتصل بها واولها المعاء الاعور ويتصل
باسفل الدقاق ويسمى به لانه مثل كيس ليس له الا فم واحد يقبل ما يندفع اليه من فوق ومنه
يندفع ما يندفع الى ما هو اسفل منه وهو يميل الى الخلف قليلا ويميل الى اليمين وفائدته ان
يكون للثفل مكان يجتمع فيه فلا يحوج كل ساعة الى القيام للتبرز ويستفيد من حرارة الكبد
بالمجاورة هضما بعد هضم المعدة ونسبة هذا المعاء الى ما تحته من الامعاء نسبة المعدة
الى الامعاء الدقاق التي فوقه ولذلك مال الى اليمين ليقرب من الكبد فيستوفي تمام الهضم ثم
ينفصل عنه الى معاء اخر يخص منه الماساريقا وانما يكفيه فم واحد لانه وضعه ليس وضع المعدة
على طول البدن لكن كالمضطجع ومن فوائد عوره انه يجمع الفضول التي لو تفرقت كلها في سائر
الامعاء لتعذر اندفاعها وخيف حدوث القولنج فان المجتمع ايسر اندفاعا من المتفرق وهو ايضا
مسكن للديدان التي تتولد في الامعاء من الرديات فانه قلما يخلو عنها البدن وفي تولدها
ايضا منافع اذا كانت قليلة العدد صغيرة الحجم وفي هذا المعاء يتعفن الثفل ويتغير الى الخبث
وهو اولى بان يحدث فيه فتق الاربية لانه مخلى عن غير مربوط ولا متعلق على باقي الامعاء من الماساريقا
فانه ليس ما تحته منها شيء ويتصل بهذا المعاء من اسفل معاء يسمى قولون وهو غليظ صفيق
وكلما يبعد عنه يميل الى اليمين ميلا جيدا ليقرب من الكبد ثم ينعطف الى اليسار وينحدر فاذا
حاذى جانب اليسار انعطف ثانيا الى اليمين والى خلف حتى يحاذي فقرات القطن وهناك
يتصل بمعاء اخر يسمى بالمستقيم وهو عند مروره في الجانب الايسر الطحال يضيق ولذلك كثيرا ما
يرم الطحال فيمنع خروج الريح عليه وفي هذا المعاء يجتمع فيه الثفل المتدرج الى الاندفاع ويستصفي
الماساريقا ما عسى يبقى فيها من جوهر الغذاء وفيه يعرض القولنج في الاكثر ومنه اشتق اسمه
والمعاء المستقيم المتصل باسفله ينحدر على الاستقامة ليكون اندفاع الثفل عنه اسهل و

مالم يغز

هو آخر الامعاء وطرفه هو الدبر وعليه العضلة المانعة من خروج الثفل حتى يطلقه الارادة وخلق
واسعا يقرب سعته من سعة المعدة ليكون للثفل مكان يجتمع فيه كما يجتمع البول في المثانة ولا يحوج
كل ساعة الى القيام وليس يخلو شيء من الامعاء الا طرفاها وجميع المري والمعدة وباقي الامعاء
كلها اورده وشرايين وعصب اكثر من عصب الكبد لحاجتها الى حس كثير فسبحان خالقها والمنعم
بها علينا ونحمده وصل واما الكبد فهو لحم احمر كالدم جامد ليس يحيط عصب بل غشاء
عصبي يجلله تولد من عصب صغير وهو يربط الكبد بغيرها من الاحشاء وبالغشاء المجلل
للمعدة والمعا ويربطها ايضا بالحجاب برباط قوي وباضلاع الخلف برباطات دقاق
وهي موضوعة في الجانب الايمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف وشكلها هلالي
حدبتها تلي الحجاب لئلا يضيق عليه مجال الحركة وتقعيرها يلي المعدة ليتضمن حدبتها ويأتيها من
هناك شريان صغير يتفرق فيها ليفيد الروح اليها ويحفظ حرارتها ويعدلها بالنبض
ويحصل حسه كبدها للانحنائها بالعروق بحركات الحجاب ولها زوايا اربعة او خمسة تحتوي
بها على المعدة كما يحتوي الكف على المقبوض بالاصابع وشأنها ان تمتص الكيلوس من المعدة
والامعاء وتجذبه اليها فيها في العروق المسماة ماساريقا وليس في داخلها فضاء يجتمع فيه
الكيلوس لكنه يتفرق في الشعب التي فيها من العرقين النابتين منها يسمى احدهما الباب
والآخر الاجوف وبيان ذلك ان الباب ينبت من تقعيرها وينقسم اقساما ثم ينقسم تلك الاقسام
الى اقسام كثيرة جدا وما ينقسم منها اقسام يسيرة الى قعر المعدة والاثني عشري واقسام كثيرة الى
المعاء الصائم ثم الى سائر الامعاء حتى يبلغ المعاء المستقيم ومنها تجذب الغذاء الى الكبد فلا
يزال كلما انجذب يصير من الاضيق الى الاوسع حتى يجتمع في الباب ثم الباب ينقسم ايضا في
داخل الكبد الى اقسام في دقة الشعر ويتفرق ما انجذب من الغذاء فيها وينطبخ في الكبد حتى
يصير دما والاجوف ينبت من حدبتها وهو عرق عظيم منه ينبت جميع العروق التي في البدن
واصله ينقسم في الكبد الى اقسام في دقة الشعر لتلتقي مع الاقسام المنقسمة فيها من الباب
فيرتفع الدم من تلك الاقسام اليها ويجتمع من ادقها الى اوسعها حتى يحصل جملة الدم
كله في الاجوف ثم يتفرق منه في البدن في شعبه الخارجة وهو اذا طلع من الكبد لم يبعد كثيرا

حتى

حتى ينقسم قسمين احدهما وهو الاعظم يأخذ الى اسفل البدن ليسقي جميع الاعضاء التي هناك و
الثاني يأخذ الى الاعلى ليسقي الاعضاء العالية وهذا القسم يمر حتى يلاصق الحجاب فينقسم من هناك
عرقان يتفرقان في الحجاب ليغتذي به ثم ينفذ في الحجاب فاذا نفذه انقسمت منه عروق دقيقة
واتصلت بالغشاء الذي يقسم الصدر بنصفين وبالغلاف غلاف القلب وبالغدة التي تسمى التوثة
ويتفرق فيها ثم تنشعب منه شعبة عظيمة يتصل بالاذن اليمنى من اذني القلب ثم تنقسم ثلاثة اقسام
احدها يدخل الى التجويف الايمن من تجويفي القلب وهو اعظم هذه الاقسام وهو الوريد الشرياني
والثاني يستدير حول القلب من ظاهره ويتشعب فيه كله والثالث يتصل بالناحية السفلى من الصدر
ويغذو ما هناك من الاجسام واذا جاوز القلب مر على استقامة الى ان يحاذي الترقوتين و
ينقسم منه في مسلكه هذا شعب صغار من كل جانب يسقي ما يحاذيها ويقرب منها ويخرج منها
شعب الى خارج فيسقي العضل الخارج المحاذي لتلك الاعضاء الداخلة وعند محاذاته للابط
يخرج الى الخارج شعبة عظيمة تأتي اليدين من ناحية الابط وهو القسم الباسليق فاذا حاذى
من الترقوة الوسط منها موضع اللبة انقسم قسمين فصار احدهما الى ناحية اليمين والآخر
الى ناحية الشمال وانقسم كل واحد من هذين القسمين الى قسمين يسقي احد القسمين الكتف
ويجيء الى اليدين من الجانب الوحشي وهو العرق المسمى بالقيفال وانقسم الثاني قسمين في
كل جانب فصار احدهما غائرا يصعد في العنق حتى يدخل القحف ويسقي ما هناك من اعضاء
الدماغ والاغشية وفي مروره في العنق الى ان يدخل الدماغ ينشعب منه شعب صغار يسقي
ما في العنق من الاعضاء ويسمى هذا القسم الوداج الغائر واما الثاني فيمر صاعدا في الظاهر
حتى ينقسم في الوجه والرأس والعنق والانف ويسقي جميع هذه الاعضاء وهو الوداج الظاهر
وينشعب من العرق الكتفي في مروره بالعضد شعب صغار تسقي ظاهر العضد وينشعب من
الابطي شعب تسقي باطنه واذا قارب العرق الكتفي والعرق الابطي مفصل المرفق انقسما اقساما حد
اقسام العرق الكتفي غائرة في ظاهر الساعد ويركب للطرف الزند الاعلى وهذا القسم
حبل الذراع و قسم من العرق الابطي وهو الاصغر مكانا يمر في الجانب الداخل من الساعد
حتى يبلغ رأس الزند الاسفل ويكون منه بعض شعب العرق الذي بين الخنصر والبنصر المسمى

ما يخرج من قسما من العرق الابطي ويتحد ويكون منهما عند المرفق العرق المسمى بالاكحل والقسم الثاني من اقسام العرق الكتفي

الالية واما القسم الذي يأخذ الى اسافل البدن فانه يركب فقار الظهر ايضا الى اسفل وينشعب منه
اولا شعبتان يأتيان لفائف الكلى واغشيتها والاجسام التي بقربها فيسقيها ثم ينشعب منه شعبتان
عظيمتان تدخلان في تجويف الكلى ثم شعبتان تصيران الى الانثيين ثم تشعب منه عند كل فقرة عرقان
يمران في الجانبين ويسقيان الاعضاء القريبة منهما ما كان منها داخلا كالرحم والمثانة وما كان
منها خارجا كمراق البطن والخاصرتين حتى اذا بلغ اخر الفقار انقسم قسمين واخذ احدهما الى الرجل
اليمنى والاخر الى اليسرى وتتشعب منه شعب يسقي عضل الفخذين منها غائرة تسقي العضل الغائر
ومنها ظاهرة تسقي العضل الظاهر حتى اذا بلغ مأبض الركبة انقسم ثلثة اقسام فقسم منها
في الوسط ويسقي بشعبه جميع الساق الداخل والخارج وقسم في الجانب الداخل من
الساق حتى يظهر عند الكعب الداخل وهو الصافن والقسم الاخر يمر في الجانب الظاهر من
الساق وهو غائر الى ناحية الكعب الخارج وهو عرق النسا وينشعب من كل واحد من هذين
عند بلوغه القدم شعب تتفرق في القدم في ناحية الخنصر والبنصر من شعب عرق النسا
والتي في الابهام من شعب الصافن فسبحان اللطيف الحكيم **وصل** واما المرارة فهي كيس
عصباني معلق من الكبد من الناحية المقعرة موضوعة على اعظم زوائدها وهي ذات طبقة واحدة
منتسجة من اصناف الليف الثلثة ولها منفذان احدهما متصل بمقعر الكبد وبه تجذب
المرة الصفراء اليها والاخر ينشعب فيتصل بالامعاء العليا وباسفل المعدة به يندفع اجزاء من
الصفراء التي لها لغسلها عن الفضول وتنبيهها على الحاجة والنهوض للتبرز كما مر وليست المرارة
لبعض الحيوانات كان معاده مرجعا كان مفرغة للمرة **وصل** واما الطحال فهو عضو
لحمي مستطيل على شكل اللسان متصل بالمعدة من يسارها الى الخلف حيث الصلب ممتد على مقعر
على محدب المعدة مرتبطا بها بعرق يصل بينهما وبوفقه شعب كثيرة العدد صغيرة المقادير ينشعب
من الصفاق وتتصل به وتتفرق في جرمه وحدبته يلي الاضلاع ويستند باغشيتها الا انه ليس متعلقا
بها برباطات كثيرة قوية بل بقليلة لينة ومن هذا الجانب يأتيه العروق الساكنة والضوارب الكبيرة
لتسخنه وتقاوم برد السوداء المندفعة اليه وتعينها والحمية على تحلل السهل فتولد الفضول السوداوية
وله عنق متصل بمقعر الكبد بحيث يقابل عنق المرارة به يجذب السوداء من الكبد وعنق اخر يأتيه

عضل ه

من باطنه متصل بفم المعدة به يدفع السوداء اليها ويغشيه غشاء ينبت من الصفاق كما مر وشأنه
ان يكون مفرغة للسوداء الطبيعي كما صحت وليس لبعض الحيوانات والذكي الجوارح منها صغير
وصل واما الكليتان ففي كل واحدة منهما تجويف ذو زائدة محدبها يلي الصلب ليسهل الاحتماء الى
قدام ولحمها لحم لزج ليكون قوي الجوهر غير سريع الانفعال عما يجذب اليها من المائية الحادة التي
يصحبها خلط حاد وليقدر على امساك الماء ويحتاج بتمييز عنها الدم لتغتذي به وليقدر الانسان
بسبب تقديره الصلب على هذا الامساك على امساك البول الى وقت اختياره وليمنع عن نشع غير
الرقيق في جذبه ولتدور لشكل يلزم نوبة ما وجب من صغر حجمه وفي باطن كل واحد منها تجويف يجتمع
فيه ما تحلل اليها لتميز قوتها الغاذية الدموية من المائية ويصير فيها الى الغذاء فهل ثم يرسل المائية الى
المثانة وبكل منها عنق يتصل بالاجوف من الكبد ليجذب المائية واخر متصل بالمثانة يرسل
مائية اليها وموضع اليمنى ارفع من اليسرى ليكون اقرب من الكبد وانما جعلت زوجا لكثرة
المائية ولضيق المكان على الكبد والاعور والطحال والقولون ان جعلت واحدة في احد الجانبين
وكان مع ذلك لا يستوي القامة بل يكون مائلة الى جهتها او على المعدة والامعاء ان جعلت
في الوسط وكان مع ذلك يمنع الانحناء الى قدام على ان كل عضو من الحيوان خلق زوجا او الذي
لا يرى زوجا فهو ذو شقين كما يظهر بالتأمل فيها امر سبحان من خلق من كل شيء زوجين
لعلكم تذكرون **وصل** واما المثانة فهي عصبانية مخلوقة من عصب الرباط ليكون اشد
قوة ووثاقة ومع القوة قابلة للتمدد وهي ككيس مخروطي الشكل طرفاه اضيق ووسطه اوسع
سطح بغشاء منتسج من الاصناف الثلثة من الليف ليقوم باتمام الافعال الثلثة وهي ذات
طبقتين وبطانة ضعف الظاهرة عمقا وغلظا لانها تلي الملاسة للمائية الحادة وهي القائمة
بالافعال الثلثة والظاهرة وقاية لها لئلا ينفتق عند امتلائها وعند تمددها وهي موضوعة
بين الدبر والعانة وشأنها ان تكون وعاء للبول ومفرغة له الى ان يخرج دفعة واحدة
بالاختيار والارادة فيستغني الانسان به عن مواصلة الازدراد كالطعام للثقل والبول
يأتيها من منفذي الكليتين كما مر والمنفذان اذا بلغا اليها خرقا احدى طبقتيها ومرا فيما
بين الطبقتين في طولها ثم ينفذ في الباطنة مجريين اياها الى تجويف المثانة حتى اذا

الطبقه ٢

امتلأت وارتكزت انطبقت البطانة على الظهارة مندفعة اليها من الباطن كانها طبقة واحدة
لا منفذ بينهما ولها عنق دفاع للماء الى القضيب معوج كثير التعاويج ولاجلها لا يندفع الماء بالتمام
دفعة وخصوصا في الذكران فانه فيهم ذو ثلث تعاويج وفي الاناث ذو تعويج واحد لقرب مثانتهن
من ارحامهن وعلى فمه عضلة تضمه وتمنع من خروج البول حتى تطلقه الارادة المرخية لها فسبحان
الخالق الكريم ما اكرمه واسبغ نعمه **وصل** واما الثدي فمركب من شرائين وعروق وعصب وتحشو ما
بينها نوع من اللحم غددي ابيض طبيعته طبيعة اللبن خلقه الله ليكون المحيل والمولد للبن
وهذه الشرايين والعروق تنقسم في الثدي لاقسام دقاق وتستدير وتلتف
لفائف كثيرة ويحتوي عليها ذلك اللحم الذي هو مولد اللبن فيحيل ما في تجويفها من
الدم حتى تصير لبنا بتشبيهه اياه بطبيعته كما يحيل لحم الكبد ما يجتذب من
المعدة والامعاء حتى يصير دما بتشبيهه اياه بنفسه فسبحان من يسقينا من
بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين **وصل** واما الانثيان
فجوهرهما لحم غددي ابيض شبيه لحم الثدي يحيل الدم النضيج الاحمر اللطيف المنجذب
اليهما في فضله الهضم الرابع في البدن كله منيا ابيض بسبب ما يخضخض فيه من هوائية
الروح والجذاب تلك المادة اليهما في شعب عروق ساكنة وضاربة كثيرة الفوهات
كثيرة التعاويج والالتفافات ومجرى تلك العروق الصفاق فيتراءى منه مجريان ثم
الترجحين ثم تتشعبات فيكون منها الطبقة الداخلة من كيس البيضتين ثم يصير من هناك
فيهما المني فيستحكم استحالته ويكمل نوعه ويصير منيا تاما ويصير في مجريين يفضيان
الى القضيب وبسبب كثرة شعب العروق التي يأتيها صار الاخصاء الذي في صورة قطع
عرق واحد كانه قطع من كل عضو عرق لكثرة الفوهات التي يظهر هناك وانما يوجد
الخصي يذهب قوامهم ويسترخي مفاصلهم ويظهر ذلك في شيمهم وجميع حركاتهم وفي
عقولهم واصواتهم فتبارك الله الباري اللطيف **وصل** واما القضيب فهو عضو
مؤلف من رباطات واعصاب وعضلات وعروق ضاربة وغير ضاربة تتخللها لحم
قليل واصله جسم رباطي ينبت من عظم العانة كثير التجاويف واسعها يكون في الاكثر منطبقا

وتحته

وتحته وفوقه شرايين كثيرة واسعة فوق ما يليق به ويأتيه اعصاب من فقار العجز وان كانت ليست
غائصة في جوهره وله ثلث مجاري للبول والمني والودي والانعاظ يكون بامتلاء تجاويفه من
ريح غليظ وامتلاء عروقه من الدم والانزال يكون عند ما يتمدد وينتصب الاوعية التي فيها المني
وتهيج لقذف ما فيها لكثرته او للدغه واحد الاسباب الداعية لذلك الاحتكاك الكثير و
تدغدغها من الجسم المصاك لها فان ذلك الشديد يحرك عقدة او عيثر المني وقذف ما فيها وقوة
الانتشار وريح ينبعث من القلب وكما قوة الشهوة ينبعث من ... فيشارك الكلية والاصل هو
القلب فتبارك الله الخالق البارئ احسن الخالقين **وصل** واما الرحم فهو للاناث بمنزلة
القضيب للرجال فهو آلة التوليد فهي كآلات القضيب التي للتناسل وفي الحقيقة كلا الآلتين احدهما
تامة بارزة والاخرى ناقصة محتبسة في الباطن وكان الرحم مقلوب القضيب او قالبه وفي داخله
طرق مستدير عصبي في وسطه وعليه زوائد وخلق ذا عروق كثيرة ليكون هناك غذاء الجنين
ويكون ايضا للفضل الطمثي منافذ كثيرة وهو موضوع فيما بين المثانة والمعاء المستقيم الا انه
يفضل على المثانة الى ناحية فوق كما يفضل المعاء عليه بعنقها من تحت وهو يشغل ما بين قرب
السرة الى اخر منفذ الفرج وهو رقبته وطوله ما بين ستة اصابع الى احد عشر ويقصر ويطول
بالجماع وتركه ويتشكل بمقدار ما يعتاد مجامعتها ويقرب من فم المنطوق الرحم و
ربما مس المعاء العليا وهو مربوط بالصلب برباطات كثيرة قوية الى ناحية السرة والمثانة والعظم
العريض لكنها سلسة وجعل من جوهر عصبي له ان يمتد ويتسع على الاشتمال وان يتقلص
ويجتمع عند الاستغناء ولن يستتم تجويفه الا مع استتمام العضو كالثدي لا يستتم حجمها الا
مع ذلك لانه يكون قبل ذلك معطلا وهو غليظ وثخن كانه يسمن في وقت الطمث ثم اذا
طهر ذبل وخلق ذا طبقتين باطنتها اقرب الى ان يكون عرقية وخشونتها لذلك وفوهات
هذه العروق هي التي تتفرق في الرحم وتسمى نقر الرحم وبها يتصل اغشية الجنين ومنها سبيل
الطمث ومنها غذاء الجنين وظاهرتها اقرب الى ان يكون عصبية وهي ساذجة واحدة
والداخلة كالمنقسم قسمين متجاورين كالملتحمين ولرحم الانسان تجويفان ولغيره بعدد
الاثداء وينتهيان الى مجرى محاذ لفم الفرج الخارج فيه يبلغ المني ويقذف الطمث ويولد الجنين

ويكون في حال العلوق في غاية الضيق لا يكاد يدخله طرف ميل ثم يتسع باذن الله لخروج الجنين
وقبل الافتضاض البكر يكون في رقبة الرحم اغشية تنسج من عروق ورباطات رقيقة جدا
يهتكها الافتضاض ومن النساء من يقصر رحمها الى اليمين ومنهن من يعرج بها الى اليسار و
هي عضلية اللحم كانها عصب وفيها وكانها عضو على عضو تزيدها السمن والحمل صلابة ترى و
للرحم زايدتان تسميان قرني الرحم وحال الانثيان للنساء وحالهما في الرجال الا انهما باطنتان
واصغر واشد تفرطحا ويحفظ كل واحدة منهما غشاء عصبي لا يجمعهما كيس واحد وكان اوعية
المني في الرجال بينهما وبين المستفرغ من اصل القضيب كذلك للنساء بينهما وبين المقعد و
الى داخل الرحم الا انها فيهن متصلة بهما القرنيها في اللذين لكونهما في كف تجلد هما نم خاء
حبل بينهما واسطة للمداذى يصل بينهما حال تواترهما فتبارك الله الرؤف الكريم ما ارافه و
ابين كرمه وصل واما هيئة الخاصرة والعانة والورك فيما بها انه عند العجز عظمان كبيران
يمنة ويسرة يتصلان في الوسط من قدام بمفصل موثق وهما كالاساس لجميع العظام الفوقانية
والحامل الناقل للسفلانية وكل واحد منهما ينقسم الى اربعة اجزاء فالذي يلي الجانب الوحشي
يسمى الحرقفة وعظم الخاصرة والذي يلي القدام يسمى عظم العانة والذي يلي الخلف يسمى عظم الورك
والذي يلي الانسي يسمى حق الفخذ لان فيه التقعير الذي يدخل فيه راس الفخذ المحدب وقد وضع
عليه اعضاء شريفة مثل المثانة والرحم واوعية المني من الذكران والمقعدة والسرة وصل
واما الفخذ فله عظم هو اعظم عظم في البدن لانه حامل لما فوقه وناقل لما تحته وقبب طرفه العالي
ليتهندم في حق الورك وهو محدب الى الوحشي وقدام مقعر الى الانسي وخلف فانه لو وضع على
استقامة وموازاة الحق لحدث نوع من الفحج كما يعرض لمن خلقته تلك ولو حين وقاية العضل
الكبار والعصب والعروق ولم يحدث من الجملة شيء مستقيم ولم يحسن هيئة الجلوس ثم لو لم يرد
ثانيا الى الجهة الانسية لعرض تفحج من نوع اخر ولم يكن للقوام واسطة عنها واليها الميل فلم
يعتدل وفي طرفه الاسفل زايدتان تتهندمان في نقرتين في راس عظم الساق وقد وثقتا
برباط ملتف ورباطات في الغور ورباطين من الجانبين وقد تهندم مقدمهما بالرضفة و
هي عين الركبة وهو عظم عريض في الاستدارة فيه غضروفية فايدته مقاومة ما يتوجه عند الجثو

الاسفل صح

وعليه

وعليه التعلق من الانفتال والانخلاع مودوعا عليه المفصل ولله الحمد كثيرا وصل واما الساق فهو
كالساعد مؤلف من عظمين احدهما اكبر واطول وهو الانسي ويسمى القصبة الكبرى والثاني اصغر
واقصر لا يلاقي الفخذ بل يقصر دونه الا انه من اسفل ينتهي الى حيث ينتهي اليه الاكبر ويسمى القصبة الصغرى
وهي متبرية عن الكبرى في الوسط بينهما فرجة قليلة والساق محدبة الى الوحشي ثم عند الطرف
الاسفل محدبة اخرى الى الانسي ليحسن به القوام ويعتدل فسبحان خالقها الكريم وجوده وصل
واما القدم فمؤلفة من ستة وعشرين عظما كعب به يكمل المفصل مع الساق وعقب به عمدة الثبات
وهو اعظمها وزورقي به الاخمص واربعة عظام للرسغ بها يتصل المشط وواحد منها عظم زردي
كالمسدس موضوع الى الجانب الوحشي وبه يحسن ثبات ذلك الجانب على الارض وخمسة
عظام للمشط يتصل بها الاصابع في صف واحد واربعة عشر سلاميات الاصابع لكل منها ثلث
سوى الابهام فان له اثنين اما الكعب فان الانسان به اشد تكعبا من كعوب سائر الحيوانات و
كانه اشرف عظام القدم النافعة في الحركة كما ان العقب اشرف عظام الرجل النافعة في الثبات
وهو موضوع بين الطرفين الناتيين من قصبتي الساق يحتويان عليه من جوانبه و
يدخل طرفاه في العقب في النقرتين دخول ركز وهو واسطة بين الساق والعقب
به يحسن اتصالهما ويتوثق المفصل بينهما ويؤمن عليه الاضطراب وهو موضوع في الوسط بالحقيقة
ويرتبط به العظم الزورقي من قدام ارتباطا مفصليا وهذا الزورقي متصل بالعقب من خلف ومن
قدام بثلثة من عظام الرسغ ومن الجانب الوحشي بالعظم الزردي واما العقب فهو موضوع تحت
الكعب صلب مستدير الى خلف ليقاوم المصاكات والافات الاسفل املس ليحسن استواء الوطء و
انطباق القدم على المستقر عند القيام وخلق مستدقا الى الاستطالة قليلا يسيرا حتى ينتهي
متضائلا عند الاخمص الى الوحشي ليكون تقعير الاخمص متدرجا من خلف الى متوسطه واما الرسغ
فيخالف رسغ الكف فانه صف واحد وذو الصفين وعظامه اقل عددا وذلك لان الحاجة في
الكف الى الحركة والاستعمال اكثر وفي القدم الى الوثاقة اشد وخلق شكل القدم مطاولا الى
قدام ليعين على الانتصاب بالاعتماد عليه وخلق له اخمص من الجانب الانسي ليكون ميل القدم
عند الانتصاب وخصوصا لدى المشي الى الجهة المضادة لجهة الرجل المشيلة للنقل فيعتدل القوام

املس صح

وليكون الوطي على الاشياء المدورة والنابتة منحطا من غير الم وليحصل اشتمال القدم على ما بين الدرج
وليكون بعض اجزائها متجافية عن الارض فيكون المشي اخف والعدو اسهل ولمثل هذه
المنافع خلقت من عظام كثيرة فانها لا تنعطف على الموطوء عليه كالكف على المقبوض **وصل**

فسبحان العظيم كلامه

جملة عظام البدن على ما عد اهل هذا الفن مائتان وثمانية واربعون عظما سوى السمسمية
والعظم الذي في الحنجرة والذي في القلب في المناقب عن الصادق عليه السلام **قال** ان
الله خلق الانسان على اثني عشر وصلا وعلى مائتين وثمانية واربعين عظما وعلى ثلثمائة و
ستين عرقا فالعروق هي التي تسقي الجسد كله والعظام تمسكها واللحم يمسك العظام والعصب
يمسك اللحم وجعل في يديه اثنين وثمانين عظما في كل يد احد واربعون عظما منها في كفه
خمسة وثلثون عظما وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلثة فذلك احد واربعون
عظما وكذلك في الاخرى وفي رجله ثلثة واربعون عظما منها في قدمه خمسة وثلثون عظما وفي
ساقه اثنان وفي ركبته ثلثة وفي فخذه واحد وفي وركه اثنان وكذلك في الاخرى وفي صلبه
ثمانية عشر فقارة وفي كل واحد من جنبيه تسعة اضلاع وفي وقصته ثمانية وفي راسه ستة وثلثون
عظما وفي فيه ثمانية وعشرون او اثنان وثلثون **اقول** لم يعد عليه السلام الانسان من العظام
كما يدل عليه الحساب موافقا لما ذهب اليه بعض الاطباء من انها ليست بعظم وفي العلل عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم **قال** ان في ابن ادم ثلثمائة وستون عرقا منها مائة وثمانون متحركة و
منها مائة وثمانون ساكنة فلو سكن المتحرك لم ينم ولو تحرك الساكن لم ينم وقد مر ما يناسب هذا
الباب في الباب السابق وهذا ما يهتدي اليه الانسان من تشريح الاعضاء ومنافعها وما لا
يهتدي اليه من المنافع اكثر فتبارك الله الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين و
الحمد لله رب العالمين

الباب السادس عشر في التفكر في طرف مما انعم الله تعالى على الانسان

قال الله سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وفي الامالي عن السجاد عليه السلام في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم يقول فضلنا بني ادم على سائر

الخلق

الخلق وحملناهم في البر والبحر يقول على الرطب واليابس ورزقناهم من الطيبات يقول من طيبات الثمار
كلها وفضلناهم يقول ليس من دابة ولا طائر الا وهي تاكل وتشرب بفيها لا ترفع بيدها الى فيها
طعاما ولا شرابا غير ابن ادم فانه يرفع الى فيه بيده طعامه فهذا من التفضيل ولعل المراد بالرطب
الحيوانات المتحركة النابتة وباليابس الاخشاب اليابسة التي تعمل منها السفن ويحتمل كون
النشر على خلاف اللف وفي توحيد المفضل **قال** الصادق عليه السلام يا مفضل اذا تاملت
العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده فالسماء
مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والجواهر مخزونة
كالذخائر وكل شيء فيها لشانه معد والانسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب
النبات مهياة لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ففي هذا دلالة واضحة على
ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة وان الخالق له واحد وهو الذي الفه ونظم
بعضا الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا اله غيره تعالى عما يقول الجاحدون وجل
وعظم عما ينتحله الملحدون فكر يا مفضل في هذه الاشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من
مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن وغيرها والحجارة للارحاء و
غيرها والنحاس للاواني والذهب والفضة للمعاملة والجوهر للذخيرة والحبوب للغذاء والثمار
للتفكه واللحم للماكل والطيب للتلذذ والادوية للتصحيح والدواب للحمولة والحطب للتوقد والرماد
للكلس والرمل للارض وكم عسى ان يحصي المحصي من هذا وشبهه ارايت لو ان رجلا
دخل دارا فنظر الى خزائن مملوة من كل ما يحتاج اليه الناس ورأى كل ما فيها مجموعا معدا لاسباب
معروفة اكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل ان يقول
هذا في العالم وما اعد فيه من هذه الاشياء اعتبر يا مفضل باشياء خلقت لمآرب الانسان
وما فيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه وخلق له الوبر لكسوته
فكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت
له العقاقير لادويته فكلف لقطها وخلطها وصنعها وكذلك تجد سائر الاشياء على هذا المثال
فانظر كيف كفي الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الاشياء موضع

وكذلك تعب سائر الاشياء وعلى هذا الشكل عمل وحركة لما الرتبة في ذلك من الصلاح لانه لو كفي هذا الكل حتى لا يكون له
في الاشياء موضع شغل وعمل لما حملته الارض اشرا وبطرا ولبلغ به ذلك الى ان يتعاطى ما يودي بها
تلف نفسه ولو كفي الناس كل ما يحتاجون اليه لما تهنوا بالعيش ولا وجدوا له لذة الا ترى لو ان امرا
نزل بقوم فاقام حينا يبلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم ومشرب وخدم لتبرم بالفراغ ونازعته
نفسه الى التشاغل بشي فكيف لو كان طول عمره مكفيا لا يحتاج الى شي فكان من صواب
التدبير في هذه الاشياء التي خلقت للانسان ان جعل له فيها شغل لكيلا تبرمه البطالة
ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله ولا خير له فيه ان ناله واعلم يا مفضل ان راس معايش الانسان
وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر الامر فيهما بان حاجة الانسان الى الماء اشد من حاجته
الى الخبز وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش والذي يحتاج اليه من الماء اكثر
مما يحتاج اليه من الخبز لانه يحتاج اليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي انعامه وزرعه
فجعل الماء مبذولا لا يشترى لتسقط عن الانسان المؤونة في طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذرا
لا ينال الا بالحيلة والحركة ليكون للانسان في ذلك شغل يكفه عما يخرجه اليه الفراغ من
الاشر والعبث الا ترى ان الصبي يدفع الى المؤدب وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم كل
ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى اهله المكروه العظيم وهكذا الانسان
لو خلا من الشغل لخرج من الاشر والعبث والبطر الى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه و
اعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية وما يخرجه ذلك اليه وقد سبق
في الباب الرابع عشر من اجزاء خبر المفضل ما يناسب الباب **وصل** وقال بعض العلماء
ما ملخصه اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل الغاية اما
الغاية فانها سعادة الاخرة وحاصلها يرجع الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم
فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وآله
لا عيش الا عيش الاخرة واما الوسائل فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس والى
ما يليه في القرب كفضائل البدن والى ما يليه في القرب كالاسباب المطيفة بالبدن والى
ما يجمع بين الاسباب الخارجة والداخلة كالتوفيق والهداية فهي اذن اربعة انواع الاول

وهو

وهو الفضائل النفسانية فتنقسم الى اربعة علم مكاشفة وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
وعلم معاملة وترك مقتضى الشهوة والغضب وهو العفة ومراعاة التوسط في الكف عن مقتضى
الشهوة والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء ويعني بالكمال استواء الخلقة و هي
العدالة ولا يتم هذا غالبا الا بالفضائل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال وطول
العمر وتتم بالكمال استواء الخلقة ولا يتهيأ هذه الا بالنعم الخارجة المطيفة وهي اربعة المال والجاه
والاهل وكرم العشيرة ولا ينتفع بشي من هذه الاسباب الا بالاسباب التي تجمع بين الاسباب
الداخلة في النفس والخارجة عنها وهي اربعة هداية الله ورشده وتسديده وتاييده والمراد
بالهداية معرفة طريق الخير والشر بالرشد العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى
مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده وبالتسديد توجيه حركاته الى صوب
المطلوب وتيسيرها عليه لتشتد في صوب الصواب في اسرع وقت فالهداية محض تعريف
والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في
صوب السداد واما التاييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل
وتقوية البطش ومساعدة الاسباب من خارج ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي
يسنح في الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه
غير محسوس وهذه الاسباب الست عشرة هي مجامع النعم ولن تستتب الا بما خوله الله من الفهم
الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد
على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه
السفهاء وظلم الاعداء وتستدعي هذه الاسباب اسبابا اخرى وتلك الاسباب اسبابا
الى ان ينتهي الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذ
كانت تلك الاسباب طويلة يتعذر استقصاؤها فلنذكر منها انموذجا في كثرة نعم الله و
تسلسلها وخروجها عن حد الاحصاء ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فنقول اعلم انا جمعنا النعم في ست عشرة وجعلنا صحة البدن من النعم الواقعة في
الرتبة المتاخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تتم هذه

الصحة له

بالجمال م

النعمة لم تقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة
الأكل في أطراف على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الأول

اعلم أن الله سبحانه خلق النبات وهو أكمل وجودا من سائر الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذي إلا أنه
مع هذا الكمال ناقص فإنه لو أعوزه غذاء لجف ويبس ولم يمكنه طلب من موضع آخر ومن نعمة الله
عليك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله في خلق الحواس الخمس
التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف
جارح تحس به فتهرب عنه ولو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا لا تقدر على طلب الغذاء من حيث
يبعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فخلق
لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصدها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا
لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات
وميزت بينهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق
إذ يصل إليك الغذاء فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك ثم كل ذلك ما كان
يكفيك لو لم يخلق في مقدم دماغك إدراك آخر يسمى حاسة مشتركة تتأدى إليه هذه المحسوسات
الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرا فتركته فإذا
رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا
تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة دون الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده
الصفرة والمرارة جميعا حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع عن تناوله ثم ميزك الله تعالى
وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهي العقل فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها وما يضر
في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو
سبب صحتك وهذا أخس فوائده وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة آلاء الله
أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك ينقلب فائدة الحواس في حقك فيكون الحواس الخمس
كالجواسيس والموكلين بنواحي المملكة بأخبار واحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار
الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر و

البرد

البرد والخشونة والملاسة وهذه الجواسيس تقتنصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس
المشترك وهو قاعد في مقدم الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع الأخبار
والكتب من نواحي العالم مختومة ويسلمها إلى الملك وليس له إلا أخذها وحفظها فأما معرفة
حقائق ما فيها فليس إليه فإذا سلمها إلى القلب العاقل الذي هو الأمير فتشها الملك و
يطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة ويحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في
الطلب ومرة في إتمام التدبيرات التي تعن له ولا تظنن أنا استوفينا بذلك شيئا من نعم الله عليك

ومرة في الهرب م

في الإدراكات فإن الحواس الظاهرة بعض منها والبصر واحد من الحواس والعين آلة واحدة
وقد ركبت من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها
نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض الرطوبات كأنها بياض البيض وبعضها كأنه
الجمد ولكل واحدة من الطبقات صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو
اختلت طبقة واحدة منها أو صفة واحدة من صفات تلك الطبقة لاختل البصر وعجز
الأطباء والكحالون عنه فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل
لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة
مع أن جملته لا تزيد على قدر جوزة صغيرة فما ظنك بجميع حواس البدن وسائر أعضائه
وعجائبه فهذه مرامز إلى نعم الله في خلق الإدراكات

[illegible] م

الطرف الثاني في أنواع النعم في خلق الإرادات

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق
فيك شهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا كالمريض الذي يرى الطعام ولا يشتهيه
فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك وتنفر عما يخالفك لتطلب بالشهوة وتهرب
بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء
ثم خلق الله الكراهة عند الشبع لتترك الأكل ولا تسرف فتهلك وكذلك خلق لك شهوة الوقاع
حتى تجامع فيبقى نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض
وتأليف الجنين من النطفة والحيض وكيفية خلق الأنثيين والعروق الساكنة إليهما من
الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بوساطة العروق وكيفية

انقسام مقعر الرحم الى قوالب يقع النطفة في بعضها فيتشكل بشكل الذكور ويقع في بعضها فيتشكل
بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة
اجزائها الى راس ورجل وبطن وظهر ويد وسائر الاعضاء لقضيت من انواع نعم الله عليك
في مبدا خلقك كل العجب فضلا عما تراه الان ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله عليك
في الاكل وحده لكيلا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك
فانه ياتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك لبقيت
عرضة للافات ثم لا يكفيك الشهوة والغضب ايضا فانهما لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع
في الحال اما في المال فلا يكفيان فخلق الله لك الارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف
للعواقب فان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مضرة لك لا يغنيك ما لم يكن لك ميل الى
العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني ادم

الطرف الثالث في نعم الله في خلق القدرة والات الحركة

اعلم ان الحواس لا تفيد الا الادراك
والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن الة الطلب والهرب
وقدرة في تلك الالة على الحركة فخلق الله لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف
اسرارها وشرح ذلك مما يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها
فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا يغني ما لم تاخذه فافتقرت الى الة باطشة فانعم الله
عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة
لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك ثم جعل راس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم راس الكف
عريضا بخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمس اصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام
في جانب ويدور على الاربعة الباقية ووضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها
وثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك الة للضرب واذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك
الة في القبض ثم خلق لها اظفارا حتى لا تنفتت رؤوس الاصابع ولتلتقط برؤوس الاظفار الاشياء
الدقيقة ثم هب انك اخذت الطعام باليد فلا يكفيك في وصوله الى المعدة من دهليز حتى يدخل
الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه سوى ما ذكر حكم كثيرة ثم ان وضعت الطعام في

في الفم فلا يتيسر ابتلاعه حتى يطحن فخلق اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق العليا على السفلى
ليطحن الطعام ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج بعد ذلك الى الطحن فقسم الاسنان
الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل
مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران
الرحى ولولا ذلك لما تيسر الطحن بذلك فانظر الى عجيب صنع الله في هذه الرحى تدور الاسفل
منها على الاعلى خلاف ما كان يصنعه الناس من دوران الاعلى على الاسفل فسبحانه ما
اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في الفم فكيف يتحرك
الى ما تحت الاسنان فانظر كيف انعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد
الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق
التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك طحنت الطعام وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بنوع
رطوبة فانظر كيف خلق الله تحت اللسان عينا يفيض منها اللعاب وينصب بقدر الحاجة
حتى يعجن به الطعام ثم يحتاج هذا المعجون الى من يوصله الى المعدة فانظر كيف هيا الله المري
والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يهوي
الطعام الى المعدة في دهليز المري ثم اذا ورد الطعام على المعدة فلا يصلح لان يصير لحما و
لحما ودما على هذه الهيئة بل لا بد ان يطبخ طبخا تاما تتشابه اجزاؤه فخلق الله المعدة على
هيئة قدر يقع فيها الطعام ويغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج
بالحرارة المحيطة بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر
الطحال ومن قدام الترائب ومن خلفها لحم الصلب فتتعدى الحرارة من هذه الجوانب حتى
ينطبخ ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير
وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله بينه وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها افواها
كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من الدم حتى كانه دم وفيه عروق شعرية
منتشرة في اجزائه فينصب الطعام الرقيق فيها وينتشر في اجزائها حتى يستولي عليه قوة الكبد
فيصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج اخر ويصلح لغذاء الاعضاء ويتولد منه هنا

طواحن م
يتاخر م
لا بخلاف م

الدم فضلتان احدهما شبيهة بالدردي وهي الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء
ولو لم يفصلا لفسد مزاج الاشياء فخلق الله المرارة والطحال وجعل لكل منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا
في تجويفه فتجذب المرارة الصفراء والطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا الا رقة ورطوبة لما فيه من
المائية ثم ينتشر في العروق المتفرقة الى الاعضاء وخلق الله الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا
ممدودا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله ان عنقيهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق
الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب
قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت عنه المائية صار الدم صافيا من الفضلات الثلث
نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله اطلع من الكبد عروقا قسمها بعد الطلوع اقساما كل قسم
يتشعب وانتشر ذلك في البدن من القرن الى القدم يجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء
على سبيل الرشح ولو حصلت بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية وان حصلت بالطحال آفة
حدث الامراض السوداوية وان لم يندفع المائية عن الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى
حكمة الفاطر الحكيم حيث رتب منافع على هذه الفضلات الثلث الخسيسة اذ المرارة تجذب ما حصل فيها
وتقذف الى الامعاء لتحصل في ثقل الطعام رطوبة وفي جوف الامعاء لذع يحركها للدفع فتضغط
حتى يندفع الثقل وصفرته لذلك والطحال يحيل تلك الفضلة احالة يحصل منها فيه حموضة وقبض
ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل
الكلية تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر في بيان نعمة الله في اسباب
الاكل على هذا القدر ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من الاعضاء
الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب في القلب الى سائر البدن والتي بواسطتها يصل
الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب
العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد
عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل
ذلك يحتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الآدمي الاف من العضلات والعروق مختلفة ولا شيء
منها الا وفيه حكمة او اثنان الى عشرة وزيادة وكل ذلك نعمة من الله عليك لو سكن عرق متحرك او

تحرك

تحرك ساكن لهلكت يا مسكين وهذا القدر الذي رمزنا اليه على الاجمال قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله
فقط فقس على الاجمال بما اهملناه من جملة ما عرفناه وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما
لم يعرفوه من نعم الله اقل من قطرة من بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط قوام هذه الاعضاء ومنافعها وادراكاتها وقواها
ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره من القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق
الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما تحتاج اليه من
قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها ويسمى بالروح الحيوانية ومثاله جرم نار السراج والقلب له
كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة
في سائر الاعضاء بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت ونسبة هذا الروح الى الروح الذي هو
امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي نسبة الكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك

الطرف الرابع في نعم الله في الاصول التي بها تحصل الاطعمة ثم يصلحها الآدمي بصنعته اعلم
ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في
كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل ولنأخذ
من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت
وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تزيد الحبة في نفسها حتى تفي بجميع حاجتك فخلق الله في حبة الحنطة من
القوى ما يغتذي به كما خلق فيك ولا بد في اغتذائها من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير
طينا ثم لا يكفي الماء والتراب بل تحتاج الى تركها في ارض رخوة تتخللها يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء يحتاج
الى ريح تحركه حتى يتقدر في الارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط او شتاء شاتية فيحتاج الى
حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر الى ما ذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج
الماء ليساق الى الارض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون
واجرى منها الانهار ثم الارض ربما يكون مرتفعة لا يرتفع اليها المياه فانظر كيف خلق الغيوم وسلط
عليها الرياح لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحاب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا
على الاراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للماء يتفجر منها العيون

تدريجا ونعم الله من الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء
والارض فانهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنا لها في وقت
دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة اليه والحر عند الحاجة اليه فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من
ان تحصى ثم النبات ان ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فيفتقر الى رطوبة ينضجها فانظر كيف
خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها
بتقدير الفاطر الحكيم وكذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر والكواكب عليها لكانت
فاسدة ناقصة ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة
ولا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها وكما انه ليس في اعضاء بدنك عضو الا
لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد اجسامه كالاعضاء
له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك فقد عرفت اذ ذكرنا ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس
والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها

ولا تتم الا بحركاتها

وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه **الطرف
الخامس في نعم الله في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك** اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا
توجد في كل مكان فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح وكيف
سلط عليهم الجهل والغفلة حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الاخطار فيحملون الاطعمة و
انواع الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها
وكيف خلق الحيوانات وسخرها للحمل والركوب في البراري وتامل ما تحتاج اليه الحيوانات من اسبابها
وادواتها وما يحتاج اليه السفن وقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك
غير ممكن ويتمادى هذه الامور خارجة عن الحصر نتركها طلبا للايجاز **الطرف
السادس في اصلاح الاطعمة** اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من
الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح بطبخ وتركيب وتنظيف
بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخرى لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين
رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض
فاول

فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير الارض والفدان وجميع
اسبابه ثم التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن
ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد
الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح آلات
الحرث والطحن والخبز من نجارة وحدادة وغيرها وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس
وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان
فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك
الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان
فاذا استدار تقصعه عليه قريب من سبعة الاف صانع كل صانع اصل من اصول
الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي
هي آلة صغيرة وفائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها حتى تمر على يد
الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت
الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى
الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة فانظر
الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه
بسرعة ولو لم يكشف الله طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه
بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي يعمل بها المقراض وعمر الواحد منا عمر
نوح واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن
غيرها وانظر الآن لو خلا بلدك من الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام الذي هو اخس العمال او
عن الحائك او عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى فسبحان من سخر بعض العباد
لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به كلمته **الطرف السابع في اصلاح المصلحين**
اعلم ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم لتبددوا
وتباعدوا كالوحوش فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم لو انفقت ما في

الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فلاجل ذلك اجتمعوا واستانسوا وبنوا المدن والبلاد والمساكن
والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر اصناف البقاع ثم هذه المحبة تزول
باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ويؤدي ذلك الى التقاتل والتنافر فانظر كيف
سلط الله السلاطين والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى
السلاطين الى طرق اصلاح البلاد وانظر كيف بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين وعرفوهم قوانين
الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشف عن احكام الامامة والسلطنة
واحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر
كيف اصلح الله الانبياء بالملائكة واصلح الله الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي
لا واسطة بينه وبين الله وكل ذلك النعم من رب الارباب ومسبب الاسباب

الطرف الثامن في بيان نعمة الله في خلق الملائكة

لا تظنن ان الملائكة مقتصرون في افعالهم على
اصلاح الانبياء وتبليغ الوحي اليهم بل طبقاتهم مع كثرتها وترتب مراتبها منحصرة في ثلث اصناف الملائكة
الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله بك فيما يرجع الى الغذاء دون ما جاوز ذلك
من الهداية والارشاد والحفظ وغيرها واعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا يتغذى
الا بان يوكل به سبعة من الملائكة هو اقله الى عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وقد مر بيانه في
النبات وهذه الملائكة هم الصناع في الباطن كما ان اهل الطب هم الصناع في الظاهر وقد اسبغ الله
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وهذه الملائكة الارضية قد شغلوا بك وانت في النوم وفي الغفلة وهم
يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وكذلك في كل جزء من اجزائك التي لا تتجزى حتى
يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من مائة الف والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية
على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتاييد
والهداية والتسديد هو الله المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت فهذه هي نعمة الله عليك
في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها ومجامع طبقات النعم لا يمكن احصاؤها
فكيف احاد ما يدخل تحت المجامع فان كل ما في السموات والارض وما بينهما بالجملة نعمة على كل واحد
من العباد انظر الى ما انعم الله عليك في كل طرفة فان في كل منها نعمتين في نفس الجفن تحت كل جفن

عضلات

عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل
وعلى كل جفن شعرات سود ونعمة الله في سوادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء
والسواد يجمعه ونعمة الله في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين
ومتشبثا بالاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها و
مع اللين تنتصب بنصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهوا وقد
يمنع من فتح العين فلو اطبق لم يبصر ولو فتح الاجفان مقدار ما يتشابك الاهداب فينظر من
وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد
البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة
كالصيقل للمرآة فيطبقها مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا
العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدان فتراه على الدوام يمسح بهما حدقته
ليصقلها عن الغبار وكما ان في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض
نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح
الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لانقطع قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم
والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر
لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعمة في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء
العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان
لينت اصلها وان طيبت راسها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعمة الله عز وجل الا في
مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرنا يرجع الى المطعم والمشرب فليعتبر
ما سواه من النعم به فان البصير لا يقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق
ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

وصل

وقال بعض اهل العلم اعلم ان الانسان اذا اراد ان يعرف ان الوقوف على اقسام نعم الله
ممتنع فعليه ان يتامل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه ونحن نذكر منه مثالا وهو ان الاطباء

ذكروا ان الاعصاب قسمان دماغية ونخاعية اما الدماغية فانها سبعة ازواج ثم اتعبوا
انفسهم في معرفة الحكم الناشية من كل واحد من تلك الازواج السبعة ثم اوضحوا الاشكال عنه
ان كل واحد من تلك الازواج السبعة ينقسم الى شعب كثيرة وكل واحد من تلك الشعب ايضا
الى شعب دقيقة ادق من الشعر ولكل واحدة منها ممر الى الاعضاء ولو ان شعبة واحدة اختل
اما بسبب الكمية والكيفية او بسبب الوضع لاختلت مصالح البنية ثم ان تلك الشعب الدقيقة
تكون كثيرة العدد جدا ولكل واحدة منها حكمة مخصوصة فاذا نظر الانسان في هذا المعنى
عرف ان لله بحسب كل شظية من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة عظيمة لو فاتت لعظم
الضرر عليه ولم يعرف قطعا انه لا سبيل له الى الوقوف عليها والاطلاع على احوالها فعند هذا
يقطع بصحة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكما اعتبرت هذا في الشظايا العصبية فاعتبر
مثله في الشظايا التي هي الشرايين والاوردة وفي كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة بحسب
الكمية والكيفية والوضع والفعل والانفعال واقسام هذا الباب بحر لا ساحل له واذا عرفت
هذا في بدن الانسان الواحد فاعرف اقسام نعم الله تعالى في نفسه وروحه فان عجائب عالم الارواح
اكثر من عجائب عالم الاجسام ثم لما اعتبرت حال الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر احوال عالم
الافلاك والكواكب وطبقات العناصر وعجائب البر والبحر والنبات والحيوان وعند هذا تعرف
ان عقول جميع الخلائق لو ركبت وجعلت عقلا واحدا ثم بذلك العقل يتأمل الانسان في عجائب
حكمة الله في اقل الاشياء لما ادرك منها الا القليل فسبحانه وتقدس عن اوهام المتوهمين
وقال بعض الفضلاء في تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اذا عرفت النعم التي على
انسان واحد كزيد مثلا من السموات والكواكب والعرش والكرسي وجميع الارضيات فان لها
جميعا مدخلا في وجوده وبقائه ونموه فنقول جميع هذه النعم متعلقة بعمرو ايضا لمدخليتها في
وجوده وبقائه ايضا وكل هذه ايضا نعمة لزيد لتوقف وجود زيد وبقائه على وجود عمرو لكون
الانسان مدنيا بالطبع وكذا بالنسبة الى بكر وخالد وكذا كل نعمة لله على كل حيوان من الحيوانات
التي لها مدخل في نظام احوال الانسان حتى نعمة على زيد مرة بذاته ومرة باعتبار كونها على كل
واحد واحد من افراد البشر لمدخلية وجودهم في وجوده ونظام احواله فتضرب عدد تلك النعم في

عدد الاشخاص والحيوانات مرات لا يتناهى ثم لما كان وجود زيد موقوفا على ابويه فكل نعمة على كل من ابويه
وعلى كل من كان في عصر ابويه نعمة عليه وكذا كل نعمة على والدي بكر وخالد نعمة عليه لتوقف وجوده و
بقائه على وجود بكر ووجود بكر متوقف على وجود ابويه ووجودهما وبقاؤهما وسائر امورهما
متوقفة على جميع النعم على اهل عصرهما ففي هذه الجهة ايضا جميعها نعمة عليه فتضرب جميع هذه الاعداد
الغير المتناهية في جميع تلك الاعداد الغير المتناهية مرات غير متناهية ثم ننقل الكلام في كل
عصر من الاعصار واباء كل منهم الى ان ينتهي الى ادم وحوا ويضرب كل من تلك المراتب فيما حصل من
المراتب السابقة وهذا حساب لا يحيط به علم البشر ولو اجتمع جميع المحاسبين من الثقلين وارادوا
استيفاء حساب مرتبة من هذه المراتب لا يقدرون عليه مع ان كل قطرة من قطرات البحار وكل
ذرة من ذرات الجو والارض وكل واحد واحد من موجودات عالم الملك والملكوت نعمة على كل
شخص من الاشخاص فسبحان من لا يقدر على احصاء شعبة واحدة من شعب نعمه الغير المتناهية
الا هو ولله الحمد بعدد كل نعمة لله علينا وعلى كل خلق من مخلوقاته

الباب السابع عشر في الحكمة في ابتلاء الناس بالحسنات والسيئات

في الخصال عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا ثلث في ابن ادم ما طأطأ راسه شيء المرض و
الفقر والموت وكلهم فيه وانه معهم لوثاب وفي الاحتجاج روي انه اتصل بامير المؤمنين عليه السلام
ان قوما من اصحابه خاضوا في التعديل والتجوير فخرج حتى صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ايها الناس ان الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه اراد ان يكونوا على اداب رفيعة واخلاق شريفة
فعلم انهم لم يكونوا كذلك الا بان يعرفهم ما لهم وما عليهم والتعريف لا يكون الا بالامر والنهي و
الامر والنهي لا يجتمعان الا بالوعد والوعيد والوعد لا يكون الا بالترغيب والوعيد لا يكون الا
بالترهيب والترغيب لا يكون الا بما تشتهيه انفسهم وتلذه اعينهم والترهيب لا يكون الا بضد
ذلك ثم خلقهم في داره واراهم طرفا من اللذات ليستدلوا به على ما وراءهم من اللذات الخالصة
التي لا يشوبها الم الا وهي الجنة واراهم طرفا من الالام الخالصة التي لا يشوبها لذة الا وهي النار
فمن اجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطا بمحنها وسرورها ممزوجا بكدرها وغمومها وفي النهج
من خطبة له عليه السلام يسمى بالقاصعة الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه

دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من
عباده ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو
العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه
وتعصب عليه لاصله فعدو الله امام المتعصبين وسلف المستكبرين الذي وضع اساس العصبية
ونازع الله رداء الجبرية وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل الا ترون كيف صغره الله بتكبره
ووضعه بترفعه فجعله في الدنيا مدحورا واعد له في الاخرة سعيرا ولو اراد الله سبحانه ان يخلق
آدم من نور يخطف الابصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب ياخذ الانفاس عرفه لفعل
ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة ولخفت البلوى فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه
ببعض ما يجهلون اصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وابعادا للخيلاء منهم ثم ساق
الخطبة في طرد ابليس بتكبره وفي الحذر من كبر الحمية وفخر الجاهلية الى ان قال فاعتبروا بما
اصاب الامم المستكبرين من قبلكم من باس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته واتعظوا بمثاوي
خدودهم ومصارع جنوبهم واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق
الدهر فلو رخص الله في الكبر لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه ولكنه سبحانه كره اليهم
التكابر ورضي لهم التواضع فالصقوا بالارض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا
اجنحتهم للمؤمنين وكانوا اقواما مستضعفين قد اختبرهم الله سبحانه بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة
وامتحنهم بالمخاوف ومحصهم بالمكاره فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة
والاختبار في مواضع الغنى والاقتار فقد قال الله سبحانه ايحسبون انما نمدهم به من مال و
بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في انفسهم باوليائه
المستضعفين في اعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هرون على فرعون وعليهما مدارع
الصوف وبايديهما العصي فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال الا تعجبون من هذين
يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا القي عليهما اساورة
من ذهب اعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه ولو اراد الله سبحانه بانبيائه حيث

بعثهم

بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طير السماء و
وحوش الارضين لفعل ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحل الابناء ولما وجب للقابلين
اجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين ولا لزمت الاسماء معانيها ولكن الله سبحانه
جعل رسله اولي قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب و
العيون غنى وخصاصة تملأ الابصار والاسماع اذى ولو كانت الانبياء عليهم السلام اهل قوة لا
ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال لكان ذلك
اهون على الخلق في الاعتبار وابعد لهم من الاستكبار ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة
بهم وكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة ولكن الله سبحانه اراد ان يكون الاتباع لرسله و
التصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام لطاعته امورا له خاصة لا تشوبها
من غيرها شائبة وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة والجزاء اجزل الا ترون ان الله
سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم عليه السلام الى الاخرين من هذا العالم باحجار لا تضر ولا تنفع ولا
تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله الله للناس قياما ثم وضعه باوعر بقاع الارض حجرا
واقل نتائق الدنيا مدرا واضيق بطون الاودية قطرا بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة
وقرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ثم امر سبحانه آدم عليه السلام وولده ان يثنوا اعطافهم
نحوه فصار مثابة لمنتجع اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوي اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار
سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله و
يرملون على اقدامهم شعثا غبرا له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور
محاسن خلقهم ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله سببا
لرحمته ووصلة الى جنته ولو اراد سبحانه ان يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات و
انهار وسهل وقرار جم الاشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين برة سمراء وروضة خضراء
وارياف محدقة وعراص مغدقة وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على
حسب ضعف البلاء ولو كان الاساس المحمول عليها والاحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء و
ياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس

عن القلوب ونفي معظم الريب عن الناس لكن والله سبحانه يختبر عباده بانواع الشدائد ويتعبدهم بالوان
المجاهدة ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك
ابوابا فتحا الى فضله واسبابا ذللا لعفوه فاتقوا الله عباد الله في عاجل البغي واجل وخامة الظلم وسوء
عاقبة الكبر فانها مصيدة ابليس العظمى ومكيدته الكبرى التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم
القاتلة فما تكدي ابدا ولا تشوي احدا لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره وعن ذلك ما حرس الله عباده
المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات تسكينا لاطرافهم وتخشيعا
لابصارهم وتذليلا لنفوسهم وتخفيضا لقلوبهم واذهابا للخيلاء عنهم ولما في ذلك من تعفير عتائق
الوجوه بالتراب تواضعا والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغرا ولحوق البطون بالمتون من
الصيام تذللا مع ما في الزكوة من صرف ثمرات الارض وغير ذلك الى اهل المسكنة والفقر انظروا
الى ما في هذه الافعال من قمع نواجم الفخر وقدع طوالع الكبر انتهت وفي توحيد المفضل عن
الصادق عليه السلام قال فقد انكرت المعطلة ما انكرت المانية من المكاره والمصائب التي تصيب
الناس فكلاهما يقول ان كان للعالم خالق رؤف رحيم فلم يحدث فيه هذه الامور المكروهة و
القائل بهذا القول يذهب الى انه ينبغي ان يكون عيش الانسان في الدنيا صافيا من كل كدر ولو كان
هكذا كان الانسان سيخرج من الاشر والعتو الى ما لا يصلح في دين ولا دنيا كالذي ترى كثيرا من المترفين
ومن نشأ في الجدة والامن يخرجون اليه حتى ان احدهم ينسى انه بشر او انه مربوب او ان ضررا يمسه او
ان مكروها ينزل به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفا او يواسي فقيرا او يرثي لمبتلى او يتحنن على ضعيف
او يتعطف على مكروب فاذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وابصر كثيرا مما كان جهله وغفل
عنه ورجع الى كثير مما كان يجب عليه والمنكرون لهذه الامور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون
الادوية المرة البشعة ويتسخطون المنع من الاطعمة الضارة ويتكرهون الادب والعمل ويحبون ان
يتفرغوا للهو والبطالة من سوء النشو والعادة وما يعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء و
الاسقام وما لهم في الادب من الصلاح وفي الادوية من المنفعة وان شاب ذلك بعض الكراهية
فان قالوا ولم لم يكن الانسان معصوما من المساوي حتى يحتاج الى ان تلذعه هذه المكاره قيل
اذا كان يكون غير محمود على حسنة ياتيها ولا مستحق للثواب عليها فان قالوا وما كان يضره ان لا يكون

محمودا

محمودا على الحسنات مستحقا للثواب بعد ان يصير الى غاية النعيم واللذة قيل لهم اعرضوا على امرء
صحيح الجسم والعقل ان يجلس منعما ويكفى كل ما يحتاج اليه بلا سعي ولا استحقاق فانظروا هل تقبل
نفسه ذلك بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعي والحركة اشد اغتباطا وسرورا منه بالكثير مما يناله
بغير الاستحقاق وكذلك نعيم الآخرة ايضا يكمل لاهله بان ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة
على الانسان في هذا الباب مضاعفة بان اعد له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له السبيل
الى ان ينال ذلك بسعي واستحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فان قالوا اوليس قد
يكون من الناس من يركن الى ما نال من خير وان كان لا يستحقه فما الحجة في منع من رضي ان ينال
نعيم الآخرة على هذه الجملة قيل لهم ان هذا باب لو صح للناس لخرجوا الى غاية الكلب والضراوة على
الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان يكف نفسه عن فاحشة او يتحمل المشقة في باب من ابواب
البر لو وثق بانه صائر الى النعيم لا محالة او من كان يامن على نفسه واهله وماله من الناس لو لم
يخافوا الحساب والعقاب فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة فيكون
في ذلك تعطيل العدل والحكمة معا وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الامور في غير
مواضعها وقد يتعلق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعم البر والفاجر او يبتلى بها البر ويسلم
الفاجر منها فقالوا وكيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجة فيه فيقال لهم ان هذه الآفات وان كانت
تنال الصالح والطالح جميعا فان الله عز وجل جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما اما الصالحون
فان الذي يصيبهم من هذا يذكرهم نعم ربهم عندهم في سالف ايامهم فيحدوهم ذلك على الشكر و
الصبر واما الطالحون فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش وكذلك
يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا في ذلك اما الابرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البر
والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة واما الفجار فانهم يعرفون رحمة ربهم وتطوله عليهم بالسلامة
من غير استحقاق فيحضهم ذلك على الرافة بالناس والصفح عمن اساء اليهم ولعل قائلا يقول
ان هذه الآفات التي تصيب الناس في اموالهم فما قولك فيما يبتلون به في ابدانهم فيكون فيه تلفهم
كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف فيقال له ان الله تعالى جعل في هذا ايضا صلاحا للصنفين
جميعا اما الابرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها واما

النجار فلما الهمهم ذو المنن تمحيص اوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة القول ان الخالق تعالى ذكره
بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الامور كلها الى الخيرة والمنفعة فكما انه اذا قطعت الريح شجرة او قطعت
نخلة اخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الافات
التي تنزل بالناس في ابدانهم واموالهم فيصيرها جميعا الى الخيرة والمنفعة فان قال ولم يحدث على
الناس قيل له لكيلا يركنوا الى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح
عن الاجتهاد في البر فان هذين الامرين جميعا يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة وهذه
الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم فلو اخلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية
كما غلا الناس في اول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الارض منهم ومما ينتقده الجاحدون
للعمد والتقدير الموت والفناء فانهم يذهبون الى انه ينبغي ان يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا
مبرئين من الافات فينبغي ان يساق هذا الامر الى غايته فينظر ما محصوله افرايت لو كان كل من دخل
العالم ويدخله يبقون ولا يموت احد منهم الم تكن الارض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع و
المعاش فانهم والموت يفنيهم اولا فاولا يتنافسون في المساكن والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب
وتسفك فيهم الدماء فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرص
والشره وقساوة القلب فلو وثقوا بانهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله ولا افرج لاحد عن
شيء يساله ولا سلا عن شيء مما يحدث عليه ثم كانوا يملون الحيوة وكل شيء من امور الدنيا كما قد يمل
الحيوة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا فان قالوا انه كان ينبغي ان يرفع عنهم المكاره
والاوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا اليه فقد وصفنا ما يخرجهم اليه من العتو والاشر الحامل
لهم على ما فيه فساد القلب والدين والدنيا وان قالوا انه كان ينبغي ان لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن
والمعاش قيل لهم اذا كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله ومواهبه في الدارين
جميعا اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون فان قالوا كان يخلق من ذلك القرن
الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء العالم يقال لهم رجع الامر الى ما ذكرناه من ضيق المساكن
والمعاش عليهم ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات وذوي الارحام
والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الاولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على ان كل ما تذهب

اليه

اليه الاوهام سوى ما جرى به التدبير خطا وسفاه من الراي والقول ولعل طاعنا يطعن على التدبير
من جهة فيقول كيف يكون ههنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عز بز فالقوي يظلم
ويغصب والضعيف يظلم ويسام الخسف والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه و
من ركب فاحشة او انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير لجرت الامور على
القياس القائم فكان الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف
والمنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذلك ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع
الاحسان الذي فضل به الانسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتسابا
للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس بالعصا والعلف و
يلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن احد يعمل على يقين بثواب او
عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الانسية الى حد البهائم ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل الا على
الحاضر وكان يحدث من هذا ايضا ان يكون الصالح انما يعمل الصالحات للرزق والسعة في
هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش انما يعف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته
حتى يكون افعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يشوبها شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون
ثواب الاخرة والنعيم الدائم فيها مع ان هذه الامور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر و
العافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه بل قد تجري على ذلك احيانا والامر المفهوم
فقد ترى كثيرا من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق الى قلوب الناس ان
الكفار هم المرزوقون والابرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح وترى كثيرا من
الفساق يعاجلون بالعقوبة اذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى انفسهم كما عوجل
فرعون بالغرق وبخت نصر بالتيه وبلبيس بالقتل وان امهل بعض الاشرار بالعقوبة واخر بعض
الاخيار بالثواب الى الدار الاخرة لاسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فان
مثل هذا قد يكون من ملوك الارض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تاخيرهم ما اخروه وتعجيلهم
ما عجلوه داخلا في صواب الراي والتدبير **وصل** ومن جملة البلايا التي ابتلي بها الانسان
ما دام في دار الدنيا تسليط الحكام الحسنة عليه التي لا بد له من متابعتها ليس له من دونها سبيل

خلاص وكلاله عن امتثال الاوامر ونواهيها محيدة ولامناص وهي العقل والشرع والطبع والعادة
والعرف وحكم العقل والطبع من داخل وحكم الشرع والعرف من خارج والعادة ذات
جهتين يبدو من خارج ويحكم من باطن ويكون بها فضلا وشرفا شرفي العقل مما لا يخفى فان التمييز
بينها والعارف بحقايقها ولولاه لما عرف الشرع وكانه شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج
وهما يتعاضدان ويتظاهران الى التصيير كانهما متحدان وبعد العقل والشرع في الشرف الطبع و
العادة لانهما مربيان للجسد كما ان الاولين مربيان للروح وظاهر ان الجسد انما خلق لخدمة الروح
وان يبلغ به الى كماله اللائق بحاله ونسبة العادة الى الطبع كنسبة الشرع الى العقل فكانت العادة
طبع من خارج كما ان الطبع عادة من داخل ويتعاضدان ويتظاهران الى ان يصير كانهما متحدان و
العرف اضعف الجميع ومع ذلك يحكم على الجميع في اكثر الناس واعتبره العقل والشرع ما لم يخالف شيئا
من حكميهما فان خالفهما فلا وزن ولا كرامة قال بعض العلماء ورؤساء الشياطين ثلثة سوائب الطبيعة
ووساوس العادة ونواميس والحكمة في تسليط هذه الحكام على الانسان وابتلائه بها هي ان

العاشرة

الغاية القصوى من خلق الانسان بلوغ نفسه الناطقة الى كمالها اللائق بها باستدعائها وانما خلق
الجسد ليكون آلتها الى تحصيل ذلك الكمال وهو موقوف بالوجود على ما هو عليه وجمعه الموجودات كلها
في نفسه وعالمه جمعا احديا بسيطا لا ينزو بكثرة وتركيب وتفرقه اصلا وهذا حصل في تركيبه بسببه
بعد التسوية والتعديل من كل من اصول العوالم التي هي العقل والخيال والحس حظا ونصيبا ليقوم فيها
بالقسط ويتخير الاحسن منها الاشرف ويجعل المجموع منها على كثرته وكثرة لوازمه شيئا فشيئا امرا
واحدا بحيث يجعل ذلك الواحد مع وحدته وبساطته مجمل المجموع حتى اذا رفض جلباب جزئيته صار نفس
العالم باسره كانه هو وهذا كما ان حقيقته حقيقة جمعية جامعة مع بساطتها حقيقة الجماد و
النبات والحيوان التي هي اصول الموجودات في عالم الكون والفساد ويفصل بانفرادها فعل الجميع وذلك لان
الانسان في اول خلقته كان جمادا لا حاكم عليه سوى طبعه البسيط ثم صار نباتا ذا طبع بسيط مختلف
القوى يحكم عليه بقواه المختلفة النباتية ثم صار حيوانا ذا طبع كذلك مع حركة ارادية ولمس وشم وذوق وسمع
وبصر وخيال ووهم يحكم عليه طبعه بقواه النباتية والحيوانية جميعا ويحكم عليه العرف والعادة ايضا
وفي اواخر هذه المرتبة صار قابلا للعقل والشرع والتقيد باحكامها ثم حصل الاوليات ووجد فيه العقل

الطبع

الطبيعي يجيء التهيؤ لادراك النظريات وتدبير الصناعات وسمي بالعقل الهيولاني ثم عقل اشياء نظرية تخصص بادراكها
وكلف التكاليف الشرعية على وجهها وحكم عليه الحكام الخمسة جميعا وحنكته التجارب في هذه المراتب وسمي عقلا بالملكة
ثم بعد تحصيل العلوم الحقيقية الباقية واحاطته باعيان الموجودات على ما هي عليه صار عقلا بالفعل فان شاهدها معقولة
دفعة بحيث لا يشغله شيء عن شيء سمي عقلا مستفادا وهذا هو الغرض الاقصى من خلقه ان يبلغ كماله الاقصى فنظره الا
كما لا ترى الى قوله عز وجل هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة الى قوله ولعلكم تعقلون وانما جعل الطبع حاكما
عليه بحيط حسب هذه المدة التي يحصل فيها الكمال عن الافات بجلب الملايم ودفع المنافر وشفع بالعادة لولا
ذلك فحصل العقل والشرع حاكمين عليه يرشدانه الى مصلحته ويهديانه الى مقصده وقيد بالعرف ليعين الكلاف
فيردعه لكثرة الاختلافات فيسهل عليه سبيل اتباع الشهوات والاكباب على اللذات المنافية لتحصيل الاعمال المطلوبة
من التكليفات وكل منها الغاية عليه الغالبة التي خلق لها الا تعين على الوجه الذي فطر عليه ولا يتجاوز عنه الا
كماله اللائق به غير زايغ نحو اخر فان زاغ الريح به وصار هوى وطغيانا او شيطانا ماحوا بالطغيان
لتسلط الهوى ولتبتلى العصاة الى الوجود للهوى والشيطان كمن في ظلمتهما تباع للنابس والاطاعة لها سلطانا
الانسان تعالى الله عن فعل العبث لو لم يكن اوهام المبطلين وخيالات المتفلسفين والدهريين وساير اولياء
الطاغوت ومن استحوذ عليهم وظنونهم عن حاجاتهم لما انبعث اولياء الله الى تحقيق الحقايق وطلب البراهين
لبيان التوحيد وعلى حدوث العالم والكشف واليقين وغير ذلك وكذا السنة الاطلاق في الاعمال الصالحة لو لم يكن
اعتبار المحتالين وتجسس المحتسبين لعيوب الناس لم يحتج الانسان كل التجنب عن العيوب الخفية التي لا يراها احد
وانما يظهر لهم بوهمها من تدقيقات على الله بعض عجب ونظرها دم ايها فلم من عد وحسبت الذات تنفع الانسان
بعداوة اكثر مما تنفع من محبة صديقه فان المحبة مما يورث الجهل بعيوب المحبوب والعمى والصمم من معاينة معايبه وسماع
مثالبه كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم ولهذا لو لم يكن وجود الهوى والشيطان فمن كان يجاهد الانسان الجهاد
الاكبر والاصغر ومن اين له الاجر المترتب على الجهادين وسيما الاكبر فلوجودهما ووجود اعمالهما منافع عظيمة لا يعلمها
الا الله وبالجملة الغرض الاقصى من خلق الانسان وابداع الخالق العقل والطبع والعادة فيه وارسال الرسل اليه ووضع
الشرايع له والنواميس انما هو استحكام الغيب بالشهادة وضبط الشهوات بالعقول وارجاع الاجزاء الى الكل وسياقة
الدنيا الى الاخرة وتصفية المحسوس بالمعقول والحث على ذلك كله والزجر عن عكس هذه الامور لكي ينجو الخلائق من عذاب
الاخرة والوبال ووخامة العاقبة وسوء المآل ويفوزوا بالسعادة القصوى على قدر استعدادهم بكلام كريم

حكم على هذه الامور رضوا او طلبوا الاتباع وكلاهم بخلاف ذلك لانهم والعصيان وما لا مدخل له في ذلك نفعا ولا ضرا فانهم
اتباعه وعصيانه بلا عصيانه فيما سواه

الباب الثالث عشر في الجنة والشياطين

في تفسير القمي في قوله تعالى والجان خلقناه
من نار السموم قال ابو ابليس وقال الجن من ولد الجان منهم مؤمنون وكافرون ويهود ونصارى ويختلف اديانهم والشياطين
من ولد ابليس وليس فيهم مؤمنون الا واحد اسمه هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس وزاد في خبر آخر بعد قوله كافرون
وناصبون وبعد قوله نصارى ومجوس وعن الصادق عليه السلم كان ابليس من الملائكة بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة
وذلك ان الله خلق خلقا قبل آدم وكان ابليس فيهم حاكما في الارض فعتوا وافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله الملائكة
فقتلوهم واسروا ابليس ورفعوه الى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله الى ان خلق الله تبارك وتعالى آدم وفي خبر آخر
لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئا من امر السماء وكان من الجن وفي خبر بدو خلق آدم قال وذلك بعد ما مضى من الجن و
النسناس في الارض سبعة آلاف سنة وفي الخصال عن علي عليه السلم قال الآباء ثلاثة آدم ولد مؤمنا والجان ولد كافرا وابليس
ولد كافرا وليس فيهم نتاج انما يبيض ويفرخ وولده ذكور ليس فيهم اناث وعن الباقر عليه السلم الجن على ... آخر
مع الملائكة وجزء الطير في الهواء وجزء كلاب وحيات وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خلق الله الجن خمسة
اصناف صنف كالريح في الهواء وصنف حيات وصنف عقارب وصنف حشرات الارض وصنف كبني آدم عليهم الحساب و
العقاب وفي الاحتجاج عن الصادق عليه السلم في خبر يذكر فيه اخبار الكاهن قال واما اخبار السماء فان الشياطين
كانت تقعد مقاعد استراق السمع اذ ذاك وهي لا تحجب ولا ترجم بالنجوم وانما منعت من استراق السمع لئلا يقع في
الارض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء ويلبس على اهل الارض ما جاءهم عن الله لاثبات الحجة ونفي الشبه وكان
الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبط بها الى الارض فيقذفها
الى الكاهن فاذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحق بالباطل فما اصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به فهو
ما اداه اليه شيطانه مما سمعه وما اخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع
انقطعت الكهانة واليوم انما تؤدي الشياطين الى كهانها اخبار الناس مما يتحدثون به وما يحدثونه والشياطين
تؤدي الى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث من سارق سرق ومن قاتل قتل ومن غائب غاب وهم بمنزلة الناس ايضا
صدوق وكذوب فقال الصعود الشياطين الى السماء وهم امثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان
بن داود عليهما السلم من البناء ما يعجز عنه ولد آدم قال غلظوا لسليمان كما سخروا وهم خلق رقيق غذاؤهم
التسنم والدليل على ذلك صعودهم الى السماء لاستراق السمع ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء اليها الا

بسلم

بسلم او سبب وفي البصائر عن علي عليه السلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم جالسا
اذ اتاه رجل طويل كانه نخلة فسلم عليه فرد عليه السلم وقال يشبه الجن وكلامهم فمن انت يا عبد الله فقال
انا الهام بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بينك وبين ابليس
الا ابوان فقال نعم يا رسول الله قال فكم اتى لك قال اكلت عمر الدنيا الا اقلها انا ايام قتل قابيل
هابيل غلام افهم الكلام وانهى عن الاعتصام واطوف الآجام وامر بقطيعة الارحام وافسد الطعام فقال
له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بئس سيرة الشيخ المتأمل والغلام المقبل فقال يا رسول الله اني
تائب قال على يد من جرى توبتك من الانبياء قال على يدي نوح وكنت معه في سفينته الحديث
بطوله وفي عيون المعجزات عن سلمان قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم جالسا بالابطح
وعنده جماعة من اصحابه وهو مقبل علينا بالحديث اذ نظرنا الى زوبعة قد ارتفعت فاثارت الغبار
وما زالت تدنو والغبار يعلو الى ان وقفت بحذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم برز منها شخص كان
فيها ثم قال يا رسول الله اني وافد قومي وقد استجرنا بك فاجرنا وابعث معي من قبلك من يشرف
على قومنا فان بعضهم قد بغى علينا ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه وخذ علي العهود والمواثيق
المؤكدة ان اردّه اليك سالما في غداة غد الا ان تحدث علي حادثة من عند الله فقال له النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من انت ومن قومك قال انا عرفطة بن شمراخ احد بني نجاح وانا
وجماعة من اهلي كنا نسترق السمع فلما منعنا من ذلك آمنا ولما بعثك الله نبيا آمنا بك على
ما علمته وقد صدقناك وقد خالفنا بعض القوم واقاموا على ما كانوا عليه فوقع بيننا وبينهم الخلاف
وهم اكثر منا عددا وقوة وقد غلبوا على الماء والمراعي واضروا بنا وبدوابنا فابعث معي من يحكم بيننا
بالحق فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي انت
عليها قال فكشف لنا عن صورته فنظرنا فاذا شيخ عليه شعر كثير واذا راسه طويل طويل
العينين عيناه في طول راسه صغير الحدقتين وله اسنان كانها اسنان السباع ثم ان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم اخذ عليه العهد والميثاق على ان يرد عليه في غد من يبعث به معه فلما فرغ من
ذلك التفت الى ابي بكر فقال له سر مع اخينا عرفطة وانظر الى ما هم عليه واحكم بينهم بالحق فقال يا
رسول الله واين هم قال هم تحت الارض فقال ابو بكر وكيف اطيق النزول تحت الارض وكيف

احكم بينهم ولا احسن كلاما ثم التفت الى عمر بن الخطاب فقال له مثل قوله لابي بكر فاجاب مثل جواب
ابي بكر ثم اقبل على عثمان وقال له مثل قوله لهما فاجابه كجوابهما ثم استدعى عليا صلوات الله
عليه وقال له يا علي اسرع احيا عرفطة وتشرف على قومه وتنظر الامام عليه وتحكم بينهم بالحق فقام
امير المؤمنين عليه السلام مع عرفطة وقد تقلد سيفه قال سلمان فتبعتهما الى ان صارا الى الوادي
فلما توسطاه نظر الي امير المؤمنين عليه السلام وقال قد شكر الله تعالى سعيك يا ابا عبد الله فارجع
فوقفت انظر اليهما فانشقت الارض ودخلا فيها وعدت الى ما كنت ورجعت وتداخلني من الحسرة
ما الله اعلم به كل ذلك اشفاقا على امير المؤمنين عليه السلام فلما اصبح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصلى
بالناس الغداة وجاء وجلس على الصفا وحف عليه اصحابه وتاخر امير المؤمنين عليه السلام وارتفع
النهار واكثر الناس الكلام الى ان زالت الشمس وقالوا ان الجني احتال على النبي صلى الله عليه وآله وقد
وقد اراحنا الله من ابي تراب وذهب عنا افتخاره بابن عمه علينا واكثروا الكلام الى ان صلى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم صلوة الاولى وعاد الى مكانه وجلس على الصفا وما زال مع اصحابه بالحديث الى ان
وجبت صلوة العصر واكثر القوم الكلام واظهروا الياس من امير المؤمنين عليه السلام وظهرت
شماتة المنافقين بامير المؤمنين وكادت الشمس تغرب فتيقن القوم انه قد هلك اذ وقد انشق
الصفا وطلع امير المؤمنين عليه السلام منه وسيفه يقطر دما ومعه عرفطة فقام اليه النبي صلى الله عليه وآله
وقبل بين عينيه وجبينه وقال له ما الذي حبسك عني الى هذا الوقت فقال عليه السلام صرت الى جن
كثير قد بغوا على عرفطة وقومه من المنافقين فدعوتهم الى ثلث خصال فابوا علي وذلك اني دعوتهم
الى الايمان بالله تعالى والاقرار بنبوتك ورسالتك فابوا فدعوتهم الى اداء الجزية فابوا فسالتهم ان يصالحوا
عرفطة وقومه فيكون بعض المرعى لعرفطة وقومه وكذلك الماء فابوا ذلك كله فوضعت سيفي فيهم
وقتلت منهم ثمانين الفا فلما نظروا الى ما حل بهم طلبوا الامان والصلح ثم اسلموا وصاروا اخوانا
وزال الخلاف وما زلت معهم الى الساعة فقال عرفطة يا رسول الله جزاك الله وامير المؤمنين عنا
خيرا وفي خبر اخر من المناقب في وصف صورته فظهر لنا شيخ اذب اشعر قد لبس وجهه شعر غليظ
متكاثف قد واراه وعيناه مشقوقتان طولا وفمه في صدره فيه انياب بادية طوال واظفاره كمخالب
السباع وفي روية عليه السلام مع جن بئر العلم وسائر غزواته مع الجن مشهورة وفي مواضعها مسطورة وفي الدر المنثور

صلى النبي

الدر

عن سهل بن عبد الله قال كنت في ناحية ديار عاد اذ رايت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر
من حجارة تاويه الجن فدخلت فاذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة
فلم اتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال يا سهل ان
الابدان لا تخلق الثياب وانما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت وان هذه الجبة منذ سبعمائة
سنة لقيت بها عيسى ومحمدا عليهما السلام فامنت بهما فقلت له ومن انت قال انا من الذين نزل فيهم
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن **وصل** ان في الوجود نفوسا ارضية قوية لا في
غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا على هيئات النفوس الانسانية
واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالبة عليها الارضية ولا في صفاء النفوس
المجردة ولطافتها ليتصل بالعالم العلوي ويتجرد بالكلية فهي اذن متعلقة باجرام عنصرية غلبت عليها
الهوائية والنارية على اختلاف فاعلها وسائرها وهي الجن والشياطين قال الله تعالى وخلق
الجان من مارج من نار والمزج الاختلاط فالنارية مختلطة بالهواء والمارج للذين العنصرين
كالطين للاخرين والجن من الاجتنان بمعنى الاختفاء وحيث للملائكة ايضا في قوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا والشياطين في قوله تعالى كان من الجن فهي اجسام لطيفة حية ذات نفوس
قوية غالبة على اجسادها قادرة على التمدد والانقباض وعلى تشكيل انفسها باشكال مختلفة
ما يوجب لها سهولة النفوذ في المنافذ وعلى الاعمال الشاقة قال الله تعالى في قصة سليمان
عليه السلام ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه الى ان قال ويعملون له ما يشاء من محاريب و
تماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ولعل الوجه في ظهورها في بعض الاوقات دون
بعض ان ابدانها لطيفة متقصية في اللطافة قابلة للتخلخل والتكاثف فاذا صارت متكاثفة غلظ
قوامها فرؤيت واذا صارت متخلخلة رق قوامها ولطف جسمها فغابت عن الابصار كالهواء اذا صار
غيما بالتكاثف رؤي واذا عاد الى لطافته لم يره احد وعلومها وادراكاتها من جنس علومنا وادراكاتنا
الوهمية واوائل العقليات فمنهم مؤمن صالح ومنهم كافر مارد كما وصفهم الله تعالى في القرآن المجيد في غير
موضع واما الشياطين والملائكة الذين بازائهم فبيان حدوثهما ان الخواطر المحركة للارادات في
الانسان اما ان تدعو الى الخير اعني ما ينفع في الدار الاخرة واما ان تدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة فهما

بها

لاستتارهم عن الابصار ولهذا سمي

خاطرات مختلفات لها اسباب مختلفات فالسبب الداعي الى الخير يسمى ملكا وضده الهاما والاخر شيطانا
وضده وسوسة وهما جوهران مسخران لقدرة الله في تقليب القلوب ولعلهما المراد بقول النبي صلى الله عليه وآله
قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فمن الخواطر والصدور ما ينزل في الدار زيادة
كل يوم الوف من الملائكة لغاية صفاته ومنها ما يقع فيه كل يوم الف وسواس في كذب وفحش وحشو
ومجادلة بين الناس فهو من توقع الشيطان كان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان
ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بقلبه الذي هو منبع الدم المركب للروح البخار الحاملة للقوى الوهمية
والشهوية والغضبية ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان ليجري من ابن
ادم مجرى الدم وكما ان في الملائكة الذين يدبرون الانسان كثرة لا تستحال لتعدد الافعال و
الاثار نوعها لتعدد الفواعل والمؤثرات فكذلك الشياطين الموسوسين الداعين له الى المعاصي جنود
مجندة حسب تعدد المعاصي وهم فروع لشيطان واحد يختص بذلك الانسان وهو المشار اليه بقوله
عليه السلام ما منكم الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم
على يدي وفي الخبر انه سبحانه اعانني عليه فاسلم على يدي وفي الخبر ان الله سبحانه خاطب ابليس اللعين
في حديث جرى له ولادم لا يولد له ولد الا ولد لك ولد وشيطان كل انسان في المكر والحيلة على
قدر عقله وذكائه وكذلك الملائكة الذين عنه الحافظون له بامر الله عز وجل

الباب التاسع عشر في اصناف الخلق وكثرتهم وذكر بديع خلقة بعضهم

في الخصال عن الصادق عليه السلام قال الدنيا سبعة اقاليم ياجوج وماجوج والروم والصين والزنج وقوم
موسى واقاليم بابل ولعل الغرض اما بيان غرائب اصناف الناس فان قوم موسى اهل جابلقا
وجابرصا او حصر اصنافهم فيها فالمراد باقاليم بابل ما يشمل اشباههم من العرب والعجم وبالصين جميع
الترك وبالزنج ما يعم السود وفي المجمع عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون قال ان هذه الامة قوم من وراء الصين بينهم وبين الصين واد جار من
الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا ليس لاحدهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار
ويزرعون لا نصل اليهم منا احد ولا منهم الينا وهم على الحق قال وروي ان اصحابنا انهم يخرجون
مع قائم آل محمد عليهم السلام وفي الاكمال في حديث ذي القرنين انه وقع في مسيره الى الامة العالمة الذين

منهم قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون فوجد امة مقسطة عادلة يقسمون بالسوية
ويحكمون بالعدل ويتواسون ويتراحمون حالهم واحدة وكلمتهم واحدة وقلوبهم مؤتلفة وطريقتهم مستقيمة
وسيرتهم جميلة وقبور موتاهم في افنيتهم وعلى ابواب دورهم وبيوتهم ليس لبيوتهم ابواب وليس عليهم امراء
وليس بينهم قضاة وليس فيهم اغنياء ولا ملوك ولا اشراف ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون
ولا يختلفون ولا يتنازعون ولا يستبون ولا يقتتلون ولا تصيبهم الآفات فلما رأى ذلك
من امرهم ملئ منهم عجبا فقال لهم ايها القوم اخبروني خبركم فاني قد درت الارض شرقها
وغربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ونورها وظلمتها فلم ار مثلكم فاخبروني ما بال قبور موتاكم على
افنيتكم قالوا فعلنا ذلك عمدا لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس
عليها ابواب قالوا ليس فينا لص ولا خائن وليس فينا الا امين قال فما لكم ليس عليكم امراء قالوا
انا لا نتظالم قال فما بالكم ليس عليكم حكام قالوا انا لا نختصم قال فما بالكم ليس فيكم ملوك قالوا لانا
لا نتكاثر قال فما بالكم ليس فيكم اشراف قالوا لانا لا نتنافس قال فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون
قالوا من قبل انا متواسون متراحمون قال فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون قالوا من قبل الفة
قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون قالوا من قبل انا غلبنا طبائعنا بالعزم
وسسنا انفسنا بالحلم قال فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة قالوا من قبل انا لا نتكاذب ولا
نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا قال فاخبروني لم ليس فيكم فقير ولا مسكين قالوا من قبل انا
نقسم بالسوية قال فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع قال فلم جعلكم
الله اطول الناس اعمارا قالوا من قبل انا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل قال فما بالكم لا تقحطون قالوا من
قبل انا لا نغفل عن الاستغفار قال فما بالكم لا تحزنون قالوا من قبل انا وطنا انفسنا على البلاء وحرصنا
عليه فعزينا انفسنا قال فما بالكم لا تصيبكم الآفات قالوا من قبل انا لا نتوكل على غير الله ولا نستمطر
بالانواء والنجوم قال حدثوني ايها القوم اهكذا وجدتم آباءكم يفعلون قالوا وجدنا آباءنا يرحمون
مسكينهم ويواسون فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم ويستغفرون لمسيئهم
ويصلون ارحامهم ويؤدون اماناتهم ويصدقون ولا يكذبون فاصلح الله عز وجل لهم بذلك امرهم
وياتي في اواخر الباب الاتي كلام في الامة العادلة ان شاء الله وفي الكافي عن الصادق عليه السلام

كالـــان من وراء اليمن واديا يقال له وادي برهوت ولا يجاوز ذلك الوادي الا الحيات السود و
البوم من الطير في ذلك الوادي بئر يقال لها بلهوت يغدى ويراح اليها بارواح المشركين يسقون من
ماء الصديد خلف ذلك الوادي قوم يقال لهم الذريح لما ان بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله
صاح عجل لهم فيهم وضرب بذنبه ونادى فيهم يا آل الذريح بصوت فصيح اتى رجل بتهامة يدعو الى
شهادة ان لا اله الا الله قالوا لامر ما انطق الله هذا العجل كالـــ ما دى فيهم تاير فحضر وا على ان
بنوا سفينة فنحوها وتركبها سبعة منهم وحملوا من الزاد ما قذف الله في قلوبهم ثم رفعوا
شراعها وسيروها في البحر فما زالت تسير بهم حتى رمت بهم بجدة فاتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتم اهل الذريح نادى فيكم العجل قالوا نعم قالوا اعرض علينا
يا رسول الله الدين والكتاب فعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدين والكتاب
والسنن والفرائض والشرائع كما جاء من عند الله عز ذكره وولى عليهم رجلا من بني هاشم سيره
معهم فما بينهم اختلاف حتى الساعة وفي الاكمال في خبر ذي القرنين انه لما فرغ مما بين المشرق و
المغرب عطف نحو الردم الذي ذكره الله تعالى عز وجل في كتابه فاذا هو بامة لا يكادون يفقهون قولا
واذا ما بينه وبين الردم مشحون من امة يقال لها يأجوج ومأجوج اشباه البهائم يأكلون ويشربون
ويتوالدون وهم ذكور واناث وفيهم مشابه من الناس الوجوه والاجساد والخلقة ولكنهم
قد قصروا في الابدان فقصاسة جدا وهم في طول الغلمان ليس منهم انثى ولا ذكر يجاوز طوله خمسة اشبار
وهم على مقدار واحد في الخلق والصور عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون عليهم
وبر كوبر الابل يواريهم ويسترهم من الحر والبرد لكل واحد منهم اذنان احدهما ذات شعر والاخرى
ذات وبر ظاهرهما وباطنهما ولهم مخالب في موضع الاظفار واضراس وانياب كاضراس السباع وانيابها
واذا نام احدهم افترش احدى اذنيه والتحف الاخرى فتسعه لحافا وهم يرزقون نون البحر كل عام
تقذفه عليهم السحاب فيعيشون به عيشا خصبا ويصلحون عليه ويستمطرونه في ابانه كما يستمطر
الناس المطر في ابان المطر فاذا قذفوا به اخصبوا وسمنوا وتوالدوا وكثروا فاكلوا منه حولا كاملا
الى مثله من العام المقبل ولا يأكلون معه شيئا غيره لا يحصي عددهم الا الله عز وجل الذي خلقهم واذا
اخطأهم النون تحطموا واجدبوا وجاعوا وانقطع النسل والولد وهم يتسافدون كما يتسافد البهائم

على

على ظهر الطريق ويصيح النقوا فاذا اخطأهم النون جاعوا وساحوا في البلاد فلا يدعون شيئا
اتوا عليه الا افسدوه واكلوه فهم اشد فسادا فيما اتوا عليه من الارض من الجراد والبرد والآفات كلها
واذا اقبلوا من ارض الى ارض جلا اهلها عنها وخلوها وليس يغلبون ولا يدفعون حتى لا يجد احد
من خلق الله موضعا لقدمه ولا يخلو للانسان قدر مجلسه ولا يدري احد من خلق الله كم من اولهم
الى آخرهم ولا يستطيع شيء من خلق الله كم سمع لهم الحاضر ان ينظر اليهم ولا يدنو منهم نجاسة و
قذرا وسوء حليته فبهذا غلبوا ولهم حس وحنين اذا اقبلوا الى الارض يسمع حسهم من مسيرة مائة
فرسخ لكثرتهم كما يسمع حس الريح البعيدة او حس المطر البعيد ولهم همهمة اذا وقعوا في البلاد كهمهمة
النحل الا انه اشد واعلى صوتا يملأ الارض حتى لا يكاد احد يسمع من اجل تلك الهمهمة شيئا واذا
اقبلوا الى الارض حاشوا وحوشها وسباعها حتى لا يجد فيها شيء منها وذلك لانهم يملأون ما بين
اقطارها ولا يتخلف وراءهم في ساكن الارض شيء فيه روح الا اجتلبوه من قبل انهم اكثر من
كل شيء وامرهم عجيب من العجب وليس منهم احد الا وقد عرف متى يموت وذلك من قبل انه لا يموت منهم
ذكر حتى يولد له الف ولد ولا يموت منهم انثى حتى تلد الف ولد فبذلك عرفوا آجالهم فاذا ولدوا
الالف برزوا للموت وتركوا ما كانوا فيه من المعيشة وفي المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه
سئل عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج امة ومأجوج امة وكل امة اربعمائة امة لا يموت الرجل
منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قيل يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف
صنف منهم امثال الارز قيل يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طويل وصنف منهم طولهم وعرضهم
سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى
ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام و
ساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية وفيه وجاء في الحديث انهم يدأبون في حفر
السد نهارهم حتى اذا امسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غدا ونفتحه ولا يستثنون
فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتى اذا جاء وعد الله قالوا غدا نفتح ونخرج ان شاء
الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه بالامس فيخرقونه فيخرجون على الناس فينشفون المياه
ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم الى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون

والحيوة

قد قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السما فبعث الله عليهم بقا اذا بهم فدخل في اذانهم فهلكوا بها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض تسبح وتسكن من لحومهم سكرا وفي رسائل اخوان الصفا عند بيان كثرة الخلائق ما محصوله ان الربع المسكون من الارض يحتوي على نحو تسع عشرة الف مدينة مختلفة الامم الكثيرة العدد الذي لا يعد ولا يحصى فمن تلك الامم التي لا يحصى عددها اهل الصين واهل الهند واهل السند واهل الزنج واهل الحجاز واهل اليمن واهل الحبشة واهل النجد واهل بلاد نوبة وبلاد مصر وبلاد الصعيد وبلاد الاسكندرية واهل الرقة واهل القيروان واهل طنجة واهل سوطان واهل بلاد الخالدات واهل بلاد الاندلس وبلاد الرومية وبلاد قسطنطينية وبلاد كلم وبلاد دميا فارقين وبلاد ترخان وبلاد اذربيجان وبلاد ارمينية واهل بلاد الشام واهل بلاد يونان وبلاد الديارات وبلاد العراق وبلاد ماهين وبلاد خوزستان وبلاد الجبال وبلاد جيلان وديلمان وطبرستان وبلاد جرجان وبلاد نيسابور وبلاد كرمان وكابلان ومولتان وبلاد سجستان وبلاد ماه واهل بلاد غزنه وشاذان وناسيان وزابلستان وبلاد خراسان واهل بلاد ما وراء النهر وبلاد خوارزم واهل بلاد دوفرغانة واهل بلاد كيمال وبلاد خاقان وبلاد سيستان وبلاد دروس وبلاد خرخيز وبلاد تبت واهل بلاد ياجوج وماجوج واهل الجزائر والجبال والفلوات هذا سوى القرى والسوادات والاوابد والاكراد واهل البوادي والجزائر والسواحل والفيافي والاجام واهل هذه البلاد كلها من امم بني ادم واما كثرة اجناس حيوانات البر من ذوات الهياكل الجسام والالات العظام وذوات الجثث الصغار عديم الادوات وذوات الاجنحة الطيارة وذوات البطون الحقير المنساحة فما لا يعلم عددها الا الله الذي خلقها وصورها وانشأها ورزقها هذا مع انك لو شاهدت اجناس حيوانات الماء وغرائب اشكالها وفنون هياكلها الصغر في عينك كثرة بني ادم وحيوانات البر وذلك لان في الربع المسكون من الارض نحو من اربعة عشر بحرا كبارا منها بحر الروم وبحر جرجان وبحر كيلان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الهند وبحر السند وبحر الصين وبحر ياجوج وماجوج وبحر الاخضر وبحر المغرب وبحر الشمال وبحر الحبشة وبحر الجنوب وبحر المشرق وفي هذا الربع المسكون ايضا نحو من خمسمائة بحر صغار ونحو من مائتي نهر طوال كل واحد منها من مائة فرسخ الى

خلج

الف

الف فرسخ واما الاجام والغدران والبطائح والانهار الصغار والسواقي فما لا يعد ولا يحصى عددها وفي كل من هذه من اجناس السموك والسرطانات والسلاحف والتنانين والتماسيح وانواع اخر مما لا يعلمها الا خالقها وقد قيل انها سبعمائة صورة جنسية سوى انواعها واشخاصها وان في البر نحو من خمسمائة صورة جنسية سوى النوع من اجناس الوحوش والسباع والبهائم والانعام والحشرات والهوام والطيور والجوارح وغيرها من الطيور الانسية مما لا يمكن احصاؤه ها هنا كله من ساكني البر والبحر والهواء من ذوات الاجرام والابعاد ولو عرفت كثرة اجناس الخلائق التي ليست بذوات اجسام وكثرة انواعها وضروب صورها وفنون اشخاصها لصغر في عينك كثرة اجناس الحيوانات الجسمانية والانواع الجرمانية والاشخاص الجزوية وذلك لان مساحة كرة الزمهرير تزيد على مساحة سعة البر والبحر اكثر من عشرة اضعاف وهكذا سعة كرة الاثير تزيد على سعة كرة الزمهرير بما اكثر من عشرة اضعاف وهكذا سعة كرة فلك القمر تزيد على سعة كرة الجميع عشرة اضعاف وهكذا نسبة كرة فلك عطارد الى فلك القمر وعلى هذا المثال الحكم سائر الافلاك السبعة المحيطة بعضها ببعض الى اعلى فلك المحيط وكلها ممتلئة بعمارها وفسحات سعتها من الخلائق الروحانية حتى انه ليس فيها موضع شبر الا وهناك ساكن من الخلائق كما اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سئل عن قوله وما يعلم جنود ربك الا هو فقال ما في السموات السبع موضع شبر الا وهناك ملك قائم او راكع او ساجد لله سبحانه انتهى كلما ذكروه رحمهم الله في بيان كثرة الخلائق الجسمانية ناظرا الى الاحياء الموجودين ولو تفكرت في عدد اموات التي سلفت وعدد الباقيات التي سيوجد من بدو خلق الدنيا الى انتهائها لقضيت من ذلك عجبا ولملئت رعبا فسبحان الذي لا يعلم غيره كثرة عدد مصنوعاته وكنه معرفة مخلوقاته على اختلاف اشكالهم واحوالهم وطبائعهم واراءهم وفنون تصاريف ظواهرهم وسرائرهم وعجائب مبادي امورهم وغاياتهم وقد مضى في باب كثرة العوالم ما يناسب هذا المقام فتذكره وسبق في باب الحيوان بعض الكلام في عجيب خلقة بعض الحيوانات وبقي القول في ذكر غريب خلقة بعض الانسان فنقول في الاكمال سئل امير المؤمنين عليه السلام عن الدجال فقال الا ان الدجال صائد بن الصيد فالشقي من صدقه والسعيد من كذبه يخرج من بلدة يقال لها اصبهان من قرية تعرف باليهودية عينه

اللاتكثر وباب كثرة

اليمنى ممسوحة والاخرى في جبهته تضيء كانها كوكب الصبح فيها علقة كانها ممزوجة بالدم بين عينيه
مكتوب كافر يقرؤه كل كاتب وامي يخوض البحار تسير معه الشمس بين يديه جبل من دخان وخلفه
جبل ابيض يرى الناس انه طعام يخرج في قحط شديد تحته حمار اقمر خطوة حماره ميل تطوى له الارض
منهلا منهلا لا يرد ماء الا غار الى يوم القيامة ينادي باعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والانس
يقول الي اوليائي انا الذي خلق فسوى وقدر فهدى انا ربكم الاعلى وكذب عدو الله انه الاعور
يطعم الطعام ويمشي في الاسواق وان ربكم عز وجل ليس باعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا الا وان اكثر اتباعه يومئذ اولاد الزنا واصحاب الطيالسة الخضر يقتله الله عز وجل
بالشام على عقبة تعرف بعقبة افيق لثلث ساعات من يوم الجمعة على يدي من يصلي المسيح بن
مريم خلفه وفي خبر اخر انه يخرج على حمار عرض ما بين اذنيه ميل يخرج ومعه جنة ونار و
جبل من خبز ونهر من ماء اكثر اتباعه اليهود والنساء والاعراب يدخل افاق الارض كلها
الا مكة ولابتيها والمدينة ولابتيها اقول الدجال الكذاب للتمويه اللعين بذلك الا اذا ظهر
تلبس الامور على الناس بتجوه وكهانة ومنها ليدعي الالوهية لنفسه وفي عجائب البلدان ان الدجال
محبوس في جزيرة بحر القلزم تسمى جزيرة الجساسة والجساسة دابة تجسس الاخبار ورأى في
بها الدجال روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس انها قالت خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وقت الظهيرة وخطبنا وقال اني لا اجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديث حدثنيه تميم
الداري يمنعني سروره القائلة حدثني ان نفرا من قومه اقبلوا من البحر فاصابهم ريح عاصف الجأتهم الى
جزيرة فاذا هم بدابة قالوا لها من انت قالت انا الجساسة قالوا اخبرينا الخبر قالت ان اردتم الخبر
فعليكم بهذا الدير فان فيه رجلا بالاشواق اليكم قال فاتيناه فقال من انتم فاخبرناه فقال ما فعلت
بحيرة طبرية قلنا تدفق بين جانبيها قال ما فعلت نخل عمان قلنا يجتنيها اهلها قال ما فعلت
عين زغر قلنا يشرب منها اهلها فقال لو يبست هذه انفلت من وثاقي فوطئت بقدمي كل منهل
الا مكة والمدينة اقول والاخبار في عظم جثة الجساسة وكبر هيكل الدجال وغريب خلقته وعجيب
اضلاله من طرق العامة كثيرة وفي رواياتهم انه محبوس في بحر الشام او بحر اليمن وفي كتاب ابي الحسن
البكري في حديث سطيح الكاهن ان الله قد خلقه قطعة لحم بلا عظم سوى جمجمة راس وكان يطوى

حين يخرج

كا

كما يطوى الثوب فينشر ويجلس على وضمه كما يجلس اللحم على وضم القصاب لا ينام في الليل الا اليسير يقلب طرفه
الى السماء وينظر الى النجوم والبروق واللمعان ويجلس على وضمه الا في الاعصار ويرفع الى الملوك في تلك الاعصار
يسألونه عن غوامض الاعصار وينبئهم بما في قلوبهم من الاسرار ويخبرهم بالحوادث في الزمان من
العجائب وهو ملقى على ظهره شاخص بصره لا يتحرك منه غير عينيه ولسانه وفي ساق الخبر في وصف
زرقاء ملكة اليمن وانها كانت من اعظم الكهنة وانها كانت حادة البصر عظيمة الخطر تنظر من مسيرة
ثلثة ايام كما ينظر الانسان الى الشيء بين يديه وفي الكافي عن البزنطي عن ابي جميلة قال رايت
بمارب امراة لها راسان وصدران في حقو واحد متزوجة تغار هذه على هذه وهذه على
هذه قال وحدثني غيره انه راى رجلا كذلك وكانا حائكين يعملان جميعا على حف واحد
منبج واحد وفي عجائب البلدان عن الشافعي انه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرايت فيها انسانا
من وسطه الى اسفله بدن امراة ومن وسطه الى فوقه بدنان متفرقان باربعة ايد وراسين ووجهين
وهما يتلاطمان مرة ويصطلحان اخرى وياكلان ويشربان ثم غبت عنها سنين ورجعت فسالت
عنها فقيل لي احسن الله عزاك في احد الجسدين توفي فربط من اسفله بحبل حتى ذبل ثم قطع و
الجسد الاخر تراه في السوق ذاهبا وجائيا وفي تفسير القمي عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان
اول من بغى على الله عز وجل على وجه الارض عناق بنت ادم خلق الله لها عشرين اصبعا في كل اصبع
منها ظفران طويلان كالمخلبين العظيمين وكان مجلسها في الارض موضع جريب فلما بغت بعث
اليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار وكان ذلك في الخلق الاول فسلطهم الله عليها فقتلوها
وفي القصص عن وهب قال ان عوج بن عناق كان جبارا عدوا لله وللاسلام وله بسطة
في الجسم والخلق وكان يضرب بيده فياخذ الحوت من اسفل البحر ثم يرفع الى السماء فيشويه في حر الشمس
فياكله وكان عمره ثلثة الاف وستمائة سنة وروي انه لما اراد نوح عليه السلام ان يركب السفينة جاء
اليه عوج فقال له احملني معك فقال نوح اني لم اومر بذلك فبلغ الماء وما جاوز ركبتيه وبقي الى ايام
موسى عليه السلام فقتله موسى عليه السلام وفي بعض التفاسير انه لما قتل عوج وضع عظم ساقه على عرض
نهر النيل وصار قنطرة يمشي الناس والدواب عليها سنين عديدة وفي عجائب البلدان عن ابي
اسحاق الطالقاني قال كنت يوما عند عبد الله بن المبارك فانهار ركن من القهندز فسقطت منها

حايكين

جماجم … فتناثرت من جمجمة اسنانها فوزن سنين منها كان وزن كل واحدة منهما استرين فجعل عبد الله
يقلبها بيده ويتعجب منها ويقول اذا كان هذا اسنانهم فكيف يكون تقدير اعضائهم وحكى ابو حامد الاندلسي
انه راى بارض بلغار شخصا من نسل عاد الذين اسمه ابو دوهو من اهل الشمال كان طوله اكثر
من سبعة اذرع وكان طوله الى حقوه وكان قويا ياخذ ساق الفرس يكسرها ولا يقدر غيره ان
يكسرها بالفاس وكان في خدمة ملك بلغار وهو قرية واتخذ له درعا على قده وبيضة كانها مرجل كبير
ويأخذ معه في الحروب على عجلة لان الجمل ما كان يحمله ويمشي الى الحرب على رجليه لان الجمل ما كان يحمله ويمشي
الى الحرب على عجلة كيلا يتعب في المشي وكانت له شجرة في يده طويلة لا يقدر الرجل الواحد على حمله وكان
في يده كالعصا في يد احدنا والاتراك اذا راوه يستبلون اليه انهم جلود ومع ذلك كان رجلا لطيفا مصلحا
عفيفا ويوجد بارض بلغار عظام موتى من قوم هود كذا قال ابو حامد رايت سنا واحدا عرضها شبران
وطولها اربعة اشبار وكله راس مثل القبة ويوجد تحت الارض اسنان مثل انياب الفيلة بيض كالثلج
ثقيلة وزن الواحدة منها مائتا من لا يدرى لاي حيوان هي فيحملها الى خوارزم و
يتخذ منها الامشاط والحقاق وغيرها كما يتخذ من العاج بل هي اقوى من العاج لا يكسر البتة وفي القاموس
عند ذكر النسناس انه جنس من الخلق يثب احدهم على رجل واحدة وفي الحديث ان حيا من عاد عصوا
رسولهم فمسخهم الله نسناسا لكل انسان منهم يد ورجل من شق واحد ينقزون كما ينقز الطائر و
يرعون كما ترعى البهائم وقيل اولئك انقرضوا والموجود على تلك الخلقة خلق على حدة او هم ثلثة
اجناس ناس ونسناس ونسانس او النسانس اناثهم او هم ارفع قدرا من النسناس او هم
ياجوج او هم قوم من بني ادم او خلق على صورة الناس وخالفوهم في اشياء

الباب العشرون في طرف من الآيات الموجبة للاعتبار والمورثة للاستبصار

في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا قال ان ذا القرنين
بعثه الله الى قومه فضرب على قرنه الايمن فاماته الله خمسمائة عام ثم بعثه اليهم بعد ذلك فملكه مشارق
الارض ومغاربها من حيث تطلع الشمس الى حيث تغرب فهو قوله حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة الى قوله عذابا نكرا قال في النار فجعل ذو القرنين بينهم بابا من نحاس وحديد
وزفت وقطران فحال بينهم وبين الخروج وفي الاكمال عن عبد الله بن سليمان وكان قاريا للكتب قال

قرأت

قرأت في بعض كتب الله عز وجل ان ذا القرنين كان رجلا من اهل الاسكندرية وامه عجوز من عجائزهم ليس لها
ولد غيره فقال له اسكندروس وكان له ادب وخلق وعفة من وقت ما كان غلاما الى ان بلغ رجلا
وكان راى في المنام كانه دنا من الشمس حتى اخذ بقرنيها شرقها وغربها فلما قص رؤياه على قومه سموه
ذا القرنين فلما راى هذه الرؤيا بعدت همته وعلا صوته وعز في قومه وكان اول ما اجمع عليه امره
ان قال اسلمت لله عز وجل ثم دعا قومه الى الاسلام فاسلموا هيبة له ثم امرهم ان يبنوا له مسجدا فاجابوه وصنف
كما ياتي في الباب الاتي فجعل فيه اربعة اعمدة في كل عمود عشرة الاف ثم قسم في البلاد وحدث
نفسه بالمسير فاجتمع اليه قومه فقالوا له يا ذا القرنين ننشدك الله لا تؤثر علينا بنفسك غيرنا
فنحن احق برؤيتك وفينا كان مسقط راسك وبها نشات وربيت وهذه اموالنا وانفسنا و
انت الحاكم فيها وهذه امك عجوز كبيرة وهي اعظم خلق الله عليك حقا فليس ينبغي لك ان تعصيها
ولا تخالفها فقال لهم والله ان القول لقولكم وان الراي لرايكم ولكني بمنزلة المأخوذ بقلبه وسمعه و
بصره يقاد ويدفع من خلفه لا يدري اين يؤخذ به ولا ما يراد به ولكن هلموا معشر قومي فا
دخلوا هذا المسجد واسلموا عن اخركم ولا تخالفوا علي فتهلكوا ثم دعا دهقان الاسكندرية فقال
له اعمر مسجدي وعز عني امي فلما راى الدهقان جزع امه وطول بكائها احتال ليعزيها بما اصاب
الناس قبلها وبعدها من المصائب والبلاء فصنع عيدا عظيما ثم اذن مؤذنه يا ايها الناس ان
الدهقان يؤذنكم ان تحضروا يوم كذا وكذا فلما كان ذلك اليوم اذن مؤذنه اسرعوا واحذروا ان
يحضر هذا العيد الا رجل قد عري من البلاء والمصائب فاحتبس الناس وقالوا ليس فينا احد عري
من البلاء والمصائب ما منا احد الا وقد اصيب ببلاء او بموت حميم فسمعت ام ذي القرنين فاعجبها
ولم تدر ما اراد الدهقان ثم ان الدهقان بعث مناديا ينادي فقال يا ايها الناس ان الدهقان
قد امركم ان تحضروا يوم كذا وكذا ولا يحضره الا رجل قد ابتلي واصيب وفجع ولا يحضره احد عري
من البلاء فانه لا خير فيمن لا يصيبه البلاء فلما فعل ذلك قال الناس هذا رجل قد بخل ثم
ندم واستحيى فتدارك امره ومحا عيبه فلما اجتمعوا خطبهم ثم قال اني لم اجمعكم لما دعوتكم له و
لكن جمعتكم لاكلمكم في ذي القرنين وفيما فجعنا به من فقده وفراقه فاذكروا ادم ان الله عز وجل
خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واسكنه جنته واكرمه بكرامة لم يكرم بها

احدا لم ابتلاه باعظم بلية كانت في الدنيا وذلك الخروج من الجنة وهي المصيبة التي لا جبر لها ثم ابتلى
ابرهيم من بعده بالحريق وابتلى ابنه بالذبح ويعقوب بالحزن والبكاء ويوسف بالرق وايوب بالسقم
ويحيى بالذبح وزكريا بالقتل وعيسى بالاسر وخلقا من خلق الله كثيرا لا يحصيهم الا الله عز وجل
فلما فرغ من هذا الكلام قال لهم انطلقوا فعزوا ام الاسكندروس لننظر كيف صبرها فانها
اعظم مصيبة في ابنها فلما دخلوا عليها قالوا لها هل حضرت الجمع اليوم وسمعت اليوم الكلام قالت
لهم ما غاب عني من امركم شيء ولا سقط عني من كلامكم شيء وما كان فيكم احد اعظم مصيبة بالاسكندروس
مني ولقد صبرني الله وارضاني وربط على قلبي واني لارجو ان يكون اجري على قدر ذلك وارجو لكم من
الاجر بقدر ما رزيتم به من فقد اخيكم وان توجروا على قدر ما نويتم في امه وارجو ان يغفر الله لي ولكم
ويرحمني واياكم فلما راوا احسن عزائها وصبرها انصرفوا عنها وتركوها وانطلق ذو القرنين يسير على وجهه
حتى امعن في البلاد يؤم المغرب وجنوده يومئذ المساكين فاوحى الله جل جلاله اليه يا ذا القرنين
انت حجتي على جميع الخلائق ما بين الخافقين من مطلع الشمس الى مغربها وحجتي عليهم وهذا تاويل رؤياك
فقال ذو القرنين الهي انك ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره غيرك فاخبرني عن هذه الامة باية قوة
اكاثرهم وباي عدد اغلبهم وباي حيلة اكيدهم وباي صبر اقاسيهم وباي لسان اكلمهم وكيف لي بان
اعرف لغاتهم وباي سمع اعي قولهم وباي بصر انفذهم وباي حجة اخاصمهم وباي قلب اعقل عنهم وباي
حكمة ادبر امورهم وباي حلم اصابرهم وباي قسط اعدل فيهم وباي معرفة افصل بينهم وباي علم اتقن
امورهم وباي عقل احصيهم وباي جند اقاتلهم فانه ليس عندي مما ذكرت شيء يا رب فقوني عليهم
فانك الرب الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها الا طاقتها فاوحى الله جل جلاله اليه اني
ساطوقك ما حملتك واشرح لك صدرك فيسمع كل شيء واشرح لك فهمك فتفقه كل شيء واطلق لك
لسانك بكل شيء واحصي لك فلا يفوتك شيء واحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء واشد لك ظهرك
فلا يهولك شيء والبسك الهيبة فلا يروعك شيء واسدد لك رايك فتصيب كل شيء واسخر لك البصر [?]
فتحصي كل شيء واسخر لك النور والظلمة واجعلهما جندا من جنودك النور يهديك والظلمة تحوطك
وتحوش عليك الامم من ورائك فانطلق ذو القرنين برسالة ربه واعانه الله بما وعده فمر بمغرب
الشمس فلا يمر بامة من الامم الا دعاهم الى الله عز وجل فان اجابوه قبل منهم وان لم يجيبوه اغشاهم

الظلمة

تاويل م

واطلق لك [illegible] كل شيء [illegible] م

الظلمة فاظلمت مدائنهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم ومنازلهم واغشت ابصارهم ودخلت في افواههم
وانوفهم واجوافهم فلا يزالون فيها متحيرين حتى يستجيبوا لله عز وجل ويجوا اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجد
عندها الامة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ففعل بهم ما كان فعله بمن مر به قبلهم حتى فرغ مما بينه وبين
المغرب ووجد جمعا وعددا لا يحصيهم الا الله عز وجل وقوة وباسا لا يطيقه الا الله والسنة مختلفة
واهواء متشتتة وقلوبا متفرقة ثم مشى على الظلمة ثمانية ايام وثمان ليال واصحابه ينظرونه حتى انتهى
الى الجبل الذي هو محيط بالارض كلها فاذا بملك من الملائكة قابض على الجبل وهو يقول سبحان
ربي من الان الى منتهى الدهر سبحان ربي من اول الدنيا الى اخرها سبحان ربي من موضع كفي الى
عرش ربي سبحان ربي من منتهى الظلمة الى النور فلما سمع ذو القرنين خر ساجدا فلم يرفع راسه حتى
قواه الله عز وجل واعانه على النظر الى ذلك الملك فقال له الملك كيف قويت يا ابن ادم على ان
تبلغ الى هذا الموضع ولم يبلغه احد من ولد ادم قبلك قال ذو القرنين قواني على ذلك الذي
قواك على قبض هذا الجبل وهو محيط بالارض كلها قال له الملك صدقت ولولا هذا الجبل
لانكفات الارض باهلها وليس على وجه الارض جبل اعظم منه وهو اول جبل اسسه الله عز وجل
فراسه ملصق بالسماء الدنيا واسفله في الارض السابعة السفلى وهو محيط بها كالحلقة وليس على
وجه الارض مدينة الا ولها عرق الى هذا الجبل فاذا اراد الله عز وجل ان يزلزل مدينة اوحى الي فحركت
العرق الذي يليها فزلزلها فلما اراد ذو القرنين الرجوع قال للملك اوصني قال الملك لا يهمنك رزق
غد ولا توخر على ما فاتك وعليك بالرفق ولا تكن جبارا متكبرا ثم ان ذا القرنين رجع الى اصحابه ثم
عطف بهم نحو المشرق يستقرئ ما بينه وبين المشرق من الامم فيفعل بهم ما فعل بامم المغرب قبلهم حتى اذا
فرغ مما بين المشرق والمغرب عطف نحو الردم الذي ذكره الله عز وجل في كتابه فاذا هو بامة لا يكادون
يفقهون قولا واذا ما بينه وبين الردم مشحون من امة يقال لها ياجوج وماجوج ثم ساق الخبر
الى اخر ما مضى في الباب السابق وباقي في الباب الاتي ثم قال فلما فرغ ذو القرنين من عمل السد
انطلق على وجهه فبينا هو يسير وجنوده اذ مر على شيخ يصلي فوقف عليه حتى انصرف من صلوته
فقال له ذو القرنين كيف لم يرعك ما حضرك من الجنود قال كنت اناجي من هو اكثر جنودا منك
واعز سلطانا واشد قوة ولو صرفت وجهي اليك لم ادرك حاجتي قبله فقال له ذو القرنين هل لك

ذلك م

فاخبرني [illegible] يا الملك [illegible] من [illegible] هذا الجبل م

هذا الجبل م

عمل اليوم لغد ولا تحزن م

بجنوده م

ان تنطلق معي فاواسيك بنفسي واستعين بك على بعض اموري قال نعم ان ضمنت لي اربع خصال نعيما
لا يزول وصحة لا سقم فيها وشبابا لا هرم معه وحياة لا موت معها فقال له ذو القرنين واي مخلوق
يقدر على هذه الخصال قال فاني مع من يقدر عليها ويملكها واياك ثم مر برجل عالم فقال
لذي القرنين اخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عز وجل قائمين وعن شيئين جاريين وشيئين
مختلفين وشيئين متباغضين فقال ذو القرنين اما الشيئان القائمان فالسماء والارض و
الشيئان الجاريان فالشمس والقمر واما الشيئان المختلفان فالليل والنهار واما الشيئان
المتباغضان فالموت والحيوة فقال انطلق فانك عالم فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتى مر
بشيخ يقلب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال اخبرني ايها الشيخ لاي شيء تقلب هذه الجماجم قال
لاعرف الشريف من الوضيع فما عرفت واني لاقلبها عشرين سنة فانطلق ذو القرنين وتركه وقال
ما اراك عنيت بهذا احدا غيري فبينا هو يسير اذ وقع الى الامة العالمة ثم ساق الخبر الى اخر ما مضى في
الباب السابق ثم قال فاقام عندهم ذو القرنين حتى قبض ولم يكن له فيهم عمر وكان قد بلغ السن
فادركه الكبر وكان عدة ما سار في البلاد من يوم بعثه الله عز وجل الى يوم قبض خمسمائة عام و
ذكر الثعلبي في عرايسه ان اهل الكتاب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم
ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندروس ويقال كان اسمه عياش وكان عبدا صالحا فلما استحكم
ملكه واستجمع امره اوحى الله اليه يا ذا القرنين اني بعثتك الى جميع الخلق ما بين الخافقين وجعلتك
حجتي عليهم وهذا تاويل رؤياك واني باعثك الى امم الارض كلهم وهم سبع امم مختلفة السنتهم منهم
امتان بينهما عرض الارض وامتان بينهما طول الارض وثلاث امم في وسط الارض وهم الجن والانس
وياجوج وماجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فامة عند المغرب يقال لها ناسك
وامة اخرى بحيالها عند مطلع الشمس يقال لها منسك واما اللتان بينهما عرض الارض فامة
في قطر الارض الايمن يقال لها هاويل وامة في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فجند قوم اربعين
الفا وجعلهم اربعة اجناد في كل جند عشرة الاف ثم عرضهم فوجدهم فيما قيل الف الف واربعمائة
الف رجل منهم من جنده ثمانمائة الف ومن جند دارا ستمائة الف ومن السكيين اربعين الفا
ثم انطلق يؤم الامة التي عند مغرب الشمس فلما بلغ مغرب الشمس وجد جمعا وعددا لا يحصيهم

الا الله

الا الله وقوة وباسا لا يطيقه الا الله عز وجل ورأى السنا مختلفة واهواء متشتتة وذلك المنقول الله و
وجد عندها امة ما يعني ناسا كثيرة يقال لها ناسك فلما راى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلث
عساكر منها فاحاطهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم اخذ عليهم بالنور فدعاهم الى الله
عز وجل وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة
فدخلت في افواههم وانوفهم واذانهم واجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم
من فوقهم ومن كل جانب منهم فماجوا فيه وتحيروا فلما اشفقوا ان يهلكوا فيها عجوا اليه بصوت واحد
فكشفها عنهم واخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب امما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم
انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم والنور امامهم يقوده ويدله و
هو يسير في ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض الايمن التي يقال لها هاويل و
سخر الله له قلبه ويده ورايه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهي تتبعه
فاذا انتهى الى بحر او مخاضة بنى سفنا من الواح صغار امثال النعال فنظمها في ساعة ثم حمل فيها
جميع من معه من تلك الامم وتلك الجنود فاذا قطع الانهار والبحار فتقها ثم دفع الى كل رجل
منهم لوحا فلا يكرثه حمله فلم يزل ذلك دابه حتى انتهى الى هاويل فعمل فيها كفعله في ناسك فلما
فرغ منها مضى في ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند
جنودا كفعله في الامتين قبلها ثم كر مقبلا حتى اخذ ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل
وهي الامة التي بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند
فيها كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل
لهم من دونها سترا يعني سكنا ثم لما فرغ ذو القرنين من امر الامم الذين هم باطراف الارض و
طاف الشرق والغرب عطف فيها الى الامم التي في وسط الارض من الجن والانس وياجوج
وماجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له امة صالحة من الانس
يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابه الانس وهم مشابه
البهائم ثم ساق الخبر قريبا من بعض ما مر في الباب السابق من الاكمال وفي تفسير العياشي
عن امير المؤمنين عليه السلام كان ذو القرنين عبدا صالحا كان من الله بمكان نصح لله فنصح له و

احب الله فاجبر وكان قد سبب له في البلاد ومكن له فيها حتى ملك ما بين المشرق والمغرب
كان له خليل من الملائكة يقال له رقائيل ينزل اليه فيحدثه ويناجيه فبينا هو ذات يوم عنده اذ
قال له ذو القرنين يا رقائيل كيف عبادة اهل السماء واين هي من عبادة اهل الارض
قال رقائيل يا ذا القرنين وما عبادة اهل الارض فقال اما عبادة اهل السماء فما في
السموات موضع قدم الا وعليه ملك قائم لا يقعد ابدا او راكع لا يسجد ابدا او ساجد لا يرفع
راسه ابدا فبكى ذو القرنين بكاء شديدا وقال يا رقائيل اني احب ان اعيش حتى ابلغ
من عبادة ربي وحق طاعته ما هو اهله قال رقائيل يا ذا القرنين ان لله في الارض عينا
تدعى عين الحيوة فيها عزيمة من الله انه من يشرب منها لم يمت حتى يكون هو يسئل الله الموت فان
ظفرت بها تعش ما شئت قال واين تلك العين وهل تعرفها قال لا غير انا نتحدث في السما
ان لله في الارض ظلمة لم يطاها انس ولا جان فقال ذو القرنين واين تلك الظلمة قال
رقائيل ما ادري ثم صعد رقائيل فدخل ذا القرنين حزن طويل من قول رقائيل ومما اخبره من
العين والظلمة ولم يخبره بعلم ينتفع به منهما فجمع ذو القرنين فقهاء اهل مملكته وعلماءهم واهل
دراسة الكتب واثار النبوة هل وجدتم فيما قراتم من كتب الله وفي كتب من كان قبلكم من
الملوك ان لله عينا تدعى عين الحيوة فيها من الله عزيمة انه من يشرب منها لم يمت حتى يكون هو
الذي يسئل الله الموت قالوا لا يا ايها الملك قال فهل وجدتم فيما قراتم من الكتب ان لله في
الارض ظلمة لم يطاها انس ولا جان قالوا لا ايها الملك فحزن عليه ذو القرنين حزنا شديدا
وبكى اذ لم يخبر عن العين والظلمة بما يحب وكان فيمن حضره غلام من الغلمان من اولاد الاوصيا
اوصياء الانبياء وكان ساكتا لا يتكلم حتى اذا ايس ذو القرنين منهم قال له الغلام ايها الملك
انك تسئل هؤلاء عن امر ليس لهم به علم وعلم ما تريد عندي ففرح ذو القرنين فرحا شديدا
حتى نزل عن فراشه وقال له ادن مني فدنا منه فقال اخبرني فقال نعم ايها الملك اني وجدت في
كتاب ادم الذي كتب يوم سمي ما في الارض من عين او شجر فوجدت فيه ان لله عينا تدعى عين
الحيوة فيها من الله عزيمة انه من يشرب منها لم يمت حتى يكون هو الذي يسئل الله الموت بظلمة لم
يطاها انس ولا جان ففرح ذو القرنين وقال ادن مني يا ايها الغلام تدري اين موضعها قال

ثم

ثم وجدت في كتاب ادم انها على قرن الشمس يعني مطلعها ففرح ذو القرنين وبعث الى اهل مملكته
فجمع اشرافهم وفقهاءهم وعلماءهم واهل الحكم منهم فاجتمع اليه الف حكيم وعالم وفقيه فلما اجتمعوا
اليه تهيا للمسير وتاهب له باعد العدة واقوى القوة فسار بهم يريد مطلع الشمس يخوض البحار ويقطع
الجبال والفيافي والارضين والمفاوز فسار اثني عشر سنة حتى انتهى الى طرف الظلمة فاذا هي ظلمة
ليست بليل ولا دخان فنزل بطرفها وعسكر عليها وجمع علماء اهل عسكره وفقهاءهم واهل
الفضل منهم فقال يا معشر الفقهاء والعلماء اني اريد ان اسلك هذه الظلمة فخروا لله سجدا فقالوا
ايها الملك انا نظنك لتطلب امرا ما طلبه ولا سلكه احد كان قبلك من النبيين والمرسلين ولا
من الملوك قال انه لا بد لي من طلبها قالوا ايها الملك انا نعلم انك اذا سلكتها ظفرت بحاجتك
منها بغير عنت عليك ولكنا نخاف ان يعلق بك منها امر يكون فيه هلاك ملكك وزوال سلطانك
وفساد من في الارض فقال لا بد من ان اسلكها فخروا سجدا وقالوا انا نتبرأ اليك مما يريد ذو القرنين
فقال ذو القرنين يا معشر العلماء اخبروني باي الدواب ابصر قالوا الخيل الاناث البكارة ابصر الدواب فانتخب من
عسكره فاصاب ستة الاف فرس اناثا ابكارا وانتخب من اهل العلم والفضل والحكمة ستة الاف رجل فدفع
الى كل رجل فرسا وولى الخضر على الفي فرس فجعلهم على مقدمته وامرهم ان يدخلوا الظلمة وسار
ذو القرنين في اربعة الاف وامر اهل عسكره ان يلزموا معسكره اثني عشر سنة فان رجع هو اليهم
الى ذلك الوقت والا تفرقوا في البلاد ولحقوا ببلادهم او حيث شاؤوا فقال الخضر ايها الملك انا
نسلك في الظلمة لا يرى بعضنا بعضا كيف نصنع بالضلال اذا اصابنا فاعطاه ذو القرنين خرزة
حمراء كانها مشعلة لها ضوء فقال خذ هذه الخرزة فاذا اصابكم الضلال فارم بها الى الارض فانها
تصيح فاذا صاحت رجع اهل الضلال الى صوتها فاخذها الخضر ومضى في الظلمة وكان الخضر يحل
ويرتحل ذو القرنين فبينا الخضر يسير ذات يوم اذ عرض له واد في الظلمة فقال لاصحابه قفوا
في هذا الموضع لا يتحركن احد منكم عن موضعه ونزل عن فرسه فتناول الخرزة فرمى بها في الوادي
فابطات عنه بالاجابة حتى ساء ظنه وخاف ان لا تجيبه ثم اجابته فخرج الى صوتها فاذا هي العين
واذا ماؤها اشد بياضا من اللبن واصفى من الياقوت واحلى من العسل فشرب منه ثم خلع ثيابه
فاغتسل منها ثم لبس ثيابه ثم رمى بالخرزة نحو اصحابه فاجابته فخرج الى اصحابه وركب وامرهم بالمسير

فساروا وسار ذو القرنين بعدهم فاخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة اربعين يوما واربعين ليلة ثم خرجوا
بضوء ليس بضوء نهار ولا شمس ولا قمر ولكنه نور فخرجوا الى ارض حمراء ورملة خشخاشة وكانه كان حصاها
اللؤلؤ فاذا هو بقصر مبني على طول فرسخ فجاء ذو القرنين الى الباب فعسكر عليه ثم توجه بوجهه وحده الى
القصر فاذا الطائر واذا حديدة طويلة قد وضع طرفاها على جانبي القصر والطير اسود معلق في تلك
الحديدة بين السماء والارض كانه الخطاف وصورة الخطاف او شبيه بالخطاف او هو خطاف فلما سمع
خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال انا ذو القرنين فقال اما كفاك ما وراءك حتى
وصلت الى حد بابي هذا ففرق ذو القرنين منه فرقا شديدا فقال يا ذا القرنين لا تخف واخبرني قال سل
قال هل كثرت بنيان الاجر والجص قال نعم قال فانتفض الطير وانتفخ حتى ملأ ثلثها ففرق ذو القرنين
فقال لا تخف واخبرني قال سل هل كثرت المعازف قال نعم قال فانتفض ذو القرنين منه فرقا شديدا فقال له لا
تخف فاخبرني قال سل قال هل ترك الناس الصلوة قال لا قال فانضم ثلث الحديد ثم قال يا ذا القرنين
لا تخف واخبرني قال سل قال هل ترك الناس الصلوة قال لا قال فانضم ثلثا اخر يا ذا القرنين لا
تخف واخبرني قال سل قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا قال فانضم حتى عاد الى حاله الاول
فاذا هو بدرجة مدرجة الى اعلى القصر فقال الطير يا ذا القرنين اسلك هذه الدرجة فسلكها وهو خائف
لا يدري ما يهجم عليه حتى استوى على ظهرها فاذا هو بسطح مد البصر واذا رجل شاب ابيض مضيء الوجه
عليه ثياب بيض حتى كانه رجل او في صورة رجل او شبيه بالرجل او هو رجل واذا هو رافع راسه الى
السماء ينظر اليها واضع يده على فيه فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال انا ذو القرنين
قال يا ذا القرنين انا صاحب الصور وان الساعة قد اقتربت وانا انتظر اذا امر بالنفخ فانفخ ثم ضرب
بيده فتناول حجرا فرمى به الى ذي القرنين كانه حجر او شبه حجر او هو حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان
جاع جعت وان شبع شبعت فارجع فرجع ذو القرنين بذلك الحجر حتى خرج به الى اصحابه فاخبرهم بالطير
وما ساله عنه وما قال له وما كان من امره واخبرهم بصاحب السطح وما قال له وما اعطاه ثم قال
ان الله اعطاني هذا الحجر وقال لي ان جاع جعت وان شبع شبعت قال اخبروني بامر هذا الحجر
فوضع في احد الكفتين ووضع حجر مثله في الكفة الاخرى ثم رفع الميزان فاذا الحجر الذي جاء به ارجح عند
الاخر فوضعوا اخر فمال به حتى وضعوا الف حجر كلها مثله ثم رفعوا الميزان فمال بها ولم يستمل الالف

من الحديدة صح

شهادة ان لا اله الا الله صح

ثلث اخر

[illegible]

ج

حجر فقالوا ايها الملك لا علم لنا بهذا فقال له الخضر ايها الملك انك تسأل هؤلاء عما لا علم لهم به و
قد اوتيت علم هذا الحجر فقال ذو القرنين فاخبرنا به وبينه لنا فقام الخضر فوضع الحجر الذي جاء به ذو
القرنين في كفة الميزان ثم وضع حجرا اخر في كفة اخرى ثم وضع كفة تراب على حجر ذي القرنين ثم
ثقلا ثم رفع الميزان فاعتدل وعجبوا وخروا سجدا وقالوا ايها الملك هذا امر لم يبلغه علمنا وانا
لنعلم ان الخضر ليس بساحر فكيف هذا وقد وضعنا معه الف حجر كلها مثله فمال بها وهذا اعتدل
به وزاده ترابا قال ذو القرنين بين يا خضر لنا امر هذا الحجر فقال الخضر ايها الملك ان امر الله نافذ
في عباده وسلطانه قاهر وحكمه فاصل وان الله قد ابتلى عباده بعضهم ببعض وابتلى العالم بالعالم
وابتلى الجاهل بالجاهل والعالم بالجاهل والجاهل بالعالم وانه ابتلاني بك وابتلاك بي فقال ذو القرنين
يرحمك الله يا خضر انما تقول ابتلاني بك حين جعلت اعلم مني وجعلت تحت يدي اخبرني يرحمك
الله عن امر هذا الحجر فقال الخضر ايها الملك ان هذا الحجر مثل ضربه لك صاحب الصور يقول ان مثل
بني ادم مثل هذا الحجر الذي وضع ووضع معه الف حجر فمال بها ثم اذا وضع عليه التراب شبع و
عاد حجرا مثله فيقول كذلك مثلك اعطاك الله من الملك ما اعطاك فلم ترض به حتى طلبت امرا لم يطلبه
احد من الناس كان قبلك ودخلت مدخلا لم يدخله انس ولا جان يقول كذلك ابن ادم ولا يشبع حتى يحثى
عليه التراب قال فبكى ذو القرنين بكاء شديدا وقال صدقت يا خضر يضرب لي هذا المثل لا جرم
اني لا اطلب اثرا في البلاد بعد مسلكي هذا ثم انصرف راجعا في الظلمة فبيناهم يسيرون اذ سمعوا خشخشة
تحت سنابك خيلهم فقالوا ايها الملك ما هذا فقال خذوا منه فمن اخذ منه ندم ومن تركه ندم فاخذ
بعض وترك بعض فلما خرجوا من الظلمة اذا هم بالزبرجد فندم الاخذ والتارك ورجع ذو القرنين
الى دومة الجندل وكان بها منزله فلم يزل بها حتى قبضه الله اليه قال وكان صلى الله عليه وآله وسلم
اذا حدث بهذا الحديث قال رحم الله اخي ذا القرنين ما كان مخطئا اذ سلك ما سلك وطلب ما
طلب ولو ظفر بوادي الزبرجد في مذهبه لما ترك فيه شيئا الا اخرجه للناس لانه كان راغبا
لكنه ظفر به بعدما رجع فقد زهد وعن الصادق عليه السلام قال ان ذا القرنين عمل صندوقا من قوارير
ثم حمل في مسيره ما شاء الله ثم ركب فيه فلما انتهى الى موضع منها قال لاصحابه دلوني فاذا حركت الحبل
فاخرجوني فان لم احرك الحبل فارسلوني الى اخره فارسلوه في البحر وارسلوا الحبل مسيرة اربعين

يوما فاذا اضاربعضهم بحيث الصندوق و يقول يا ذا القرنين اين تريد فالديدبان انظر الى
ربك في البحر كما رايته في البر فقال يا ذا القرنين هذا الموضع الذي انت فيه تروح زمان
الطوفان فسقط منه قدم ادم وهو بعد في قعر البحر الى الساعة لم يبلغ قعره فلما سمع ذو القرنين ذلك
حل الحبل وخرج وفي تفسير الثعلبي عن الصادق عليه السلام اعطي سليمن بن داود مع علمه معرفة المنطق
بكل لسان ومعرفة اللغات ومنطق الطير والبهائم والسباع فكان اذا شاهد الحروب تكلم بالفارسية
واذا قعد لعماله وجنوده واهل مملكته تكلم بالرومية واذا خلا مع نسائه تكلم بالسريانية والنبطية
واذا قام في محرابه لمناجاة ربه تكلم بالعربية واذا جلس للوفود والخصماء تكلم بالعبرانية وفي المجمع
عن الباقر عليه السلام قال اعطي سليمان بن داود ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعمائة
سنة وستة اشهر ملك اهل الدنيا كلهم من الجن والانس والشياطين والدواب والطير و
السباع واعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنايع العجيبة التي سمع بها الناس و
ذلك قوله وعلمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وعن محمد بن كعب
بلغنا ان سليمان بن داود كان عسكره مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس و
خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له الف بيت من
القوارير على الخشب فيها ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فيامر الريح العاصف فترفعه ويامر
الرخاء فتسير به فاوحى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد
من الخلايق بشيء الا جاءت الريح فاخبرتك وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا
فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع فيه منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه و
حوله ثلثة الاف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب ويقعد العلماء على
كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه
الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح و
في القصص عن الباقر عليه السلام قال سخر الله لسليمن الجن والانس وكان لا يسمع بملك في ناحية من الارض
الا اتاه حتى يذله ويدخله في دينه وسخر الريح له فكان اذا خرج الى مجلسه عكف عليه الطير وقام
الجن والانس وكان اذا اراد ان يغزو امر بعسكره فضرب له بساط من الخشب ثم جعل عليه الناس

والدواب

والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت الخشب
فحملته حتى ينتهي به الى حيث يريد فكان غدوها شهرا ورواحها شهرا وعن الاصبغ قال خرج سليمن
بن داود من بيت المقدس مع ثلثمائة الف كرسي عن يمينه عليها الانس وثلثمائة الف كرسي
عن يساره عليها الجن وامر الطير فاظلتهم وامر الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن ثم رجع و
بات في اصطخر ثم غدا فانتهى الى جزيرة بركاوان ثم امر الريح فخفضتهم حتى كادت اقدامهم يصيبها
الماء فقال بعضهم لبعض هل رايتم ملكا اعظم من هذا فنادى ملك لثواب تسبيحة واحدة
اعظم مما رايتم وقال الثعلبي في تفسيره قالت العلماء بسير الانبياء ان نبي الله سليمان لما
فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس
والشياطين والطير والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ فامر الريح الرخاء فحملهم فلما وافى
الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم فكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة الاف ناقة ويذبح خمسة
الاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا مكان يخرج منه نبي
عربي صفته كذا وكذا وصل في كتاب منهج التحقيق الى سواء الطريق عن سلمان الفارسي
قال كنت انا والحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية ومحمد بن ابي بكر وعمار بن ياسر ومقداد
بن الاسود الكندي رضي الله عنهم فقال له ابن الحسن عليه السلام يا امير المؤمنين ان سليمن بن
داود سال ربه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه ذلك فهل ملكت مما ملك سليمن بن داود
شيئا فقال عليه السلام والذي فلق الحبة وبرا النسمة ان سليمن بن داود سال الله عز وجل الملك
فاعطاه وان اباك ملك ما لم يملكه بعد جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احد قبله ولا
يملكه احد بعده فقال الحسن عليه السلام نريد ان ترينا مما فضلك به من الكرامة فقال عليه السلام افعل
ان شاء الله فقام امير المؤمنين عليه السلام وتوضا وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل بدعوات
لم نفهمها ثم اومى بيده الى جهة المغرب فما كان باسرع من ان جاءت سحابة فوقفت على الدار و
الى جانبها سحابة اخرى فقال امير المؤمنين عليه السلام ايتها السحابة اهبطي باذن الله عز وجل
فهبطت وهي تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك خليفته ووصيه من
شك فيك فقد هلك ومن تمسك بك سلك سبيل النجاة قال ثم انبسطت السحابة الى الارض

صنعنا
حتى كانها بساط موضوع فقال امير المؤمنين عليه السلام اجلسوا على الغمامة فجلسنا واخذنا مو[اضعنا]
واشار الى السحابة الاخرى فهبطت وهي تقول كمقالة الاولى وجلس امير المؤمنين عليه السلام
عليها مفردة ثم تكلم بكلام واشار اليها بالمسير نحو المغرب واذا بالريح قد دخلت تحت السحابتين
فرفعتهما رفعا رفيقا فتامّلت نحو امير المؤمنين عليه السلام واذا به على كرسي والنور يسطع من
وجهه يخطف الابصار فقال الحسن عليه السلام يا امير المؤمنين ان سليمان بن داود كان مطاعا
بخاتمه وامير المؤمنين بماذا فقال امير المؤمنين عليه السلام انا عين الله في ارضه انا لسان الله
الناطق في خلقه انا نور الله الذي لا يطفا انا باب الله الذي يؤتى منه وحجته على عباده ثم قال
اتحبون ان اريكم خاتم سليمن بن داود قلنا نعم فادخل يده الى جيبه فاخرج خاتما من ذهب
وفصه من ياقوتة حمراء عليه مكتوب محمد وعلي قال سلمان فتعجبنا من ذلك فقال من اي
شي تعجبون وما العجب من مثلي انا اريكم اليوم ما لم تروه ابدا فقال الحسن اريد ان تريني ياجوج و
ماجوج والسد الذي بيننا وبينهم فسارت الريح تحت السحابة فسمعنا لها دويا كدوي الرعد
وعلت في الهواء وامير المؤمنين يقدمنا حتى انتهينا الى جبل شامخ في العلو واذا شجرة جافة
قد تساقطت اوراقها وجفت اغصانها فقال الحسن ما بال هذه الشجرة قد يبست فقال
عليه السلام سلها فانها تجيبك فقال الحسن ايتها الشجرة ما بالك قد حدث بك ما نراه من الجفاف
فلم تجبه فقال امير المؤمنين عليه السلام بحقي عليك الا ما اجبتيه قال الراوي والله لقد سمعتها
وهي تقول لبيك لبيك يا وصي رسول الله وخليفته ثم قالت يا ابا محمد ان امير المؤمنين عليه السلام
كان يجيئني في كل ليلة وقت السحر ويصلي عندي ركعتين ويكثر من التسبيح فاذا فرغ من دعائه
جاءت غمامة بيضاء ينفح منها ريح المسك وعليها كرسي فيجلس ويسير وكنت اعيش ببركته فانقطع
عني منذ اربعين يوما فهذا سبب ما تراه مني فقام امير المؤمنين عليه السلام وصلى ركعتين ومسح
بكفه عليها فاخضرت وعادت لحالها وامر الريح فسارت بنا واذا نحن بملك بيده في
المغرب والاخرى بالمشرق فلما نظر الملك الى امير المؤمنين عليه السلام قال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون واشهد انك وصيه وخليفته حقا وصدقا فقلنا يا امير المؤمنين

ع

من هذا الذي يده في المغرب والاخرى في المشرق فقال عليه السلام هذا الملك الذي وكله الله عز وجل
بالظلمة الليل والنهار لا يزول الى يوم القيمة وان الله عز وجل جعل امر الدنيا الي وان اعمال الخلق تعرض في
كل يوم علي ثم ترفع الى الله عز وجل ثم سرنا حتى وقفنا على سد ياجوج وماجوج فقال امير المؤمنين
عليه السلام للريح اهبطي بنا مما يلي هذا الجبل واشار بيده الى جبل شامخ في العلو وهو جبل الخضر عليه السلام
فنظرنا الى السد واذا ارتفاعه مد البصر وهو اسود كقطعة ليل دامس يخرج من ارجائه الدخان
فقال امير المؤمنين عليه السلام يا ابا محمد انا صاحب هذا الامر على هؤلاء العبيد قال سلمان
فرايت اصنافا ثلثة طول احدهم مائة وعشرون ذراعا والثاني طول كل واحد سبعون ذراعا و
الثالث يفرش احد اذنيه تحته والاخرى يلتحف بها ثم ان امير المؤمنين عليه السلام امر الريح فسارت
بنا الى جبل قاف فانتهينا اليه واذا هو من زمردة خضراء وعليها ملك على صورة النسر فلما
نظر الى امير المؤمنين عليه السلام قال الملك السلام عليك يا وصي رسول الله وخليفته اتاذن لي في
الكلام فرد عليه السلام وقال له ان شئت تكلم وان شئت اخبرتك عما تسالني عنه فقال الملك
بل تقول انت يا امير المؤمنين قال تريد ان اذن لك ان تزور الخضر عليه السلام قال نعم فقال عليه السلام
قد اذنت لك فاسرع الملك بعد ان قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم تمشينا على الجبل هنيئة فاذا
بالملك قد عاد الى مكانه بعد زيارة الخضر عليه السلام فقال سلمان يا امير المؤمنين رايت الملك ما زار
الخضر الا حين اذنت فقال عليه السلام والذي رفع السماء بغير عمد لو ان احدهم رام ان يزول من مكانه
بقدر نفس واحد لما زال حتى اذن له وكذلك يصير حال ولدي الحسن وبعده الحسين وتسعة
من ولد الحسين تاسعهم قائمهم فقال لمن اسمه فقال له اسم الملك الموكل بقاف فقال عليه السلام ترجائيل
فقال يا امير المؤمنين كيف تاتي كل ليلة الى هذا الموضع وتعود فقال كما اتيت بكم والذي فلق
الحبة وبرا النسمة اني لاملك من ملكوت السموات والارض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله
جنانكم ان اسم الله الاعظم على اثنين وسبعين حرفا وكان عند اصف بن برخيا حرف واحد
فتكلم به فخسف الله عز وجل الارض ما بينه وبين عرش بلقيس حتى تناول السرير ثم عادت
الارض كما كانت اسرع من طرف النظر وعندنا نحن والله اثنان وسبعون حرفا وحرف
واحد عند الله عز وجل استاثره في علم الغيب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عرفنا من عرفنا

وانكر ناس لحكمنا ثم قام عليه السلام وقمنا فاذا نحن بشاب في الجبل يصلي بين قبرين فقلنا يا امير المؤمنين
من هذا الشاب فقال عليه السلام صالح النبي فقال عليه السلام وهذان القبران لامه وابيه وانه يعبد الله
بينهما فلما نظر اليه صالح لم يتمالك نفسه حتى بكى واوما بيده الى امير المؤمنين عليه السلام ثم اعادها على
صدره وهو يبكي فوقف امير المؤمنين عليه السلام عنده حتى فرغ من صلوته فقلنا له ما بكاؤك قال
صالح ان امير المؤمنين عليه السلام كان يمر بي عند كل غداة فيجلس فتزداد عبادتي بنظري اليه فقطع ذلك
منذ عشرة ايام فاقلقني ذلك فتعجبنا من ذلك فقال عليه السلام تريدون ان اريكم سليمان بن داود
قلنا نعم فقام ونحن معه حتى دخل بستانا ما راينا احسن منه وفيه من جميع الفواكه والاعناب
وانهاره تجري والاطيار يتجاوبن على الاشجار فحين راته الاطيار اتت ترفرف حوله وترفرف
حتى توسطنا البستان واذا سرير عليه شاب ملقى على ظهره واضع يده على صدره فاخرج امير
المؤمنين عليه السلام الخاتم من جيبه وجعله في اصبع سليمان بن داود فنهض قائما وقال
السلام عليك يا امير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين انت والله الصديق الاكبر والفاروق
الاعظم قد افلح من تمسك بك وقد خاب وخسر من تخلف عنك واني سالت الله عز وجل بكم اهل
البيت فاعطيت ذلك الملك قال سلمان فلما سمعنا كلام سليمان بن داود لم اتمالك نفسي حتى
وقعت على اقدام امير المؤمنين اقبلها وحمدت الله عز وجل على جزيل عطائه بهدايته الى ولاء اهل
البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس اهل البيت وطهرهم تطهيرا وفعل اصحابي ثم سالت امير المؤمنين
ما وراء قاف قال عليه السلام وراءه ما لا يصل اليكم علمه فقلنا تعلم ذلك يا امير المؤمنين فقال عليه السلام
علمي بما وراءه كعلمي بحال هذه الدنيا وما فيها واني الحفيظ الشهيد عليها بعد رسول الله صلى الله عليه واله
وكذلك الاوصياء من ولدي بعدي ثم قال عليه السلام اني لاعرف بطرق السموات من طرق
الارض نحن الاسم المخزون المكنون نحن الاسماء الحسنى التي اذا سئل الله بها اجاب نحن الاسماء المكتوبة
على العرش ولاجلنا خلق الله عز وجل السماء والارض والعرش والكرسي والجنة والنار ومنا
تعلمت الملائكة منه التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير ونحن الكلمات التي تلقاها
ادم من ربه فتاب عليه ثم قال عليه السلام تريدون ان اريكم عجبا قلنا نعم قال غضوا اعينكم ففعلنا
ثم قال افتحوها ففتحناها فاذا نحن بمدينة ما راينا اكبر منها الاسواق فيها قائمة وفيها اناس ما راينا

اعظم

اعظم من خلقهم على طول النخل قلنا يا امير المؤمنين من هؤلاء قال بقية قوم عاد كفار لا يؤمنون بالله
عز وجل احببت ان اريكم اياهم وهذه المدينة واهلها اردت ان اهلكهم وهم لا يشعرون قلنا يا امير المؤمنين
تهلكهم بغير حجة قال لا بل بحجة عليهم فدنا منهم وتراءى لهم فهموا ان يقتلوه ونحن نراهم وهم يرون ثم
تباعد عنهم ودنا منا ومسح بيده على صدورنا وابداننا وتكلم بكلمات لم نفهمها وعاد اليهم ثانيا حتى
صار بازائهم وصعق فيهم صعقة قال سلمان لقد ظننا ان الارض قد انقلبت والسماء قد
سقطت وان الصواعق من فيه قد خرجت فلم يبق منهم في تلك الساعة احد قلنا يا امير المؤمنين ما
صنع الله بهم قال هلكوا وصاروا كلهم الى النار قلنا هذا معجز ما راينا ولا سمعنا بمثله فقال
عليه السلام تريدون ان اريكم اعجب من ذلك فقلنا لا نطيق باسرنا على احتمال شيء اخر فعلى من لا يتولاك
ويؤمن بفضلك وعظيم قدرك على الله عز وجل لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والخلق
اجمعين الى يوم الدين ثم سالناه الرجوع الى اوطاننا فقال افعل ذلك ان شاء الله فاشار الى السحابتين
فدنتا منا فقال عليه السلام خذوا مواضعكم فجلسنا على سحابة وجلس عليه السلام على الاخرى وامر الريح فحملتنا
حتى صرنا في الجو ورأينا الارض كالدرهم ثم حطتنا في دار امير المؤمنين عليه السلام في اقل من طرف النظر
وكان وصولنا الى المدينة وقت الظهر والمؤذن يؤذن وكان خروجنا منها وقت علت الشمس
فقلنا بالله العجب كنا في جبل قاف مسيرة خمس سنين وعدنا في خمس ساعات من النهار فقال
امير المؤمنين عليه السلام لو انني اردت ان اجوب الدنيا باسرها والسموات السبع وارجع في اقل من
الطرف لفعلت بما عندي من اسم الله الاعظم وفي مؤلفات بعض الاصحاب بسنده عن سلمان الفارسي
قال كنا مع مولانا امير المؤمنين عليه السلام فقلت يا امير المؤمنين احب ان ارى من معجزاتك شيئا قال
عليه السلام افعل ان شاء الله عز وجل ثم قام ودخل منزله وخرج الي وتحته فرس ادهم وعليه قباء ابيض
وقلنسوة بيضاء ثم نادى يا قنبر اخرج الي ذلك الفرس فاخرج فرسا اغر ادهم فقال عليه السلام
اركب يا ابا عبد الله قال سلمان فركبته فاذا له جناحان ملتصقان الى جنبيه قال فصاح به الامام
عليه السلام فتعلق في الهواء وكنت اسمع خفيف اجنحة الملائكة وتسبيحها تحت العرش ثم خطونا على ساحل
بحر عجاج مغطمط الامواج فنظر اليه الامام شزرا فسكن البحر من غليانه فقلت له يا مولاي سكن البحر
من غليانه من نظرك اليه فقال عليه السلام يا سلمان خشي ان امر فيه بامر ثم قبض على يدي وسار على

وجه الماء والفرسان تتبعانا لا يقودهما احد بحق الله ما ابتلت اقدامنا ولا حوافر الخيل قال سلمان
فعبرنا ذلك البحر ودفعنا الى جزيرة كثيرة الاشجار والاثمار والاطيار والانهار واذا شجرة عظيمة بلا [illegible]
ولا ثمر ولا زهر فهزها عليه السلام بقضيب كان في يده فانشقت وخرج منها ناقة طولها ثمانون ذراعا و
عرضها اربعون ذراعا وخلفها قلوص فقال صلوات الله عليه ادن منها واشرب من لبنها قال
سلمان فدنوت منها وشربت حتى رويت وكان لبنها اعذب من الشهد والين من الزبد
وقد اكتفيت قال عليه السلام تريد ان اريك ما هو احسن منه فقلت يا امير المؤمنين قال سلمان
فنادى مولاي امير المؤمنين اخرجي يا حسناء قال فخرجت ناقة طولها عشرون ومائة ذراع وعرضها
ستون ذراعا وراسها من الياقوت الاحمر وصدرها من العنبر الاشهب وقوائمها من الزبرجد الاخضر و
زمامها من الياقوت الاصفر وجنبها الايمن من الذهب وجنبها الايسر من الفضة وضرعها من اللؤلؤ
فقال عليه السلام يا سلمان اشرب من لبنها قال سلمان فالتقمت الضرع فاذا هي تحلب عسلا صافيا
محضا فقلت يا سيدي هذه لمن قال عليه السلام هذه لك ولسائر الشيعة من اوليائي ثم قال عليه السلام
لها ارجعي الى الصخرة فرجعت من الوقت وسار بي في تلك الجزيرة حتى ورد بي الى شجرة عظيمة وفي
اصلها مائدة عظيمة عليها الطعام يفوح منه رائحة المسك فاذا بطائر في صورة النسر العظيم قال سلمان
رضي الله عنه فوثب ذلك الطائر فسلم عليه صلوات الله عليه ورجع الى موضعه فقلت يا امير المؤمنين
ما هذه المائدة فقال عليه السلام هذه منصوبة في هذا المكان للشيعة من موالي الى يوم القيمة فقلت
ما هذا الطائر قال عليه السلام ملك موكل بها الى يوم القيمة فقلت وحده يا سيدي فقال عليه السلام
يجتاز به الخضر عليه السلام في كل يوم مرة ثم قبض عليه السلام على يدي وسار الى بحر ثان فعبرنا واذا جزيرة
عظيمة فيها قصر لبنة من ذهب ولبنة من فضة بيضاء وشرفه من عقيق اصفر وعلى كل ركن من القصر
سبعون صفا من الملائكة فاتوا وسلموا ثم اذن لهم فرجعوا الى مواضعهم قال سلمان رحمه الله ثم
دخل امير المؤمنين عليه السلام القصر فاذا فيه اشجار واثمار وانهار واطيار والوان النبات فجعل الامام
عليه السلام يمشي فيه حتى وصل الى آخره فوقف عليه السلام على بركة كانت في البستان ثم صعد لاعلى القصر فاذا
قصه
كرسي من الذهب الاحمر فجلس عليه عليه السلام واشرفنا على القصر فاذا بحر اسود يغطمط امواجه كالجبال
الراسيات فنظر عليه السلام شزرا فسكن من غليانه حتى كان كالمذنب فقلت يا سيدي سكن البحر من
غليانه

غليانه لما نظرت اليه فقال عليه السلام خشي ان امر فيه بامر اتدري يا سلمان اي بحر هذا فقلت لا يا سيدي
فقال عليه السلام هذا الذي غرق فيه فرعون وملؤه المدينة حملها بجناح جبرئيل عليه السلام ثم زج بها في
هذا البحر فهو يهوي لا يبلغ قراره الى يوم القيمة فقلت يا امير المؤمنين هل سرنا فرسخين فقال عليه السلام
يا سلمان لقد سرت خمسين الف فرسخ ودرت حول الدنيا عشر مرات فقلت يا سيدي وكيف
هذا قال عليه السلام اذا كان ذو القرنين طاف شرقها وغربها وبلغ الى سد ياجوج وماجوج
فانى يتعذر علي وانا امير المؤمنين وخليفة رب العالمين يا سلمان اما قرات قول الله عز وجل
حيث يقول عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فقلت بلى يا امير المؤمنين
فقال عليه السلام انا ذلك المرتضى من الرسول الذي اظهره الله عز وجل على غيبه انا العالم الرباني انا
الذي هون الله علي الشدائد فطوى له البعيد قال سلمان رضي الله عنه فسمعت صائحا يصيح
في السماء اسمع الصوت ولا ارى الشخص وهو يقول صدقت صدقت انت الصادق المصدق
صلوات الله عليك قال ثم نهض عليه السلام وركب الفرس وركبت معه وصاح بهما فطارا في
الهواء ثم حطونا على باب الكوفة هذا كله وقد مضى من الليل ثلث ساعات فقال عليه السلام لي يا
كل الولايه
سلمان الويل لمن لا يعرفنا حق معرفتنا وانكر ولايتنا ايما افضل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ام
سليمان عليه السلام قلت بل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال عليه السلام فهذا آصف بن
برخيا قدر ان يحمل عرش بلقيس من فارس بطرفة عين وعنده علم من الكتاب ولا افعل انا
ذلك وعندي مائة كتاب واربعة وعشرون كتابا انزل الله تعالى على شيث بن آدم عليه السلام خمسين
صحيفة وعلى ادريس النبي ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عليه السلام عشرين صحيفة والتورية والانجيل و
الزبور والفرقان فقلت صدقت يا امير المؤمنين هكذا يكون الامام عليه السلام فقال عليه السلام
ان الشاك في امورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا قد فرض الله عز وجل ولايتنا في
كتابه في غير موضع وبين فيه ما وجب العمل به وهو غير مكشوف وفي الكتاب المذكور وعن الاصبغ
بن نباتة قال كنت يوما مع مولانا امير المؤمنين عليه السلام اذ دخل عليه نفر من اصحابه منهم ابو موسى
الاشعري وعبد الله بن مسعود وانس بن مالك وابو هريرة والمغيرة بن شعبة وحذيفة بن
اليمان وغيرهم فقالوا يا امير المؤمنين ارنا شيئا من معجزاتك التي خصك الله بها فقال عليه السلام

ما انتم وذلك وما سؤالكم عما لا ترضون به والله تعالى يقول وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني اني لا
اعذب احدا من خلقي الا بحجة وبرهان وعلم وبيان لان رحمتي سبقت غضبي وكتبت الرحمة علي فانا
الراحم الرحيم وانا الودود العلي وانا المنان العظيم وانا العزيز الكريم فاذا ارسلت رسولا اعطيته
برهانا وانزلت عليه كتابا فمن امن بي وبرسولي فاولئك هم المفلحون الفائزون ومن كفر بي و
برسولي فاولئك هم الخاسرون الذين استحقوا عذابي فقالوا يا امير المؤمنين نحن امنا بالله وبرسوله
وتوكلنا عليه فقال علي عليه السلام اللهم اشهد على ما يقولون وانا العليم الخبير بما يعملون ثم قال
عليه السلام قوموا على اسم الله وبركاته قال فمشينا معه حتى اتى بالجبانة ولم يكن في ذلك الموضع ماء فنظرنا
فاذا روضة خضراء ذات ماء واذا في الروضة غدران وفي الغدران حيتان فقلنا والله انها
لدلالة الامامة فارنا غيرها يا امير المؤمنين والا فقد ادركنا بعض ما اردنا فقال عليه السلام حسبي الله
ونعم الوكيل ثم اشار بيده العليا نحو الجبانة فاذا قصور كثيرة مكللة بالدر والياقوت والجواهر
وابوابها من الزبرجد الاخضر واذا في القصور حور وغلمان وانهار واشجار وطيور ونبات
كثير فبقينا متحيرين متعجبين واذا وصايف وجواري وولدان وغلمان كاللؤلؤ المكنون فقالوا
يا امير المؤمنين لقد اشتد شوقنا اليك والى شيعتك واوليائك فاومى اليهم بالسكوت ثم
ركض الارض برجله عليه السلام فانفلقت الارض عن منبر من ياقوت احمر فارتقى اليه فحمد الله و
اثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال غضوا اعينكم فغمضنا اعيننا فسمعنا
حفيف اجنحة الملائكة بالتسبيح والتحميد والتهليل والتعظيم والتقديس ثم قاموا بين يديه قالوا
مرنا بامرك يا امير المؤمنين وخليفة رب العالمين صلوات الله عليك فقال عليه السلام يا ملائكة
ربي ائتوني الساعة بابليس الابالسة وفرعون الفراعنة قال فوالله ما كان باسرع من طرفة
عين حتى احضروه عنده فقال عليه السلام ارفعوا اعينكم قال فرفعنا اعيننا ونحن لا نستطيع ان
ننظر اليهم من شعاع نور الملائكة فقلنا يا امير المؤمنين الله الله في ابصارنا فما ننظر شيئا البتة
وسمعنا صلصلة السلاسل واصطكاك الاغلال وهبت ريح عظيمة فقالت الملائكة يا خليفة
الله زد للملعون لعنة وضاعف عليه العذاب فقلنا يا امير المؤمنين الله الله في ابصارنا و
مسامعنا فوالله ما نقدر على احتمال هذا السر والقدر قال فلما جروه بين يديه قام وقال

وادي

ظ انت

واولياؤه من ظلم آل محمد واياه من اجترأ عليهم ثم قال يا سيدي ارحمني فاني لا احتمل هذا
العذاب فقال عليه السلام لا رحمك الله ولا غفر لك ايها الرجس النجس الخبيث الشيطان ثم التفت
الينا وقال عليه السلام انتم تعرفون هذا باسمه وجسمه قلنا نعم يا امير المؤمنين فقال عليه السلام
سلوه حتى يخبركم من هو فقالوا من انت فقال انا ابليس الابالسة وفرعون هذه الامة انا الذي
جحدت سيدي ومولاي امير المؤمنين وخليفة رب العالمين وانكرت اياته ومعجزاته ثم
قال امير المؤمنين عليه السلام يا قوم غضوا اعينكم فغمضنا اعيننا فتكلم عليه السلام بكلام خفي فاذا
نحن في الموضع الذي كنا فيه لا قصور ولا ماء ولا غدران ولا اشجار قال الاصبغ بن نباتة
رضي الله عنه والذي اكرمني بما رايت من تلك الدلائل والمعجزات ما تفرق القوم حتى ارتابوا و
شكوا وقال بعضهم سحر وكهانة وافك فقال عليه السلام ان بني اسرائيل لم يعاقبوا ولم يمسخوا
الا بعد ما سالوا الايات والدلالات فقد حلت عقوبة الله بهم والان حلت لعنة الله فيكم و
عقوبته عليكم قال الاصبغ بن نباتة رضي الله عنه اني ايقنت ان العقوبة حلت بكفرهم
الدلالات والمعجزات وفي المناقب قد روى علماء واسط انه لما رفع اللعين حبل خطيب في واسط المعز
فاذا بنور عبر الشط وشق السور ودخل المدينة واتى الجامع وصعد المنبر ونظر الخطيب فقتله بها و
غاب عن اعين الناس فسد الباب الذي دخل منه واثره ظاهر وسموه باب النور وفي
عيون المعجزات عن المفيد قال كنت مع امير المؤمنين عليه السلام وقد اراد حرب معوية فنظر الى
جمجمة في جانب الفلاة وقد اتت عليها الازمنة فمر عليها امير المؤمنين عليه السلام فدعاها فاجابته
بالتلبية وتدحرجت بين يديه وتكلمت بكلام فصيح فامرها بالرجوع فرجعت الى مكانها فلما فرغ
من حرب النهروان ابصرنا جمجمة نخرة بالية فقال هاتوها فحركها بسوطه وقال اخبريني من انت
فقيرا ام غني شقي ام سعيد ملك ام رعية فقالت بلسان فصيح السلام عليك يا امير المؤمنين انا
كنت ملكا ظالما وانا ابرويز بن هرمز ملك الملوك ملكت مشارقها ومغاربها سهلها وجبلها
برها وبحرها انا الذي اخذت الف مدينة في الدنيا وقتلت الف ملك من ملوكها يا امير
المؤمنين انا الذي بنيت خمسين مدينة وافتضضت خمسمائة الف جارية بكرا واشتريت
الف عبد تركي والف ارمني والف رومي والف زنجي وتزوجت بسبعين من بنات الملوك وما

امير المؤمنين م

بر م

ملك في الارض الا علبته وظلم اهله فلما جاءني ملك الموت قال لي يا ايها الطاغي خالف الحق فتزلزلت
اعضائي وارتعدت فرائصي وعرض على اهل حبسي فاذا هم سبعون الف من اولاد الملوك قد
شقوا من حبسي فلما رفع ملك الموت روحي بكى اهل الارض من ظلمي فانا معذب في النار ابد الابدين
قد وكل الله بي سبعين الف من الزبانية في يد كل منهم مرزبة من نار لو ضرب بها جبال الارض لاحترقت
الجبال فتدكدكت وكلما ضربني الملك بواحدة من تلك المرازب اشتعل في النار واحترق فيحييني الله
عز وجل ويعذبني بظلمي على عباده ابد الابدين وكذلك وكل الله تعالى بعدد كل شعرة في بدني حية تلسعني
وعقربا تلدغني فيقولون لي الحيات والعقارب هذا جزاء ظلمك على عباده ثم سكتت الجمجمة فبكى جميع
عسكر امير المؤمنين عليه السلام وضربوا على رؤسهم وقالوا يا امير المؤمنين جهلنا حقك بعدما اعلمنا رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم وانما خسرنا حقنا وضيعنا فيك والا انت ما ينقص منك شيء فاجعلنا
في حل مما فرطنا فيك ورضينا بغيرك على مقامك فانا نادمون فامر عليه السلام بتغطية الجمجمة فعند
ذلك وقف ماء النهروان من الجري وصعد على وجه الماء كل سمك وحيوان كان في النهر فتكلم كل
واحد منهم مع امير المؤمنين عليه السلام ودعا له وشهد له بامامته وفي تفسير النجم قال لما امر المعتصم ان
يحفر بالبطانية بئر فحفروا ثلثمائة قامة فلم يظهر الماء فتركه ولم يحفره فلما ولي المتوكل امر ان يحفر
ذلك البئر ابدا حتى يبلغ الماء فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة حتى انتهوا الى صخرة فضربوها
بالمعول فانكسرت فخرج عليهم منها ريح باردة فمات من كان بقربها فاخبروا المتوكل بذلك
فلم يعلم ما ذلك فقالوا اسأل ابن الرضا عن ذلك وهو ابو الحسن علي بن محمد العسكري صلوات
الله عليه فكتب يسئله عن ذلك فقال ابو الحسن عليه السلام تلك بلاد الاحقاف وهم قوم عاد الذين
اهلكهم الله بالريح الصرصر وفي خبر اخر في البحر رجلان في شق جبل فقال الشرقي يحيب
هذا ما هو قلت في شق جبل لكنا مليا ثم حركا الجبل فاصعد فقال لهما ما رايتما قالا امرا عظيما
رجالا ونساء وبيوتا وانية ومتاعا كل ممسوخ من حجارة فاما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم فمن
بين قاعد ومضطجع ومتكئ فلما مسسناهم اذا ثيابهم تتفشى شبه الهباء وسنا زلها ثم
وعن الصادق عليه السلام قال سال بعض اليهود امير المؤمنين عليه السلام عن حوت طاف اقطار
الارض بصاحبه فقال يا يهودي فان الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر القلزم

دلي

ثم خرج الى بحر مصر ثم دخل الى بحر طبرستان ثم خرج في دجلة العوراء قال ثم مرت به تحت الارض
حتى لحقت بقارون وكان قارون هلك في ايام موسى ووكل الله به ملكا يدخله في الارض كل
يوم قامة رجل وكان يونس في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره فسمع قارون صوته فقال للملك
الموكل به انظرني فاني اسمع كلام ادمي فاوحى الله الى الملك انظره فانظره ثم قال قارون من انت
قال يونس انا المذنب الخاطي يونس بن متى قال له فما فعل شديد الغضب لله موسى بن عمران قال
هيهات هلك قال فما فعل الرؤف الرحيم على قومه هرون بن عمران قال له هلك قال له فما فعلت كلثم
بنت عمران التي كانت سميت لي قال هيهات ما بقي من ال عمران احد فقال قارون واسفا على
ال عمران فشكر الله له ذلك فامر الله الملك الموكل به ان يرفع عنه العذاب ايام الدنيا فرفع عنه
وصل في الاكمال عن يحيى بن ابي حجة قال سمعت اسحق بن ابرهيم الطوسي وقد اتى عليه سبعة
وتسعون سنة على باب يحيى بن منصور قال رايت سرباتك ملك الهند في بلد تسمى صوح
فسالناه كم اتى عليك من السنين قال تسعمائة سنة وخمس وعشرون سنة وهو مسلم فزعم ان
النبي صلى الله عليه واله وسلم انفذ اليه عشرة من اصحابه منهم حذيفة بن اليمان وعمرو بن العاص
واسامة بن زيد وابو موسى الاشعري وصهيب الرومي وسفينة وغيرهم يدعونه الى الاسلام
فاجاب واسلم وقبل كتاب النبي صلى الله عليه واله وسلم فقلت له كيف تصلي مع هذا الضعف فقال
لي قال الله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الاية فقلت له ما طعامك
فقال اكل ماء اللحم والكراث وسالته هل يخرج منك شيء فقال في كل اسبوع مرة في يسير وسالته
عن اسنانه فقال ابدلتها عشرين مرة ورايت له في اصطبله شيئا من الدواب اكبر
من الفيل يقال له زندهبيل فقلت له ما تصنع بهذا قال يحمل ثياب الخدم الى القصار ومملكته
مسيرة اربع سنين في مثلها ومدينته طولها خمسون فرسخا في مثلها وعلى كل باب عسكر في مائة
الف وعشرين الفا اذا وقع في احد الابواب حرب خرجت تلك الفرقة الى الحرب لا
تستعين بغيرها وهو في وسط المدينة وسمعته يقول دخلت المغرب فبلغت الى الرمل رمل
عالج وصرت الى قوم موسى فرايت سطوح بيوتهم مستوية وبيدر الطعام خارج القرية
ياخذون منه القوت والباقي يتركونه هنالك وقبورهم في دورهم وبساتينهم من المدينة على

في

فرسخين ليس فيهم شيخ ولا شيخة ولم ار فيهم علة ولا يعتلون الى ان يموتوا ولهم اسواق اذا اراد الانسان
منهم شرا شيء صار الى السوق فوزن لنفسه واخذ ما يصيبه وصاحبه غير حاضر واذا ارادوا
الصلوة حضروا فصلوا وانصرفوا ولا يكون بينهم خصومة ولا كلام يكره الا ذكر الله عز وجل والصلوة
وذكر الموت وفي كتاب سر العالمين للغزالي قدس سره واما قصة زعيم بن طعام ففيه
عجيبة فانه اراد ان ينظر الى منبع النيل فلم يزل يسير حتى وجد الخضر عليه السلام فقال له ستدخل
مواضع ثم اعطاه علامتها فوصل الى جبل وفيه قبة من ياقوت على اربعة اعمدة والنيل يخرج
من تحتها وفيه فاكهة لا يتغير فارتقيت الى راس الجبل فرايت وراءه بساتين وقصورا ودورا
ومياها غزيرة وكنت شيخا ابيض الشعر فهب علي نسيم سود شعري واعاد شبابي فنوديت
من تلك القصور الينا يا زعيم الينا فهذه دار المتقين محبي الخضر عليه السلام وسمعني فهذا
سر قوله صلى الله عليه واله وسلم سبعة انهار من الجنة جيحون وسيحون ودجلة والفرات و
النيل وعين ما الديون وبالمقدس عين سلوان واعجب من هذا الحديث حديث بلوقيا و
عفان وحديثهما طويل واشارة منه كافية فقد بلغ من سفرهما حتى وصلا الى المكان الذي
فيه النبي سليمن فتقدم بلوقيا الى سليمان لياخذ الخاتم من اصبعه فنفخ فيه التنين الموكل
معه فاحرقه فضربه عفان بقاذورة فاحياه ثم رمى به ثانية وثالثة واحياه بعد ثلث حتى
بدت رابعة فاحترق وهلك فخرج عفان وهو يقول اهلك الشيطان الشيطان فناداه
التنين ادنانت وجدته فهذا الخاتم لا يقع الا في يد محمد اذا بعث فقيل له ان اهل الملا الاعلى
قد اختلفوا في فضلك وفضل الانبياء قبلك فاختارك الله على الانبياء وقال عفان لم
ابت فانتزعت خاتم سليمان فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاخذه رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم فاعطاه عليا عليه السلام فوضعه في اصبعه فحضر الطير والجان والناس
شاهدون ويشهدون فلما كانوا في صلوة الظهر تصور جبرئيل بصورة سائل طاف بين
الصفوف فبينما في الركوع اذ وقف السائل من وراء علي طالبا فاشار علي عليه السلام بيده فطار
الخاتم الى السائل فضجت الملئكة تعجبا فجاء جبرئيل مهنئا وهو يقول انتم اهل بيت نعم الله
عليكم الذين اذهب عنكم الرجس اهل البيت وطهركم تطهيرا فاخبر النبي صلى الله عليه واله وسلم
بذلك

بذلك عليا فقال علي عليه السلام ما نصنع بنعيم زائل وملك حائل ودنيا حلالها حساب وحرامها
عقاب اتق وامثال هذه الحكايات العجيبة والقصص الغريبة اكثر من ان يحصى سيما عن ائمتنا
المعصومين وحديث مدينة الصاحب عليه السلام في الجزيرة الخضراء في البحر الابيض ومملكته واولاده
في الدفاتر مسطور وفيما بين الناس مشهور

الباب الحادي والعشرون في طرف من غرائب الصنائع الانسانية باذن الله تعالى

في الاكمال عن ابي وائل قال ان رجلا
يقال له قلابة خرج في طلب ابل له قد شردت فبينا هو في صحاري عدن في تلك الفلوات
اذ هو قد وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها
ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه و
دخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا بناء اعظم منهما ولا اطول واذا
خشبهما من طيب عود وعليهما نجوم من ياقوت اصفر وياقوت احمر ضوءها قد ملأ المكان
فلما راى ذلك اعجبه ففتح احد البابين ودخل فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا
هو بقصور كل قصر منها معلق تحته اعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف و
فوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعلى كل باب من
ابواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب المدينة من عود طيب قد نضدت عليه اليواقيت
وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما راى ذلك ولم ير هناك
احدا فزع من ذلك ونظر الى الازقة واذا في كل زقاق منها اشجار قد اثمرت تحتها انهار تجري فقال
هذه الجنة التي وصف الله لعباده في الدنيا فالحمد لله الذي ادخلني الجنة فحمل من لؤلؤها ومن بنادقها
المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها لانه كان مثبتا
في ابوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران بمنزلة الرمل في تلك القصور
والغرف كلها فاخذ منها ما اراد وخرج حتى اتى ناقته وركبها ثم سار يقفو اثره حتى رجع الى اليمن
واظهر ما كان معه واعلم الناس امره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير من طول
ما مر عليه من الليالي والايام فشاع خبره وبلغ معوية بن ابي سفيان فارسل رسولا الى صاحب
صنعا وكتب باشخاصه فشخص حتى قدم على معوية فخلا به وساله عما عاين فقص عليه امر المدينة وما راى

عبد الله بن م

سورها م

المقشر م

فيها وعرض عليه ما حمل منها من اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال والله ما اعطي سليمان بن
داود مثل هذه المدينة فبعث معوية الى كعب الاحبار فدعا فقال له يا ابا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة
مبنية بالذهب والفضة وعمدها زبرجد وياقوت وحصا قصورها وغرفها اللؤلؤ وانهارها في
الازقة تجري تحت الاشجار قال كعب اما هذه المدينة فصاحبها شداد بن عاد الذي بناها و
اما المدينة فهي ارم ذات العماد وهي التي وصفها الله عز وجل في كتابه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وذكر انه لم يخلق مثلها في البلاد قال معوية حدثنا بحديثها فقال ان عاد الاولى وليس بعاد قوم
هود كان له ابنان سمي احدهما شديدا والاخر شدادا فهلك عاد وبقيا وملكا وقهرا و
اطاعهما الناس في الشرق والغرب فمات شديد وبقي شداد فملك وحده لم ينازعه احد
وكان مولعا بقراءة الكتب وكان كلما سمع بذكر الجنة وما فيها من البنيان والياقوت و
الزبرجد واللؤلؤ رغب ان يفعل مثل ذلك في الدنيا عتوا على الله عز وجل فجعل على صنعتها
مائة رجل تحت كل واحد منهم الف من الاعوان فقال انطلقوا الى اطيب فلاة في الارض واوسعها
فاعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ واصنعوا تحت تلك المدينة اعمدة
من زبرجد وعلى المدينة قصورا وعلى القصور غرفا وفوق الغرف غرفا واغرسوا تحت تلك
القصور في ازقتها اصناف الثمار كلها واجروا فيها الانهار حتى تكون تحت اشجارها فاني
ارى في الكتب صفة الجنة وانا احب ان اجعل مثلها في الدنيا قالوا له كيف نقدر على ما وصفت
لنا من الجواهر والذهب والفضة حتى يمكننا ان نبني مدينة كما وصفت قال شداد الا تعلمون ان
ملك الدنيا بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل معدن من معادن الجواهر والذهب والفضة
فوكلوا بها حتى تجمعوا ما تحتاجون اليه وخذوا جميع ما تجدونه في ايدي الناس من الذهب و
الفضة وكتبوا الى كل ملك في الشرق والغرب فجعلوا يجمعون انواع الجواهر عشر سنين فبنوا له
هذه المدينة في مدة ثلثمائة سنة وعمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه واخبروه بفراغهم منها قال
انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم ليكون في
كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي فرجعوا وعملوا ذلك كله ثم اتوه فاخبروه بالفراغ منها
كما امرهم فامر الناس بالتجهيز الى ارم ذات العماد فاقاموا في جهازهم اليها عشر سنين ثم سار الملك

يريد

يريد ارم فلما كان من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى جميع من كان معه صيحة
من السماء فاهلكتهم ولا دخل ارم ولا احد ممن كان معه فهذه صفة ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها
في البلاد واني لاجد في الكتب ان رجلا يدخلها ويرى ما فيها ثم يخرج فيحدث الناس بما رأى فلا
يصدق وسيدخلها اهل الدين في اخر الزمان وقيل وجدت في كتاب المعمرين انه حكى عن
هشام بن سعد الرجال قال وجدنا حجرا بالاسكندرية مكتوب فيها انا شداد بن عاد انا الذي
شدت العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وجندت الاجناد وشددت بساعدي الواد فبنيتهن
اذ لا شيب ولا موت واذ الحجارة في اللين مثل الطين وكنزت كنزا في البحر على اثني عشر منزلا لن
يخرجه احد حتى يخرجه امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي رواية ان العامر ان هذه المدينة
بين سبا وحضرموت وان شداد جعل طولها اثني عشر فرسخا وعرضها مثل ذلك وصير سورها
عاليا مشرفا وبنى فيها الثلثمائة الف قصر بعضها بواطنها وظواهرها باصناف الجواهر ثم بنى لنفسه
على شاطئ ذلك النهر قصرا منيفا عاليا يشرف على تلك القصور كلها وجعل ارتفاع البيوت والسور
ثلثمائة ذراع وجعل تراب المدينة من المسك والزعفران واجرى انهارا في السكك والشوارع و
امر بحافتي النهر والسواقي فطليت بالذهب الاحمر وجعل حصاه انواع الجواهر الاحمر والاصفر و
الاخضر ونصب على حافتي النهر والسواقي اشجارا من الذهب وجعل ثمارها من الجواهر واليواقيت
ولما فرغ الموكلون ببنائها اخبروه بالفراغ منها فعزم على الخروج اليها في جنوده وخرج في
ثلثمائة الف رجل من اهل بيته وخلف على ملكه مرثد بن شداد فلما انتهى الى قرب المدينة جاءته
صيحة من السماء ومات هو واصحابه وجميع من كان معه واخفاها الله تعالى لم يدخلها بعد ذلك الا
رجل واحد في ايام معوية وفي الاكمال عن ابي القاسم محمد بن القاسم المصري ان ابا الحسن حماد وزير
احمد بن طولون كان قد فتح الله عليه من كنوز مصر بالبرزخ قاصده قبله فاوى به الهرمين فاشار عليه
ثقاته وحاشيته وبطانته ان لا يتعرض لهدم الاهرام فانه ما تعرض احد لها فطال عمره فلج في ذلك وامر
الف من الفعلة ان يطلبوا الباب فكانوا يعملون سنة حول الهرم حتى ضجروا وكلوا فلما هموا بالانصراف بعد
الاياس منه وترك العمل وجدوا سربا فقدروا انه الباب الذي طلبوه فلما بلغوا اخره وجدوا بلاطة
قائمة من مرمر فقدروا انها الباب فاحتالوا فيها الى ان قلعوها واخرجوها فاذا عليها كتابة

فيها وعرض عليه ما حمله منها من اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال والله ما اعطي سليمان بن
داود مثل هذه المدينة فبعث معوية الى كعب الاحبار فدعا فقال له يا ابا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة
مبنية بالذهب والفضة وعمدها زبرجد وياقوت وحصا قصورها وغرفها اللؤلؤ وانهارها في
الازقة تجري تحت الاشجار قال كعب اما هذه المدينة فصاحبها شداد بن عاد الذي بناها و
اما المدينة فهي ارم ذات العماد وهي التي وصفها الله عز وجل في كتابه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه واله وسلم
وذكر انه لم يخلق مثلها في البلاد قال معوية حدثنا بحديثها فقال ان عاد الاولى وليس بعاد قوم
هود كان له ابنان سمي احدهما شديدا والاخر شدادا فهلك عاد وبقيا وملكا وتجبرا و
اطاعهما الناس في الشرق والغرب فمات شديد وبقي شداد فملك وحده لم ينازعه احد
وكان مولعا بقراءة الكتب وكان كلما سمع بذكر الجنة وما فيها من البنيان والياقوت و
الزبرجد واللؤلؤ رغب ان يفعل مثل ذلك في الدنيا عتوا على الله عز وجل فجعل على صنعتها
مائة رجل تحت كل واحد منهم الف من الاعوان فقال انطلقوا الى اطيب فلاة في الارض واوسعها
فاعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ واصنعوا تحت تلك المدينة اعمدة
من زبرجد وعلى المدينة قصورا وعلى القصور غرفا وفوق الغرف غرفا واغرسوا تحت تلك
القصور في ازقتها اصناف الثمار كلها واجروا فيها الانهار حتى تكون تحت اشجارها فاني
ارى في الكتب صفة الجنة وانا احب ان اجعل مثلها في الدنيا قالوا والله كيف نقدر على ما وصفت
لنا من الجواهر والذهب والفضة حتى يمكننا ان نبني مدينة كما وصفت قال شداد الا تعلمون ان
ملك الدنيا بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل معدن من معادن الجواهر والذهب والفضة
فوكلوا بها حتى تجمعوا ما تحتاجون اليه وخذوا جميع ما تجدونه في ايدي الناس من الذهب و
الفضة وكتبوا الى كل ملك في الشرق والغرب فجعلوا يجمعون انواع الجواهر عشر سنين فبنوا له
هذه المدينة في مدة ثلثمائة سنة وعمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه واخبروه بفراغهم منها قال
انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم يكون في
كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائه ففرضوا وعملوا ذلك كله ثم اتوه فاخبروه بالفراغ منها
كما امرهم فامر الناس بالتجهيز الى ارم ذات العماد فاقاموا في جهازهم اليها عشر سنين ثم سار الملك

يريد

يريد ارم فلما كان من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى جميع من كان معه صيحة
من السماء فاهلكتهم ولا دخل ارم ولا احد ممن كان معه فهذه صفة ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها
في البلاد واني لاجد في الكتب ان رجلا يدخلها ويرى ما فيها ثم يخرج فيحدث الناس بما رأى فلا
يصدق وسيدخلها اهل الدين في اخر الزمان وقيل وجدت في كتاب المعمرين انه حكي عن
هشام بن سعد الرحال قال وجدنا حجرا بالاسكندرية مكتوب فيها انا شداد بن عاد انا الذي
شيدت العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وجندت الاجناد وشددت بساعدي الواد فبنيتهن
اذ لا شيب ولا موت واذ الحجارة في اللين مثل الطين وكنزت كنزا في البحر على اثني عشر منزلا لن
يخرجه احد حتى يخرجه امة محمد صلى الله عليه واله وسلم انتهى وفي رواية العامة ان هذه المدينة
بين حضرموت وان شداد جعل طولها اثني عشر فرسخا وعرضها مثل ذلك وصير سورها
عاليا مشرفا وبنى فيها ثلثمائة الف قصر مفضضا بواطنها وظواهرها باصناف الجواهر وبنى لنفسه
على شاطئ ذلك النهر قصرا منيفا عاليا مشرفا على تلك القصور كلها وجعل ارتفاع البيوت والسور
ثلثمائة ذراع وجعل تراب المدينة من المسك والزعفران واجرى انهارا في السكك والشوارع و
امر بحفر النهر والسواقي فطليت بالذهب الاحمر وجعل حصاه انواع الجواهر الاحمر والاصفر و
الاخضر ونصب على حافتي النهر والسواقي اشجارا من الذهب وجعل ثمارها من الجواهر واليواقيت
ولما فرغ الموكلون ببنائها اخبروه بالفراغ منها فعزم على الخروج اليها في جنوده وخرج في
ثلثمائة الف رجل من اهل بيته وخلف على ملكه مرثد بن شداد فلما انتهى الى قرب المدينة جاءته
صيحة من السماء ومات هو واصحابه وجميع من كان معه واخفاها الله تعالى لم يدخلها بعد ذلك الا
رجل واحد في ايام معوية وفي الاكمال عن ابي القاسم محمد بن القاسم البصري ان ابا الحسن حماد بن
احمد بن طولون كان قد فتح الله عليه من كنوز مصر ما لم يرزق احد قبله فاغري بالاهرام فاشار عليه
ثقاته وحاشيته وبطانته ان لا يتعرض لهدم الاهرام فانه ما تعرض احد لها فطال عمره فلج في ذلك وامر
الفا من الفعلة ان يطلبوا الباب فكانوا يعملون سنة حول الهرم حتى ضجروا وكلوا فلما هموا بالانصراف بعد
الاياس منه وترك العمل وجدوا سربا فقدروا انه الباب الذي طلبوه فلما بلغوا اخره وجدوا بلاطة
قائمة من مرمر فقدروا انها الباب فاحتالوا فيها الى ان قلعوها واخرجوها فاذا عليها كتابة

بحيال

شيدت ار

باليونانية فجمعوا حكماء مصر وعلماءها من سائر الادباء فلم يهتدوا اليها وكان في القوم رجل يعرف
بابي عبد الله المدني احد حفاظ الدنيا وعلمائها فقال لابي الحسن حمارويه بن احمد اعرف في بلد الحبشة
اسقفا قد عمر واتى عليه ثلثمائة وستون سنة يعرف هذا الخط وقد كان عزم على ان يعلمنيه فلحرصي
على علم العرب لم اقم عليه وهو باق فكتب ابو الحسن الى ملك الحبشة يسأله ان يحمل هذا الاسقف
اليه فاجابه ان هذا شيخ قد طعن في السن وحطمه الزمان وانما يحفظه بهذا الهواء وهذا الاقليم
ويخاف عليه ان نقل الى هواء اخر واقليم اخر ولحقته حركة وتعب ومشقة السفر ان يتلف وفي بقائه
لنا شرف وفرح وسكينة فان كان لكم شيء يقرأه ويفسره او مسألة تسألونه فاكتب بذلك
فحملت البلاطة في قارب الى بلد اسوان من الصعيد الاعلى وحملت من اسوان على العجل الى بلد الحبشة
بلاد م
وهي قريبة من اسوان فلما وصلت قراها الاسقف وفسر ما كان فيها بالحبشية ثم نقلت الى
العربية فاذا فيها مكتوب انا الريان بن دومغ فسئل ابو عبد الله المدني عن الريان من كان
فقال هو والد العزيز ملك يوسف النبي واسم الوليد بن الريان بن دومغ وقد كان عمر
العزيز سبعمائة سنة وعمر الريان والد العزيز الف وسبعمائة سنة وعمر دومغ ثلاثة الاف سنة واذا فيها
انا الريان بن دومغ خرجت في طلب علم النيل لاعلم فيضه ومنبعه اذ كنت ارى مغيضه فخرجت
ومعي من صحبت اربعة الاف الف رجل فسرت ثمانين سنة الى ان انتهيت الى الظلمات والبحر
المحيط بالدنيا فرأيت النيل يقطع البحر المحيط ويعبر فيه ولم يكن لي منفذ وتماوت اصحابي وبقيت في
اربعة الاف رجل فخشيت على ملكي فرجعت الى مصر وبنيت الاهرام والبرابي وبنيت الهرمين و
اودعتهما كنوزي وذخائري وقلت في ذلك شعرا وهو • وادرك علمي بعض ما هو كائن • ولا
علم لي بالغيب والله اعلم • واتقنت ما حاولت اتقان صنعه • واحكمته والله اقوى واحكم • وحاولت
علم النيل من بدء فيضه • فاعجزني والمرء بالعجز ملجم • ثمانين شاهورا قطعت مسالكا • وحولي
بنو حجر وجيش عرمرم • الى ان قطعت الجن والانس كلهم • وعارضني لج من البحر مظلم • فايقنت
ان لا منفذ لي بعد مقطعي • لذي همة بعدي ولا متقدم • فابت الى ملكي وارسيت ثاويا • بمصر و
للايام بؤس وانعم • انا صاحب الاهرام في مصر كلها • وباني براببها بها والمقدم • تركت بها آثار
كفي وحكمتي • على الدهر لا تبلى ولا تتهدم • وفيها كنوز جمة وعجائب • وللدهر امر مرة وتهجم •

سيفتح

سيفتح اقفالي ويبدي عجائبي • ولي لربي آخر الدهر يرحم • باكناف بيت الله تبدو اموره • فلا بد ان
يعلو ويسمو به السم • ثمان وتسع واثنتان واربع • وتسعون اخرى من قتيل وملجم • ومن
بعد هذا كر تسعون تسعة • وتلك البرابي تخرب وتهدم • وتبدي كنوزي كلها غير انني •
ارى كل هذا ان يفرقها الدم • رمزت مقالي في صخور قطعتها • ستفنى وافنى بعدها ثم اعدم •
رمزت م
فحينئذ قال حمارويه بن احمد هذا شيء ليس لاحد فيه حيلة الا القيام من الله عليه السلام وردت
ابو الحسن م
البلاطة كما كانت الى مكانها وقتل ابو الحسن بعد ذلك بسنة قتله طاهر الخادم ذبحه على فراشه وهو
الوقت م
سكران ومن ذلك الوقت عرف خبر الهرمين ومن بناهما فهذا اصح ما يقال في خبر النيل والهرمين
اقول وفي القاموس الهرمان بناآن اوليان بمصر بناهما ادريس عليه السلام لحفظ العلوم فيهما عن
الطوفان او بناء سنان بن المشلشل او بناء الاوائل لما علموا بالطوفان من جهة النجوم وفيهما
كل طب وطلسم وهناك اهرام صغار وفي عجائب البلدان كل واحد من الهرمين جسم من اعظم
الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعا يحيط به اربعة
سطوح مثلثات متساويات الاضلاع كل ضلع منها اربعمائة ذراع وستون ذراعا وهو مع
هذا العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر من عصف الرياح و
هطل السحاب وزعزعة الزلازل وذكر انه مكتوب على الهرمين اني بنيتهما فمن يدعي قوة في ملكه
فليهدمهما فان الهدم ايسر من البناء وقد كسوناهما بالديباج فمن استطاع فليكسهما بالحصير
وفي كامل ابن عبد الله بن سليمان ان ذا القرنين امر قومه ان يبنوا له مسجدا فاجابوه الى ذلك
فامر ان يحفر طوله اربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض حائطه اثنين وعشرين ذراعا و
علوه الى السماء مائة ذراع فقالوا له يا ذا القرنين كيف لك بخشب يبلغ ما بين الحائطين فقال
لهم اذا فرغتم من بنيان الحائطين فاكبسوه بالتراب حتى يستوي الكبس مع حيطان المسجد
فاذا فرغتم من ذلك فرضتم على كل رجل من المؤمنين على قدره من الذهب والفضة ثم قطعتموه
مثل قلامة الظفر وخلطتموه مع ذلك الكبس وعملتم له خشبا من نحاس وصفائح من نحاس
ذلك وانتم متمكنون من العمل كيف شئتم على ارض مستوية فاذا فرغتم من ذلك دعوتم المساكين
لنقل ذلك التراب فيسارعون فيه من اجل ما فيه من الذهب والفضة فبنوا المسجد واخرج المساكين

ذلك التراب وقد استقل السقف بما فيه واستغنى الساكنين وضرب في خبر ذي القرنين انه لما بلغ
ما بين المشرق والمغرب عطف نحو الروم الذي ذكره الله عز وجل في كتابه فاذا هو بامة لا يكادون
يفقهون قولا واذا ما بينه وبين الروم سخوت من امة يقال لها ياجوج وماجوج ثم ساق الخبر في
وصفهم الى ان قال ثم انهم احتملوا في زمان ذي القرنين يدورون ارضا ارضا من الارضين
وامة امة من الامم وهم اذا توجهوا الوجه لم يعدلوا عنه ابدا ولا ينصرفون يمينا ولا شمالا ولا يلتفتون
فلما احست تلك الامم بهم وسمعوا بهمهمتهم استغاثوا بذي القرنين وذو القرنين يومئذ نازل
بناحيتهم واجتمعوا اليه فقالوا يا ذا القرنين انه قد بلغنا ما اتاك الله من الملك والسلطان
وما البسك الله من الهيبة وما ايدك به من جنود الارض ومن النور والظلمة وانا جيران ياجوج
وماجوج وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال وليس لهم الينا طريق الا من هذين الصدفين لو
مالوا علينا اجلونا عن بلادنا لكثرتهم حتى لا يكون لنا فيها قرار وهم خلق من خلق الله كثير فيهم
مشابه من الانس وهم اشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما
يفترسها السباع ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله
عز وجل وليس لله عز وجل خلق ينمو نماءهم وزيادتهم في العام الواحد فان كانت لهم مدة على ما
نرى من نمائهم وزيادتهم فلا شك انهم يملؤن الارض ويجلون اهلها منها ويفسدون ونحن
نخشى كل وقت ان يطلع علينا اوائلهم من هذين الجبلين وقد اتاك الله من الحيلة والقوة ما لم
يؤت احدا من العالمين فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي
خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما اتوني زبر الحديد قالوا ومن اين لنا من الحديد والنحاس
ما يسع هذا العمل الذي تريد ان تعمل قال اني سادلكم على معدن الحديد والنحاس فضرب لهم في جبلين
حتى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس قالوا فباي قوة نقطع الحديد والنحاس
فاستخرج لهم معدنا آخر من تحت الارض يقال له السامور وهو اشد شيء بياضا وليس شيء
منه يوضع على شيء الا ذاب تحته فصنع منه اداة يعملون بها وبه قطع سليمان بن داود اساطين بيت
المقدس وصخوره جاءت به الشياطين من تلك المعادن فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به فاوقدوا
على الحديد حتى صنعوا منه زبرا مثل الصخور فجعل حجارته من حديد ثم اذاب النحاس فجعله كالطين

لتلك

لتلك الحجارة ثم بنى وقاس بين الصدفين فوجد ما بين ذلك فرسخا فحفر له اساسا حتى كاد يبلغ الماء و
جعل عرضه ميلا وجعل حشوه زبر الحديد واذاب النحاس فجعله خلال الحديد فجعل طبقة من
نحاس وطبقة من حديد حتى ساوى الردم بطول الصدفين فصار كانه برد حبرة من صفرة
النحاس وحمرته وسواد الحديد فياجوج وماجوج ينتابونه في كل سنة مرة وذلك انهم يسيحون
في بلادهم حتى اذا وقعوا الى الردم حبسهم فرجعوا يسيحون في بلادهم فلا يزالون كذلك حتى
يقرب الساعة ويجيء اشراطها وهو قيام القائم فتحه الله عز وجل لهم وذلك قوله عز وجل حتى
اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون وفي عجائب البلدان من الاخبار المشهورة
حديث سلام الترجمان قال ان الواثق بالله راى في المنام ان السد الذي بناه ذو القرنين
بيننا وبين ياجوج وماجوج مفتوح فارعبه هذا المنام فاحضرني وامرني بالمشي الى السد
والنظر اليه والرجوع اليه بالخبر وضم الي خمسين رجلا ووصلني بخمسة آلاف درهم واعطاني
ديتي عشرة آلاف درهم ومائتي بغل تحمل الزاد والماء قال فخرجنا من سر من راى بكتاب الى صاحب
ارمينية اسحق بن اسمعيل وكان اسحق بمدينة تفليس فامر بانفاذنا وقضاء حوائجنا فكتب اسحق الى
صاحب السرير وصاحب السرير كتب الى طرخان صاحب اللان وصاحب اللان كتب الى فيلانشاه و
فيلانشاه كتب الى ملك الخزر وملك الخزر بعث معنا خمسة نفر من الادلاء فسرنا ستة وعشرين يوما
فوصلنا الى ارض سوداء منتنة الرائحة وكنا نحمل معنا اشياء لدفع غائلة رائحتها باشارة الادلاء
وسرنا في تلك الارض عشرة ايام ثم سرنا في بلاد خراب سرنا فيها سبعة وعشرين يوما فسألنا
عن الادلاء سبب خرابها فقالوا اخربها ياجوج وماجوج ثم سرنا الى حصن قريب من الجبل الذي
السد في شعب منه ومنه جزنا الى حصون اخر وبلاد ومدن فيها قوم مسلمون يتكلمون بالعربية
والفارسية ويقرؤون القرآن ولهم مساجد فسألونا من اين اقبلتم واين تريدون فاخبرناهم انا
رسل امير المؤمنين فاقبلوا يتعجبون ويقولون اشيخ ام شاب قلنا شاب فقالوا اين يسكن قلنا
بارض العراق في مدينة يقال لها سر من راى فقالوا ما سمعنا بهذا قط ثم سرنا واسعنا الى جبل املس
ليس عليه شيء من النبات واذا هو مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا فاذا عضادتان
مبنيتان مما يلي الجبل من جنبتي الوادي عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا الظاهر من تحتهما

فاذا جاء اشراطها م

خاوه م

عشرة اذرع خارج الباب كله مبني بلبن حديد مغيب في نحاس في سمك خمسين ذراعا الظاهر من
تحتها عشرة اذرع خارج الباب كله مبني بلبن واذا دروند حديد في طرفي العضادتين طوله مائة و
عشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحد مقدار عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع وفوق
الدروند بناء بلبن الحديد والنحاس الى راس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف حديد في
طرف كل شرفة قرنتين تنثني كل واحدة الى صاحبه واذا باب حديد ومصراعان معلقان عرض كل
مصراع ستون ذراعا في ارتفاع سبعين ذراعا في ثخن خمسة اذرع وقائمتاها في دوارة على قدر
الدروند وعلى الباب قفل طوله سبعة اذرع في غلظ باع وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون
ذراعا وفوق القفل بنحو خمسة اذرع غلق طوله اكثر من طول القفل وعلى الغلق مفتاح معلق
طوله سبعة اذرع له اربعة عشر دندانكا كل دندانكة اكبر من دستج الهاون معلق في سلسلة
طولها ثمانية اذرع في استدارة اربعة اشبار والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق و
ارتفاع عتبة الباب عشرة اذرع في بسط مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين والظاهر منها
خمسة اذرع وهذه الاذرع كلها ذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل يوم جمعة في
عشرة فارس مع كل فارس مرزبة من حديد فيجيئون الباب ويضرب كل واحد منهم القفل و
الباب ضربا قويا ليسمع من وراء الباب فيعلمون ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء
ان اولئك لم يحدثوا في الباب حدثا واذا ضرب الباب وضعوا اذانهم فيسمعون وراء الباب
دويا عظيما وبالقرب من الحصن حصن كبير يكون فرسخا في مثله يقال انه كان ياوي اليه الصناع
زمان العمل ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما مائتي ذراع في مثلها وعلى بابي هذين
الحصنين شجر كبير لا يدرى ما هو وبين الحصنين عين عذبة وفي احد الحصنين الة البناء
التي بني بها السد من قدور الحديد والمغارف وهناك بقية اللبن الحديد وقد التصق بعضه
ببعض من الصدأ واللبنة ذراع ونصف في سمك شبر قال فسالنا اهل تلك البلاد
هل رايتم احدا من ياجوج وماجوج فذكروا انهم راوا منهم عددا فوق الشرف ذات مرة فهبت ريح
سوداء فالقتهم اليهم فكان مقدار الواحد منهم في راي العين شبرا ونصفا فلما انصرفوا
فاخذنا الادلاء نحو جهة خراسان فسرنا حتى خرجنا خلف سمرقند بسبع فراسخ واخذنا طريق

العراق

العراق حتى وصلنا وكان من خروجنا من سر من راى الى رجوعنا اليها ثمانية وعشرين شهرا وفي
المجمع عن الجيهاني قال ومما عملته الشياطين بيت المقدس وقد كان الله عز وجل سلط على بني
اسرائيل الطاعون فهلك منهم خلق كثير في يوم واحد فامرهم داود ان يغتسلوا ويبرزوا الى
الصعيد بالذراري ويتضرعوا الى الله لعله يرحمهم وذلك الصعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد
وارتفع داود فوق الصخرة فخر ساجدا يبتهل الى الله سبحانه وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى
كشف الله عنهم الطاعون فلما شفع الله داود في بني اسرائيل جمعهم داود بعد ثلث وقال
لهم ان الله قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا بان تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه
مسجدا ففعلوا واخذوا في بناء بيت المقدس فكان داود ينقل الحجارة على عاتقه وكذلك
خيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة فاوحى الله الى داود ان
تمامه يكون على يد ابنه سليمن فلما صار ابن اربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان
فاحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض الصافي من
معادنه وامر ببناء المدينة من الرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل كل ربض
منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدا في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا
فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والاحجار من اماكنها وفرقة
ياتونه بالمسك والعنبر وساير الطيب وفرقة ياتونه بالدر من البحار فاوتي من ذلك بشيء لا يحصيه الا
الله ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار حتى يصيروها الواحا ومعالجة تلك الجواهر واللالي
وبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين المها الصافي و
سقفه بالواح الجواهر وفضض سقوفه وحيطانه باللالي واليواقيت والجواهر وبسط ارضه
بالواح الفيروزج فلم يكن في الارض بيت ابهى منه ولا انور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة
كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه خيار بني اسرائيل فاعلمهم انه بناه لله واتخذ ذلك اليوم
الذي فرغ منه عيدا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمن حتى غزى بخت نصر بني اسرائيل فخرب
المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والدر واليواقيت والجواهر
فحملها الى دار مملكته من ارض العراق وفي عجائب البلدان عند ذكر مدينة النحاس هي مدينة واقعة في

فقسم عليهم الاعمال فخص كل طائفة منهم بعمل فارسل الجن والشياطين

من مفاوز الاندلس ودورها اربعون فرسخا وعلو سورها خمسمائة ذراع قال ابن الفقيه لما
بلغ عبد الملك بن مروان خبر مدينة النحاس وخبر ما فيها من الكنوز وان الى جانبها بحيرة فيها كنوز
كثيرة واموال عظيمة كتب الى موسى بن نصير عامل المغرب وامره بالمسير اليه والحرص على دخولها
وان يعرفه حالها ودفع الكتاب الى طالب بن مدرك فحمله الى موسى وهو بالقيروان فلما قراه تجهز
وسار في الف فارس نحوها فلما رجع كتب الى عبد الملك بسم الله الرحمن الرحيم اصلح الله الامير
صلاحا يبلغ به خير الدنيا والاخرة اخبرك يا امير المؤمنين اني تجهزت لاربعة اشهر وسرت في
مفاوز الاندلس ومعي الف رجل حتى اوغلت في طرق قد انطمست ومناهل قد اندرست وعفت
فيها الاثار وانقطعت عنها الاخبار وسرت ثلثة واربعين يوما احاول مدينة لم ير الراؤون مثلها ولم
يسمع السامعون بنظيرها فلاح لنا بريق شرفها من مسيرة ثلثة ايام فافزعنا منظرها الهائل
وامتلأت قلوبنا رعبا من عظمها وبعد اقطارها فلما قربنا منها فاذا امرها عجيب ومنظرها
هائل فنزلنا عند ركنها الشرقي ثم وجهت رجلا من اصحابي في مائة فارس وامرته ان يدور حول
سورها ليعرف بابها فغاب عنا يومين ثم وافى في اليوم الثالث فاخبر انه ما وجد لها بابا و
لا راى اليها مسلكا فجمعت امتعة اصحابي الى جانب سورها وجعلت بعضها على بعض لانظر من
يصعد اليها فياتيني بخبر ما فيها فلم يبلغ امتعتنا ربع الحائط لارتفاعه فامرت عند ذلك باتخاذ
السلاليم وشد بعضها الى بعض بالحبال ونصبتها الى الحائط وجعلت لمن يصعد اليها ويأتيني
بخبر ما فيها عشرة الاف درهم فانتدب لذلك رجل من اصحابي يتسنم ويقرا ويتعوذ فلما صار على
سورها واشرف على ما فيها قهقه ضاحكا ونزل اليها فناديناه ان اخبرنا بما فيها وبما رايته فلم يجبنا
فجعلت لمن يصعد وياتيني بخبر ما فيه وخبر الرجل الف دينار فانتدب رجل من حمير واخذ الدنانير
ثم صعد فلما استوى على السور قهقه ضاحكا ثم نزل اليها فناديناه ان اخبرنا بما ترى فلم
يجبنا فصعد ثالث فكان حاله مثل حال الرجلين فامتنع اصحابي بعد ذلك من الصعود فلما
ايست عنها رحلت نحو البحيرة وسرت مع سور المدينة فانتهيت الى مكان من السور فيه كتابة بالحميرية
فامرت بانتساخها فكانت • ليعلم المرء ذو العز المنيع ومن • يرجو الخلود وما حي بمخلود • لو ان
حيا ينال الخلد في مهل • لنال ذاك سليمن بن داود • سالت له العين عين القطر فائضة • فيه

عطا

عطا جزيلا غير مصرود • وقال للجن انشوا فيه لي اثرا • يبقى الى الحشر لا يبلى ولا يودي • فصيروه صفاحا ثم
ميل به • الى البناء باحكام وتجويد • وافرغوا القطر فوق السور منحدرا • فصار صلبا شديدا مثل
صيخود • وصب فيه كنوز الارض قاطبة • وسوف تظهر يوما غير محدود • لم يبق من بعدها في الارض
سابقة • حتى تضمن رمسا بطن اخدود • وصار في بطن قعر الارض مضطجعا • مضمنا بطوابيق
الجلاميد • هذا ليعلم ان الملك منقطع • الا من الله ذي التقوى وذي الجود • قال ثم سرت حتى
وافيت البحيرة عند غروب الشمس فاذا هي مقدار ميل في ميل كثيرة الامواج فاذا رجل قائم فوق
الماء فناديناه من انت فقال انا رجل من الجن كان سليمان بن داود حبس والدي في هذه البحيرة
فاتيته لانظر ما حاله قلنا له فما بالك قائما فوق الماء قال سمعت صوتا فظننته صوت رجل
ياتي هذه البحيرة في كل عام مرة وهذا اوان مجيئه فيصلي على شاطئها اياما ويهلل الله ويمجده قلنا
من تظنه قال اظنه الخضر عليه السلام فغاب عنا فلم ندر كيف اخذ قال وكنت اخرجت معي عدة من
الغواصين فغاصوا في الماء فاخرجوا حبا من صفر مطبقا راسه مختوما برصاص فامرت به ففتح
فخرج منه رجل من صفر على فرس بيده مطرد من صفر فطار في الهواء وهو يقول يا نبي الله
لا اعود ثم غاصوا ثانية وثالثة فاخرجوا مثل هذا فضج خوفا من قطع الزاد فاخذت الطريق
الذي سلكتها والا حتى عدت الى القيروان والحمد لله الذي حفظ لامير المؤمنين اموره وسلم له
جنوده والسلم قال لما قرا عبد الملك كتاب موسى وكان عنده الزهري قال له ما تظن باولئك
الذين صعدوا السور قال الزهري يا امير المؤمنين قد كان لتلك المدينة جن وكلوا بها قال
فمن اولئك الذين يخرجون من الحباب ويطيرون قال اولئك مردة الجن الذين حبسهم سليمن بن
داود في البحار وفيه ان معوية رضه بعث عبد الرحمن بن الحكم الى اليمن واليا بلغه ان بساحل عدن
قصرا من قصور عاد وان في بحرها كنزا فطمع فيه وذهب في مائة فارس الى ساحل عدن الى
اقرب القصرين فراى ما حولها من الارض سباخا بها اثار الابار وراى قصرا مبنيا بالصخر والكلس
وعلى بعض ابوابه صخرة عظيمة بيضاء مكتوب عليها • غنينا زمانا في عراص ذا القصر بعيشة
رخي غير ضنك ولا نزر • يفيض علينا البحر بالمد زاخرا • وانهارنا بالماء مترعة تجري • خلال
نخيل باسقات نواضر • تانق بالقسب المجزع والتمر • ونصطاد صيد البر بالخيل والقنا • وطورا

من مفاوز الاندلس ودورها اربعون فرسخا وعلو سورها خمسمائة ذراع قال ابن الفقيه لما
بلغ عبد الملك بن مروان خبر مدينة النحاس وخبر ما فيها من الكنوز وان الى جانبها بحيرة فيها كنوز
كثيرة واموال عظيمة كتب الى موسى بن نصير عامل المغرب وامره بالمسير اليه والحرص على دخولها
وان يعرفه حالها ودفع الكتاب الى طالب بن مدرك فحمله الى موسى وهو بالقيروان فلما قراه تجهز
وسار في الف فارس نحوها فلما رجع كتب الى عبد الملك بسم الله الرحمن الرحيم اصلح الله الامير
صلاحا يبلغ به خير الدنيا والاخرة اخبرك يا امير المؤمنين اني تجهزت لاربعة اشهر وسرت في
مفاوز الاندلس ومعي الف رجل حتى اوغلت في طرق قد انطمست ومناهل قد اندرست وعفت
فيها الاثار وانقطعت عنها الاخبار فسرت ثلثة واربعين يوما احاول مدينة لم ير الراؤون مثلها ولم
يسمع السامعون بنظيرها فلاح لنا بريق شرفها من مسيرة ثلثة ايام فافزعنا منظرها الهائل
وامتلأت قلوبنا رعبا من عظمها وبعد اقطارها فلما قربنا منها فاذا امرها عجيب ومنظرها
هائل فنزلنا عند ركنها الشرقي ثم وجهت رجلا من اصحابي في مائة فارس وامرته ان يدور حول
سورها ليعرف بابها فغاب عنا يومين ثم وافى اليوم الثالث فاخبر انه ما وجد لها بابا و
لا رأى اليها مسلكا فجمعت امتعة اصحابي الى جانب سورها وجعلت بعضها على بعض لانظر من
يصعد اليها فياتيني بخبر ما فيها فلم يبلغ ربع الحائط لارتفاعه فامرت عند ذلك باتخاذ
السلالم وشد بعضها الى بعض بالحبال ونصبتها الى الحائط وجعلت لمن يصعد اليها وياتيني
بخبر ما فيها عشرة آلاف درهم فانتدب لذلك رجل من اصحابي فتسنم ويقرأ ويتعوذ فلما صار على
سورها واشرف على ما فيها قهقه ضاحكا ونزل اليها فناديناه ان اخبرنا بما فيها وبما رأيت فلم يجبنا
فجعلت لمن يصعد وياتيني بخبره وخبر الرجل الف دينار فانتدب رجل من حمير واخذ الدنانير
ثم صعد فلما استوى على السور قهقه ضاحكا ثم نزل اليها فناديناه ان اخبرنا بما ترى فلم
يجبنا فصعد ثالث وكان حاله مثل حال الرجلين فامتنع اصحابي بعد ذلك من الصعود فلما
ايست منها رحلت نحو البحيرة ومررت مع سور المدينة فانتهيت الى مكان من السور فيه كتابة بالحميرية
فامرت بانتساخها فكانت • ليعلم المرء ذو العز المنيع ومن • يرجو الخلود وما حي بمخلود • لو ان
حيا ينال الخلد في مهل • لنال ذاك سليمان بن داود • سالت له العين عين القطر فائضة • فيه

عطا

عطا جزيلا غير مصرود • وقال للجن انشوا فيه لي اثرا • يبقى الى الحشر لا يبلى ولا يودي • فصيروه صفاحا ثم
ميل به • الى البناء باحكام وتجويد • وافرغوا القطر فوق السور منحدرا • فصار صلبا شديدا مثل
صيخود • وصب فيه كنوز الارض قاطبة • وسوف تظهر يوما غير محدود • لم يبق من بعدها في الارض
سابقة • حتى يضمن رمسا بطن اخدود • وصار في بطن قعر الارض مضطجعا • مضمنا بطوابيق
الجلاميد • هذا ليعلم ان الملك منقطع • الا من الله ذي التقوى وذي الجود • قال ثم سرت حتى
وافيت البحيرة عند غروب الشمس فاذا هي مقدار ميل في ميل كثيرة الامواج فاذا رجل قائم فوق
الماء فناديناه من انت قال انا رجل من الجن كان سليمان بن داود حبس والدي في هذه البحيرة
فاتيته لانظر ما حاله قلنا له فما بالك قائما فوق الماء قال سمعت صوتا فظننته صوت رجل
ياتي هذه البحيرة في كل عام مرة وهذا اوان مجيئه فيصلي على شاطئها اياما ويهلل الله ويمجده قلنا
من تظنه قال اظنه الخضر عليه السلام فغاب عنا فلم ندر كيف اخذ قال وكنت اخرجت معي عدة من
الغواصين فغاصوا في الماء فاخرجوا حبا من صفر مطبقا راسه مختوما برصاص فامرت به ففتح
فخرج منه رجل من صفر على فرس من صفر بيده مطرد من صفر فطار في الهواء وهو يقول يا نبي الله
لا اعود ثم غاصوا ثانية وثالثة فاخرجوا مثل هذا ففزعنا خوفا من قطع الزاد فاخذت الطريق
الذي سلكته اولا حتى عدت الى القيروان والحمد لله الذي حفظ لامير المؤمنين اموره وسلم له
جنوده والسلام قال لما قرأ عبد الملك كتاب موسى وكان عنده الزهري قال له ما تظن باولئك
الذين صعدوا السور قال الزهري يا امير المؤمنين فانه كان لتلك المدينة جن وكلوا بها قال
فمن اولئك الذين يخرجون من الحباب ويطيرون قال اولئك مردة الجن الذين حبسهم سليمان بن
داود في البحار وفيه ان معاوية لما بعث عبد الرحمن بن الحكم الى اليمن واليا بلغه ان بساحل عدن
قصرا من قصور عاد وان في صحنها كنزا فطمع فيه وذهب في مائة فارس الى ساحل عدن الى
اقرب القصر فرأى ما حوله من الارض سباخا بها اثار الابار ورأى قصرا مبنيا بالصخر والكلس
وعلى بعض ابوابه صخرة عظيمة بيضاء مكتوب عليها • غنينا زمانا في عراص ذا القصر • بعيش
رخي غير ضنك ولا نزر • يفيض علينا البحر بالمد زاخرا • وانهارنا بالماء مترعة تجري • خلال
نخيل باسقات نواضر • تانق بالقسب المجزع والتمر • ونصطاد صيد البر بالخيل والقنا • وطورا

من مفاوز الاندلس ودورها اربعون فرسخا وعلو سورها خمسمائة ذراع قال ابن الفقيه لما
بلغ عبد الملك بن مروان خبر مدينة النحاس وخبر ما فيها من الكنوز وان الى جانبها بحيرة فيها كنوز
كثيرة واموال عظيمة كتب الى موسى بن نصير عامل المغرب وامره بالمسير اليه والحرص على دخولها
وان يعرفه حالها ودفع الكتاب الى طالب بن مدرك فحمله الى موسى وهو بالقيروان فلما قراه تجهز
وسار في الف فارس نحوها فلما رجع كتب الى عبد الملك بسم الله الرحمن الرحيم اصلح الله الامير
صلاحا يبلغ به خير الدنيا والاخرة اخبرك يا امير المومنين اني تجهزت لاربعة اشهر وسرت في
مفاوز الاندلس ومعي الف رجل حتى اوغلت في طرق قد انطمست ومناهل قد اندرست وعفت
فيها الاثار وانقطعت عنها الاخبار وسرت ثلثة واربعين يوما احاول مدينة لم ير الراوون مثلها ولم
يسمع السامعون بنظيرها فلاح لنا بريق شرفها من مسيرة ثلثة ايام فافزعنا منظرها الهايل
وامتلات قلوبنا رعبا من عظمها وبعد اقطارها فلما قربنا منها فاذا امرها عجيب ومنظرها
هايل فنزلنا عند ركنها الشرقي ثم وجهت رجلا من اصحابي في مائة فارس وامرته ان يدور حول
سورها ليعرف بابها فغاب عنا يومين ثم وافى اليوم الثالث فاخبر انه ما وجد لها بابا و
لا راى اليها مسلكا فجمعت امتعة اصحابي الى جانب سورها وجعلت بعضها على بعض لانظر من
يصعد اليها فياتيني بخبر ما فيها فلم يبلغ ربع الحائط لارتفاعه فامرت عند ذلك باتخاذ
السلاليم وشد بعضها الى بعض بالحبال ونصبتها الى الحائط وجعلت لمن يصعد اليها وياتيني
بخبر ما فيها عشرة الاف درهم فانتدب لذلك رجل من اصحابي يتسنم ويقرا ويتعوذ فلما صار على
سورها واشرف على ما فيها قهقه ضاحكا ونزل اليها فناديناه ان اخبرنا بما فيها وبما رايته فلم يجبنا
فجعلت لمن يصعد وياتيني بخبر ما فيه وخبر الرجل الف دينار فانتدب رجل من حمير واخذ الدنانير
ثم صعد فلما استوى على السور قهقه ضاحكا ثم نزل اليها فناديناه ان اخبرنا بما ترى فلم
يجبنا فصعد ثالث وكان حاله مثل حال الرجلين فامتنع اصحابي بعد ذلك من الصعود فلما
ايست منها رحلت نحو البحيرة وسرت مع سور المدينة فانتهيت الى مكان من السور فيه كتابة بالحميرية
فامرت بانتساخها فكانت • ليعلم المرء ذو العز المنيع ومن • يرجو الخلود وما حي بمخلود • لو ان
حيا ينال الخلد في مهل • لنال ذاك سليمن بن داود • سالت له العين عين القطر فايضة • فيه

عطا

عطا جزيل غير مصرود • وقال للجن انشوا فيه لي اثرا • يبقى الى الحشر لا يبلى ولا يودي • فصيروه صفاحا ثم
ميل به • الى البناء باحكام وتجويد • وافرغوا القطر فوق السور منحدرا • فصار صلبا شديدا مثل
صيخود • وصب فيه كنوز الارض قاطبة • وسوف يظهر يوما غير محدود • لم يبق من بعدها في الارض
سابقة • حتى تضمن رمسا بطن اخدود • وصار في بطن قعر الارض مضطجعا • مضمنا بطوابيق
الجلاميد • هذا ليعلم ان الملك منقطع • الا من الله ذي التقوى وذي الجود • قال ثم سرت حتى
وافيت البحيرة عند غروب الشمس فاذا هي مقدار ميل في ميل كثيرة الامواج فاذا رجل قايم فوق
الماء فناديناه من انت فقال انا رجل من الجن كان سليمان بن داود حبس والدي في هذه البحيرة
فاتيته لانظر ما حاله قلنا له فما بالك قايما فوق الماء قال سمعت صوتا فظننته صوت رجل
ياتي هذه البحيرة في كل عام مرة وهذا اوان مجيئه فيصلي على شاطئها اياما ويهلل الله ويمجده قلنا
من تظنه قال اظنه الخضر عليه السلم فغاب عنا فلم ندر كيف اخذ قال وكنت اخرجت معي عدة من
الغواصين فغاصوا في الماء فاخرجوا حبا من صفر مطبقا راسه مختوما برصاص فامرت به ففتح
فخرج منه رجل من صفر على فرس بيده مطرد من صفر فطار في الهواء وهو يقول يا نبي الله
لا اعود ثم غاصوا ثانية وثالثة فاخرجوا مثل هذا فضج [illegible] خوفا من قطع الزاد فاخذت الطريق
الذي سلكته اولا حتى عدت الى القيروان والحمد لله الذي حفظ لامير المومنين اموره وسلم له
جنوده والسلم قال فلما قرا عبد الملك كتاب موسى وكان عنده الزهري قال له ما تظن باولئك
الذين صعدوا السور قال الزهري يا امير المومنين قد كان لتلك المدينة جنا وكلوا بها قال
فمن اولئك الذين يخرجون من الحباب ويطيرون قال اولئك مردة الجن الذين حبسهم سليمن بن
داود في البحار وفيه ان معوية لما بعث عبد الرحمن بن الحكم الى اليمن واليا لمغزان بساحل عدن
وقرا ان من قصور عاد وان في بحرها كنزا فطمع فيه وذهب في مائة فارس الى ساحل عدن الى
اقرب القصرين فراى ما حولها من الارض سباخا بها اثار الانهار وراى قصرا مبنيا بالصخر والكلس
وعلى بعض ابوابه صخرة عظيمة بيضاء مكتوب عليها • غنينا زمانا في عراص ذا القصر • بعيش
رخي غير ضنك ولا نزر • يفيض علينا البحر بالمد زاخرا • وانهارنا بالماء مترعة تجري • خلال
نخيل باسقات نواضر • تانق بالقسب المجزع والتمر • ونصطاد صيد البر بالخيل والقنا • وطورا

نصيد النون من لج البحر • ونرفل في الحرائر تارة • وفي القز احيانا وفي الحلل الخضر • بلينا ملوك
يبعدون عن الخنا • شديد على اهل الخيانة والغدر • يقيم لنا من دين هود شرايعا • ويؤمن بالايات
والبعث والنشر • اذا ما عدو حل ارضنا يريدنا • برزنا جميعا بالمثقفة السمر • نحامي على اولادنا و
نسائنا • على الشهب والكمت المعانيق والشقر • نقارع من يبغي علينا ويعتدي • باسيافنا حتى
يولون بالدبر • ثم مضى الى القصر الاخر وبينهما اربع فراسخ فراى حوله اثار الجنان والبساتين قال
فدنونا من القصر فاذا هو من حجارة وكلس غلب عليها البحر ورأينا على بابه صخرة عظيمة عليها
مكتوب • غنينا بهذا القصر دهرا فلم يكن • لنا همة الا التلذذ والقصف • يروح علينا كل يوم هنيدة
من الابل يعشو في معاطنها الطرف • واضعاف تلك الابل شاء كانها • من الحسن آرام او البقر
القطف • فعشنا بهذا القصر سبعين احقبا • باطيب عيش جل عن ذكره الوصف • فجاءت سنون
مجدبات قواحل • اذا ما مضى عام اتى آخر يقفو • فظلنا كان لم نغن في الخير لمحة • فماتوا ولم يبق
خف ولا ظلف • كذلك من لم يشكر الله لم يزل • معالمه من بعد سكانه تعفو • قال فعجبنا من ذلك
ثم مضينا الى الساحل الذي ذكر ان فيه كنزا فامرنا الغواصين فغاصوا واخرجوا حجرا من صفر
مطبقة بصفر فلما نشدناه قال حتى اجتمعت جرار كثيرة ففتحنا بعضها فخرج منها شيطان وقال
يا ابن ادم الى متى تحبسنا فبينا نحن نتعجب من ذلك اذ رأينا سوادا عظيما اقبل من جزيرة قريبة
من الساحل ففزعنا فزعا فاقتحم الماء واقبل نحونا فاذا هي قردة قد اجتمع منها ما لا يعلم عددها
الا الله وكان امامها قرد عظيم في عنقه لوح حديد معلق بسلسلة فاقبل الينا ورفع اللوح
نحونا فاخذنا اللوح من عنقه فاذا فيه كتابة بالسريانية وكان معنا من يحسن قراءتها فقرأها
فاذا فيه بسم الله العظيم الاعظم هذا كتاب من سليمان بن داود رسول الله لمن في هذه الجزيرة من
القردة اني قد امرتهم بحفظ هؤلاء الشياطين المحبسين في هذه الناحية في هذه الجرار الصفر و
جعلت لهم امانا من جميع الجن والانس فمن ارادهم او عرض لهم بسوء فاني بريء منه
في الدنيا والاخرة فاردنا ان نمضي باللوح الى معوية ليسطر اليه فلما ولينا وقفت القردة كلها امامنا
وحاصرتنا وصاحت صيحة فرددنا اللوح اليها فاخذته واقتحمت الماء وعادت الى الجزيرة وفيه ان
باقصى بلاد الصين هيكلا مدورا له سبعة ابواب في داخله قبة عظيمة البنيان عالية السمك

وفي اعلى القبة شبه جوهرة كراس عجل يضيء منها جميع اقطار الهيكل وان جماعة من الملوك حاولوا
احتمال الجوهرة فما تمكنوا من ذلك لانه من دنا منها قدر عشرة اذرع خر ميتا وان حاول اخذها بشيء
من الالات الطوال فاذا انتهت اليها هذه المقدار انعكست وكذلك ان رمى اليها شيئا وان تعرض
احد لهدم الهيكل مات وفي هذا الهيكل بئر واسعة الراس من اكب عليها وقع في قعرها وعلى
راس البئر شبه طوق مكتوب عليه هذا البئر مخزن الكتب التي هي تاريخ الدنيا وعلوم السماء و
الارض وما كان فيها وما يكون وفيها خزائن الارض لكن لا تصل اليها الا من وازن علمه علمنا
فمن قدر عليه علم كعلمنا ومن عجز فليعلم انه دوننا في العلم والارض التي عليها هذا الهيكل ارض حجرية
عالية كجبل شامخ لا يرام قلعه ولا يتاتى نقبه واذا راى الناظر الى تلك الهيكل والقبة والبئر وحسن
بنيتها مال قلبه اليها وتاسف على فساد شيء منها وفيها ان بارض الهند بلدة يقال لها كلبا وبها
عمود من النحاس وعلى راس العمود تمثال بطة من النحاس وبين يدي العمود عين فاذا كان يوم
عاشوراء في كل سنة نشر البط جناحيه ويدخل منقاره العين ويجذب ماءها فيخرج من العمود ماء
كثير يكفي لاهل المدينة سنتهم والفاضل يجري الى مزارعهم وفيها ان بارض ارمينية بيتا الى السطح
من الصاروج وميزاب من النحاس وتحت الميزاب حوض كبير من الرخام وفي البيت مجاورون
كلما قل المطر بتلك الناحية اوقدوا نارهم وعلوا سطوح البيت بماء وبخر حتى يصب من الميزاب
الى الحوض ثم يرشون البيت بذلك الماء المبخر فعند ذلك تغيم السماء بالغمام ويمطر حتى
يغسل السطح والميزاب والحوض ويمتلى من الماء الطاهر وفيها ان بقرب قلعة اندلس بئر يشرب
اهل القلعة منها ولم يعرف فيها علق اصلا فكثر فيها الطين بطول زمان فاحتاجوا الى كسحها
فاخرجوا منها طينا كثيرا فكثر ماؤها الا انه تولد فيها علق كثير فتعذر شربها لان العلق كان
ينشب بحلق شارب الماء فوجدوا في وسط الطين المخرج منها علقا من النحاس فرموا في البئر فانقطع
العلق منها وفيها ان بمصر مدينة يقال لها عين الشمس وبها منارة من صخرة واحدة من رخام
احمر منقط بسواد وعرض اكثر من ماءة ذراع على راسها غشاء من النحاس والوجه الذي يلي مطلع الشمس
من ذلك الغشاء فيه صورة ادمي على سرير وعن يمينه وشماله صورتان كانهما خادمان ويترشح
من تحت ذلك الغشاء ابدا ماء على تلك المنارة ينبت الطحلب الاخضر على موضع سيلان

نصيد النون من لجج البحر • ونرفل في الخز والقز تارة • وفي القز احيانا وفي الحلل الخضر • يلينا ملوك
يبعدون عن الخنا • شديد على اهل الخيانة والغدر • يقيم لنا من دين هود شرايعا • ونومن بالايات
والبعث والنشر • اذا ما عدو حل ارضا يريدنا • برزنا جميعا بالمثقفة السمر • نحامي على اولادنا و
نسائنا • على الشهب والكمت المعانيق والشقر • نقارع من يبغي علينا ويعتدي • باسيافنا حتى
يولون بالدبر • ثم مضى الى القصر الاخر وبينهما اربع فراسخ فراى حوله اثار الجنان والبساتين قال
فدنونا من القصر فاذا هو من حجارة وكلس قد غلب عليها البحر ورايناعلى بابه صخرة عظيمة عليها
مكتوب • غنينا بهذا القصر دهرا فلم يكن • لنا همة الا التلذذ والقصف • يروح علينا كل يوم هنيدة •
من الابل يعشون في معاطنها الطرف • واضعاف تلك الابل شاء كانها • من الحسن ارام او البقر
القطف • فعشنا بهذا القصر سبعة احقب • باطيب عيش جل عن ذكره الوصف • فجاءت سنون
مجدبات قواحل • اذا ما مضى عام اتى اخر يقفو • فظلنا كان لم نغن في الخير لمحة • فماتوا ولم يبق
خف ولا ظلف • كذلك من لم يشكر الله لم يزل • معالمه من بعد ساحته تعفو • قال فعجبنا من ذلك
ثم مضينا الى الساحل الذي ذكر ان فيه كنزا فامرنا الغواصين فغاصوا واخرجوا جرارا من صفر
مطبقة بصفر فلم نشك انه مال حتى اجتمعت جرار كثيرة ففتحنا بعضها فخرج منها شيطان وقال
يا ابن ادم الى متى تحبسنا فبينا نحن نتعجب من ذلك اذ راينا سوادا عظيما اقبل من جزيرة قريبة
من الساحل ففزعنا فزعا فاقتحم الماء واقبل نحونا فاذا هي قردة قد اجتمع منها ما لا يعلم عددها
الا الله وكان امامها قرد عظيم في عنقه لوح حديد معلق بسلسلة فاقبل الينا ورفع اللوح
نحونا فاخذنا اللوح من عنقه فاذا فيه كتابة بالسريانية وكان معنا من يحسن قراءتها فقراها
فاذا فيه بسم الله العظيم الاعظم هذا كتاب من سليمان بن داود رسول الله لمن في هذه الجزيرة من
القردة اني قد امرتهم بحفظ هولاء الشياطين المحبسين تحت هذه الناحية في هذه الجرار الصفر
وجعلتهم امانا من جميع الجن والانس فمن ارادهن او عرض لهن بسوء فانا بريء منه
في الدنيا والاخرة فاردنا ان نمضي باللوح الى معوية لينظر اليه فلما ولينا وقفت القردة كلها امامنا
وحاصرتنا وصاحت صيحة فرددنا اللوح اليها فاخذته واقتحمت الماء وعادت الى الجزيرة • وفيه ان
باقصى بلاد الصين هيكلا مدورا له سبعة ابواب في داخله قبة عظيمة البنيان عالية السمك

وفي

وفي اعلى القبة شبه جوهرة كراس عجل يضيء منها جميع اقطار الهيكل وان جماعة من الملوك حاولوا
اقتلاع الجوهرة فما تمكنوا من ذلك فمن دنا منها قدر عشرة اذرع خر ميتا وان حاولوا اخذها بشيء
من الالات الطوال فاذا انتهت اليها هذه الالات انعكست وكذلك ان رمي اليها شيا وان تعرض
احد لهدم الهيكل مات وفي هذا الهيكل بير واسعة الراس من اكب عليها وقع في قعرها وعلى
راس البير شبه طوق مكتوب عليه هذه البير مخزن الكتب التي هي تاريخ الدنيا وعلوم السماء و
الارض وما كان فيها وما يكون وفيها خزاين الارض لكن لا تصل اليها الا من وازن علمه علمنا
فمن قدر على علم كعلمنا ومن عجز فليعلم انه دوننا في العلم والارض التي عليها هذا الهيكل ارض حجرية
عالية كجبل شامخ لا يرام قلعه ولا يتاتى نقبه واذا راى الناظر الى تلك الهيكل والقبة والبير وحسن
بنيتها مال القلب اليها وتاسف على فساد شيء منها • وفيها ان بارض الهند بلدة يقال لها كلبا وبها
عمود من النحاس وعلى راس العمود تمثال بطة من النحاس وبين يدي العمود عين فاذا كان يوم
عاشورا في كل سنة نشر البط جناحيه ويدخل منقاره العين ويصب ما دها فيخرج من العمود ماء
كثير يكفي لاهل المدينة سنتهم والفاضل يجري الى مزارعهم • وفيها ان بارض ارمينية بيتا له سطح
من الصاروج وميزاب من النحاس وتحت الميزاب حوض كبير من الرخام وفي البيت مجاورون
كلما قل المطر بتلك الناحية اوقدوا نارهم وغسلوا سطوح البيت بماء وحشيش حتى ينصب من الميزاب
الى الحوض ثم يرشون البيت بذلك الماء المحض فعند ذلك تستقيه السماء بالغمام ويمطر حتى
تغسل السطح والميزاب والحوض وعينا من الماء الطاهر • وفيها ان بقرب قلعة اندلس بير يشرب
اهل القلعة منها ولم يعرف فيها علق اصلا فكثر فيها الطين بطول زمان فاحتاجوا الى كسحها
فاخرجوا منها طينا كثيرا فكثر ماوها الا انه تولد فيها علق كثير فتعذر شرب مائها لان العلق كان
ينشب بحلق شارب الماء فوجدوا في وسط الطين المخرج منها علقا من النحاس فرموا في البير فانقطع
العلق منها • وفيها ان بعض مدن مصر يقال لها عين الشمس وبها منارة من حجرة واحدة من رخام
احمر منقط بسواد وطولها اكثر من عشر ذراع على راسها غشاء من النحاس والوصل الذي الى مطلع الشمس
من ذلك الغشاء وفيه صورة ادمي على سرير وعلى يمينه وشماله صورتان كانهما خادمان ويترشح
من تحت ذلك الغشاء ابدا ماء على تلك المنارة فينبت الطحلب الاخضر على موضع سيله من

تلك المنارة ويزل مقدار عشرة اذرع ولا يتعدى ذلك القدر ولا ينقطع نهارا ولا ليلا دائما وكنت
ارى لمعان الماء على تلك الصخرة والعجب من في النظار ليس بقرب تلك المدينة نهر ولا عين وانما كان
شربهم من الامطار وفي الدر المنثور لما اخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال عجائب الدنيا اربعة مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها
فيبصر من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر وفرس كان من نحاس بارض الاندلس قائلا بكفه كذا باسط
يده اي ليس خلفي مسلك فلا يطأ تلك البلاد احد الا اكلته النمل ومنارة من نحاس عليها راكب من نحاس
بارض عاد فاذا كانت الاشهر الحرم هطل منه الماء وسقوا وصبوا في الحياض فاذا انقضت الاشهر الحرم
انقطع ذلك الماء وشجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس بارض رومية فاذا كان اوان الزيتون
صفرت السودانية التي من نحاس فتجيء كل سودانية من الطيارات بثلاث زيتونات زيتونتين برجليها
وزيتونة بمنقارها حتى تلقيه على تلك السودانية التي هي من نحاس فيعصر اهل رومية ما يكفيهم لادامهم
وسرجهم سنتهم الى قابل وفي حبيب السير يقال ان في بعض بلاد الهند منارة موضوعة على كتف
وعلى راس المنارة حب من صخرة وعلى راس الحب ديك من الذهب فمن قصد تلك المنارة بسوء حرك
الديك اجنحته وصاح صياح الكلب فيطلع اهل البلدة ويجيئون ويزجرون ذلك الرجل وفي
عجائب البلدان حكي ان من راى منف وهي مدينة فرعون موسى قال رايت فيها دار فرعون ودرج
في مجالسها وسواريها وغرفها وصفاتها فاذا جميع ذلك حجر واحد منقور ما رايت بها حجرين
ولا ملتقى حجرين واثار تلك المدينة عجز باقية وحجارة قصورها الى الان ظاهرة وكانت منف اثنى عشر
ميلا بيوتا متصلة وفيها قصر فرعون قطعة واحدة وسقفه وفرشه وحيطانه اخضر حجر ومن
عجائب منف كنيسة الاسقف وهي من عجائب الدنيا لا يعرف طولها وعرضها سقفها حجر واحد
وروي انه مكتوب على باب كنيسة منها الاكلمونقي على صغرها فانه اشتريت كل ذراع منها بالفي دينار
لشدة العمارة وفيه حكي ان سمكان وهي مدينة حصينة في وسط الجبال بقرب بدخشان حماما
من عجائب الدنيا من بناء ناصر خسرو ولا يدري كيف بناؤه ولا يصدق السامع وصفها حتى يراها
وهي باقية في زماننا وصفتها ان من دخل سطحها يرى بيتا مربعا مسقفا بصور حيوانات و لا
يرى باب الحمام لكن يرى على حيطانها اربعا وعشرين حلقة فينا الحمامي عن باب

باب الحمام فيقول الحمامي حلقة كذا
تفتح كلها

الحمام

٢٥٠

الحمام فيجذب احديها فيفتح باب ويتكرر صورة الحيوان التي على الباب لان بعضها على الباب و
بعضها على الجدار فلهذا لا يعرف الغريب باب الحمام فاذا دخل من باب من تلك الابواب ايها
كان ينتهي الى قبة على مثال المسلخ الا ان حلقتها سبع عشرة فاي حلقة تجذب ينفتح له باب فاذا
دخله يفضي به الى قبة اخرى على مثال ما قبلها الا ان حلقتها اثنتا عشرة فاي حلقة منها تجذب
يفضي الى قبة على مثال ما تقدم الا ان فيها تسع حلق فاي حلقة منها تجذب يفضي الى قبة على
مثال ما قبلها الا ان حلقتها سبع حلق وعلى القبة الاخيرة احد ابوابها يفضي الى الحمام وذلك
يعرفه الحمامي فان فتح غيره يرى نفسه في المسلخ وهو البيت الاول المربع وامر هذا الحمام مشهور
بخراسان لانها عامة لا يمنع احد ان يدخل فيها ولا يؤخذ ممن دخلها اجرة الحمام ولها اوقاف
كثيرة وهي بنيان ناصر خسرو ومن عجائبها ان ماء حارا وهو ان ثلثين بيتا منها يدفئ بحمام
واحد ولا يمكنون احدا ان يرى سطحها البتة ولا يهتدي احد الى كيفية بنائها الا من يعرف
ذلك بحقيقة وفيه ان شيرين كانت من بنات بعض ملوك الارمن وكانت اجمل خلق الله
صورة ذكرت لكسرى ابرويز وكان مشغوفا بالنساء فبعث اليها من خدعها فهربت على ظهر
شبديز وحكي انها كانت تحب اللبن الحليب وكان القصر بعيدا عن مرعى المواشي فالى ان حمل
الى القصر زالت سخونته فطلبوا الحيلة في ذلك فاتفق رايهم على ان يتخذوا حوضا ولا مجرا من
المرعى الى القصر فطلبوا صانعا يعمل ذلك فدلوا على صانع اسمه فرهاد فطلبت اتخاذ حوض و
مسافة فرسخان من المرعى الى القصر على ان ياتي اللبن منها الى القصر بسخونته وكان القصر على راس
من الارض والمرعى في سفح فاتخذ حائطا طوله اكثر من فرسخين وارتفاعه عند المرعى
عشرون ذراعا وعند القصر مساويا بالارض وركب على الحائط حوضا مجرى وغطى راسه بالصفائح
الحجرية واتخذ عند المرعى حوضا كبيرا وفي القصر حوضا مثله وهذا كله باق الى زماننا هذا
يراه من يجتاز به ولا شك انه شيء منكر وذكر ان شيرين كانت من حظية كسرى ابرويز مشهورة
بالحسن والجمال عشقها رجل حجار اسمه فرهاد وتاه في حبها واشتهر ذلك بين الناس فذكر
لابرويز فقال لاصحابه ماذا ترون في امر هذا الرجل ان تركته وما هو عليه فهتك وقبح وان
قتلته او حبسته عاقبته غير مجرم فقال بعض الحاضرين اشغله بحجر حتى يمضي عمره فيما يسعى

رايه وامر باحضاره فدخل وهو رجل ضخم البدن طويل القامة مثل الجمل الهائج فامر كسرى باكرامه وكان
ان على طريقنا جبلا يمنعنا من المرور نريد ان تفتح فيه طريقا يصلح لسلوكنا وقدر قدرا في ذلك وذكر
واشار الى بيستون لفرط سموخه وصلابة حجره فقال الصانع ارفع هذا الحجر من طريق الملك ان
وعدني بشيرين فتاذى كسرى من هذا لانها كانت حظيته لكن قال في نفسه من يقدر على قطع بيستون
فقال في جوابه نفعل ذلك اذا فرغت فخرج فرهاد من عند كسرى وشرع في قطع الجبل ورسم فيه
دربا يتسع لعشرين فارسا عرضا وسمكه اعلاما من الرايات والاعلام فكان يقطع طول نهاره وينقل
طول ليله ويرصف القطاع الكبار شبه الاعمدة التي في سفح الجبل ترصيفا حسنا ويحشو خللها بالنحاتة
ويسوي بها مع الطريق وكان ينحت من الجبل شبه منارة عظيمة ثم يقطعها قطعا كل قطعة كعدل و
يرميها ولقد رايت عندنا جبتيا زي بر شبه منارة فتح جوانبها وما قطعها بعد ورايت قطاعا
من الحجر كالاعمدة عليها اثار ضرب الفاس وفي كل قطعة حفرتين في جوانبها لجعل الحبل فيها
عند رفعها فذكروا يوما عند كسرى شدة اهتمامه بقطع الجبل فقال بعض الحاضرين رايته يرمي بكل
ضربة شبر جبل ولو بقي على ما هو عليه لا يبعد ان يفتح الطريق فانقلق كسرى فقال بعضهم انا
اكفيك امره فبعث اليه من اخبره بموت شيرين فلما سمع ذلك ضرب فاسه على الحجر واثبته
فيه ثم جعل يضرب راسه على الفاس الى ان مات ومقدار فحره من الجبل غلوة سهم وتلك
الاثار باقية الى الان وقال احمد بن محمد الهمداني في سطح جبل بيستون ايوان منحوت من الحجر
وفي وسط الايوان صورة فرس شبديز وابرويز راكب عليه وعلى حيطان الايوان صورة
شيرين ومواليها قيل صورها فطرس بن سنمار وسنمار هو الذي بنى الخورنق بظاهر
الحيرة وسببه ان شبديز كان اذكى الدواب واعظمها خلقا واظهرها خلقا واصبرها
على طول الركض كان لا يبول ولا يروث ما دام عليه سرجه ولا ينخر ولا يزبد ما دام عليه لجامه فمات
وجزع عليه الملك وامر فطرس بتصويره فصوره على احسن تمثال بحيث لا يكاد يفرق بينهما
الا بادارة الروح ومن عجائب هذا التمثال انه لم ير مثله ولم يقف احد من المصورين من اهل
الفكر اللطيف والنظر الدقيق عليه الا تعجب منه حتى قال بعض الناس انها ليست من صنعة
البشر ولقد اعطى ذلك المصور ما لم يعط غيره فاي شيء اعجب من ان يحوله الحجر كما اراد حتى في

الموضع

لوان
الموضع الذي اراد احمر جاء احمر وفي الموضع الذي اراد ابيض جاء ابيض وكذلك سنابكه الا
والظاهر ان الاصباغ التي فيه عالجها بصنف من المعالجات العجيبة لم يغيرها طول الليالي وصور
الفرس واقفا في وسط الايوان وكسرى راكب عليه لابس درعا كانه زرد به من حديد تتبين
مسامير الزرد في حلقها وصور شيرين بحيث يظهر الحسن والملاحة في وجهها كانها تسلب
القلوب بغنجها ومن عجائب الدنيا مدينة الرومية لعظم عماراتها وكثرة خلقها خارج عن العادة
الى حد لا يصدقه السامع في بلد الفرنج واستدارتها اربعون ميلا في كل ميل منها باب
مفتوح فمن دخل من الباب الاول يرى سوق البياطرة ثم يصعد درجا فيرى سوق الصيارفة
والبزازين ثم يدخل المدينة فيرى في وسطها برجا عظيما واسعا في احد جانبيه كنيسة قد
استقبل محرابها المغرب وبابها المشرق وفي وسط البرج بركة مطلية بالنحاس يخرج منها
ماء المدينة كله وحكى ان في وسطها عمودا من حجارة عليه صورة راكب على بعير يقول لاهل
المدينة ان الذي بنى هذه المدينة يقول لا تخافوا على مدينتكم حتى ياتيكم قوم على هذه الصفة
وهم الذين يفتحونها وثلثة جوانب المدينة في البحر والرابع في البر ولها سوران من رخام وبين
السورين فضاء طولها ماءتا ذراع وعرض السور ثمانية عشر ذراعا وارتفاعها اثنان وسبعون
ذراعا ونهر بين السورين يدور ماؤه في جميع المدينة وهو ماء عذب يدور على بيوتهم و
يدخلها وعلى النهر قنطرة بصفوف النحاس كل دفة منها ستة واربعون ذراعا اذا قصدهم
عدو رفعوا تلك الدفوف فيصير بين السورين بحرا لا يرام وعمود النهر ثلثمائة وستون
ذراعا في عرض ثلثة واربعين ذراعا ومن باب الملك الى باب الذهب اثنا عشر ميلا وسوق
ممتد من شرقيها الى غربيها باساطين النحاس وسقفه ايضا نحاس وفوقه سوق اخرى فيه
جميع التجار واصحاب الامتعة وذكر ان بين يدي هذا السوق سوقا اخرى على اعمدة نحاس كل عمود منها
ثلثون ذراعا وبين هذه الاعمدة نقير من نحاس في طول السوق من اوله الى اخره فيه لسان من
البحر يجري فيه السفن فتجيء السفينة في هذا النقير وفيها الامتعة حتى تجتاز على السوق بين
يدي التجار فيقف على تاجر فيختار منها ما يريد ثم يرجع الى البحر وبها كنيسة داخل المدينة
طولها الف ذراع في خمسمائة ذراع في سمك مائة ذراع وبها كنيسة اخرى طولها ستمائة ذراع

وجه

في عرض ثلثمائة ذراع في سمك مائة وخمسين ذراعا وسقوف هذه الكنيسة وحيطانها و
ارضها وسويقاتها وكواها كلها حجر واحد وفي المدينة كنايس كثيرة وفيها عشرة الاف دير للرهبان
والنساء وحول سورها ثلثون الف عمود للرهبان وفيها اثنا عشر الف زقاق يجري في كل زقاق
منها نهران احدهما للشرب والاخر للحشوش وفيها اثنا عشر الف سوق في كل سوق قناتان واسواقها
كلها مفروشة بالرخام الابيض مضروبة على اعمدة النحاس مطبقة تحت سقوف النحاس وفيه سقاية و
سوق الفحام واذا كان وقت الزوال يوم السبت ترك جميع الناس اشغالهم في جميع الاسواق
الى غروب الشمس يوم الاحد وهو عيد النصارى وبها مجامع لمن يلتمس صنوف العلم من الطب و
النجوم والحكمة والهندسة وغير ذلك قالوا انها مائة وعشرون موضعا وبها كنيسة صهيون شبهت
بصهيون بيت المقدس طولها فرسخ في عرض فرسخ وفي سمك مائة ذراع ومساحة هيكلها ستة
اجربة والمذبح الذي يقدس عليه القربان من زبرجد اخضر طوله عشرون ذراعا في عرض عشرة
اذرع يحمله عشرون تمثالا من ذهب طول كل تمثال ثلثة اذرع اعينها يواقيت حمر وفي الكنيسة الف
ومائتا اسطوانة من المرمر الملمع ومثلها من النحاس المذهب طول كل اسطوانة خمسون ذراعا
لكل اسطوانة رجل معروف من الاساقفة وبها الف ومائتا باب كبار من النحاس المذهب
الاصفر المفروغ واربعون بابا من الذهب واما الابواب من الابنوس والعاج فكثيرة وفيها
مائة الف وثلثون الف سلسلة من ذهب معلق من السقف بكل يعلق منها القناديل
سوى القناديل التي تسرج يوم الاحد بها من الاساقفة والشمامسة وغيرهم ممن يجري عليهم
الرزق من الكنيسة خمسون الفا كلها مات واحد قام مقام اخر وفيها عشرة الف جونة وعشرة
الف خوان من ذهب وعشرة الف كاس وعشرة الف مسرجة من ذهب والمنابر التي حول المذبح
سبعمائة منارة كلها ذهب وفيها من الصلبان التي تقوم بين السقاتين ثلثون الف صليب و
اما صلبان الحديد والنحاس المنقوشة والمموهة فمما لا يحصى ومن المصاحف المذهبة والمفضضة عشرة
الاف مصحف وقد مثل في هذه الكنيسة صورة كل نبي بعث من وقت ادم الى وقت عيسى صلوات
الله عليهم اجمعين وصورة مريم عليها السلم كان الناظر اذا نظر اليهم يحسبهم احياء وفيها مجلس الملك
حوله مائة عمود على كل عمود صنم جرس على اسم امة من الامم جميعا زعموا انها طلسمات اذا

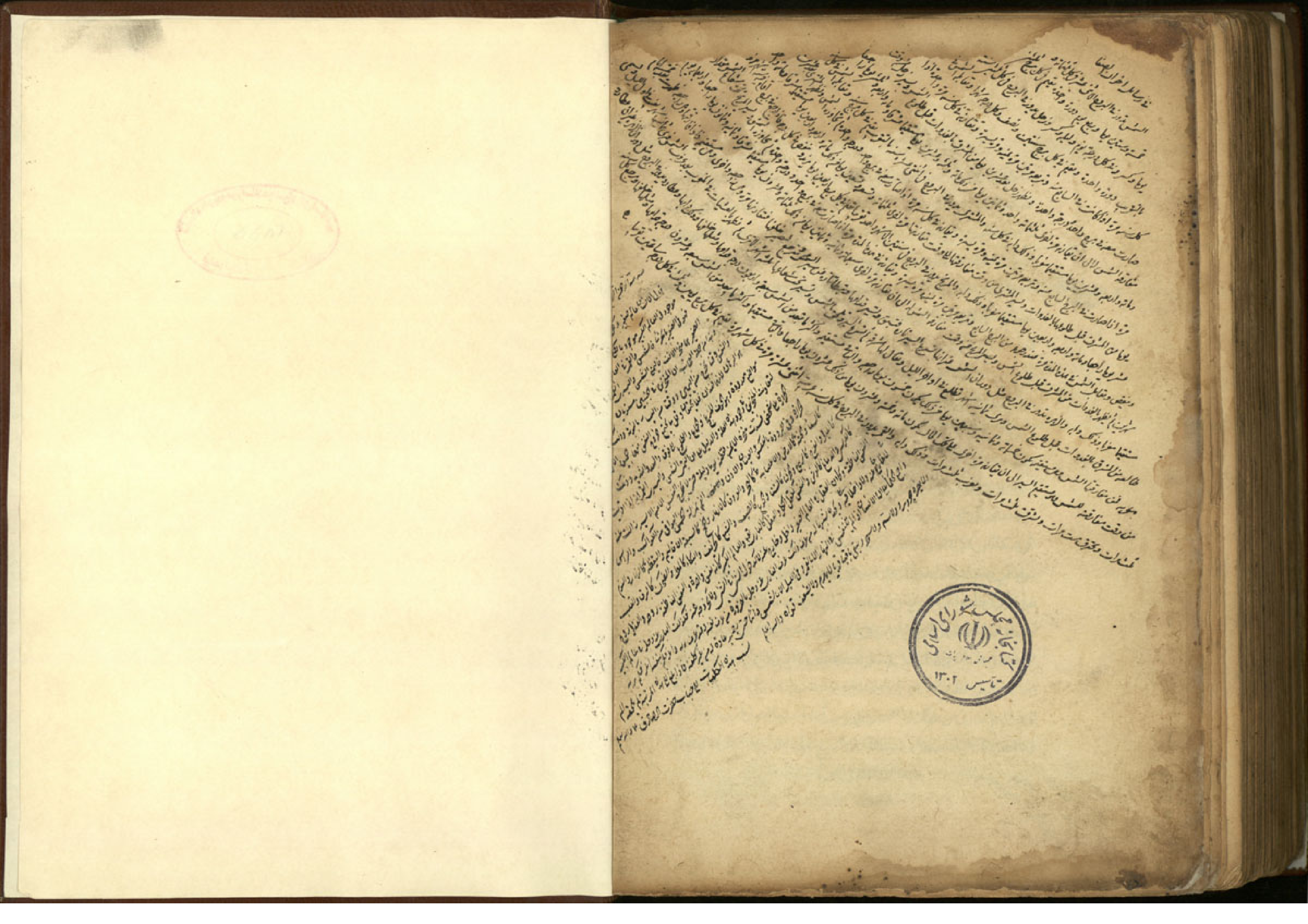
في كل صنم

مزوا

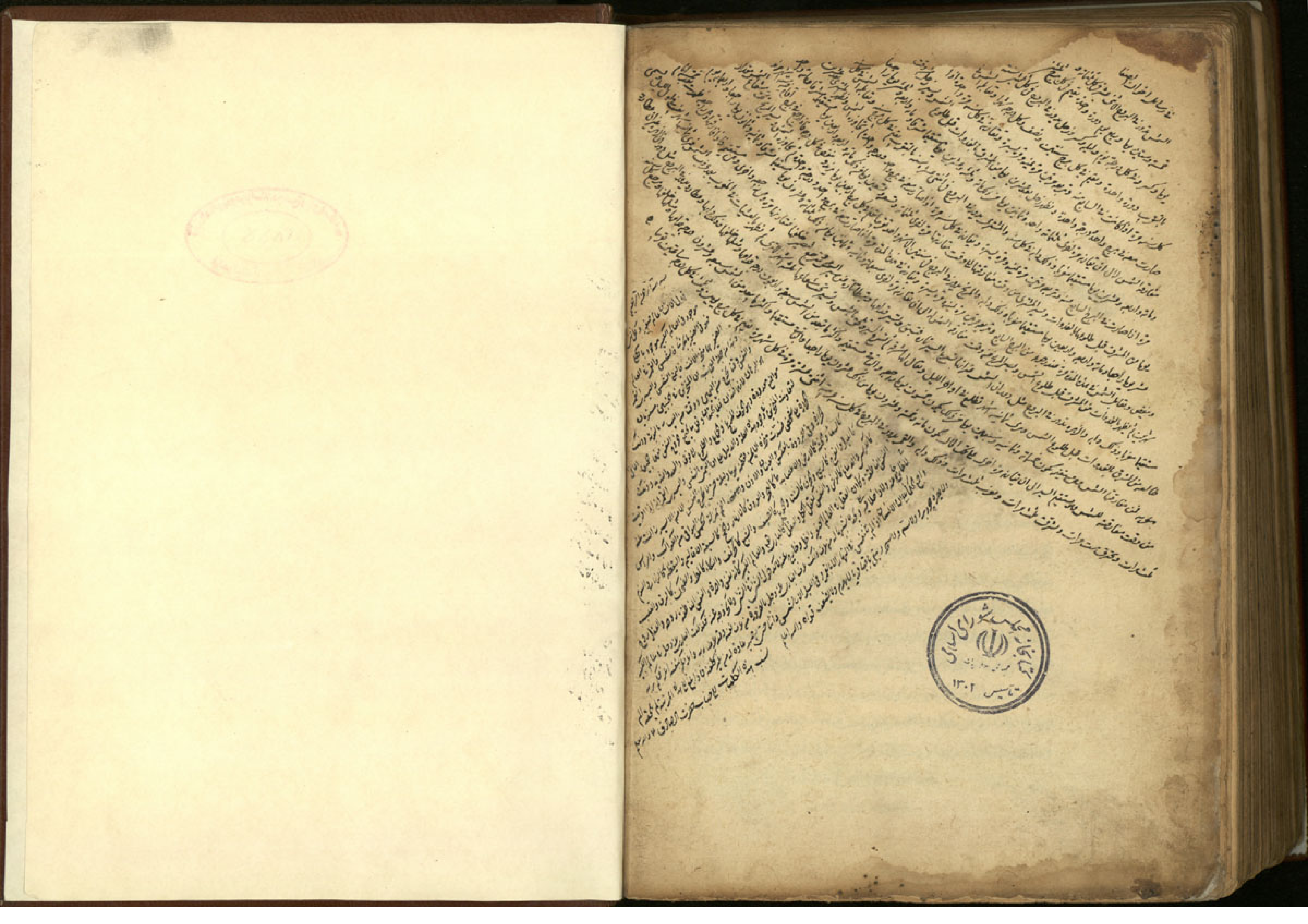
نقرها وحرك الصنم وعرف ان ملك تلك الامة يريد ان يأخذ من حيزهم وبها طلسم الزيتون بين
يدي هذه الكنيسة حتى يكون خمسة اميال في سمكها في وسط عمود من نحاس ارتفاعه خمسون
ذراعا وهو كله قطعة واحدة وفوقه تمثال طائر يقال له السودانية من ذهب على صدره نقش
وفي منقاره شبه زيتونة وفي كل واحدة من رجليه مثل ذلك فاذا كان اوان الزيتون لم يبق
طائر في تلك الارض الا اتى وفي منقاره زيتونة وفي رجليه زيتونتان يلقيها على ذلك الطلسم
وعلى هذا الطلسم اسماء وحفظ من قبل الملك وابواب مختومة فاذا ذهب اوان الزيتون
واستلؤا الصحن من الزيتون يجمع الاسماء ويعطي الملك البطارقة منها ومن يجري مجراهم على قدرهم
ويجعل الباقي في قناديل الكنيسة وهذه القصة اعني طلسم الزيتون رايتها في كتب كثيرة قلما
تترك في شيء من عجائب البلاد واعجب من هذه كلها ان مدينة هذه صفتها من العظم ينبغي
ان يكون مزارعها وضياعها الى مسيرة اشهر والا لا يقوم بميرة اهلها وذكر قوم من اهل بغداد
انهم شاهدوا هذه المدينة وقالوا انها في العظم والسعة وكثرة الخلق مما يقارب هذا والذي لم
يرها يشكل عليه وفيه ذكر ان عمر بن الخطاب سال دهقان الفلوجة عن عجائب بلادهم فقال
عجائب بابل كثيرة لكن اعجبها المدائن السبع كانت في كل مدينة اعجوبة اما المدينة الاولى كان
بيرها وفيها بيت وفي ذلك البيت صورة الارض بقراها ورساتيقها وانهارها فمتى امتنع اهل
بلد من حمل الخراج خرق انهارهم في تلك الصورة وغرق زروعهم فيهلك اهل تلك البلد
مثل ذلك حتى رجعوا عن الامتناع فيسد انهارهم في الصورة فتنسد في بلادهم والمدينة الثانية
كان فيها حوض عظيم فاذا جمع الملك قومه حمل كل واحد معه شرابا يشتهيه عند الملك وصب في
ذلك الحوض فاذا طلبوا للشرب شرب كل واحد منهم شرابه الذي كان معه وحمله من منزله و
المدينة الثالثة كان على بابها طبل معلق فاذا غاب انسان من اهل تلك المدينة والتبس امره
ولم يعلم احي هو ام ميت نقر ذلك الطبل على اسمه فان كان حيا ارتفع صوته وان كان ميتا
لم يسمع منه صوت البتة والمدينة الرابعة كان فيها مراة من حديد فاذا غاب رجل عن اهله وارادوا
ان يعرفوا حاله التي هو فيها اتوا تلك المراة على اسمه ونظروا فيها راوه على الحالة التي هو فيها
والمدينة الخامسة كان على بابها عمود من نحاس وعلى راسه اوزة من نحاس فاذا دخلها جاسوس

صاحت صيحة من السماء سمعها كل اهل المدينة فعلموا ان جاسوسا دخل عليهم والمدينة السادسة
كان بها قاضيان جالسان على طرف ماء فاذا تقدم اليهما خصمان قرأ اسيا وتقلا على رجليهما
وامراها بالعبور على الماء فغاص المبطل في الماء دون المحق والمدينة السابعة كانت بها شجرة
كثيرة الاغصان فان جلس تحتها واحد اظلته الى الف نفس فان زاد على الالف واحد
صار والكلام في الشمس آه وانما بسطنا القول في امثال هذه الحكايات لدلالة
عظمة الصنايع البشرية ووفور علم الانسان وقدرته على امثال هذه الاعمال على عظم صانعه
وشمول علمه وعموم قدرته تعالى شانه **وصل** اعلم انه لو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر
على شرح ما تفضل الله عز وجل علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما
عرفه جملة الاولياء والعلماء وما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه الانبياء والملئكة المقربون
كجبرئيل وميكائيل وغيرهما ثم جميع علوم الانبياء والملئكة والجن والانس اذا اضيف الى
علم الله سبحانه لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب
فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم قال مخاطبا جميعهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا
بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله عز وجل وليس فيها فكر في ذات الله و
لكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من
معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته اكثر وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك
بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه توقيرا و
تعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت من ابيات شعره يزيد محله في قلبك ويستدعي
التعظيم له في نفسك فهكذا تامل في خلق الله وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله
وتصنيفه فالنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منها بقدر ما رزق فسبحان بديع السموات و
الارض ما اعظم ما نرى من خلقك وما اصغر عظمه في جنب قدرتك وما اهول ما نرى من ملكوتك
وما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما اسبغ نعمك في الدنيا وما اصغرها في نعم الآخرة

هذا آخر الكلام في الفن الاخير والحمد لله
اولا وآخرا وظاهرا وباطنا



کتابخانه مجلس شورای اسلامی
تأسیس ۱۳۰۲


کتابخانه مجلس شورای اسلامی
تأسیس ۱۳۰۲